

حَاشِيَةٌ

العارف بالله تعالى العفوري له
أحمد بن محمد الصاوي المالكي الحنوفى
١١٧٥ - ١٢٤١ هـ
على

نَفْسِ الْجَلَّالَيْنِ

للإمامين العظيمين الجَلَّالَيْنِ المحلَّى والجَلَّالِ السيوطي
رَحِمَهُمَا اللهُ تَعَالَى آمِينَ

القرآن الكريم مضبوط بالشكل الكامل

المزود الثاني

الطبعة الأخيرة راجع تصحيحها
فضيلة الشيخ علي محمد الضباع
شيخ القراء والمقارئ بالديار المصرية

دار الجيّد
بيروت

بسم الله الرحمن الرحيم
باسم الجزء وهذه السورة
نزلت جملة واحدة ماعدا
الست آيات ونزل معها
سبعون ألف ملك ولهم
زجل بالتسبيح ونزلت
ليلا فأمر صلى الله عليه
وسلم بكتابتها حينئذ وحين
نزلها صار صلى الله عليه
وسلم يسبح ويسجد
حينئذ وكل ذلك تعظيما
لشأنها لأن ما اشتملت
عليه من التوحيد وعدة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ (سورة الأنعام)

مكية إلا « وما قدروا الله » الآيات الثلاث ، وإلا « قل تعالوا » الآيات الثلاث
وهي مائة وخمس وأست وستون آية

(بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ . الْحَمْدُ) وهو الوصف بالجليل ثابت (لله) وهل المراد
الإعلام بذلك للإيمان به أو الثناء به أوهما احتمالات أفيد بها الثالث قاله الشيخ في سورة
الكهف (الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ) خصهما بالذكر لأنهما أعظم المخلوقات للناظرين
(وَجَعَلَ) خلق (الظلمات والنور) أى كل ظلمة ونور وجمعها دونه لكثرة أسبابها وهذا
من دلائل وحدانيته (ثُمَّ الَّذِينَ كَفَرُوا) مع قيام هذا الدليل ،

جملة من الرسل وتبين الحلال من الحرام في الأنعام لم يوجد في غيرها ، وورد أنها فاتحة التوراة وخاتمة قيل (برهم
آخروهم ، وقيل آخر الإسماء وفيها آية نزلت ومعها أر بعون ألف ملك وهي وعنده مقام الغيب الآية . وعن جابر أن رسول الله
صلى الله عليه وسلم قال « من قرأ ثلاث آيات من أول سورة الأنعام إلى - ويعلم ما تكسبون - وكل الله له أر بعين ألف ملك يكسبون
له مثل عبادتهم إلى يوم القيامة وينزل لك من السماء السابعة ومعه مرزبة من حديد فإذا أراد الشيطان أن يوسوس له أو يوحى في
قلبه شيئا ضربه ضربة فيكون بينه وبينه سبعون حجابا فإذا كان يوم القيامة قال الله امش في ظلي يوم لا ظل إلا ظلي وكل من ثمار
جنى واشرب من السكوثر واغسل من السلسيل فأنت عبدى وأنا ربك » (قوله الآيات الثلاث) أى إلى قوله تستكبرون (قوله
والا قل تعالوا) أى إلى قوله لعلمكم تتقون هكذا مشى المفسر (قوله وهو) أى الحمد بالمعنى اللغوى ، وأما بالمعنى الاصطلاحى فهو
فعل ينبىء عن تعظيم النعم بسبب كونه منعمًا على الحامد أو غيره (قوله الوصف بالجليل) زاد بعضهم على جهة التعظيم والتبجيل
لاخراج التهم كقوله تعالى - ذق إنك أنت العزيز الكريم - (قوله ثابت) قوله إشارة إلى أن الله جبار ومجرب ومتعاق محذوف
خبر المبتدأ الذى هو الحمد (قوله وهل المراد به الإعلام بذلك) أى فتكون الجملة خبرية لفظا ومعنى ، وقوله أو الثناء به : أى فهمى
خبرية لفظا إنشائية معنى (قوله أوها) أى فهمى مستعملة في حقيقتها ومجازها فالقصد إعلام العبيد للإيمان به وإنشاء الثناء
به وهذا هو حمد القديم للقديم ، وأل في الحمد يصح أن تكون الاستغراق أو الجنس أو العهد واللام في الله للاستحقاق (قوله قاله
الشيخ) أى الجلال المحلى (قوله الذى خلق) صفة لله وتعلق الحكم بالمشتق يؤذن بالعلية كأنه قيل الوصف بالجليل ثابت له لأنه
الخالق للسموات والأرض والراد بالسموات ماعلا يشعل العرش ، والراد بالأرض ماسفل فيشمل ما تحتها وقدم السموات لأنها
أشرف من الأرض لكونها مسكن الطهريين لا غير الأرض وإن كان فيها الأنبياء اكها احتوت على الأشرار والمفسدين ولأنها
سابقة على الأرض كما في سورة النازعات . قال تعالى - أنتم أشد خلقا أم السماء بناها - إلى أن قال - والأرض بعد ذلك دحاها -
ولامنافاة بين آية فصلت وبين آية النازعات فإن الأرض خلقت أولا كره ثم خلقت السموات من دخان كادلت عليه آية فصات
ثم بنى السماء ورفعها وأغطش ليلا وأخرج ضحاها والأرض بعد ذلك دحاها . وإجماع السموات لاختلاف أجناسها ، فإن الأولى
من موج مكفوف ، والثانية من مرمره بيضاء ، والثالثة من حديد ، والرابعة من نحاس ، والخامسة من فضة ، والسادسة من ذهب
والسابعة من ياقوتة حمراء . وأما الأرض وإن كانت سبعة أيضا إلا أنها من جنس واحد ، واختلف هل الأرض مداد وهو الصحيح
فالتحد باعتبار أقطارها ، وقيل طباق كالسماء ، وأما السماء فهمى طباق ياتفق (قوله خلق) أشار بذلك إلى أن جعل بمعنى خلق
فتنصب مفعولا واحدا (قوله أى كل ظلمة) أى حسية كظلمة الليل والأجرام الكثيفة أو معنوية كالشرك والمعصية (قوله
ونور) أى حسى كالشمس والقمر والنجوم أو معنوى كالاسلام (قوله لكثرة أسبابها) أى الظلمة وأما النور فسببه واحد لا يتعدد
لأنه إما معنوى وسببه الاسلام أو حسى وسببه النار (قوله ثم الذين كفروا) ثم للترتيب الربى : أى فعد أن عرفوا الحق سبوا به

غيره فهو استبعاد لما وقع منهم (قوله برهم) يحتمل أنه متعلق بكبروا ، وقوله يعدلون مفعوله محذوف قدره المفسر بقوله غيره ومعناه التسوية كما قاله المفسر ، ويحتمل أن برهم متعلق يعدلون والباء بمعنى عن ، والتقدير يميلون عن برهم لغيره من العدول وهو الليل عن طريق الهدى (قوله هو الذي خلقكم) هذا من جملة الأدلة على كونه مستحقا للحمد كأنه قيل الوصف بالجميل لله لغيره لأنه خلق السموات والأرض والظلمات والنور ولأنه خلقكم الخ (قوله من طين) من لا ابتدا الفاية : أى مبتدئا نشأتكم من طين (قوله بخلق أبيكم آدم منه) دفع بذلك ما يقال إنهم مخلوقون من النطفة لامن الطين ، فأجاب بأن الكلام على حذف مضاف وذلك الطين الذي خلق منه آدم فيه من كل لون وعجن بكل ماء غلقت الله أولاده مختلفة الألوان والأخلاق فاختلاف الألوان من اختلاف ألوان طينة أبيهم واختلاف الأخلاق من اختلاف المياه التي عجن بها تلك الطينة فسامن أحد إلاوله جزء مرى له من أبيه ، فالطباع والأخلاق أصلها من آدم فنسبة الطين لأولاده باعتبار نشأتها منه وسريانها فيهم ، وقيل للحذف في الآية بل كل إنسان مخلوق من الطين لأنه ورد « ما من مولود إلا يولد على الفطرة شيء من تراب ربه » فالنطفة عجنبت بذلك التراب فصدق على كل إنسان أنه مخلوق من الطين ، وقيل لأنه من الطين باعتبار أن النطفة ناشئة عن الغذاء وهو ناشئ عن الطين (قوله ثم قضى) يصح أن يكون بمعنى أظهر ثم للترتيب الزماني : أى بعد تمام خلقه يظهر أجله للملك الموكل بالرحم أو بمعنى قدر ثم للترتيب الذي كرى لأن التقدير هو الإرادة المتعلقة بالأجل أولا فهي متقدمة على وجوده فالترتيب في الدكر فقط . واعلم أن كل إنسان له أجلان : أجل ينقضى بموته ، وأجل ينتقض ببعثه فابتداء أجل الموت من حين وجوده وابتداء أجل البعث من حين موته ومجموع الأجلين محتم لا يزيد ولا ينقص ، وما ورد من زيادة العمر (٣) للبار لواصل للرحم ونقصه للعاصي القاطع للرحم قيل

(بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ) يسوون غيره في العبادة (هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ طِينٍ) بخلق أبيكم آدم منه (ثُمَّ قَضَى أَجَلًا) لكم تموتون عند انتهائه (وَأَجَلٌ مُّسَمًّى) مضروب (عِنْدَهُ) لبعثكم (ثُمَّ أَنْتُمْ) أيها الكفار (تَمْتَرُونَ) تشكون في البعث بعد علمكم أنه ابتداء خلقكم ومن قدر على الابتداء فهو على الإعادة أقدر (وَهُوَ اللَّهُ) مستحق للعبادة (فِي السَّمَوَاتِ وَفِي الْأَرْضِ يَعْلَمُ سِرَّكُمْ وَجَهْرَكُمْ) ما تسرون وما تجهرون به بينكم (وَيَعْلَمُ مَا تَكْسِبُونَ) تعملون من خير وشر ،

للعاصي القاطع للرحم قيل محمول على البركة وعدمها وقيل بتداخل أحدهما في الآخر فالطباع يزداد له في أجل الدنيا وينقص من أجل البرزخ وبالعكس للعاصي وبه فسر قوله تعالى - وما يعمر من معمر ولا

ينقص من عمره إلا في كتاب - ويؤيد ذلك ما حكى أن داود عليه السلام كان له صديق قن دنا أجله فأخبره جبريل بأنه لم يبق من أجله إلا خمسون يوما فأخبر داود صديقه بذلك فتأهب حتى إذا جاء اليوم التتم للخمسين أخذ غداه وذهب لداود ليودعه فمر بفقر فأعطاه غداه فنزل جبريل على داود وأخبره أن الله زاد في عمره خمسين سنة بسبب صدقته في ذلك اليوم فلما ذهب إليه وجده مسرورا فأخبره بذلك (قوله وأجل مسمى عنده) أجل مبتدأ ومسمى صفته وعنده خبره وأضيف له سبحانه لأنه لا يعلم انتهاء أحد غيره ، وأما أجل الدنيا فهو في علم الملك وباقتضائه يظهر للخلوقات أيضا (قوله لبعثكم) أى يذهبى إليه وما وراء ذلك لانهاية له (قوله ثم أنتم تمترون) أى ثم بعد ظهور تلك الآيات العظيمة تشكون في البعث وتنكرونها ، وأفاد المفسر أن هذه الآية رد لما أنكروه من البعث وما قبلها رد للشرك الواقع من الكفار (قوله فهو على الإعادة أقدر) هذا بحسب العادة الجارية بأن القادر على الابتداء قادر على الإعادة بالأولى وإلا فالكل في قبضة قدرته سواء لازمة للإعادة على الابتداء لأنه إذا أراد شيئا قال له كن فيكون (قوله وهو الله) مبتدأ وخبر والضمير عائد على الماصف بالأوصاف المتقدمة وفي السموات وفي الأرض متعلق بوصف تضمنه ذلك العلم لأن الله موضوع للذات الواجبة الوجود المستحقة لجميع الحمد فيكون المعنى وهو الله المستحق للعبادة في السموات الخ ، وهذا ما درج عليه المفسر وبذلك يجب عن آية - وهو الذي في السماء إله وفي الأرض إله - وقيل متعاقى بنعت محذوف تقديره وهو الله المعبود في السموات الخ على حد قول ابن مالك * وما من النعوت والنعت عقل * يجوز حذفه ، وقيل متعاقى يعلم والتقدير يعلم سركم وجهركم في السموات والأرض ، وقيل متعاقى بسرركم وجهركم ولكن يلزم عليه تقديم معمول المصدر عليه إلا أن يقل يغتفر في الظروف والمجورورات ما لا يفتر في غيرها (قوله ويعلم ما تكسبون) إن قلت إن الكسب لا يخرج عن السر والجهر والعطف يقتضى الغايرة . أجب بأن المراد بالكسب ما يترتب عليه من الثواب والعقاب ، والمعنى يعلم أفعالكم وأقوالكم السرية والجهرية ويعلم جزاءها من ثواب وعقاب .

(قوله وما تأتيهم من آية) كلام مستأنف بيان لزيادة قبحهم وكفرهم بعد ظهور الآيات البينات (قوله من آيات ربهم) من تبعضية والآيات يحتمل أن يكون المراد بها القرآن فأتيناها نزولها على رسول الله وعليه اقتصر المفسر ، أو السكونية كالمعجزات المراد بآياتها ظهورها والأحسن أن يراد ما هو أعم (قوله إلا كانوا عنها معرضين) الجملة حالية من الضمير في تأتيهم ، وقوله معرضين ضمنه معنى غافلين فعداء بمن وإلا فالاعراض بمعنى الترك لا يتعدى بمن (قوله فقد كذبوا) تفريع على ما قبله وتفصيل لبعضه (قوله بالقرآن) أى وغيره من بقية المعجزات (قوله لما جاءهم) ظرف لقوله كذبوا (قوله فسوف يأتيهم) وعيد عظيم مرتب على تكذيبهم وهو لا يتخلف لأن وعيد الكفار وعد حسن للؤمنين فهو وعد باعتبار ووعد باعتبار آخر فعدم تخلفه باعتبار كونه وعدا ، قال تعالى - وكان حقا علينا نصر المؤمنين - (قوله أنباء) جمع نبأ وهو الخبر العظيم الزعج وجمعه إشارة إلى تكرار الجزاء لهم في الدنيا ويوم القيامة (قوله ما كانوا به يستهزئون) ما اسم موصول وكانوا صلتها ، والمعنى فسوف يأتيهم جزاء الذى كانوا يستهزئون به في العاجل بالقتل والأسر والأجل بالعذاب الدائم في النار (قوله ألم يروا) هذا إخبار من الله يبذل النصيح لهم ومع ذلك فلم يهتدوا والهمزة داخلية على محذوف تقديره أعموا ورأى إمام بصريه وعليه درج المفسر حيث قال في أسفارهم إلى الشام وغيرها وعليه فقوله كم أهلكنا سدت مسد مفعولها أو علمية فتكون الجملة سدت مسد مفعولها والأحسن الأزل (قوله وغيرها) أى كالذين قاتلوه (ع) لهم رحلتان رحلة في الصيف للشام ورحلة في الشتاء لليمن كما يأتي في سورة قريش

(قوله خبرية) أى وهى مفعول مقدم لأهلكنا (قوله من قبلهم) أى قبل وجودهم أو قبل زمانهم (قوله على حذف مضاف) (قوله من قرن) بيان لكم والقرن يطاق على الأمة وعليه درج المفسر ويطلق على الزمان واختلاف في حده فتقيل مائة سنة وهو الأشهر ، وقيل مائة وعشرون ،

(وَمَا تَأْتِيهِمْ) أى أهل مكة (مِنْ) زائدة (آيَةٍ مِنْ آيَاتِ رَبِّهِمْ) من القرآن (إِلَّا كَانُوا عَنْهَا مُعْرِضِينَ . فَقَدْ كَذَّبُوا بِالْحَقِّ) بالقرآن (لَمَّا جَاءَهُمْ فَسَوْفَ يَأْتِيهِمْ أَنْبَاءٌ) عواقب (مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ . أَلَمْ يَرَوْا) فى أسفارهم إلى الشام وغيرها (كَمْ) خبرية بمعنى كثيرا (أَهْلَكْنَا مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ قَرْنٍ) أمة من الأمم الماضية (مَكَانَهُمْ) أعطيناهم مكانا (فِي الْأَرْضِ) بالقوة والسعة (مَا لَمْ يُمْكِنْ) نمط (لَكُمْ) فيه التفات عن الغيبة (وَأَرْسَلْنَا السَّمَاءَ) المطر (عَلَيْهِمْ مِذْرَارًا) متتابعا (وَجَعَلْنَا الْأَنْهَارَ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهِمْ) تحت مساكينهم (فَأَهْلَكْنَاهُمْ بِذُنُوبِهِمْ) بتكذيبهم الأنبياء (وَأَنْشَأْنَا مِنْ بَدَنِهِمْ قَرْنَا آخَرِينَ . وَلَوْ نَزَّلْنَاهُ عَلَيْكَ كِتَابًا) مكتوبا (فِي قِرْطَاسٍ) رق كما اقترحوه (فَلَسَوْهُ بِإِيدِيهِمْ) أبلغ من عاينوه (لَأَنَّهُمْ أَتَى لِلشَّكِّ) (أَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا) (إِنَّ) ما (هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُبِينٌ) تصنعا وعنادا ،

وقيل ثمانون ، وقيل ستون ، وقيل أربعون ، وقيل غير ذلك (قوله مكانهم) وصف للقرن وجمعه ، باعتبار معناه لأن (وقالوا) الترن اسم جمع كرهط وقوم لفظه مفرد ومعناه جمع (قوله بالقوة والسعة) أى في الدنيا حتى صاروا ذوى شهامة وغنى عظيم ومع ذلك فلم تكن عنهم أموالهم ولا أنفسهم من الله شيئا (قوله فيه التفات عن الغيبة) أى ونسكت به الاعتناء بشأن المخاطبين حيث خاطبهم مشافهة (قوله وأرسلنا السماء عليهم مدرارا) وصف ثان للقرن ، وقوله وجعلنا الأنهار وصف ثالث له ، والذى أن مضى من قبلكم من الأمم أعطيناهم القوة الشديدة في الجسم والسعة في الأموال والأولاد ومع ذلك فلم ينفعهم من ذلك شيء . لأنهم كانوا طغوا الأولى منهم . قال الشاعر : لا يأمن الدهر ذو بنى ولو ملكا جنوده ضاق عنها السهل والجبل (قوله وأنشأنا من بعدهم قرا) كلام مستأنف دفع به ما يقال حيث هلك من هلك فقد خرب السكون . فأجاب بأنه كل أهلك جماعة أتى بغيرهم فإنه قادر على ذلك والقادر لا يعجزه شيء (قولا - قرنا) هنا بالافراد وفى بعض الآيات بالجمع والمعنى واحد فإن المراد به الجنس وجمع آخرين باعتبار معنى القرن (قوله ولو أنزلنا) شروع في بيان زيادة كفرهم ونساية له صلى الله عليه وسلم على عدم إيمانهم به وهورد لتول النصيرين الحرب وعبد الله بن أبى أمية ونوفل بن خويلد لن يؤمن لك حتى تنزل علينا كتابا نقرؤه . ومع أنه أربعة من الملائكة يشهدون بأنك صادق (قوله مكتوبا) إشارة إلى أنه أطلق المصدر وأراد اسم المفعول (قوله قراطيس) قراءة بكسر القاف لا غير ويجوز فى غير القرآن فتح لقاف وضمها ويقال قرطس كجعفر ودرهم ما يكتب فيه مطلقا ورقا أو غيره فتفسيره بالرقى بفتح الراء على الأنصح تفسير بالأخص (قوله كما اقترحوه) أى اخترعوه من الآيات (قوله إن هذا إلا سحر مبين) إن نافية بمعنى ما وهذا مبتدأ وسحر خبره ومبين

صفته والجملة مقول القول (قوله وقالوا لولا أنزل عليه . لك) هذا من جملة عنادهم وكفرهم (قوله فلم يؤمنوا) مرئى على قوله ولو أنزلنا فهو من تحمة الشرط . والمعنى أن الله لو أنجاهم بأنزل ملك ولم يؤمنوا لأهلكهم كمن قبلهم مع أنه قال : وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم فعدم إجابتهم رحمة بهم (قوله ولو جعلناه ملكا) رد لتوهم هلا كان رسولنا من الملائكة لامن البشر (قوله أى على صورته) أشار بذلك إلى أن الكلام على حذف مضاف أى صورة رجل فالشبه في الصورة فقط (قوله إذ لا قوة للبشر على رؤية الملك) أى ولذلك كان يأتي الأنبياء على صورة رجل ولم ير الملك على صورته الأصلية أحد من البشر إلا رسول الله صلى الله عليه وسلم مرتين مرة في الأرض عند غار حراء ومرة في السماء عند سدره المنتهى ليلة الاسراء (قوله وللبنسنا) جملة المفسر جواب شرط محذوف والواو داخله على فعل الشرط المحذوف قدره بقوله ولو جعلناه رجلا والناسب للمفسر الاقتصاد على ذلك ويحذف قوله ولو أنزلناه . وابس فتح الباء يابس بكسرها خلط يخلط والتبس اختلط واشتباه ، وأما بابس بكسر الباء يلبس بفتحها سلك الثوب في العنق (قوله ولقد استهزئ برسل من قبلك) أى فلا تحزن واصبر على أذاهم فإن الله كافيك شرهم (قوله فكذا يحق بمن استهزأ بك) أى لكن لاعلى الوجه الذى حاق بهم من عموم العذاب بل يأخذ المتمرد بخصوصه وقد فعل الله له ذلك ، قل تعالى : إنا كفييناك للستهزين (قوله قل (٥) سيرا في الأرض) هذا استشهاد على

ما تقدم كأنه قيل إن لم تصدقوا خبر ربكم بأنه حاق بالذين سخروا وكذبوا أنبياءهم العذاب فسيروا وعابنوا آثارهم (قوله ثم انظروا) أتى بنم لانه لا يحسن التذكير والاستدلال ولا يتم إلا بعد تمام السير ومعاينة الآثار (قوله كيف) اسم استفهام خبر كان وعاقبة اسمها وإعنا قدم الخبر عليها وعلى اسمها لأن اسم الاستفهام

(وَقَالُوا لَوْلَا أُنْزِلَ عَلَيْهِ آيَاتٌ مِنْ رَبِّهِ لَمَلَكُوا بِهِ الْعِلْمَ) (قوله وقالوا لولا أنزل عليه . لك) (يصدق) (وَلَوْ أُنْزِلْنَا مَلَكًا) كما اقترحوا فلم يؤمنوا (لَقَضَى الْأَمْرُ) بهلاكهم (ثُمَّ لَا يَنْظُرُونَ) يمهلون لتوبة أو معذرة كمادة الله فيمن قبلهم من إهلاكهم عند وجود مقترحهم إذا لم يؤمنوا (وَلَوْ جَعَلْنَاهُ) أى المنزل إليهم (مَلَكًا لَجَعَلْنَاهُ) أى الملك (رَجُلًا) أى على صورته ليتمكنوا من رؤيته إذ لا قوة للبشر على رؤية الملك (وَلَوْ أُنْزِلْنَا) وجعلناه رجلا (لَلْبَسْنَا) شبهنا (عَلَيْهِمْ مَا يَلْبَسُونَ) على أنفسهم بأن يقولوا: ما هذا إلا بشر مثلكم (وَلَقَدْ اسْتَهْزَئُوا بِرُسُلٍ مِنْ قَبْلِكَ) فيه تسلية للنبي صلى الله عليه وسلم (فَتَحَقَّقْ) نزل (بِالَّذِينَ سَخِرُوا مِنْهُمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ) وهو العذاب فكذا يحق بمن استهزأ بك (قُلْ) لهم (سِيرُوا فِي الْأَرْضِ ثُمَّ انظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ) الرسل من هلاكهم بالعذاب ليعتبروا (قُلْ لِمَنْ مَافِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ قُلْ لِلَّهِ) إن لم يقولوه لأجواب غيره (كَتَبَ) قضى (عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ) فضلا منه وفيه نلطف في دعائهم إلى الإيمان (لِيَجْمَعَنَّكُمْ،

له الصدارة (قوله ليعتبروا) أى يتعظوا قبل السير والتفكير يحصل الاستدلال والنور التام . ومن هنا أخذت الصوفية السياحة لأن من جملة ما يعين على الوصول إلى الله والترقى إلى المعارف النظر والتفكير في ممنوعاته قال تعالى : سترهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق (قوله قل لمن مافى السموات والأرض) الجار والمجرور خبر مقدم وما اسم موصول مبتدأ مؤخر وفي السموات والأرض صلة الوصول والأصل قل مافى السموات والأرض لمن ؟ وإعنا قدم الخبر لأن اسم الاستفهام له الصدارة وهذه حجة قاطعة لا يمكن ردها أبدا (قوله قل لله) أى تقرير لهم وتنبيه على أنه المتعين للجواب بالاتفاق لقوله تعالى ولئن سألتهم من خلق السموات والأرض ليقولن الله (قوله لأجواب غيره) فى معنى التفريع أو التعليل فالمناسب أن يقول فلا أولائه لأجواب غيره (قوله كتب ربكم على نفسه الرحمة) أى ألزم نفسه الرحمة لأنه وعدها ولا يخاف فهي واجبة شرعا لاعتقلا . والرحمة هى النعمة وهى عامة لكل مخلوق فى الدنيا قال تعالى : ورحمى وسيت كل شىء ، فمن رحمته إهمال العصاة والكفار وترادف الرزق عليهم ، وأما بعد استقرار الخلق فى الدارين فتختص الرحمة بأهل الجنة ويختص غضب الله بأهل النار (قوله فضلا منه) رد بذلك على المعتزلة القائلين بأن الرحمة واجبة عقلا على الله يستحيل تخلفها إذ هو نقص والنقص عليه محال (قوله وفيه نلطف في دعائهم إلى الإيمان) أى فى ذكر الرحمة بهذا العنوان فلا تقنطوا بل إذا تبتم قباكم (قوله ليجمعنكم) التام موطنه لقسم محذوف وهو كلام مستأنف مؤكد بالقسم والنون إشارة إلى أن ذلك الأمر لا بد منه .

(قوله إلى يوم القيامة) يحتمل أن إلى على بابها متعلقة بمحذوف تقديره ليجمعنكم في القبور ويحشرنكم إلى يوم القيامة ويحتمل أنها بمعنى اللام أو في أو زائدة (قوله لا ريب فيه) أى في الجمع يوم القيامة أو في يوم القيامة الذى يحصل فيه الجمع (قوله الذين خسروا أنفسهم) الذين مبتدأ وخسروا صلتهم وأنفسهم مفعول لخسروا وقوله فهم لا يؤمنون مبتدأ وخبر والجملة خبر مبتدأ . إن قلت إن ظاهر الآية أن عدم الإيمان مسبب عن الحد أن مع أن الحشران مسبب عن عدم الإيمان . أجب بأن الذى الدين خسروا أنفسهم في علم الله أى قضى عليهم بالحشران أن لا يفهم لا يؤمنون فيما لا يزال فالآية باعتبار ما في علم الله وأما بسبب الحشران عن عدم الإيمان فبحسب ما يظهر للعباد (قوله له ماسكن) هذا أيضاً من جملة أدلة التوحيد زيادة في التشنيع على من كفر (قوله حل) أشار بذلك إلى أنه لا حذف في الآية وعليه جمهور المفسرين فمعنى حل وجد فيشمل الساكن والمتحرك وقيل إن سكن من السكون ضد الحركة وعليه في الآية حذف تقديره وما تحرك (قوله قل أغبر الله) رد لقولهم له كيف ترك دين آبائك وغبر مفعول أول لا تأخذ وقدمه اعتناء بنى الغيرية ووليا مفعول ثان (قوله أعبد) تفسير لا تأخذ فالمراد بالولى هنا العبود ويطابق بالاشتراك على معان منها للعبود ولا يكون إلا الله وهو معنى قوله تعالى : فأنه هو الولي ، الله ولى الذين آمنوا ويطلق على القريب والصاحب وعلى اللهمك في طاعة الله (قوله فاطر) بدل من لفظ الجلالة أو نعت . إن قلت إن فاطر اسم فاعل وإضافته لفظية لا تفيد التعريف ولفظ الجلالة أعرف المعارف وشرط النعت موافقته لمنعوتها في التعريف . أجب بأن محل كون إضافته لفظية إن (٦) كان معناه التجدد والحديث وأما هنا فهو من قبيل الصفة المشبهة فيكون

وصفانابتا له وهذه الجملة كالل دليل لما قبلها (قوله مبدعها) أى موجودها على غير مثال سبق ففاطر من الفطرة وهى الخلقه وفطر خلق وأنشأ قال ابن عباس ما كنت أدري ما معنى فطر وفاطر حتى اختصم إلى أعرايان في بئر فقال أحدهما أنا فطرته أى أنشأها

إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ) ليجازيكم بأعمالكم (لَا رَيْبَ) شك (فِيهِ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ) بتعريضها للعذاب مبتدأ خبره (فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ . وَلَهُ) تعالى (مَأْسَكَنَ) حل (فِي اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ) أى كل شيء فهو ربه وخالقه ومالكه (وَهُوَ السَّمِيعُ) لما يقال (الْعَلِيمُ) بما يفعل (قُلْ) لهم (أَغْيَرِ اللَّهُ أَتَّخِذُ وَلِيًّا) أعبد (فَاطِرِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ) مبدعها (وَهُوَ يُطْعِمُ) يرزق (وَلَا يُطْعِمُ) يرزق ، لا (قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَسْلَمَ) لله من هذه الأمة (وَ) قيل لى (لَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ) به (قُلْ إِنِّي أَخَافُ أَنْ عَصَيْتُ رَبِّي) بعبادة غيره (عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ) هو يوم القيامة (مَنْ يَصْرِفْ) بالبناء للمفعول أى العذاب والفاعل أى الله والعائد محذوف (عَنْهُ يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحِمَهُ) تعالى ، أى أراد له الخير (وَذَلِكَ الْقَوْزُ الْبَيْنُ) النجاة الظاهرة

(وإن

وابتدأتها (قوله أى يرزق) تفسير بالأعم لأن المعنى يرزق مطعوماً أو غيره فليس المراد

من الآية قصره على المطعوم (قوله ولا يطعم) أى لأن المرزوق محتاج لمن يرزقه ونزله الله عن الاحتياج (قوله أول من أسلم) يحتمل أن من نكرة موصوفة بجملة أسلم صفة ، والمعنى أن أكون أول فريق أسلم أو اسم موصول وما بعدها صلة والتقدير أول الفريق الذى أسلم وقوله أمرت أن أكون الخ أى أمرنى ربى أن أكون أول المسلمين لأنه يجب عليه الإيمان بأنه رسول وبما جاء به من الشرع والأحكام فهو أول المسلمين على الإطلاق (قوله وقيل لى الخ) أشار بذلك إلى أن قوله ولا تكونن معمول لقول محذوف والجملة معطوفة على جملة أمرت والمعنى أمرنى ربى بأن أكون أول من أسلم بهنأى بقوله ولا تكونن من المشركين وهذه الجملة لازمة لما قبلها (قوله عذاب يوم عظيم) معمول لأخاف وجملة إن عصيت ربى شرطية وجوابها محذوف دل عليه قوله أخاف وهى معترضة بين الفعل وهو أخاف ومعموله وهو عذاب (قوله من يصرف عنه) من اسم شرط ويصرف فعل الشرط ونائب الفاعل مستتر يعود على العذاب على القراءة الأولى والفاعل الله على القراءة الثانية وعنه جار ومجرور متعلق بيصرف وقوله فقد رحمه جواب الشرط وهو معنى قوله تعالى فنزحزح عن النار وأدخل الجنة فقد فاز (قوله وللفاعل) أى والمفعول محذوف تقديره العذاب والمعنى من يصرف الله العذاب عنه يوم القيامة فقد رحمه وفي ذلك نعت بفض بأن الكفار لا يرحمون لأنه لا يصرف عنهم العذاب (قوله والعائد محذوف) الأوضح أن يقول والمفعول محذوف وهو ضمير يعود على العذاب لأن الضمير العائد على من مذكور بقوله عنه وأيضاً لا يحتاج للعائد إلا الموصول ومن هنا شرطية لاموصولة (قوله وذلك) أى النجاة يوم القيامة

(قوله وإن يمسك الله بضرة) هذا تأييد من الله لرسوله فالحق لا يخفى عليهم بل بلغ ما أنزل إليك من ربك فإن الله متولى أمرك بيده الضرة والنفع والمنع والاعطاء فهم عاجزون لا يدرون على إيصال ضرة ولا جلب نفع (قوله كترض وقتر) أى وغلبة واحتياج (قوله فلا كاشف له) جواب الشرط وفعله قوله يمسك ولا نافية للجنس وكاشف اسمها مبنى معها على الفتح فى محل نصب وخبره محذوف تقديره أحد ، وقوله إلهو إلا أداة حصر وهو بدل من الضمير المستتر فى الخبر (قوله وإن يمسك بخير) جواب الشرط محذوف تقديره فلا راد لفضله كما فى آية يونس : وإن يردك بخير فلا راد لفضله (قوله فهو على كل شئ قدير) دليل لكل من الجملتين (قوله ومنه ماسك به) أى من النبوة وغيرها (قوله مستعليا) أشار بذلك إلى أن قوله فوق عبادة ظرف متعلق بمحذوف حال من القاهر (قوله فوق عبادة) أى فوقية مكانة لا مكان ، والمعنى أن صفاته فوق صفات غيره لأن أوصافه كناية وأوصاف غير ناقصة فوصفه العز والعلم والاقترار ووصف غيره الدل والجهل والعجز فكل وصف شريف كامل فهو لله وكل وصف خسيس ناقص فهو لغيره (قوله وهو الحكيم فى خلقه) أى يضع الشئ فى محله (قوله الخبير) أى فىعامل كل شخص بما يليق به (قوله ونزل لما قالوا) أى أهل مكة فقالوا يا محمد أرنا من يشهد لك بالرسالة فأتانا سألنا اليهود والنصارى عنك فزعموا أنه ليس لك عندهم ذكر (قوله إيتنا) بقلب الحمزة الثانية ياء . قال ابن مالك :

ومدا بدل فى الحمزين من كلمة ان يسكن ككأثر واتمن (قوله تمييز محمول (V) عن المبتدأ) أى والأصل شهادة

أى شئ أكبر حذف المضاف وأقيم المضاف إليه مقامه وجعل مبتدأ وجعل المضاف تمييزا (قوله قل الله) مبتدأ خبره محذوف أى أكبر شهادة ، وقوله شهيد خبر لمحذوف قدره المفسر فالكلام جملتان ويحتمل أن الله مبتدأ خبره شهيد فالكلام جملة واحدة (قوله شهيد بينى وبينكم) المراد بشهادة الله إظهار المعجزات على يده فإن

(وَإِنْ يَمْسَسْكَ اللَّهُ بِضُرَةٍ) بلاء كترض وقتر (فَلَا كَاشِفَ) رافع (لَهُ إِلَّا هُوَ وَإِنْ يَمْسَسْكَ بِخَيْرٍ) كصحة وغنى (فَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ) ومنه ماسك به ولا يقدر على رده عنك غيره (وَهُوَ الْقَاهِرُ) القارء الذى لا يعجزه شئ مستعليا (فَوْقَ عِبَادِهِ وَهُوَ الْحَكِيمُ) فى خلقه (الْخَبِيرُ) ببواطنهم كظواهرهم . ونزل لما قالوا للنبي صلى الله عليه وسلم إيتنا بمن يشهد لك بالنبوة فإن أهل الكتاب أنكروك (قُلْ) لهم (أَيُّ شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهَادَةً) تمييز محمول عن المبتدأ (قُلْ اللَّهُ) إن لم يقوله لأجواب غيره ، هو (شَهِيدٌ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ) على صدق (وَأَوْحَىٰ إِلَىٰ هَٰذَا الْقُرْآنَ لَا نَذِركُمْ) أخوفكم يا أهل مكة (بِهِ وَمَنْ بَلَغَ) عطف على ضمير أنذركم أى بلغه القرآن من الإنس والجن (أَنْتُمْ لَتَشْهَدُونَ أَنَّ مَعَ اللَّهِ إِلَهَةً أُخْرَىٰ) استفهام إنكارى (قُلْ) لهم (لَا أَشْهَدُ) بذلك (قُلْ إِنَّمَا هُوَ إِلَهُ وَاحِدٌ وَإِنِّى بَرِّىءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ) معه من الأصنام (الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ) أى محمداً بنعته فى كتابهم (كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمُ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ) منهم

المعجزات منزلة منزلة قول الله : صدق عبدى فى كل ما يبلغ عنى (قوله وأوحى إلى هذا القرآن) هذا دليل لشهادة الله ، والمعنى أن الله شهيد لأن هذا القرآن ناطق بالحجج القاطعة وهو من عنده فلا يرد كيف اكتفى منه عليه الصلاة والسلام بقوله : الله شهيد مع أن ذلك لا يكفى من غيره والاعتصار على الانذار لأن الكلام مع الكفار وبني أوحى للجهول للعلم بفاعله (قوله عطف على ضمير أنذركم) أمم ومن موصولة وبلغ صلتها والمائد محذوف والتقدير وأنذر الذى بلغه القرآن (قوله من الإنس والجن) أى إلى يوم القيامة وفيه دلالة على عموم رسالته واستمرارها من غير ناسخ إلى يوم القيامة (قوله أنتم لتشهدون) اللام لام الابتداء زحلت للخبر (قوله استفهام إنكارى) أى والمعنى لا يصبح منكم هذه الشهادة لأن المعبود واحد (قوله قل إنما هو إله واحد) إنما أداة حصر وما كافة وهو مبتدأ وإله خبره واحد صفته وهو زيادة فى الرد عنهم وهو من حصر المبتدأ فى الخبر (قوله الذين آتيناكم الكتاب) أى اليهود والنصارى فالمراد بالكتاب التوراة والإنجيل (قوله أى محمداً) تفسير للضمير فى يعرفونه ويصح أن يرجع الضمير للقرآن أو لجميع ما جاء به رسول الله من التوحيد وغيره (قوله كما يعرفون أبناءهم) أى معرفة كعرفتهم لأبنائهم وهذا من التزلات الربانية وإلا فهم يعرفونه أشد من معرفتهم لأبنائهم لما روى أن عمر بن الخطاب سأل عبد الله بن سلام بعد إسلامه عن هذه المعرفة فقال يا عمر لقد عرفته حين رأيت كما أعرف ابني ولأنا أشد معرفة بمحمد من أبني فقال عمر كيف ذلك ؟ فقال أشهد أنه رسول الله حق ولا أدري ما تصنع النساء (قوله الذين خسروا أنفسهم) مبتدأ والجملة نصت

الذين آمنهم الكتاب ويؤيده قوله المفسر منهم (قوله فهم لا يؤمنون) خبر للبند أو قرن الخبر بالفاء لما للبند من معنى الشرط وهو العموم . والمعنى أن من سبق في علم الله خسارته فلا يتأتى له الإيمان في الدنيا وذلك أن الله جعل لكل إنسان منزلاً في الجنة ومنزلاً في النار فإذا كان يوم القيامة جعل الله للمؤمنين منازل أهل النار في الجنة ولأهل النار منازل أهل الجنة في النار وقد علمت مما تقدم أن للمؤمنين واحد من ألف فتكون منازل الكفار التي ترثها المؤمنون في الجنة لكل واحد تسعة منازل وتسعة وتسعون تضم لمنزله ومنازل المؤمنين التي تركت لأهل النار منزل من ألف يزداد لهم فيؤخذ منه أن الجنة واسعة جداً فمن النار ضيقة جداً لا يسا مع عظم جسم الكافر فيها حيث يكون ضرره كأحد قال تعالى - وجنة عرضها السموات والأرض - وقال تعالى - وإذا أقروا منها مكاناً ضيقاً مقرنين - (قوله به) أي بمحمد أو بالله أو بالقرآن أو بما جاء به محمد (قوله أي لا أحد) أشار بذلك إلى أن الاستفهام إنكارى بمعنى النفي ، والمعنى ليس أحد أظلم ممن فعل واحداً من الأمرين الافتراء والتكذيب فما بالك بمن يجمع بينهما كالشركيين وأهل الكتاب فإن كلا منهما وقع منه الأمران (قوله إنه لا يفلح الظالمون) أي لا يفوزون بمطلوبهم ، وقوله بذلك أي بسبب ما ذكر وهو الافتراء أو التكذيب (قوله ويوم نحشرهم) ظرف متعلق بمحذوف قدره المفسر والضمير في نحشرهم عائد على الخاق مسلمهم وكافرهم ويصح عوده على الشركيين فقوله بعد ذلك ثم نقول للذين أشركوا إظهار في عمل الاضمار زيادة في التشنيع عليهم (قوله جميعاً) حال من ضمير نحشرهم (قوله ثم نقول) أتى بتم إشارة إلى أن السؤال بعد الحشر والحشر يطول على الكفار قدر خمسين ألف سنة والمقصود من ذلك ردعهم وزجرهم لعلمهم يؤمنون في الدنيا فتأمنون من ذلك اليوم وهو والقول إن كان على السنة الثلاثمائة فظاهر وإن كان من الله مباشرة ورد علينا (أ) قوله تعالى - ولا يكلمهم الله يوم القيامة - وقد مجاب بأن المعنى لا يكلمهم كلاماً رضاً ورحمة (قوله أين شركاؤكم) إن قلت مقتضى هذه الآية أن الشركاء ليسوا حاضرين معهم ومقتضى قوله تعالى : احشروا الذين ظلموا وأزواجهم وما كانوا يعبدون من دون الله أنهم حاضرون معهم فكيف الجمع بينهما .

(فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ) بِهِ (وَمَنْ) أَى لَا أَحَدَ (أَظْلَمُ مِمَّنْ أَفْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا) بِنِسْبَةِ الشَّرِيكَ إِلَيْهِ (أَوْ كَذَبَ بآيَاتِهِ) الْقُرْآنَ (إِنَّهُ) أَى الشَّانَ (لَا يَفْلِحُ الظَّالِمُونَ) بِذَلِكَ (وَ) إِذْ كَرَّ يَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُوا (تَوَيْبًا) (أَيَّنْ شُرَكَاءُكُمْ الَّذِينَ كَفَرْتُمْ تَرْجَمُونَ) أَنَّهُمْ شُرَكَاءُ اللَّهِ (ثُمَّ لَمْ تَكُنْ) بِالنَّاءِ وَالْيَاءِ (فَتَنَتَّهَمُ) بِالنَّصِبِ وَالرَّفْعِ أَى مَعَذَرَتِهِمْ (إِلَّا أَنْ قَالُوا) أَى قَوْلِهِمْ (وَأَلَّهُ رَبَّنَا) بِالْجُرْنَتِ وَالنَّصِبِ نَدَاءٌ (مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ) قَالَ تَعَالَى (أَنْظُرْ) بِمُحَمَّدٍ (كَيْفَ كَذَبُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ) بِنَفْيِ الشَّرِكِ عَنْهُمْ (وَصَلَّ) غَابَ (عَنْهُمْ) مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ) عَلَى اللَّهِ مِنَ الشَّرَكَاءِ (وَمِنْهُمْ مَنْ يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ) إِذَا قُرِئَتْ (وَجَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ

ورحمته (قوله أين شركاؤكم) إن قلت مقتضى هذه الآية أن الشركاء ليسوا حاضرين معهم ومقتضى قوله تعالى : احشروا الذين ظلموا وأزواجهم وما كانوا يعبدون من دون الله أنهم حاضرون معهم فكيف الجمع بينهما .

أجيب بأن هذا السؤال هنا واقع بعد التبري الكائن من الجانبين وانقطاع ما بينهم من الأسباب والعلائق وأضيفوا لهم لأن آ كنهه شركتها بتسميتهم وتقولهم قال تعالى - ما تعبدون من دونه إلا أسماء سميتموها أتم وآباؤكم - الآية (قوله أنهم شركاء لله) قدره إشارة إلى أن مفعولى تزعمون محذوفان وهذه الجملة سدت مسدها (قوله بالناء والياء) فعلى قراءة الناء يصح رفع فتنتهم اسم تكن وإلا أن قالوا خبرها ونصبها خبر تكن مقدم وإلا أن قالوا اسمها مؤخر ويتعين جر ربنا وعلى قراءة الياء فليس إلا نصب فتنتهم خبر يكن مقدم وإلا أن قالوا اسمها مؤخر ويتعين نصب ربنا فالقراءات ثلاث وكلها سبعة خلافا لما يوجهه المفسر (قوله أي معذرتهم) أي جوابهم وسماه فتنة لأنه كذب محض لا نفع به بل به الفضائح (قوله ما كنا مشركين) إن قلت كيف الجمع بين ما هنا وبين قوله ولا يكتمون الله حديثاً . قلت أولاً ينكرون الاشرار ويحلفون على عدم وقوعه منهم ثم يستشهد الله الأعضاء فتنتطق الجوارح حينئذ يودون لو تسوى بهم الأرض ولا يكتمون الله حديثاً فهم أولاً يظنون أن إنكارهم نافع حين تشهد أعضاؤهم فيسرون أن لو كانوا توابوا لم يكتتموا شيئاً (قوله على أنفسهم) إنما نسبهم لهم وإن كان في الحقيقة كذباً على الله لأن ضرره عاد اليهم (قوله من الشركاء) بيان لما (قوله ومنهم من يستمع إليك) سبب نزولها أنه اجتمع أبو سفيان وأبو جهل والوليد بن المغيرة والنضر بن الحرث وعتبة وشيبة ابنا ربيعة وأميرة ابن خاف والحرث بن عامر يستمعون القرآن فقالوا للنضر يا أبا قتيبة ما يقول محمد ؟ قال ما أدري ما يقول غير أنى أراه يحرك لسانه ويقول أساطير الأولين مثل ما كنت أحدثكم عن القرون الماضية وكان النضر كثير الحديث عن القرون الماضية وأخبارها فقال أبو سفيان أتى أرى بعض ما يقول حقاً فقال أبو جهل كلا لا تقر بهي من هذا وفي رواية الموت أهون علينا من هذا وأفرد يستمع مراعاة للفظ من وسبأني في يونس مراعاة معناها والحكمة في مراعاة لفظها هنا أن ما هنا في قوم قليلين وفيما يأتى في الكفار جميعاً .

(قوله أكنة) جمع كنف وهو الوعاء الجامع الذي يحفظ فيه الشيء. ويجمع على أكثان والمراد بها هنا الخطاء الستة (قوله فلا يسمونه) أي القرآن (قوله حتى إذا جاءوك) حتى ابتدائية وقوله يجادلونك حال من الواو في جاءوك وقوله يقول الذين كفروا جواب إذا (قوله كالأضاحيك) جمع أضحية بالضم وكذا الأعاجيب أي فالمشهور أن أساطير في جمعه ومفردة كالأضاحيك والأعاجيب (قوله وهم ينهون) أي إن الكفار ينهون عن اتباع النبي أو عن سماع القرآن (قوله أي عن اتباع النبي) أشار بذلك إلى أن الكلام على حذف مضاف (قوله وقيل نزلت في أبي طالب) أي وعليه جُمع الضمير باعتبار أنبأه (قوله كان ينهى عن أذاه) أي وكان يخاطب النبي عليه الصلاة والسلام بقوله: ولقد علمت (٩) بأن دين محمد من خير أديان البرية دينا لولا للامة أو حذارى سبة لوجدتني سمحا بذلك مينا فاصنع بأمرك ما عليك غضاضة حتى أوسد في التراب رهينا

وهذا القول لابن عباس ومهرو بن دينار وسعيد بن جبير، والقول بأنها نزلت في المشركين لجماعة منهم الكلب والحسن والأقرب لسياق ما قبلها وما بعدها للذي الأول فتأمل (قوله بذلك) أي باهلاكم أنفسهم (قوله ولو ترى) المقصود من ذلك حكاية ما سبق من الكفار يوم القيامة وتسليية للنبي وأصحابه والمضى لوبصر بينك يا محمد ما يقع لهؤلاء في الآخرة لرأيت أمرا عظيما تنسلي به عن الدنيا فالخطاب لرسيدنا محمد كما قال المفسر. إن قلت هذا يقتضي أن رسول الله (٩) لم يطلع على ذلك مع أنه لم

خرج من الدنيا حتى أحاط بوقائع الدنيا والآخرة. وأجيب بأن هذا قبل إلام الله له بالآخرة. وأجيب أيضا بأن الخطاب له والمراد غيره، ورأى إما بصريّة وهو الأقرب أو قلبية والمعنى لو صرفت كرك الصحيح في تدبير حالمهم لازددت يقينا، ولو يحتمل أنها حرف امتناع فيكون قوله ترى بمعنى رأيت وإذا على بابها من

أَكِنَّةٌ (أَعْطِيَهُ لِرَأْنِ) لَا (يَفْقَهُوهُ) يَفْهَمُوا الْقُرْآنَ (وَفِي آذَانِهِمْ وَقُرْأَ) صَمًّا فَلَا يَسْمَعُونَهُ سَمَاعَ قَبُولٍ (وَإِنْ يَرَوْا كُلَّ آيَةٍ لَا يُؤْمِنُوا بِهَا حَتَّى إِذَا جَاءَهُكَ يُجَادِلُونَكَ يَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا (إِنْ) مَا (هَذَا) الْقُرْآنُ (إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ) كَذِيبِ (الْأَوَّلِينَ) كَالْأَضْحَاكِ وَالْأَعَاكِبِ جَمْعُ أُسْطُورَةٍ بِالضَمِّ (وَهُمْ يَنْهَوْنَ) النَّاسَ (عَنْهُ) عَنْ اتِّبَاعِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ (وَيَنْتَازِنَ) يَتْبَاعِدُونَ (عَنْهُ) فَلَا يُؤْمِنُونَ بِهِ، وَقِيلَ نَزَلَتْ فِي أَبِي طَالِبٍ كَانَ يَنْهَى عَنْ أَذَاهُ، وَلَا يُؤْمِنُ بِهِ (وَإِنْ) مَا (يُنْكِوْنَ) بِالنَّاسِ عَنْهُ (إِلَّا أَنْفُسَهُمْ) لِأَنَّهُ ضَرَرَهُ عَلَيْهِمْ (وَمَا يَشْعُرُونَ) بِذَلِكَ (وَلَوْ تَرَى) يَأْمُرُ (إِذْ وَقَفُوا) عَرَضُوا (عَلَى النَّارِ فَقَالُوا يَا) لِلنَّبِيِّ (لَيْتَنَّا نَرُدُّ) إِلَى الدُّنْيَا (وَلَا نَكْذِبُ) بَيِّنَاتٍ رَبَّنَا وَنَكُونُ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ) بَرَعَ الْقَلَمَيْنِ اسْتِثْنَاوَا وَنَصَبَهُمَا فِي جَوَابِ التَّمْنَى، وَرَفَعَ الْأَوَّلَ وَنَصَبَ الثَّانِي، وَجَوَابُ لَوْ رَأَيْتَ أَمْرًا عَظِيمًا، قَالَ تَعَالَى (بَلْ) لِلضَّرْبِ عَنْ إِرَادَةِ الْإِيمَانِ الْمَقْصُودِ مِنَ التَّمْنَى (بَدَا) ظَهَرَ (لَهُمْ)،

المعنى فيكون عبر بالماضي لتحقيق الحصول ويحتمل أنها بمعنى إن الشرطية وإذ بمعنى إذا فيكون مستقبلًا والأقرب الأول (قوله للتنبيه) أي لدخولها على الحرف (قوله ليتنا نرد) ليت حرف تمنى وتا اسمها وحمله نرد خبرها (قوله برفع القلمين استئناف) أي واقع في جواب سؤال مقدر تقديره ماذا تفعلون لو رددتم فقوله ولا نكذب خبر لهذوف تقديره ونحن لانكذب وكذا قوله ونكون (قوله ونصبهما في جواب التمني) أي بأن مضرة بعد واو المعية وأن وما دخلت عليه في تأويل مصدر معطوف على مصدر مصيد من الكلام السابق وتقدير الكلام فقالوا تمنى على الله ردنا مع علم نكذب منا وحصول إيمان (قوله ورفع الأول) أي على الاستئناف وقوله ونصب الثاني أي بأن مضرة وجوبا بعد واو المعية في جواب التمني وأن وما دخلت عليه في تأويل مصدر معطوف على مصدر مصيد من الكلام السابق تقديره تمنى على الله ردنا مع حكوتنا من المؤمنين وحمله ولا نكذب معترضة بين المعطوف والمعطوف عليه فهذه قرأت ثلاث وكلها سبعة وقرئ شذوذا بنصب الأول ورفع الثاني وتوجيه كما علمت (قوله للضرب) أي الإبطال والمعنى ليس الأمر كما قالوا من أنهم لو ردوا لا تمنوا بل إنما حملهم على ذلك فضحيتهم بشهادة أعضائهم.

(١) (قوله ولقد علمت الخ) كذا بالنسخة التي بأيدينا وبالوقوف على المقصد الأول من المواهب يعلم ما فيه اه مصححه.

(قوله ما كانوا يخفون) أى وهو الشرك (قوله بقولهم) الباء سيية (قوله بشهادة جوارحهم) متعلق بيدا (قوله فتمنوا ذلك) أى فرارا من العذاب لاجبة في الايمان (قوله لعادوا) جواب لو (قوله في وعدم بالايمان) أى الذى وقع منهم بالتخفى (قوله وقالوا إن هى إلا حياتنا الدنيا) يحتمل أنه معطوف على لعادوا فهو من جملة جواب لو ويحتمل أنه كلام مستأنف في خصوص منكرى البعث وهذا هو التبادر من المفسر وإن نافية بمعنى ما وهى مبتدأ وحياتنا خبره والمعنى أنهم قالوا ليس لنا حياة غير هذه الحياة التى نحن فيها وما نحن بمبعوثين بعد الموت (قوله على ربهم) أى حتى حسابيه وسؤاله فالكلام على حذف مضاف (قوله قال لهم) أى لمنكرى البعث الذين قالوا إن هى إلا حياتنا الدنيا (قوله على لسان الملائكة) دفع بذلك ما يقال إن الله لا ينظر إليهم ولا يحكمهم (قوله قالوا بلى وربنا) جواب مؤكد باليمين (قوله بما كنتم تكفرون) أى بسبب الذى كنتم تكفرون به أو بسبب كفركم (قوله غاية للتكذيب) أى لا للخسران فإنه لا غاية له (قوله الساعة) المراد بها مقدمات الموت فالمراد أن حزم الدائم يحصل لهم عند خروج أرواحهم (قوله بغتة) حال من فاعل جاءتهم والتقدير جاءتهم مباغتة أو من مفعوله والتقدير (١٠) جاءتهم حال كونهم مبغوتين (قوله يا حسرتنا) يا حزن نداء وحسرة

نادى منصوب بفتحة ظاهرة لأنه مضاف لنا (قوله هى شدة التألم) أى التلهف والتحسر على مافات (قوله وتداوها مجاز) أى تنزيلاها منزلة العاقل لأنه لا ينادى حقيقة إلا العاقل والمقصود التنبيه على أن هذا الكافر من شدة هوله لم يفرق بين خطاب العاقل وغيره ومثله يا ويلنا فتأمل (قوله على ما فرطنا) أى من الأعمال الصالحة في الدنيا (قوله وهم يحملون أوزارهم) الجملة حالية من الواو فى قالوا (قوله

مَا كَانُوا يُخْفُونَ مِنْ قَبْلُ) يَكْتُمُونَ بِقَوْلِهِمْ : وَاللَّهِ رَبَّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ بِشَهَادَةِ جَوَارِحِهِمْ فَتَمَنُّوا ذَلِكَ (وَلَوْ رُدُّوا) إِلَى الدُّنْيَا فَرَضًا (لَعَادُوا لِمَا نُهُوا عَنْهُ) مِنَ الشَّرْكِ (وَلِإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ) فِي وَعْدِهِم بِالْإِيمَانِ (وَقَالُوا) أَيْ مَنَكُرُوا الْبَعْثَ (إِنْ) مَا (هِيَ) أَيْ الْحَيَاةُ (إِلَّا) حَيَاتُنَا الدُّنْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ . وَلَوْ تَرَى إِذْ وَقِفُوا عَرْضًا (حَلَّى رَبِّهِمْ) لَرَأَيْتُمْ أَمْرًا عَظِيمًا (قَالَ) لَهُمْ عَلَى لِسَانِ الْمَلَائِكَةِ تَوْبِيخًا (أَلَيْسَ هَذَا) الْبَعْثُ وَالْحِسَابُ (بِالْحَقِّ) قَالُوا بَلَى وَرَبَّنَا إِنَّهُ لَحَقٌّ (قَالَ) فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ) بِهِ فِي الدُّنْيَا (قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِلِقَاءِ اللَّهِ) بِالْبَعْثِ (حَقِّ) غَايَةً لِلتَّكْذِيبِ (إِذَا جَاءَ نَهُمُ السَّاعَةُ) الْقِيَامَةُ (بَغْتَةً) خَفَاءً (قَالُوا) يَا حَسْرَتَنَا هِيَ شِدَّةُ التَّأَلُّمِ وَتَدَاوُهَا مُجَازٌ أَيْ هَذَا أَوَانُكَ فَاحْضَرِي (حَلَّى مَا فَرَطْنَا) قَصَرْنَا (فِيهَا) أَيْ الدُّنْيَا (وَهُمْ يَحْمِلُونَ أَوْزَارَهُمْ) حَلَّى ظُهُورِهِمْ) بَأَن تَأْتِيهِمْ عِنْدَ الْبَعْثِ فِي أَقْبَحِ شَيْءٍ صُورَةٍ وَأَنْتَنَّهُ رِيحًا فَتَرْكِبُهُمْ (أَلَا سَاءَ) بَسْ (مَا يَزِرُونَ) يَحْمِلُونَهُ حَمْلَهُمْ ذَلِكَ (وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا) أَيْ الْإِشْغَالُ بِهَا (إِلَّا لَبٍ وَلَهْوٌ) ، وَأَمَّا الطَّاعَاتُ وَمَا يَمِينُ عَلَيْهَا مِنْ أُمُورِ الْآخِرَةِ (وَاللَّذَارُ الْآخِرَةُ) (وَفِي قِرَاءَةِ) وَلِدَارِ الْآخِرَةِ أَيْ الْجَنَّةِ (خَيْرٌ لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ) الشَّرْكَ (أَفَلَا يَعْقِلُونَ) بِالْبَيَاءِ وَالتَّائِبِ ذَلِكَ فَيُؤْمِنُونَ (قَدْ) لِلتَّحْقِيقِ (نَعْلَمُ ،

إنه

بأن تأتيتهم الخ) ورد أن المؤمن إذا خرج من قبره استقبله

أحسن شيء صورة وأطيبه ريحا فيقول هل تعرفني فيقول لا فيقول أنا عمالك الصالح فاركني فقد طالما ركبتك في الدنيا فذلك قوله تعالى - يوم نحشر المتقين إلى الرحمن وفدا - يعنى ركبانا ، وأما الكافر فيستقبله أقبح شيء صورة وأنتن ريحا فيقول هل تعرفني فيقول لا فيقول أنا عمالك الحثيث طالما ركبتني في الدنيا فأنا أركبك فذلك قوله تعالى - وهم يحملون أوزارهم على ظهورهم - (قوله أى الاشغال فيها) أشار بذلك إلى أن الكلام على حذف مضاف والمعنى أن الاشغال في الحياة الدنيا هن خدمة الله وطاعته لعب ولهو وليس المراد أن مطلق الحياة الدنيا لعب ولهو بل ما قرب منها إلى الله فهو مزرعة للآخرة ، وما أبعد منها عنه فهو حسرة وندامة (قوله خير للذين يتقون) أى لأن منافعها خالصة من الكدورات وعجزها دائم (قوله أفلا يعقلون) الحمزة داخل على محذوف والفاء عاطفة على ذلك المحذوف والتقدير ألا يتفكرون فلا يعقلون (قوله بالياء والتاء) أى فهما قراءتان سبعيتان (قوله قد نعلم) المقصود من هذه الآية وما بعدها تسليية النبي صلى الله عليه وسلم على ما وقع من الكفار من التكذيب وغيره وتهديد لهم لعلمهم يرجعون وقد للتحقيق نظير قوله تعالى - قد يعلم الله العواقب - .

(قوله إنه ليحزنك) بكسر الهمزة لدخول اللام المعلقة لنعلم عن العمل في حيزها ، قال ابن مالك :

وهكسروا من بعد فعل علما باللام كاعلم إنه لدونتي

وإن حرف توكيد والماء اسمها واللام لام الابتداء زحلت للخبر ثلاثا يتوالى حرفا تأكيد ويحزنك خبرها والذي فاعل يحزن ويقولون صلتها والعائد محذوف تقديره يقولونه والجملة من إن واسمها وخبرها في محل نصب سدت مسد مفعولى نعلم فإن التعليق بإبطال العمل لفظا لا عملا كما هو مقرر (قوله فانهم لا يكذبونك) الفاء للتعليل والمعنى لا تحزن من تكذيبهم لك واصبر ولا تكن في ضيق مما يمحرون فانهم لا يكذبونك في الباطن بل يعتقدون صدقك وإنما تكذيبهم عناد وجحود (قوله في السر) دفع بذلك ما يقال إن بين ما هنا وبين قوله ولكن الظالمين بآيات الله يحجدون تنافيا. وحاصل الجواب أن المنفى التكذيب في السر والمثبت التكذيب في العلانية (قوله وفي قراءة بالتخفيف) أى مع ضم الياء وسكون الكاف وهى سبعة أيضا (قوله أى لا ينسبونك إلى الكذب) هذا يناسب كلا من القراءتين والمعنى لا يعتقدون تكذيبك باطنا ، ولذا قال أبو جهل للنبي صلى الله عليه وسلم إنا لا نكذبك ولكن نكذب الذى جئت به (قوله وضعه موضع المضر) أى زيادة في التقييح والتشنيع عليهم (قوله يحجدون) الجحد الانكار مع العلم والمعنى أنهم أنكروا آيات الله مع علمهم بأن ما جاء به صدق (قوله بكذبون) أى في العلانية (قوله فيه تسلي) أى زيادة تسلي وذلك لأن البؤى إذا عمت هانت (قوله فصبوا) الفاء سيدي وصبوا معطوف على كذبت وقوله على ما كذبوا متعلق بصبوا والمعنى صبوا على تكذيبهم (قوله (١١) وأودوا) يصح عطفه على كذبت والمعنى كذبت وأودوا

إِنَّهُ) أى الشأن (لِيَحْزُنَكَ الَّذِي يَقُولُونَ) لك من التكذيب (فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ) في السر لهم أنك صادق . وفي قراءة بالتخفيف أى لا ينسبونك إلى الكذب (وَلَكِنَّ الظَّالِمِينَ) وضعه موضع المضر (بِآيَاتِ اللَّهِ) القرآن (يَجْحَدُونَ) يكذبون (وَلَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِنْ قَبْلِكَ) فيه تسلي للنبي صلى الله عليه وسلم (فَصَبَرُوا عَلَى مَا كُذِّبُوا وَأَوْدُوا حَتَّى أَتَاهُمْ نَصْرُنَا) يهلك قومهم فاصبر حتى يأتيك النصر يهلك قومك (وَلَا مُبَدَّلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ) مواعيده (وَلَقَدْ جَاءَكَ مِنْ نَبَأِ الْمُرْسَلِينَ) ما يسكن به قلبك (وَإِنْ كَانَ كَبُرَ) عظم (عَلَيْكَ إِعْرَاضُهُمْ) عن الإسلام لحرصك عليهم (فَإِنْ اسْتَطَعْتَ أَنْ تَبْتَغِيَ نَفَقًا) سربا (فِي الْأَرْضِ أَوْ سُلَّمًا) مصعدا (فِي السَّمَاءِ ،

أى مواعيد الله بالنصر ، قال تعالى - ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين إنهم لهم المنصورون - وقال تعالى - كتب الله لأبغين أنا ورسلى (قوله ولقد جاءك) اللام موطئة لقسم محذوف وجاء فعل ماض والفعل محذوف يعلم من السياق قدره المفسر بقوله ما يسكن به قلبك وقوله من نبأ المرسلين بيان للمحذوف ويحتمل أن من زائدة على مذهب الأخفش ونبأ المرسلين فاعل ويحتمل أن من اسم بمعنى بعض هو الفاعل والمعنى ولقد جاءك بعض أخبار المرسلين الذين كذبوا وأودوا فصبوا قتل ولا تحزن فإن الله ناصر كك نصرهم (قوله وإن كان كبر عليك إعراضهم) سبب نزولها أن الحرث بن عامر بن نوفل بن عبد مناف جاء لرسول الله صلى الله عليه وسلم في نفر من قريش فقالوا يا محمد اتنا بآية من عند الله كما كانت الأنبياء تفعل فانا نصدقك فأبى الله أن يأتيهم بآية مما افترحوا فأعرضوا عنه فشق ذلك عليه لما أنه شديد الحرص على إيمان قومه فكان إذا سأله آية يود أن ينزلها الله طمعا في إيمانهم فنزلت وإن حرف شرط وكان فعل ماض فعل الشرط واسمها ضمير الشأن وكبر فعل ماض وإعراضهم فاعله والجملة خبر كان والأقرب أن إعراضهم اسم كان مؤخر وجملة كبر خبرها مقدم وفاعل كبر ضمير يعود على إعراضهم وهو وإن كان مؤخرا لفظا إلا أنه مقدم رتبة (قوله فان استطعت) هذه الجملة شرطية وجوابها محذوف تقديره فافعل والشرط وجوابه جواب الشرط الأول والمعنى إن عظم عليك إعراضهم ولم تكشف بالمعجزات التي ظهرت على يديك فان استطعت أن تأتيهم بآية فافعل (قوله سربا) بفتح السين : شق في الأرض والنفق السرب النافذ في الأرض ومنه النافقاء أحداً بواب جرة البربوع وذلك أن البربوع يحفر في الأرض سربا ويجعل له بايين أول ثلاثة : النافقاء والقاصعاء والرامياء ثم يدقق بالحفر ما يقرب وجه الأرض فاذا نابه أمر دفع تلك القصرة الدقيقة وخرج والمعنى إن شئت أن تتحيل على إتيان آية لقومك على طبق

ما اقترحوا فافعل وهذا عتلب لرسول الله على التعلق بإيمانهم وزرق له إلى اللقاع الأكل الذي هو التسليم (قوله فتأنيهم بآية) أي من تحت الأرض أو من فوق السماء (قوله هدايتهم) أي جمعهم على الهدى (قوله ولكن لم يشأ ذلك) هذا استثناء عريض للقدم فينتج قبيض التالي إن كان بينهما نساو كما هنا نظير لو كانت الشمس طالعة كان النهار موجودا وقد أشير لحضي النتيجة بقوله فلم يؤمنوا وإلا فالنتيجة فلم يجمعهم على الهدى (قوله فلا تكونون من الجاهلين) أي الذين لا تسلم لهم فلا تسب نفسك في تطلب ما اقترحوه فانهم لا يؤمنون (قوله إنما يستجيب الذين يسمعون) هذا من جملة التسلية لرسول الله والمعنى لا تعزن على عدم إيمانهم فانما يستجيب لك ويمثل أمرك ويقبل للواعظ الذين يسمعون صماع قبول والذين لا يسمعون يبعثهم الله فيجازيهم على ما صدر منهم فلنار أهل والجنة أهل ، فمن خلق الله فيه الهدى انتفع بالمواعظ وآمن ، ومن خلق فيه الضلال فلا تزیده للواعظ والآيات الإضلالا ، وهذه الآية في الحقيقة استدراك على قوله : ولو شاء الله لجمعهم على الهدى ، فالعنى لم يشأ جمعهم على الهدى بل قسم الخلق قسمين : قسم للجنة وقسم للنار (قوله دعاءك إلى الإيمان) هذا هو مفعول يستجيب والسين والتاء لتأكيد الإجابة والرد بالدين يسمعون من سبقت لهم السعادة في الأزل لما يظهر منهم من الإيمان هو على طبق ما سبق (قوله أى الكفار) أشار بذلك إلى أن قوله واللوق مقابل قوله الذين يسمعون (قوله يبعثهم الله) أى يحييهم وقوله في الآخرة إشارة للحشر وأن للرد بالبعث (١٣) الأحياء بعد الموت وهذا هو الأقرب ، وقيل معنى يبعثهم يحيى قلوبهم بالإيمان

فهو بشارة لرسول الله بأن أعداءه يؤمنون ولكن برده الحصر للتقنم وأيا من آمن فهو داخل في قوله الذين يسمعون (قوله بأعمالهم) الباء إما سببية أو بمعنى على والمراد بالأعمال الكفر والعاصي وقوله ثم إليه يرجعون أى يوقفون للحساب والجزاء وأما البعث فهو الأحياء بعد الموت

فَتَأْنِيهِمْ بِآيَةٍ) مما اقترحوا فافعل ، المعنى أنك لا تستطيع ذلك فاصبر حتى يحكم الله (وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ) هدايتهم (لَجَمَعَهُمْ عَلَى الْهُدَى) ولكن لم يشأ ذلك فلم يؤمنوا (فَلَا تَكُونُوا مِنَ الْجَاهِلِينَ) بذلك (إِنَّمَا يَسْتَجِيبُ) دعاءك إلى الإيمان (الَّذِينَ يَسْمَعُونَ) صماع تفهم واعتبار (وَالْمُؤْمِنِينَ) أى الكفار شبههم بهم في عدم السماع (يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ) في الآخرة (ثُمَّ إِلَيْهِ يَرْجَعُونَ) يردون فيجازيهم بأعمالهم (وَقَالُوا) أى كفار مكة (لَوْلَا هَلا (نُزِّلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِنْ رَبِّهِ) كالناقة والمصا والمائدة (قُلْ) لهم (إِنَّ اللَّهَ قَادِرٌ عَلَى أَنْ يُنْزِلَ) بالتشديد والتخفيف (آيَةً) مما اقترحوا (وَلَكِنْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ) أن نزولها بلاء عليهم لوجوب هلاكمهم إن جعلوها (وَمَا مِنْ) زائدة (دَابَّةٍ) تمشي (فِي الْأَرْضِ وَلَا طَائِرٍ يَطِيرُ) في الهواء (يَجْنَحُهُ إِلَّا أَتَمَّ) أمثالكم (

في

فتأنيهم (قوله وقالوا) هذا إنكار منهم لما جاء به من المعجزات

الباهرة حيث جعلوا ما جاء به سحرا وكهانة وطابوا غيره (قوله كالناقة والمصا) أى والنار لإبراهيم وإلانة الحديد لداود وغير ذلك من معجزات الأنبياء الظاهرة فنزلوا معجزاته صلى الله عليه وسلم منزلة المدم حتى طلبوا معجزة على صدقه ولكنهم من عصى قلوبهم لم يفرقوا بين معجزاته ومعجزات غيره فان معجزاته أعلى وأجل ، قال العارف البرعى :

وإن قابلت لفظة لن ترأى بما كذب الفؤاد فهمت معنى وقال أيضا : وإن يك خاطب الأموات عيسى *

فان الجذع حق له وأنا إلى آخر ما قال (قوله بالتشديد والتخفيف) أى فهما قراءتان سبعيتان (قوله أن نزولها الخ) هذه الجملة في محل نصب مفعول يعلمون (قوله بلاء عليهم) أى لهدم إيمانهم واقتناعهم بها (قوله لوجوب هلاكمهم) أى بحسب جرى عادة الله بأن من اقترح آية وجاءته ولم يؤمن بها أهلكه الله لعدم إجابته لما اقترحوا رحمة بالأمة الحمدية جميعا لأن الله من على نبيه ببقائها إلى يوم القيامة ولو أجاب التعنتين بمن ما طلبوا لانقضت الأمة كما انقض من نعت قبلهم (قوله وما من دابة) كلام مستأنف مسوق لبيان كمال قدرته تعالى وسعة علمه وتديره (قوله تمشي) قدره خاصا لدلالة قوله وهو قوله يطير عليه ، قال العلماء جميع ما خلقه الله عز وجل لا يخرج عن الشئ والطيران والحقوا حيوان البحر بالطير لأنه يسبح في الماء كما أن الطير يسبح في الهواء (قوله في الأرض) خصها بالذكر لأن المشاهد أقطع لحبة الخصم وإلا فسكان السماء كذلك (قوله بجناحيه) صفة كاشفة نظير قوله : نظرت بعيني وصمت بأذني (قوله إلا أتم) أى طوائف وجماعات أمثالكم أى كل

نوع على صفة وطريقة وشكل كما أنكم كذلك فمن المصوب العزيز والذليل والرزوق بسهولة ونبع والقوى والضعيف والكبير والصغير والتحليل في الرزق وغير التحليل كبنى آدم (قوله في تدبير خلقها) أى وتصريفه فيها في كل لحظة يجلب للتافع لها ودفع الضر عنها ولطفه بها فلا يشغله شأن عن شأن ، قال تعالى - ما خلقكم ولا بشكم إلا كنفس واحدة - (قوله وأحوالها) أى من إحيائها وإماتها وإعزازها وإذلالها ونحو ذلك وكذلك تعرف ربها وتوحده كما أتم تعرفون ربكم وتوحدونه ولم يوجد كافر إلا من الجن والادميين والإجميع المخلوقات عقلاء وغيرهم مجبولون على التوحيد قال تعالى - وإن من شيء إلا يسبح بحمده - وإنما كفر من كفر من الجن والإنس عنادا (قوله اللوح المحفوظ) أى من الشيطان ومن التغيير والتبديل، وهو من دوة بيضاء فوق السماء السابعة طوله ما بين السماء والأرض وعرضه ما بين المشرق والمغرب حيث أريد بالكتاب اللوح المحفوظ فالعموم ظاهر فإن فيه نبیان كل شيء ما كان وما يكون وما هو كائن ، وقيل المراد بالكتاب القرآن وعليه فالمراد بقوله ما فرطنا في الكتاب من شيء أى يحتاج إليه الخلق في أمورهم (قوله ثم إلى ربهم يحشرون) أى يجمعون وهذا بيان لأحوالهم في الآخرة إثر بيان أحوالهم في الدنيا (قوله فيقضى بينهم) أى الأهم عقلاء أو غيرهم (قوله للجماء) أى وهى معدومة القرون وهذا كله لاظهار العدل حيث لم يترك غير العقلاء فكيف بالعقلاء فلا بد من الحشر والحساب والجزاء إما بالعدل وإما بالفضل (قوله والذين كذبوا بآياتنا) أى أعرضوا عنها ولم يؤمنوا بها (قوله في الظلمات) هو معنى قوله في الآفة الأخرى عمى ، فهم صم القلوب عميا بكها فلا يتأتى منهم انتفاع (١٣) ولا اعتبار ولا يصل إليهم نور أبدا (قوله

الكفر) أى فهو ظلمات مضوية فمثل الكافر كمثل رجل أعمى أصم أبكم فى ظلمات فلا يهتدى إلى مقصوده كما أن الكافر كذلك (قوله من يشأ الله يضله) هذا دليل لما قبله ومفعول يشأ فى كل محذوف قدره المفسر بقوله يضله وبقوله هدايته والمعنى أن الاضلال

فى تدبير خلقها ورزقها وأحوالها (ما فرطنا) تركنا (فى الكتاب) اللوح المحفوظ (من) زائدة (شئ) فلم نكتبه (ثم إلى ربهم يحشرون) فيقضى بينهم ويقتض للجماء من القرآن ثم يقول لهم كونوا ترابا (والذين كذبوا بآياتنا) القرآن (مهم) عن سماعها سماع قبول (وبكم) عن النطق بالحق (فى الظلمات) الكفر (من يشأ الله) بإضلاله (يضله ومن يشأ) هدايته (يجهله على صراط) طريق (مستقيم) دين الاسلام (قل) يا محمد لأهل مكة (أرأيتكم) أخبرونى (إن أنا كرم عذاب الله) فى الدنيا (أو أتنتكم الساعة) القيامة المشتملة عليه بفتنة (أغير الله تدعون) لا (إن كنتم صادقين) فى أن الأصنام تنفعكم فادعوها

والاهتداء بتقدير الله فمن أراد الله هدايته سهل له أسبابها وجعله منهمكا فى طاعته وإن وقعت منه معصية وفق للتوبة منها ومن أراد الله إضلاله حجب عنه نوره ونعسرت عليه أسباب الطاعة حتى لو وقعت منه طاعة تكون معاملة غير مقبولة وما فى هذه الآية هو معنى قوله تعالى فى الآية الأخرى - فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للإسلام - الآية (قوله قل يا محمد) أى على سبيل التخويف والتوبيخ على الكفر بالله (قوله أخبرونى) هكذا فسرت الرؤية فى هذه الآية ونظائرهما بالأخبار والأصل فى الرؤية العلم أو الابصار فأطلق العلم أو الابصار وأريد لازمه وهو الأخبار لأن الإنسان لا يخبر إلا بما علمه أو أبصره واستعملت الهمزة التى هى فى الأصل لطلب العلم أو الابصار فى طلب الأخبار ففيه مجازان ورأى فعل ماض والتاء فاعل والكاف مفعول أول على حذف مضاف والجملة الاستفهامية فى محل المفعول الثانى والتقدير أرأيتم عبادكم غير الله هل تنفعكم ، والمعنى أخبرونى يا أهل مكة إن أنا كرم عذاب الله أو أتنتكم الساعة بسرعة أتدعون إلها غير الله يكشف عنكم منازل بكم وجواب الاستفهام لا يدعون غير الله فإذا كان كذلك فهو أحق بأن يفرد بالعبادة (قوله إن أنا كرم) جواب الشرط محذوف تقديره فمن تدعون (قوله فى الدنيا) أى كالصاعقة والصيحة (قوله المشتملة عليه) أى على العذاب لأن الكافر لا يشاهد من حين موته إلا العذاب الدائم وأسهله خروج الروح (قوله بفتنة) أى سرعة (قوله أغير الله تدعون) الهمزة للاستفهام الانكارى وضرب ممول لتدعون وهو صفة لموصوف محذوف والتقدير أتدعون إلها غير الله (قوله فادعوها) قدره إشارة إلى أن جواب الشرط محذوف .

(قوله بل إياه) إضراب انتقالي عن النبي الذي علم من الاستفهام (قوله في الشدائد) أي كالمرض والفقر وغير ذلك (قوله إن شاء) جوابه محذوف لفهم المعنى ودلالة ما قبله عليه أي إن شاء أن يكشفه يكشفه وإن لم يشأ كشفه فلا يكشفه فليست إجابة الدعاء وعدا لا يخلف وهذا مخصوص بدعاء الكفار ، وأما دعاء المؤمنين فهو مجاب بالوعد الذي لا يخلف لكن على ما يريد الله إما بسين المطلوب أو بغيره فلانفاة بين ما هنا وبين قوله تعالى : ادعوني أستجب لكم (قوله وتنسون ما تتركون) أي حين نزول الشدائد بهم لا يلتفتون إلى أصنامهم بل لا يدعون إلا الله (قوله ولقد أرسلنا) هذا تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم (قوله فكذبوهم) قدره إشارة إلى أن قوله فأخذناهم مرتب على محذوف (قوله يتضرعون) من التضرع وهو التذلل والخضوع (قوله فهلا) أشار بذلك إلى أن لولا للتخصيص (قوله أي لم يفعلوا ذلك) أي التضرع وأشار بذلك إلى أن التخصيص بمعنى النبي (قوله مع قيام المقتضى له) أي وهو البأساء والضراء (قوله ولكن قست قلوبهم) أي لم يقع منهم تضرع ولا خضوع بل ظهر منهم خلاف ذلك بسبب قسوة قلوبهم (قوله فلم تلن للإيمان) أشار بذلك إلى أن القسوة نشأ عنها الكفر كما أن التضرع ينشأ عنه الإيمان (١٤) عنه الإيمان (قوله وزين لهم الشيطان ما كانوا يعملون) أي

الذي كانوا يعملونه أو عملهم (قوله فأصروا عليها) أي على المعاصي ولم يتعظوا بما نزل بهم من البأساء والضراء (قوله بالتخفيف والتشديد) أي فهم قراءتان سبعيتان (قوله حتى إذا فرحوا) غاية للفتح ، والمعنى أن من خالف أمر الله وطغى يستدرجه الله بالنعم ويمده بالعطايا الدينية فاذا فرح بذلك كان عاقبة أمره أخذه أخذ عزيز مقتدر (قوله فاذا هم مبلسون) إذا جائية

(بَلْ إِيَّاهُ) لا غيره (تَدْعُونَ) في الشدائد (فَيَكْشِفُ مَا تَدْعُونَ إِلَيْهِ) أن يكشفه عنكم من الضر ونحوه (إِنْ شَاءَ) كشفه (وَتَنْسُونَ) تتركون (مَا تَشْرِكُونَ) معه من الأصنام فلا تدعونه (وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَى أُمَمٍ مِنْ) زائدة (قَبْلِكَ) رسلا فكذبوهم (فَأَخَذْنَاَهُمْ بِالْبَاسَاءِ) شدة الفقر (وَالضَّرَاءِ) المرض (لَعَلَّهُمْ يَتَضَرَّعُونَ) يتذللون فيؤمنون (قُلُوبًا) فهلا (إِذْ جَاءَهُمْ بَأْسُنَا) عذابنا (تَضَرَّعُوا) أي لم يفعلوا ذلك مع قيام المقتضى له (وَلَكِنْ قَسَتْ قُلُوبُهُمْ) فلم تلن للإيمان (وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ) من المعاصي فأصروا عليها (فَلَمَّا نَسُوا) تركوا (مَا ذُكِّرُوا) وعظوا وخوفوا (بِهِ) من البأساء والضراء فلم يتعظوا (فَتَحَنَّنَّا) بالتخفيف والتشديد (عَلَيْهِمْ) أبواب كل شيء من النعم استدرجناهم (حَتَّى إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا) فرح بطر (أَخَذْنَاَهُمْ) بالعذاب (بَفْئَةٍ) فجأة (فَإِذَا هُمْ مُبْلِسُونَ) آيسون من كل خير (فَقَطَّعَ دَابِرُ الْقَوْمِ الَّذِينَ ظَلَمُوا) أي آخرهم بأن استؤصلوا (وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ) على نصر الرسل وإهلاك الكافرين (تَلَّنْ) لأهل مكة (أَرَأَيْتُمْ) أخبروني (إِنْ أَخَذَ اللَّهُ سَمْعَكُمْ) أصمكم (وَأَبْصَارَكُمْ) أعماكم (وَخَتَمَ) طبع (عَلَى قُلُوبِكُمْ) فلا تعرفون شيئا (مَنْ إِلَهٌ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُمْ بِهِ) بما أخذه منكم ،

أي فاجأهم الابلأس بمعنى اليأس من كل خير

بزعمكم

(قوله فقطع دابر القوم الذين ظلموا) الدابر التابع من خلف ، يقال دبر الولد والده ودبر فلان القوم : تبعهم ، فمعنى دابرهم آخرهم وهو كناية عن الاستئصال فلذلك قال بأن استؤصلوا أي فلم يبق منهم أحد (قوله والحمد لله رب العالمين) هذا حمد من الله لنفسه على هلاك الكفار ونصر الرسل وفيه تعليم للمؤمنين أنهم يشكرون الله على ذلك إذ هو نعمة عظيمة (قوله قل أرايتم) هذا نزل من الله سبحانه وتعالى لكفار مكة لاقامة الحجية عليهم قبل أخذهم (قوله أخبروني) تقدم أن استعمال رأي في الأخبار مجاز وأصل استعمالها في العلم أوفى الابصار وتقدم أنها تطلب مفعولين : الأول محذوف لدلالة مفعول أخذ وهو سمعكم وأبصاركم عليه فهو من باب التنازع أعمل الثاني وأضر في الأول وحذف لأنه فضلة والمفعول الثاني هو قوله من إله غير الله الخ (قوله سمعكم) أفردته وجمع ما بعده لأن السمع مصدر لا يثنى ولا يجمع كما تقدم في البقرة (قوله وختم على قلوبكم) المراد بالقلوب العقول ، أي أذهب عقولكم وصيركم كالبهائم فلا تعقلون شيئا (قوله بما أخذه) أشار بذلك إلى أنه أفرد باعتبار ما ذكر ، والمعنى من إله غير الله بزعمكم يأتيكم بأي واحد ما أخذ منكم ؟

(قوله بزعمكم) متعلق بقوله من إله غير الله فالمناسب تقديمه (قوله انظر كيف نصرف الآيات) هذا تعجيب لرسول الله من عدم اعتبارهم بتلك الآيات الباهرة وكيف منصوب على التشبيه بالحال . والمعنى انظر يا محمد تصرفنا الآيات على أى كيفية (قوله أرايتكم) أى أخبروني والفعول الأول الكاف على حذف مضاف أى أنفسكم والفعول الثانى جملة الاستنهام (قوله عذاب الله) أى كالصيحة والصواعق (قوله ليلا أونهارا) لف ونشر مرتب وهذا التفسير لابن عباس ، وقيل البقعة الذى يأتى من غير سبق علامة والجهنم الذى يأتى مع سبق علامة كان كل بالليل أو بالنهار (قوله الكافرون) أشار بذلك إلى أن المراد هلاك سخط وغضب فاندفع ما يقال إن المصيبة إذا أتت فلا تخص الكافر بل تم الطائع . فالجواب أن هلاك الكفار سخط وغضب وهلاك المؤمن إثابة ورفع درجات والاستثناء مفرغ والاستنهام إنكارى بمعنى النفي كما أشار له المفسر (قوله وما نرسل المرسلين) هذا بيان لوظائف المرسلين ، والمعنى أن المرسلين منصوبهم البشارة لمن آمن والندارة لمن كفر وليسوا قادرين على إيجاد نفع أو ضرر وإنما جعلهم الله سببا لذلك (قوله فى الآخرة) احتراز لبيان أن عدم الخوف والحزن هو فى الآخرة فقط . وأما الدنيا فهى محل الخوف والحزن لأنها سجن المؤمن (قوله والذين كذبوا) مقابل قوله فمن آمن كأنه قال فالذين آمنوا وأصلحوا الخ وهذا يؤيد أن من موصولة (قوله بما كانوا يفسقون) الباء سببية وماصدرية أى بسبب فسقهم . والفسق الخروج عن

الطاعة كلا أو بعضا فالكافر فاسق لخروجه عن طاعة الله بالكلية (قوله قل لا أقول لكم) هذا مرتب على قوله : وما نرسل المرسلين إلا مبشرين ومنذرين ، كأنه قال ليس على الرسول إلا البشارة والندارة وليس من وظيفة إجابتهم عما سألوه عنه ولا فعل ما طلبوه منه لأنه ليس عنده خزان الله الخ (قوله خزان الله) أى لا ادعى أن مقدورات الله

بزعمكم (أَنْظُرْ كَيْفَ نَصَرَفُ) نبين (الآيَات) الدلالات على وحدانيتنا (ثُمَّ هُمْ يَصْدُقُونَ) يعرضون عنها فلا يؤمنون (قُلْ) لهم (أَرَأَيْتَكُمْ إِنْ أَتَيْكُمْ عَذَابُ اللَّهِ بَفْتَةً أَوْ جَهْرَةً) ليلا أو نهاراً (هَلْ يُهْلِكُ إِلَّا الْقَوْمُ الظَّالِمُونَ) الكافرون ، أى ما يهلك إلا هم (وَمَا تُرْسِلُ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ) من آمن بالجنة (وَمُنْذِرِينَ) من كفر بالنار (فَمَنْ آمَنَ) بهم (وَأَصْلَحَ) عمله (فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ) فى الآخرة (وَالَّذِينَ كَذَبُوا بآيَاتِنَا يَمْشِيهِمُ الْعَذَابُ) بما كانوا يفسقون (يَخْرُجُونَ عَنِ الطَّاعَةِ) (قُلْ) لهم (لَا أَقُولُ لَكُمْ عِنْدِي خَزَائِنُ اللَّهِ) التى منها يرزق (وَلَا) إني (أَعْلَمُ الْغَيْبِ) ما غاب عني ولم يوح إلى (وَلَا أَقُولُ لَكُمْ إِنْى مَلَكٌ) من الملائكة (إِنْ) ما (أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَى إِلَيَّ ، قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الْأَعْمَى الْكَافِرُ وَالْبَصِيرُ) المؤمن ؟ لا (أَفَلَا تَتَفَكَّرُونَ) فى ذلك فتؤمنون (وَأَنْذِرْ) خوف (بِهِ) أى بالقرآن (الَّذِينَ يَحْمِلُونَ أَنْ يُحْمَسُوا إِلَى رَبِّهِمْ لَيْسَ لَهُمْ مِنْ قُوَّةٍ) أى غيره (وَلِيَّ) ينصرم (وَلَا شَفِيعٌ) يشفع لهم وجملة النفي حال من ضمير يحسروا وهى محل الخوف والمراد بهم المؤمنون المعاصون (لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ) الله بإقلاعهم عما هم فيه وعمل الطاعات (وَلَا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ ،

من أرزاق وغيرها مغفوة إلى حق تطلبوا منى قلب الجبال ذهباً وغير ذلك (قوله ولا أعلم الغيب) أى ما غاب عني من أفعال الله حق تسألوني عن وقت الساعة أو وقت نزول العذاب (قوله ولا أقول لكم إني ملك) أى حق تكلفوني بصفات الملائكة كالصعود للنساء وعدم المشى فى الأسواق وعدم الأكل والشرب ، وهذه الآية نزلت حين قالوا له : إن كنت رسولا فاطلب منه أن يوسع علينا وينفى فقرنا فأخبر أن ذلك بيد الله لا بيده بقوله قل لا أقول لكم عندى خزان الله ، وقالوا له أيضا : أخبرنا بمصلحتنا ومضارتنا فى المستقبل حتى تنهى لذلك فتحصل المصالح وتدفع المضار فقال لهم ولا أعلم الغيب فأخبركم بما تريدون وقالوا له : ما لهذا الرسول يأكل الطعام ويمشى فى الأسواق ويتزوج النساء ؟ فقال لهم ولا أقول لكم إني ملك (قوله أفلا تفكرون) المهمة داخلة على محذوف والفاء عاطفة على ذلك المحذوف والتقدير ألا تسمعون الحق فلا تفكرون (قوله فتؤمنون) معطوف على تفكرون وليس جوابا للثبوت وإلا لنصب (قوله وأنذره الذين يخافون) محط الأمر قوله لعلهم يتقون ، والمعنى أن إنذارك لا ينفع إلا المؤمن العاصى الخائف ، وأما الكافر المعاند فلا ينفع فيه الإنذار فلا ينافى أنه مأمور بإنذار كل مخالف أفاد الإنذار أولا وإنما ذلك بيان للذين ينفع فيهم الإنذار (قوله والمراد بهم) أى بالذين يخافون (قوله ولا تطرد الذين يدعون) أى لا تبعدهم عن مجلسك ولا عن القرب منك (قوله يهدون) أى يعبدون .

(قوله بالفداء والعشَى) خصّ هذين الوقتين لأن في الأول صلاة الصبح وفي الثاني صلاة العصر وقد قيل إن كلاهما الصلاة الوسطى (قوله لاشيتا) مفعول محذوف تقديره لا يريدون شيئا (قوله من أعراض الدنيا) يصح ضبطه بالعين للهمزة والباءين المعجمة والثاني أولى لشموله للأموال وغيرها (قوله وهم الفقراء) أي كمار بن ياسر وبلال وصهيب (قوله وكانا للشركون طعنوا فيهم) هذا إشارة لسبب نزولهما . وحاصله كما قال الحازن أنه جاء الأقرع بن حابس التيمي وعتبة بن حنن الغزاري وهباص بن مرداس وهم من المؤلفة قلوبهم فوجدوا النبي صلى الله عليه وسلم جالسا مع ناس من ضغفاء المؤمنين كعمار بن ياسر وصهيب وبلال فلما رأوهم حوله حقروهم وقالوا يا رسول الله لو جلست في صدر السجد وأبعت عنا هؤلاء ورائحة جبابهم وكانت عليهم جب من صوف لهما رائحة كريهة لمداومة لبسها لقدم غيرها لجالسناك وأخذنا عنك فقال النبي ما أنا بطلود للمؤمنين قالوا فانا نحب أن تجعل لنا منك مجلسا تعرف به العرب فضلنا فإن وفود العرب تأتيك فستسعى أن ترانا مع هؤلاء الأعباء فاذا نحن جئناك فألقهم عنا فاذا نحن فرغنا فاقعد معهم إن شئت قال نعم ، قالوا فاكتب لنا عليك بذلك كتابا فأتي بالصحيفة ودعا عليا ليكتب فنزل جبريل بقوله : ولا تطرد الدين يدعون ربهم الخ فألقى رسول الله صلى الله عليه وسلم الصحيفة ثم دعانا وهو يقول : سلام عليكم كتب ربكم على نفسه الرحمة ، فكنا نقعد معه وإذا أراد أن يقوم قام وتركنا فأنزل الله : واسبر نفسك الآية فكان يقعد معنا بعد ذلك وندنو منه حتى كادت ركبنا تمس ركبته فاذا بلغ الساعة التي يريد أن يقوم فيها قلنا وتركناه حتى يقوم اه (قوله (١٦) ماعليك من حسابهم من شيء) هذا كالتعليل لما قبله ، والغنى لا تؤاخذ

بذنوبهم ولا بما في قلوبهم
إن أرادوا بصحبتك خير
وجه الله وهذا على فرض
تسليم ما قاله المشركون
والافتد شهد الله أولا لهم
بالاخلاص ومنازية مهمة
وعليك جر ومجروح خبر
مقدم وشيء مبتدأ مؤخر
ومن صلة ومن حسابهم
متعلق بمحذوف حال

بِالْفِدَاةِ وَالْعَشَى يُرِيدُونَ) بعبادتهم (وَجْهَهُ) تعالى لاشيتا من أعراض الدنيا وهم الفقراء ، وكان المشركون طعنوا فيهم وطلبوا أن يطردهم ليجالسوه وأراد النبي صلى الله عليه وسلم ذلك طمعا في إسلامهم (مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِمْ مِنْ) زائدة (شَيْءٍ) إن كان باطنهم غير مرضى (وَمَا مِنْ حِسَابِكَ عَلَيْهِمْ مِنْ شَيْءٍ فَتَطْرُدَهُمْ) جواب النفي (فَتَكُونُ مِنَ الظَّالِمِينَ) إن فعلت ذلك (وَكَذَلِكَ فَتَنَّا) ابتلينا (بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ) أي الشريف بالوضع والغنى بالفقر بأن قدمناه بالسبق إلى الإيمان (لِيَقُولُوا) أي الشرفاء والأغنياء منكربن (أَهْلُؤَلَاءِ) الفقراء (مَنْ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنْ بَيْنِنَا) بالهداية أي لو كان مام عليه هدى ما سبقونا إليه ، قال تعالى (أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَعْلَمَ بِالشَّاكِرِينَ) له فيهديهم إلى (وَإِذَا جَاءَكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِنَا قُلْ) لهم (سَلَامٌ عَلَيْكُمْ

كتب

وهذا نظير قوله في الآية الأخرى : ولا تنزر وازرة وزر أخرى .

(قوله وما من حسابك عليهم من شيء) يقال في إعرابها ما قبل فيما قبلها إلا أن قوله من حسابك بيان لقوله من شيء وليس حالا وفي هاتين الجملتين من أنواع البديعة الصدر على الجز كقولهم ، عادات السادات سادات العادات ، والتتيم وإلا فاصل التعليل قد حصل بالجملة الأولى (قوله جواب النفي) أي المرتب على النهي وقوله فتكون معطوفا على قوله فتطردهم (قوله إن فعلت ذلك) أي طردهم (قوله وكذلك) الكاف في محل نصب نعت لمصدر محذوف ، والتقدير ومثل ذلك الفتون المتقدم من أخبار الأمم الماضية فتنا بعض هذه الأمة ببعض (قوله والغنى بالفقر) أي فتننا الغنى بالفقر لسبق الفقر إلى الإيمان وفتنة الفقر بالغنى زينة الدنيا التي يجمع فيها مع كفره (قوله بأن قدمناه بالسبق إلى الإيمان) بيان لفتنة الأغنياء بالفقر (قوله ليقولوا) اللام يصح أن تكون لام كي أولام الصبرورة والعاقبة (قوله منكربن) أشار بذلك إلى أن الاستفهام إنكارى بمعنى النفي على سبيل التهكم (قوله قال تعالى) أي ردّا عليهم (قوله بلى) جواب الاستفهام التقريرى (قوله وإذا جاءك) هذا من تمة ما نزل في الفقراء (قوله الذين يؤمنون) وصفهم أولا بالعبادة وثانيا بالإيمان إظهارا لمزاياهم (قوله فقل سلام عليكم الخ) أي اذكر لهم هذه الآية إلى قوله : غفور رحيم في وقت مجيئهم إليك ، وهذا السلام يحتمل أنه سلام التحية أمر أن يبدأهم به إذا قدموا عليه خصوصية لهم وإلا فسنة السلام أن تكون أولا من القادم وعليه فتكون الجملة إنشائية ، ويحتمل أنه سلام الله عليهم إكراما لهم أمر بتبليغه لهم وعليه فتكون الجملة خبرية لفظا ومعنى وسلام مبتدأ وعليكم خبره وسوق الابتداء بالنكرة كونه دعاء والدعاء من المسوؤلات .

(قوله كتب ربكم) أى أزم نفسه تفضلاً منه وإحساناً (قوله وفى قراء بالفتح) أى وهى سبعة أيضاً ، والحاصل أن القراءات ثلاث فتحهما وكدرهما وفتح الأولى وكسر الثانية وكلها سبعة ، فأما الفتح فيهما فالأولى بدل من الرحمة والثانية فى محل رفع مبتدأ والخبر محذوف : أى ففقرانه ورحمته حاصلان له ، وأما الكسر فيهما فالأولى مستأنفة جىء بها كالتفسير لما قبلها والثانية مستأنفة أيضاً بمعنى أنها فى صدر جملة وقعت خبراً لمن الموصولة ، وأما على فتح الأولى وكسر الثانية فالأولى بدل والثانية استئناف فتأمل فانه زبدة احتمالات كثيرة (قوله بدل من الرحمة) أى بدل شئ من شئ (قوله بجهالة) الجار والمجرور متعلق بمحذوف حال من فاعل حمل ، والتقدير عمل سوء حال كونه جاهلاً بما يترتب على معاصيه من العقاب غافلاً عن جلال الله ، وفيه إشارة إلى أن المؤمن لا يقع منه الذنب إلا فى حال جهله وغفلته ، وهذه الآية لا تخص الفقراء الذين كانوا فى زمنه صلى الله عليه وسلم بل هى عامة لكل من تاب إلى يوم القيامة ولعموم بشارتها افتتح بها أبو الحسن الشاذلى حزبه (قوله ولتسنيبن) معطوف على محذوف قتره المفسر بقوله ليظهر الحق فطريق الهدى واضحة وطريق الضلال واضحة لما فى الحديث « تركنكم على الحجة البيضاء ليلها كنهاراً ونهارها كليلها لا يضل عنها إلا هالك » (قوله وفى قراءة بالتحانية) أى ورفع سبيل فالقراءات ثلاث وكلها سبعة فى الفوقانية الرفع والنصب وفى التحانية الرفع لا غير (قوله خطاب للنبي) (١٧) أى والمعنى لتعلم سبيلهم

فتعاملهم بما يليق بهم (قوله قل إني نهيته) هذا أمر من الله لنبيه أن يخاطب الكفار الذين طمعوا فى دخول رسول الله صلى الله عليه وسلم فى دينهم ويرد عليهم بذلك (قوله نهيت) أى نهانى ربى بواسطة الدليل العقلى والسمى لدلالة كل منهما على أن الله واحد لا شريك له متصف بكل كمال مستحيل عليه كل نقص (قوله تعبدون) هذا أحد إطلاقات الدعاء

كُتِبَ) قُضِيَ (رَبُّكُمْ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةِ إِنَّهُ) أى الشأن ، وفى قراءة بالفتح بدل من الرحمة (مَنْ عَمِلَ مِنْكُمْ سُوءًا بِجَهَالَةٍ) منه حيث ارتكبه (ثُمَّ تَابَ) رجع (مِنْ بَعْدِهِ) بعد عمله عنه (وَأَصْلَحَ) عمله (فَإِنَّهُ) أى الله (غَفُورٌ) له (رَحِيمٌ) به ، وفى قراءة بالفتح أى فالمغفرة له (وَكَذَلِكَ) كما بينا ما ذكر (نُفُصِّلُ) نبين (الْآيَاتِ) القرآن ليظهر الحق فيعمل به (وَلِتَسْتَبِينَ) تظهر (سَبِيلُ) طريق (الْمُجْرِمِينَ) فتجنب ، وفى قراءة بالتحانية وفى أخرى بالفوقانية ، ونصب سبيل خطاب للنبي صلى الله عليه وسلم (قُلْ إِنِّي نُهَيْتُ أَنْ أُعْبَدَ الَّذِينَ تَدْعُونَ) تعبدون (مِنْ دُونِ اللَّهِ ، قُلْ لَا أَتَّبِعُ أَهْوَاءَكُمْ) فى عبادتها (قَدْ ضَلَلْتُ إِذَا) إن اتبعتها (وَمَا أَنَا مِنَ الْمُتَّبِعِينَ . قُلْ إِنِّي عَلَى بَيِّنَةٍ) بيان (مِنْ رَبِّي ، وَ) قد (كَذَّبْتُمْ بِهِ) ربى حيث أشركتم (مَا عِنْدِي مَا اسْتَعْجِلُونَ بِهِ) من العذاب (إِنْ) ما (الْحُكْمُ) فى ذلك وغيره (إِلَّا اللَّهُ يَقْضِي الْقَضَاءَ الْحَقَّ وَهُوَ خَيْرُ الْفَاصِلِينَ) الحاكمين وفى قراءة يقض أى يقول (قُلْ) لهم (لَوْ أَنَّ عِنْدِي مَا اسْتَعْجِلُونَ بِهِ لَتَقْضَى الْأَمْرُ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ) بأن أعجله لكم وأستريح ولكنه عند الله (وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِالظَّالِمِينَ)

وبه فسر فى غالب القرآن لأنه يشمل الطلب وغيره (قوله قل لا أتبع أهواءكم) جمع هوى سعى بذلك لأنه يهوى بصاحبه إلى الهلاك وهذه الجملة تأكيد لما قبلها (قوله إذا) حرف جواب وجزاء ولا عمل لها لعدم وجود فعل تعمل فيه (قوله إن اتبعتها) أى الأهواء وهو بيان لعنى إذا (قوله وما أنا من المتهتدين) تأكيد لما قبلها (قوله قل إني على بينة) هذا زيادة فى قطع طمعهم الفاسد ومعنى لا تطمعوا فى دخولى دينكم لآتى على بينة من ربى ومن كان كذلك كيف يخضع ويتبع الضلال ، وهذا نظير قوله تعالى - وتلك حجتنا آتيناها إبراهيم على قومه - (قوله بيان) أى دليل واضح (قوله وكذبتم به) أى بوحدانيته والجملة حالية ويشير لذلك تقدير المفسر قد (قوله ما عندى ما استعجلون به) ما الأولى نافية والثانية موصولة وقوله من العذاب بيان لما الثانية ، وسبب نزولها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يخوفهم بنزول العذاب عليهم وكانوا يستعجلون به استهزاء كفى آية الأنفال - ويؤذوا قالوا اللهم إن كان هذا هو الحق من عندك - الآية (قوله يقضى الحق) قدر المفسر القضاء إشارة إلى أنه منصوب على أنه صفة لصدر محذوف ، ويحتمل أنه ضمنه معنى ينفذ فعدها إلى المفعول به ويحتمل أنه منصوب بنزع الخافض : أى بالحق (قوله وفى قراءة يقض الحق) من قص الأثر : تتبعه ، وقص الحديث : قاله (قوله لو أن عندى) أى لو كان الأمر مفوضاً إلى (قوله ما استعجلون به) أى من العذاب (قوله بأن أعجله) بيان لقوله لقضى الأمر والضمير عائد على ما استعجلون [٣ - صارى - ثانى]

(قوله متى يعاقبهم) أشار بذلك إلى أن الكلام على حذف مضافين ، والتقدير والله أعلم بوقت عقوبة الظالمين فلا يستعجلوا ذلك فإنه لاحق بهم إن لم يتوبوا وإنما تأخيره من حلم الله عليهم فلا حمله مابق أحد ، قال تعالى - ولو اتبع الحق أهواءهم لفسدت السموات والأرض ومن فيهن - فمن القبيح قول بعض العامة: حلم الله يقتل الكبود . إن قلت مقتضى هذه الآية أنه لو كان الأمر مفوضا له في تمديدهم لجله واستراح ، ومقتضى ماورد من إتيان ملك الجبال يستشير في أنه يطبق عليهم الأخشيش أنه لم يرض وقال « أرجو أن يخرج من ذريتهم من يؤمن بالله » فصل التنافي . أجيب بأن ما في الآية بالنظر لأصل البشرية لأن البشر يتأثر بالغتر والنفع، وما في الحديث إنما هو رحمة من الله ألقاها عليه فرحمهم بها ، قال تعالى - فبإرحمة من الله لتف لهم - فرجع الأمر لله فتدبر (قوله وعنده مفاتيح الغيب) لما بين سبحانه وتعالى أولا أنه منفرد بإيجاد كل شيء خيرا كان أو شرا بقوله - إن الحكم إلا لله - الآية بين ثانيا أنه منفرد بعلم الغيب بقوله - وعنده مفاتيح الغيب - فهو كالدليل لما قبله كأنه قال العذاب والرحمة بقدرة الله ولا يعلم وقت مجيء ذلك إلا الله لأن عنده مفاتيح الغيب لا يعلمها إلا هو وعنده خبر مقتم ومفاتيح الغيب مبتدأ مؤخر وتقديم الظرف يؤذن بالحصر وهو منصب على الجميع فلا ينافي أن بعض الأنبياء والأولياء يطلمعه الله على بعض المغيبات الحادثة . قال تعالى - عالم الغيب فلا يظهر على غيبه أحدا إلا من ارتضى من رسول - وأما من قال إن نبينا أو غيره أحاط بالمغيبات علما كما أحاط علم الله بها فقد كفر (قوله خزائنه) أشار بذلك إلى أن مفاتيح جمع مفتاح بفتح فكسر كمخزن ورنا ومعنى: العلوم الخزينة ، وقوله أو الطرق : أى فهو جمع مفتاح بكسر ففتح بمعنى الطرق التى توصل إلى تلك العلوم الخزونة الغيبية (قوله لا يعلمها) أى الخزان أو الطرق نفسها إلا هو ، وأما علمنا فيها فهو على سبيل الاجمال وهو تأكيد لما علم من تقديم الظرف (قوله علم الساعة) أى وقت مجيئها (١٨) وتفصيل ما يحصل فيها (قوله الآية) أى وهى وينزل النيث : أى المطر : أى لا يعلم

وقت مجيئه وعدد قطراته ونفع الناس به إلا الله - ويعلم ما فى الأرحام - أى من كونه ذكرا أو أنثى شقيا أو سعيدا يعيش أو يموت - وما تدرى نفس ما إذا تكسب غدا - أى

متى يعاقبهم (وَعِنْدَهُ) تعالى (مَفَاتِيحُ الْغَيْبِ) خزائنه أو الطرق الموصلة إلى علمه (لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ) وهى الخمسة التى فى قوله: إن الله عنده علم الساعة الآية كما رواه البخارى (وَيَعْلَمُ مَا) يحدث (فِي الْبَرِّ) القفار (وَالْبَحْرِ) القرى التى على الأنهار (وَمَا تَسْقُطُ مِنْ) زائدة (وَرَقَةٍ) إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٌ فِي ظُلُمَاتِ الْأَرْضِ وَلَا رَطْبٌ وَلَا يَابِسٌ) عطف على ورقة (إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ) هو اللوح المحفوظ والاستثناء بدل اشتغال من الاستثناء قبله (وَهُوَ الَّذِي يَتَوَفَّاكُم بِاللَّيْلِ)

يقبض

لا تعلم نفس ما يعرض لها فى المستقبل من خير أو شر وغير ذلك من الأحوال التى تنظر

على الأنفس . قال الشاعر : وأعلم علم اليوم والأمس قبله ولكننى عن علم ما فى غد حمى

- وما تدرى نفس بأى أرض تموت - أى بأى محل يكون قبض روحها فيه أو دفنها فيه - إن الله عليم خبير - ببواطن الأشياء كظواهرها وهذا التفسير لابن عباس . وقال الضحاك ومقاتل : مفاتيح الغيب خزائنه الخفية فى الأرض ، والأقرب والاشتم أن المراد بمفاتيح الغيب الأمور الغيبية الخفية جميعها كانت الخمسة أو غيرها (قوله ما يحدث فى البر) أى من خير وشر (قوله القرى التى على الأنهار) أى فى علم رزق أهلها وعددهم وغير ذلك ، وقال جمهور المفسرين : المراد البر والبحر المعروفان لأن جميع الأرض إما بر أو بحر وفى كل عوالم وعجائب وسعها علمه وقدرته (قوله وما تسقط من ورقة) أى من الشجر إلا يعلمها : أى يعلم وقت سقوطها والأرض التى تسقط عليها (قوله ولا حبة فى ظلمات الأرض) أى وهى التى يضعها الزارع للنبات فيعلم موضعها وهل تنبت أولا ، وقيل المراد بالحبة التى فى الصخرة التى فى الأرض التى قال فيها الله - يابى إنما إن تلك مثقال حبة من خردل فسكن فى صخرة أو فى السموات أو فى الأرض يأت بها الله - وكل صحيح (قوله ولا رطب ولا يابس) عطف عام لأن جميع الأشياء إما رطبة أو يابسة . فإن قلت إن جميع هذه الأشياء داخل تحت قوله وعنده مفاتيح الغيب فلم أفرد بها بالذكرة ؟ أجيب بأنه من التفصيل بعد الاجمال وقدم ذكر البر والبحر لما فيهما من جنس العجائب ثم الورقة لأنه يراها كل أحد لكن لا يعلم عددها إلا الله ، ثم ما هو أضف من الورقة وهو الحبة ثم ذكر مثلا يجمع الكل وهو الرطب واليابس (قوله عطف على ورقة) أى الثلاثة معطوفة على ورقة لكن لا يناسب تسليط السقوط عليها فيضمن السقوط بالنسبة للحبة والرطب واليابس معنى الثبوت (قوله بدل اشتغال من الاستثناء قبله) أى وهو قوله لا يعلمها وذلك لأن دائرة العلم أوسع من دائرة اللوح فذات الله وصفاته أحاط بها

العلم لا الوجود والكائنات وما يتعلق بها أحاط بها الوجود والعلم ، وهذا على أن المراد بالكتاب اللوح كما أفاده المفسر وإن أراد بالكتاب علم الله يكون بدل كل من كل زيادة التأكيد والإيضاح (قوله يقبض أرواحكم) ما ذكره المفسر بناء على أن الإنسان له روحان روح تقبض بالنوم وتبقى روح الحياة فإذا أراد الله موته قبضهما جميعا وعليه جملة من المفسرين و يشهد له آية الزمر قال تعالى - الله يتوفى الأنفس حين موتها - الآية ويقرّر هذا أحوال الأولياء لأن لهم حالة تسمى فيها أرواحهم وترى الصعاب كالنائم والمشهور أنها روح واحدة ويكون معنى يتوفى كما يذهب شعورك لأنهم عرفوا النوم بأنه فترة طبيعية تهجم على الشخص قهرا عليه تمنع حواسه الحركة وعقله الإدراك (قوله ويعلم ما جرحتم بالنهار) أى لأنه الخالق للأفعال والحركات والسكنات فهو المغير للأشياء ولا يتغير ، قال العارف :

ولى فى خيال الظل أكبر عبرة لمن كان فى بحر الحقيقة راقى

شخص وأشكال تمرّ وتنقضى فتفى جميعا والحركة باقى

(قوله ثم يبعثكم) ثم فى كلّ للترتيب الربى لأن بعد النوم البعث بالابقاط إلى انتضاء الأجل ثم بعده البعث بالاحياء من القبور ثم الاخبار بما وقع من العباد (قوله ليقتضى أجل) الجمهور على بناء يقتضى للجهول وأجل نائب فاعل والفاعل محذوف إما عائد على الله أو على الشخص ومعنى قضاء الشخص أجله استيفاءه إياه وقرىء بالبناء للفاعل وأجلاؤه وله والفاعل مستتر عائد على الله (قوله فيجازيكم به) أى إن خبرا غير وإن شرا فشر (قوله وهو القاهر) أى المستعلى الغالب على أمره الحاكم فلا يعقب لحركة يعطى وينع ويصل ويقطع ويضر وينفع فلا راد لما قضى ولا ملجأ منه إلا إليه فهو المتصرف فى خلقه بجميع أنواع التصرفات من إيجاد وإعدام وإعزاز وإذلال وغير ذلك (قوله فوق عباده) أى فوقية (١٩) مكانة أى شرف ورفعة وعلو

تدرى نطق به لافوقية مكان
لاستحاله انصافه به (قوله
ويرسل) منطوف على
صلة ألكأنه قال وهو الذى
يقهر ويرسل وهذا من جملة
قهره سبحانه وتعالى (قوله
ملائكة تحصى أعمالكم)

يقبض أرواحكم عند النوم (وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُمْ) كسبتم (بِالنَّهَارِ ثُمَّ يَبْعَثُكُمْ فِيهِ) أى النهار
برد أرواحكم (لِيُقْضَىٰ أَجَلٌ مُّسَمًّى) هو أجل الحياة (ثُمَّ إِلَيْنَا مَرْجِعُكُمْ) بالبعث (ثُمَّ يُبْعَثُكُمْ
بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ) فيجازيكم به (وَهُوَ الْقَاهِرُ) مستعليا (فَوْقَ عِبَادِهِ وَيُرْسِلُ عَلَيْكُمْ
حَفَظَةً) ملائكة تحصى أعمالكم (حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَحَدَكُمْ الْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ) وفى قراءة توفاه
(رُسُلَنَا) الملائكة الموكلون بقبض الأرواح ،

أى من خير وشر لما ورد « إن كل إنسان له ملكان ملك عن يمينه وملك عن شماله فإذا عمل حسنة كتبها صاحب اليمين حالا وإذا عمل سيئة قال صاحب اليمين لصاحب الشمال اصبر لعله يتوب منها فإن لم يقب منها كتبها صاحب الشمال » . قال العلماء : يؤخر ست ساعات فلكية فإن تاب فيها لم تكتب هكذا قال المفسر ، وقيل المراد بالحفظة الملائكة الموكلون بحفظ ذوات العبيد من الحوادث والآفات وهم عشرة بالليل وعشرة بالنهار ، وقيل المراد ما هو أعم وهو الأتوم . إن قامت إن الله هو الحافظ فلم تكتب الملائكة بحفظ الشخص ؟ . أجيب بأن ذلك تسكرمة لبني آدم وإظهار لفضاهم ، والحكمة فى كون الملائكة تكتب على الشخص ما صدر منه أنه إذا علم ذلك ربما كان ذلك داعيا للخوف والأزجار عن فعل القبائح والمعاصى (قوله حتى إذا جاء) حتى ابتدائية والمعنى ينتهى حفظ الملائكة للأشخاص عند فراغ الأجل ، فالملائكة مأمورون بحفظ ابن آدم مادام حيا فإذا فرغ أجله فقد انتهى حفظهم له (قوله الموت) أى أسبابه (قوله وفى قراءة توفاه) أى بالإمالة المحضة وهى ما كانت للكسر أقرب وهو إما ماض وحذفت التاء لأنه مجازى التأنيث أو مضارع ويكون فيه حذف إحدى التائين (قوله رسلنا) أى أعوان ملك الموت الموكلون بقبض الأرواح . إن قلت قال تعالى - الله يتوفى الأنفس حين موتها - وقال فى الآية الأخرى - قل يتوفاكم ملك الموت الذى وكل بكم - فكيف الجمع بين هاتين الآيتين وهذه الآية ؟ . أجيب بأن الله هو المتوفى حقيقة فإذا حضر أجل العبد اشتغلت أعوان ملك الموت بانتزاعها من الجسد فإذا بلغت الحلقوم قبضها ملك الموت بيده فهو القابض لجميع الأرواح . إن قلت وره فى بعض الأحاديث « وتول قبض أرواحنا عند الأجل بيدك » . أجيب بأن معناه شهود الرب واستيلاء محبته على قلبه حتى يغيب عن إحساسه فلا يشاهد ملك الموت حين قبض الروح وإن كان هو القابض لها وذلك فى أهل محبة الله ومن يموت شهيد حرب أو غربا أو حريقا ونحوهم .

(قوله وم لا يفرطون) هذه الجملة حالية من رسلنا أى والحال أنهم لا يقصرون فى ذلك . فقد ورد « ما من أهل بيت شعر ولا مفر إلا وملك الموت يطوف بهم مرتين » . وورد أن الدنيا كلها بين ركبتي ملك الموت وجميع الخلائق بين عيفيه ويدا يبلغان الشرق والغرب ، وكل من نفذ أجله يعرفه بسقوط صحيفته من تحت العرش عليها اسمه فعند ذلك يبعث أهوانه من الملائكة ويتصرفون بحسب ذلك . وورد أن ملك الموت يقبض الروح من الجسد ويسلمها إلى ملائكة الرحمة إن كان مؤمنا ، أو إلى ملائكة العذاب إن كان كافرا ، ويقال معه سبعة من ملائكة الرحمة وسبعة من ملائكة العذاب ، فإذا قبض نفسا مؤمنة دفعها إلى ملائكة الرحمة فيبشرونها بالثواب ويصعدون بها إلى السماء ، وإذا قبض نفسا كافرا دفعها إلى ملائكة العذاب فيبشرونها بالعذاب ويفزعونها ثم يصعدون بها إلى السماء ثم ترد إلى سجين ، وروح المؤمن إلى جليلين (قوله ثم ردوا) معطوف على توفته وأفرد أولا لأن التوفى يكون لكل شخص على حدة وجمع ثانيا لأن الرد يكون للجميع (قوله مالمكم) دفع بذلك ما يقال إن بين هذه الآية وآية - وأن الكافرين لامولى لهم - تنافيا . فأجاب بأن الراد بالمولى هنا المالك وبه هناك الناصر (قوله ألاله الحكم) أى لاغيره (قوله لحديث (٢٠) بذلك) وفى رواية أنه تعالى يحاسب الكل فى مقدار حلب شاة (قوله

قل يا محمد) أى توبيخا لهم وردعا (قوله أهوالهما) أى فالظلمات كناية عن الأهوال والشدائد التى تحصل فى البر والبحر وما شئ عليه الفسراتم لشمولها للحقيقة وغيرها وقيل الراد بالظلمات حقيقةا فظلمات البر هى ما اجتمع من ظلمة الليل وظلمة السحاب ، وظلمة البحر ما اجتمع فيه من ظلمة الليل وظلمة السحاب وظلمة الرياح العاصفة والأمواج الهائلة (قوله وخفيه) الجمهور على ضم

(وَهُمْ لَا يَفْرُطُونَ) يقصرون فيما يؤمرون به (ثُمَّ رُدُّوا) أى الخلق (إِلَى اللَّهِ مَوْلَاهُمْ) مالمكم (الْحَقُّ) الثابت العدل ليجازيهم (أَلَا لَهُ الْحُكْمُ) القضاء النافذ فيهم (وَهُوَ أَمْرٌ عَ الْحَاسِبِينَ) يحاسب الخلق كلهم فى قدر نصف نهار من أيام الدنيا لحديث بذلك (قُلْ) يا محمد لأهل مكة (مَنْ يُنَجِّيكُمْ مِنْ ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ) أهوالهما فى أسفاركم حين (تَدْعُونَهُ تَضَرُّعًا) علانية (وَخُفْيَةً) سرا تقولون (لَنْ) لام قسم (أُنَجِّيتَنَا) وفى قراءة أنجانا أى الله (مِنْ هَذِهِ) الظلمات والشدائد (لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ) المؤمنين (قُلْ) لهم (اللَّهُ يُنَجِّيكُمْ) بالتخفيف والتشديد (مِنْهَا وَمِنْ كُلِّ كَرْبٍ) غم سواها (ثُمَّ أَنْتُمْ تُشْرِكُونَ) به (قُلْ هُوَ الْقَادِرُ عَلَى أَنْ يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِنْ فَوْقِكُمْ) من السماء كالحجارة والصيحة (أَوْ مِنْ تَحْتِ أَرْجَائِكُمْ) كالخسف أو (يَلْبِسَكُمْ) يخلطكم (شِيْعًا) فرقا مختلفة الأهواء (وَيَذِيقَ بَعْضَكُمْ بَأْسَ بَعْضٍ) بالقتال قال صلى الله عليه وسلم لما نزلت « هذا أهون وأيسر ولما نزل ما قبله « أعوذ بوجهك » رواه البخارى وروى مسلم حديث « سألت ربي أن لا يجعل بأس أمتي بينهم فنعمنيها » وفى حديث لما نزلت ،

الحاء وقرأ أبو بكر بكسرها وقرأ الأعمش خيفة بالأعراف (قوله لئن أنجيتنا من هذه) قل الجملة فى محل نصب مقول القول كما قدره المفسر (قوله والشدائد) عطف تفسير (قوله بالتخفيف والتشديد) أى وكل منهما مع قراءة أنجيتنا بالياء وأما من قرأ أنجانا فيقرأ بالتشديد هنا لاغير فالقراءات ثلاث وكلها سبعة (قوله قل هو القادر) هذا بيان لكونه قادرا على الإهلاك إر بيان أنه المنجى من المهالك (قوله كالحجارة) أى التى نزلت على أصحاب القيل وقوله والصيحة أى صرخة جبريل التى صرخها على نمود قوم صالح (قوله كالخسف) أى الذى وقع لقارون (قوله شيعة) منصوب على الحال جمع شيعة وهى من يتقوى بهم الانسان ويجمع على أشياع (قوله فرقا) جمع فرقة وهى الجماعة (قوله لما نزلت) أى آية أو يلبسكم شيعةا ويذيق بعضكم بأس بعض (قوله أهون وأيسر) أى مما قبله وهو رضا بقضاء الله وإلا فقد استعاذ منه أولا فلم ينفذ (قوله ولما نزل ما قبله) أى قوله على أن يبعث عليكم الخ (قوله أعوذ بوجهك) أى فقال مرتين مرة عند نزول قوله عذابا من فوقكم ومرة عند نزول قوله أو من تحت أرجلكم (قوله فنعمنيها) أى منعى هذه المسئلة بمعنى أنه لم يجبني فى هذه الدعوة لما سبق فى علمه من حصولها فكان أول ابتداء إذافة البعض بأس البعض بعد موته صلى الله عليه وسلم بخمس وعشرين سنة فى واقعة على معاوية وما زالت الفتن تزايد إلى يوم القيامة (قوله لما نزلت) أى هذه الآية

(قوله قال أما إنها) أما أداة استفتاح وإنها بكسر الهمزة والضمير عائد على الأمور الأربعة: عذابا من فوقكم وعذابا من تحت أرجلكم وقريقتكم شيئا ونصب القتال بينكم فهذه الأربعة كائنة قبل يوم القيامة لكن الأخيران قد وقعا من منذ عصر الصحابة والأولان بفضل الله بتأخير وقوعهما إلى قرب قيام الساعة هكذا ورد ولكن قال العلماء وإن كان الأخيران يقعان قرب قيام الساعة لكن العذاب بهما ليس عاما كما وقع في الأمم الماضية (قوله ولم يأت تأويلها) الضمير يعود على الآية أو الأولى والأربعة أى صرفها عن ظاهرها بل هى باقية على ظاهرها لكن بالوجه الذى علمته (قوله وكذب به قومك) أى أنكروه حيث قالوا إنه سحر أو شعر أو كهانة أو غير ذلك وما ذكره المفسر من أن الضمير عائد على القرآن هو أحد أقوال وهو أقربها وقيل الضمير عائد على العذاب وقيل على الحق وقيل على النبي وهو بعيد (قوله الصدق) أى لأنه منزل من عند الله وما كان من عند الله فهو صدق لا محالة (قوله وهذا قبل الأمر بالقتال) أشار بذلك إلى أنه منسوخ بآيات القتال ولكن المناسب للمفسر أن يقول فأقول لكم بدل قوله: فأجازيكم. والحاصل أن الآية تفسر من: الأول أن الآية محكمة والمعنى لست مجازيا على أعمالكم في الآخرة، والثاني أنها منسوخة والمعنى لست مقاتلا لكم إن حصلت منكم المخالفة إذا علمت ذلك فالمفسر لفق بين التفسيرين (قوله لكل نبأ مستقر) نزل ردًا لاستعجالهم العذاب الذى كان يهدم به والمعنى لكل (٢١) خبر من الأخبار رحمة أو عذابا

زمن يقع فيه إمامي الدنيا أو الآخرة أو فيهما لا يعلمه إلا الله (قوله وقت يقع فيه) أشار بذلك إلى أن مستقر اسم زمان ويصح أن يكون مصدرا أو اسم مكان (قوله وإذا رأيت) رأى بصرية والذين مفعولها ويبعد كونها علمية لأنه يقتضى أن المفعول الثانى محذوف وحذفه إماشاد أو ممنوع (قوله يخوضون) الخوض فى الأصل الدخول فى

قال: أما إنها كائنة ولم يأت تأويلها بعد (أَنْظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ) نبين لهم (الآيات) الدلالات على قدرتنا (لَعَلَّكُمْ يَتَّقُهُونَ) يعلمون أن مام عليه باطل (وَكَذَّبَ بِهِ) بالقرآن (قَوْمُكَ وَهُوَ الْحَقُّ) الصدق (قُلْ) لهم (لَسْتُ عَلَيْكُمْ بِوَكِيلٍ) فأجازيكم إنما أنا منذر وأمركم إلى الله وهذا قبل الأمر بالقتال (لِكُلِّ نَبَأٍ) خبر (مُسْتَقَرٍّ) وقت يقع فيه ويستقر ومنه عذابكم (وَسَوْفَ تَعْلَمُونَ) تهديد لهم (وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِي آيَاتِنَا) القرآن بالاستهزاء (فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ) ولا تجالسهم (حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ وَإِمَّا) فيه إدغام نون إن الشرطية فى ما الزيدة (يُنْسِيَنَّكَ) بسكون النون والتخفيف وفتحها والتشديد (الشَّيْطَانُ) قعدت معهم (فَلَا تَقْعُدُوا بَعْدَ الذِّكْرِى) أى تذكره (مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ) فيه وضع الظاهر موضع المصغر، وقال المسلمون: إن قننا كلما خاضوا لم نستطع أن نجلس في المسجد وأن نطوف فنزل (وَمَا عَلَى الَّذِينَ يَتَّقُونَ) الله (مِنْ حِسَابِهِمْ) أى الخائضين (مِنْ) زائدة (شَيْءٍ) إذا جالسوا (وَلَكِنْ) عليهم (ذِكْرَى) تذكره لهم وموعظة،

الماء فيستعار للشروع والدخول فى الكلام تشبه آيات الله بالبحر وطوى ذكر التشبه به ورمز له بشيء من لوازمه وهو الخوض فائباته تخييل والجامع بينهما التعرض للهلاك فى كل فان الخائض للبحر الطريق متعرض للهلاك فكذلك التعرض للأباطيل فى كلام الله (قوله فأعرض عنهم) الخطاب له ولا صحابه فالهوى عام وهو منسوخ بآية القتال (قوله فى حديث غيره) الضمير عائد على الآيات وذكر باعتبار كونها حديثا (قوله وإما ينسينك) الخطاب له والمراد غيره لأن إساءة الشيطان له مستحيل عليه (قوله بسكون النون والتخفيف) أى للسين من أنساء أوقعه فى النسيان وقوله وفتحها أى النون وقوله والتشديد أى للسين من نساء فيتعدى بالهمز والتضعيف وهما قراءتان سبعيتان ومفعول ينسينك محذوف تقديره النهى أو ما أمرك الله به (قوله فيه وضع الظاهر الخ) أى زيادة فى التشنيع عليهم وآتى فى جانب الرؤية بإدخال المفيدة للتحقيق وفى جانب الانشاء بان المفيدة للشك إشارة إلى أن خوضهم فى الآيات محقق وإنشاء الشيطان غير محقق بل قد يقع وقد لا يقع (قوله وقال المسلمون الخ) بيان لسبب نزول الآية (قوله وما على الذين يتقون) الجار والمجرور خبر مقدم ومن شئ مبتدأ مؤخر (قوله إذا جالسوا) أى فالجلوس مع الخائضين غير ممنوع لكن بشرط عدم مسايرتهم لما هم عليه وبشرط وعظهم ونهيهم عن المنكر فهو تخصيص للنهى المتقدم (قوله ولكن عليهم ذكرى) أشار بذلك إلى أن ذكرى مبتدأ خبره محذوف ويصح أن يكون مفعولا محذوف تقديره ولكن يذكرونهم ذكرى .

(قوله الذى كلفوه) أى وهو دين الاسلام ودفع بذلك ما يقال الشركون لادين لهم من الأديان للشروعة فكيف تُضيف إليهم دين وأخبر عنه أنهم اتخذوه لعباً ولهو (قوله وهذا قبل الأمر بالقتال) أى فهو منسوخ بآياته . ويدخل فى عموم هذه الآية من اتخذ دين الاسلام لهواً ولعباً وأحدث فيه ما ليس منه كالتجوارج وبعض من يدعى الانساب إلى الصالحين حيث جعلوا الطريقة الموصلة إلى الله طبلاً وزمراً وأحدثوا أموراً لاتحل فى دين الله (قوله أن تبسل) علة لقوله وذكر به على حذف لام العلة قدرها للفسر ولا مقدرة والابسال هو تسليم النفس فى الحرب للقتال ، والباسل الشجاع الذى يلقي بنفسه للهلاك (قوله ليس لها) إما استثناء أو حال من نفس أو صفة لها (قوله ولي) اسم ليس ولها خبر مقدم ومن دون الله حال من ولي (قوله تفد كل فداء) أى تفقد بكل فداء (قوله ما تفدى به) أشار بذلك إلى أن الضمير فى لا يؤخذ عائد على الفداء بمعنى المفعلى به فهو مصدر أريد به اسم المفعول (قوله أولئك الذين) اسم الإشارة مبتدأ خبره الاسم للموصول ولهم شراب مبتدأ وخبر والجملة إما خبر ثان أو حل من الضمير فى أبسلوا أو مستأنف بيان للابسال (قوله ماء بالغ نهاية الحرارة) أى يقطع الأمعاء كما قال فى الآية الأخرى - وسقوا ماء حماً فقطع أمعاءهم - (٢٢) (قوله بكفرهم) أشار بذلك إلى أن ماصدرية والفعل فى تأويل مصدر

(لَعَلَّكُمْ يَتَّقُونَ) الخوض (وَذَرِ) اترك (الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَهُمْ) الذى كلفوه (لِبَآءٍ وَلَهُوَ) (أُتَدْعُوا) قيل سبب نزولها أن عبسد الرحمن بن أبى بكر الصديق قبل إسلامه دعا والده إلى عبادة الأصنام فزلت الآية أمراً للنبي صلى الله عليه وسلم أن يرد على عبد الرحمن ومن يقول بقوله وفيه اعتناء بشأن الصديق وإظهار لفضله حيث وجه الأمر إلى الرسول وفى الواقع الأمر لآبى بكر والمعنى لا يلىق منا عبادة ما لا ينفعنا إذا عبدناه ولا يضرنا إذا تركناه (قوله ونرد على أعقابنا) معطوف على ندعوا

(لَعَلَّكُمْ يَتَّقُونَ) الخوض (وَذَرِ) اترك (الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَهُمْ) الذى كلفوه (لِبَآءٍ وَلَهُوَ) (أُتَدْعُوا) قيل سبب نزولها أن عبسد الرحمن بن أبى بكر الصديق قبل إسلامه دعا والده إلى عبادة الأصنام فزلت الآية أمراً للنبي صلى الله عليه وسلم أن يرد على عبد الرحمن ومن يقول بقوله وفيه اعتناء بشأن الصديق وإظهار لفضله حيث وجه الأمر إلى الرسول وفى الواقع الأمر لآبى بكر والمعنى لا يلىق منا عبادة ما لا ينفعنا إذا عبدناه ولا يضرنا إذا تركناه (قوله ونرد على أعقابنا) معطوف على ندعوا

(لَعَلَّكُمْ يَتَّقُونَ) الخوض (وَذَرِ) اترك (الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَهُمْ) الذى كلفوه (لِبَآءٍ وَلَهُوَ) (أُتَدْعُوا) قيل سبب نزولها أن عبسد الرحمن بن أبى بكر الصديق قبل إسلامه دعا والده إلى عبادة الأصنام فزلت الآية أمراً للنبي صلى الله عليه وسلم أن يرد على عبد الرحمن ومن يقول بقوله وفيه اعتناء بشأن الصديق وإظهار لفضله حيث وجه الأمر إلى الرسول وفى الواقع الأمر لآبى بكر والمعنى لا يلىق منا عبادة ما لا ينفعنا إذا عبدناه ولا يضرنا إذا تركناه (قوله ونرد على أعقابنا) معطوف على ندعوا

(وأمرنا

تركناه (قوله ونرد على أعقابنا) معطوف على ندعوا

فهو داخل فى حيز الاستفهام (قوله بعد إذ هدانا الله) أى بعد وقت هداية الله لنا (قوله كآلدى) صفة موصوف محذوف أى نرد رداً مثل رد الذى استهوته . والاستهواء من الهوى وهو السقوط من علو إلى سفلى سعى الاضلال بذلك لأن من سقط من علو إلى سفلى ولم يجد محلاً يستند عليه هلك فكذلك من ترك الدين القويم ولم يدعمه هلك ولا يجد ناصرًا ، وقد صرح بالمراد من هذا التشبيه فى قوله تعالى - ومن يشرك بالله فكأنما خر من السماء فتخطفه الطير أو تهوى به الريح فى مكان - حقيق . والحاصل أن الشرك بالله مع وجود من يده على التوحيد مثله مثل من اختطفته الشياطين وسارت به فى المفاز والمهالك مع سماعه مناداة من يأخذ بيده ، يخلصه منهم وهو مفرط وراض لنفسه بذلك والمراد بالشياطين ما يشمل شياطين الإنس (قوله فى الأرض) متعلق باستهوته (قوله حال من الماء) أى فى استهوته (قوله له أصحاب) جملة فى محل نصب صفة لحياران (قوله والاستفهام الخ) أى وهو قوله أندعوا والمعنى لا ينبغي أن نعبد غير الله بعد هدايته لنا لأن من عبد غير الله بعد إيمانه بالله كان كمثل من أخذته الشياطين فصار حيران لا يدري أين يوجه مع تكون أصحابه يدعونه إلى الطريق المستقيم فلا يجيبهم (قوله هو الهدى) أى التوفيق والاستقامة والجملة المعرفة الطريقين

ثقيد الحصر فهو بمعنى إن الدين عند الله الاسلام (قوله وأمرنا) أي أمرنا الله بأن نسلم بمعنى نوحده ونفقد رب العالمين (قوله وأن أقيموا الصلاة) قدر للمفسر الباء إشارة إلى أنه مخطوف على أن نسلم فهو داخل تحت الأمر أيضا وفيه التفات من التكلم للخطاب وعطف التقوى عليه من عطف العام وخص الصلاة بعد الاسلام لأنها أعظم أركانه (قوله وهو الذي إليه تحشرون) هذا دليل للأمر بالتقدم وموجب لامتناله والمعنى امتثلوا أوامره واجتنبوا نواهيه لأنكم تجمعون إليه ويحاسبكم (قوله أي محقا) أشار بذلك إلى أن الجار والمجرور متعاق بمحذوف حال أي حال كونه محقا أي موصوفا بالحقية وهو وجوب الوجود الذي لا يقبل الزوال ، ويحتمل أن يكون المعنى محقا لاهازلا ولا عابثا بل خلقهما لحكم ومصالح لعباده وبهذا المعنى قوله تعالى - وما خلقنا السموات والأرض وما بينهما لالعبي (قوله ويوم) معمول لمحذوف قدره المفسر بقوله اذكر ونواو للاستئناف (قوله يقول كن) هذا كناية عن سرعة الإيجاد وهو تقريب للعقول والإفلا كاف ولأنون قال تعالى - وما أمر الساعة إلا كلمح البصر أو هو أقرب - (قوله فيكون) كل من كن ويكون تام يكتفى بالمرفوع وهو ضمير يعود على جميع ما يخلق الله (قوله يقول للخلق) أي جميعهم من مبدأ الدنيا إلى منتهاها من العالم العلوي والسفلي (قوله قوله الحق) يصحح أن يكون مبتدأ وخبرا أو مبتدأ والحق نعت وخبره قوله يوم يقول (قوله للاحالة) أي لا بد من وقوعه وهو بفتح اليم مصدر مبني وأما بضم اليم فمعناه الباطل وليس مرادا هنا (قوله يوم ينفع) إما ظرف لقوله وله الملك وخص بذلك وإن كان الملك لله مطلقا لأنه في ذلك الوقت لا يملك أحد شيئا مما كان يملكه في الدنيا قال تعالى - ولقد جئتمونا فرادى كما خلقناكم أول مرة - أو خبر عن (٢٣) الملك والتقدير والملك يوم ينفع

في الصور له أو بدل من يوم يقول (قوله في الصور) هو نائب الفاعل (قوله القرن) أي المستطيل قال مجاهد الصور قرن كهيئة البوق وفيه جميع الأرواح وفيه ثقب بعددها فإذا نفخ خرجت كل روح من ثقبه ووصلت لجسدها فتحلله الحياة فالأحياء يحصل بإيجاد الله عند

(وَأْمُرْنَا لِنُسَلِّمَ) أي بأن نسلم (لِرَبِّ أَمَّا لَيْنَ . وَأَنْ) أي بأن (أَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَأَتَّقُوا) تعالى (وَهُوَ الَّذِي إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ) تجمعون يوم القيامة للحساب (وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ) أي محقا (وَ) اذكر (يَوْمَ يَقُولُ) للشئ (كُنْ فَيَكُونُ) هو يوم القيامة يقول للخلق : قوموا فيقوموا (قوله الحق) الصديق الواقع للاحالة (وله الملك يوم ينفع في الصور) القرن النفخة الثانية من إسرافيل لملك فيه لغيره ، لمن الملك اليوم لله (عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ) ما غاب وما شوهد (وهو الحكيم) في خلقه (الخبير) بباطن الأشياء كظواهرها . (وَ) اذكر (إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ آزَرَ) هو لقبه واسمه تارخ (أَتَتَّخِذُ أَصْنَامًا آلِهَةً) تعبدها استفهام توبيخ (إِنِّي أَرَاكَ وَقَوْمَكَ) باتخاذها (في ضلال) عن الحق (مبين) :

النفخ لبالنفخ فهو سبب عادي (قوله النفخة الثانية) أي وأما الأولى فعندها يموت كل ذي روح . قال تعالى - ونفخ في الصور فصعق من في السموات ومن في الأرض إلا من شاء الله ثم نفخ فيه أخرى فإذا هم قيام ينظرون (قوله ما غاب وما شوهد) أي بالنسبة للخلق وإلا فالكل عند الله شهادة ولا يغيب عليه شيء بل ما في تخوم الأرضين والسموات بالنسبة له كما في ظهرها سواء بسواء (قوله وهو الحكيم الخبير) كالدليل لما قبله (قوله وإذ قال إبراهيم) الظرف معمول لمحذوف قدره المفسر بقوله اذكر والجملة معطوفة على جملة قل آتدعوا من دون الله والمعنى قل يا محمد لكفار مكة آتدعوا من دون الله ما لا ينفعنا ولا يضرنا واحتج عليهم بمواقع لإبراهيم مع قومه حيث شنع على عبادة الأصنام (قوله واسمه تارخ) يقرأ بالحاء المعجمة والحاء المهملة وقيل إن آزر اسمه وتارخ لقبه وهو جمع بين قولين وتارخ بدل أو عطف بيان وآزر من الأزر وهو العيب لأنه قام به العيب حيث عبد الأصنام أو العوج ولا شك أنه قام به الأمران العيب والعوج (قوله أصناما) المراد بها ماصور على هيئة الانسان وعبد من دون الله كانت من خشب أو حجر أو ذهب أو فضة أو غير ذلك وأصناما مفعول أول لتتخذ وآلهة مفعول ثان (قوله تعبدها) أي أنت وقومك الذين هم الكنعانيون (قوله استفهام توبيخ) أي على سبيل الإنكار (قوله إني أراك) أي أعلمك فالكاف مفعول أول وفي ضلال مبين مفعول ثان ومقتضى هذه الآية وآية صريم أن آزر أبا إبراهيم كان كافرا وهو يشكل على مقاله المحققون إن نسب رسول الله صلى الله عليه وسلم محفوظ من الشرك فلم يسجد أحد من آبائه من عبد الله إلى آدم لصنم قط وبذلك قال المفسرون في قوله تعالى - وتقبلك في الساجدين - . وقال البوصري في الحمزية : وبدا للوجود منك كريم من كريم آلهه كرماء

وأجيب عن ذلك بأن حفظهم من الاشتراك مادام النور الحمدي في ظهرهم فإذا انتقل جزر أن يكفروا بعد ذلك كذا قال للفسرون هنا وهذا على تسليم أن آزر أبوه . وأجاب بعضهم أيضاً بمنع أن آزر أبوه بل كان عمه وكان كافراً وتاريخ أبوه مات في الفترة ولم يثبت سجوده لصنم وإنما سماه أبا على عادة العرب من تسمية العم أبا وفي التوراة اسم إبي إبراهيم تاريخ (قوله بين) أي ظاهر لاشك فيه (قوله كما أريناه إضلال قومه) أي بسبب تعليمه التوحيد وكونه مجبولا عليه لما ورد أنه حين نزل من بطن أمه قام واقفا على قدميه وقال لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد يحيي ويميت الحمد لله الذي هدانا لهذا (قوله ملك) أشار بذلك إلى أن المراد بالملكوت الملك والتاء فيه للمبالغة كالرغبوت والرهبوت والرحموت من الرغبة والرهبة والرحمة وعلى هذا فالملكوت والملك واحد والوصفية فرق بين الملك والملكوت فالملك ما ظهر لنا والملكوت ما خفى عنا كالسموات وما في السموات من العجائب وحتى رأى مكانه في الجنة فذلك قوله تعالى - وآتيناه أجره في الدنيا - وكشف له عن الأرض حتى نظر إلى أسفل الأرضين ورأى ما فيها من العجائب وهذا يفيد أن الرؤية بصرية لاعلمية (قوله ليستدل به على وحدانيتنا) أي ليعلم قومه كيفية الاستدلال على ذلك لا لتوحيد نفسه فإن توحيدهم بالمشاهدة لا بالدليل (قوله وليكون من المؤمنين) معطوف على محذوف قدره المفسر بقوله ليستدل الخ (قوله اعتراض) أي بين قوله وإذ قال إبراهيم وبين الاستدلال عليهم (قوله فلما جن) من الجنة وهي السر. وحاصل ذلك أن عمروذ ابن كنعان كان يدعو الناس إلى عبادته وكان له كهان ومنجمون فقالوا له إنه يولد في بلدك هذه السنة غلام يغير دين أهل الأرض ويكون هلاكك وزوال ملكك على يديه فأمر بذبح كل غلام يولد في تلك السنة وأمر يعزل النساء عن الرجال وجعل على كل عشرة رجال يحفظهم فإذا حاضت (٢٤) المرأة خلوا بينها وبين زوجها لأنهم كانوا لا يجامعون في الحيض فإذا طهرت

من الحيض حالوا بينهما فخرج عمروذ بالرجال في البرية وعزلهم عن النساء تخوفاً من ذلك المولود فكشك بذلك ما شاء الله ثم بدت له حاجة إلى المدينة فلم يأمن عليها أحداً من

بَيْنَ (وَكَذَلِكَ) كما أريناه إضلال أبيه وقومه (نَرَى إِبراهيمَ مَلَكُوتَ) ملك (السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ) ليستدل به على وحدانيتنا (وَلَيَسْكُونُ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ) بها وجملة وكذلك وما بعدها اعتراض ، وعطف على قال (فَلَمَّا جَنَّ) أظلم (عَلَيْهِ اللَّيْلُ رَأَى كَوْكَبًا) قيل هو الزهرة (قَالَ) لقومه وكانوا نجامين (هَذَا رَبِّي) في زعمكم (فَلَمَّا أَفَلَ) غاب (قَالَ لَا أَحِبُّ الْآفِلِينَ) أن أتخذهم أرباباً لأن الرب لا يجوز عليه التنير والانتقال لأنهما من شأن الحوادث ،

قومه إلا آزر فبعث إليه فأحضره عنده وقال له إن لي إليك حاجة أحب أن أوصيك بها فلم أبعثك فيها إلا لثقت بك فأقسمت عليك أن لا تدنو من أهلك فقال آزر أنا أشح على ديني من ذلك فأوصاه بحاجته فدخل المدينة وقضى حاجة الملك ثم دخل على أهله فلم يتالك نفسه حتى واقع زوجته فحملت من ساعتها بإبراهيم فلما دنت ولادتها خرجت هاربة مخافة أن يطلع عليها فيقتل ولدها فلما وضعته جعلته في نهر يابس ثم لفته في خرقة وتركته . قيل أخبرت أباه به وقيل لا وكانت تختلف إليه لتنظر ما فعل فتجده حياً وهو يص من أصبع ماء ومن أصبع لبنا ومن أصبع سمن ومن أصبع عسلا ومن أصبع تمرا وكان إبراهيم يشب في اليوم كالشهر وفي الشهر كالسنة فكشك خمسة عشر شهرا قالوا فلما شب إبراهيم وهو في السرب قال لأمه من ربي قالت أنا قال فمن ربك قالت أبوك قال فمن رب أبي قالت اسكت ثم رجعت إلى زوجها فقالت أرايت الغلام الذي كنا نحدث أنه يغير دين أهل الأرض ثم أخبرته بما قال فأناه أبوه آزر فقال إبراهيم يا أبتاه من ربي قال أمك قال فمن رب أبي قال أنا قال فمن ربك قال عمروذ قال فمن رب عمروذ فلطمه لطمه وقال له اسكت فلما جن عليه الليل رأى كوكبا الآية . واختلف في وقت هذا القول هل كان قبل البلوغ والرسالة أو بعدها والصحيح أنه بعد البلوغ وإتياء الرسالة وما وقع من إبراهيم إنعاشه بحجارة لقومه واستدراج لهم لأجل أن يعرفهم جهلهم وخطأهم في عبادة غير الله وليس إثباته الربوبية لهذه الأجرام على حقيقته حاشاه من ذلك لأن الأنبياء معصومون من الجهل قبل النبوة وبعدها لأن توحيدهم بالشهود على طبق ما جبت عليه أرواحهم من يوم أُنسِت بربكم (قوله قبله هو الزهرة) خصها لأنها أضوأ الكواكب وهي في السماء الثالثة (قوله وكانوا نجامين) أي عالمين بالنجوم أرباب دين لما (قوله في زعمكم) أي فالجملة خبرية على حسب زعمهم لا على حسب الواقع واعتقاد إبراهيم (قوله غاب) يقال أفل الشيء فولا : غاب (قوله التنير والانتقال) أي لأن الأفول حركة والحركة تقتضي حدوث التحرك وإمكانه فيمنع أن يكون إلها .

(قوله فلم ينبج) أى لم يؤثر ويفد وهو من باب خضع يقال هجع نجوعا : ظهر أثره (قوله بازغا) : حال من القمر والبرخ : الطلوع (قوله قال هذا ربى) أى بزعمكم كما تقدم (قوله يثبني على الهدى) إنما قال ذلك لأن أصل الهدى حاصل للأنبياء بحسب الفطرة والحلقة فلا يتصور نفيه (قوله تعريض لقومه) إنما عرض بضلالهم فى أمر القمر لأنه أيسر منهم فى أمر الكواكب ولو قاله فى الأول لما أنصفوه ولهذا صرح فى الثالثة بالبراءة منهم وأنهم على شرك أى قاتلهم يرض هنا لاستدراج الخصم إلى الأذعان والتسليم (قوله فلم ينبج فيهم ذلك) أى الدليل المذكور (قوله لتذكير خبره) أى وهو ربى وهذا كالتعيين لأن المبتدأ والخبر عبارة عن شئ واحد والرب سبحانه وتعالى مصان عن شبهة التأنيت ألا تراهم قالوا فى صفته علام ولم يقولوا علامة وإن كان علامة أبطل تباعدا عن علامة التأنيت (قوله هذا أكبر) أى جرما وضوا وسعة جرم الشمس مائة وعشرون سنة كما قاله الغزالي وفى رواية أنها قدر الأرض مائة وستين مرة والقمر قدرها مائة وعشرين مرة (قوله مما تشركون) مامصدرية أى يرى من إشراككم أو موصولة أى من الذى تشركونه مع الله غذف "مائد" (قوله والأجرام) عطف عام لأنها تشمل الأصنام والنجوم (قوله قصدت بعبادتي) أى فليس المراد بالوجه الجسم المعروف بل المراد به القاب وإنما عبر المفسر بالقصد لأن القصد والنية عملهما قلب وإنما اتنى الوجه الحسى لاستحالة الجهة على الله (قوله خلق) (٢٥) السموات والأرض) أى وما فيهما

ومن جعلته معبوداتكم العلوية والسفلية فقد أبطل السفلية بقوله : إني أراك وقومك فى ضلال مبين ، والعلوية بقوله فلما جن عليه الليل الخ (قوله حنيفا) حال من التاء فى وجهت (قوله وحاجه قومه) روى أنه لما شب إبراهيم وكبر جعل آزر يصنع الأصنام ويعطيها ليعيها فيذهب بها وينادي يا من يشتري ما يضره ولا ينفعه فلا يشتريها أحد فإذا بارت عليه ذهب بها

فلم ينبج فيهم ذلك (فَلَمَّا رَأَى الْقَمَرَ بَازِغًا) طالما (قَالَ) لهم (هَذَا رَبِّيَ فَلَمَّا أَفَلَّ قَالَ لَنْ لَمْ يَهْدِنِي رَبِّي) يثبني على الهدى (لَأَكُونَنَّ مِنَ الْقَوْمِ الضَّالِّينَ) تعريض لقومه بأنهم على ضلال فلم ينبج فيهم ذلك (فَلَمَّا رَأَى الشَّمْسَ بَازِغَةً قَالَ هَذَا ذِكْرُهُ لِتَذَكِّيرِ خَبَرِهِ رَبِّيَ هَذَا أَكْبَرُ) من الكواكب والقمر (فَلَمَّا أَفَلَّتْ) وقوية عليهم الحجة ولم يرجعوا (قَالَ يَا قَوْمِ إني بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ) بالله من الأصنام والأجرام الحديثة المحتاجة إلى محدث فقالوا له ما تعبد قال (إني وَجَّهْتُ وَجْهِيَ) قصدت بعبادتي (لِلَّذِي فَطَرَ) خلق (السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ) أى الله (حَنِيفًا) مائلا إلى الدين القيم (وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ) به (وَحَاجَّةُ قَوْمُهُ) جادلوه فى دينه وهددوه بالأصنام أن تصيبه بسوء إن تركها (قَالَ أَتَحَاجُّونِي) بتشديد النون وتخفيفها بحذف إحدى النونين وهى نون الرفع عند النحاة ونون الوقاية عند القراء : أتجادلونني (في) وحدانية (اللهِ وَقَدْ هَدَانِ) تعالى إليها (وَلَا أَخَافُ مَا تُشْرِكُونَ) (به) من الأصنام أن تصيبني بسوء لعدم قدرتها على شئ (إِلَّا) لكن (أَنْ يَشَاءَ رَبِّي شَيْئًا) من المكروه ،

إلى نهر وضرب فيه رءوسها وقال لها اشربي استهزاء بقومه حتى إذا فشا فيهم استهزأوه جادلوه فذلك قوله تعالى - وحاجه قومه - الخ (قوله وهددوه) عطف تفسير على جادلوه أى فحاجتهم كانت بالتهديد لا بالبرهان لعدمه عندهم وحاجه إبراهيم كانت بالبرهان ففرق بين القامين (قوله أن تصيبه بسوء) أى تكبل وجنون (قوله قال أتحاجوني الخ) استئناف وقع جوابا لسؤال نشأ من حكاية حاجتهم كأنه قيل فماذا قال حين حاجوه (قوله بتشديد النون) أى لادغام نون الرفع فى نون الوقاية ، وقوله وتخفيفها أى تخلصا من اجتماع مشددين فى كلمة واحدة وما الجيم والنون (قوله عند النحاة) أى كسبيويه وغيره من البصريين مستدلين بأنها نائبة عن الضمة وهى قد تحذف تخفيفا كما فى قراءة أبى عمرو وينصركم ويأمركم بالاسكان فكذا ما تاب عنها (قوله عند القراء) أى مستدلين بأن الثقل إنما حصل بها (قوله وقد هدان) يرسم بلا ياء لأنها من يأت الزوائد وفى النطق يجب حذفها فى الوقف ويجوز إثباتها وحذفها فى الوصل وجملة وقد هدان محل نصب على الحال من الياء فى أتحاجوني والمعنى أتجادلونني فى الله حال كونى مهديا من عنده وحجتكم لاتجدى شيئا لأنها داحضة (قوله ما تشركون به) أشار إلى أن ماموصولة فالحاشا فى به تعوذ على ما ، والمعنى ولا أخاف الذى تشركون الله به أو تعوذ على الله والمخدوف هو العائد على ما (قوله لكن) أشار بذلك إلى أن الاستثناء منقطع لأن الشبهة ليست مما يشركون به [٤ - صامى - نانى]

(قوله يصيبني) صفة لشبثا وهو إشارة إلى تقدير مضاف أي إلا أن يشاء ربّي إصابة شيء لي ، وقوله فيكون بالنصب عطف على مدخول أن أو بالرفع استئناف أي فهو يكون (قوله علما) تمييز محوّل عن الفاعل كما يفيد المفسر نحو اشتعل الرأس شيئا والجملة كالتعليل للاستثناء (قوله أفلا تتذكرون) الهمزة داخلة على محذوف والفاء عاطفة عليه أي أتعرضون عن التأمل في أن آلهتكم جمادات لا تضر ولا تنفع فلا تتذكرون بطلانها (قوله وكيف أخاف ما أشركتكم) استئناف مسوق لنفي الخوف عنه بالطريق الإلزامي بعد فية عنه بحسب الواقع في قوله سابقا : ولا أخاف ما تشركون به والاستفهام للتعجب (قوله مالم ينزل به) مفعول لأشركتم (قوله فأى الفريقين) أى من الواحد والشرك (قوله إن كنتم تعلمون) إن شرطية وجوابها محذوف قدره المفسر بقوله فاتبعوه (قوله الذين آمنوا الخ) يحتمل أن يكون من كلام إبراهيم أو من كلام قومه أو من كلام الله تعالى أقوال للعلاء فان قلنا إنها من كلام إبراهيم كان جوابا عن السؤال في قوله فأى الفريقين الخ وكذا إن قلنا إنها من كلام قومه ويكونون أجابوا بما هو حجة عليهم وعلى هذين الاحتمالين فهو خبر لمحذوف وإن كان من كلام الله تعالى لمجرد الاخبار كان الوصول مبتدأ وأولئك مبتدأ ثان والأمن مبتدأ ثالث ولهم خبره والجملة خبر أولئك وأولئك وخبره خبر الأول (قوله في حديث الصحيحين) أى فقيهما عن ابن مسعود قال : لما نزلت الذين آمنوا الخ شق ذلك على المسلمين وقالوا أينما لم ينظم نفسه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ليس ذلك إنما هو الشرك ألم تسمعوا (٣٦) قول لقمان لابنه : يا بني لا تشرك بالله إن الشرك لظلم عظيم . وهذا

يصيبني فيكون (وَسِعَ رَبِّي كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا) أى وسع علمه كل شيء (أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ) هذا فتؤمنون (وَكَيْفَ أَخَافُ مَا أَشْرَكْتُ) بالله وهى لا تضر ولا تنفع (وَلَا تَخَافُونَ) أتم من الله (أَنْكُمْ أَشْرَكْتُمْ بِاللَّهِ) فى العبادة (مَا لَمْ يُنْزَلْ بِهِ) بعبادته (عَلَيْكُمْ سُلْطَانًا) حجة وبرهاناً وهو القادر على كل شيء (فَأَيُّ الْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِالْأَمْنِ) أنحن أم أتم (إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ) مَنْ أَحَقُّ بِهِ أَى وهو نحن فاتبعوه قال تعالى (الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا) يخلطوا (إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ) أى شرك كما فسر بذلك فى حديث الصحيحين (أُولَئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ) من العذاب (وَهُمْ مُتَعَدُونَ) وَتِلْكَ) مبتدأ ويبدل منه (حَاجَّتُنَا) التى احتج بها إبراهيم على وحدانية الله من أقول الكواكب وما بعده ، والخبر (آتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ) أرشدها لها حجة (عَلَى قَوْمِهِ تَرَفُّعَ دَرَجَاتٍ مَنْ نَشَاءُ) بالاضافة والتنوين فى العلم والحكمة (إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ) فى صنعه (عَلِيمٌ) بخلقهم (وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ) ابنه ،

ماذهب إليه أهل السنة وذهب المعتزلة إلى أن للراد بالظلم فى الآية المعصية لا الشرك بناء على أن خاط أحد الشيثين بالآخر يقتضى اجتماعهما ولا يتصور خاط الايمان بالشرك لأنهما ضدان لا يجتمعان . وأجاب أهل السنة بأن الايمان قديجماع الشرك ويراد بالايمان مطلق التصديق سواء كان باللسان أو بغيره وكذا إن

أريد به تصديق القاب لجواز أن يصدق الشرك بوجود الصانع دون وحدانيته كما قال تعالى - وما يؤمن أكثرهم بالله إلا وهم مشركون - أفاده زاده على البياض (قوله وتلك حجتنا) أعرب المفسر اسم الإشارة مبتدأ وحجتنا بدل منه وجملة آتيناه خبر المبتدأ ، وقوله على قومه متعلق بمحذوف حال من الهاء فى آتيناه وهو أحسن الأعراب ، وقيل إن تلك حجتنا مبتدأ وخبر وآتيناه خبر ثان وعلى قومه متعلق بحجتنا واسم الإشارة عائد على قوله فلما جئ عليه الليل إلى هنا أو من قوله وكذلك نرى إبراهيم إلى هنا (قوله من أقول الكواكب) أى التى هى الزهرة والقمر والشمس (قوله وما بعده) أى وهو قوله وحاجه قومه الخ (قوله آتيناه إبراهيم) أى بوحى أو إلهام (قوله حجة على قومه) قدره المفسر إشارة إلى أن الجار والمجرور متعلق بمحذوف حال من الهاء فى آتيناه (قوله نرفع درجات من نشاء) مفعول نشاء محذوف تقديره رفعها (قوله بالاضافة والتنوين) أى فهم قراءتان سبعيتان فعلى الاضافة المفعول به هو درجات وعلى التنوين هو من نشاء ودرجات ظرف لرفع والتقدير نرفع من نشاء فى درجات (قوله فى العلم والحكمة) قيل هى النبوة فالعطف مغاير وقيل العلم النافع فالعطف خاص على عام اعتناء بشرف نفع العلم وإظهارا لفضله (قوله إن ربك حكيم) أى يضع الأشياء فى محله وهو كالدليل لما قبله ، والمعنى أن الله يحكم لامعقب لحكمه فيرفع من يشاء ويضع من يشاء لا اعتراض عليه فإنه حكيم يضع الشيء فى محله عليم لا يخفى عليه شيء (قوله ووهبنا له إسحق الخ) لما أنعم الله على إبراهيم عليه السلام بالنبوة والعلم ورفع درجته حيث جاهد فى الله حق جهاده أتم الله عليه النعمة بأن وهب له

اسحق ويعقوب واسماعيل وجعل في ذريته النبوة إلى يوم القيامة واسحق هو من سارة وجملة وهبنا معطوفة على قوله وتلك حجتنا عطف فعلية على اسمية ، والمقصود من تلاوة هذه النعم على محمد تشریفه لأن شرف الوالد يسرى للولد (قوله كلا هدينا) أى للشرع الذى أوتيه (قوله ونوحا هدينا من قبل) نوح هو ابن ملك بفتح اللام وسكون الميم وبالكاف وقيل ملكان بفتح الميم وسكون اللام وبالنون بعد الكاف ابن متوشلخ بضم الميم وفتح التاء الفوقية والواو وسكون الشين المعجمة وكسر اللام وبالحاء للمعجمة ابن إدريس (قوله ومن ذريته) يحتمل أن الضمير عائذ على نوح لأنه أقرب مذكور واختاره المفسر ويحتمل أنه عائذ على إبراهيم لأنه المحدث عنه ويبعده ذكر لوط في الذرية مع أنه ليس من ذرية إبراهيم بل هو ابن هاران وهو أخو إبراهيم (قوله وأيوب) هو ابن أموص بن رازح بن عيص بن اسحاق (قوله وموسى) هو ابن عمران بن يعصربن لاوى ابن يعقوب وقوله وهرون أى وهو أخو موسى وكان أسن منه بسنة (قوله نجزي المحسنين) أى المؤمنين أى فمن اتبعهم في الايمان ألحق بهم ورفع الله درجاته (قوله يفيد أن الذرية الخ) أى لأن عيسى لا أب له (قوله وإلياس ابن أخى هرون) وقيل هو إدريس فله اسمان وهو خلاف الصحيح لأن إدريس أحد (٢٧) أجداد نوح وليس من الذرية وإلياس

بهمز أوله وتركه وهو ابن ياسين بن فتاح ابن عيزار بن هرون ابن عمران وهذا هو الصحيح فالصواب للمفسر حذف لفظة أخى (قوله والبسع) الجمهور على أنه بلام واحدة ساكنة وفتح الياء وقرئ بلام مشددة وياء ساكنة وهو ابن أخطوب ابن العجوز (قوله وبونس) هو ابن مق وهى أمه (قوله وكلا فضلنا على العالمين) أى على سائر الأولين والآخرين (قوله عطف

(كلاً) منهما (هَدَيْنَا وَنُوحًا هَدَيْنَا مِنْ قَبْلُ) أى قبل إبراهيم (وَمِنْ ذُرِّيَّتِهِ) أى نوح (دَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ) ابنه (وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ) بن يعقوب (وَمُوسَى وَهَارُونَ) وكذا (كَلَامُ يَنَامُ) (نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ) وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَى) ابنه (وَعِيسَى) ابن مريم ، يفيد أن الذرية تتناول أولاد البنت (وَالْيَاسَ) ابن أخى هرون أخى موسى (كُلُّ) منهم (مِنَ الصَّالِحِينَ) . وَإِسْمَاعِيلَ) ابن إبراهيم (وَالْيَسَعَ) اللام زائدة (وَيُونُسَ وَلُوطًا) بن هاران أخى إبراهيم (وَكُلًّا) منهم (فَضَّلْنَا عَلَى الْعَالَمِينَ) بالنبوة (وَمِنْ آبَائِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ وَإِخْوَانِهِمْ) عطف على كلاً ثم نوحا ومن للتبويض لأن بعضهم لم يكن له ولد وبعضهم كان في ولده كافر (وَأَجْتَبَيْنَاهُمْ) اخترناهم (وَهَدَيْنَاهُمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ) ذَلِكَ) الدين الذى هدوا إليه (هُدًى اللَّهُ يَهْدِي بِهِ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَلَوْ أَشْرَكُوا) فرضاً (لَحَبِطَ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَعْتَمِدُونَ) أولئك الذين آتيناهم الكتاب (بمعنى الكتب) (وَالْحُكْمَ) الحكمة (وَالنَّبُوَّةَ) فَإِنْ يَكْفُرْ بِهَا) أى بهذه الثلاثة (هُؤُلَاءِ) أى أهل مكة (فَقَدْ وَكَلْنَا بِهَا) أرصدنا لها (قَوْمًا لَيْسُوا بِهَا بِكَافِرِينَ) هم المهاجرون والأنصار (أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَا) هم (اللَّهُ فَبِهَدَاهُمْ) طريقهم ،

على كلا) أى والعامل فيه فضلنا وقوله أو نوحا أى والعامل فيه هدينا والأقرب الأول (قوله ومن للتبويض) هذا ظاهر في الآباء والأبناء لا الأخوان فانهم كلهم مهديون (قوله لأن بعضهم لم يكن له ولد الخ) هذا تعليل لكون من للتبويض وقد خصه المفسر بالذرية ويقال مثله في الآباء . والحاصل أنه ذكر في هذه الآيات من الأنبياء الذين يجب الايمان بهم تفصيلاً ثمانية عشر ، وبقى سبعة وهم محمد صلى الله عليه وسلم وإدريس وشعيب وصالح وهود وذوالكفل وآدم فتكون الجملة خمسة وعشرين مذكورين في القرآن يجب الايمان بهم تفصيلاً . وبقى ثلاثة مذكورون في القرآن واختلف في نبوتهم لقمان وذوالقرنين والعزير من أنكر وجودهم كفر ومن أنكر نبوتهم لا يكفر (قوله الذى هدوا إليه) أى وهو التوحيد (قوله ولو أشركوا فرضاً) أشار بذلك إلى أن اشرك مستحيل عليهم فلو غير مقتضية لالاقوع أو هو خطاب لهم والمراد غيرهم (قوله أولئك) أى الأنبياء المتقدمون وهم الثمانية عشر (قوله الحكمة) أى العلم النافع أو المراد بالحكم الفصل بين الناس والقضاء بينهم (قوله فقد وكلنا) أى وفقنا وأعدنا للقيام بحقوقها وهذا تعليل لجواب الشرط المحذوف تقديره فلا ضرر عليك لأننا قد وكلنا الخ وفي هذه وعد من الله بنصره وإظهار دينه (قوله ليسوا بها بكافرين) أى بل هم مستمرون على الايمان بها والمضى لا تحزن يا محمد على كفر أهل مكة فإن من كفر منهم وباله على نفسه وأما آيات الله فقد جعل لها أهلاً يؤمنون بها ويعملون بها إلى يوم القيامة .

(قوله من التوحيد الخ) دلح بذلك ما قال إن هذه الآية تقتضي أن رسول الله تابع لتبصره من الأنبياء مع أن شرعه ناسخ لجميع الشرائع وأن كلهم ملتزمون منه . فأجاب بأن الاقتداء بالتوحيد والصبر على الأذى لافي فروع الدين (قوله وقفا ووصلا) أما الوقف فظاهر وأما الوصل فاجراء له مجرى الوقف ، قال ابن مالك :

وربما أعطى لفظ الوصل ما للوقف ثرا وفشا منتظما

(قوله الانس والجن) أي في الآية دليل على عموم رسالته للعالمين إلى يوم القيامة وقد احتج العلماء بهذه على أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أفضل من جميع الأنبياء عليهم الصلاة والسلام ، ويانه أن جميع خصال الكمال وصفات الشرف كانت متفرقة فيهم فكان نوح صاحب احتمال أذى على قومه وإبراهيم صاحب كرم وبذل ومجاهدة في سبيل الله عز وجل واسحق ويعقوب وأيوب أصحاب صبر على البلاء والحن ودأود وسليمان أصحاب شكر على النعم ويوسف جمع بين الصبر والشكر وموسى صاحب الشريعة الظاهرة والمعجزات الباهرة وذكر يا ويحيى وعيسى والياس من أصحاب الزهد في الدنيا وإسماعيل صاحب صدق لوعده ويونس صاحب نضرة وإخبارات ثم إن الله أمر نبيه أن يتحدى بهم في جميع تلك الخصال المحمودة للمتفرقة فيهم فثبت بهذا أنه أفضل الأنبياء لما اجتمع فيه من هذه الخصال والله أعلم اهـ من الحازن لكن قد يقال إن الزية لا تقتضي الأفضلية ولذا قال أشياخنا المحققون : إنه وإن كان جامعا لجميع ما تفرق في غيره فتفضيله من الله لا بتلك الزايات فقد فاقهم فضلا ومزايا .

تقمة : بين آدم ونوح ألف ومائة سنة وعاش آدم تسعمائة وستين سنة وكان بين إدريس ونوح ألف سنة وبعث نوح لأربعين سنة ومكث في قومه ألف سنة إلا خمسين وعاش بعد الطوفان ستين سنة وقيل بعث نوح وهو ابن ثلثمائة وخمس وخمسين ، وإبراهيم ولد على رأس (٢٨) ألفي سنة من آدم وبينه وبين نوح عشرة قرون وعاش إبراهيم مائة وخمسا

وسبعين سنة وولده إسماعيل عاش مائة وثلثين سنة وكان له حين مات أبوه تسع وثمانون سنة وأخوه اسحق ولد بعده بأربع عشرة سنة وعاش مائة وثمانين سنة ويعقوب

من التوحيد والصبر (أُتِّدَ) بهاء السكت وقفا ووصلا وفي قراءة بحذفها وصلا (قُلْ) لأهل مكة (لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ) أي القرآن (أَجْرًا) تطوئيه (إِنْ هُوَ) ما القرآن (إِلَّا ذِكْرِي) عظة (لِلْعَالَمِينَ) الإنس والجن (وَمَا قَدَرُوا) أي اليهود (اللهَ حَقَّ قَدْرِهِ) أي ما عظموه حق عظمتهم أو ما عرفوه حق معرفته (إِذْ قَالُوا) للنبي صلى الله عليه وسلم وقد خاصموه في القرآن (مَا أَنْزَلَ اللهُ عَلَى بَشَرٍ مِنْ شَيْءٍ ، قُلْ) لهم (مَنْ أَنْزَلَ الْكِتَابَ الَّذِي جَاءَ بِهِ مُوسَى ،

ابن اسحق عاش مائة وسبعا وأربعين ويوسف بن يعقوب بن اسحق عاش مائة وعشرين سنة نورا

وبينه وبين موسى أربع مائة سنة وبين موسى وإبراهيم خمسمائة وخمس وستون سنة وعاش موسى مائة وعشرين سنة وبين موسى ودأود خمسمائة وتسع وتسعون سنة وعاش مائة سنة وولده سليمان عاش نيفا وخمسين سنة وبينه وبين مولد النبي صلى الله عليه وسلم نحو ألف وسبعمائة سنة . وأيوب عاش ثلاثا وستين سنة وكانت مدة بلائه سبع سنين انتهى من التحبير في علم التفسير لاسيوطي (قوله وما قدروا الله - حق قدره) استئناف مسوق لبيان أوصاف اليهود وقدر من باب نصر يقال قدر الشيء إذا سبره وحزره ليعرف مقداره والمعنى لم يعترفوا بقدر الله وهذا الكلام إنما هو تنزل مع اليهود وإلا فالخلائق لم يعظموا الله حق تعظيمه ولم يعرفوه حق معرفته . واعلم أن هنا معنيين الأول أن معنى وما قدروا الله حق قدره أي ما عرفوه المعرفة التي تليق به وهذه لا يصل إليها أحد أبدا في الحديث «سبحانك ما عرفناك حق معرفتك يا معروف لا أحصى ثناء عليك أنت كما أئتمت على نفسك» وهذا منتف في حق كل مخلوق فلا خصوصية لليهود . الثاني أن معنى وما قدروا الله حق قدره أنهم لم يعظموه ولم يعرفوه على حسب ما أمروا به وهذا لم يقع من اليهود وإنما هو واقع من المؤمنين وهذا هو المراد هنا (قوله إذ قالوا) إما ظرف لقدروا أو تحليل له (قوله وقد خاصموه في القرآن) أي كفضاض بن عازوراء ومالك بن الصيف فقد جاء بخاصم النبي صلى الله عليه وسلم فقال له النبي «أشندك الله الذي أنزل التوراة على موسى هل تجد فيها أن الله تعالى يفيض الخبر السمين» أي العالم الجسيم وكان مالك لذلك وكان فيها ما ذكر فقال نعم وكان يحب إخفاء ذلك لكن أقر لاقسام النبي عليه السلام فقال له النبي أنت حبر سمين فغضب وقال ما أنزل الله على بشر من شيء فقال أصحابه الذين معه ويحك ولا على موسى فقال والله ما أنزل الله على بشر من شيء بل سمعت اليهود تلك للثالة غضبوا عليه وقالوا أليس الله أنزل التوراة على موسى فلم قلت هذا قال أغضبنى محمد فقلته فقالوا وأنت إذا غضبت تقول هي الله

غير الحق فعزله من الطبرية وجعلوا مكانه كعب بن الأشرف (قوله نورا) حال إما من به والعامل فيها جاء أو من الكتاب والعامل فيه أنزل ومعنى نورا يينا في نفسه وهدى مينا لغيره وللناس متعلق بهدى (قوله يحملونه) حال ثانية وجعل بمعنى صير فالهاء مفعول أول وقرطيس مفعول ثان على حذف مضاف أى ذا قرطيس أو فى قرطيس أو بولغ فيه (قوله بالياء والتاء) فعلى التاء يكون خطابا لليهود وعلى الياء التفات من الخطاب للغبية (قوله فى المواضع الثلاثة) أى يجعلون ويبدون ويخفون (قوله مقطعة) أى مفصولة بعضها من بعض ليتمكنوا من إخفاء ما أرادوا إخفاءه (قوله ويخفون كثيرا) أى لم يظهره بمعنى لم يكتبوه أصلا أو كتبوه وأخفوه عن ملوكهم وسفلتهم وجعلوا ذلك سرا بينهم (قوله كنت محمد) أى وكأية الرجم وآية إن الله يبغض الخبير السمين (قوله وعلمتم) يحتمل أن الخطاب لليهود كما قال المفسر وتكون الجملة حالية ، والمعنى تبدونها وتخفون كثيرا والحال أن محمدا أعلمكم فى القرآن بأشياء فى التوراة ما لم تكونوا تعلمونها أتم ولا آباؤكم ويحتمل أن الخطاب لقريش وتكون الجملة مستأنفة معترضة بين السؤال والجواب (قوله قل الله) يحتمل أنه مبتدأ خبره محذوف تقديره أنزله وعابيه درج المفسر وهو الأولى لأن السؤال جملة اسمية فيكون الجواب كذلك ويحتمل أنه فاعل بفعل محذوف تقديره أنزله الله وقد صرح بالفعل فى قوله تعالى : ليقولن خلقهن العزيز العليم (قوله فى خوضهم) إمامتعلق بذرم أو يباعبون ومعنى يلعبون يستهزئون ويسخرون (قوله وهذا كتاب) مبتدأ وخبر وأنزلناه صفة أولى ومبارك صفة ثانية ومصدق (٢٩) الذى بين يديه صفة ثالثة

(قوله القرآن) لفظة من القراء وهو الجمع واصطلاحا اللفظ المنزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم للاعجاز بأقصر سورة منه التعبد بتلاوته وهذا رد عليهم حيث قالوا ما أنزل الله على بشر من شئ (قوله مبارك) أى كله خير لمن آمن به وشر على من كفر به ، ومن بر كنه بقاء الدين على بنات الأرض وإمطار السماء ولذا إذا رفع القرآن تاتي

نُورًا وَهُدًى لِلنَّاسِ يَحْمِلُونَهُ) بالياء والتاء فى المواضع الثلاثة (قَرَأَ طِيسَ) أى يكتبونه فى دفاتر مقطعة (يُبْدُونَهَا) أى ما يحبون إبداءه منها (وَيُخْفُونَ كَثِيرًا) مما فيها كنت محمد صلى الله عليه وسلم (وَعَلَّمْتُمْ) أيها اليهود فى القرآن (مَا لَمْ تَعْلَمُوا أَنْتُمْ وَلَا آبَاؤُكُمْ) من التوراة ببيان ما التبس عليكم واختلقت فيه (قُلِ اللَّهُ) أنزله إن لم يقوله لا جواب غيره (ثُمَّ ذَرَهُمْ فِي خَوْضِهِمْ) باطلهم (يَلْعَبُونَ . وَهَذَا) القرآن (كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ مُصَدِّقُ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ) قبله من الكتب (وَلِتُنْذِرَ) بالتاء والياء عطف على معنى ما قبله أى أنزلناه للبركة والتصديق ولتنذر به (أُمُّ الْقُرَى وَمَنْ حَوْلَهَا) أى أهل مكة وسائر الناس (وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ يُؤْمِنُونَ بِهِ وَهُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ) خوفا من عقابها (وَمَنْ) أى لا أحد (أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا) بادعاء النبوة ولم ينبأ (أَوْ قَالَ أَوْحَى إِلَى ،

رجح لينة فيموت بها كل مؤمن ويبقى الكفار فبقاء الخير فى الأرض مدة بقاء القرآن فيها (قوله مصدق الذى بين يديه) أى موافق للكتب التى قبله فى التوحيد والتعزیه والمعنى أنه دال على صدقها وأنها من عند الله (قوله بالتاء والياء) أى فهما قراءتان سبعيتان فعلى التاء يكون خطابا للنبي وعلى الياء يكون الضمير عائدا على القرآن (قوله أى أنزلناه للبركة) هذه العلة مأخوذة من الوصف بالمشتق لأن تعاقب الحكم به يؤذن بالعاية (قوله أى أهل مكة) أشار بذلك إلى أن الكلام على حذف مضاف أى أهل أم القرى وهى مكة (قوله وسائر الناس) أشار بذلك إلى أنه ليس المراد بمن حولها ما قاربها من البلاد بل المراد جميع البلاد لأن مكة وسط الدنيا واقتصصر على الانذار لأنه هو الموجود فى صدر الاسلام إذ ليس ثم مؤمن يشر (قوله والذين) مبتدأ ويؤمنون صلته وبالآخرة متعلق بيؤمنون وقوله يؤمنون به خبره ولم يتعد المبتدأ والخبر لتغاير متعلقيهما والمعنى والذين يؤمنون بالآخرة إيماناً معتدا به محصورون فى الذى يؤمن بالقرآن فخرجت اليهود فلا يعتد بإيمانهم بالآخرة لعدم إيمانهم بالقرآن (قوله وهم على صلاتهم يحافظون) جملة حالية من فاعل يؤمنون وخص الصلاة بالذكر لأنها أشرف العبادات (قوله خوفا من عقابها) أى الآخرة (قوله ومن أظلم) من اسم استفهام مبتدأ وأظلم خبره وكذباً تمييز وأشار بقوله أى لا أحد إلى أن الاستفهام إنكارى بمعنى النفي (قوله أوقال أوحى إلى) أو للتنويع والعطف مغاير وليس من عطف الخاص على العام ولا من عطف التفسير لأن ذلك لا يكون بأو .

(قوله ولم يوح إليه شيء) أى من قبل الله بل استهوته الشياطين وساب الله عقله وختم على محمه وقلبه وجعل على بصره غشاوة حيث قال لما نزلت سورة الكوثر: أنزلت على سورة مثلها إنا أعطيناك المعقق فصل لربك وأزغى إن شئت هو الأبلق ، وغير ذلك من الخرافات التي قالها مسيلة الكذاب فان الآية نزلت فيه كما قال المفسر ، وقد ورد أنه أرسل رسول الله صلى الله عليه وسلم كتابا مع رسولين يذكرفيه : من عند مسيلة رسول الله إلى محمد رسول الله ، أما بعد فان الأرض بيننا وبينهم ، فلما وصله الكتاب قال للرسولين أنشهدان له بالرسالة ؟ فقالا نعم فقال رسول الله لولا أن الرسل لا تقتل لضربت أعناقكما . وكتب له : من عند محمد رسول الله إلى مسيلة الكذاب ، أما بعد فان الأرض لله يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين (قوله ومن من قال) قدر المفسر من إشارة إلى أنه معطوف على المجرور بمن (قوله وهم المستهزون) أى كعقبة ابن أبي معيط وأبي جهل وأضرابهما وما ذكره المفسر هو المشهور ، وقيل نزلت في عبد الله بن أبي مرثد كان من كتبة الوحي ثم ارتد وقال سأنزل مثل ما أنزل الله ثم رجع للإسلام فأسلم قبل فتح مكة والنبي صلى الله عليه وسلم نازل ببر الظهران وقد دخل في حكم هذه الآية كل من افتري على الله كذبا في أى زمان إلى يوم القيامة (قوله ولو ترى) لوحوف شرط وجوابها محذوف قدره المفسر فيما يأتي بقوله لرأيت أمرا فظيما وترى بصرية ومنعولها محذوف تقديره الظالمين وإذ ظرف لترى ، والتقدير ولو ترى الظالمين وتحت كونهم في غمرات الموت الخ (قوله المذكورون) أى مسيلة الكذاب والمستهزون والأحسن أن يراد ما هو أعم (٣٠) (قوله في غمرات) جمع غمرة من الغمر وهو الستر يقال غمره الماء إذا ستره

سميت السكره بذلك لأنها تستر العقل وتدهشه (قوله والملائكة باسطوا أيديهم) تقدم أن الكافر موكل به سبع من الملائكة يعذبونه عند خروج روحه لأن الكافر يكره لقاء الله فتأبى روحه الخروج فيخرجونها كرها . إن قلت إن

وَلَمْ يُوحَ إِلَيْهِ شَيْءٌ) نزلت في مسيلة (و) من (مَنْ قَالَ سَأُنْزِلُ مِثْلَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ) وهم المستهزون قالوا : لو نشاء قلنا مثل هذا (وَلَوْ تَرَى) يا محمد (إِذِ الظَّالِمُونَ) المذكورون (فِي غَمَرَاتٍ) سكرات (المَوْتِ وَالْمَلَائِكَةُ بَاسِطُوا أَيْدِيَهُمْ) إليهم بالضرب والتعذيب يقولون لهم تعنيفا (أَخْرِجُوا أَنْفُسَكُمْ) إلينا لنقبضها (الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ) الهوان (بِمَا كُنْتُمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ) بدعوى النبوة والإيحاء كذبا (وَكُنْتُمْ عَنْ آيَاتِهِ تَسْتَكْبِرُونَ) تتكبرون عن الإيمان بها ، وجواب لو ، لرأيت أمرا فظيما (و) يقال لهم إذا بشوا (لَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَادَى) منفردين عن الأهل والمال والولد (كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ) أى حفاة عراة

غولا

للمؤمن يكره الموت أيضا . أجييب بأن المؤمن وإن أحب الحياة وكره الموت

لكن ذلك قبل احتضاره ومعايسته ما أعد الله له من النعيم الدائم ، وأما إذا شاهد ذلك هانت عليه الدنيا وأحب الموت ولقاء الله . وأما الكافر فعند خروج روحه حين يشاهد ما أعد الله له من العذاب الدائم يزداد كراهة في الموت وعلى ذلك يحمل ماورد « من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه ومن كره لقاء الله كره الله لقاءه » (قوله يقولون لهم تعنيفا) أى لأن الانسان لا يقدر على إخراج روحه وإنما ذلك لأجل تعنيفهم ، ويحتمل أن معنى أخرجوا أنفسكم نجوها من العذاب الذي حلّ بكم تهكما بهم (قوله اليوم) ظرف لقوله تجزون فالوقف ثم على قوله أنفسكم وأل في اليوم للعهد أى اليوم لليهود وهو يوم خروج أرواحهم ويحتمل أن المراد باليوم يوم القيامة والأحسن أن يراد ما هو أعم (قوله الهوان) أى الدلل والصغار لأعذاب التطهير كما يقع لبعض عصاة المؤمنين لأن كل عذاب يعقبه عفو فلا يقال له هون وإنما يقال لعذاب الكافر (قوله بما كنتم) الباء سببية ومصدرية أى بسبب كونكم تقولون الخ (قوله بدعوى النبوة الخ) هذا راجع لقوله : ومن أظلم ممن افتري على الله كذبا أو قال أوحى إلى ولم يوح إليه شيء (قوله وكنتم عن آياته تستكبرون) أى وبسبب كونكم تستكبرون عن آياته فالجار والمجرور متعلق بتستكبرون وهو راجع لقوله : ومن قال سأنزل مثل ما أنزل الله ففيه نف ونسر مرتب وهذا باعتبار سبب النزول والإفـ كل كافر يقال له ذلك عند الموت (قوله ويقال لهم) اختلف في تعيين القائل فقيل الله سبحانه وقيل الملائكة ترجعا عن الله وهذا مرتب على الخلاف هل لله يكاهم أولا (قوله فرادى) جمع فرد أو فردان بمعنى منفردين خالين عن الدنيا ومتاعها (قوله حفاة عراة) أى وذلك حد الحساب فلا ينافي أنهم يخرجون من القبور بالأكفان فإذا حشروا ودنت الشمس من الرموس تطايرت الأكفان .

(قولاً غرلاً) يضم النين المعجمة وسكون لراء الهمزة جمع أغرل كحمر جمع أحمر أى غير مقطوعين القلفة (قوله وترمضكم ماخولناكم) الجملة حالية من فاعل جتتمونا وقوله : وراء ظهوركم متعلق بترمضكم (قوله أى فى استحقاق عبادتكم) أشار بذلك إلى أن الكلام على حذف مضافين (قوله بينكم) على قراءة الرفع هو فاعل تقطع والين بمعنى الوصل وهو المراد هنا ويطلق ويراد منه البعد من باب تسمية الأضداد (قوله وفى قراءة بالنصب) أى وهى سبعة أيضاً والفاعل على هذه القراءة ضمير يعود على الوصل المفهوم من قوله شفعاكم وشركاء لأن بين الشفيع والشفوع له اتصال وبينكم ظرف له والتقدير تقطع الوصل فيما بينكم فقول المفسر أى وصلكم تنسير للضمير المستتر (قوله ما كنتم ترمضون) ما اسم موصول فاعل ضلّ وكنتم ترمضون صلته والمأثـر محذوف تقديره وضلّ عنكم الذى كنتم ترمضونه شفيهاً ونافعا (قوله إن الله فائق الحب) لما تقدم ذكر التوحيد وما يتعاق به أتبعه يذكر ما يدل على ذلك ، والمراد بالحب ما لا نوى له يرمى كالتقمص والشير والفول والنوى ضد الحب كالرطب والشمش والنوى والنوى فأنحصر ما يخرج من الأرض فى هذين النوعين وإضافة فائق للحب يحتمل أنها محضة ففائق بمعنى فلق فهو بمعنى الصفة المشبهة وهو الأقرب ويحتمل أنها لفظية والمراد فائق فى الحال والاستقبال (قوله شاق) فسر الفلق بالشق لأنه المشهور فى اللغة ولأنه أقرب عبـرة وأكثر فائدة . وقال ابن عباس : إن فائق بمعنى خالق (قوله عن النخل) مراده به كل ماله نوى (قوله يخرج الحى من الميت) يحتمل أنه خبر ثان لأن (٣١) ويحتمل أنه كلام مستأنف كالعلة لما قبله والمراد بالحي كل ما ينجو

سكان ذا روح أولا كالحيوان والنبات ، وبالميت ما لا ينجو كان أصله ذا روح أم لا كالنطفة والحبة قسمية النبات حبا مجاز بجامع قبول الزيادة فى كل (قوله من النطفة والبيضة) لقون نشر مرتب وأدخات الكاف جميع ما يخرج من النطفة والبيضة لجميع الحيوانات لاختلاف

غُرْلًا (وَتَرَكْتُمْ مَا خَوَّلْنَاكُمْ) أعطيناكم من الأموال (وَرَاءَ ظُهُورِكُمْ) فى الدنيا بغير اختياركم (وَ) يقال لهم توبيعاً (مَا تَرَى مَعَكُمْ شُفَعَاءَكُمْ) الأصنام (الَّذِينَ زَعَمْتُمْ أَنَّهُمْ فِيكُمْ) أى فى استحقاق عبادتكم (شُرَكَاؤُا) الله (لَقَدْ تَقَطَّعَ بَيْنُكُمْ) وصلكم أى تشقت جمعكم وفى قراءة بالنصب ظرف أى وصلكم بينكم (وَضَلَّ) ذهب (عَنْكُمْ مَا كُنْتُمْ تَرْمُضُونَ) فى الدنيا من شفاعتها (إِنَّ اللَّهَ فَائِقُ) شاق (الْحَبِّ) عن النبات (وَالنَّوَى) عن النخل (يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ) كالإنسان والطائر من النطفة والبيضة (وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ) النطفة والبيضة (مِنَ الْحَيِّ ذَلِكُمْ) الفائق المخرج (اللَّهُ فَأَتَى تُؤْفِكُونَ) فكيف تصرفون عن الإيمان مع قيام البرهان (فَالِقُ الْإِصْبَاحِ) مصدر بمعنى الصبح أى شاق عمود الصبح وهو أول ما يبدو من نور النهار عن ظلمة الليل (وَجَاعِلُ اللَّيْلِ سَكَنًا) تسكن فيه الخلق من التعب (وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ) بالنصب

عن هذين الشئيين لجميع الطيور من البيض وماعداها من النطفة (قوله ويخرج الميت من الحى) إنما عبر باسم الفاعل مع المعطف إشارة إلى أنه كلام آخر معطوف على فائق وليس بياناً له وإلا لآتى بالفعل (قوله من الحى) أى كالإنسان والطائر ويشمل عموم هذه الآية السلم والكافر فيخرج الحى كالمسلم من الميت كالكافر وبالعكس (قوله ذلكم الله) أتى بذلك وإن علم من قوله إن الله فائق لأجل الرد على : من كفر بقوله : فأتى تؤفكون (قوله فكيف تصرفون عن الإيمان) أى لا وجه لصرفكم عن الإيمان بالله مع اعترافكم بأنه الخالق لجميع الأشياء فهو استغفار إنكارى بمعنى النفى (قوله مصدر) أى لأصبح بمعنى الدخول فى الصباح وليس مراداً بل المراد الصبح نفسه فقد أسره به حيث أطلق المصدر وهو الاصبح وأراد أثره وهو الصبح والاصباح بكسر الهمزة وقرئ شذوذاً بفتحها وعليه يكون جمع صبح نحو قفل وأقفال وبرد وأبراد وظاهر الآية مشكل لأن الانطلاق يكون للظلمة لا للصبح . وأجيب بأن الكلام على حذف مضاف والأصل فائق ظلمة الاصبح بمعنى الصبح أو يراد فائق الاصبح بمعنى عمود الصبح وهو الفجر الكاذب عن ظلمة الليل ثم يقبـه الفجر الصادق فهو فائق الاصبح الأول عن ظلمة آخر الليل وعن بياض النهار أيضاً ويفيد هذا المفسر أو يفسر فائق بخالق ، وسماه فلما مشا كلة لما قبله وكل صحيح (قوله وهو أول ما يبدو من النهار) أى وهو الفجر الكاذب (قوله عن ظلمة الليل) متعلق بشاق (قوله سكتا) أى هل سكوت واستراحة (قوله أنسكن فيه الخلق) أى جميعها حق المياه والمواد .

(قوله عطفًا على محل الليل) أى وهو النصب وحسبنا معطوف على سكننا فيه العطف على معمولى عامل واحد وهو جاعل والتقدير وجاعل الشمس والقمر حسبنا وذلك جائز باتفاق (قوله حسبنا) مصدر حسب وكذا الحسبان بكسر الحاء والحساب فله ثلاثة مصادر (قوله حسابًا للأوقات) أى ضبطًا لها أى علامة ضبط لكن الشمس يتم دوراتها في سنة والقمر في شهر وذلك لنفع العباد دينًا ودنيا قال تعالى - هو الذى جعل الشمس ضياء والقمر نورا وقدره منازل لتعلموا عدد السنين والحساب - (قوله أو الباء محذوفة) أى فهو منصوب بنزع الخائض (قوله وهو حال من مقدر) لوقال متعلق بمقده لكان أحسن لأنك إذا تأملت تجد المحذوف هو الحال على أن جاعل بمعنى خالق وأما إن جعل بمعنى مصير فهو مفعول ثان وهو إشارة لتقدير ثان في الآية (قوله العزيز) أى الغالب على أمره (قوله العليم) أى ذى العلم التام (قوله وهو الذى جعل) أى خالق ولكم متعلق بجعل ولتتدوا بدل من لكم بدل اشتغال فلم يلزم عليه تعلق حرف جر متحدى اللفظ والمعنى بعامل واحد ونظيره قوله تعالى - لجعلنا لمن يكفر بالرحمن لبيوتهم سقافاً من فضة ، فليبوتهم بدل من لمن يكفر بإعادة العامل (قوله أنشأكم) إنما عبر به لموافقة ما يأتى في قوله وأنشأنا من بعدهم وقوله وهو الذى أنشأ جنات (قوله هى آدم) أى فكل أفراد النوع الانسانى منه (قوله فمستقر) بالكسر اسم فاعل وصف والمعنى مثكم (٣٢) من استقر فى الرحم وعبر فى جانبه بالاستقرار لأن زمن بقاء النطفة فى الرحم

عطفًا على محل الليل (حُسْبَانًا) حسابًا للأوقات أو الباء محذوفة وهو حال من مقدر أى يجريان بحسبان، كما فى آية الرحمن (ذَلِكَ) المذكور (تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ) فى ملكه (الْعَلِيمِ) بخلقه (وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ النُّجُومَ لِتَهْتَدُوا بِهَا فِي ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ) فى الأسفار (قَدْ فَصَّلْنَا) بيننا (الآيَاتِ) الدلالات على قدرتنا (لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ) يتدبرون (وَهُوَ الَّذِي أَنْشَأَكُمْ) خلقكم (مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ) هى آدم (فَمُسْتَقَرٍّ) منكم فى الرحم (وَمُسْتَوْذَعٍ) منكم فى الصلب وفى قراءة بفتح القاف أى مكان قرار لكم (قَدْ فَصَّلْنَا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ) ما يقال لهم (وَهُوَ الَّذِي أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا فِيهِ الثَّمَاتِ عَنِ الْغَيْبَةِ) بالماء (نَبَاتَ كُلِّ شَيْءٍ) ينبت (فَأَخْرَجْنَا مِنْهُ) أى النبات شيئًا (خَضِرًا) بمعنى أخضر (نُخْرِجُ مِنْهُ) من الخضر (حَبًّا مُتَرَاكِبًا) يركب بعضه بعضًا كسنا بل الحنطة ونحوها (وَمِنَ النَّخْلِ) خير ويبدل منه (مِنْ طَلْمِهَا) أول ما يخرج منها ، والبتدأ (قِنْوَانٍ) عراجين (دَانِيَةٍ) قريب بعضها من بعض

أكثر من زمن بقائها فى الصلب (قوله وفى قراءة بفتح القاف) أى وأما مستودع فليس فيه إلا فتح الدال لكن على قراءة الكسر يكون معنى مستودع شئ مودوع وهو النطفة وعلى الفتح مكان استيداع وهو الصلب (قوله يفقهون) أى يفهمون الأمور والدقائق وعبر هنا يفقهون إشارة إلى أن أطوار الانسان وما احتوى

(و)

عليه الانسان أمر خفى تحير فيه الأبواب بخلاف النجوم فأمرها

ظاهر . شاهد فعبّر فيها بـ يعلمون (وقوله وهو الذى أنزل من السماء ماء) لما امتن سبحانه وتعالى على عباده أولاً بالإيجاد حيث قال وهو الذى أنشأكم من نفس واحدة امتن ثانياً بإزالة الماء الذى به حياة كل شئ ونفعه وهو الرزق المشار إليه بقوله تعالى - وفى السماء رزقكم - (قوله فيه الثغفات) أى ونكته الاعتناء بشأن ذلك المخرج إشارة إلى أن نعمه عظيمة (قوله به) الباء للسببية (قوله فأخرجنا) بيان لما أجمل أولاً (قوله خضرا) يقال خضر الشئ فهو خضر وأخضر كعور فهو عور وأعور وقدر المفسر شيئاً إشارة إلى أن خضرا صفة لموصوف محذوف (قوله ومن النخل) شروع فى تفصيل حال الشجر بعد ذكر عموم النبات لمزيد الرغبة فيه (قوله ويبدل منه) أى بدل بعض من كل (قوله أول ما يخرج منها) أى قبل انفلاق الكيزان عنه فاذا انفلقت عنه مى عذا (قوله قنوان) جمع قنوكصنو وقنوان وهذا الجمع يلتبس بالثنى حالة الوقف ويميز الثنى بكسرنونه والجمع بتوارد حركات الاعراب عليه وبالإضافة فتحذف نون الثنى دون الجمع فتقول هذان قنواك وفى الجمع هذه قنوانك وبالنسب فاذا نسبت إلى الثنى رددته إلى المفرد فقلت قنوى وإذا نسبت إلى الجمع أبقيته على حاله فقلت قنوانى (قوله عراجين) جمع عرجون قيل هى الشاربخ وقيل هى السبائط ولا شك أن الشاربخ قريب بعضها من بعض والسبائط كذلك : واعلم أن أطوار النخل سبع كالانسان يجمعها قولك طاب زبرت فأولها الطلع ثم الاغريض ثم البلح ثم الزهو ثم البسر ثم الرطب ثم القمر وفى الحديث أكرموا عمتكم النخلة ولهذا الأمور قسم على ما بهده

(قوله وجنات) معطوف على نبات من عطف الخاص على العام والتسكة مزيد الشرف لكونها من أعظم النعم وكذا قوله :
والزيتون والرمان معطوفان على النبات ويكون قوله ومن النخل الخ معترضا بين المعطوف والمعطوف عليه اعتناء بشأن النخل
لعظم منته ويصح عطف جنات على خضرا وهذا على قراءة الجمهور وقرى شدوذا برفع جنات والزيتون والرمان وخرج على
أنه مبتدأ والخبر محذوف تقديره ومن الكرم جنات (قوله مشتبه) يقال مشتبه ومثابه بمعنى (قوله نظر اعتبار) أى تنكر فى مصنوعاته
لتعلموا أن ربكم هو القادر المريد الخالق لما يشاء فتفردوه بالعبادة ولا تشركوا به شيئا (قوله وهو جمع ثمرة) أى الفتوح
والضموم وقوله كشجرة وشجر راجع للفتوح وقوله وخشبة وخشب راجع للضموم فهو لاف ونشر مرتب (قوله وينعه) مصدر
ينع بكسر التون ينع بفتحها كتب يتعب ويصح العكس وقرى بضم الياء والمعنى تفكروا وتأملوا ابتداء الفخر حيث يكون
بعضه مراو بعضه ملحا لا يتنفع بشئ منه وانهائه إذا نفع فانه يعود حلوا نسق بماء واحد وتفضل بعضها على بعض فى الأكل
(قوله إن فى ذلكم) الإشارة إلى جميع ما تقدم من قوله : إن الله فائق الحب والنوى إلى هنا (قوله لأنهم المنتفعون بها) أشار
بذلك إلى أن ظهور الأدلة لا تفيد ولا تنفع إلا إذا كان العبد مؤمنا وأما من سبق (٣٣) له الكفر فلا تنفعه الآيات

ولا يتهدى بها (قوله
وجعلوا) الضمير لعبدة
الأصنام وهذا إشارة إلى
أنهم قابلوا نعم الله العظيمة
بالإشراك (قوله مفعول
نان) هذه طريقة
فى الاعراب وهناك طريقة
أخرى وهى أن الله متعاق
بمحذوف حال والجن
مفعول أول مؤخر وشركاء
مفعول ثان مقدم (قوله
الجن) قيل المراد بهم
الشياطين وإلى هذا
يشير المفسر بقوله حيث
أطاعوهم الخ وقيل المراد
بهم نوع من الملائكة

(وَ) أخرجنا به (جَنَاتٍ) بساتين (مِنْ أَغْنَابٍ وَالزَّيْتُونِ وَالرَّيْمَانِ مُشْتَبِهًا) ورقهما حال
(وَغَيْرِ مُثَابِهٍ) ثمرهما (أَنْظُرُوا) يا مخاطبين نظر اعتبار (إِلَى ثَمَرِهِ) بفتح التاء والميم
وبضمهما وهو جمع ثمرة كشجرة وشجر وخشبة وخشب (إِذَا أُتْمِرَ) أول ما يبذو كيف هو ؟
(وَ) إِلَى (يَنْعِهِ) نضجه إذا أدرك كيف يعود (إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ) دلالات على قدرته
تعالى على البعث وغيره (لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ) خصوا بالذكر لأنهم المنتفعون بها فى الإيمان بخلاف
الكافرين (وَجَعَلُوا اللَّهَ) مفعول ثان (شُرَكَاءَ) مفعول أول ويبدل منه (الْجِنَّ) حيث
أطاعوهم فى عبادة الأوثان (وَ) قد (خَلَقَهُمْ) فكيف يكونون شركاءه (وَخَرَقُوا) بالتخفيف
والتشديد أى اختلقوا (لَهُ) بَيْنَ وَبَيْنَ بِغَيْرِ عِلْمٍ حيث قالوا : عزيز ابن الله والملائكة بنات
الله (سُبْحَانَهُ) تنزيها له (وَتَعَالَى عَمَّا يُصِفُونَ) بأن له ولدا ، هو (بَدِيعُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ)
مبدعها من غير مثال سبق (أُنَى) كيف (يَكُونُ لَهُ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُنْ لَهُ صَاحِبَةً) روجة
(وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ) من شأنه أن يخلق (وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ) ذَلِكَمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَا إِلَهَ
إِلَّا هُوَ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ فَاعْبُدُوهُ) وحدوه ،

كانوا يعبدونهم لاعتقادهم أنهم بنات الله (قوله وخلقهم) الضمير يصح أن يكون عائدا على الجن وعليه المفسر ويصح أن يعود
على الجميع والجملة حال من الجن ولذا قدر المفسر قد (قوله وخرقوا) الضمير عائدا على اليهود والنصارى ومشركى العرب فاليهود
والنصارى نسبوا له البنين ومشركو العرب نسبوا له البنات فالكلام على التوزيع (قوله اختلقوا) يقال اختلق وخلق وخرق
وافترى واقتعل وخرص بمعنى كذب وقرى شدوذا بالحاء المهملة والفاء من التعريف وهو التزوير لأن المحرف مزور مغير للحق
بالباطل (قوله حيث قالوا عزيز ابن الله) كان عليه أن يقول والمسيح ابن الله ليكون قد جمع مقالة الفرق الثلاثة فاليهود قالوا عزيز
ابن الله والنصارى قالوا المسيح ابن الله والمشركون قالوا الملائكة بنات الله (قوله بديع السموات) خبر لمحذوف قدره المفسر بقوله
هو (قوله أتى يكون له ولد) أتى منصوبة على التشبيه بالحال وله خبر يكون مقدم وولد اسمها مؤخر ويصح أن تكون تامة وولد
فاعلها والمعنى كيف يوجد له ولد والحال أنه لم تكن له صاحبة مع كونه الخالق لكل شئ (قوله من شأنه أن يخلق) دفع بذلك
ما يقال إن من جملة الشئ ذاته وصفاته فيقتضى أنها مخلوقة مع أن ذلك مستحيل . فأجاب المفسر بأن ذلك عام مخصوص بما من
شأنه أن يخلق وهو ما عدا ذاته وصفاته (قوله ذلكم) مبتدأ والله خبر أول وربكم خبر ثان ولا إله إلا هو خبر ثالث وخالق كل
شئ خبر رابع وقوله فاعبدوه مفرع على ما ذكر من هذه [ص ٥ - ص ٦ - فاني]

الأوصاف فالله أن التصف بالألوهية الخالق لكل شيء هو أحق بالعبادة وحده فقلوه حتى متى نوطه لقوله فاعبده وأما قوله وخلق كل شيء فهو رد للمزعموه من لولده سبحانه وتعالى (قوله وهو على كل شيء وكيل) أى متصرف فى خلقه ومتولى أمورهم فالواجب قصر العبادة عليه وتقوى الأمور إليه (قوله لاتدركه الأبصار) جمع بصرو وهو حاسة النظر أى القوة الباصرة ويطلق على العين نفسها من إطلاق الحال وإرادة المحل (قوله وهذا مخصوص) أى نفي الرؤية عام مخصوص رؤية المؤمنين ربهم فى الآخرة لأن النحل إذا دخل عليه النفى يكون من قبيل العام (قوله رؤية المؤمنين) علة لقوله مخصوص وقوله لقوله تعالى علة للعلة (قوله ناضرة) أى قامت بها النفاضة وهى البهجة والحسن وقوله ناظرة أى باصرة للذات المقدس (قوله ليلة البدر) نفي ليلة أربعة عشر (قوله وقيل المراد الخ) أى وعلى هذا فالنفي باق على عمومته فلا يحيط به بصر أحد أبداً لافى الدنيا ولا فى الآخرة فلا ينافى أن المؤمنين يرونه فى الآخرة لكن بلا كيف ولا انحصار لوجود أدلة عقلية ونقلية أما النقلية فالكتاب والسنة والاجماع والعقاية منها أن الله عاق ويته على استقرار الجبل وهو جائز والمعلق على الجائز جائز، أنها لو كانت الرؤية ممنوعة لما سألها موسى عليه السلام إذ لا يجوز على النبي سؤال المحال إذ هو جهل ويستحيل على النبي الجهل ومنها أن يقال الله موجود وكل موجود يصح أن يرى فله يصح أن يرى خلافاً للمعتزلة والمرجئة والحوارج حيث أحالوا الرؤية مستدلين بظاهر هذه الآية وبقولهم إن الرؤية تستلزم المقابلة واتصال أشعة بصر الرائي بالرئي فيلزم أن يكون الرئي جسماً وتعالى الله عن الجسمية، ورد كلامهم بما علمت (٣٤) وبأن هذا التلازم عادى لاعقلى ويجوز تخالف العادة (قوله لا يحيط به)

أى لاتبلغ كنهه حقيقة ذاته وصفاته أبصار ولا بصائر (قوله وهو يدرك الأبصار) فيه تفسيران أيضاً: الأول يراها. الثانى يحيط بها على أسلوب ماتقدم (قوله ولا يجوز فى غيره الخ) أى لأر رؤية كل منهما لصاحبه غير مستحيلة وماجاز على أحد المثلين يجوز على الآخر (قوله أو يحيط بها علم) هذا هو التفسير الثانى (قوله وهو اللطيف) من لطف بمعنى احتجب فلا يحيط به بصر ولا بصيرة فهو راجع لقوله لاتدركه لأبصار وقوله الخبير راجع لقوله وهو يدرك الأبصار فهو لطف وشر مرتب وهذا هو المناسب هنا فقول المفسر بأوليائه يقتضى أن معنى اللطيف الرءوف المحسن وهو وإن كان مناسباً فى نفسه إلا أنه غير ملائم هنا. فتحصل مما تقدم أن الرؤية بالبصر فى الآخرة للمؤمنين وقع فيها خلاف بين المعتزلة وأهل السنة وتقدم أن الحق مذهب أهل السنة وأما رؤية قلوب العارفين له فى الدنيا بمعنى شهود القاب له فى كل شيء فهو جائز بل هو مطالبهم وغاية مقصودهم ومنهم قال العارف : أنلنا مع الاحجاب رؤيتك التى إليها قلوب الأولياء تسارع وكذا رؤياه فى المنام (قوله بصائر) جمع بصيرة وهى النور الباطنى الذى ينشأ عنه العلوم والمعارف (قوله حجج) جمع حجة وهى الأدلة وسميت الحجج بصائر لأنها تنشأ عنها من باب تسمية المسبب باسم السبب (قوله فمن أبصرها) قدر المفسر الضمير إشارة إلى أن المفعول محذوف (قوله فلنفسه أبصر) قدر المفسر متعاق الجار والمجرور فعلاً ماضياً مؤخراً وهو غير مناسب للزوم زيادة الفاء على المناسب تقديره اسما مبتدأ والجار والمجرور خبره والتقدير فأبصره لنفسه وكذا يقال فى قوله ومن عمى فعليها (قوله لأن ثواب إحصاره) أى نفعه له فلا يرد على الله من الطاعة تنفع ولا يصل له من المعصية ضرر (قوله ومن عمى عنها) أى عن البصائر بمعنى الحجج (قوله وكذلك فى الآيات) الكاف فى محل نصب نعت لمصدر محذوف تقديره نصرف الآيات فى غير هذه السورة نصرفها مثل التصريف فى هذه السورة (قوله كما بينا ما ذكر) أى الأحكام المذكورة

نين

الآخر (قوله أو يحيط بها علم) هذا هو التفسير الثانى (قوله وهو اللطيف) من لطف

بمعنى احتجب فلا يحيط به بصر ولا بصيرة فهو راجع لقوله لاتدركه لأبصار وقوله الخبير راجع لقوله وهو يدرك الأبصار فهو لطف وشر مرتب وهذا هو المناسب هنا فقول المفسر بأوليائه يقتضى أن معنى اللطيف الرءوف المحسن وهو وإن كان مناسباً فى نفسه إلا أنه غير ملائم هنا. فتحصل مما تقدم أن الرؤية بالبصر فى الآخرة للمؤمنين وقع فيها خلاف بين المعتزلة وأهل السنة وتقدم أن الحق مذهب أهل السنة وأما رؤية قلوب العارفين له فى الدنيا بمعنى شهود القاب له فى كل شيء فهو جائز بل هو مطالبهم وغاية مقصودهم ومنهم قال العارف :

أنلنا مع الاحجاب رؤيتك التى إليها قلوب الأولياء تسارع

وكذا رؤياه فى المنام (قوله بصائر) جمع بصيرة وهى النور الباطنى الذى ينشأ عنه العلوم والمعارف (قوله حجج) جمع حجة وهى الأدلة وسميت الحجج بصائر لأنها تنشأ عنها من باب تسمية المسبب باسم السبب (قوله فمن أبصرها) قدر المفسر الضمير إشارة إلى أن المفعول محذوف (قوله فلنفسه أبصر) قدر المفسر متعاق الجار والمجرور فعلاً ماضياً مؤخراً وهو غير مناسب للزوم زيادة الفاء على المناسب تقديره اسما مبتدأ والجار والمجرور خبره والتقدير فأبصره لنفسه وكذا يقال فى قوله ومن عمى فعليها (قوله لأن ثواب إحصاره) أى نفعه له فلا يرد على الله من الطاعة تنفع ولا يصل له من المعصية ضرر (قوله ومن عمى عنها) أى عن البصائر بمعنى الحجج (قوله وكذلك فى الآيات) الكاف فى محل نصب نعت لمصدر محذوف تقديره نصرف الآيات فى غير هذه السورة نصرفها مثل التصريف فى هذه السورة (قوله كما بينا ما ذكر) أى الأحكام المذكورة

(قوله نبين الآيات) هذا وعد من الله بكامل الدين وإظهاره فقد كان نزول قوله تعالى - اليوم أكملت لكم دينكم - من مبشرات الوفاة لرسول الله (قوله ليعتبروا) أى لتقوم بهم العبرة أى الاتعاظ فيميزوا الحق من الباطل وقدره المفسر لعطف قوله وليقولوا عليه (قوله في عاقبة الأمر) أشار بذلك إلى أن اللام في وليقولوا لام العاقبة والصورورة نظير قوله تعالى - فالتقطه آل فرعون ليكون لهم عدوا وحزنا - وقيل إن اللام لله حقيقة ، والمعنى نصرَف الآيات ليعتبر الذين آمنوا ويزدادوا بها إيماناً وليقول الذين كفروا درست ليزدادوا كفراً ونظيره قوله تعالى - فأما الذين آمنوا فزادتهم إيماناً وهم يستبشرون وأما الذين في قلوبهم مرض فزادتهم رجساً إلى رجسهم (قوله دارست) كقنات من المداينة ، والمعنى قد كرات مع أهل الكتاب فتعلمت منهم تلك القصص (قوله وفي قراءة درست) أى قرأت الكتب وبقى قراءة ثالثة سبعة أيضاً روى درست بفتح الدال والراء والسين أى عفت وبليت وتكررت على الأسماع (قوله وجئت بهذا منها) راجع لكل من القراءتين (ولنبينه) أى الآيات وذكر باعتبار معناها وهو القرآن (قوله اتبع ما أوحى إليك) لما ذكر الله سبحانه وتعالى قبائح المشركين ونكذبيهم لرسول الله أخذ يسلي رسوله بقوله: اتبع أى دم على ذلك ولا تبالي بكفرهم ولا تلتفت لقولهم ، وما أمم موصول والمائد محذوف ونائب فاعل أوحى ضمير مستتر عائد على ما وإليك متعاقب بأوحى ومن ربك متعاقب محذوف حال ومن لا ابتداء الغاية والتقدير اتبع الذى أوحى إليك هو أى القرآن حال كونه ناشئاً وصادراً من ربك ويصح أن تكون مصدرية ونائب الفاعل هو الجار والمجرور والتقدير اتبع الإيحاء الجائى إليك من ربك (قوله لا إله إلا هو) جملة معترضة بين المعطوف والمعطوف عليه لتأكيد التوحيد (قوله وأعرض عن المشركين) أى لا تلتفت لهم ولا تقاثلهم وهذا على أنها منسوخة (٣٥) كما يأتى للمفسر وقيل إن الآية

عككة والمعنى لا تلتفت إلى رأيهم ولا تنتظم من أقوالهم وإشراكهم لأن ذلك بمشيئة الله ومثل ذلك يقال إذا أجمع خلق على ضلالة لا يستطيع ردها فى الحديث « إذا رأيتم الأمر لا تستطيعون رده

نبين (الآيات) ليعتبروا (وليقولوا) أى الكفار في عاقبة الأمر (دارست) ذاكرت أهل الكتاب ، وفي قراءة درست أى كتب الماضين ، وجئت بهذا منها (ولنبينه لقوم يعلمون) أتبع ما أوحى إليك من ربك أى القرآن (لا إله إلا هو وأعرض عن المشركين) ولو شاء الله ما أشركوا وما جئناك عليهم حفيظاً (وقبها فتجازيهم بأعمالهم) وما أنت عليهم بوكيل (فتجبرهم على الإيمان ، وهذا قبل الأمر بالقتال) (ولا تسبوا الذين يدعونهم من دون الله) أى الأصنام (فيسبوا الله عدواً) :

فأصبروا حتى يكون الله هو الذى يغيره (قوله ولو شاء الله) مفعول شاء محذوف تقديره عدم إشراكهم (قوله وما أنت عليهم بوكيل) تأكيد لما قبله أى لست حفيظاً مراقباً لهم فتجبرهم على الإيمان (قوله وهذا قبل الأمر بالقتال) أشار بذلك إلى أن الآية منسوخة واسم الإشارة عائد على قوله: وأعرض عن المشركين الخ (قوله ولا تسبوا الذين يدعون من دون الله) سبب نزولها أنه لما نزل قوله تعالى - إنكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم كثر سب المسلمين للأصنام فتحزب للمشركون على كونهم يسبون الله نظير سب المسلمين لأصنامهم فنزلت الآية ، وقيل إن أباطال حضرته الوفاة فقالت قريش انطلقوا بنا لندخل على هذا الرجل فلنأمره أن ينهى عنا ابن أخيه فانا نستحي أن نقتله بعد موته فتقول العرب كان عمه يمنعه فلما مات قتله فانطلق أبوسفيان وأبو جهل والنضر بن الحرث وأميه وأبى ابنا خلف وعقبه بن أبى معيط وعمرو بن العاص والأسود بن أبى البحترى إلى أبى طالب فقالوا يا أبا طالب أنت كبيرنا وسيدنا وإن محمداً قد آذانا وأذى آلنا فنحن أن ندعوه فتنهائهم عن ذكر آلنا وندعه وإله فدعاه فجاء النبي صلى الله عليه وسلم فقال له أبوطالب إن هؤلاء قومك وبنو عمك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم وما يريدون قالوا نريد أن تدعنا وآلنا وندعك وإلهك فقال له أبوطالب قد أنصفك قومك فأقبل منهم فقال النبي أرأيتم إن أعطيتكم هذا فهل أنتم معطى كلمة إن تكلمتم بها ملستم العرب ودانت لكم الدجيم وأدت لكم الحراج قال أبو جهل نعم وأبيك لنعطينكها وعشرة أمثالها فهاى فقال قولوا: لا إله إلا الله فأبوا ونفروا فقال أبوطالب قل غيرها يا ابن أخى قتال ياعم ما نأ بالذى أقول غيرها ولو أتوتى بالشمس فوضعوها في يدي ما قلت غيرها فقالوا لتكفرن عن شتمك آلنا ولنسبن سن بأمرك فنزلت (قوله الذين يدعون) أى يعبدون وقدر المفسر الضمير إشارة إلى أن مفعول يدعون محذوف (قوله فیسبوا) أى فيترتب على ذلك سب الله فسب الأصنام وإن كان جائزاً إلا أنه عرض له النهى بسبب ما ترتب عليه من سب الله فى

الحقيقة انتهى من سب الله (قوله اعتداء) أشار بذلك إلى أن عدوا مصدر ويصح أن يكون حالا مؤكدة لأن السب لا يكون لا عدوا (قوله أى جهلا منهم بالله) أى بما يجب في حقه (قوله كذلك زينا) نعت لمصدر محذوف أى زينا لهؤلاء أعلمهم زيننا مثل زيننا لكل أمة عملهم (قوله من الخير والشر) أشار بذلك إلى أن الآية رد على المعتزلة الزاعمين أن الله لا يريد الشرور ولا القبايح (قوله ثم إلى ربهم مرجعهم) مرتب على محذوف قدره المفسر بقوله فاتوه (قوله وأقسموا) أى حلفوا (قوله غاية اجتهدهم) أى لأنهم كانوا يحافون آبائهم وآلهتهم فإذا أرادوا تغليب البين حلفوا بالله (قوله لئن جاءتهم آية) حكاية عنهم والإلفظ لئن جاءتنا آية (قوله مما اقترحوا) أى طلبوا وذلك أن قريشا قالوا يا محمد إنك تخبرنا أن موسى كان له عصا يضرب بها الحجر فتفجر منه اثنتا عشرة عينا وتخبرنا أن عيسى كان يحيى الموتى فأتتنا بآية حتى نصدقك ونؤمن بك فتال رسول الله أى شئ تحبون قالوا تجعل لنا الصفا ذهباً وابتعث لنا بعض موتانا نسأله عنك أحق ماتقول أم باطل وأرنا الملائكة يشهدون لك فقال رسول الله إن فعات ماتقولون تصدقوني قالوا نعم والله لئن فعلت لتنبئك أجمعين وسأل المسلمون رسول الله أن ينزلها عليهم حتى يرضوا فقام رسول الله يدعو أن يجعل الصفا ذهباً فجاء جبريل وقال لك ماثلت إن شئت يصيح ذهباً ولكن إن لم يصدقك لتعذبهم وإن شئت تركتهم حتى يتوب تائبهم فقال رسول الله بل يتوب تائبهم فزات الآية. (قوله ليؤمنن بها) جواب القسم وحذف جواب الشرط لدلالة (٣٦) جواب القسم عليه (قوله قل إنما الآيات عند الله) أى لا عندى فالقادر على

إزالتها هو الله وينزلها على حسب ما يريد (قوله وما يشعركم) ما اسم استفهام مبتدأ وجملة يشعركم خبرها والكاف مفعول أول والثاني محذوف قدره المفسر بقوله بإيمانهم والخطاب للمؤمنين : أى وما يعلمكم أيها المؤمنون بإيمانهم وقوله إنما إذا جاءت بالكسر استئناف مسوق لقطع طمع المؤمنين من إيمان المشركين

اعتداء وظلماً (بغير علم) أى جهلا منهم بالله (كذلك) كما زيننا لهؤلاء ما هم عليه (زيننا لكل أمة عملهم) من الخير والشر فاتوه (ثم إلى ربهم مرجعهم) في الآخرة (فَيُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُوا يَمْكُونُ) فيجازيهم به (وَأَقْسَمُوا) أى كفار مكة (بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ) أى غاية اجتهدهم فيها (لَئِنْ جَاءَتْهُمْ آيَةٌ) مما اقترحوا (لَيُؤْمِنُنَّ بِهَا، قُلْ) لهم (إِنَّمَا الْآيَاتُ عِنْدَ اللَّهِ) ينزلها كما يشاء وإنما أنا نذير (وَمَا يُشْعِرُكُمْ) يدرىكم بإيمانهم إذا جاءت أى أتم لاتدرون ذلك (إِنَّمَا إِذَا جَاءَتْ لَا يُؤْمِنُونَ) لما سبق في علمي . وفي قراءة بالتاء خطاباً للكفار وفي أخرى ففتح أن بمعنى لعل أو معمولة لما قبلها (وَتَقَلَّبُ أَفْنَدَتُهُمْ) نحول قلوبهم عن الحق فلا يفهمونه (وَأَبْصَارُهُمْ) عنه فلا يبصرونه فلا يؤمنون (كَمَا لَمْ يُؤْمِنُوا بِهِ) أى بما أنزل من الآيات (أَوَّلَ مَرَّةٍ وَنَذَرُهُمْ) نتركهم (فِي طُغْيَانِهِمْ) ضلالهم (يَعْمَهُونَ) يترددون متحيرين (وَلَوْ أَنَّنَا نَزَّلْنَا إِلَهُمُ الْمَلَائِكَةَ وَكَلَّمَهُمُ الْمَوْتَى) كما اقترحوا (وَحَشَرْنَا) جمعنا (عَلَيْهِمْ،

كل

وتكذيب للمشركين في حافهم (قوله أى أتم لاتدرون) أشار بذلك

إلى أن الاستفهام إنكارى - بمعنى النفي (قوله وفي قراءة بالتاء) ظاهره أن هذه القراءة مع كسر إن وليس كذلك بل هي مع الفتح ، فلما نسب تأخيرها عن قوله وفي أخرى بفتح أن فالقراءات ثلاث : الكسر مع الياء لاغير والفتح إما مع الياء أو التاء (قوله بمعنى لعل) أى وحيى أن بمعنى لعل كثير شائع في كلام العرب واترجى في كلام الله مثل التحقيق فهى مساوية لقراءة الكسر (قوله أو معمولة لما قبلها) أى على أنها المفعول الثانى ولا إمالة أو داخله على محذوف والتقدير إذا جاءت لاتعلمون أنهم يؤمنون أو المقابل محذوف والتقدير إذا جاءت لا يؤمنون أو يؤمنون وهو إخبار عن الكفار على قراءة الياء وخطاب لهم على قراءة التاء (قوله وتقلب أفندتهم) استئناف مسوق لبيان أن خالق الهدى والضلال هو الله لاغيره فمن أراد الله له الهدى حول قلبه له ومن أراد الله شقارته حول قلبه لها (قوله كما لم يؤمنوا به) مرتبط بمحذوف قدره المفسر بقوله فلا يؤمنون والمعنى نحول قلوبهم عن الإيمان ثانياً كما حولناها أولاً لا عند نزول الآيات لو نزلت أى فهم لا يؤمنون على كل حال (قوله ونذرهم) عطف على لا يؤمنون (قوله يعمهمون) إمحال أو مفعول ثان لأن الترك بمعنى التصيير . وعنه من باب تعب إذا تردد متحيراً ماخوذاً من قولهم أرض عمها إذا لم يكن فيها أمارات تدل على النجاة (قوله ولو أننا نزلنا) هذه زيادة في الرد عليهم وتفصيل لما أنجل في قوله وما يشعركم أنها إذا جاءت لا يؤمنون (قوله كما اقترحوا) أى طلبوا بقولهم : لولا أنزل علينا الملائكة ، وقولهم : فاتوا بأبائنا .

(قوله كل شيء) أى من أصناف المخلوقات كالوحوش والطيور (قوله بضمين جمع قبيل) أى كنصيب ونصب وقصيب وقضب (قوله أى فوجا فوجا) تفسير لقبيل وأما قبلا فمعناه أنوجا أنوجا وعلى هذه القراءة فنصب قبلا على الحال (قوله وبكسر القاف وفتح الباء) أى وهى سبعة أيضا (قوله أى معاينة) أى فيقال فلان قبل فلان أى مواجهه ومعاينه وهو مصدر منصوب على الحال أى معاينين ومشافهين لكل شيء وصاحب الحال الهاء فى عليهم (قوله ما كانوا ليؤمنوا) جواب لو واللام فى ليؤمنوا لام الجحود ويؤمنوا منصوب بأن مضمره وجوبا بعد لام الجحود وخبر كان محذوف تقديره ما كانوا أهلا للإيمان (قوله إلا أن يشاء الله) قدر المفسر لكن إشارة إلى أن الاستثناء منقطع كما هو عادته وذلك لأن الشبهة ليس من جنس إرادتهم ، وقال بعضهم إن الاستثناء متصل والمعنى ما كانوا ليؤمنوا فى حال من الأحوال إلا فى حال مشيئة الله لهم بالإيمان (قوله يجهلون ذلك) أى يجهلون أن ظهور الآيات يوجب الإيمان ولو لم تصحبه مشيئة الله وهو توخيخ لهم حيث أقسموا بالله جهد أيمانهم إنه إذا جاءتهم الآيات يؤمنون مع أنه سبق فى علم الله شقاؤهم ومن هنا لا يبنى ترك المشيئة والاعتماد على الأسباب فقد يوجد السبب ولا يوجد السبب (قوله وكذلك جعلنا) هذا نسبية لرسول الله على ما وقع منهم من العداوة والكاف داخلة على التشبيه وهى بمعنى مثل . والمعنى مثل ما جعلنا لك أعداء من قومك جعلنا لكل نبيّ عدوا الخ فتسلّ ولا تحزن وجعل بمعنى صير فتنصب مفعولين الأول عدوا مؤخر والثانى لكل نبيّ مقدم وشياطين الانس والجنّ بدل وهذا مدرج عليه المفسر (٣٧) وقيل إن عدوا مفعول ثان وشياطين مفعول أول

ولكل نبي متعلق بمحذوف حال من عدوا (قوله لكل نبي) أى وإن لم يكن رسولا ولذا ورد أن الكفار قتلوا فى يوم واحد سبعين نبيا (قوله مردة) جمع مارد وهو المتمرد المستعد للشر وقدم شياطين الانس لأنهم أقوى فى الإيذاء . قال مالك بن دينار : إن شيطان الانس

كلّ شيء قبلاً بضمين جمع قبيل أى فوجا فوجا وبكسر القاف وفتح الباء أى معاينة فشمّوا بصدقك (ما كانوا ليؤمنوا) لما سبق فى علم الله (إلا) لكن (أَنْ يَشَاءَ اللهُ) إيمانهم فيؤمنون (ولكن أكرمهم يجهلون) ذلك (وكذلك جعلنا لكل نبيّ عدوا) كما جعلنا هؤلاء أعداءك ويبدل منه (شياطين) مردة (الانس والجنّ يوحى) يوسوس (بعضهم إلى بعض زخرف القول) مموهه من الباطل (غرورا) أى ليغروهم (ولو شاء ربك ما فعلوه) أى الإيحاء المذكور (فذرهم) دع الكفار (وما يفترون) من الكفر وغيره مما زين لهم وهذا قبل الأمر بالقتال (ولتصنعي) عطف على غرورا أى تميل (إليه) أى الزخرف (أفئدة) قلوب (الذين لا يؤمنون بالآخرة ولا يبرؤوه وليقتروا) يكتسبوا (ما هم مقترون) من الذنوب فيعاقبوا عليه . ونزل لما طلبوا من النبي صلى الله عليه وسلم أن يجعل بينه وبينهم حكما

أشد على من شيطان الجنّ وذلك إذا تعوذت بالله ذهب عنى شيطان الجنّ وشيطان الانس يجئنى فيجترئى إلى المعاصى . وقال الفزالي : كن من شياطين الجنّ فى أمان ، واحذر من شياطين الانس فإن شياطين الانس أراحوا شياطين الجنّ من التعب وهذا على أن المراد شياطين من الانس وشياطين من الجنّ ، وقيل إن الشياطين كلهم من إبليس وذلك أنه فرق أولاده فرقتين ففرقة توسوس للانسان وتسمى شياطين الانس ، وفرقة توسوس لصاحبه الجنّ وتسمى شياطين الجنّ وكلّ صحيح (قوله يوحى بعضهم) أى وهو شيطان الجنّ وقوله إلى بعض : أى وهو شيطان الانس قال تعالى - كمثل الشيطان إذ قال للانسان ١ كفر فلما كفر قال إني برى منك - (قوله من الباطل) بيان لزخرف القول وأشار به إلى أن المراد بالزخرف المموه الظاهر الفاسد الباطن (قوله أى ليغروهم) أشار بذلك إلى أن قوله غرورا مفعول لأجله (قوله ولو شاء ربك) مفعول شاء محذوف تقديره عدم فعلهم (قوله وما يفترون) ما اسم موصول أونكرة موصوفة وجملة يفترون صلة أوصفة والعائد محذوف تقديره فذرهم والذى يفترونه أو مصدرية والتقدير فذرهم وافترأهم (قوله وهذا قبل لأمر بالقتال) أى فهى منسوخة (قوله عطف على غرورا) أى فاللام للتعليل وما بين الجملتين اعتراض والتقدير يوحى بعضهم إلى بعض للغرور ولتصنعي (قوله وليبرؤوه) أى يحبوه لأنفسهم (قوله من الذنوب) بيان لما وقوله فيعاقبوا أشار بذلك إلى أن الكلام على حذف مضاف ، والتقدير وليقتروا عقاب ما هم مقترون (قوله لما طلبوا) أى قريس (قوله أن يجعل بينه وبينهم حكما) أى من أخبار اليهود أو من أساقفة النصارى ليخبرهم بما فى كتابهم من أوصاف النهي وأمره ،

(قوله أفغير الله) الهزمة داخلية على محذوف والفاء عاطفة على ذلك المحذوف والتقدير أأميل لخرافكم التي زينها الشيطان فغير الله أبتنى حكماً وغير مفعول لأبتنى وحكما حال أو تمييز أو حكماً مفعول وغير حال والحكم أبلغ من الحاكم لأن الحكم من تكرار منه الحكم وأما الحاكم فيصدق ولو بمرة أو لأن الحكم لايجوز أصلاً والحاكم قد يجوز (قوله وهو الذي أنزل) الجملة خالية كأنه قال أفغير الله أطلب حكماً والحال أن الله هو الذي أنزل إليكم الكتاب مفصلاً فلهي يشهد لي هو القرآن وأما الكتب القديمة فانها وإن كانت تشهد له أيضاً لكن لما غيروا وبدلوا صارت غير معول عليها (قوله وأصحابه) أي ممن أسلم من علماء اليهود (قوله يعلمون أنه) أي الكتاب (قوله بالتخفيف والتشديد) أي فهما قراءتان سبعيتان (قوله بالحق) متعلق بمحذوف حال والتقدير أنه منزل من ربك حال كونه ملتبساً بالحق (قوله والمراد بذلك التقرير الخ) دفع بذلك ما يقال إن الشك مستحيل على النبي فكيف ينهى عما يستحيل وصفه به فأجاب بما ذكر . وأجيب أيضاً بأنه من باب التعريض للكفار بأنهم هم الممترون فالخطاب له والراد غيره (قوله وتمت كلمات ربك) أي القرآن وفيها قراءتان الجمع والافراد فالجمع ظاهر والافراد على إرادة الجنس والمباهية وترسم بالتاء المجرورة على كل من القراءتين وهكذا كل ما قرئ بالجمع والافراد إلاموضعين أحدهما في يونس في قوله تعالى - إن الذين حقت عليهم كلمة ربك - وثانيهما في غافر في قوله تعالى - وكذلك حقت كلمة ربك - فاختلف فيها الصاحف فبعضهم بالتاء المجرورة (٣٨) وبعضهم بالتاء الربوطة (قوله بالأحكام والمواعيد) راجع لقوله صدقا

وعدلاً على سبيل ألف والنشر المشوش ولو أخره لكان أحسن والمعنى تمت كلمات ربك من جهة الصدق كالأخبار والمواعيد والعدل كالأحكام فلاجور فيها بهذا إخبار من الله بحفظ القرآن من التغير والتبديل كواقع في الكتب المتقدمة وذلك سر قوله تعالى - إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون - وقوله تعالى -

(أَفْغَيْرَ اللَّهِ أَتَبْتَنِي) أطلب (حَكَمًا) قاضياً بيني وبينكم (وَهُوَ الَّذِي أَنْزَلَ إِلَيْكُمُ الْكِتَابَ) القرآن (مُفَصَّلًا) مبيناً فيه الحق من الباطل (وَالَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ) التوراة كعبد الله بن سلام وأصحابه (يَعْلَمُونَ أَنَّهُ مُنْزَلٌ) بالتخفيف والتشديد (مِنْ رَبِّكَ بِالْحَقِّ فَلَا تَكُونُ مِنَ الْمُنْتَرِينَ) الشاكين فيه والمراد بذلك التقرير للكفار أنه حق (وَتَمَّتْ كَلِمَاتُ رَبِّكَ) بالأحكام والمواعيد (صِدْقًا وَعَدْلًا) تمييز (لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ) بنقض أو خلف (وَهُوَ السَّمِيعُ) لما يقال (الْعَلِيمُ) بما يفعل (وَإِنْ تُطِيعُوا أَمْرًا مِنْ فِي الْأَرْضِ) أي الكفار (يُضِلُّوكُمْ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ) دينه (إِنْ) ما (يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ) في مجادلتهم لك في أمر الميتة إذ قالوا ما قتل الله أحق أن تأكلوه مما قتلتم (وَإِنْ) ما (هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ) يكذبون في ذلك (إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ) أي عالم (مَنْ يَضِلُّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ) فيجازي كلانهم (فَكُلُّوا مِمَّا ذُكِّرَ أَمْرُ اللَّهِ عَلَيْهِ) أي ذبح على اسمه (إِنْ كُنْتُمْ بِآيَاتِهِ مُؤْمِنِينَ)

ومالك

فرقناه لتقرأه على الناس على مكث - (قوله تمييز) أي على

التوزيع أي صدقا في مواعيده وعدلاً في أحكامه ويصح أن يكون حالاً من ربك ويؤول المصدر باسم الفاعل أي حال كونه صادقا وعدلاً (قوله لا مبدل لكلماته) هذا كالتوكيد لقوله وتمت كلمات ربك وقوله بنقض أو خلف راجع لقوله صدقا وعدلاً على سبيل ألف والنشر الارب (قوله أي الكفار) تفسير للأكثر (قوله إن يتبعون) قدر المفسر ما إشارة إلى أن إن نافية بمعنى ما (قوله إذ قالوا الخ) إشارة لسبب نزول هذه الآية وما بعدها وذلك أن المشركين قالوا للنبي أخبرنا عن الشاة إذا ماتت من قتلها فقال الله قتلها قالوا أنت نزع أن ماتت أنت وأصحابك حلال وما قتلها الكلب والصقر حلال وما قتلها الله حرام فكيف تدعون أنكم تعبدون الله ولأننا كلون ما قتل ربكم فما قتل الله أحق أن تأكلوه مما قتلتم أنتم (قوله إلا يخرصون) الخرص في الأصل الحرز والتخمين ومنه خرص النخلة وقوله يكذبون معي الخرص كذباً لأن فيه تتبع الظنون الكاذبة (قوله في ذلك) أي في قولهم ما قتل الله أحق أن تأكلوه مما قتلتم (قوله أي عالم) دفع بذلك ما يقال إن أعمل التفضيل بعض ما يضاف إليه فأجاب بأن اسم التفضيل مؤول باسم الفاعل . وأجيب أيضاً بأن قوله من يضل مفعول لمحذوف تقديره يعلم من يضل أو منصوب بنزع الخافض والتقدير بمن يضل يدل عليه قوله بعد: وهو أعلم بالمهتدين (قوله فكلوا مما ذكر اسم الله عليه) هذا رد لقولهم المتقدم فإن الميتة لم يذكر عليها اسم الله. واختلف في طلب ذكر اسم الله فعند مالك الوجوب مع الذكر وعند الشافعي السنية .

والمراد بذكر اسم الله هنا عدم ذكر اسم غيره كالأصنام ليدخل ما إذا نسي التسمية فأنها تؤكل وسيأتي إيضاح ذلك (قوله وما لكم ألا تأكلوا) هذا تأكيد لإباحة ما ذبح على اسم الله وما استفهام مبتدأ ولكم خبره والتقدير أى شيء، ثبت لكم في عدم أكلكم الخ (قوله وقد فصل) أى بين وميز والواو للحال (قوله بالبناء للفعول وللفاعل) أى فهما قراءتان سبعيتان وبقي ثالثة وهى بناء الأول للفاعل والثانى للفعول (قوله فى الفعلين) أى فصل وحرّم (قوله فى آية حرمت عليكم الميتة) أى التى ذكرت فى المائدة . وفى المقام إشكال أورده غير الدين الرازى وهو أن سورة الأنعام متقدمة على سورة المائدة مدنية من آخر القرآن نزولاً بالمدينة . وأجيب بأن الله علم أن سورة المائدة متقدمة على سورة الأنعام فى الترتيب لافى النزول بهذا الاعتبار حسنت الحوالة عاينها لسبقية علم الله بذلك ، وقال بعضهم الأولى أن يأتى وقد فصل لكم الخ أى فى قوله قل لأجدا فيما أوحى إلى محرمات الآية وهذه وإن كانت مذكورة بعد إلا أنه لا يمنع الاستدلال بها للاتحاد فى وقت النزول (قوله إلا ما اضطررتم إليه) استثناء منقطع لأن ما اضطر إليه ليس داخلًا فى الحرم (قوله فهو أيضا حلال لكم) أى وهل يشيع ويتزود منها أو يقتصر على ما يستد الرمي خلاف بين العلماء (قوله المعنى لا مانع لكم) أشار بذلك إلى أن الاستفهام إنكارى (قوله وهذا ليس منه) أى من الحرم وأما ما لم ينص على حرمة ولا حله فهو من قبل الحل لأنه ذكر أشياء استثنى الحرام منها فالحرمان محدود معروف فمثل القهوة والدخان غير محرم إلا أن يطرأ له ما يحرمه كالأسراف وتبذير العقل . وحاصل ذلك أن يقل إن اعتاد ذلك وصار دواء له فهو جائز لكن بقدر الضرورة وإن كان يضر جسمه (٣٩) أو يسرف فيه فهو حرام وإن اشتغل

به عن عبادة مندوبة فهو مكروه فكثيرته إباحة أو مكروه (قوله بفتح الياء) أى من ضل اللزوم بمعنى قام به الضلال فى نفسه وقوله وضما أى من أضل لرباعى بمعنى أوقع غيره فى الضلال (قوله بأهوائهم) الباء سببية وفى قوله بغير علم متعلق بمحذوف حال والمعنى يضلون فى أنفسهم

وَمَا لَكُمْ أَلَّا تَأْكُلُوا مِمَّا ذُكِّرَ أَمْرُهُ لَكُمْ (وَقَدْ فَصَّلَ) بالبناء للفعول وللفاعل فى الفعلين (لَكُمْ) مَا حُرِّمَ عَلَيْكُمْ) فى آية : حرمت عليكم الميتة (إِلَّا مَا اضْطُرُّرْتُمْ إِلَيْهِ) منه فهو أيضا حلال لكم ، المعنى لا مانع لكم من أكل ما ذكر وقد بين لكم الحرم أكله وهذا ليس منه (وَأَنَّ كَثِيرًا لَيَضِلُّونَ) بفتح الياء وضما (بأهوائهم) بما تهووا أنفسهم من تحليل الميتة وغيرها (بِغَيْرِ عِلْمٍ) يعتمدونه فى ذلك (إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِالْمُعْتَدِينَ) المتجاوزين الحلال إلى الحرام (وَذَرُوا) أتركوا (ظَاهِرَ الْإِنِّمِ وَبَاطِنَهُ) علانيته وسره والآنم قيل الزنا وقيل كل معصية (إِنَّ الَّذِينَ يَكْسِبُونَ الْإِنِّمَ سَيُجْزَوْنَ) فى الآخرة (بِمَا كَانُوا يَفْقَرُونَ) يكتسبون (وَلَا تَأْكُلُوا مِمَّا لَمْ يَذْكُرْ أَمْرُهُ لَكُمْ) بأن مات ،

أو يوقعون غيرهم فى الضلال بسبب اتباعهم هواهم ملتبسين بغير علم (قوله وغيرها) أى كالدم ولحم الخنزير إلى آخر ما ذكر فى آية المائدة (قوله إن ربك هو أعلم بالمعتدين) أى فيجازيهم على اعتدائهم (قوله وذروا) الأمر للكافرين من الناس والجن وهو اللوجوب (قوله علانيته وسره) لف ونشر مرتب (قوله قيل زنا) أى وكان العرب يحبون . وكان الشريف منهم يستحي من إظهاره فيفعله سرا وغير الشريف لا يستحي من ذلك فيظهره فأنزل الله تحريمه ظاهرا وباطنا (قوله وقيل كل معصية) أى فلما ظهر منها كالزنا والسرقة وبقية معاصي الجوارح الظاهرية والباطن منها كالكبر والحتد والحسد والعجب والرياء وحب الرياسة وغير ذلك من المعاصي القلبية وهذا التفسير هو الأقرب وإن كان الأول موافقا لسبب النزول لأمر تعبيرة بعموم اللفظ لأشخاص السبب (قوله سيجزون فى الآخرة) أى بالعذاب الدائم إن كان مستحلا أو بالعذاب مدة ويخرج إن لم يكن مستحلا ومات من غير توبة ولم يهف الله عنه فإن تاب الكافر قبل قطعا وإن تاب المسلم فليل كذلك وقيل تقبل ظنا . إن قلت لأى شيء اختلف فى توبة المسلم دون الكافر . أجيب بأن رحمة الله سبقت غضبه فلو جاز عدم القبول لتوبة الكافر لكان محلا فى النار مع أن رحمته غلبت غضبه . وأما المؤمن فهو مقطوع له بالجنة فلو لم يقبل توبته وغذبه فلا بد له من الرحمة انتهاء غاية ما هناك عذابه تطهير له (قوله ولأن تأكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه) اختلف فى تفسير هذه الآية فقال بعض المجتهدين غير الأربعة الآية عامة فى كل شيء فأى شيء لم يذكر اسم الله عليه لا يجوز أكله ، وقال بعضهم الآية مخصوصة بالديعة ففى ترك التسمية عمدا أو نسيانا لا تؤكل ذبيحته ، وقال بعضهم إن تركها عمدا لا تؤكل وإن تركها نسيانا

أو همزاً تخرس ! كت به قال مالك وأبو حنيفة ، وقال بعضهم التسمية سنة فان تركها عبداً أو نسياناً أسكت وبه قال الإمام الشافعي ، وعن الإمام أحمد روايتان الأولى يوافق فيها مالك والثانية يوافق فيها الشافعي إذا علمت ذلك فحمل الآية مأهل به لغير الله فقط لأنه للفسر به الفسق فيما يأتي في قوله تعالى - أو نسقا أهل لغير الله به - وأما حكم الميتة فمعلوم من غير هذا الوضع وحملها المفسر عليهما معا وهما طريقتان (قوله أو ذبح على اسم غيره) أي وإن لم يذكر اسم غير الله وأما الكتاني إذا لم يذكر اسم الله ولم يهل به لغيره فانها تؤكل فان جمع الكتاني بين اسم الله واسم غيره أسكت ذبيحته عند مالك لأن اسم الله يعاو ولا يعلى عليه وأما المسلم إن جمع بينهما على وجه التشريك في العبودية فهو مرتد لا تؤكل ذبيحته (قوله وعليه الشافعي) أي فالتسمية عنده سنة (قوله أي الأكل منه) أي المفهوم من لانا كلاً على حد اعدلوا هو أقرب للتعوى أي العدل المفهوم من اعدلوا (قوله وإن الشياطين) أي إبليس وجنوده من الجن (قوله الكفار) أي وهم شياطين الانس (قوله ليجادلوكم) تعليل ليوحون ، وذلك أن للشركيين قالوا يا محمد أخبرنا عن الشاة إذا ماتت من قتلها ؟ فقال الله قتلها ، قالوا تزعم أن ما قتلته أنت وأصحابك حلال وما قتلته الله حرام فزلت (قوله إنكم لمشركون) أي لأن من أحل شيئاً مما حرم الله أو حرم شيئاً مما أحل الله فهو مشرك لأنه أثبت ما كفا غير الله ولا شك أنه إشراك (قوله وغيره) أي كعمر بن الخطاب أو حمزة أو عمار بن ياسر أو النبي صلى الله عليه وسلم ولكن العبرة بعموم اللفظ فهذا المثل للكافر والمسلم وسبب نزولها على القول (٤٠) بأنها في أبي جهل وحمزة أن أبا جهل رمى النبي صلى الله عليه وسلم

بفرث فأخبر حمزة بما فعل أبو جهل وكان حمزة قد رجح من صيد ويده قوس وحمزة لم يكن مؤمناً إذ ذاك فأقبل حمزة غضبان حتى علا أبا جهل وجعل يضربه بالقوس وجعل أبو جهل يتضرع إلى حمزة ويقول: يا أبا يعلى ألا ترى ما جاء به سيفه عقولنا وسب

أو ذبح على اسم غيره وإلا فما ذبحه المسلم ولم يسم فيه عدداً أو نسياناً فهو حلال قاله ابن عباس وعليه الشافعي (وإنه) أي الأكل منه (لفسق) خروج عما يحل (وإن الشياطين ليؤخون) يوسوسون (إلى أوليائهم) الكفار (ليجادلوكم) في تحليل الميتة (وإن أطعمتموهم) فيه (إنكم لمشركون) وتزل في أبي جهل وغيره (أو من كان ميتاً) بالكفر (فأخييناه) بالهدى (وجعلنا له نوراً يمشي به في الناس) يتبصر به الحق من غيره وهو الإيمان (كمن مثله) مثل زائدة أي كمن هو (في الظلمات ليس بخارج منها) وهو الكافر ، لا (كذلك) كما زين للمؤمنين الإيمان (زين للكافرين ما كانوا يعملون) من الكفر والمعاصي (وكذلك) كما جعلنا فساق مكة أكابرها (جعلنا في كل قرية أكابر مجرميها ،

ليذكروا

آلهتنا وخالف آباءنا ، فقال حمزة ومن أسفه

منكم عقولا تعبدون الحجارة من دون الله ، أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً رسول الله ، فأسلم حمزة يومئذ فزلت الآية (قوله أو من كان ميتاً) الممزة داخلة على محذوف والواو عاطفة على ذلك المحذوف تقديره أيتوبان ومن كان ميتاً الخ ومن اسم شرط مبتدأ وكان فعل الشرط واسمها مستتر وميتاً خبرها وقوله فأخييناه جواب الشرط وقوله كمن مثله خبر المبتدأ (قوله بالهدى) أي الإيمان (قوله مثل زائدة) أي لأن المثل هو الصفة والمستقر في الظلمات ذواتهم لأصغاتهم (قوله ليس بخارج منها) هذا إخبار من الله بعدم إيمان أبي جهل رأسا ولكن تقدم أن العبرة بعموم اللفظ (قوله لا) أي لا يستويان وأشار بذلك إلى أن استهفام إنكارى (كما زين للمؤمنين الإيمان) أي لقوله تعالى - ولكن الله يحب إليكم الإيمان وزينه في قلوبكم - (قوله زين للكافرين ما كانوا يعملون) أي والمزين لهم حقيقة هو الله ويصح نسبة التزيين إلى الشياطين من حيث الاغواء والوسوسة (قوله وكذلك) الكاف اسم بمعنى مثل ، والمعنى ومثل ما جعلنا في مكة كبراءا وعظماءا الجرمين جعلنا في كل قرية كبراءا وعظماءا مجرميها ، فذلك سنة الله أنه جعل أول من يقتدى بالرسول الضعفاء والمعارضين المنكرين الكبراء ليكون عز الرسل برههم ظاهرا وباطنا وكل آية وردت في ذم الكفار تجرّ بذيلها على عصاة الأمة فان المباشر للظلم والفجور أكابر كل قرية ومدينة كما هو مشاهد (قوله فساق مكة) هو معنى مجرميها وحل المفسر يفيد أن مجرميها مفعول أول مؤخر وأكابر مفعول ثان مقسم وفي كل قرية ظرف لنوم متعلق بجعلنا وهو أحد أعلام أربعة

الثاني أن قوله في كل قرية مفعول ثان مقسم وأكابر مفعول أول مؤخر وهو مضاف لجرمها وأخر المفعول الأول لأن فيه ضميرا يعود على المفعول الثاني فلو قدم لعاد الضمير على متأخر لفظا ورتبة ، وقد أشار ابن مالك لذلك بقوله :

كذا إذا عاد عليه مضمرا مما به عنه مبينا يخبر فيصير للغي وكذلك جعلنا عظماء المجرمين كائنين في كل قرية . الثالث أن في كل قرية مفعول ثان وأكابر مفعول أول وجرمها بدل من أكابر ولم يضاف لثلاث بلزم عليه إضافة الصفة للموصوف وهو لا يجوز عند البصريين . الرابع أن أكابر مفعول أول مضاف لجرمها وفي كل قرية ظرف لنومته ملق بجعلنا والمفعول الثاني محذوف تقديره فساقا ورد بأن هذا التقدير لا فائدة فيه ولا حوج له فالأحسن الثلاثة الأول (قوله ليحكموا فيها) اللام إمام العاقبة والصبرورة نظير - فالتقطه آل فرعون ليكون لهم عدوا وحزنا - أولام العلة بمعنى الحكمة ، وأما قولهم تنزه الله عن العلة فعناء العلة الباعثة على الفعل ليتكلم به ، وأما الحكم فلا تخلو أفعال الله عنها سبحانه ما خلقت هذا عبثا والمكر الخديعة والحيلة والفدر والفجور وترويح الباطل وهذه الأشياء لا تقبل عادة إلا من الكبراء (قوله بالصدق عن الإيمان) أي لما ورد أن كل طريق من طرق مكة كان يجلس عليه أربعة يصرفون الناس عن الإيمان بالنبي صلى الله عليه وسلم ويقولون هو كذاب ساحر كاهن (قوله لأن وباله عليهم) أي وبال مكرم لاحق بهم . قال تعالى - ولا يحق للمكرهين إلا بأهله - وقال أيضا - سيصيب الذين أجرموا صغار عند الله - الآية (قوله وما يشعرون بذلك) أي لم يعلموا بأن وباله عليهم (قوله وإذا جاءتهم آية) نزلت في الوليد بن المغيرة حيث قال للنبي : لو كانت النبوة حقا لكنت أنا أولى بها منك لآتي أكبر منك سنا وأكبر منك مالا ، وقيل في أبي جهل حيث قال : زاحمنا بنو عبد مناف في الشرف حتى إذا صرنا كفرسي (٤١)

والله لا تؤمن به ولا تنمعه أبدا إلا أن يأتينا وحى كما يأتيه (قوله آية) أي معجزة كاشتقاق القمر وحنين الجذع ونبيع للماء (قوله لن تؤمن) أي تصدق برسالته (قوله مثل ما أوتي رسل الله) قال بعضهم : يسق الوقف

يَمَكُرُوا فِيهَا) بالصدق عن الإيمان (وَمَا تَمَكُرُونَ إِلَّا بِأَنْفُسِهِمْ) لأن وباله عليهم (وَمَا يَشْعُرُونَ) بذلك (وَإِذَا جَاءَهُمْ) أي أهل مكة (آيَةٌ) على صدق النبي صلى الله عليه وسلم (قَالُوا لَنْ نُؤْمِنَ) به (حَتَّى تَأْتِيَ مِثْلَ مَا أُوتِيَ رَسُولُ اللَّهِ) من الرسالة والوحى إلينا لأننا أكثر مالا وأكبر سنا ، قال تعالى (اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَاتِهِ) بالجمع والافراد وحيث مفعول به لفعل دل عليه أعلم أي يعلم الموضع الصالح لوضعها فيه فيضعها وهو لاء ليسوا أهلا لها (سَيُصِيبُ الَّذِينَ أَجْرَمُوا) بقولهم ذلك (صَغَارٌ) ذُلٌّ (عِنْدَ اللَّهِ وَعَذَابٌ شَدِيدٌ) بما كانوا يَمَكُرُونَ) أي بسبب مكرم (فَن يُرِدِ اللَّهُ أَنْ ،

عليه هنا ويستجاب الدعاء بين هاتين الجلاتين ، وذ كر بعضهم له دعاء مخصوصا وهو : اللهم من الذى دعاك فلم تجبه ومن الذى استجارك فلم تجره ومن الذى سألك فلم تعطه ومن الذى استعان بك فلم تنعه ومن الذى توكل عليك فلم تكفه يا غوثنا يا غوثنا يا غوثنا بك أستغيث أغثنى يا مغيث واهدنى هداية من عندك واقض حوائجنا واشف مرضانا واقض ديوتنا واغفر لنا ولآبائنا ولأمهاتنا بحق القرآن العظيم والرسول الكريم برحمتك يا أرحم الراحمين اه (قوله قال تعالى) أي رداً عليهم (قوله لفعل دل عليه أعلم) دفع بذلك ما يقال مع أن حيث مفعول به وليست هرفاً لأنها كناية عن الذات التي قامت بها الرسالة واسم التفضيل لا ينصب المفعول به فأجاب بما ذكر . وأجيب أيضا بأن اسم التفضيل ليس على بابة بل هو مؤول باسم الفاعل وهذا أولى لأن الالتقدير فيه خير مما فيه تقدير وأيضا يدفع توهم للمشاركة بين علم القديم والحادث ، والحاصل أن اسم التفضيل في أسماء الله وصفاته كأكرم وأعلم وأعظم وأجل ليس على بابة (قوله الموضع الصالح لوضعها فيه) أي الذات التي تستحق الرسالة وهو محمد صلى الله عليه وسلم (قوله الذين أجرموا) أي وماتوا على الكفر (قوله صغار) كصحاب مصدر صغر كتب معناه الذلل والموان ، وأما الصغر ضد الكبر فيقال فيه صغرا بالضم كعظم فهو صغير (قوله عند الله) إما طريق ليصيب أولصغار والعندية مجازية كناية عن الحصر والوقوف بين يديه والحساب والجزاء (قوله أي بسبب مكرم) أشار بذلك إلى أن الباء سببية وما مصدرية (قوله فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره) اعلم أن الله سبحانه وتعالى جعل خلقه في الأزل قسمين شقي وسعيد وجعل لكل علامة تدل عليه فعلامة السعادة شرح الصدر للاسلام وقبوله لما يرد عليه من النور والأحكام وعلامة الشقاوة ضيق الصدر وعدم قبوله لذلك ، [٦ - صاوى - ثاني] وجعل لكل قسم في الآخرة دارا يسكنونها فلاهل السعادة الجنة ونعيمها ولأهل الشقاوة

النور وعذابها لما في الحديث « إن الله خلق خلقا وقال هؤلاء للجنة ولا أبالي وخلق خلقا وقال هؤلاء للنار ولا أبالي » فذكر في هذه الآية علامة كل قسم فاذارزق الله العبد شرح الصدر وأسكنه حلالة الإيمان فليعلم أن الله أعظم عليه النعمة :

• وبضدها تميز الأشياء ومن اسم شرط ويرد فعل الشرط ويشرح جوابه (قوله يهديه) أى يوصله المقصود وليس للراد الدلالة لأنها هي شرح الصدر (قوله يشرح صدره) الشرح في الأصل التوسيع والمراد هنا لازمه وهو أن يقذف الله في قلب الشخص النور حتى تكون أحواله مرضية لله لأنه يلزم من الوسع قبول ما يحل فيه (قوله كما ورد في حديث) أنه وهو أنه لما نزلت هذه الآية سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن شرح الصدر فقال « هو نور يقذفه الله في قلب المؤمن فيشرح له ويفتح » قيل فهل لذلك أمانة ؟ قال نعم الانابة إلى دار الخلود والتجافي عن دار الضرر والاستعداد للموت قبل نزول الموت وفي رواية « قبل لقي الموت » (قوله ومن يرد أن يضل) أى يمنعه عن الوصول ويسكنه دار العقاب ويطرده عن رحمته ومن اسم شرط ويرد فعل الشرط ويجعل جوابه وجعل بمعنى صير مصدره مفعول أول وضيق مفعول ثان وحر جاصفته ، والمعنى أن من أراد الله شقاوته وطرده عن رحمته ضيق قلبه فلا يقبل شيئا من أصول الاسلام ولا من فروعه ولو قطع إربا وإربا وعلامة ذلك إذا ذكر التوحيد فترقبه واشتأز وإن نطق بلسانه كأهل النفاق . قال تعالى - وإذا ذكر الله وحده اشتأزت قلوب الذين لا يؤمنون بالآخرة - الآية (قوله بالتخفيف والتشديد) أى كبت وميت قراءتان سبعيتان (قوله شديد الضيق) أى زائده فلا يقبل شيئا من الهدى أصلا (قوله بكسر الراء صفة) أى اسم (٤٣) فاعل كفرح فهو فرح (قوله وصف به مبالغة) أى أوطى حذف مضاف : أى

ذا خرج على حد زيد هذل
(قوله كأنما يهدى) أى
يشكك الصعود فلا
يستطيعه (قوله وفيهما
إدغام التاء في الأصل) أى
بعد قلبها صاد فأصل الأولى
يتصعد وأصل الثانية
يتصاعد وهاتان القراءتان
مع تشديد ضيقا وكسرا
حرجا أو فتحها ، وأما قوله
وفي أخرى بسكونها فهي

يَهْدِيهِ يَشْرَحُ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ) بأن يقذف في قلبه نورا فينفسح له ويقبله كما ورد في حديث (وَمَنْ يُرِدْ) الله (أَنْ يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا) بالتخفيف والتشديد عن قبوله (حَرِجًا) شديد الضيق بكسر الراء حنفة وفتحها مصدر وصف به مبالغة (كَأَنَّمَا يَصْعَدُ) وفي قراءة يصاعد وفيهما إدغام التاء في الأصل في الصاد وفي أخرى بسكونها (فِي السَّمَاءِ) إذا كلف الإيمان لشدة عليه (كَذَلِكَ) الجمل (يَجْعَلُ اللَّهُ الرَّجْسَ) المذاب أو الشيطان أى يسلطه (عَلَى الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ . وَهَذَا) الذى أنت عليه يا محمد (صِرَاطُ) طريق (رَبِّكَ مُسْتَقِيمًا) لا عوج فيه ونصبه على الحال المؤكدة للجملة والعامل فيها معنى الإشارة (قَدْ فَصَّلْنَا) بينا (الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يُذَكِّرُونَ) فيه إدغام التاء في الأصل في الذال أى يتمظنون وخصوا بالله كبر لأنهم هم المنتفعون

قراءة من خفف ضيقا وفتح حرجا فالخفف للتحفف والمشدد للمشدد (قوله لشدة عليه)

(لم)

أى لتعسر الإيمان عليه فإن القلب بيد الله يسكن فيه أى الأمرين شاء وليس ماعوكا لصاحبه وحيث قد فلا ينبغي له أن يأمن لما هو في قلبه من الإيمان ومحبة الله ورسوله ، ومن هنا علمنا الله طلب الهداية على سبيل الدوام مع كونها حاصلة بقوله - أهدنا الصراط المستقيم - وبقوله - ربنا أنزع قلوبنا بعد إذ هديتنا - الآية وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « اللهم يامقلب القلوب والأبصار ثبت قلبي على دينك » ولذا خاف العارفون ولم يسكنوا إلى علم ولا مهمل لما علموا أن القلوب بيد الله يقبلها كيف يشاء ولا يأمنون حتى تقبض أرواحهم على الإيمان ولكن شأن الكريم إن من تم لأنه وعد منه وهو لا يخلف (قوله أى يسلطه) أى الشيطان وهو تنسب لأجعل على التفسير الثانى ، وأما تفسيره على الأول فعناه يلقي ويصيب (قوله الذى أنت عليه) أى وهو الاسلام (قوله صراط ربك) شبه دين الاسلام بالصراط المستقيم الذى لا عوجاج فيه واستعار اسم المشبه به للمشبه على طريق الاستعارة التصريحية الأصلية (قوله ونصبه على الحال المؤكدة للجملة) المناسب أن يقول المؤكدة لصراط لأن الحال المؤكدة للجملة عاملها مضمرة قال ابن مالك :

وإن تؤكد جملة فمضمرة عاملها ولفظها يؤخر

فيخافيه قوله والعامل فيها معنى الإشارة (قوله معنى الإشارة) المناسب أن يقول والعامل فيها اسم الإشارة باعتبار ما فيه من معنى الفعل وهو أشير (قوله فيه إدغام التاء في الأصل) أى بعد قلبها ذالا (قوله وخصوا بالله كبر لأنهم المنتفعون) أى المؤمنون بأمره للمنتفعين بنبيه وهم الصالحون المتقون فبقاء القرآن دليل على بقاء جماعة على قسم النبي بدليل هذه الآية وآية - الله نزل أحسن

الحديث كتاباً مفتاحاً - ولا عبرة بمن يقول عدمت الصالحون وربما قال أنا لم أر أحداً منهم ، فقد قال ابن عطاء الله : أولياء الله عرائن مخررة ولا يرى العرائس المجرمون (قوله لهم دار السلام) الجار والمجرور خبر مقيم ودار السلام مبتدأ مؤخر والجملة محتمل أن تكون مستأنفة واقعة في جواب سؤال مقدر تقديره وما جزاء من ينتفع بالله كرى فأجاب بقوله - لهم دار السلام - ويحتمل أن يكون حالا من القوم أو صفة لهم ، والتقدير قد فصلنا الآيات لقوم يذكرون حال كونهم لهم دار السلام أو موصوفين بكونهم لهم دار السلام (قوله أى السلامة) أى من جميع المخاوف والسيئات لأن بدخولها يحصل الأمن التام من جميع السيئات حتى للوث ويصح أن المراد بالسلام التحية الواقعة من الله والملائكة . قال تعالى - تحيتهم فيها سلام - وقال - والملائكة يدخلون عليهم من كل باب سلام عليكم - وقال - لا يسمعون فيها لغوا ولا تأثيماً إلا قِيلاً سلاماً سلاماً - (قوله وهى الجنة) أشار بذلك إلى أن المراد بدار السلام ما يعم باقى الجنان ، وليس المراد خصوص الدار المسماة بدار السلام (قوله عند ربهم) العندية عندية شرف بمعنى أنها مفسوبة لله خاصة وليس لأحد فيهامنة أو المعنى أن من دخلها كان فى حضرة ربه لا يشهد شيئاً سواه ولا يحجب بنعيمها عن مولاه بل كلما ازداد من الجنة نعيماً ازداد قرباً من الله وزالت الحجب عن قلبه بخلاف الدنيا إذا اشتغل بشئ من زينتها بعد عن الله فكما ازداد فيها شغلاً ازداد بعداً عن الله فلا يخلص منها إلا من جاهد نفسه وخرج عن هواه (قوله وهو وليهم) الجملة حالية ، والمعنى ناصرهم ومتولى أمورهم ، وقوله بما كانوا يعملون الباء سببية ومصدرية ، والتقدير بسبب عملهم السابق تولاهم وأدخلهم حضرة قربى (قوله ويوم نحشرهم) يوم ظرف معمول لمحذوف قدره المفسر بقوله اذ كر (قوله بالنون والياء) أى فهما قراءتان سبعيتان (قوله أى الله) تفسير للضمير على قراءة الياء (٤٣) والنون على القراءة الأخرى

(قوله الخالق) أى جميع الحيوانات عقلاء وغيرهم (قوله جميعاً) توكيد للضمير أحوال منه (قوله يامعشر الجن) معمول لمحذوف قدره المفسر بقوله ويقال لهم وليس معمولاً لنحشرهم بل هما جملتان

(لَهُمْ دَارُ السَّلَامِ) أى السلامة وهى الجنة (عِنْدَ رَبِّهِمْ وَهُوَ وَلِيُّهُمْ) بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ . (وَ) اذ كر (يَوْمَ نَحْشُرُهُمْ) بالنون والياء أى الله الخلق (جَمِيعاً) ويقال لهم (يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ قَدْ اسْتَكْبَرْتُمْ مِنَ الْإِنْسِ) باغوائكم (وَقَالَ أَوْلِيَاؤُهُمُ) الذين أطاعوهم (مِنَ الْإِنْسِ رَبَّنَا اسْتَمْتَعَ بَعْضُنَا بِبَعْضٍ) انتفع الإنسان بتزيين الجن لهم الشهوات ، والجن بطاعة الإنسان لهم (وَبَلَّغْنَا أَجَلَنَا الَّذِى أَجَلْتُمْ لَنَا) وهو يوم القيامة وهذا تحسر منهم (قَالَ) تعالى لهم على لسان الملائكة (النَّارُ مَثْوًى لَكُمْ) ما واكم (خَالِدِينَ فِيهَا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ) من الأوقات التى يخرجون فيها ،

وهذا الخطاب بعد جمع الخلائق فى الموقف وتصيير غير العاقل تراباً ، وقوله يامعشر الجن العشر الجماعة والجمع معاشر ، والمراد بالجن الشياطين (قوله قد استكبرتم) السبين والتاء لتأكيد الكثرة (قوله باغوائكم) أشار بذلك إلى أن الكلام على حذف مضاف ، والتقدير قد استكبرتم من إغواء الانس (قوله وقال أولياؤهم من الانس) لعل وجه الاختصار على كلام الانس الإشارة إلى أن الجن بهتوا فلم يردوا جواباً ، وقوله من الانس فى محل نصب على الحال (قوله ربنا) منادى حذف منه حرف النداء (قوله انتفع الإنسان بتزيين الجن لهم الشهوات) أى التى تنوعت فيها الإنسان من سحر وكهانة ودعوى ألوهية ودعوى نبوة وسائر الأديان والعقائد الباطلة ، ومن ذلك كان الرجل فى الجاهلية إذا سافر فنزل بأرض قفراء خاف على نفسه من الجن فقال أعوذ بسيد هذا الوادى من شر سفهاء قومه فيبيت فى جوارهم (قوله بطاعة الانس لهم) أى فى هذه الأمور المزيئة ، فاستمتع الجن بالانس بالسلطنة التى تولوها عليهم حيث امتثلوا أوامرهم وكانوا من حزبهم ودخلوا فى جاههم (قوله الذى أجلت لنا) أى الذى قدرته لنا (قوله وهذا تحسر منهم) أى ما وقع منهم من تلك المقالة تحسروا وتحزنوا على ما سلف منهم من طاعة الشيطان واتباع الهوى (قوله على لسان الملائكة) مرور على القول بأن الله لا يكلمهم يوم القيامة أصلاً (قوله خالدين فيها) حال من الكاف فى مثواكم (قوله من الأوقات التى يخرجون فيها) تبع المفسر فى ذلك شيخه الجلال المحلى فى تفسير سورة الصفات وهو مخالف لظاهر قوله تعالى - يريدون أن يخرجوا من النار وما هم بخارجين منها - والاحسن أن يقال ' إلا ما شاء الله من الأوقات التى ينقلون فيها من النار إلى الزمهرير فينقلون من عذاب النار ويدخلون وادياً فيه من الزمهرير ، وهو شدة البرد ما يقطع بعضهم من بعض ، فيطلبون الرد إلى الجحيم كما ذكر فى حواشى البيضاوى .

(لقوله لشرب الحميم) أى وهو ماء شديد الحرارة يقطع الأمعاء وذلك حين يستغيثون من شدة حر النار يطلبون الماء ليرد عنهم تلك الحرارة قال تعالى : وإن يستغيثوا يغاثوا بماء كالمهل يشوى الوجوه (قوله وعند ابن عباس الخ) أى فيحمل على من مات مؤمناً وهو مصرّ على المعاصى ونفذ فيه الوعيد ويكون المراد من النار دار العذاب وإن لم تكن دار خلود كجهنم لصاة للمؤمنين (قوله حكيم فى صنعه) أى يضع الشيء فى محله (قوله عليم بخلقه) أى فيجازى كلا على عمله (قوله نولى) أى فسلط وتوهم (قوله بما كانوا يكسبون) الباء سببية واماصدرية . وللعنى كما متعنا الانس والجن بعضهم ببعض فسلط بعض الظالمين على بعض بسبب كسبهم من المعاصى فيؤخذ الظالم بالظالم لما فى الحديث « ينتقم الله من الظالم بالظالم ثم ينتقم من كلهما » ولما فى الحديث أيضاً « كما تكونوا يولى عليكم » ومن هذا المعنى قول الشاعر :

وما من يد إلا يد الله فوقها وما ظالم إلا سبيلى بظالم

(قوله يا معشر الجن والانس) هذا زيادة فى التوبيخ عليهم لأن الله سبحانه وتعالى أولاً وبعث الفريقين بتوجيه الخطاب للجن وثانياً خاطبهم جميعاً ووجههم (قوله أى من مجموعكم) دفع بذلك ما يقال إن ظاهر الآية يقتضى أن من الجن رسلا مع أن الرسالة مختصة بالانس فليس من الجن بل ولا من الملائكة رسل . فأجاب بأن المراد من مجموعكم الصادق بالانس ، ونظير ذلك قوله تعالى : يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان ، أى من أحدهما وهو الملح وقوله تعالى : وجعل القمر فريقتين نوراً أى فى إحداهن وهى سماء الدنيا (قوله أورسل الجن) (٤٤) نذرهم (أشار بذلك إلى جواب آخر وهو تسليم أن هناك رسلا من الجن

لكمهم رسل الرسل الذين يسمعون من النسي السوا عظم والأحكام ويبلغون قومهم ذلك قال تعالى : وإذ صرفنا إليك نفراً من الجن يستمعون القرآن فلما حضروه قال أنصتوا فلما قضى ولوا إلى قومهم منذرين الآية وقال تعالى : قل أوحى إلى

لشرب الحميم فإنه خارجها كما قال : ثم إن مرجعهم لالى الجحيم . وعن ابن عباس أنه فىمن علم الله أنهم يؤمنون فما بمعنى من (إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ) فى صنعه (عليمٌ) بخلقه (وَكَذَلِكَ) كما متعنا عصاة الانس والجن بعضهم ببعض (نُولَى) من الولاية (بَعْضُ الظَّالِمِينَ بَعْضًا) أى على بعض (بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ) من المعاصى (يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِنْكُمْ) أى من مجموعكم أى بعضكم الصادق بالانس أورسل الجن نذرهم الذين يسمعون كلام الرسل فيبلغون قومهم (يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِي وَيُزِدُّونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا قَالُوا هَذَا عَلَى أَنْفُسِنَا) أن قد بلغنا ، قال تعالى (وَغَرَّتْهُمُ الْحَيَوةُ الدُّنْيَا) فلم يؤمنوا (وَهَدَّوْا عَلَى أَنْفُسِهِمْ) أنهم كانوا كافرين . ذَلِكَ) أى إرسال الرسل (أَنْ) اللام مقدرة وهى مخففة أى لأنه (لَمْ يَكُنْ

ربك

أنه استمع نفر من الجن فقالوا إنا سمعنا قرآنا عجيباً يهدى إلى الرشدا الآيات

فيكون المعنى على ذلك ألى يأتكم رسل منكم أى من الانس يبالغونكم عن الله ومن الجن يبلغونكم عن الرسل ، والمراد جنس الرسل الصادق بالواحد وهو سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم لأنه لم يرسل لهم غيره ، وأما حكم سليمان فيهم فحكم سلطنة وملك لاحكم رسالة ، وأما قوله تعالى حكاية عن الجن : يا قومنا إنا سمعنا كتاباً أنزل من بعد موسى فلا يلزم من علمهم بموسى وسماعهم لكتابه أن يكونوا مكلفين به (قوله يقصون عليكم آياتى) القص معناه الحديث أى يحدثونكم بما يأتى على وجه البيان (قوله وينذرونكم لقاء يومكم هذا) أى يخوفونكم يوم القيامة ، والمعنى يحذرونكم من مخالفة الله التى توجب الخوف يوم القيامة (قوله أن قد بلغنا) يصح بذؤه للفاعل والمفعول (قوله وغرتهم الحياة الدنيا) عطف سبب على مسبب أو علة على معلول (قوله وشهدوا على أنفسهم) كسر شهادتهم على أنفسهم لاختلاف المشهود به فأولوا شهدوا بقبليخ الرسل لهم وثانياً شهدوا بكفرهم زيادة فى التوبيخ عليهم ، والمقصود من ذكر ذلك الاتعاظ به والتحذير من فعل مثل ذلك . إن قلت إن شهادتهم بكفرهم تدل على أنهم أقروا به وهو منافى لقوله تعالى : والله ربنا ما كنا مشركين . أجيب بأن مواقف القيامة مختلفة فأولاً حين يرون المؤمنين توزن أعمالهم ويمشون على الصراط لدخول الجنة ينكرون الاشراك طمعا فى دخولهم فى زمرة المؤمنين ، حينئذ يختم على أفواههم وتنطق أعضاؤهم قهراً عليهم وتقر بالكفر (قوله ذلك أن لم يكن) اسم الإشارة مبتدأ وأن لم يكن خبره واللام محذوفة وأن مخففة من المنقولة واسمها ضمير الشأن كما قال المفسر والتقدير ذلك ثابت لأنه لم يكن الخ

(قوله لم يكن ربك مهلك القرى) أى لعل رحمة لا ينزل العذاب على من خالف وعصى حتى ينكر عليهم الإنذار والتخويف (قوله بظلم منها) الباء سببية ، تقرر المفسر قوله منها إشارة إلى أن الجار والمجرور متعلق بمحذوف حال من القرى ، والمعنى لم يكن مهلك أهل القرى بسبب وقوع ظلم منها والحال أن أهلها لم يرسل لهم رسول (قوله من العاملين) أى طائعين أو عاصين (قوله جزاء) دفع بذلك ما يقال إن الدرجات بالجيم للطائعين فينافي العموم المتقدم . فأجاب بأن المراد بالدرجات الجزاء وهو صادق بالدرجات والدركات . وأجيب أيضاً بأن في الكلام ' اكتفاء أى ودركات على حد سرايل تقيكم الحرّ أى والبرد (قوله بالياء والثناء) أى فهما قراءتان سبعيتان (قوله وربك أنفى) هذا مرئى على ما قبله جواب عما يقال حيث كان لكل من الطائعين والعاصين جزاء لا مفرّ لهم منه لما وجه إسمائهم وعدم تعجيل ذلك لهم ؟ . فأجاب بأنه أنفى فلا ينتفع بطاعة الطائع ولا تنصرف معصية العاصى وربك مبتدأ وأنفى خبره وذو الرحمة خبر ثان ويصح أن يكون أنفى وذو الرحمة صفتين له وجملة إن يشأ يذهبكم خبره (قوله ذو الرحمة) أى ومن أجل ذلك بقاء الخلق من غير استئصال الهلاك لهم (قوله بالاهلاك) أى جملة واحدة بحيث لم يبق منهم أحد كدام ونمود (قوله ويستخلف من بعدكم ما يشاء) أى ينشئ . ويوجد بعد إذهابكم ما يشاء (قوله من ذرية قوم آخرين) أى وهم أهل سفينة نوح وذريتهم من بعدهم من القرون إلى زمنكم (قوله ولكنه أبقاكم رحمة لكم) أى لوجود نبيكم لأنه بعث رحمة لأعداء (قوله من الساعة) بيان لما (قوله لآت) خبر إن مرفوع بضمه (٤٥) مقدرة على الباء المحذوفة لالتقاء

الساكنين كقاص (قوله وما أنتم بمعجزين) أى فارين من عذابنا بل هو مدركم لاحالة (قوله أعملوا على مكاتكم) هذا أمر تهديد وزجر نظير قوله تعالى : أعملوا ما كنتم وما كنتم عليه الصلاة والسلام « إذا لم تستح فاصنع ما شئت » وللكتابة إما من التمكن وهو الاستطاعة فتكون اليم أصاية أو من الكون

رَبُّكَ مُهْلِكَ الْقُرَىٰ يَظْلِمُهَا (وَأَهْلَهَا غَارِفُونَ) لم يرسل إليهم رسول يبين لهم (وَلِكُلِّ) من العاملين (دَرَجَاتٍ) جزاء (بِمَا عَمِلُوا) من خير وشر (وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ) بالياء والثناء (وَرَبُّكَ الْغَفِيُّ) عن خلقه وعبادتهم (ذُو الرَّحْمَةِ) إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ) يا أهل مكة بالاهلاك (وَيَسْتَخْلِفُ مِنْ بَعْدِكُمْ مَا يَشَاءُ) من الخلق (كَمَا أَنْشَأَكُمْ مِنْ ذُرِّيَّةٍ قَوْمٍ آخَرِينَ) أذهبها ولكنه أبقاكم رحمة لكم (إِنَّمَا تُوعَدُونَ) من الساعة والعذاب (لَآتٍ) لاحالة (وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ) فأتين عذابنا (قُلْ) لهم (يَا قَوْمِ أَعْمَلُوا عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ) حالتكم (إِنِّي عَامِلٌ) على حالتي (فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَنْ) موصولة مفعول العلم (تَكُونُ لَهُ عَاقِبَةُ الدَّارِ) أى العاقبة المحمودة فى الدار الآخرة أنحن أم أتم (إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ) يسعد (الظَّالِمُونَ) الكافرون (وَجَعَلُوا) أى كفار مكة (لِلَّهِ يَمَّا ذَرَأَا) خلق (مِنَ الْحَرْثِ) الزرع (وَالْأَنْعَامِ نَصِيبًا) يصرفونه إلى الضيفان والمساكين ، ولشركائهم نصيباً يصرفونه إلى سدتها (فَقَالُوا هَذَا لِلَّهِ بِزَعْمِهِمْ)

بمعنى الحالة فتكون زائدة والمفسر جعلها بمعنى الحالة (قوله من موصولة مفعول العلم) أى وتكون صاتها وعاقبة الدار اسمها وخبرها وعلم عرفانية متعددة لواحد ويصح أن تكون من استفهامية مبتدأ وجملة تكون مع اسمها وخبرها خبر المبتدأ والمبتدأ والخبر فى محل نصب سلت مسد مفعول تعلمون (قوله أى العاقبة المحمودة فى الدار) أشار بذلك إلى أن الاضافة على معنى فى والمراد بالعاقبة المحمودة الراحة التامة والسرور الكامل (قوله أنحن أم أتم) هذا يناسب كون من استفهامية لاموصولة وإلا لو جعلها موصولة لقال فسوف تعلمون الفريق الذى له عاقبة الدار (قوله إنه لا يفلح الظالمون) استشف كأنه واقع فى جواب سؤال مقتر تقديره ما عاقبتهم فقال إنه لا يفلح الظالمون (قوله وجعلوا لله) هذا من جملة قبائحهم وخسران عقولهم وجعل فعل ماضى والواو فاعل وقوله جار ومجرور متعلق بمحذوف مفعول ثان مقدم ونصيبا مفعول أول مؤخر ومما ذرأ متعلق بجعلوا (قوله من الحرث) متعلق بمحذوف حال من ماذراً (قوله الزرع) أى ما يزرع كان حبا أو غيره (قوله والأنعام) أى الابل والبقر والغنم (قوله ولشركائهم) متعلق بمحذوف تقديره وجعلوا لشركائهم وأشار المفسر بذلك إلى أن فى الآية اكتفاء بدليل التفصيل بعد ذلك بقوله وهذا لشركائنا (قوله إلى سدتها) أى خدمتها (قوله فقالوا) هذا تفريع على انشق المذكور والشق المطوى (قوله بزعمهم) الزعم الكذب ومصبه قوله بعد : وهذا لشركائنا فحط الكذب التنصيف حيث جعلوا نصف ما خلق الله وأنشأ من الحرث والأنعام ونصفه لشركائهم وحق الجميع أن يكون لله ويحتمل أن الزعم من حيث ادعائهم الملك وإنشاء الجعل من عندهم لله والملك فى الحقيقة لله

(قوله بالفتح والضم) أى فهما قراءتان سبعيتان الأولى لثة أهل الحجاز والثانية لثة بنى أسد وفى لثة بالكسر لكن لم يقرأ بها والكل بمعنى واحد (قوله فكانوا إذا سقط فى نصب الله شئ من نصيبها التقطوه) أى وكانوا إذا رأوا ما عينوه لله أركى بدلوه بما آلهتهم وإن رأوا ما آلهتهم أركى تركوه حباً لها ، وإذا هلك ما جعلوه لها أخذوا بدله مما جعلوه لله ولا يفعلون ذلك فيما جعلوه لله (قوله أى لجهته) أى لجهة مراضيه وإلا فيستحيل على الله الوصول والجهة (قوله ساء ما يحكمون) ساء فعل ماض وما ضم موصول فاعل ويحكمون صلته والخصوص بالدم محذوف قدره المفسر بقوله حكمهم وقوله هذا يدل من حكمهم لأن حكمهم مبتدأ والجملة قبله خبره (قوله وكذلك) الجملة معطوفة على الجملة قبلها والكاف بمعنى مثل (قوله زين لكثير من المشركين) زين بالبناء للفاعل ولكثير متعلق بزين ومن المشركين صفة لكثير وقتل بالنصب مفعول لزين وهو مضاف لأولادهم وشركاؤهم بالرفع فاعل زين وقرأ ابن عامر من السبعة زين بالبناء للمفعول وقتل بالرفع نائب فاعل زين وأولادهم بالنصب مفعول المصدر الذى هو قتل وقتل مضاف وشركاؤهم مضاف إليه ولا يضر الفصل بين المضاف والمضاف إليه بمفعول المضاف لأنه ليس أجنبياً والمضمر الفصل بالأجنبي وهذه القراءة متواترة صحيحة موافقة للنحو خلافاً لمن شذ وعاب على من قرأ بها كيف وهو أطل القراءة سنداً وأقدمهم هجرة وقرأ أبو عبد الرحمن السلمي (٤٦) زين مبنيًا للمفعول وقتل نائب الفاعل وأولادهم بالجر مضاف لقتل وشركاؤهم

بالرفع فاعل قتل . قال ابن مالك :

وبدجره الذى أضيفه كل نصب أو برفع عمله وقرأ أهل الشام كقراءة ابن عامر إلا أنهم خفضوا الأولاد أيضاً على أن شركاؤهم صفة لهم بمعنى أنهم يشركونهم فى المال والنسب وقرأ فرقة من أهل الشام زين بكسر الزاى بعدها ياء ساكنة مبنى للمفعول كقيل وبيع وقتل نائب الفاعل

بالفتح والضم (وَهَذَا لَشُرِّكَائِنَا) فكانوا إذا سقط فى نصيب الله شئ من نصيبها التقطوه ، أو فى نصيبها شئ من نصيبه تركوه وقالوا إن الله غنى عن هذا كما قال تعالى (فَإِنْ كَانَ لَشُرِّكَائِهِمْ فَلَا يَصِلُ إِلَى اللَّهِ) أى لجهته (وَمَا كَانَ لِلَّهِ فَهُوَ يَصِلُ إِلَى شُرِّكَائِهِمْ سَاءَ) بشئ (مَا يَحْكُمُونَ) حكمهم هذا (وَكَذَلِكَ) كما زين لهم ما ذكر (زَيْنَ لِكَثِيرٍ مِنَ الْمُشْرِكِينَ قَتَلَ أَوْلَادِهِمْ) بالوآد (شُرِّكَائِهِمْ) من الجن بالرفع فاعل زين . وفى قراءة بينائه للمفعول ورفع قتل ونصب الأولاد به وجر شركاؤهم بإضافته . وفيه الفصل بين المضاف والمضاف إليه بالمفعول ولا يضر . وإضافة القتل إلى الشركاء لأمرهم به (يُؤْذِنُهُمْ) يهلكهم (وَلْيَلْبِسُوا) يخلطوا (عَلَيْهِمْ دِيْنَهُمْ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا فَعَلُوهُ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ . وَقَالُوا هَذِهِ أَنْعَامٌ وَحَرِثَ حِجْرٌ) حرام (لَا يَطْعَمُهَا إِلَّا مَنْ نَشَاءُ) من خدمة الأوثان وغيرهم (بِرِزْقِهِمْ) أى لا حجة لهم فيه (وَأَنْعَامٌ حُرِّمَتْ ظُهُورُهَا) فلا تتركب كالسواحب والحوامى (وَأَنْعَامٌ لَا يَذْكُرُونَ أَسْمَاءَ اللَّهِ عَلَيْهِمْ) عند ذبحها بل يذكرون اسم أصنامهم ،

ونسبوا

وأولادهم بالنصب وشركاؤهم بالجر وتوجيهها معلوم مما تقدم فجملة القراءات خمس اثنتان سبعيتان

وهما الاثنتان مثنى عليهما المفسر وثلاثة شواذ (قوله بالوآد) هودفن الإناث بالحياة مخافة الفقر والعار قال تعالى : وإذا الموءودة سئلت بأي ذنب قتلت (قوله من الجن) أى الملائسين للأصنام (قوله ولا يضر) رد على منع ذلك وعاب على ابن عامر (قوله وإضافة القتل) مبتدأ وقوله لأمرهم به خبره ومباشر القتل هو كثير من المشركين (قوله ليردوهم) علة للتزيين وقوله وليلبسوا معطوف على ليردوهم وهو من لبس بفتح الباء يلبس بكسرها لبسا بمعنى خاط (قوله ولو شاء الله ما فعلوه) مفعول شاء محذوف تقديره عدم فعلهم والمعنى لو أراد الله عدم التزيين والقتل ما فعلوه لأن الله هو الموجد للخير والشر وإنما الخلق أسباب ظاهرية فى الخير والشر وإلا فرجع الكل إلى الله ، ومن هنا قول سيطى إبراهيم الدسوقي : من نظر للخلق بعين الشريعة معهم ومن نظر إليهم بعين الحقيقة عذرهم .

وقال بعض العارفين : الكل تقدير مولانا وتأسيسه فاشكر لمن قد وجب حمده وتقديسه

وقل لقلبك إذا زادت وساوسه إبليس لما طغى من كان إبليس (قوله فذرهم وما

يفترون) أى اتكهم وافترأهم (قوله وقالوا) هذا نوع آخر من أنواع قبائحهم وقوله هذه أنعام الخ الإشارة إلى ما جعلوه لآلهتهم (قوله حجر) بمعنى مجبور كذبح بمعنى مذبح أى ممنوعة (قوله لا يطعمها) أى لا يأكلها والضمير عائذ على الأنعام والحراث (قوله وغيرهم) أى من الرجال دون النساء (قوله برزقهم) حال من فاعل قالوا (قوله كالسواحب والحوامى) أى والبحار .

(قوله ونسبوا ذلك) أى التقسيم إلى الأقسام الثلاثة بأن قالوا قسم حبر أى ممنوع منه بالكلية ، وقسم لا يركب وإن كان يجوز أخذ لبنه وأولاده ، وقسم لا يذكر اسم الله عليه عند الدبح وإعماذ كرام اسم الصنم وقوله افتراء معمول لمخدوف قدره المفسر بقوله ونسبوا ذلك (قوله بما كانوا يفترون) أى بسبب افتراءهم (قوله وقالوا) هذا إشارة لنوع آخر من أنواع قبائحهم (قوله ما فى بطون هذه الأنعام) أى تناج الأنعام السوائب والبحائر فما ولد منها حيا فهو حلال للذكر خاصة وما ولد منها ميتا فهو حلال للذكور والاناث (قوله خاصة) خبر عن ما باعتبار معناها وقوله ومحرم خبر عنها باعتبار لفظها (قوله مع تأنيث الفعل) أى باعتبار معنى ما وهو الأجنة وهذا على النصب وأما على الرفع فباعتبار تأنيث الميتة وقوله وتذ كبره أى باعتبار لفظ ما على قراءة النصب وباعتبار أن تأنيث الميتة مجازى على قراءة الرفع فالقراءات أربع وكلها سبعة وكان ناقصة فى النصب واسمها ضمير يعود على ما وتامة فى الرفع فاعلمها ميتة (قوله فهم فيه) أى ذكورهم وإناثهم يأكلون منه جميعا (قوله وصفهم) أى جزاء وصفهم والمراد بوصفهم التحليل والتحريم الذى اخترعوه فالباء فى قوله بالتحليل والتحريم لتصوير الوصف (قوله إنه حكيم) تعليل لمجازاته إياهم أى فمن أجل حكمته وعلمه لا يترك جزاءهم (قوله قد خسر الدين قتلا) أى فى الدنيا باعتبار السى فى نقص عددهم وإزالة ما أنعم الله به عليهم وفى الآخرة باستحقاق (٤٧) العذاب الأليم (قوله بالتخفيف والتشديد) أى فهما

قراءتان سبعيتان (قوله جهلا) روى البخارى عن ابن عباس قال إذا سرك أن تعلم جهل العرب فاقرا ما فوق الثلاثين والمائة من الانعام قد خسر الدين إلى قوله وما كانوا مهتدين (قوله وحرمو) معطوف على قتلا فهو صلة ثانية (قوله افتراء) معمول لحرمو (قوله قد ضلوا) أى عن الطريق المستقيم وقوله وما كانوا مهتدين

ونسبوا ذلك إلى الله (أفترء عليه سيجزيهم بما كانوا يفترون) عليه (وقالوا ما فى بطون هذه الأنعام) المحرمة وهى السوائب والبحائر (خالصة) حلال (لذكورنا ومحرم على أزواجنا) أى النساء (وإن يكن ميتة) بالرفع والنصب مع تأنيث الفعل وتذكيره (فهم فيه شركاء سيجزيهم) الله (وصفهم) ذلك بالتحليل والتحريم أى جزاءهم (إنه حكيم) فى صنعه (علم) بخلقه (قد خسر الذين قتلا) بالتخفيف والتشديد (أولادهم) بالوآد (سقا) جهلا (يفترء عليهم وحرمو ما رزقهم الله) مما ذكر (أفترء على الله قد ضلوا وما كانوا مهتدين) وهو الذى أنشأ خلق (جنات) بساتين (مغروشات) مبسوطات على الأرض كالبطيخ (وعغير مغروشات) بأن ارتفعت على ساق كالنخل (و) أنشأ (النخل والزروع مختلفا أكله) ثمره وحبه فى الهيئة والطعم (والزيتون والرمان منشأ بها) ورقهما حال (وعغير منشأ به) طعمهما (كلوا من ثمره إذا أثمر) قبل النضج (وآثروا حقه) :

فيه إعلام بأن هؤلاء الذين فعلوا هذا الفعل يموتون على الضلال كأن الله يقول لتبينة لا تعلق آمالك بهدام (قوله وهو الذى أنشأ جنات) وهذا امتنان من الله على عباده وبيان أن كل نعمة منه (قوله جنات) المراد بها جميع ما ينبت أعم من أن يكون بساتين أولا بدليل ما بعده من باب تسمية الكل باسم جزئه الأشرف أو أطلق الخاص وأراد العام فلا مفهوم لقول المفسر بساتين (قوله كالبطيخ) أى والعنب إذا لم يوضع على عريش (قوله كالنخل) أى وغيره مما له ساق يرتفع به كالجزير والنبق والعنب إذا وضع على عريش. والحبوب وقيل العروشات للارتفاعات على ساق وغيره للعروشات مالا ساق له عكس ما ذكر المفسر (قوله والنخل والزروع) قدر المفسر أنشأ إشارة إلى أنه معطوف على جنات عطف خاص على عام والنكتة عموم النفع بالنخل والزروع لا قنمتها بنية الآدمي فهما يفسيان عن غيرهما وغيرهما لا ينفى عنهما والمراد بالزروع جميع الحبوب التى يقات بها (قوله مختلفا أكله) فالغنى أنشأ مقدر فى علمه سبحانه أن أكله مختلف والأكل بالضم المأكول أى ما كول كل منهما مختلف فى الصفة والطعم واللون والرائحة (قوله ثمره وحبه) لف ونشر مرتب (قوله والزيتون والرمان) معطوف أيضا على جنات وخصهما لأنهما أشرف الثمار بعد النخل (قوله منشأ بها) هو بمعنى مشتبها المتقدم إلا أن القراءة سنة متبعة (قوله طعمهما) أى ولونهما ودرجتهما وجرهما (قوله كلوا من ثمره) هذا أمر إباحة (قوله قبل النضج) أى استوائه ووجوب الزكاة فيه فلا تتوقف إباحة الأكل على الوصول إلى حد وجوب الزكاة فيه وهو النضج أو التهيؤ له ولا يحسب عليه شئ للفقراء أما بعد النضج

فكل ما أكله حسب عليه زكاته (قوله زكاته) هذا تفسير ابن عباس وأنس بن مالك واستشكل بأن السورة مكية وفرض الزكاة كان بالمدينة في السنة الثانية من الهجرة . وأجيب بأن الآية مدنية وقيل المراد بالحق الطعام من حضر وترك ماسقط من الزرع ولحقه الفقراء وهو قول الحسن وعطاء ومجاهد وطى هذا القول قليل الأمر للوجوب ويكون منسوخا بآية الزكاة وقيل للندب ويكون محكما (قوله يوم حصاده) أى زمن تبسر الإخراج منه وهو ظاهر فيها لا يتوقف على تصفية كالغلب والزيتون والنخل وأما ما يحتاج إلى تصفية كالحبوب فيقال إن يوم ظرف مقسع فيشمل مدة الحصاد والبراس أو يقال إن يوم متعلق بمحذوف تقديره وآتوا حته الذى وجب يوم حصاده وهو لا ينافى أن إخراج الحق بعد التصفية إن توقف عليها (قوله بالفتح والكسر) أى فهما قراءتان سبعيتان بمعنى واحد (قوله من العشر) أى فيها سقى بالسيح وقوله أو نصفه أى فيها سقى بآلة (قوله ولا تسرفوا) أى تتجاوزوا الحد بإخراجه كله للفقراء أو بعدم الإخراج من أصله أو بانفاقه في المعاصي والأقرب الأول الذى اقتصر عليه المفسر لأن سبب نزولها أن ثابت بن قيس صرم خمسة نخلة يوم أحد ففرقها ولم يترك لأهلها شيئا (قوله إنه لا يحب المسرفين) أى يعاقبهم (قوله ومن الأنعام) معطوف على جنات وإليه يشير المفسر حيث قرر أنشأ وفي الحقيقة قوله من الأنعام متعلق (٤٨) بمحذوف حال من حمولة لأنه نعت نكرة تقدم عليها وحمولة هو المعطوف على جنات (قوله صالحة

زكاته (يَوْمَ حَصَادِهِ) بالفتح والكسر من العشر أو نصفه (وَلَا تُسْرِفُوا) بإعطاء كله فلا يبقى لعيالكم شيء (إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ) المتجاوزين ما حد لهم (وَأَنْشَأَ) مِنْ الْأَنْعَامِ حُمُولَةً (صَالِحَةٌ لِلْحِمْلِ عَلَيْهَا كَالْإِبِلِ الْكِبَارِ) (وَقَرَشًا) لاتصلح له كالأبل الصغار والغنم سميت قرشا لأنها كالفرش للأرض لدنوها منها (كُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُواتِ الشَّيْطَانِ) طراقة في التحريم والتحليل (إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ) بين العداوة (تَمَانِيَةً أَرْوَاجٍ) أصناف بدل من حمولة وقرشا (مِنَ الضَّأْنِ) زوجين (أُنثَيْنِ) ذكر وأنثى (وَمِنَ الْمَعْزِ) بالفتح والسكون (أُنثَيْنِ، قُلْ) يا محمد لمن حرم ذكور الأنعام تارة وإناثها أخرى ونسب ذلك إلى الله (أَلَا ذَكَرَيْنِ) من الضأن والمعز (حَرَّمَ) الله عليكم (أُمَ الْأُنثَيَيْنِ) منهما (أَمَّا اشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ أَرْوَاحُ الْأُنثَيَيْنِ) ذكرًا كان أو أنثى (نَبِّئْنِي بِعِلْمٍ) عن كيفية تحريم ذلك (إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ) فيه ، المعنى من أين جاء التحريم ؟

للحمل عليها) مثنى المفسر على أن المراد بالحمولة الصالح للحمل والفرش ما عداه والأحسن تفسير الحمولة بالكبار أعم من أن تكون إبلًا أو بقرة أو غنما والفرش بالصفار منها ويدل عليه قوله ثمانية أزواج وقيل الحمولة كل ما حمل عليه من إبل وغيرها والفرش ما اخذ من الصوف والوبر والشعر (قوله سميت

قن

سميت) أى الأبل الصغار والغنم (قوله كلوا مما رزقكم الله) أى

من جميع الثمار والأنعام والحشر (قوله في التحريم والتحليل) أى في الحرث والأنعام بأن تحلوا شيئا وتحرموا آخر كما يقول المشركون (قوله إنه لكم عدو) تعليل لما قبله (قوله بين العداوة) أى ظاهرها لوجود عداوته لأينا آدم من قبل واتصالها بأبنائه من بعده ولذلك قيل إن المولود في حال ولادته ينحسه الشيطان فيصرخ عند ذلك من شدة عداوته له (قوله ثمانية أزواج) يطلق الزوج على الشبيين المتلازمين اللذين يحصل بينهما التناسل وعلى أحدهما وهو المراد هنا (قوله بدل من حمولة وقرشا) أى بدل مفصل من مجمل (قوله من الضأن) بدل من ثمانية أزواج على جواز الإبدال من البدل (قوله اثنتين) أى وهما الكباش والنعجة ، وقوله ومن المعز اثنتين أى التيس والمعز (قوله بالفتح والسكون) أى فهما قراءتان سبعيتان (قوله لمن حرم ذكور الأنعام) أى بعض ذكورها وقوله وإناثها أى بعض إناثها (قوله ألدكرين) بمد الهمزة الثانية مدا لازما قدر ثلاث أوقات أو تسهيلها وهو منصوب بالهامل الذى بعده وهو حرّم قدم لأن مدخول الاستفهام له الصدارة (قوله أم الأنثيين) أم عاطفة على آذ كرين وكذلك أم الثانية عاطفة على ما الموصولة على ما قبلها ومحلها نصب أيضا تقديره أم الذى اشتملت عليه وأم في كل منهما متصلة بمقابلة لهمزة الاستفهام (قوله نبئني بعلم) أى أخبروني خبرا ملتبسًا بعلم ناشئ عن إخبار من الله بأنه حرم ما ذكره جملة معترضة بين المعطوف والمعطوف عليه قصد بها إلزام الحجة لهم (قوله عن كيفية تحريم ذلك) أى

جهته وسببه (قوله فان كان من قبل الذكورة الخ) أى فان كان سبب التحريم ذكورة لزمكم تحريم جميع الذكورة وإن كانت الأنثى لزمكم تحريم جميع الإناث وإن كان ما اشتملت عليه الأرحام لزمكم تحريم الجميع فلائى شئ خصصتم التحريم ببعض الذكورة والإناث فمن أين التخصيص أى تخصيص تحريم البحار والسواحل بالابل دون بقية النعم من البقر والغنم (قوله والاستفهام للإنكار) أى فى الواضع الثلاثة (قوله أم كنتم) أم منقطعة بقا فسرهما بابل والهمزة لدخولها جملة مستقلة والمقصود بها التحكم بهم حيث نسبهم إلى الحضور فى وقت الإيلاء (قوله حضورا) أى حاضرين ومشاهدين تحريم البعض وتحليل البعض (قوله لا) أى لم تكونوا حاضرين ولم يدل دليل على تحريم البعض وتحليل البعض (قوله أى لا أحد) أشار بذلك إلى أن الاستفهام إنكارى بمعنى النفي (قوله ليضل الناس) متعلق بأفترى وقوله بغير علم متعلق بمحذوف حال من فاعل افترى أى افترى حال كونه ملتبسا بغير علم بل جاهلا (قوله إن الله لا يهدي القوم الظالمين) تعليل لما قبله وللعنى لا يرشد الذين تعدوا حدود الله بالتحليل والتحريم إلى الصراط المستقيم لسابق الشقاوة لهم (قوله قل لا أحد) لما ألزمهم الله الحجة بأن التحريم من عند أنفسهم لامن عند الله أخبرهم بما ثبت تحريمه عن الله فهو نتيجة ما قبله وثمرته وللعنى قل يا محمد لكفار مكة لا أحد فيما أوحى إلى الخ (قوله فيما أوحى إلى) ما اسم وصول وأوحى صلته والعائد محذوف والتقدير فى الذى أوحاه الله إلى وهو القرآن (قوله شيئا محرما) قدره المفسر إشارة إلى أن محرما صفة لموصوف (٤٩) محذوف (قوله على طاعم) متعلق بمحرما وقوله يطعمه من

بمحرما وقوله يطعمه من باب فهم ومعنى طاعم آكل ويطعمه يأكله (قوله إلا أن يكون) اسمها ضمير مستتر عائدا على الشيء المحرم وميته بالنصب خبرها فذكر باعتبار ما عاد عليه الضمير وهذا على قراءة الياء وأما على التاء فالتأنيث باعتبار خبر يكون وهو ميتة وهاتان قراءتان على نصب ميتة وأما رفعها ففیه قراءة

فإن كان من قبل الذكورة ، فجميع الذكورة حرام ، أو الأنثى لجميع الإناث ، أو اشتغال الرحم فالزوجان فمن أين التخصيص والاستفهام للإنكار (وَمِنَ الْإِبِلِ أَثْنَيْنِ وَمِنَ الْبَقَرِ أَثْنَيْنِ قُلْ أَلَّذَكْرَيْنِ حَرَّمَ أَمْ الْأُنثَيْنِ أَمْأَا شَتَمْتُ عَلَيْهِنَّ أَرْحَامُ الْأُنثَيْنِ ، أَمْ) بل (كُنْتُمْ شُهَدَاءَ) حضورا (إِذْ وَصَّاكُمْ اللَّهُ بِهَذَا) التحريم ، فاعتمدتم ذلك ؟ لا ، بل أنتم كاذبون فيه (فَمَنْ) أى لا أحد (أَظْلَمُ مِمَّنْ أَفْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا) بذلك (لِيُضِلَّ النَّاسَ بِغَيْرِ عِلْمٍ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ . قُلْ لَا أَجِدُ فِيهَا أُوحًى إِلَى) شيئا (مُحَرَّمًا عَلَى طَاعِمٍ يَطْعَمُهُ إِلَّا أَنْ يَكُونَ) بالياء والتاء (مَيْتَةً) بالنصب وفى قراءة بالرفع مع التحتانية (أَوْ دَمًا مَسْفُوحًا) سائلا بخلاف غيره كالسكبد والطحال (أَوْ لَحْمٍ خَنْزِيرٍ فَإِنَّهُ رِجْسٌ) حرام (أَوْ) إلا أن يكون (فَنَسَاءً أَهْلًا لِّغَيْرِ اللَّهِ بِهِ) أى ذبح على اسم غيره (فَمَنْ أَضَلُّ) إلى شئ مما ذكر فأكله (غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ

واحدة بالفوقانية فتكون تامة وميته فاعل إذا علمت ذلك فتقول المفسر وفى قراءة بالرفع مع التحتانية سبق قلم والصواب الفوقانية وهذا الاستثناء صرح أن يكون متصلا باعتبار عموم الأحوال أو منقطعا لأنه مستثنى من محرما وهو ذات وللمستثنى كونه ميتة وهو معنى فليس من جنس المستثنى منه والأقرب كونه متصلا (قوله أودما) بالنصب عطف على ميتة فى قراءة النصب وعلى للمستثنى فى قراءة الرفع (قوله مسفوحا) من السفع وهو السيلان أو السبب والدم المسفوح نجس من سائر الحيوانات ولو من سمك وذباب وعند أبى حنيفة لادم للسمك أصلا بدليل أنه إذا نشف صار أبيض (قوله كالسكبد والطحال) أى فانهما طاهران لما فى الحديث «أحلت لنا ميتتان ودمان السمك والجراد والسكبد والطحال» (قوله فانه) أى لحم الخنزير ونجس اللحم بالذكور وإن كان باقية كذلك لاعتنائهم به أكثر من باقيه (قوله حرام) الأوضح أن يقول نجس لأن التحريم علم من الاستثناء (قوله أوفسقا) عطف على ميتة وهو على حذف مضاف أى ذا فسق أو جعل نفس الفسق مبالغة على حد زيد عدل وقوله أهل لتبنيهم الله به صفة لفسق (قوله أى ذبح على اسم غيره) أى قربانا كما يقترب إلى الله كان ذلك الغير صنما أو غيره (قوله فمن اضطر) أى أصابته الضرورة (قوله مما ذكر) أى من الميتة وما بعدها (قوله غير باغ) تقدم فى سورة البقرة أنه فسر الباغى بالخارج على المسلمين والعداى بقاطع الطريق لأن مع كل مندوحة وهى التوبة فإذا تلب كل جاز له إذا كل وتقدم الخلاف فى المضطر هل له أن يشبع ويقزود وهو مشهور

مذهب مالك أو يقتصر على سد الرمي وهو مشهور مذهب الشافعي (قوله فإن ربك غفور) لتلليل لجواب الشرط المحذوف هديره فلا إثم عليه (قوله ويلحق بما ذكر) كان المناسب تقديمه على قوله فمن اضطر (قوله كل ذي ناب) أي كالسبع والضبع والثعلب والهر والثوب وقوله ومخالب من الطير كالصقر والنسر والوطواط وهذا مذهب الامام الشافعي وأما عند مالك فجميع الطيور يجوز أكلها ماعدا الوطواط فيكره أكله وجميع السباع مكروهة ماعدا الكلب الانسي والقرود ففيهما قولان بالحرم والكراهة وأما الخيل والبغال والحمير الانسية فمشهور مذهب مالك أنها حرة ومشهور مذهب الشافعي إباحة لحيل دون البغال والحمير (قوله وعلى الذين هادوا) الجار والمجرور متعلق بحرمنا وهادوا صلة الذين سموا بذلك لأنهم هادوا بمعنى رجعوا عن عبادة العجل (قوله كل ذي ظفر) القراء السبعة على ضم الظاء والفاء وقرئ شذوذا بسكون الفاء وبكسر الظاء والفاء وبسكون الفاء وبقي في الظفر لغة خامسة لم يقرأ بها أظفون وجمع الأولى أظفار والأخيرة أظافر قياسا وأظافر سماعا (قوله كالابل) أدخلت الكاف الاموز والبط (قوله ومن البقر والنعم) متعلق بحرمنا (قوله الثروب) جمع ثرب كفلس شحم رقيق يغشى الكرش والأمعاء ولكن المراد بها هنا الشحم الذي على الكرش فقط وإلا ناقض ما بعده (قوله وشحم الكلى) جمع كلوة أو كلية (قوله إلا ما حملت ظهورها) ما اسم موصول في محل نصب على الاستثناء أو نكرة موصوفة وجملة حملت ظهورها صلة أوصفة والعائد محذوف (قوله أو الحوايا) معطوف على ظهورها وميمت بذلك لأنها (٥٠) محتوية على الفضلات لأنها تنحل في الكرش ثم إذا صفت استقرت في الأمعاء

أولاً محتوية بمعنى مائفة كالخلقة (قوله الأمعاء) أي المصارين . والمعنى أن الشحم الذي تناق بالظهور أو احتوت عليه المصارين أو اختلط بعظم كلحم الآية جاز لهم (قوله جمع حوايا) أي كتقاصع وقواصع وقوله أو حاوية أي كزاوية وزوايا وقيل جمع حاوية كهدية (قوله وهو شحم الآية) بفتح

فَإِنَّ رَبَّكَ غَفُورٌ) له ما أكل (رَحِيمٌ) به ، ويلحق بما ذكر بالسنة كل ذي ناب من السباع ومخالب من الطير (وَعَلَى الَّذِينَ هَادُوا) أي اليهود (حَرَّمَنا كُلَّ ذِي ظُفْرٍ) وهو مالم تفرق أصابعه كالابل والنعام (وَمِنَ الْبَقَرِ وَالنَّعَمِ حَرَّمَنا عَلَيْهِمْ شُحُومَهُمَا) الثروب وشحم الكلى (إِلَّا مَا حَمَلَتْ ظُهُورُهُمَا) أي معلق بها منه (أَوْ) حملته (الْحَوَايَا) الأمعاء جمع حاوية أو حاوية (أَوْ مَا اخْتَلَطَ بِعَظْمٍ) منه وهو شحم الآية ، فإنه أحل لهم (ذَلِكَ) التحريم (جَزَيْنَاهُمْ) به (بِغَيْرِهِمْ) بسبب ظلمهم بما سبق في سورة النساء (وَإِنَّا لَصَادِقُونَ) في أخبارنا ومواعيدنا (فَإِنْ كَذَّبُوكَ) فيما جئت به (فَقُلْ) لهم (رَبُّكُمْ ذُو رَحْمَةٍ وَاسِعَةٍ) حيث لم يعاجلكم بالعقوبة ، وفيه تالطف بدعائهم إلى الإيمان (وَلَا يُرَدُّ بَأْسُهُ) عذابه إذا جاء (عَنِ الْقَوْمِ الْمُجْرِمِينَ . سَيَقُولُ الَّذِينَ أَشْرَكُوا لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكْنَا) نحن ،

الهمزة (قوله بما سبق في سورة النساء) أي في قوله : فيما نقضهم ميثاقهم وكفرهم بآيات الله (ولا

إلى أن قال فبظلم من الذين هادوا حرمنا عليهم طيبات أحلت لهم (قوله في أخبارنا ومواعيدنا) أي بأن سبب ذلك التحريم هو بنهم لا كما قالوا حرمها إسرائيل على نفسه فنحن مقتدون به فقد كذبوا في ذلك بل لم يطرأ التحريم إلا بعد موسى ولم يكن ذلك محرما على أحد قباهم لا في شرع إبراهيم ولا غيره وإنما حرم إسرائيل على نفسه بالخصوص الابل من أجل شفاؤه من عرق النسا الذي كان به وقد تقدم الرد عليهم أيضا في قوله تعالى - كل الطعام كان حلالا لبني إسرائيل - (قوله حيث لم يعاجلكم بالعقوبة) أي فامهاله للكافر من صفة رحمته فإذا تاب خله في الرحمة (قوله وفيه تالطف الخ) دفع بذلك ما يقال إن مقتضى الظاهر فقل ربكم ذو عتاب شديد . فأجاب بأنه تالطف بدعائهم إلى الإيمان ليطلع الثائب ولا ييأس (قوله ولا يرد بأسه) هذا من جملة المقول أيضا والمعنى لا يرد عذابه عمن لم يتب ومات على الكفر فأطمعهم في الرحمة بالجملة الأولى وبقي الاعتذار بالجملة الثانية (قوله سيقول الذين أشركوا) هذا إخبار من الله لنبيه بما يقع منهم في المستقبل وقد وقع كما حكاه الله عنهم في سورة النحل بقوله تعالى - وقال الذين أشركوا لو شاء الله ما عبدنا من دونه من شيء الخ وإنما قالوه إظهارا لكونهم على الحق لاعتذارا من ارتكاب هذه القبائح مدعين أن المشيئة لازمة للرضا فلا يشاء إلا ما رضاه وقد وقع الكفر بمشيئته فهو راض به فكيف تقول يا محمد إنا نعذب على شيء أراد الله منا ورضيه. وحاصل رد تلك الشبهة أن تقول لا يلزم من المشيئة الرضا بل يشاء القبيح ولا يرضاه ويشاء الحسن ويرضاه بكل شيء * بمشيئته تعالى (قوله لو شاء الله) أي عدم إشراكنا ففعل المشيئة محذوف وهذه المقدمة صادقة لبتهم توصلا بها إلى

مقدمة كافية قدرها المفسر بقوله فهو راض به (قوله ولا آباؤنا) معطوف على الضمير في الشركنا والمفصل موجود وهو لا الثافية وتقدر المفسر نحن ييان للضمير في أشركنا لاصحة المعطف إذ يكن أى فاصل قال ابن مالك :

وإن على ضمير رفع متصل عطفت فاصل بالضمير المنفصل

أو فاصل ما (قوله فهو راض به) هذا هو نتيجة قولهم لو شاء الله ما أشركنا (قوله قال تعالى) أى تسلياً له عليه الصلاة والسلام (قوله كما كذب هؤلاء) أى مثل ما كذبوك ولم يصدقوا بما جئت به كذب الأمم السابقة أنبياءهم (قوله حتى ذاقوا بأسنا) غاية للتكذيب : أى استمروا على التكذيب حتى ذاقوا الخ (قوله من علم) من زائدة وعلم مبتدأ مؤخر وعند ظرف خبر مقدم ، والمعنى هل عندكم من شيء تحتجون به على ما زعمتم من أن الله راض بأفعالكم فتظفروا لنا (قوله أى لاعلم عندكم) أثار بذلك إلى أن الاستفهام إنكارى بمعنى النفي (قوله قل فله الحجة البالغة) جواب شرط مقدر قدره المفسر بقوله إن لم يكن لكم حجة (قوله التامة) أى وهى إرسال الرسل وإزال الكتب ومعنى التامة الكاملة التى لا يعترها نقص ولا خفاء (قوله هدايتكم) قدره إشارة إلى أن مفعول شاء محذوف (قوله لهداكم أجمعين) أى ولكنه لم يشأ ذلك فلم يحصل وعطى التعليق على هداية الجميع وأما هداية البعض فقد حصلت (قوله قل هل) فيها لفتان لغة أهل الحجاز عدم إلحاقها شيئاً من العلامات فهى بلفظ واحد للذكر والمؤنث والثنى والمجموع والقرآن جاء عليها وعلى ذلك فهى اسم فعل بمعنى أحضروا ولغة تميم وهى إلحاقها العلامات فتقول هلموا وهلمى وهلمنا وهلمن وعليها فهى فعل أمر ، وهذا الأمر لزيد (٥١) التبكيت لهم وإقامة الحجة عليهم (قوله فإن شهدوا) أى

بعد مجيئهم وحضورهم
(قوله فلا تشهد معهم)
أى لاتصدقهم ولا تمل
لقولهم وهذا خطاب له
والمراد غيره لاستحالة
عليه (قوله والذين
لا يؤمنون بالآخرة)
معطوف على قوله الذين
كذبوا (قوله وهم برهم
يعدلون) الجملة حالية ومعنى

(وَلَا آبَاؤُنَا وَلَا حَرَمْنَا مِنْ شَيْءٍ) فأشركنا وتحريمنا بمشيئته فهو راض به . قال تعالى :
(كَذَلِكَ) كما كذب هؤلاء (كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ) رسلهم (حَتَّى ذَاقُوا بَاسَنَا) عذابنا
(قُلْ هَلْ عِنْدَكُمْ مِنْ عِلْمٍ) بأن الله راض بذلك (فَتَخْرِجُوهُ لَنَا) أى لاعلم عندكم (إِنْ)
(مَا تَتَّبِعُونَ) فى ذلك (إِلَّا الظَّنَّ وَإِنْ) ما (أَنْتُمْ إِلَّا مُخْرَجُونَ) تكذبون فيه (قُلْ) إن
لم تكن لكم حجة (فَلِلَّهِ الْحُجَّةُ الْبَالِغَةُ) التامة (فَلَوْ شَاءَ) هدايتكم (لَهَدَاكُمْ أَجْمَعِينَ .
(قُلْ هَلَمْ) أحضروا (شُهَدَاءَ كُمُ الَّذِينَ يَشْهَدُونَ أَنَّ اللَّهَ حَرَّمَ هَذَا) الذى حرمتوه (فَإِنْ
شَهِدُوا فَلَا تَشْهَدُ مَعَهُمْ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ كَذَبُوا بِآيَاتِنَا وَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ
وَهُمْ بِرَبِّهِمْ يَغْدِلُونَ) يشركون (قُلْ تَمَالَوْا أَنْتُلُ) أقرأ (مَا حَرَّمَ رَبِّي عَلَيْكُمْ ،

يعدلون يسوون به غيره ، والمعنى لاتتبع الذين يجمعون بين التكذيب بآيات الله وبين الكفر بالآخرة وبين الاشراك بالله فى أهوائهم
(قوله قل تعالوا) لما أقام الله سبحانه وتعالى الحجة على الكفار بأنه لا تحليل ولا تحريم إلا بما أحله الله أو حرّمه كأن سائلًا
قال وما الذى حرّمه وأحلّه فقال سبحانه قل تعالوا الخ وتعالوا فعل أمر مبنى على حذف النون والواو فاعل وهو فى الأصل موضوع
لطلب ارتفاع من مكان سافل إلى مكان عال ثم استعمل فى الاقبال والحضور مطلقاً وآثرها إشارة إلى أنهم فى أسفل الدرجات وهو
يطلبهم لارتفاع والعلو من أخس الأوصاف إلى أكملها وأعلاها كأنه قال أقبلوا إلى العالى لأن من سمع أحكام الله وقبلها بنصح كان
فى أعلى الراتب (قوله أنل) جواب الأمر مجزوم بحذف الواو والضمّة دليل عليها وقيل جواب لشرط محذوف تقديره إن تأتوا
أنل : أى أقرأ ما حرّم الله عليكم (قوله ما حرّم ربكم) ما اسم موصول وحرّم صلته والعائد محذوف وربكم فاعل حرم وقوله
عليكم تنازعه كل من أنل وحرّم أعمل الثانى وأضر فى الأول وحذف لأنه فضلة . وحاصل ما ذكر فى هاتين الآيتين عشرة
أشياء خمسة بصيغ النهى وخمسة بصيغ الأمر وقدم النهى عنه لأن درء المفسد مقدم على جلب المصالح ولأن النهى عنه مأمور
باجتنابه مطلقاً والمأمور به على حسب الاستطاعة لما فى الحديث «مانهيتكم عنه فاجتنبوه وما أمرتكم به فأتوا منه ما استطعتم»
ووسط بينهما الأمر بيرة الوالدين اعتناء بشأنه لكونه أعظم الواجبات بعد التوحيد وهذه العشرة لا تختلف باختلاف الأمم
والأعصار بل أجمع عليها جميع أهل الأديان . قال ابن عباس هذه آيات محكمات لم ينسخن شيء فى جميع الكتب وهن محرمات
على بن آدم كلهم وهن أم الكتاب من عمل بهن دخل الجنة ومن تركهن دخل النار

(قوله أن مفسرة) أى وضابطها موجود وهو أن يتقدمها جملة فيها معنى القول دون حروفه ، واشتراك بأن هذا يقتضى أن جميع ما يأتى حرم مع أن بضه مأمور بفعله على سبيل الوجوب. أجيب بأجوبة منها أن التحريم فى النهى عنه ظاهر فى الأمور به باعتبار أضرارها ، فالنهي حرم فعلا وهى التنبهات أو تركا وهى للأمورات ، ومنها أن فى الكلام حذف الواو مع ما عطف ، والتقدير ما حرم ربكم عليكم وما أمركم به . ثم فرع بعد ذلك على المذكور والمحذوف والأقرب الأول (قوله لا تشرِكوا به شيئا) أنه لا فى الأقوال ولا فى الأفعال ولا فى الاعتقادات (قوله إحسانا) مفعول مطلق لفعل محذوف قدره للفسر بقوله أحسنوا ، وللمراد بالوالدين الأب والأم وإن عليا (قوله بالوآد) تنقم أنه الهبن بالحياة (قوله من إملاق) يطلق بمعنى الفقر والافلاس والافساد ، وللمراد هنا الأول (قوله نحن نرزقكم وإياهم) هذا فى معنى التعليل للنهى للتقتم ، وللعنى لا يقتلوا أولادكم من أجل حصول فقر لأن رزقكم ورزقهم علينا لاعلى خبرنا ، وقال هنا من إملاق ، وقال فى الاسراء خشية إملاق لأن ما هنا فى الفقر الحاصل بالفعل وما فى الاسراء فى الفقر للتوقع فهو خطاب للأغنياء وقسم هنا خطاب الآباء وهناك ضمير الأولاد ، قيل فتنا ، وقيل قسم هنا خطاب الآباء تسجيلا لبشارة الآباء الفقراء بأنهم فى ضمان الله وقسم هناك ضمير الأولاد لتطمئن الآباء بضمين رزق الأولاد فهذه الآية تنهى التنبه عن قتل الأولاد وإن كانوا متلبسين بالفقر والأخرى عن قتلهم وإن كانوا موسرين ولكن يخافون وقوع الفقر (قوله ولا تقربوا الفواحش) هذا أهم ما قبله لأن من جملة الفواحش قتل الأولاد (قوله أى علانيتها) أى كالقتل والزنا والسرقة وجميع المعاصى (٥٣) الظاهرية ، وقوله وسرها: أى كالرياء والعجب والكبر والحسد وجميع المعاصى الخفية (قوله ولا تقتلوا النفس) عطف خاص على علم ونكته الاستثناء بعده (قوله التى حرم الله) مفعول حرم محذوف : أى قتلها (قوله إلا بالحق) فى محل نصب على الحال أو سعة لمصدر محذوف ، والتقدير ولا تقتلوا النفس التى حرم الله إلا ملتبسين بالحق أو قتلا ملتبس بالحق وهو استثناء مفرغ : أى

أن (مفسرة) (لا تشرِكوا به شيئا، و) أحسنوا (بالوالدين إحسانا) ولا تقتلوا أولادكم (بالوآد) (من) أجل (إملاق) قدر تخافونه (نحن نرزقكم وإياهم ولا تقربوا الفواحش) الكبار كالزنا (ما ظهر منها وما بطن) أى علانيتها وسرها (ولا تقتلوا النفس التى حرم الله إلا بالحق) كالقود وحد الردة ورجم الحصن (ذلكم) المذكور (وصاكم به لعلكم تعقلون) تندبرون (ولا تقربوا مال اليتيم إلا بالتي) أى بالحصلة التى (هى أحسن) وهى ما فيه صلاحه (حتى يبلغ أشده) بأن يحتمل (وأوفوا الكيل والميزان بالقسط) بالعدل وترك البخس (لا تكلف نفسا إلا وسعها) طاعتها فى ذلك فإن أخطأ فى الكيل والوزن والله يعلم صحة نيته فلا مؤاخذه عليه كما ورد فى حديث (وإذا قلتم) فى حكم أو غيره (فاعدلوا) بالصدق (ولو كان) القول له أو عليه (ذا قرئ) قرابة (وبعهد الله أوفوا ذلكم وصاكم به

لعلكم

لا تقتلوا فى حال من الأحوال إلا فى حال ملابستكم بالحق

(قوله كالقود) أى القصاص ، وقوله وحد الردة : أى لما فى الحديث « من بدل دينه فاقتلوه » وقوله ورجم الحصن : أى بشرطه هو وما قبله المذكورة فى الفروع (قوله ذلكم وصاكم به) مبتدأ وخبر ، وقوله المذكور إشارة إلى أن اسم الإشارة عائد على ما تقدم من تلك الأمور (قوله لعلكم تعقلون) ختم هذه الآية بذلك لأنها اشتملت على خمسة أشياء عظام والوصية فيها أبلغ منها فى غيرها لعموم نفعها فى الدين والدنيا غنمها بالعقل الذى هو مناط التكليف (قوله أى بالحصلة التى هى أحسن) أشار بذلك إلى أنه نعمت لمصدر محذوف ، والمعنى لا تقربوا مال اليتيم فى حالة من الحالات إلا فى الحالة التى هى أحسن لليقيم (قوله حتى يبلغ أشده) غاية لما يفهم من النهى كأنه قال احفظوه إلى بلوغ أشده فسلموه له حينئذ (قوله بأن يحتمل) هذا تفسير لبلاغ الأشد باعتبار أول زمانه وسأى فى الأحقاف تفسيره باعتبار آخره وهو ثلاث وثلاثون سنة لأن الأشد هو قوة الإنسان وشده ومبدؤه البلوغ وينتهى لثلاث وثلاثين سنة (قوله بالقسط) متعلق بمحذوف إما حال من فاعل أوفوا أو من مفعوله : أى أوفوها حال كونكم منسطين أو حال كونهما تامين (قوله وترك البخس) أى النقص فى الكيل أو الوزن (قوله فلا مؤاخذه عليه) أى لإيهم ولكنه يضمن ما أخطأ فيه لأن العمد والخطأ فى أموال الناس سواء (قوله وإذا قلتم) المراد بالقول ما يمت الفعل ، وقوله فاعدلوا بالصدق : أى لا تتركوه فى القول ولا فى الفعل وإنما خص القول تنبيها بالأدنى على الأعلى (قوله وبعهد الله) إما مخلف لفاعله : أى ما عهد إليكم أو لمفعوله : أى ما عاهدتم الله عليه .

(قوله لعلكم تذكرون) ختمها بذلك لأن هذه الأمور خفية غامضة لاجتماعها من الاجتهاد والتذكر (قوله والسكون) صوابه والتخفيف إذ لم يقرأ بسكون الدال فمن شدد قلب التاء ذالا وأدغمها في الأخرى ومن خفف حذف إحدى التاءين (قوله بالفتح) أى مع التشديد أو التخفيف ، وقوله والكسر : أى مع التشديد لا غير فالقراآت ثلاث وكلها سبعية (قوله على تقدير اللام) أى على كل من الوجهين وحينئذ تكون الواو عاطفة من عطف العلة على العلول ، والتقدير كلفتم بهذا الذى وصلكم به من أول الربع إلى هنا أو من أول السورة إلى هنا لأن هذا صراطى (قوله استثناء) أى واقعا فى جواب سؤال مقدر ومع ذلك فيها معنى التعليل كأن قائلا قال لأى شئ كلفنا بما تقدم ف قيل فى الجواب إن هذا صراطى مستقيما . ثم اعلم أنه على قراءة التشديد فاسم الإشارة اسم أن وصراطى خبرها وعلى قراءة التخفيف فاسمها ضمير الشأن واسم الإشارة مبتدأ وصراطى خبره والجملة خبر أن ومستقيما حال من صراطى على كل حال (قوله وأن هذا) يصح أن يرجع لاسم الإشارة إلى ما تقدم من أول الربع أو من أول السورة (قوله صراطى مستقيما) أى دبنى لا اعوجاج فيه فشبّه الدين القويم بالصراط بمعنى الطريق بجامع أن كلا يوصل المقصود واستعار اسم الشبه به للشبه على طريق الاستعارة التصريحية الأصلية (قوله فاتبعوه) أى اسلكوه ولا تحودوا عنه فتقعدوا فى الهلاك ، روى الدارقطنى عن ابن مسعود قال « خط لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما خطا ، ثم قال هذا سبيل الله ثم خط خطوطا عن يمينه وخطوطا عن شماله ثم قال هذه سبل على كل سبيل منها شيطان يدعو إليها ثم قرأ هذه الآية » ، وفى رواية « أنه خط خطا وخط خطين عن يمينه وخط خطين عن شماله ثم وضع يده (٥٣) فى الخط الأوسط فقال هذا سبيل الله ثم تلا هذه الآية »

سبيل الله ثم تلا هذه الآية (قوله الطرق المخالفة) أى الأديان المبينة له فشبّه الأديان الباطلة بالطرق المعوجة بجامع أن كلا يوصل صاحبه إلى الهلاك واستعير اسم الشبه به للشبه (قوله تفرق) بالنصب بأن مضمر فى جواب النهى (قوله ذلكم) أى مامرا من

لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ) بالتشديد تمنعون والسكون (وَأَنَّ) بالفتح على تقدير اللام والكسر استثناء (هَذَا) الذى وصيتكم به (صِرَاطِى مُسْتَقِيمًا) حال فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَقْبَلُوا السُّبُلَ) الطرق المخالفة له (فَتَفَرَّقَ) فيه حذف إحدى التاءين : تميل (بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ) دينه (ذَلِكَمُ وَصِيَّتُكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ) . ثُمَّ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ التَّوْرَةَ وثم لترتيب الأخبار (تَمَامًا) للنعمة (قَالَ الَّذِينَ أَحْسَنَ) بالقيام به (وَتَفْصِيلًا) بيانا (لِكُلِّ شَيْءٍ) يحتاج إليه فى الدين (وَهَدَى وَرَحْمَةً لَّعَلَّهُمْ) أى بنى إسرائيل (بِلِقَاءِ رَبِّهِمْ) بالبعث (يُؤْمِنُونَ . وَهَذَا) القرآن (كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ مَبَارَكًا فَاتَّبِعُوهُ) يا أهل مكة بالعمل بما فيه (وَاتَّقُوا) الكفر (لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ) أنزلناه ،

اتباع دينه وترك غيره من الأديان (قوله لعلكم تتقون) أى تمتثلون الأمور وتجتنبون النهيات وآتى بالتقوى هنا لأن الصراط للستقيم جامع للتكاليف ، وقد أمر باتباعه ونهى عن الطرق المعوجة فناسب ذكر التقوى (قوله وثم لترتيب الأخبار) أى الترتيب فى الذكر لافى الزمان وهو جواب عما يقال إن إتياء موسى الكتاب كان قبل نزول القرآن فكيف يعطف بتم المفيدة للترتيب والتراخي . وأجيب أيضا بأن ثم لجرد العطف كالواو فلا ترتيب فيها ولا تراخي (قوله تماما) مفعول لأجله : أى آتيناه الكتاب لأجل تمام النعمة الخ (قوله للنعمة) أى الدنيوية والأخروية (قوله على الذى أحسن) متعلق بتماما ومعنى أحسن قام به الحسن وهو الصفات الجميلة ، وقوله بالقيام به سبب لكونه قام به الحسن ، والمعنى تماما على الحسن منهم بسبب قيامه به : أى اتباعه له وامتناله مأموراته واجتنابه منهياته (قوله وتفصيلا) عطف على تماما (قوله أى بنى إسرائيل) أى المدلول عليهم بذكر موسى والكتاب (قوله بقاء ربهم) متعلق بيؤمنون قدم عليه للفاصلة (قوله وهذا كتاب) مبتدأ وخبر وجهه أنزلناه نعمت أول لكتاب ومبارك نعمتان له : أى كثير الخير والنافع دينا ودنيا ، والمعنى وهذا القرآن العظيم كتاب أنزلناه من اللوح المحفوظ ليلة القدر إلى حماء الدنيا فى بيت العزة ، ثم نزل مفردا على حسب الوقائع مبارك كثير الخير والنافع فى الدنيا بالشقاء به والامتن من الحسف والمسح والضلال والآخرة بتلقى السؤال عن صاحبه وشهادته له وكونه ظلة على رأسه فى حر الموقف والرقى به إلى الدرجات العلا (قوله يا أهل مكة) قصر الخطاب عليهم لأنهم هم المعاندون فى ذلك الوقت (قوله بالعمل بما فيه) بيان لاتباعه (قوله لعلكم ترحمون) أى نصيكم الرحمة فى الدنيا والآخرة

(قوله أن تقولوا) مفعول لأجله والعامل محذوف فتره للفسر بقوله أنزلناه ولا يصح أن يكون العامل أنزلناه المذكور لأنه يلزم عليه الفصل بين العامل والمفعول بأجنبي وهو لفظ مبارك وقد مر للفسر لأن الأنزال هنا لعدم القول لا للقول . وقال بعضهم : إن الكلام على حذف مضاف : أي كراهة أن تقولوا وكل صحيح (قوله إنما أنزل الكتاب) أي جنسه الصادق بالتوراة والانجيل (قوله وإن محققة) أي من الثبوت (قوله واسمها محذوف الخ) فيه شيء وذلك لأن إن المكسورة إذا خفت ودخلت على فعل ناسخ مثل كنا أهملت فلا حمل لها ووجب اقتران الخبر باللام وذلك كما في هذه الآية (قوله قراءتهم) أي لكتبهم ، والمعنى لا تفهم معانيها لأنها بالعبرانية أو السريانية ونحن عرب لا نفهم إلا اللغة العربية (قوله لفافلين) أي لانعلها والمقصود قطع حججهم وعذرهم بانزال القرآن بلغتهم ، والمعنى أنزلنا القرآن بلغتهم لئلا يقولوا يوم القيامة إن التوراة والانجيل أنزلا على طائفتين من قبلنا بلغتهما فلم نفهم ما فيها (قوله أو تقولوا) عطف على اللحن وهو قطع لعذرهم أيضا (قوله لسكنا أهدى منهم) أي إلى الحق والطريق المستقيم (قوله فقد جاءكم بينة) أي لاتعذروا بذلك فقد جاءكم (قوله أي لأحد) أشار بذلك إلى أن الاستفهام إنكارى بمعنى النفي (قوله سوء العذاب) أي العذاب السيئ بمعنى الشديد (قوله بما كانوا يصدفون) الباء سببية ومصدرية : أي بسبب إعراضهم وتكذيبهم بآيات الله (قوله ها ينظرون) استفهام إنكارى بمعنى النفي وهو مزيد تخويف وتحذير لمن بقي على الكفر . إن قلت إن ظاهر الآية يقتضى (٥٤) أنهم مصدقون بهذه الأشياء حتى أثبت لهم انتظار أحدها . أجيب بأن هذه الأشياء

لما كانت محتمة عوملوا معاملة للنتظر ولم يعول على اعتقادهم ، فالعنى لامفر لهم من ذلك (قوله ما ينتظر المكذبون) أي من أهل مكة وغيرهم (قوله بالباء والياء) أي فهم قراءتان سبعيتان لأن جمع التفسير يجوز تأنيثه وتذكيره تقول قام الرجال وقامت الرجال (قوله

لِأَنَّ) لَا (تَقُولُوا إِنَّمَا أُنْزِلَ الْكِتَابُ عَلَى طَائِفَتَيْنِ) الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى (مِنْ قَبْلِنَا وَإِنْ) خَفِيفَةٌ وَاسْمُهَا مُحذُوفٌ أَيْ إِنَّا (كُنَّا عَنْ دِرَاسَتِهِمْ) قَرَأَتِهِمْ (لِفَافِلِينَ) لَعْدَمِ مَعْرِفَتِنَا لَهَا إِذْ لَيْسَتْ بِلُغَتِنَا (أَوْ تَقُولُوا لَوْ أَنَّا أُنْزِلَ عَلَيْنَا الْكِتَابُ لَكُنَّا أَهْدَى مِنْهُمْ) لَجُودَةِ أَذْهَانِنَا (فَقَدْ جَاءَكُمْ بَيِّنَةٌ) بَيَانٌ (مِنْ رَبِّكُمْ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ) لِمَنْ اتَّبَعَهُ (فَمَنْ) أَيْ لَا أَحَدٌ (أَظْلَمُ مِنْ كَذَّبَ بآيَاتِ اللَّهِ وَصَدَفَ) أَعْرَضَ (عَنْهَا سَبَّحَزَى الَّذِينَ يَصْدِفُونَ عَنْ آيَاتِنَا سُوءَ الْعَذَابِ) أَيْ أَشَدَّهُ (بِمَا كَانُوا يَصْدِفُونَ) هَلْ يَنْظُرُونَ) مَا يَنْتَظِرُ الْمَكْذِبُونَ (إِلَّا أَنْ تَأْتِيَهُمُ) الْبَأْسُ وَالْيَأْسُ (الْمَلَائِكَةُ) لِقَبْضِ أَرْوَاحِهِمْ (أَوْ يَأْتِيَ رَبُّكَ) أَيْ أَمْرُهُ بِمَعْنَى عَذَابِهِ (أَوْ يَأْتِيَ بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ) أَيْ عِلَامَاتُهُ الدَّالَّةُ عَلَى السَّاعَةِ (يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ) وَهِيَ طُلُوعُ الشَّمْسِ مِنْ مَغْرِبِهَا

كما

الملائكة) أي عزرائيل وأعوانه أو ملائكة العذاب لما تقدم

أن الكافر موكل بأخذ روحه سبع من ملائكة العذاب (قوله أي أمره) أشار بذلك إلى أن الكلام على حذف مضاف ودفع بذلك توهم حقيقة الاتيان وهو الانتقال من مكان إلى آخر إذ هو مستحيل على الله تعالى (قوله بمعنى عذابه) أي المعجل لهم إما بالسيف أو غيره (قوله الدالة على الساعة) أي على قربها ، والعلامات الكبرى عشر وهي : الدجال والدابة وخسف بالشرق وخسف بالمغرب وخسف بجزيرة العرب والدخان وطلوع الشمس من مغربها وبأجوج ومأجوج ونزول عيسى ونار تخرج من قعر عدن تسوق الناس إلى المحشر (قوله يوم يأتي بعض آيات ربك) يوم معمول لينفع على الصحيح من أن ما بعد لا يعمل فيما قبلها (قوله وهو طلوع الشمس من مغربها) ورد أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يوما «أتدرون أين تذهب هذه الشمس إذا غربت؟ قالوا الله ورسوله أعلم» . قال إنها تذهب إلى مستقرها تحت العرش فتختر ساجدة فلا تزال كذلك حتى يقال لها ارتفعي فارجعي من حيث جئت فتصبح طالعة من مطلعها وهكذا كل يوم ، فإذا أراد الله أن يطلعها من مغربها حبسها ، فتقول يارب إن مسيرى بعيد ، فيقول لها اطامى من حيث غربت ، فقال الناس يا رسول الله هل لذلك من آية ؟ فقال آية تلك الليلة أن تطول قدر ثلاث ليال- فيسقيظ الذين يخشون ربهم فيصلون ثم يقضون صلاتهم والليل مكانه لم ينقض ثم يأتون مضاجعهم فينامون حتى إذا اسقيظوا والليل مكانه خافوا أن يكون ذلك بين يدي أمر عظيم فإذا أصبحوا طالع عليهم طلوع الشمس فينظرونها إذ طلعت عليهم من قبل المغرب .

(قوله كما في حديث الصحيحين) أي وهو كما في البخاري عن أبي هريرة . قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «لا تقوم الساعة حتى تطلع الشمس من مغربها» وروى «أن أول الآيات العظام المؤذنة بتغير أحوال العالم العاوى وذلك أن الكفار سالمون في زمن عيسى فإذا قبض ومن معه من المسلمين رجع أكثرهم إلى الكفر فعند ذلك تطلع الشمس من مغربها (قوله لا ينفع نفسا) أي كافرة أو مؤمنة عاصية ويكون قوله لم تكن آمنت راجعا للأولى وقوله أو كسبت راجعا للثانية ويكون التقدير لا ينفع نفسا كافرة لم تكن آمنت من قبل إيمانها الآن ولا ينفع نفسا مؤمنة توبتها من المعاصي فقوله أو كسبت معطوف على آمنت وحينئذ فيكون في الكلام حذف قد علمته (قوله الجملة صفة نفس) أي جملة لم تكن آمنت من قبل وجاز الفصل بين الصفة والموصوفه لأنه بالفاعل وهو ليس بأجنبي (قوله أو نفسا لم تكن كسبت) أشار بذلك إلى أن المعطوف في الحقيقة محذوف وهو معطوف على المنفى (قوله كما في الحديث) روى عن صفوان بن عسال المرادى . قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «باب من قبل المغرب مسيرة عرضه أربعون أو سبعون سنة خلقه الله تعالى يوم خلق السموات والأرض مفتوحا للتوبة لا يغلق حتى تطلع الشمس منه» وورد أن من الأشراف العظام طلوع الشمس من مغربها وخروج دابة الأرض وهذا إن أيهما سبق الآخر فالآخر على أثره وورد «صبيحة تطلع الشمس من مغربها يصير في هذه الأمة قردة وخنازير وتسوى الدواوين وتحجف الأقدام لايزاد في حسنة ولا ينقص من سيئة ولا ينفع نفسا إيمانها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت في إيمانها خيرا» وورد «لا تزال الشمس تجرى من مطلعها إلى مغربها حتى يأتي الوقت الذي جعله الله غاية لتوبة عباده فستأذن الشمس من أين تطلع ويستأذن القمر من أين يطلع فلا يؤذن لهما فيجبسان مقدار ثلاث نبال للشمس ولبلتين (٥٥) للقمر فلا يعرف مقدار حبسهما

إلا قليل من الناس وهم أهل الأوراد وحمل القرآن فينادى بعضهم بعضا فيجتمعون في مساجدهم بالتضرع والبكاء والصراخ بقية تلك الليلة ثم يرسل

كما في حديث الصحيحين (لَا يَنْفَعُ نَفْسًا إِيْمَانُهَا لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِنْ قَبْلُ) الجملة صفة نفس (أو) نفسا لم تكن (كَسَبَتْ فِي إِيْمَانِهَا خَيْرًا) طاعة أي لا تنفعها توبتها كما في الحديث (قُلْ أَنْتَظِرُوا) أحد هذه الأشياء (إِنَّا مُنْتَظِرُونَ) ذلك (إِنَّ الَّذِينَ فَرَقُوا دِينَهُمْ) باختلافهم فيه ،

الله جبريل إلى الشمس والقمر فيقول إن الرب تعالى يأمركما أن ترجعا إلى مغاربكما قطلاعا منه لا ضوء لكما عندنا ولا نور فتبكي الشمس والقمر من خوف يوم القيامة وخوف الموت فترجع الشمس والقمر فيطأمان من مغربهما فينما الناس كذلك يتضرعون إلى الله والعاقلون في غفلاتهم إذ نادى مناد ألا إن باب التوبة قد أغلق والشمس والقمر قد طلعا من مغاربهما فينظر الناس وإذا بهما أسودين كالعكبين : أي الغرارين العظيمتين لا ضوء لهما ولا نور فذلك قوله وجمع الشمس والقمر فيرتفعان مثل البعيرين المقرنين ينازع كل منهما صاحبه استباقا ويتصاحب أهل الدنيا وتذهل الأمهات عن أولادها وتضع كل ذات حمل حملها فأما الصالحون والأبرار فأنهم ينفعهم بكاؤهم يومئذ ويكتب لهم عبادة وأما الفاسقون والفجار فلا ينفعهم بكاؤهم يومئذ ويكتب عليهم حسرة فإذا بلغت الشمس والقمر وسط السماء جاءها جبريل فأخذ بهما فبرهنهما إلى المغرب فيغيرهما في باب التوبة ثم يرد المصراعين فيلتصم تائينهما ويصيران كأنهما لم يكن فيهما صدع ولا خلل فإذا أغلق باب التوبة لم يقبل لعبد بعد ذلك توبة ولا تنفعه حسنة يعملها بعد ذلك إلا ما كان قبل ذلك فإنه يجزى لهم» وورد «أن الدنيا تمكث بعد طلوع الشمس من مغربها مائة وعشرين سنة تجتمع المؤمنون فيها أربعين سنة لا يجتمعون شيئا إلا أعطوه ثم يعود فيهم الموت ويسرع فلا يبقى مؤمن ويبقى الكفار يتهاجون في الطرق كالبهايم حتى ينكح الرجل المرأة في وسط الطريق يقوم واحد منها وينزل واحد وأفضلهم من يقول لو تنحيت عن الطريق لكان أحسن فيكونون على مثل ذلك حتى لا يولد لأحد من نكاح ثم يعقم الله النساء ثلاثين سنة ويكون كلهم أولاد زنا شرار الناس عليهم تقوم الساعة» (قوله قل أنتظروا) أمر تهديد على حد أعمالوا ما شئتم (قوله إن الدين فرقا دينهم) الاقرب كما قال المفسر أنها نزلت في اليهود والنصارى لما ورد «قام فينا رسول الله فقال ألا إن من قبلكم من أهل الكتاب افترقوا على اثنتين وسبعين ملة وإن هذه الأمة ستفترق على ثلاث وسبعين فئتان وسبعون في النار وواحدة في الجنة وهي الجماعة» وفي رواية «من كان على ما أنا عليه وأصحابي» .

(قوله فأخذوا بضه) أى كما حكا الله عنهم بقوله في سورة النساء. ويقولون قرمن بيض وفكر بيض (قوله وفي قراءة) أى وهى سبعة أيضا (قوله لست منهم فى شئ) أى لست مأمورا بقتالهم وهذا ما شئى عليه المفسر من أنها منسوخة وقيل إنها حكمة والمعنى أنت برى منهم ومن أفعالهم لقطع نسبهم منك بكفرهم (قوله فيجازيهم به) أى بظلمهم (قوله وهذا) أى قوله لست منهم فى شئ (قوله من جاء بالحسنة) أى يوم القيامة (قوله فله عشر أمثالها) هذا إخبار بأقل المضاعفة وإلا فقد جلد مضاعفة الحسنة بسبعين وسبعمئة وبغير حساب . واعلم أن المضاعفة تابعة للاخلاص فكل من عظم إخلاصه كانت مضاعفة حسنه أكثر ومن هنا قوله عليه الصلاة والسلام «الله الله فى أصحابي لا تتخذوهم غرضا من بعدى فوالذى قضى بيده لو أظن أحدكم مثل أحد ذهب ما بلغ مد أحدهم ولا نصيفه» وفسر الحسنة بلا إله إلا الله وهو أحد تفسيرين والآخران للراد بها كل ما أمر الله به فيشمل الذكر والصلاة والصدقة وغير ذلك من أنواع البر وهو الأول لأنه إن أراد خصوص ما ينبجى من الشرك فضلك جزاءه دخول الجنة وإن أراد الذكر بها فلا مفهوم لها لأن العبرة بعموم اللفظ وأفرد فى الحسنة والسبئة لأنه لو جمع لربما تورم أن الجزاء اجمالى بحيث يعطى فى نظير حسناته كلها عشرة أمثالها بل الجزاء لكل فرد من أفراد الحسنات والسبئات لأن الحسنات تتفاوت فرما جوزى على بعضها عشرا وعلى بعضها أكثر (قوله أمثالها) جمع مثل إن قلب إنه مذ كر فكان مقضاه تأييد العدد قال ابن مالك : ثلاثة بالناء قل للعشرة فى عدما أحاده مذ كره

فى الصدج جرد . وأجيب بأنه جرد (٥٦) التاء مراعاة لاضافة مثل ضمير الحسنة فكأنه اكتسب التأنيث من

المضاف إليه أو يقال إن أمثال صفة لموصوف محذوف تقديره عشر حسنات أمثالها مجرد العدد من التاء مراعاة للموصوف المحذوف وإلى هذا الثانى أشار المفسر بقوله أى جزاء عشر حسنات (قوله ومن جاء بالسبئة) أى الشرك على

فأخذوا بضه وتركوا بضه (وَكَانُوا شِيْعًا) فرقا فى ذلك ، وفى قراءة فارقوا أى تركوا دينهم الذى أمروا به وهم اليهود والنصارى (لَسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ) فلا تتعرض لهم (إِنَّمَا أَمْرُهُمْ إِلَى اللَّهِ) يتولاه (ثُمَّ يُدَبِّبُهُمْ) فى الآخرة (بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ) فيجازيهم به ، وهذا منسوخ بآية السيف (مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ) أى لا إله إلا الله (فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا) أى جزاء عشر حسنت (وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَى إِلَّا مِثْلُهَا) أى جزاءه (وَهُمْ لَا يَظْلَمُونَ) ينقصون من جزائهم شيئا (قُلْ إِنِّى هَدَانِى رَبِّى إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ) ويبدل من محله (دِينًا قِيَمًا) مستقيما ،

ماقاله المفسر حيث فسر الحسنة بلا إله إلا الله او ماهو اعم وهو الأولى (قوله فلا يجزى إلا مثلها) أى إن (ملة) مات غير قاتل وجوزى وإلا فأمره مفوض لربه فلن شاء عذبه وإن شاء عفا عنه وأما إن مات نائبا فلا سبئة له لأنه من المحبوب لله والمحبوب لا سبئة له قال تعالى - إن الله يحب التوابين - وقال عليه الصلاة والسلام «التائب من الذنب كمن لا ذنب له» (قوله وهم لا يظلمون) أى العاملون للحسنات والسبئات (قوله ينقصون من جزائهم) هذا بالنظر لجزاء الحسنات أى ولايزاد فى سبئات أهل العقاب فالظلم نقص الحسن والزيادة فى المسيء وتسميته ظلما تنزل منه سبحانه وتعالى وإلا فالظلم التصرف فى ملك الغير ولا ملك لأحد منه تبارك وتعالى وأما الزيادة فى الحسنات فليس بظلم بل هو تفضل منه وإحسان . واعلم أن الحسنة تتفاوت والسبئة كذلك فليس من تصدق بدرهم كمن تصدق بدينار وهكذا وليس من فعل صغيرة كمن فعل كبيرة وهكذا فشرة أمثال الحسنة من شكلها ومثل السبئة من شكلها . واعلم أيضا أن هذا الجزاء لمن فعل الحسنة والسبئة وأما من هم بحسنة ولم يعملها كتبت له حسنة واحدة ومن هم بسبئة ولم يعملها فإن تركها خوف الله كتبت حسنة وإن تركها لا لذلك لم تكتب شيئا لما فى الحديث قال الله تعالى «إذا تحدث عبدي بحسنة ولم يعملها فأنا أكتبها له حسنة حتى يعملها فإن عملها فأنا أكتبها له بعشر حسنات وإذا تحدث عبدي بسبئة ولم يعملها فأنا أضربها له حتى يعملها فإن عملها فأنا أكتبها له بسبئها» (قوله قل، إني هدى) إن حرف تركيد ونصب والياء اسمها وجملة هدى ربي خبرها وهدى فعل مضارع والياء مفعول أول وإلى صراط مستقيم مفعول ثان وربي فاعل، والمعنى قل يا هدى لكفار مكة إني أرشدني ربي ووصلني إلى دين مستقيم لا اعوجاج فيه (قوله ويبدل من محله) أى هل إلى صراط مستقيم وهو النصب لأنه المفعول الثانى (قوله قبا) نعم لدينا أنى لا اعوجاج فيه .

(قوله إله إبراهيم) بدل ديننا أى دينه وشريسته وما أوحى به إليه (قوة حنيفا) حال من إبراهيم أى ما تلاه عن أضلال الله الاستقامة (قوله وما كان من المشركين) عطف حال على أخرى وفيه تعريض بخروج جميع من خالف دين الإسلام عن إله إبراهيم (قوله عبادتى) أشار بذلك إلى أن قوله ونسكى عطف عام على خاص (قوله ومماى) قرأ نافع بسكون ياء مماى وفتح ياء مماى والباقون بالعكس (قوله لله رب العالمين) الجار والمجرور متعلق بمحذوف خبر إن ولكن يقتصر بالنسبة للعبادة خاصة وبالنسبة للحياة والموت مخلوقة (قوله فى ذلك) أى الصلاة والنسك والمها والممات (قوله وأما أول المسلمين) أى النقادين لله . واستشكل بأنه تقدمه الأنبياء وأممهم . وأجاب المفسر بأن الأولوية بالنسبة لأئمة . وأجيب أيضا بأن الأولوية بالنسبة لعالم الدر فهمى حقيقة (قوله قل أغبر الله) نزلت لما قال الكفار يا محمد ارجع إلى ديننا وغير منصوب بأبنى وربا تميز بقوله لها تفسيرا لربا (قوله أى لا أطلب) أشار بذلك إلى أن الاستفهام إنكارى بمعنى النفى (قوله وهو رب كل شئ) الجملة حالية ، والمعنى لا يلبق أن آخذ لها غير الله والحال أنه مالك كل شئ (قوله ولا تسكب كل نفس إلا عليها) رد لقولهم : اتبعوا سلطانا ولا تحمل خطاياكم أى يكتب علينا ما عملتم من الخطايا (قوله إلا عليها) أى إلا فى حال كونه مكتوبا عليها لا على غيرها (قوله ولا تزر وزرة) أى ولا غير وزرة وإنما قيد بالوزرة موافقة لسبب النزول ، وهو أن الوليد بن المغيرة كان يقول للمؤمنين اتبعوا سبيلي أحمل عنكم أوزاركم وهو وازر (قوله وزر أخرى) إن قلت (٥٧) كيف هذا مع قوله تعالى :

وليعملن أقفالهم وأنتالاه مع أقفالهم ، وقوله عليه الصلاة والسلام « من سن سنة سيئة فعليه وزرها ووزر من عمل بها إلى يوم القيامة » . وأجيب بأن ما هنا محمول على من لم ينسب فيه بوجه وفى الآية الأخرى والحديث محمول على من نسب فيه فعليه وزر المباشرة ووزر التسبب ووزر الفاعل لا يفارقه

(وَلَهُ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ . قُلْ إِنْ صَلَّيْتُ وَنُسَكِي عِبَادَتِي مِنْ حَجٍّ وَغَيْرِهِ (وَمَحْيَايَ) حَيَاتِي (وَمَمَاتِي) مَوْتِي (لِلَّهِ رَبِّ الْمَالِينَ لَا شَرِيكَ لَهُ) فِي ذَلِكَ (وَبِذَلِكَ) أَيْ التَّوْحِيدِ (أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ) مِنْ هَذِهِ الْأُمَّةِ (قُلْ أَغْبَرَ اللَّهُ أَبْنِي رَبًّا) إِلَهًا أَيْ لَا أَطْلُبُ غَيْرَهُ (وَهُوَ رَبُّ) مَالِكِ (كُلِّ شَيْءٍ وَلَا تَسْكِبُ كُلُّ نَفْسٍ) ذَنْبًا (إِلَّا عَلَيْهَا وَلَا تَزُرُ) تَحْمِلُ نَفْسٍ (وَزَارَةً) آثَمَةً (وِزْرًا) نَفْسٍ (أُخْرَى ثُمَّ إِلَى رَبِّكُمْ مَرْجِعُكُمْ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ . وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ خَلَافَ الْأَرْضِ) جَمَعَ خَلِيفَةً أَيْ يَخْلَفُ بَعْضُكُمْ فِيهَا (وَرَفَعَ بَعْضُكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ) بِالْمَالِ وَالْجَاهِ وَغَيْرِ ذَلِكَ (لِيَبْلُوَكُمْ) لِيَخْتَبِرَكُمْ (فِيمَا آتَاكُمْ) أَيْ أَعْطَاكُمْ إِيَّاهُ لِيُظْهِرَ الْمَطِيعَ مِنْكُمْ وَالْمَاعِصِ ، (إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ الْعِقَابِ) لَنْ عَصَاهُ (وَأَنَّهُ لَفُتُورٌ) لِلْمُؤْمِنِينَ (رَحِيمٌ) بِهِمْ .

(قوله فينبئكم) أى يخبركم ويعلمكم (قوله بما كنتم فيه تختلفون) أى من الأديان والملل (قوله أى يخلف بعضكم بعضا فيها) أشار بذلك إلى أن إضافة خلافت للأرض على معنى فى (قوله ورفع بعضكم فوق بعض) أى خالف بين أحوالكم حيث جعل منكم الحسن والقبيح والغنى والفقر والعالم والجاهل والقوى والضعيف ليلوكم فيما آتاكم وليس عجرا عن مساواتكم فإنه منزعه عنه سبحانه (قوله ليختبركم) أى يعاملكم معاملة المختبر والإنلا يخفى عليه شئ (قوله أى أعطاكم إياه) أى من الغنى والفقر لينبين الصابر والشاكر من غيرهما (قوله إن ربك سريع العقاب) إن قلت إن الله حلیم لا يسجل بالعقوبة على من عصاه فكيف وصف بكونه سريع العقاب ؟ . أجيب بأن كل آت قريب ، أو المعنى سريع العقاب إذا جاء وقته وأكد الجملة الثانية هنا باللام وفى الأعراف الجملتين لأن الوعيد المتقدم هنا أخف من الوعيد المتقدم هناك فالوعيد هنا هو قوله : ومن جاء بالسيئة فلا يجزى إلا مثله ، وأما فى الأعراف فهو قوله : وأخذنا الذين ظلموا بعذاب بئس وقوله : كونوا قردة خاسئين فال مقام هنا لغلبة الرحمة فذلك أكدت دون العقاب وأما هناك فال مقام لهم فذلك أكد ما (قوله وانه لففور رحيم) جعل خبر إن فى هذه الآية من الصفات الداتية الواردة على بناء المبالغة وأكده باللام وجعل خبر إن السابقة صفة جارية على غير من هو له للتنبيه على أنه تعالى غفور رحيم بالدات مبالغ فيهما ومعاقب بالعرض مسامح فى العقوبة ، ومعنى بالدات أن مغفرته من رحمته لا تتوقف على تأهل من العبد ، ومعنى بالعرض أن عقابه لا يكون إلا بعد صدور ذنب فتأمل .

[سورة الأعراف] سميت بذلك لذكر أهل الأعراف فيها من باب تسمية الشيء بجزئه (قوله مكية) تقدم أن للشيء ما نزل قبل الهجرة وإن نزل بأرض المدينة (قوله الثمان) أى ومنها : إنا لانضيق أجر الصالحين وقوله وألحس أى ومنها : وإنه لغفور رحيم (قوله أعلم براده بذلك) هذا أحد أقوال تقدم جملة منها وقد ذكر هذا القول في الخازن بقوله : هي حروف مقطعة استأثر الله بعلمها وهي سره في كتابه العزيز (قوله هذا كتاب) قدره إشارة إلى أن كتاب خبر المحذوف واسم الإشارة عائد على القرآن بمعنى القدر الذى نزل منه وجملة أنزل إليك نعت لكتاب قصد به تشريف النازل والمنزل عليه (قوله فلا يكن في صدرك حرج منه) لانهية ويكون مجزوم بها وفي صدرك خبرها مقدم وحرج اسمها مؤخر ومنه حجة لخرج وهو نهى عن السبب وفي الحقيقة انتهى عن أسباب الحرج ، والمعنى لاتتعاط أسبابا توجب الحرج (قوله أن تبلمه) أشار بذلك إلى أن الكلام على حذف مضاف أى من تبلمه ويصح أن الضمير عائد على المنزل أو الإزال أو الانذار (قوله لتندبر) من الانذار وهو التخويف من عذاب الله بسبب مخالفته (قوله متعلق بأنزل) أى واللام للتعليل فهو مفعول لأجله وإنما جرّ باللام لفقد بعض الشروط لأنه اختلف مع عامله في الزمان والفاعل لأن زمن الإزال غير زمن الانذار وفاعل الإزال الله تعالى وفاعل الانذار النبي صلى الله عليه وسلم (قوله وذ كرى) إما في محل نصب عطف على تنذر أوفى محل رفع خبر المحذوف تقديره (٥٨) هو ذ كرى أوفى محل جر عطف على المصدر المنسبك من أن المقدرة بعد

(سورة الأعراف)

مكية إلا « واسألهم عن القرية » - الثمان أو ألحس آيات -
مائتان وخمس أو ست آيات

(بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ . المص) الله أعلم براده بذلك ، هذا (كِتَابٌ أَنْزَلَ إِلَيْكَ) خطاب للنبي صلى الله عليه وسلم (فَلَا يَكُنْ فِي صَدْرِكَ حَرَجٌ) ضيق (مِنْهُ) أن تبلمه مخافته أن تكذب (لَتُنذِرَ) متعلق بأنزل أى للانذار (بِهِ وَذِكْرَى) تذكرة (لِلْمُؤْمِنِينَ) به قل لهم (أَتَبِعُوا مَا أَنْزَلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ) أى القرآن (وَلَا تَتَّبِعُوا) تتخذوا (مِنْ دُونِهِ) أى الله أى غيره (أَوْلِيَاءَ) تطيعونهم في معصيته تعالى (قَلِيلًا مَا تَذَكَّرُونَ) بالناء والياء تتمظون وفيه إدغام التاء في الأصل في الذال وفي قراءة بسكونها وما زائدة لتأكيد القلة (وَكَمْ) خبرية مفعول (مِنْ قَرْيَةٍ) ،

اللام والفعل والتقدير أنزل للانذار والتذكير . ولما كان النبي مكافا بالتبليغ للكفار وإن لم يتعظوا به أسند الانذار له ، ولما كانت الوعظة والتذكر قائمة بالمؤمنين عند صياحه أسندت لهم فالوعظ للكفار من غيرهم والواعظ للمؤمنين من أنفسهم وحيث كان القرآن منزلا لانذار الكفار واتعاط المؤمنين

أريد

به فلا يحل إخراجها عما أنزل له

كأن يقرأه الشخص في الطرقات لطلب الدنيا أوليتغنى به بحيث يكون المقصود من القرآن الدنيا أو التلذذ بالصوت الحسن كما يتلذذ بالغناء فان ذلك من الضلال الميئس للوجوب للعقوبة (قوله اتبعوا) أمر لجميع المكافين أو للكافرين (قوله من ربكم) إما متعلق بأنزل أو بمحذوف حال من الموصول (قوله من دونه) إما متعلق بقوله لاتتبعوا ، والمعنى لاتعدلوا عنه إلى غيره من الشياطين أو الكهان أو حال من أولياء لأنه نعت نسكرة قدم عليها ، والمعنى لاتتولوا من دونه أحدا من شياطين الانس والجن ليحملوكم على الأهواء والبدع (قوله بالناء) أى مع تشديد الذال بعدها وقوله والياء أى قبل التاء مع تخفيف الذال وقوله وفيه إدغام التاء راجع إلى القراءة الأولى وقوله وفي قراءة بسكونها صوابه بتخفيفها وفيه حذف إحدى التائين فالتراآت ثلاث وكلها سبعة (قوله وما زائدة لتأكيد القلة) أى وقليل نعت مصدر محذوف أى تذكر قليل أو نعت ظرف زمان محذوف أى زمانا قليلا والمصدر أو الظرف منصوب بالفعل بعده (قوله وكم خبرية) أى بمعنى كثيرا ولم ترد في القرآن إلا هكذا ويجب لها الصدارة لكونها على صورة الاستغماية (قوله مفعول) أى لفعل محذوف يفسره قوله أهلكنها من باب الاشتغال والتقدير وكم من قرية أهلكنها أهلكنها ويصح أن يكون كم مبتدأ وجملة أهلكنها خبر ومن قرية تمييز لكم على كل حال .

(قوله أريد أهلها) أى فأتانى المحل وأريد الحال فيه فهو مجاز مرسل (قوله أردنا إهلاكها) جواب عما يقال إن الإهلاك مسبب عن البأس الذى هو العذاب وظاهر الآية يقتضى أن العذاب مسبب عن الإهلاك فأجاب بأن الكلام فيه حذف (قوله يياتنا) يحتمل أنه حال والتقدير جاءها بأسنا حال كونه يياتنا أى فى البيات بمعنى الليل أو ظرف وهو المتبادر من عبارة المفسر (قوله أو هم قائلون) أو للتنويع والجملة حالية معطوفة على ما قبلها والواو مقترنة وإنما حذف لدفع الثقل باجتماع حرفي عطف فى الصورة وقائلون من قال يقيل كباع يبيع فألفه منقلبة عن ياء بخلاف قال من القول فهى منقلبة عن واو (قوله والقيولة استراحة نصف النهار) هذا قول ثان فى تفسيرها فتحصل أن القيولة فيها قولان النوم وقت الظهر أو الاستراحة فى وسط النهار وإن لم يكن معها نوم (قوله أى مرة جاءها ليلا الخ) هذا تفسير مراد للآية وقوله جاءها أى جاء بعضها ليلا كقوم لوط وقوله ومرة نهارا أى كقوم شعيب (قوله لما كان دعواهم) أى استغاثتهم وتضرعهم أو المراد قولهم على سبيل التحسر والتندم (قوله إذ جاءهم) ظرف لقوله دعواهم (قوله إلا أن قالوا) أى إلا قولهم إنا كنا ظالمين والمعنى أنهم لم يقدرُوا على دفع العذاب عنهم وإنما ذلك تحسر وندامة طمعا فى الخلاص (قوله فلنسألن) اللام موطئة لقسم محذوف والتقدير والله لنسألن وهذا إشارة لعذابهم فى الآخرة إثر بيان عذابهم فى الدنيا والمقصود من سؤال الأمم زيادة الافتضاح لهم ومن سؤال الرسل رفع قدرهم وزيادة شرفهم وتبكيك الأمم حيث كذبوهم (قوله بعلم) متعلق بمحذوف حال من فاعل نقصن والتقدير فلننقصن عليهم حال كوننا مصحوبين بعلم وهذا حيث سكنت الرسل عن الجواب وقالوا لا علم لنا (٥٩) إلا ما علمتنا إنك أنت علام الغيوب

(قوله وما كنا غائبين) تأكيد لما قبله (قوله فيما عملوا) فى معنى عن أى عما عملوا (قوله والوزن) مبتدأ وقوله يومئذ خبره والحق نعتة وهذا هو إعراب المفسر ويصح أن يكون الحق خبر المبتدأ ويومئذ ظرف منصوب على الظرفية وهذا الوزن بعد أخذ المصحف والحساب

أريد أهلها (أهلكنّاها) أردنا إهلاكها (فجاءها بأسنا) عذابنا (يياتنا) ليلا (أو هم قائلون) نائمون بالظهيرة والقيولة استراحة نصف النهار وإن لم يكن معها نوم أى مرة جاءها ليلا ومرة نهاراً (فما كان دعواهم) قولهم (إذ جاءهم بأسنا) إلا أن قالوا إنا كنا ظالمين فلنسألن الذين أرسل إليهم (أى الأمم عن إجابتهم الرسل وعلمهم فيما بلغهم) (ولنسألن المرسلين) عن الإبلاغ (فلننقصن عليهم بعلم) لنخبرنهم عن علم بما فعلوه (وما كنا غائبين) عن إبلاغ الرسل والأمم الخالية فيما عملوا (والوزن) للأعمال أو لصحائفها بيزان له لسان وكفتان كما ورد فى حديث، كائن (يومئذ) أى يوم السؤال المذكور وهو يوم القيامة (الحق) العدل صفة الوزن (فمن ثقلت موازينه)

ثم بعد الوزن يكون الرور على الصراط وهو مختلف باختلاف أحوال العباد (قوله للأعمال) أو لصحائفها (هذا إشارة لقولين فعلى الأول تصور الأعمال الصالحة بصورة نيرة حسنة وتوضع فى كفة الحسنات وتصور الأعمال السيئة بصورة مظلمة قبيحة وتوضع فى كفة السيئات. وبقى قول ثالث وهو أن الوزن للذوات لما فى الحديث «إنه ليأتى الرجل العظيم السمين يوم القيامة لايزن عند الله جناح بعوضة» (قوله وكفتان) بكسر الكاف وفتحها فى اللحن والمفرد والجمع كفف بالكسر لاغير (قوله فمن ثقلت موازينه الخ) اعلم أن الناس فى القيامة ثلاث فرق: متقون لا كبار لهم، ومغلطون، وكفار فأما المتقون فإن حسناتهم توضع فى الكفة النيرة وصغارهم إن كانت لهم فى الكفة الأخرى فلا يجعل الله لتلك الصغار وزناً وتكفر صغارهم باجتنابهم الكبار ويؤمر بهم إلى الجنة وينعم كل على حسب أعماله، وأما الكفار فإنهم يوضع كفرهم فى الكفة المظلمة ولا توجد لهم حسنة توضع فى الكفة الأخرى فتبقى فارغة فيأمر الله بهم إلى النار وهذان الصنفان هما المذكوران فى القرآن صراحة فى آيات الوزن، وأما الذين خلطوا فقد ثبت فى السنة أن حسناتهم توضع فى الكفة البيرة وسيئاتهم فى الكفة المظلمة فإن كانت الحسنات أثقل ولو بأقل قليل أو ساوت أدخلوا الجنة، وإن كانت السيئات أثقل ولو بأقل قليل أدخلوا النار إلا أن يعفو الله، هذا إن كانت كبارهم فيما بينهم وبين الله وأما إن كانت عليهم تبعات وكانت لهم حسنات كثيرة فإنه يؤخذ من حسناتهم فبرد على المظلوم وإن لم يكن لهم حسنات أخذ من سيئات المظلوم فحمل على الظالم من أوزار من ظلمه ثم يذهب إلا أن يرضى الله عنه خصامه.

(قوله بالحسنات) أى بسبب تقاها في الوزن ورجعناها على السيئات (قوله بالسيئات) أى بسبب رجعناها على الحسنات (قوله بما كانوا) متعلق بخسروا وما مصدرية وبآياتنا متعلق بيطعمون قدم عليه للفاصلة وقوله يمجحدون أشار بذلك إلى أنه ضمن الظلم معنى المحمد فعدها بالباء (قوله ولقد مكناكم آلخ) لما بين سبحانه وتعالى عاقبة من استمر على الكفر ومن استمر على الإيمان ذكر ما أفاض عليهم من النعم للوجبة للشكر (قوله معايش بالياء) أى باتفاق السبعة لأن الياء أصلية إذ هي جمع معيشة وأصلها معيشة بسكون العين وكسر الياء أو ضمها فقلت كسرة الياء إلى الساكن قبلها أو قلبت ضمة الياء كسرة ثم نقلت إلى ما قبلها وحيث كانت الياء في المفرد أصلية فانها تبقى في الجمع وقرئ شذوذاً بالهمز تخريجاً على زيادة الياء وأصله الميم وأما إن كانت الياء في المفرد زائدة فانها تكون في الجمع همزة كصحائف وصحيفة . قال ابن مالك :

والمدّ زيد ثالثاً في الواحد فمزأ يرى في مثل كاتلاند (قوله أسباباً تعيشون بها) أى نحويون فيها كاللأكل والشرب وما به تكون الحياة (قوله لتأكيد القلة) أى زائدة لتأكيد القلة والمعنى أن الشاكر قليل قال تعالى - وقليل من عبادى الشكور - (قوله ولقد خلقناكم آلخ) تذكير لنعمة عظيمة على آدم سارية إلى ذريته موجبة لشكرها (قوله أى أباكم آدم) أى حين كان طيناً غير مصور (قوله أى صورناه) أى حين كان بشراً بتخيطه وشق حواسه وإنما جعل المنصر الكلام على حذف مضاف لأجل أن يصح الترتيب ثم وإنما ينسب الخلق والتصوير للخطاطين إعطاء لمقام الامتنان حقه وتأكيدها لوجوب الشكر عليهم بالرمز إلى أن لهم حظاً من خلق أيهم وتصويره لأنهما من الأمور السارية في الذرية جميعاً (قوله أو أتم في ظهوره) هكذا في نسخة بأو وفي أخرى (٦٠) بالواو فعلى الأولى يكون جواباً ثانياً . والحاصل أن الناس اختلفوا في

بالحسنات (فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ) الْفَائِزُونَ (وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ) بِالْأَسْيَافِ (فَأُولَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ) بِتَصْيِيرِهَا إِلَى النَّارِ (بِمَا كَانُوا بِآيَاتِنَا يَظْلِمُونَ) يَجْحَدُونَ (وَلَقَدْ مَكَّنَّاكُمْ) يَا بَنِي آدَمَ (فِي الْأَرْضِ وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَايِشَ) بِالْيَأْأَسْبَابِ تَعِيشُونَ بِهَا جَمْعُ مَعِيشَةٍ (فَلَيْلًا مَا) لَتَأْكِيدِ الْقِلَّةِ (تَشْكُرُونَ) عَلَى ذَلِكَ (وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ) أَيُّ أَبَاكُمْ آدَمَ (ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ) أَيُّ صُورِنَاهُ أَوْ أَتَمَّ فِي ظَهْرِهِ (ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ) سَجُودَ تَحِيَّةٍ بِالْإِخْنَاءِ (فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ) أَبَا الْجَنِّ كَانَ بَيْنَ الْمَلَائِكَةِ (لَمْ يَكُنْ مِنَ السَّاجِدِينَ . قَالَ) تَعَالَى (مَا مَنَعَكَ أَنْ) نَ (لَا) زَائِدَةٌ (تَسْجُدُ إِذْ) حِينَ (أَمَرْتُكَ قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ .

ثم في هذين الموضعين ففهم من لم يلتزم فيها ترتيباً وجعلها بمنزلة الواو وأبقى الآية على ظاهرها ومنهم من قال هي للترتيب الزماني وجعل الكلام على حذف مضاف في الخلق والتصوير (قوله سجود تحية بالانحناء) أشار بذلك

قال

إلى أن المراد السجود اللعوى وهو الانحناء كسجود إخوة يوسف وأبويه له

وقد كان تحية للملوك في الأمم السابقة وهليه فلا إشكال وقال بعضهم إن السجود شرعى بوضع الجبهة على الأرض لله وآدم قبله كالسجدة ويحتمل أن السجود على ظاهره لآدم ، وقوله إن السجود لغیر الله كفر محله إن كان من هوى النفس لا بأمر الله ، ونظير ذلك تعظيمنا مشاعر الحج فتأمل (قوله فسجدوا) أى قبل دخول الجنة وأول من سجد جبريل ثم ميكائيل ثم إسماعيل ثم عزرائيل ثم الملائكة المقربون ، واختلف في مدة السجود فقليل مائة سنة وقيل خمسمائة سنة وقيل غير ذلك (قوله أبا الجن) هذا أحد قولين والثانى هو أبو الشياطين فرقة من الجن لم يؤمن منهم أحد (قوله كان بين الملائكة) أشار بذلك إلى أن الاستثناء منقطع وأنه ليس من الملائكة قال في الكشف لما اتصف بصفات الملائكة جمع معهم في الآية واحتيج إلى استثنائه ويدل على ذلك قوله تعالى - إلا إبليس كان من الجن - وقال بعضهم : إنه من الملائكة فالاستثناء منصل . وقوله تعالى - كان من الجن - أى في الفعل والمفعول عليه الأول (قوله ما منعك) ما استفهامية للتوبيخ في محل رفع بالابتداء والجملة بعدها خبر وأن في محل نصب أو جر لأنها على حذف حرف الجر وإذ منصوب بتسجد والتقدير أى شيء منعك من السجود حين أمرتك (قوله زائدة) أى لتأکید معنى التقي في منعك فهو كما في صـ بحذفها وهو الأصل لأن القرآن يفسر بعضه بعضاً (قوله خلقته من نار) هذه الجملة لا محل لها من الإعراب لأنها كالتفسير والبيان لما قبلها من دعوى الخيرية . فائدة : قال هنا ما منعك وفي سورة الحجر - قال يا إبليس مالك أن لا تكوز مع الساجدين - وفي سورة ص - ما منعك أن تسجد لما خلقت بيدي - الآية اختلاف العبارات عند الحكاية دل على أن المعنى قد أدرج في معصية واحدة ثلاث . خاص : مخالفة الأوامر ، ومفارقة

الجماعة والاستكبار مع تحقير آدم ، وشبهة الخيرية أن النار جسم لطيف نوراني والطين جسم كثيف ظلامي وما كان لطيفا نورانياخير مما كان كثيفا ظلاميا ، ولما كان مااحتج به على ربه باطلا لكون الطين فيه منافع كثيرة وفوائد جمة ويتوقف عليه نظام العالم لاحتياجه إليه ولما ينشأ عنه من النبات والماء الذين هما غذاء العالم السفلى والنار منافعها قليلة ولايتوقف عليها نظام العالم لوجود كثير منه غير محتاج لها ولا لما يسوى بهارذ عليه الولي بأشنع رد وأجابه بجواب الصائل المتعنت المتكبر بقوله فاهبط منها فما يكون لك أن تتكبر فيها الآية (قوله قال فاهبط منها) الفاء لترتيب الأمر على مظهر من مخالفة اللعين (قوله أى من الجنة) أى وعليه فبقى في السموات خارج الجنة (قوله وقيل من السموات) أى فلم يبق له استقرار في العالم العلوى أصلا (قوله أن تتكبر فيها) أى ولا في غيرها في الكلام اكتفاء لأن الكبر مذموم مطلقا (قوله الداليل) تفسير للصاغرين من الصغار وهو بالفتح الذل والضم (قوله قال أنظرنى) لما كره اللعين إذاقة الموت طلب البقاء والخلود إلى يوم البعث ومن المعلوم أن لاموت بعده فقصدا استمرار الحياة في الدنيا والآخرة فأجابه الله لاعلى مراده بل أمهله إلى النفخة الأولى ولا نجاة له من الموت ولا من العذاب (قوله أى وقت النفخة الأولى) أى لا وقت النفخة الثانية التى طلبها اللعين (قوله قال فيما أغويته الخ) غرضه بهذا أخذ ثأره منهم لأنه لما طرد ومقت بسبيهم أحب أن ينتقم (٦١) منهم أخذا بالنار (قوله والباء القسم) أى وما مصدرية وما بعدها مسبوك بها يشير له قول المفسر أى باغوائك لى ويصح أن تكون السببية (قوله أى على الطريق الخ) أشار به إلى أن صراط منصوب على نزع الخافض (قوله من بين أيديهم ومن خلفهم) أى من الجهات التى يعتاد الهجوم منها وهى الجهات الأربع ولذلك لم يذكر الفوق والتحت أما الفوق

قَالَ فَاهْبِطْ مِنْهَا) أى من الجنة وقيل من السموات (فَمَا يَكُونُ) ينبغى (لَكَ أَنْ تَتَكَبَّرَ فِيهَا فَاخْرُجْ) منها (إِنَّكَ مِنَ الصَّاغِرِينَ) الداليل (قَالَ أَنْظِرْنِي) أخرنى (إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ) أى الناس (قَالَ إِنَّكَ مِنَ الْمُنظَرِينَ) وفى آية أخرى إلى يوم الوقت المعلوم أى وقت النفخة الأولى (قَالَ قَبْلَ أَنْ أُغْوِيَنِّي) أى باغوائك لى والباء للقسم وجوابه (لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ) أى لبنى آدم (صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ) أى على الطريق الموصل إليك (ثُمَّ لَا يَنْتَهُيهِمْ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَنْ شَمَائِلِهِمْ) أى من كل جهة فأمعنهم عن سلوكه قال ابن عباس ولا يستطيع أن يأتى من فوقهم لثلاث يحول بين العبد وبين رحمة الله تعالى (وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ) مؤمنين (قَالَ أَخْرُجْ مِنْهَا مَذْهُومًا) بالهمزة معيبا أو ممقوتا (مَذْهُورًا) مبعدا عن الرحمة (لَمَنْ تَبِعَكَ مِنْهُمْ) من الناس واللام للابتداء أو موطئة للقسم ، وهو (لِأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنْكُمْ أَجْمَعِينَ) أى منك بذريتك ومن الناس ، وفيه تغليب الحاضر على الغائب وفى الجملة معنى جزاء من الشرطية أى من تبعك أعذبه ،

فلكونه لم يمكنه أن يحول بين العبد ورحمة ربه كما قال ابن عباس وأما التحت فأكبره لا يرضى أن يأتى من ذلك ويكثر إتيانه من أمام وخلف ويضعف فى اليقين واليسار لحفظ اللانكسة ، وذكر بعضهم حكمة أخرى لعدم مجيئه من تحت لكون الآتى من تحت إنما يريد الازعاج وهو يريد التأليف للغواية والأول أقرب وإنما عدى الفعل فى الأولين بمن الابتدائية لأن شأن التوجه منهما بخلاف الآخرين فالآتى منهما كالمنحرف لليسار (قوله ولا تجد أكثرهم شاكرين) يحتمل أنه من الوجدان بمعنى اللقاء فيتعذى لواحد وشاكرين حال ويحتمل أنه بمعنى العلم فيتعذى لاثنتين (قوله قال اخرج منها مذموما) تأكيد لما تقدم والذهوم بالهمزة من ذامه يذامه دائما إذا عابه ومقته أى اخرج ممقوتا معابا عليك (قوله مبعدا عن الرحمة) أى لأن الدحر الطرد والابعاد يقال دحره يدحره دحرا ودحورا ، ومنه قوله تعالى - ويقذفون من كل جانب دحورا - وهما حالان من فاعل اخرج (قوله واللام للابتداء) أى داخلة على المبتدأ فمن اسم موصول مبتدأ وتبعك صلته ومنهم متعلق بتبعك وقوله لأن لأن جواب قسم محذوف بعد قوله منهم والقسم وجوابه فى محل رفع خبر المبتدأ (قوله أو موطئة للقسم) والتقدير والله لمن تبعك ومن اسم شرط مبتدأ ولأملأن جواب القسم المدلول عليه بلام التوطئة وجواب الشرط محذوف لست جواب القسم مسدده (قوله وفيه تغليب الحاضر) أى وهو إبليس وقوله على الغائب أى وهو الناس (قوله وفى الجملة) أى وهى لأملأن وقوله معنى جزاء من أى على كونها شرطية وتقديره أعذبه .

(قوله ويا آدم) تقدير للفسر قال يفيد أنه معطوف على أخرج مسلط عليه عامله عطف قصة على قصة وبصح عطفه على قوله ثم قلنا لللائكة اسجدوا فيكون مسلطا عليه قلنا وربما كان هذا أقرب من حيث المناسبة ، والأول أقرب من حيث قرب المعطوف من المعطوف عايه ، وهذا القول يحتمل أنه واقع من الله مباشرة أو على لسان ملك (قوله تأ كيد للضمير في اسكن) أى وليس هو الفاعل لأن فاعل فعل الأمر واجب الاستقار ، وقوله ليعطف عليه وزوجك جواب عما يقال لم آتى بالضمير المنفصل (قوله حواء) سميت بذلك لأنها خلقت من حمى وهو آدم ، وذلك أن آدم لما أسكن الجنة معى فيها مستوحشا فلما نام خلقت من ضلعه القصير من شقه الأيسر ليسكن إليها ويأنس بها ، فلما استيقظ ورآها مال إليها ، فقالت له اللائكة مه يا آدم حتى تؤدى مهرها ، فقال وما مهرها ؟ فقالوا ثلاث صلوات أو عشرون صلاة على النبي صلى الله عليه وسلم . إن قلت إن شرط المهر أن يكون متمولا وهذا ليس بمتمول . أجيب بأن هذا الشرط في شرع محمد ولم يكن في شرع آدم وأيضا الأمر هو الله وهو يحكم لامعقب لحكمه ، وأيضا من خصائص رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يزوج بلا مهر أصلا فلما كان هو الواسطة في ذلك عد كأنه هو العاقد لهما وإنما كان خصوص الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم إشارة إلى أنه صلى الله عليه وسلم هو الواسطة العظمى في كل نعمة وصلت لكل أحد حتى أبيه آدم ، وأمر الله آدم بالسكون في الجنة قيل قبل دخول الجنة فتوجيه الخطاب لحواء باعتبار تعلق علم الله بها فانها لم تكن خلقت إذ ذاك وقيل بعد الدخول وهو العتمد وعليه فيكون المراد من الأمر بالسكون الاستمرار (قوله فكلأ من حيث شئنا) أى في أى مكان وفي الكلام حذف بعد من والأصل فكلأ من ثمارها حيث شئنا وترك رغدا من هنا اكتفاء بذكره في البقرة وآتى بالفاء هنا وفي البقرة بالواو ففتنا وإشارة إلى أن كلا من الحرفين بمعنى الآخر ، وقيل (٦٣) إن الواو تفيد الجمع اللطاف والفاء تفيد الجمع على سبيل التعقيب فاللهوم من:

الفاء نوع داخل تحت المفهوم من الواو فلا منافاة وما ذكره شيخ الاسلام من الجواب بعيد كما تقدم لنا في البقرة فانظره . بقی شیء آخر وهو أنه وجه

(و) قال (يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ) تأ كيد للضمير في اسكن ليعطف عليه (وَزَوْجُكَ) حواء بالمد (الْجَنَّةَ فَكُلَا مِنْ حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ) بالأكل منها وهى الخنطة (فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ . قَوْسُوسَ لَهَا الشَّيْطَانُ) إبليس (لِيُبْدِيَ) يظهر (لَهَا مَا وَوَرَى) فوعل من المواراة (عَنْهُمَا ،

الخطاب أولا لآدم وثانيا لهما ، وحكمة ذلك أن حواء فى السكنى تابعة لآدم فوجه الخطاب من فى السكنى لآدم وأما فى الأكل من حيث شاء والنهى عن قربان الشجرة فقد اشتركا فيه فلذا وجه الخطاب لهما معا (قوله ولا تقربا) يقال قربت الأمر أقرب به من باب نصب وفى لغة من باب قتل قربانا بالكسر فعلته أو دانيته وحيثئذ يكون النهى عن قربان أبلغ من النهى عن الأكل بالفعل (قوله وهى الخنطة) وقيل الكرم وقيل التين وقيل البلح وقيل الأترج والشهور ما قاله المفسر (قوله من الظالمين) أى لأنفسهما (قوله قوسوس لها الشيطان) الوسوسة الحديث الحق الذى يلقيه الشيطان فى قلب الانسان على سبيل التكرار . إن قلت إن الأنبياء معصومون من وسوسة الشيطان وظاهر الآية يقتضى أن الشيطان وسوس لآدم . أجيب بأنه لم يباشر آدم بالوسوسة ، وإنما باشر حواء وهى باشرت آدم بذلك ، قال محمد بن قيس ناداهم به يا آدم لم أكلت منها وقد نهيتك ؟ قال أطعمتني حواء ، قال لحواء لم أطعمتني ؟ قالت أمرتني الحية ، قال للحية لم أمرتها ؟ قالت أمرني إبليس ، قال الله : أما أنت يا حواء فلا أدمنك كل شهر كما أدمنت الشجرة ، وأما أنت يا حية فأقطع رجلحك قتمشين على وجهك ولبشدخن رأسك كل من لقيك ، وأما أنت يا إبليس فمأعون إن قلت كيف وسوس لهما وهو خارج الجنة . أجيب بأن وسوسته وإن كانت خارج الجنة إلا أنها وصلت لهما بقوة جعلها الله له على ذلك أو أنه تحيل على دخول الجنة بدخوله فى جوف الحية وسوس لهما وقوله الشيطان من شاط بمعنى احترق أو من شطن بمعنى بعد (قوله إبليس) من أبلس إبلاسا بمعنى يأنس لأنه آيس من رحمة الله ، وقد تقدم فى البقرة جملة أسمائه فانظرها (قوله ليبدى لهما) هذا من جملة أغراضه فى الوسوسة فتكون اللام للتعليل ويحتمل أنها بالعبارة وأن غرضه فى الوسوسة خصوص غضب الله عليهما وطردهما من الجنة (قوله ما وورى عنهما) أى غطى وسر عنهما . واختف فى ذلك اللباس فقيل غطاء على الجسد من جنس الأظفار فترع عنهما وبقيت الأظفار فى اليدين والرجلين تذكرة وزينة واتساعا ، ولذلك قالوا إن النظر للأظفار فى حال الضحك يقطعه وقيل كان نورا وقيل كان من ثياب الجنة (قوله فوعل) أشار بذلك

إلى أن الوار الثانية زائدة وحيفئذ فلا يجب قلب الأولى همزة وإنما يجب لو كانت الثانية أصلية (قوله من سواتهما) أى عورتاهما سميت بذلك لأن كشفها يسىء صاحبها (قوله وقال مانها كما) معطوف على وسوس يان له (قوله إلا أن تكونا ملكين) بفتح اللام أى لم ينهكما عن الأكل منها إلا كراهة أن تكونا من الملائكة أو تكونا من الخالدين فى الجنة . فالله الذى ادعاهما أن الأكل منها سبب لأن يكونا من الملائكة وسبب للخلود فيها (قوله كراهة) أفاد المفسر أن الاستثناء مفرغ وهو معول من أجله قدره البصريون إلا كراهة أن تكونا الخ وقدره الكوفيون أن لا تكونا وتقدير البصريين أولى لأن إضمار الاسم أحسن من إضمار الحرف (قوله وقرئ بكسر اللام) أى شذوذاً ويؤيده قوله تعالى فى موضع آخر هل أدلك على شجرة الخلد وملك لا يبلى فالملك بالضم يناسب الملك بالكسر (قوله أى وذلك) أى أحد الأمرين ، وقوله لازم أى ناشئ عن الأكل منها وقضية هذه الآية على قراءة الكسر عدم اجتماع الأمرين وقضية الآية الأخرى وهى هل أدلك على شجرة الخلد وملك لا يبلى اجتماعهما . وأجيب بأن أو بمعنى الواو وحكمة ترغيهما فى الملكية أن الملائكة خصوصاً بالقرب من العرش ولهم المنزلة عند الله (قوله وقاسمهما) معطوف على فوسوس لها الشيطان وإنما أقسم لها لأجل تأكيده لإضلاله فهو أول من حلف كاذباً بل هو أول من عصى الله مطبقاً (قوله أى أقسم لها بالله) أى وقبل الله منه القسم فالغفلة باعتبار ذلك والإفلاواقع ليست على بابها لأن الحلف هو فقط (قوله فى ذلك) أى ما ذكر من كونهما ياحتان بالملائكة ويكونان من الخالدين (قوله فدلاهما) التدىلى النزول من أعلى لأسفل (قوله حطهما عن (٦٣) منزلتهما) أى الحسية لأن غروره

نسب عنه نزولهما من الجنة إلى الأرض لا للعنوية بل رتبتهما عند الله لم تنقص بل ازدادت (قوله بغرور) الباء سببية والغرور تصوير الباطل بصورة الحق (قوله فلما ذاق الشجرة) من الذواق وهو تناول الشيء ليعرف طعمه وفيه إشارة إلى أنهم لم يتناولوا منها كثيراً لأن شأن من ذاق الشيء أن

مِنْ سَوَاتِمَا وَقَالَ مَانَهَا كَمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَذِهِ الشَّجَرَةِ إِلَّا) كراهة (أَنْ تَكُونَا مَلَكَينِ) وقرئ بكسر اللام (أَوْ تَكُونَا مِنَ الْخَالِدِينَ) أى وذلك لازم عن الأكل منها كما فى آية أخرى : هل أدلك على شجرة الخلد وملك لا يبلى (وَقَاسَمَهُمَا) أى أقسم لهما بالله (إِنِّي لَكُمَا لَمِنَ النَّاصِحِينَ) فى ذلك (فَذَلَّاهُمَا) حطهما عن منزلتهما (يَفْرُور) منه (فَلَمَّا ذَاقَا الشَّجَرَةَ) أى أكلا منها (بَدَتْ لَهُمَا سَوَاتِمُهُمَا) أى ظهر لكل منهما قُبُلُهُ وقُبُلُ الآخر ودبره وسمى كل منهما سواة لأن انكشافه يسوء صاحبه (وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ) أخذاً يلزقان (عَائِمَهُمَا مِنْ وَرَقِ الْجَنَّةِ) ليستترا به (وَنَادَاهُمَا رَبُّهُمَا أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَنْ تِلْكَ الشَّجَرَةِ وَأَقُلْتُ لَكُمَا إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمَا عَدُوٌّ مُبِينٌ) بين العداوة والاستفهام للتقرير (قَالَ رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا بِمَعْصِيَتِنَا ،

يقصر على ما قل منه (قوله بدت لهما سواتهما) أى سقط عنهما لباسهما فبدت الخ (قوله ودبره) أى الآخر وأما دبر نفسه فلا يظهر له إلا إن التفت له وتعاناه (قوله يسوء صاحبه) أى يوقعه فى السوء (قوله وطفقا) من باب طرب أى شرعاً وأخذاً (قوله يخصفان) من خصف النعل خرزه والراد يلزقان بعضه على بعض لأجل الستر (قوله عليهما) أى القبل والدبر (قوله من ورق الجنة) قيل ورق التين وقيل ورق اللوز (قوله وناداهما ربهما) يحتمل على لسان ملك أو مباشرة (قوله ألم أنهكما) إما تفسير للنداء فلا محل له من الإعراب أو مقول لقول محذوف والتقدير قائلاً ألم أنهكما الخ (قوله وأقل لكما) أى كفى آية طه فقلنا يا آدم إن هذا عدوك وازوجك الآية (قوله بين العداوة) أى حيث امتنع من السجود له ورضى بالطرد والبعد (قوله استفهام تقرير) أى وهو حمل المخاطب على الإقرار والمعنى أفرا بذلك على حد ألم تشرح لك صدرك (قوله قالاً ربنا ظلمنا أنفسنا) هذا إخبار من الله عن آدم وحواء باعترافهما وندمهما على ما وقع منهما وإنما عاتبهما الله على ذلك وإن كان ليس بمعصية حقيقة لأن حسنات الأبرار سيئات القربى وليس ذلك بقادح فى عصمة آدم لأن المستحيل على الأنبياء تعمد المخالفة ، وأما الخطأ فى الاجتهاد والنسيان الرحمانى فهو جائز عليهم ، ونظير ذلك ما وقع فى قصة ذى اليمين حيث سلم رسول الله من ركعتين ، فقال له ذى اليمين أقصرت الصلاة أم نسيت يا رسول الله ؟ فقال كل ذلك لم يكن ، فقال بل بعض ذلك قد كان الحسب ، وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لم أنس ولكن أنسى لأسن ، وحكمة الأكل من الشجرة ما ترتب على ذلك من وجود الخلق وعمارة الدنيا فأنساه الله لأجل حصول تلك الحكمة البالغة فمن نسب التعمد والتجرؤ لآدم

فقد كفر كما أن من نفي عنه اسم العصيان فقد كفر لمصادمة آية وعصى آدم ربه فغوى فالخاص من ذلك أن يقال إن معصيته ليست كالمعصية وتقدم تحقيق هذا المقام في سورة البقرة فانظرو (قوله وإن لم تغفرو لنا) شرط حذف جوابه اكتفاء بجواب القسم (قوله بما اشتملتما عليه من ذريتكما) أي فهذا هو وجه الجمع في الآية وقيل إن الجمع باعتبار آدم وحواء والحية وإبليس ويكون قوله بضمكم لبعض عدو باق على ظاهره لأن إبليس والحية عدو لآدم وحواء (قوله مكان استقرار) أي وهو المكان الذي يعيش فيه الإنسان والمكان الذي يدفن فيه (قوله قال فيها تحيون) أصله تحيون كترضون تحركت المياه الثانية وانفتح ما قبلها قلبت ألقام حذفت لالتقاء الساكنين (قوله بالبناء للفاعل الخ) أي في تخرجون وأما تحيون وتوتون فلفاعل لا غير (قوله يابني آدم) لما قدم قصة آدم وحواء وما أنعم به عليهما وقتنة الشيطان لهما خاطب أولاد آدم عموما بتذكير نعمه عليهم وحذرهم من اتباع الشيطان لأنه عدو لأبيهم والعداوة للأبناء متصلة للأبناء (قوله قد أنزلنا عليكم لباسا) أي أنزلنا أسبابه من السماء وهو المطر فينشأ عنه النبات الذي يكون منه اللباس كاقطن والكتان وتعيش به الحيوانات التي يكون منها الصوف والشعر والوبر والحرير (قوله سواكم) أي عوراتكم أي فهو نعمة (قوله وريشا) معطوف على لباسا وعبر عنه بالريش لأن الريش زينة الطائر كما أن اللباس زينة آدميين، والمعنى أن الله تعالى من على بني آدم بلباسين لباسا يوارى سواكم ولباسا ريشا أي زينة ويصح أن يكون معطوفا على يوارى فيكون وصف اللباس بشيئين كونه يوارى سواكم وكونه زينة لكم ويؤخذ (٦٤) من آية أن لبس لباس الزينة غير مذموم والمراد الزينة التي لم تخالف

الشرع وهذا إن صح القصد بأن لم يقصد الفخر ولا العجب بها كما أن التشفف في اللباس غير مذموم إن كان خاليا من الأغراض الفاسدة بأن لم يقصد به دعوى الولاية أو إظهار الفقر لأجل أن تصدق عليه، وبالجملة فالمدار على حسن القصد تجمل بالثياب أو تخشن فيها وفي هذا المعنى قال بعضهم:

(وإن لم تغفرو لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين. قال أهبطوا) أي آدم وحواء بما اشتملتما عليه من ذريتكما (بعضكم) بعض الذرية (لبعض عدو) من ظلم بعضهم بعضا (ولكنكم في الأرض مستقر) مكان استقرار (ومتاع) تمتع (إلى حين) تنقضي فيه آجالكم (قال فيها) أي الأرض (تحيون وفيها تموتون ومنها تخرجون) بالبعث بالبناء للفاعل والمفعول (يا بني آدم قد أنزلنا عليكم لباسا) أي خلقناه لكم (يوارى) بستر (سواكم) وريشا) هو ما يتجمل به من الثياب (ولباس التقوى) العمل الصالح والسمت الحسن بالنصب عطف على لباسا والرفع مبتدأ خبره جملة (ذلك خير ذلك من آيات الله) دلالة قدرته (لعلهم يذكرون) فيؤمنون، فيه التفات عن الخطاب (يا بني آدم)،

لا يفتنكم

ليس التصوف لبس الصوف والخلق	بل التصوف حسن الصمت والخلق
فالبس من اللبس ما تختار أنت وقم	جنح الظلام وأجر الدمع في العسق
فرب لا لبس الديباج يشغله	حب الذي خلق الإنسان من علق
وكم فقى لا لبس للخيش تحسبه	ناج وذلك عند العارفين شقى
فإن ذلك لم يحجبه ملبسه	وذا مع اللبس مأسور فلم يفق

(قوله ولباس التقوى) أي الناشئ عنها أو الناشئة عنه (قوله العمل الصالح) أي النجى من العذاب لأن الإنسان يكسى من عمله يوم القيامة (قوله خبره جملة ذلك خبر) أي فاسم الإشارة مبتدأ ثان وخبر خبره والجملة من المبتدأ الثاني وخبره خبر الأول واسم الإشارة عائد على قوله ولباس التقوى وإنما كان خيرا لأنه يستتر من فضائل الآخرة وفي الحديث «إن الله لا ينظر إلى صوركم وأموالكم وإنما ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم» فإذا كان كذلك فينبغي للإنسان أن يشتغل بتحسين ظاهره بالأعمال الصالحة وباطنه بالاخلاص فإنه محل نظر الله منه، ولذلك قال العارف البكرى المحي زين ظاهري بامتنال ما أمرتني به ونهيتني عنه وزين سرى بالأسرار وعن الأغيار فسنه (قوله ذلك من آيات الله) اسم الإشارة عائد على اللباس المنزل بأقسامه (قوله فيه التفات عن الخطاب) أي وكان مقضى الظاهر لعلكم تذكرون ونسكته دفع الثقل في الكلام (قوله يابني آدم) لماذا كرمهم نعمة اللباس نبههم على أن الشيطان

عسود وعدلهم كما أنه عسود وعدلوا بهم (قوله لا يفتننكم الشيطان) هو نهى له صورة وفي الحقيقة نهى لبنى آدم عن الاصفاء لقمته واتباعه فليس المراد النهى عن تسلطه إذ لا قدرة لمخلوق على منع ذلك لأنه قضاء مبهم بل المراد النهى عن الليل إليه وإلى ذلك أشار للفسر بقوله أى لا تتبعوه فتفتنوا (قوله كما أخرج) الكاف بمعنى مثل صفة لمصدر محذوف وما مصدرية تسبك مع ما بعدها بمصدر والتقدير فتنة مثل فتنة إخراج أبيكم والجامع بينهما زوال النعم في كل (قوله أويكم) أى آدم وحواء (قوله بفتنه) الباء سببية (قوله حال) أى من أويكم أو من ضمير أخرج وكل صحيح فإن الجملة شتملة على ضمير الأويين وعلى ضمير الشيطان وإسناد النزاع إليه باعتبار كونه سببا فيه والنزع أخذ الشيء بسرعة وقوة ومنه قوله تعالى: تنزع الناس كأنهم عجاج نخل منتعمر، وفيه إشارة إلى أن من اتبع الشيطان تزول نعمه بسرعة وقوة وآتى بالمضارع حكاية للحال الماضية استحضارا للصورة العجيبة (قوله إنه يراكم) تعليل للتحرز من الشيطان اللازم للنهى كأنه قيل فاحذروه لأنه يراكم الخ (قوله وقبيله) معطوف على الضمير المتصل في يراكم وآتى بالضمير المنفصل وإن كان قد حصل الفصل بالكاف زيادة في الفصاحة. والتعبيل اسم لما اجتمع من شتات الخلق ولذلك فسره بالجنود والقبيلة الجماعة من أب واحد (قوله من حيث لا ترونهم) من ابتدائية وحيث ظرف مكان والتقدير إنه يراكم رؤية مبتدأة من مكان لا ترونهم فيه (قوله للطافة أجسادهم) أى فأجسامهم كالهواء نعلمه وتحققه ولا نراه للطافته وعدم تلونه هذا وجه عدم رؤيتنا لهم، وأما وجه رؤيتهم لنا فكثافة أجسادنا وتلوينا وأما رؤية بعضهم لبعض فاصلة لقوة في أبصارهم وهذا حيث كانوا (٦٥) بصورتهم الأصلية، وأما إذا تصوروا

بغيرها فنراهم لأن الله جعل لهم قدة على التشكل بالصورة الجميلة والحسيمة وتحكم عليهم الصورة كافي الأحاديث الصحيحة فالآية ليست على عمومها والفرق بينهم وبين الملائكة أن الملائكة لا يتشكلون إلا في الصور الجميلة ولا تحكم عليهم بخلاف الجن وقد ورد

(لَا يَفْتَنَنَّكُمْ) يضلنكم (الشيطان) أى لا تتبعوه فتفتنوا (كَمَا أَخْرَجَ أَوْيَكُمْ) بفتنته (مِنَ الْجَنَّةِ يَنْزِعُ) حال (عَنْهُمْ لِأَسْمَاءٍ لِيُرِيَهُمْ مَأْسُوءَاتِهِمْ إِنَّهُ) أى الشيطان (يَرَاكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُ) جنوده (مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ) للطافة أجسادهم أو عدم ألوانهم (إِنَّا جَعَلْنَا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاءَ) أعوانا وقرناء (الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ. وَإِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً) كالشرك وطوافهم بالبيت عراة قائلين لا تطوف في ثياب عصينا الله فيها فنهوا عنها (قَالُوا وَجَدْنَا عَلَيْهَا آبَاءَنَا) فافتدينا بهم (وَاللَّهُ أَمَرَنَا بِهَا) أيضا (قُلْ) لهم (إِنَّ اللَّهَ لَا يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ أَتَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ) أنه قاله، استفهام إنكار (قُلْ أَمَرَ رَبِّي بِالْقِسْطِ) العدل (وَأَقِيمُوا) معطوف على معنى بالقسط أى قال أسطوا وأقيموا أو قبله فاقبلوه مقدرا (وَجُوهَكُمْ) لله (عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ)

إن الشيطان يجرى من ابن آدم مجرى الدم وجعلت صدور بني آدم مسا كن لهم إلا من عصمه الله كما قال تعالى الذى يوسوس فى صدور الناس فهم يرون بنى آدم وبنو آدم لا يرونهم. قال مجاهد قال إبليس: جعل لنا أربع (١) نرى ولا نرى ونخرج من تحت الثرى ويعود شيخنا شابا. وقال مالك بن دينار إن عدوا يراك ولا تراه لشديد المجاهدة إلا من عصمه الله (قوله إنا جعلنا الشياطين أولياء) أى صبرناهم أعوانا لغير المؤمنين ومكانهم من إغوائهم فتحرزوا منهم (قوله وإذا فعلوا فاحشة) هذه الآية نزلت في كفار مكة كانوا يطوفون عراة رجالهم بالنهار ونساؤهم بالليل فكان أحدهم إذا قدم حاجبا أو معتبرا يقول لا ينبغي أن أطوف في ثوب قد عصيت فيه ربى فيقول من يعيرنى إزارا فإن وجد والإطاف عريانا وإذا فرض وطاف في ثياب نفسه ألقاها إذا قضى طوافه وحرّمها على نفسه (قوله قالوا وجدنا الخ) أى محتجين بهذين الأمرين: تقليد الآباء، والافتراء على الله (قوله قل إن الله لا يأمر بالفحشاء) أى رد المقاتلهم الثانية وترك رد الأولى لوضوح فسادها (قوله أ تقولون على الله ما لا تعلمون) أى لأنكم لم تسمعوه مشافهة ولم تأخذوه عن الأنبياء الذين هم وسائط بين الله وخلقه (قوله استفهام إنكار) أى وتوبيخ وفيه معنى النهى (قوله معطوف على معنى بالقسط) دفع بذلك ما يقال إن قوله أمر ربى بالقسط خبر وقوله وأقيموا لإنشاء ولا يصح عطف الانشاء على الخبر. فأجاب بجوابين: الأول أن أقيموا معطوف على المعنى والتقدير قال أسطوا وأقيموا. الثانى أن الكلام فيه حذف والتقدير قل أمر ربى بالقسط فاقبلوا وأقيموا.

(قوله أى أخلصوا له سجودكم) أى صلاتكم ففيه تسمية الكل باسم أشرف أجزائه لأن أقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد (قوله وادعوه) عطف عام (قوله كما بدأكم تعودون) كلام مستأنف مسوق للرد على منكري البعث أى يعيدكم أحياء أى بالأرواح والأجساد بعينها (قوله فريقا هدى) فريقا معمول لهدى وفريقا الثانى معمول لمقتدر من قبيل الاشتغال موافق فى المعنى ، والتقدير وأضل فريقا حق عليهم الضلالة أى ثبت فى الأزل ضلالهم (قوله إنهم اتخذوا) علة لقوله حق عليهم (قوله ويحسبون أنهم مهتدون) أى يظنون أنهم على هدى والحال أنهم ليسوا كذلك (قوله يابى آدم الخ) سبب نزولها كما قال ابن عباس أن العرب كانوا يطوفون بالبيت عبادة الرجال بالنهار والنساء بالليل يقولون لانطوف فى ثياب عصينا الله فيها وكانوا لا يأكلون فى أيام حجهم إلا قوتا ولا يأكلون لحما ولادسا يعظمون بذلك حجهم فهم المسلمون أن يفعلوا كفعلمهم (قوله أى ما يستر عورتكم) راعى فى هذا المحل سبب النزول وأصل الواجب ، وعموم اللفظ بفيد أن المطلوب فى الصلاة والطواف ومشاهد الخير جميل الثياب كما هو الندوب شرعا تأمل (قوله عند كل مسجد) للسجدة فى الأصل موضع السجود ثم أطلق وأريد منه نفس الصلاة والطواف من باب تسمية الحال باسم المحل والعبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب فالله ينبئ الأمة التجميل بالثياب عند حضور مشاهد الخير مع القدرة (قوله وكلاوا واشربوا) أى من الحلال فانه رأس التقوى (قوله ولا تسرفوا) أى بأن تحرموا الحلال كما كانوا يفعلون من امتناعهم من اللحم والدم أو تحلوا الحرام أو تجاوزوا الحد فى الأكل والشرب كالتعمق (٦٦) فى ذلك أولا كشار المضر لما فى الحديث « ماملأ ابن آدم وعاء شرا

من بطنه » ولأن ساردا على ثاب البطن لا يعود على الشخص إلا بالضرر لما ورد فى الحديث أيضا « أصل كل داء البرء » وهى إدخال الطعام على الطعام فالمناسب أن لا يأكل حتى يجوع وأن يقوم ونفسه تشهى الطعام فان ملك النفس عن الامراف فى المباح ،

أى أخلصوا له سجودكم (وَادْعُوهُ) اعبدوه (مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ) من الشرك (كَمَا بَدَأَكُمْ) خلقكم ولم تكونوا شيئا (تَعُودُونَ) أى يعيدكم أحياء يوم القيامة (فَرِيقًا) منكم (هَدَى وَفَرِيقًا حَقَّ عَلَيْهِمُ الضَّلَالَةُ) إِنَّهُمْ اتَّخَذُوا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ اللَّهِ) أى غيره (وَيَحْسِبُونَ أَنَّهُمْ مُهْتَدُونَ. يَا بَنِي آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ) ما يستر عورتكم (عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ) عند الصلاة والطواف (وَكُلُوا وَاشْرَبُوا) ما شئتم (وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ . قُلْ) إنكارا عليهم (مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ) من اللباس (وَالطَّيِّبَاتِ) المستلذات (مِنَ الرِّزْقِ ، قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا) بالاستحقاق وإن شاركهم فيها غيرهم (خَالِصَةً) خاصة بهم بالرفع والنصب حال (يَوْمَ الْقِيَامَةِ ،

كذلك

أكبر دليل على ماسكها عن الحرام

(قوله إنه لا يحب المسرفين) أى يعاقبهم على ذلك ولا يرضى فعلهم (قوله إنكارا عليهم) أى وتوبيخا لهم وحيث كان إنكاريا فلاجواب له (قوله التى أخرج لعباده) أى التى خافها لهم من النبات كالفطن والكتان ومن الحيوان كالحرير والصوف ومن المعادن كالدروع وكهاجزة للرجال والنساء ماعدا الحرير الخالص للرجال فانه يحرم عليهم إجماعا ، وأما ما اختلط بالحرير وغيره ففيه خلاف بين العلماء بالكراهة والحرمه والجواز والمعتمد عدم الحرمه (قوله قل هى) أى الزينة من الثياب والطيبات من الرزق (قوله بالاستحقاق) أى الأصل ، وأما مشاركة غيرهم لهم فهو بطريق السبع وهذا جواب عما يقال إن للشاهد أن الكافر يستمتع بالزينة والمستلذات أكثر من المسلم فكيف يقال إنها للذين آمنوا فى الحياة الدنيا ؟ فأجاب بما ذكر ، ويؤيد هذا المعنى قوله تعالى : وإذ قال إبراهيم رب اجعل هذا بلدا آمنا وارزق أهله من الثمرات من آمن منهم بالله واليوم الآخر قال ومن كفر فأمتعه قليلا الآية ولذا لا يعاقبون عليها لأن الله خلقها لهم بطريق الأصالة ليستعينوا بها على طاعاته ولذا إذا عدت المؤمنون فى آخر الزمان تقوم القيامة إذ لم يبق مستحق للنعم (قوله خاصة بهم) أى لا يشاركهم فيها غيرهم (قوله بالرفع) أى خبر ثان (قوله والنصب حال) أى من الضمير فى الخبر المحذوف والتقدير هى كائنة للذين آمنوا فى الحياة الدنيا حال كونها خالصة لهم يوم القيامة وإنما كانت خالصة للمؤمنين يوم القيامة لأن رحمة الله تنمرد بالمؤمنين وغضبه ينفرد بالكافرين قل تعالى : وامتازوا اليوم أيها المجرمون .

(قوله كذلك تفصل الآيات) أى نبينها ونوضحها في غير هذا الوضع مثل ذلك التفصيل والتوضيح في هذا الوضع (قوله لقوم يعلمون) أى أنه مستحق للعبادة (قوله فانهم المنتفعون بها) أى وغيرهم لا يربأ به ولا يخطب (قوله كالزنا) أى والقتل وساب الأموال وسائر أنواع الفسق بالجراحة (قوله أى جهرها وسرها) المراد بالجهر المعاصي الظاهرية كالقتل وشرب الخمر وبالسر المعاصي الباطنية القلبية كالعجب والكبر والرياء (قوله والاثم) عطف عام على خاص وما بعده عطف خاص على عام لمزيد الاعتناء بشأته (قوله هو الظلم) أى للناس إما بالقتل أو سلب الأموال أو التكم في أعراضهم أو غير ذلك وقوله بغير الحق إيضاح لمعنى البنى فهو صفة كاشفة (قوله مالم ينزل به سلطانا) مانكرة بمعنى شئ أى شيئا سواء تعالى (قوله حجة) أى دليلا لأن دليل الوحداية لله أبطل الشرك لغيره (قوله وغيره) أى كتحليل الحرام ويدخل في ذلك اللقي بالكذب (قوله ولكل أمة أجل) أى لكل فرد من أفراد الأمة (قوله مدة) أى وقت معين (قوله ساعة) أى شيئا قليلا من الزمن فالمراد بالساعة الساعة الزمانية وقوله لا يستأخرون جواب إذا وقوله ولا يستقدمون مستأنف أو معطوف على الجملة الشرطية ولا يصح عطفه على قوله لا يستأخرون لأن المعطوف على الجواب جواب وإذا يشترط أن يكون مستقبلا والاستقدام بالنسبة للحيء الأجل ماض فلا يصح ترتيبه على الشرط (قوله يا بنى آدم) هذا خطاب عام لكل من لآدم عليه ولادة من أول الزمان لآخره ولكن المقصود من كان في زمنه صلى الله عليه وسلم وفي هذه الآية (٦٧) دلائل على عموم رسالته لأن الله

خاطب من أجله عموم بنى آدم (قوله فى ما الزيادة) أى لتأكيد (قوله يا بنى آدم) فعل اشترط مبني على الفتح لاتصاله بنون التوكيد الثقيلة في محل جزم ووجه فن اتقى إلى خالفون جواب الشرط والرباط محذوف تقديره فمن اتقى منكم ومن يحتمل أن تكون شرطية واتقى فعل شرط ووجه فلا خوف

كَذَلِكَ نَفْصَلُ الْآيَاتِ) نبينها مثل ذلك التفصيل (لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ) يتدبرون فانهم المنتفعون بها (قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّي الْفَوَاحِشَ) الكبائر كالزنا (مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَّنَ) أى جهرها وسرها (وَالْإِثْمَ) المعصية (وَالْبَغْيَ) على الناس (بِغَيْرِ الْحَقِّ) هو الظلم (وَأَنْ تُشْرِكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنْزِلْ بِهِ) باسراكه (سُلْطَانًا) حجة (وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ) من تحريم مالم يحرم وغيره (وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ) مدة (فَإِذَا جَاءَ أَجْلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ) عنه (سَاعَةً وَلَا يَسْتَسْأِدُونَ) عليه (يَا بَنِي آدَمَ) فيه إدغام نون إن الشرطية في ما الزيادة (يَا بَنِي آدَمَ) رُسُلٌ مِنْكُمْ يَتَّبِعُونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِي فَمَنْ أَتَى الشَّرْكَ (وَأَصْلَحَ) عمله (فَلَاخَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ) في الآخرة (وَالَّذِينَ كَذَبُوا بآيَاتِنَا وَاسْتَكْبَرُوا) تكبروا (عَنْهَا) فلم يؤمنوا بها (أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ) فمن أى لأحد (أَظْلَمُ) ممن أفتروا على الله كذبا (بنسبة الشريك والولد إليه) (أَوْ كَذَّبَ بآيَاتِهِ) القرآن (أُولَئِكَ يَنْهَكُمُ) يصيبهم (نَصِيحُهُمْ) حظهم ،

عليهم جوابه ويحتمل أنها موهولة واتقى صلته ووجه فلا خوف عليهم خبرها وقرن بإلقاء لما في البتة من معنى العموم (قوله منكم) أى من جنسكم يا بنى آدم وإنما كان من جنسهم لأنه أقطع لعذرهم وحجتهم (قوله يقصون) أى يقرءون ويقلون (قوله آياتى) أى القرآنية وغيرها (قوله فمن اتقى الشرك) أشار بذلك إلى أن المراد بالتقوى هنا التقوى العامة وهى اتقاء الشرك بالإيمان لقريظة قوله وأصلح وأطى منها تقوى الخواص وهى ترك المعاصي وأطى منها ترك الأغيار وهى كل مشغل عن الله ، ولهذا الرتبة أشار العارف بقوله :

(قوله وأصلح عمله) أى بأن ترك المعاصي أوكل مشغل عن الله فهو صادق بتقوى الخواص وخواص الخواص (قوله فى الآخرة) أى وأما فى الدنيا فلا يفارقهم الخوف ولا الحزن لتذكركم الموت وأحوال الآخرة ولوجاءتهم البشرى من الله فالحزن دأب الصالحين فى الدنيا لزيادة درجاتهم (قوله فلم يؤمنوا بها) أشار بذلك إلى أن الكلام على حذف مضاف أى تكبروا عن الإيمان بها (قوله أى لأحد) أشار بذلك إلى أن الاستفهام إنكارى بمعنى النفي (قوله بنسبة الشريك) الباء سببية ، والمعنى لأحد أظلم ممن افتروا على الله كذبا بسبب نسبة الشريك لله ككفار مكة حيث أشركوا مع الله الأصنام والنصارى واليهود حيث نسبوا له الولد (قوله أو كذب بآياته) أى وإن لم ينسب الشريك له لأنه لا يلزم من التكذيب بالآيات نسبة الشريك له ، وأما نسبة الشريك له فيلزم منها التكذيب بالآيات (قوله أولئك ينهكم نصيهم) أى فى الدنيا .

(قوله من الكتاب) من ابتدائية متعلقة بمحذوف حال من نصيبهم وقوله مما كتب لهم بيان للنصيب (قوله من الرزق) أى لحسبه من سعة وضيق وكونه من حلال وأحرام وقوله والأجل أى من قصر أو طول وقوله وغير ذلك أى كالعمل وكما أن ذلك مكتوب في اللوح المحفوظ مكتوب في صحف الملائكة وهو في بطن أمه فتحصل أن ما قسم له في الحياة الدنيا لا يغيره كفر ولا إسلام (قوله حتى إذا جاءتهم) حتى إما ابتدائية أو جارة (قوله للملائكة) قيل إنهم عزرائيل وأعوانه لقبض أرواحهم وقيل إنهم ملائكة العذاب وتقدم أنهم سبع موكلون بأخذ روح الكافر بعد قبضها للعذاب (قوله تبكيها) أى، توييها وتقريبا (قوله أين ما كنتم تدعون من دون الله) أى الآلهة التي كنتم تعبدونها في الدنيا فتمنعكم الآن من العذاب (قوله فلم نرم) أى مع شدة احتياجنا إليهم في هذا الوقت (قوله وشهدوا على أنفسهم) كلام مستأنف إخبار من الله بأقرارهم على أنفسهم بالكفر ولا تعارض بين هذا وبين قوله : والله ربنا ما كنا مشركين ؛ لأن موافق القيامة مختلفة (قوله قال ادخلوا في أمم) أى لهؤلاء الذين اقترحوا على الله الكذب وكذبوا بآياته (قوله في أمم) في معنى مع أى ادخلوا مصاحبين لأمم وهو حال من فاعل ادخلوا وتسمى حالا منتظرة لأنهم عند الدخول لم يكونوا مصاحبين للأمم وقوله قد دخلت صفة أولى لأمم وقوله من قبلكم صفة ثانية وقوله من الجن والإنس صفة (٦٨) ثالثة وقوله في النار في الظرفية فاندفع ما يقال يلزم عليه تعاق حرفي جر متعدي

اللفظ والمعنى بعامل واحد (قوله قد خلت) أى سبقت ومضت (قوله في النار) المراد بها دار العقاب بجميع طباقه (قوله لعنت أختها) أى في الدين (قوله التي قبلها) أى في التلبس بذلك الدين فالتصاري تلعن التصاري واليهود تلعن اليهود والمجوس تلعن المجوس وهكذا كل من اقتدى بغيره في دين باطل (قوله اداركوا) أصله تداركوا قلبت التاء دالا وأدغمت

(مِنَ الْكِتَابِ) مما كتب لهم في اللوح المحفوظ من الرزق والأجل وغير ذلك (حَتَّى إِذَا جَاءَهُمْ رَسُولُنَا) أى الملائكة (يَتَوَفَّوْنَهُمْ قَالُوا) لهم تبكيها (أَيْنَ مَا كُنْتُمْ تَدْعُونَ) تعبدون (مِنَ دُونِ اللَّهِ قَالُوا ضَلُّوا) غابوا (عَنَّا) فلم نرم (وَشْهَدُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ) عند الموت (أَنَّهُمْ كَانُوا كَافِرِينَ) قَالَ تعالى لهم يوم القيامة (ادْخُلُوا فِي) جملة (أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِكُم مِّنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ فِي النَّارِ) متعلق بادخلوا (كُلَّمَا دَخَلَتْ أُمَّةٌ) النار (لَعَنَتْ أُخْتَهَا) التي قبلها لضلالها بها (حَتَّى إِذَا أَدَارَكُوا) تلاحقوا (فِيهَا جَمِيعًا قَالَتْ أَخْرَاهُمُ) وهم الأنبياء (أُولَآئِهِمْ) أى لأجلهم وهم المتبوعون (رَبَّنَا هَؤُلَاءِ أَضَلُّونَا فَآتِهِمْ عَذَابًا ضِعْفًا) مضفا (مِنَ النَّارِ، قَالَ) تعالى (لِكُلٍّ) منكم ومنهم (ضِعْفٌ) عذاب مضعف (وَلَكِن لَّا يَتَذَكَّرُونَ) بالياء والتاء - مال كل فريق (وَقَالَتْ أُولَآئِهِمْ لِأَخْرَاهُمُ) فما كَانَ لَكُمْ عَلَيْنَا مِن فَضْلٍ (لَآنَكُمْ لَمْ تَكْفُرُوا بِسَبِينَا فَنَحْنُ وَأَنْتُمْ سَوَاءٌ، قَالَ تَعَالَى لَهُمْ) فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْسِبُونَ. إِنَّ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَاسْتَكْبَرُوا) تكبروا (عَنَّا) فلم يؤمنوا بها ،

لا

في الدال وآتى بهجزة الوصل توصلا للنطق بالسا كن (قوله أخراهم)

أى المتأخرون عنهم في الزمن فأخرى تأنيث آخر مقابل أول لاتأنيث آخر لدى بمعنى غير (قوله وهم الأنبياء) أى كانوا في زمنهم أو تأخروا بعدهم (قوله أى لأجلهم) أشار بذلك إلى أن اللام في لأولام للتعليل وليست للتبليغ لأن الخطاب مع الله لا معهم (قوله وهم المتبوعون) أى الرؤساء (قوله ضعفا) ضعف الشيء في الأصل أقل ما يتحقق فيه مثل ذلك الشيء والمرد هنا لزيادة إلى غير نهاية بدليل قول المفسر مضعفا (قوله لكل ضعف) أما المتقدمون فضلالهم وإضلالهم وأما المتأخرون فلكبرهم وتقاعدهم (قوله بالياء والتاء) أى فهما قراءتان سبعيتان فعلى التاء يكون خطابا للأخرى أو للأحياء الذين في الدنيا وعلى الياء يكون إخبارا عن المتقدمين والمتأخرين (قوله مال كل فريق) أشار بذلك إلى أن مفعول يعلمون محذوف (قوله لأخراهم) اللام هنا للتبليغ لأن الخطاب معهم (قوله لأنكم لم تكفروا بسيننا) أى بل كفرتم اختيارا لا أنا حملناكم على الكفر وأكرهناكم عليه لأنه لا يمكن الجبر على الكفر ولتعلقه بالقلب (قوله قال تعالى لهم) هذه إحدى طريقتين والأخرى أنه من كلام الرؤساء للأنبياء (قوله بما كنتم تكسبون) أى بسبب كسبكم من الكفر والخالفة (قوله إن الذين كذبوا بآياتنا) أى ومانوا على ذلك (قوله فلم يؤمنوا بها) أشار بذلك إلى أن الكلام على حذف مضاف والتقدير تكبروا عن الإيمان بها .

(قوله لا تفتح) بالبناء للمفعول إما بالياء مع التخفيف أو التشديد وكلها سبعة (قوله إذا عرج بأرواحهم) ومثلها دعوهم وأمهالهم (قوله إلى سبعين) هو ولد في جهنم أسفل الأرض السابعة تسجن به أرواح الكفار وقيل هو كتاب جامع لأعمال الشياطين والكفرة وأما عليون فقيل هو كتاب جامع لأعمال الخير من اللاتكة ومؤمني الثقلين وقيل هو مكان في الجنة في السماء السابعة تحت العرش (قوله ويصعد بروحه إلى السماء السابعة) أي وترى مقعدها في الجنة وترجع مسرورة فعند ذلك يرى البشر والنور على جسمها (قوله كما ورد في حديث) أي وهو كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم في قبض روح الكافر «ويخرج معها ريح كأتين جيفة وجدت على وجه الأرض فيصعدون بها فلا يبرون على ملائكة الدنيا فيستفتحون فلا يفتح لهم ثم الحبيشة فيقولون فلان بن فلان فأصبح أسمائه التي يسمي بها في الدنيا حتى يفتنوا بها إلى السماء الدنيا فيستفتحون فلا يفتح لهم ثم قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم : لا تفتح لهم أبواب السماء» (قوله ولا يدخلون الجنة) أي بعد الموت (قوله حتى يبلج الجمل) الولوج الدخول بشدة والجمل الذكر من الأبل وخص بذلك لأنه أعظم جسم عند العرب فجسم الجمل من أعظم الأجسام وتقب الإبرة من أضييق المنافذ وهو تعاقب جائز على مستحيل والمعاق على المستحيل مستحيل فاستفيد من ذلك أن دخول الكفار الجنة مستحيل (قوله في سم الحياط) السم مثل السين لكن القراء السبعة على الفتح وقرئ شذوذا بالضم والكسر وجمعه سممام وأما ما يقتل فهو مثلث أيضا إلا أن جمعه موموم . والحياط هو الآلة التي يخاطبها ويقال لها مخيط أيضا (قوله وكذلك الجزاء) أي المتقدم وهو عدم فتح أبواب السماء لهم وعدم دخولهم الجنة (قوله نجزي) (٦٩) (المجرمين) أي كما جزينا هؤلاء

نجزي كل من أصف
بالإجرام من مبدئ الزمان
إلى منتها (قوله لهم) أي
للذين كذبوا واستكبروا
(قوله ومن فوقهم غواشي)
الجار والمجرور خبر مقدم
وغواشي مبتدأ مؤخر
مرفوع بضمزة مقدرة على
الياء المحذوفة لالتقاء
الساكنين منع من

(لَا تُفْتَحُ لَهُمْ أَبْوَابُ السَّمَاءِ) إذا عرج بأرواحهم إليها بعد الموت فيبسط بها إلى سبعين بخلاف المؤمن فتفتح له ويصعد بروحه إلى السماء السابعة كما ورد في حديث (وَلَا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّى يَلِجَ) يدخل (الْجَمْلُ فِي سَمِّ الْحَيَاطِ) تقب الإبرة وهو غير ممكن فكذا دخولهم (وَكَذَلِكَ) الجزاء (نَجْزِي الْمُجْرِمِينَ) بالكسر (لَهُمْ مِنْ جَهَنَّمَ مِهَادٌ) فراش (وَمِنْ فَوْقِهِمْ غَوَاشٍ) أغشية من النار جمع غاشية وتنوينه عوض من الياء المحذوفة (وَكَذَلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ) وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مبتدأ وقوله (لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا) طاقها من العمل اعتراض بينه وبين خبره وهو (أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ) .

ظهورها الثقل، والمعنى أن النار محيطة بهم من كل جانب وقد ورد أن سقف النار من نحاس وأرضها من رصاص وحيطانها من كبريت ووقودها الناس والحجارة (قوله وتنوينه عوض من الياء المحذوفة) هذا بناء على الصحيح من أن الاعلال مقدم على منع الصرف فأصله غواشي بالتنوين استثقات الضمة على الياء حذفت فاجتمع ساكنان الياء والتنوين حذفت لالتقاءهما ثم لوحظ أن الكلمة ممنوعة من الصرف حذفت تنوين الصرف تخيف من رجوع الياء فأتى بالتنوين عوضا عنها وأما تصريحها على أن منع الصرف مقدم على الاعلال فأصلها غواشي بترك التنوين استثقلت الضمة على الياء حذفت ثم أتى بالتنوين عوضا عن الحركة التي هي الضمة فالتقى ساكنان الياء والتنوين حذفت الياء لالتقاءهما (قوله وكذلك) أي مثل الجزاء المتقدم (قوله نجزي الظالمين) عبر عنهم أولا بالمجرمين وهنا بالظالمين إشارة إلى أنهم اتصفوا بالأمرين معا (قوله والذين آمنوا) لما ذكر وعيد الكافرين أتبعه بذكر وعد المؤمنين على حكم عادته سبحانه في كتابه والاسم الموصول مبتدأ وآمنوا صلتها وعملاوا الصالحات معطوف عليه وقوله لانكلف نفسا إلا وسعها اعتراض بين المبتدأ والخبر وهو قوله أولئك أصحاب الجنة وهذا مامش على المفسر تبعاً لاكثر علماء المعاني وقال بعضهم لانكلف نفسا إلا وسعها خبر والرابط محذوف أي لانكلف منهم (قوله لانكلف نفسا إلا وسعها) أي ما يسعها من الأعمال وما يسهل عليها ودخل في طوقها وقدرتها وكل هذا تفضل منه سبحانه وتعالى (قوله اعتراض) وحكته تبكي الكفار وتنبيههم على أن الجنة مع عظم قدرها يتوصل إليها بالعمل السهل من غير كلفة ولا مشقة . إن قلت ورد أن الجنة حفت بالمكاره فكيف تقولون إن الجنة يتوصل إليها بالعمل السهل . أجب بأن المراد بالمكاره مخالفة شهوات النفس وهي في طاقة العبد فالمراد بالعمل السهل ما كان في طاقة العبد كان فعلا أو تركا .

(قوله ونزعنا ما في صدورهم من غلّ) أى خلقناهم في الجنة مطهرين منه لا أنهم دخلوا الجنة به ثم نزع وحكة نزع الغلّ من صدور أهل الجنة أن كل أحد منهم أعطى فوق أمانيه أضعافا مضاعفة (قوله فقد كان بينهم في الدنيا) الحقد هو ضيق الصدر من الغير وهو أسّ الحسد وهو معصية قلبية تجب التوبة منه ومجاهدة النفس لتخلص منه ومن هنا افترق كبار الصالحين من صغارهم . واعلم أن الناس ثلاثة أقسام قسم خلصت قلوبهم من الأمراض الباطنية فهم في الدنيا كأهل الجنة في الجنة يحبون للناس ما يحبونه لأنفسهم وهم الأنبياء ومن كان على قدمهم وقسم لم تخلص قلوبهم غير أنهم لم يرضوا لأنفسهم بذلك ويلومون أنفسهم على ما في قلوبهم وهؤلاء المجاهدون لأنفسهم ولا يؤاخذون بذلك حينئذ وقسم لم تخلص قلوبهم وهم راضون لأنفسهم بذلك وهؤلاء لا يوجب عليهم مجاهدة نفوسهم في تخليصها من تلك الآفات (قوله تحت قصورهم) أى بجانب جدارها وليس المراد أنها تجري من تحت الجدار (قوله الذى هدانا) أى أرشدنا ووفقنا (قوله العمل الذى هذا جزاؤه) كذا في نسخة وفي نسخة أخرى لعمل هذا جزاؤه وفي أخرى لهذا العمل هذا جزاؤه (قوله وما كنا لنهتدى) بالواو ودونها قراءتان سبعيتان والجملة إمامستانفة أو حالية على كل (قوله لدلالة ما قبله عليه) أى وهو قوله وما كنا لنهتدى والتقدير ولولا هداية الله لنا موجودة ما اهتدينا (قوله لقد جاءت رسل ربنا بالحق) هذا إقسام من أهل الجنة شكرا لنعم الله وتحذيرا بها ، والمعنى أن ما أخبرونا به في الدنيا من الثواب حق وصدق لمشاهدتنا له عيانا (قوله ونودوا) (٧٠) يحتمل أن النادى هو الله ويحتمل أنه للملائكة (قوله مخففة) أى واسمها

وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِنْ غَلٍّ (حَقْدٌ كَانَ بَيْنَهُمْ فِي الدُّنْيَا) (تَجْرَى مِنْ تَحْتِهِمْ) (تَحْتَ قُصُورِهِمْ) (الْأَنْهَارُ وَقَالُوا) (عِنْدَ الْاسْتِقْرَارِ فِي مَنَازِلِهِمْ) (الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَيْنَا لِهَذَا) (الْعَمَلُ الَّذِي هَذَا جَزَاؤُهُ) (وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلَا أَنْ هَدَيْنَا اللَّهُ) (حَذَفَ جَوَابَ لَوْلَا لِدَلَالَةِ مَا قَبْلَهُ عَلَيْهِ) (لَقَدْ جَاءَتْ رُسُلٌ رَبَّنَا بِالْحَقِّ وَنُودُوا أَنْ) (مُخَفَّفَةٌ أَيْ أَنَّهُ أَوْ مَفْسَرَةٌ فِي الْمَوَاضِعِ الْحَسَنَةِ) (تِلْكَ أَلْفُ مَنَازِلٍ أُورِثَتْهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ) (وَنَادَى أَصْحَابُ الْجَنَّةِ أَصْحَابَ النَّارِ) (تَقَرُّرًا وَتَبْكِيَةً) (أَنْ قَدْ وَجَدْنَا مَا وَعَدَنَا رَبُّنَا) (مِنَ الثَّوَابِ) (حَقًّا فَهَلْ وَجَدْتُمْ مَا وَعَدَ) (كَمْ رَبُّكُمْ) (مِنَ الْعَذَابِ) (حَقًّا قَالُوا نَعَمْ فَأَذَّنَ مُؤَذِّنٌ) (نَادَى مُنَادٍ) (بَيْنَهُمْ) (بَيْنَ الْفَرِيقَيْنِ أَسْمَهُمْ) (أَنْ لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ) (الَّذِينَ يَصُدُّونَ) (النَّاسَ) (عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ) (دِينَهُ) (وَيَبْغُونَهَا) (أَيِ يَطْلُبُونَ السَّبِيلَ) (عِوَجًا) (مَعُوجَةً) (وَهُمْ بِالْآخِرَةِ كَافِرُونَ) (وَيَبْغُونَهَا) (أَيِ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ) (حِجَابٌ) (حَاجِزٌ قَلِيلٌ هُوَ) (سُورُ الْأَعْرَافِ) (وَعَلَى الْأَعْرَافِ) (وَهُوَ سُورُ الْجَنَّةِ) (رِجَالٌ) ،

ضمير الشأن وخبرها الجملة بعدها (قوله أو مفسرة) أى لأنه تقدمها جملة فيها معنى القول دون حروفه وهو قوله ونودوا (قوله في المواضع الحسنة) أى من هنا إلى قوله أفيضوا علينا من الماء (قوله تلسم الجنة) اسم الإشارة مبتدأ والجنة خبر وقوله : أورثتموها حال من الجنة أو الجنة نعت لاسم الإشارة وأورثتموها خبره

باسم الإشارة البعيدة إشارة لعظم رتبها ومكانها على حد ذلك الكتاب (قوله أورثتموها) أى من الكفار لأن الله استوت خلق في الجنة منازل للكفار بتقدير إيمانهم فمن لم يؤمن منهم جعل منزله لأهل الجنة فكل واحد من أهل الجنة يأخذ منازل تسعمائة وتسعة وتسعين من أهل النار يضم لمنزله فيجتمع له ألف منزل فلما كان الغالب منها ميراثا أطلق على جميعها اسم الميراث وحكمة إطلاق اسم الارث عليها أن الكفار ساءهم الله أمواتا بقوله أموات غير أحياء والمؤمنين أحياء ، ومن المعلوم أن الحي يرث الميت (قوله بما كنتم تعملون) الباء سببية ومصدرية : أى بسبب عملكم . إن قلت ورد في الحديث أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « لن يدخل الجنة أحد بعمله » قيل ولا أنت يا رسول الله ؟ قال ولأننا إلا أن يتغمدني الله برحمته . » . أجيبت بأن الآية محمولة على العمل الصالح بالفضل والحديث محمول على العمل المجرد عنه (قوله ونادى أصحاب الجنة أصحاب النار) إن قلت إذا كانت الجنة في السماء والنار في الأرض فكيف يسمعون النداء . أجيبت بأن القيامة خارقة للعادة فلا مانع من وصول النداء لهم وهذا النداء من كل فرد من أفراد أهل الجنة لكل فرد من أفراد أهل النار لأن مقابلة الجمع بالجمع تقتضى القسمة على لآحاد (قوله ما وعدكم ربكم حقا) تسميته وعدا مشاكلة وإلا فالأخبار بالشرع لا وعد وقدر المفسر الكاف إشارة إلى أن مفعول وعد محذوف وقوله من العقاب بيان لما (قوله نادى مناد) قيل هو إسماعيل وقيل غيره من الملائكة (قوله أممهم) تفسيره قوله بينهم (قوله الذين يصدون) نعت للظالمين (قوله معوجه) أى مائلة عن الحق : والمعنى أنهم يغيرون دين الله وطريقته التي شرع لعباده (قوله حاجز) أى يمنع وصول كل منهما للآخر .

(قوله استوت حسناتهم وسيئاتهم) هذا قول من ثلاثة عشر قولاً وقيل أولاد الشركين الذين ما بنوا صفاراً وقيل أناس خرجوا لغزو في سبيل الله من غير إذن آبائهم ثم قتلوا وقيل ناس برو آباءهم دون أمهاتهم وبالعكس وقيل إنهم عدول القيامة يشهدون على الناس بأعمالهم وهم في كل أمة (قوله كافي الحديث) أي وهو أن الله يحاسب الناس يوم القيامة فمن كانت حسناته أكثر بواحدة دخل الجنة ومن كانت سيئاته أكثر بواحدة دخل النار ومن استوت حسناته وسيئاته كان من أصحاب الأعراف فوقفوا على الأعراف فإذا نظروا إلى أهل الجنة نادوهم سلام عليكم وإذا نظروا إلى أهل النار قالوا ربنا لا تجعلنا مع القوم الظالمين فهناك يقول الله تعالى لم يدخلوها وهم يطمعون فكان الطمع دخولاً (قوله ونادوا) أي أصحاب الأعراف (قوله قال تعالى) أشار بذلك إلى أن الوقف على قوله عليكم وقوله لم يدخلوها كلام مستأنف جواب عن سؤال مقدر كأن قائلنا قال وما صنع بأهل الأعراف؟ فأجيب بأنهم لم يدخلوها (قوله إذ طلع عليهم ربك) أي أزال عنهم الحجب حتى رأوه وسمعوا كلامه (قوله فقال قوموا ادخلوا الجنة) أي حينئذ يفتح لهم إلى نهر يقال له نهر الحياة حافته قضب الذهب مكلل بالؤلؤ وترابه السك فيلقون فيه فتصلح أوانهم وتبدو في نحورهم شامة بيضاء يعرفون بها يسمون مساكين أهل الجنة (قوله وإذا صرفت أبصارهم) عبر بالصرف دون النظر إشارة إلى أن نظرم إلى أهل النار غير مقصود لأن رؤية العذاب وأهل نسي الناظرين بخلاف (٧٨)

لناظرين فلما لم يعبر في جانبه الصرف بل قيل ونادوا أصحاب الجنة أن سلام عليكم (قوله تلقاء) بالمد والتقصير قراءة سبعيتان وهي ظرف مكان بمعنى جهة ويستعمل مصدراً كالتبيان ولم يحج من المصادر على التفعال بالكسر غير التلقاء والتبيان والزلال وبعضهم ألحق التكرار بذلك (قوله في النار) أي لا ابتداء مع العصة ولا دواما مع

استوت حسناتهم وسيئاتهم كما في الحديث (يَعْرِفُونَ كَلًّا) من أهل الجنة والنار (بِسِيَاهُمْ) بعلامتهم وهي بياض الوجوه للمؤمنين وسوادها للكافرين لرؤيتهم لهم إذ موضعهم عال (وَنَادَوْا أَصْحَابَ الْجَنَّةِ أَنْ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ) قال تعالى (لَمْ يَدْخُلُوهَا) أي أصحاب الأعراف الجنة (وَهُمْ يَطْمَعُونَ) في دخولها، قال الحسن لم يطمعهم إلا لكرامة يريدونها بهم، وروى الحاكم عن حذيفة قال: بينهم كذلك إذ طلع عليهم ربك فقال قوموا ادخلوا الجنة فقد غفرت لكم (وإذا صرفت أبصارهم) أي أصحاب الأعراف (تلقاء) جهة (أَصْحَابِ النَّارِ قَالُوا رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِي النَّارِ) (مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ) وَنَادَى أَصْحَابُ الْأَعْرَافِ رِجَالًا مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ (يَعْرِفُونَهُمْ بِسِيَاهُمْ قَالُوا مَا أَغْنَىٰ عَنْكُمْ) من النار (جَمْعُكُمْ) المال أو كثرتكم (وَمَا كُنْتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ) أي واستكباركم عن الإيمان، يقولون لهم مشيرين إلى ضعف المسلمين (أَهْلَ الْأُولَاءِ الَّذِينَ أَقْسَمْتُمْ لَا يَنَالُهُمُ اللَّهُ بِرَحْمَةٍ) قد قيل لهم (ادْخُلُوا الْجَنَّةَ لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمْ وَلَا أَنْتُمْ تَحْزَنُونَ) وقرئ ادخلوا بالبناء للمفعول، ودخلوا،

الكفار (قوله رجالاً) أي كانوا عظماء في الدنيا كأبي جهل والوليد بن المغيرة وعقبة بن أبي معيط وأضرابهم (قوله بسياهم) أي علامتهم وتقدم أنها سواد الوجه للكفار (قوله ما أغنى عنكم) يحتمل أن ما استنهامية أي أي شيء أغنى عنكم جمعكم ويحتمل أنها نافية أي لم يقن عنكم جمعكم ولا استكباركم شيئاً من عذاب الله (قوله المال) أشار بذلك إلى أن جمع مصدر مضاف لفاعله ومفعوله محذوف قدره بقوله المال وقوله أو كثرتكم إشارة لتفسير ثاب لجمعكم فيكون معناه جماعتكم (قوله أي واستكباركم) سبك المصدر بما بعد كان جرياً على قول من يقول إن كان تجردت عن معنى الحدث وصارت مجرد الربط ولو مشى على مقابله المشهور لقال وكونكم مستكبرين وإنما حمل المفسر على ذلك الاختصار (قوله مشيرين) أي أهل الأعراف (قوله إلى ضعف المسلمين) أي الذين كانوا يعذبون في الدنيا وكان المشركون يسخرون بهم كصهيب وبلال وسليمان وخباب ونحوهم (قوله أهولاء) استفهام تقرير وتوبيخ (قوله أقسمتم) أي باللات والعزى وقوله لا ينالهم الله برحمة هذا هو المقسم عليه ويؤخذ من الآية أن أهل الأعراف ناظرون لأهل الجنة وأهل النار وأن أهل النار ناظرون لأهل الأعراف وأهل الجنة وهذا المزيد الحسرة لهم فهم يعذبون بالآثار والتبكيك من أهل الأعراف (قوله قد قيل لهم) قدره إشارة إلى أن قوله ادخلوا الجنة مقول لذلك القول المحذوف ليصح جعلها خبراً ثانياً لأن الجملة الطلبية لا يصح وقوعها خبراً إلا إذا أولت بخبر (قوله وقرئ ادخلوا الخ) هاتان شاذتان على عادته حيث يعبر عن الشاذ بقرئ وعن السبى بوفى قراءة وعلى هاتين القراءتين فلا يحتاج لتقدير القول لأن الجملة خبرية .

(قوله فجلة النفي) أى جنبها الصادق بالجلتين وهما لاخوف عليكم ولا أتم تحزنون (قوله حال) أى معمول لحال مخدوفة ففى كلامه نسمع وهذا على القراءتين الشاذتين وأما على القراءة السبعية فلا يحتاج لذلك (قوله ونادى أصحاب النار أصحاب الجنة) قال ابن عباس رضى الله عنهما لما صار أصحاب الأعراف إلى الجنة طمع أهل النار فى الفرج عنهم فقالوا يارب إن لنا قرابات من أهل الجنة فأذن لنا حتى نراهم ونكلمهم فيأذن لهم فينظرون إلى قراباتهم فى الجنة ومأم فيه من التميم فيعرفونهم وينظر أهل الجنة إلى قراباتهم من أهل النار فلم يعرفهم لسواد وجوههم فينادى أصحاب النار أصحاب الجنة بأسمائهم فينادى الرجل أباه وأخاه فيقول قد احترقت أفض طى من الماء فيقال لهم أجيبوهم فيقولون إن الله حرمهما على الكافرين (قوله من الطعام) أى الشمل للشروب والمأكول وحيث فى ضمن أفيضوا معنى ألقوا نظير : علقها تبنوا وماء باردا ، وأو بمعنى الواو بدليل قوله حرمهما وإلا لو بقيت على بابها من التخيير لأعيد الضمير مغردا (قوله منعهما) أى فالتعبير بالتحريم مجاز لا تقطاع التكليف بالموت ويعلم من هذا أنه لا يأتى أهل الجنة بعذاب أهل النار ثم تقطع الأسباب بينهم ونزع الرحمة من قلوب أهل الجنة لأهل النار لاستحقاقهم مأم فيه من العذاب (قوله الذين اتخذوا) هذا وصف للكافرين (قوله لهوا ولعبا) اللهو صرف المم بما لا يحسن أن يصرف به واللعب طلب الفرح بما لا يحسن أن يطلب به (قوله) (٧٣) وغرتهم الحياة الدنيا) أى شغلهم بالطمع فى طول العمر وحسن العيش (قوله

فجلة النفي حال أى مقولا لهم ذلك (ونادى أصحاب النار أصحاب الجنة أن أفيضوا علينا من الماء أو مما رزقكم الله) من الطعام (قألو إن الله حرمهما) منعهما (على الكافرين . الذين اتخذوا دينهم لهوا ولعبا وغرتهم الحياة الدنيا فاليوم ننسأهم) نتركهم فى النار (كما نسأ لقاء يومهم هذا) بتركهم العمل له (وما كانوا يأتينا ينجحون) أى وكما جحدوا (ولقد جئناهم) أى أهل مكة (بكتاب) قرآن (فصلناه) بيناه بالأخبار والوعد والوعيد (على علم) حال أى عالمين بما فصل فيه (هذى) حال من الماء (ورحمة لقوم يؤمنون) به (هل ينظرون) ما ينتظرون (إلا تأويله) عاقبة ما فيه (يوم يأتى تأويله) هو يوم القيامة (يقول الذين نسأهم من قبل) تركوا الإيمان به (قد جاءت رسل ربنا بالحق فهل لنا من شفعاء فيشفعوا لنا ، أو) هل (نرؤ) إلى الدنيا (فنعمل غير الذى كُنَّا نعمل) نوحى الله ونترك الشرك فيقال لهم لا ، قال تعالى (قد خسروا أنفسهم) أى صاروا إلى الهلاك (وَصَلَّ) ذهب (عنهم ما كانوا يفترون) من دعوى الشريك ،

فاليوم نسأهم) ليس من كلام أهل الجنة وإنما هو قول الرب جل جلاله فالقاء واقعة فى جواب شرط مقدر تقديره فإذا كان هذا حال الكافرين فاليوم نسأهم (قوله نتركهم فى النار) أشار بذلك إلى أن النسيان مستعمل فى لازمه وهو الترك لأن حقيقة مستحيلة على الله فالمعنى نعمالهم معاملة الناسى من عدم الاعتناء بهم وتركهم فى النار (قوله

كما نسأ الكاف تبليعية وامصدرية أى لأجل نسيانهم (قوله بتركهم العمل له) أشار بذلك إلى أن الكلام (إن على حذف مضاف تقديره كأنسأ العمل لليومهم هذا (قوله أى وكما جحدوا) أشار بذلك إلى أن مامعطوف على ما الأولى مسلط عليه كاف التعليل ، والمعنى نتركهم فى النار لتركهم العمل ولجحدهم آياتنا (قوله فصلناه) القراءة السبعية بالصادر وقرى شذوذا بالضاد المعجمة أى فصلناه على غيره من الكتب السبابة (قوله بالأخبار والوعد) أى وكذا بقية الأنواع التسعة التى جمعها بعضهم فى قوله :

(قوله حال) أى من الفاعل ويصح كونه حالا من المفعول والمعنى فصلناه حال كونه مشتتلا على علم (قوله حال من الماء) أى أومن كتاب وجاز ذلك لتخصيصه بالوصف (قوله هل ينظرون) أى أهل مكة (قوله عاقبة ما فيه) أى فهذا هو المراد بتأويله بمعنى ما يؤول إليه وعيد القرآن لهم (قوله الذين نسأهم) أى التأويل (قوله قد جاءت رسل ربنا بالحق) أى تبين صدقهم فيما جاءوا به واعتبروا بذلك لمعانة العذاب (قوله فيشفعوا) منصوب بأن مضرة فى جواب الاستفهام فهو عطف اسم مؤول على اسم صريح (قوله أو هل نرؤ) أشار بذلك إلى أن جملة نرؤ معطوفة على التى قبلها والاستفهام مسلط عليها (قوله فنعمل) منصوب بأن مضرة فى جواب الاستفهام الثانى والمعنى نطلب أحد أمرين إما الشفاعة لنا فيما سبق منا أو نرجع إلى الدنيا ونحسن العمل فيها (قوله (من دعوى الشريك) أى من دعوى نفع الشريك لأنهم كانوا يدعون أن الأصنام تنفعهم .

(قوله بن ربكم الله) أى لاغيره (قوله فى ستة أيام) أى وأولها الأحد وأخراها الجمعة كما ورد أنه ابتداء الخلق فى يوم الأحد وأنه حاق الأرض فى يومين الأحد والاثنين ، والسماوات فى يومين الخميس والجمعة ، وأنه حاق الجبال والوحوش والأشجار والزرع فى الثلاثاء والأربعاء ، وروى مسلم والحاكم عن ابن عباس أن الله خلق الأرض يوم الأحد والاثنين ، وخلق الجبال وما فيها من منافع يوم الثلاثاء ، وخلق يوم الأربعاء السماء والطين والعمران والخراب ، وخلق يوم الخميس السماء وخلق يوم الجمعة النجوم والشمس والقمر والملائكة إلى ثلاث ساعات بقيت منه ، فخلق الله فى أول ساعة من هذه الثلاث ساعات الآجال ، وفى الثانية ألقى الله الألفة على كل شىء مما يتنفع به الناس ، وخلق فى الثالثة آدم وأسكنه الجنة وأمر إبليس بالسجود وأخرجه منها فى آخر ساعة . واستشكل ذلك بأنه لم يكن ثم شمس ، والجواب بأن المراد فى قدرها لايجدى نفعا إلا أن يقال إن ذلك التقدير فى علم الله بحيث لو كانت الأيام موجودة لكانت كذلك ، ثم اعلم أن ما هنا من الأحاديث موافق لما يأتى فى سورة فصلت من أن خلق الأرض مقدم على السماء ولاتنافى بينه وبين ما يأتى فى سورة النازعات فى قوله تعالى : والأرض بعد ذلك دحاها ليقضى تقديم السماء على الأرض لأن الدحى غير الحاق فان الأرض خلقت أولا كرهة ثم بعد خلق السماء بسطت الأرض (قوله أى فى قدرها) جواب عن سؤال مقدر أفاده المفسر بقوله لأنه لم يكن ثم شمس (قوله التثبت) أى التجهل فى الأمور وعدم العجلة (قوله هو فى اللغة سرير الملك) أى ونسبته عرشا إنما هو بالنسبة لما عدا الراكب عليه لعلمه عليهم وأما المراد به هنا فهو الجسم النورانى المرتفع على كل الأجسام المحيط بكها (قوله استواء يليق به) هذه طريقة السلف الذين يفوضون علم التشابه لله تعالى وهذا نظير ما وقع لمالك بن أنس أنه سأله (٧٣) رجل عن قوله تعالى الرحمن على العرش استوى فقال

الاستواء معلوم والكيف مجهول والإيمان به واجب والسؤال عنه بدعة أخرجوا عنى هذا اللبث . وأما طريقة الخلف فيؤولون الاستواء بالاستيلاء بمعنى الملك والتصرف فالاستواء يطلق

(إِنَّ رَبَّكُمْ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ) من أيام الدنيا أى فى قدرها لأنه لم يكن ثم شمس ولو شاء خلقهن فى لحظة والعدل عنه لتعلم خلقه التثبت (ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ) هو فى اللغة سرير الملك استواء يليق به (يُنْفِى الثَّيْلَ النَّهَارَ) مخففاً ومشدداً ، أى ينفى كلا منهما بالآخر (يَطْلُبُهُ) يطلب كل منهما الآخر طلباً (حَثِيثاً) سريعاً (وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنَّجُومَ) بالنصب عطفاً على السماوات والرفع مبتدأ خبره (مُسَخَّرَاتٍ) مذللات (بِأَمْرِهِ) بقدرته (أَلَا لَهُ الْخَلْقُ) جميعاً (وَالْأَمْرُ) ،

حقيقة على الركوب وهو مستحيل على الله وعلى الاستيلاء والتصرف وهو المراد . قال الشاعر :
قد استوى بشر على العراق من غير سيف ودم مهبraq
وقد أشار صاحب الجوهرة لطريقتين بقوله :

وكل نص أوهم التشبيهاً أوله أو فوض ورم تخزيها

(قوله مخففاً ومشدداً) أى فهما قراءتان سبعيتان عليهما فالليل فاعل معنى والنهار مفعول لفظاً ومعنى ، ووجب تقديم ما هو فاعل معنى لئلا يلتبس نحو أعطيت زيدا همرا (قوله أى ينفى كلا منهما بالآخر) يشير إلى أن فى الآية حذفاً تقديره وينفى النهار الليل ويؤيده آية يكور الليل على النهار ويكور النهار على الليل (قوله يطلبه حثيثاً) أى ليس بينهما فاصل ، والحث والحض بمعنى واحد وهو الطلب بسرعة وحثيثاً نعت مصدر محذوف أى طلباً حثيثاً (قوله بالنصب عطفاً على السماوات) أى ونصب مسخرات على الحال من الشمس والقمر والنجوم (قوله والرفع) أى فهما قراءتان سبعيتان (قوله مذللات) أى مسيرات خفيت سيرها سارت وفى هذا رد على الفلاسفة القائلين بتأثير الكواكب فى العالم السفلى فهى أسباب عادية توجد الأشياء عندها لا بها (قوله ألا له الخلق والأمر) ألا للاستفتاح يؤتى بها فى مبدأ الكلام البليغ الذى يقصد به الرد على المنكر والمراد بالخلق الإيجاد وبالأمر التصرف فهو منفرد بالإيجاد والتصرف فلا شريك له فيهما وتصرف الحادث إنما هو بتصريف الله له وليس لخلق استقلال بتصريف أبداً وإنما العبيد مظاهر التصريف فمن أكرمه أجرى جلب الخير ودفع الشر على يديه كعجرات الأنبياء وكرملت الأولياء ، ومن أهانه أجرى الشرور على يديه [١٠ - صاوى - ثانى]

(قوله تبارك) فعل ماض جامد لا يتصرف ومعناه تعبد وتزهد عن صفات الحدوث (قوله ادعوا ربكم) أمر لجميع العباد بالتوجه في الدعاء لله سبحانه وتعالى أى حيث علمتم أن الله هو المتصرف في خلقه لإيجاد وإعدام وإعطاء ومنع فوجوه إليه قلوبكم واسألوه بألسنتكم وقد ذكر الله سبحانه وتعالى للدعاء أربعة شروط التصريح والخفية والخوف والطمع (قوله حال) أى من الغافل في ادعوا أى ادعوا حال كونكم متضرعين ومتذللين لأن الدعاء إذا كان مع التذلل كان للإجابة أقرب (قوله سرا) أى بإسراع نفسه لأن الله تعبدنا بالدعاء كما تعبدنا بالقراءة فلا يكتفى مرور الدعاء على قلبه . واعلم أن الإنسان إذا كان وحده فالسر أفضل له إن كان ينشط في ذلك وإلا فالجهر أفضل له كالجماعة (قوله بالتشويق) هو كثرة الكلام من غير حضور في القلب فهو راجع لقوله تضرعا وقوله ورفع الصوت هو راجع لقوله وخفية (قوله خوفا) الخوف غم يحصل من أمر مكرره يقع في المستقبل (قوله وطمعا) الطمع توقع أمر محبوب يحصل في المستقبل ومنه رجاء الإجابة، ففي الحديث «ادعوا الله وأتم موقنون بالإجابة» ، وفي الحديث «أيضا ما من عبد يرفع يديه ويقول يارب إلا يستجى الله أن يرد ما صفرين» فاستفيد من هذا أنه ينبغي للداعي الخوف والرجاء فيجعلهما كجناحي الطائر إن مال أحدهما سقط . (قوله الطبعين) أى ولو بالتوبة فالمطلوب تقديم التوبة على الدعاء ليقع الدعاء من قلب طاهر فيكون أقرب للإجابة (قوله وتذكير قريب) جواب عما يقال إن قريب في الأصل وصف في المعنى (٧٤) لرحمة وهى مؤنثة فكان حقه التأنيث . فأجاب بأنه اكتسب التذكير من المضاف

كله (تَبَارَكَ) تعاضم (الله رَبُّ) مالك (الْعَالَمِينَ . اُدْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا) حال تذلا (وْخُفْيَةً) سرا (إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ) في الدعاء بالتشويق ورفع الصوت (وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ) بالشرك والمعاصي (بَعْدَ إِصْلَاحِهَا) يبعث الرسل (وَأَدْعُوهُ خَوْفًا) من عقابه (وَطَمَعًا) في رحمته (إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ الْمُحْسِنِينَ) الطبعين وتذكير قريب الخبر به عن رحمة لإضافتها إلى الله (وَهُوَ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَّاحَ تُشْرَا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ) أى متفرقة قدام المطر ، وفي قراءة بسكون الشين تخفيفا وفي أخرى بسكونها وفتح النون مصدرا وفي أخرى بسكونها وضم الموحدة بدل النون أى مبشرا ومفرد الأولى نشور كرسل والأخيرة بشير (حَتَّىٰ إِذَا أَقْلَّتْ) حلت الرياح (سَحَابًا ثِقَالًا) بالمطر (سُقْنَاهُ) أى السحاب وفيه التفات عن الغيبة (لِيَلْجِدَ الِمْيَتَ) لا نبات به أى لأحيائها (فَأَنزَلْنَا بِهِ) بالبلد (الْمَاءَ فَأَخْرَجْنَا بِهِ) بالماء (مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ)

إليه وهو لفظ الجلالة أو يقال إن رحمة مجازى التأنيث فيوصف بالمذكر أو يقال إن معنى الرحمة الثواب وهو مذكور وصفه بالمذكر من حيث المعنى (قوله وهو الذى يرسل الرياح) معطوف على قوله إن ربكم الله الآية والرياح جمع ريح وهى أربعة : الصبا والدمبور والجنوب والشمال ، فالصبا تثير السحاب وهى

كذلك

من مطلع الشمس ، والشمال

تحممه وهى من تحت القطب ، والجنوب نضره وهى من جهة القبلة ، والدمبور تفرقه وهى من مغرب الشمس ، وفي رواية الرياح ثمانية : أربعة عذاب العاصف والقاصف والصرصر والعقيم ، وأربعة رحمة الناشرات والرسلات والنازعات والناشرات (قوله متفرقة) هذا التفسير لم يوافقه عليه أحد بل بعض المفسرين قال إن معنى نشرنا منشرة منسعة أو ناشرة للسحاب (قوله قدام المطر) في الكلام استعارة مكنية حيث شبهت الرحمة بمعنى المطر بسطان يقسم وله مبشرات وطوى ذكر التشبه به ورمز له بشيء من لوازمه وهو قوله بين يدي قاتباته تخييل (قوله تخفيفا) أى بخذف ضمة الشين وهى سبعة أيضا كالتين بعدها (قوله بسكونها وفتح النون) أى وإفراء الريح (قوله مصدر) أى إما بمعنى اسم الفاعل أو اسم الفاعول أى ناشرة للسحاب أو منشورة (قوله ومفرد الأولى) أى ضم الشين ومثلها سكونها لمفرد الاثنين واحد (قوله حتى إذا أقلت) غاية لإرسال الرياح (قوله سحابا) هو ثمر شجرة في الجنة (قوله بالمطر) متعلق بشقلا والباء للسببية (قوله عن الغيبة) أى إلى التكلم إذ كان مقتضى الظاهر فساقه (قوله لانا نبات به) أى فموت الأرض كناية عن عدم النبات بها (قوله بالبلد) أشار بذلك إلى أن الضمير في به عائد على البلد والباء بمعنى في وقوله بالماء يشير إلى أن الضمير عائد على الماء والباء سببية ويصح عوده على البلد وتكون الباء بمعنى في

(قوله كذلك الإخراج) أى فالتنبيه في مطلق الإخراج من العدم فمن كان قادرا على إخراج الثمار من الأرض سببا أرض الجبال التى شأنها عدم إنبات شئ من الثمار قادر على إحياء الموتى من قبورهم فهوردة على منكبرى البعث (قوله والبلد) أى الأرض (قوله حسنا) أخذه من قوله لا يخرج إلا نكدا (قوله بإذن ربه) أى بإرادته ولم يذكر ذلك في المقابل وإن كان بإذنه أيضا تعليل لعباده الأدب حيث أمدد نفسه الحبر دون الشر وإن كان منه أيضا لما ورد «إن الله جميل يحب الجمال» وقوله تعالى - بيدك الحبر - ولم يقل ويديك الشر فلا يجوز أن يقال سبحانه من خلق القرد ولا سبحانه من دب الشوك (قوله هذا مثل المؤمنين) أى ولعملة فمثل المؤمنين كمثل الأرض الطيبة ومثل المواعظ والقرآن كمثل الماء فكما أن الماء إذا نزل على الأرض الطيبة أنبت طبيبا كذلك المواعظ والقرآن إذا نزلت على قلب المؤمن أنبت الطاعات والصفات الحميدة (قوله إلا نكدا) أى إلا نباتا نكدا عديم النفع ونصب نكدا على الحال أو نعت مصدر محذوف أى إلا خروجا نكدا وهو من باب تعب (قوله لقد أرسلنا نوحا) المقصود من ذكر تلك القصص تسليية النبي صلى الله عليه وسلم وترك الواو هنا وذكر في سورة هود والمؤمنون لعدم تقدم ما يعطف عليه هنا بخلاف ما يأتي ونوح اسمه عبد الغفار بن ملك بفتح الميم وسكونها ابن متوشلح بن أخنوخ وهو إدريس بعث على رأس أربعين سنة على الصحيح ، وقيل على رأس خمسين ، وقيل مائتين وخمسين ، وقيل مائة سنة ومكث في قومه تسعمائة وخمسين ، وعاش بعد الطوفان مائتين وخمسين فجعله عمره (٧٥) ألف ومائتان وأربعون بناء على الصحيح من أنه بعث على رأس الأربعين وكان نجارا وصنع السفينة في عامين ، ولقب بنوح لكثرة نوحه على نفسه حيث دعا على قومه فهلكوا وقيل لمراجعته ربه في شأن ولده كنعان وقيل لأنه صر على كلب مجذوم فقال له : احضأ يا قبيح ، فأوحى الله إليه أعبتى أم عبت الكلب وقدم

كذلك (الإخراج) (نُخْرِجُ الْمَوْتَى) من قبورهم بالإحياء (لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ) فتؤمنون (وَالْبَلَدُ الطَّيِّبُ) العذب التراب (يُخْرِجُ نَبَاتَهُ) حسنا (بِإِذْنِ رَبِّهِ) هذا مثل المؤمنين يسمع الموعظة فينتفع بها (وَالَّذِي خَبُتْ) تراه (لَا يُخْرِجُ) نباته (إِلَّا نَكِدًا) عسرا بمشقة وهذا مثل للكافر (كذلك) كما بينا ما ذكر (نُصَرِّفُ) نبين (الآيَاتِ لِقَوْمٍ يَشْكُرُونَ) الله فيؤمنون (لَقَدْ) جواب قسم محذوف (أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ فَقَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ) بالجر صفة لإله والرفع بدل من محله (إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ) إن عبادتم غيره (عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ) هو يوم القيامة (قَالَ الْمَلَأُ) الأشراف (مِنْ قَوْمِهِ إِنَّا لَنَرَاكَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ) بين (قَالَ يَا قَوْمِ لَيْسَ بِي ضَلَالَةٌ) هى أهم من الضلال فنفيها أبلغ من نفيه (وَلَكِنِّي رَسُولٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ) بالتخفيف والتشديد (رِسَالَاتٍ رَبِّي ،

قصة نوح لأن قومه أول من كفر واستحق العذاب (قوله جواب قسم محذوف) إنما أتى بالقسم هنا للرد على المنكرين وهو مما يجب التأكيد فيه (قوله إلى قومه) القوم في الأصل قبيلة الرجل وأقاربه الذين اجتمعوا معه في جد واحد ويطلق القوم مجازا على من عاشهم الرجل وسكن عندهم وإن لم يكونوا أقارب له (قوله اعبدوا الله) أى وحدوه (قوله مالكم من إله غيره) استئناف مسوق لبيان وجه إفراده بالعبادة (قوله صفة لاله) أى مراعاة للفظه (قوله بدل من محله) أى لأن محله رفع بالابتداء أو من زائدة (قوله إني أخاف) علة ثانية للأمر بالعبادة والمعنى اعبدوا الله لأنه ليس لكم إله غيره ولأننى أتحقق نزول عذاب الآخرة بكم إن خالفتهم ذلك إما عاجلا في الدنيا أو آجلا في الآخرة (قوله قال الملأ) بالهمز والتصر مموا بذلك لأنهم يملأون المجالس بأجسامهم والقلوب بهيئتهم والعيون بأبهمهم (قوله من قومه) لم يقل الدين كفروا مثل ما قيل في قوم هود لأن ذلك كان في مبدأ رسالته ولم يكن ثم مؤمن هكذا قيل والأحسن أن يقال حذفه منه لعله مما يأتي في الآية الأخرى (قوله في ضلال مبين) أى حيث عدل عن عبادة آلهتهم الجاهلين عليها المذكورين في سريرة نوح في قوله تعالى - وقالوا لا تدرن آلهتهم - الآية (قوله هو أهم من الضلال) أى لأن الضلال هو الخروج عن الحق من كل وجه والضلالة هى الخروج عن الحق ولو بوجه (قوله فنفيها أبلغ) أى لأنها نكرة في سياق النفي فتعم (قوله ولكنى رسول) قد وقع الاستدراك أحسن موقع لكونه وقع بين ضدين نفي الضلالة التوهم ثبوتها وثبوت الرسالة للتوهم نفيها (قوله بالتخفيف والتشديد) أى فهما قراءتان سبعيتان (قوله رسالات ربى) الجمع باعتبار تعدد الأزمنة أو المراد بالرسالات للرسل بها التى هى الأحكام .

(قوله وأصح لكم) النصح بتمتدئ بنفسه وباللام وهو إرادة الخير للغير كما يريد لنفسه (قوله وأعلم من الله ما لا تعلمون) أى من الأحكام التى تأتية عن الله أو من العذاب الذى يحل بهم إن لم يؤمنوا (قوله أكذبتم) أشار بذلك إلى أن الهمة داخلة على عذوف والواو عاطفة على ذلك المحذوف (قوله موعظة) أى تخوفكم من عذاب الله إن لم تؤمنوا (قوله لينذركم) علة للجاء وقوله ولتتقوا صرب على الانذار وقوله ولعلكم ترحمون صرب على التقوى فهذا الترتيب فى أحسن البلاغة وعبر فى جانب الرحمة بالترجيء إشارة إلى أن الرحمة أمرها عزيز لا تنال بالعمل بل بفضل الله (قوله العذاب) قدره إشارة إلى أن مفعول ينذر محذوف (قوله ولتتقوا الله) قدره إشارة إلى أن مفعول تتقوا محذوف أيضا (قوله فكذبوا) أى استمروا على تكذيبه (قوله والذين معه) قيل كانوا أربعين رجلا وأربعين امرأة وقيل تسعة أولاده الثلاثة : سام وهو أبوالعرب ، وحام وهو أبو السودان ، ويافث وهو أبو الترك وستة من غيرهم (قوله فى الفلك) يطلق على الفرد والجمع والذكر والمؤنث ووزن الفرد قفل والجمع أسد (قوله السفينة) وكان طولها ثلثمائة ذراع ومكها ثلاثين ذراعا وعرضها خمسين وطبقتها ثلاث السفلى للوحوش والدواب والوسطى للإنس والعليا للطيور وربها فى عاشر رجب واستوت على الجودى فى عاشر المحرم (قوله بآياتنا) أى الدالة على التوحيد وهى معجزات نوح (قوله عمين) أصله عمين حذفت الباء الأولى تخفيفا وهو جمع عم يقال لأعمى البصرة وأما عمينان فجمع أعمى يقال لأعمى البصر (قوله وإلى عاد) جرت عادة الله فى كتابه أنه إذا كان للرسول إليهم اسم ذكرهم به والإعبر بقوله قومه وقدر للفسر (٧٦) أرسلنا إشارة إلى أن أخاهم معطوف على نوحا والعامل فيه أرسلنا للتقيد

وَأَنصَحُ) أريد الخير (لَكُمْ وَأَعْلَمُ مِنْ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ . أ) كذبتم (وَعَجِبْتُمْ أَنْ جَاءَكُمْ ذِكْرٌ) موعظة (مِنْ رَبِّكُمْ عَلَى) لسان (رَجُلٍ مِنْكُمْ لِيُنذِرَكُمْ) العذاب إن لم تؤمنوا (وَلِتَقْتُولُوا) الله (وَلَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ) بها (فَكَذَّبُوهُ فَأَنجَيْنَاهُ وَالَّذِينَ مَعَهُ) من الفرق (فِي الْفُلْكِ) السفينة (وَأَغْرَقْنَا الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا) بالطوفان (إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا عَمِينَ) عن الحق (وَ) أرسلنا (إِلَى عَادٍ) الأولى (أَخَاهُمْ هُودًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ) وحدوه (مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ أَفَلَا تَتَّقُونَ) تخافونه فتؤمنون (قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ إِنَّا لَنَرَاكَ فِي سَفَاهَةٍ) جهالة (وَإِنَّا لَنَظُنُّكَ مِنَ الْكَاذِبِينَ) فى رسالتك (قَالَ يَا قَوْمِ لَيْسَ بِي سَفَاهَةٌ وَلَكِنِّي رَسُولٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ . أَتْلِفُكُمْ رَسُولَاتِ رَبِّي وَأَنَا لَكُمْ نَاصِحٌ أَمِينٌ)

والجار والمجرور معطوف على قوله إلى قومه فتكون الواو عاطفة عطف قصة على قصة وهكذا يقال فى باقى النصص (قوله الأولى) يحترز به عن عاد الثانية فانها قوم صالح (قوله أخاهم هودا) مى أخاهم لأنه من جنسهم واجتمع معهم فى جدلان عاد بن عوص ابن إرم بن سام بن نوح

مأمون

فسميت القبيلة باسم جدهم وهود بن عبد الله بن رباح بن الحلو بن عاد بن عوص

ابن إرم بن سام بن نوح ، وقيل هو ابن شالخ بن إرفخشذ بن سام بن نوح ، فعلى الأول قد اجتمع معهم فى عاد ، وعلى الثانى لا وإنما اجتمع معهم فى سام ، وكان بين هود ونوح ثمانمائة سنة وبين القبيلتين مائة سنة وعاش أربعمائة وأربعا وستين سنة ، وعاد يجوز صرفه باعتبار كونه اسما للحي ومنعه باعتبار كونه اسما للقبيلة وهذا من حيث العربية وأما فى القرآن فلم يقرأ بمنع الصرف (قوله قال يا قوم) آتى فى قصة نوح بالفاء لأنه كان مسارعا فى دعوتهم إلى الله غير متوان كما حكي فى سورة نوح قال تعالى - قال رب انى دعوت قومى ليلا ونهارا - بخلاف هود (قوله مالكم من إله غيره) أى لأنه الخالق للعالم المتصرف فيه (قوله أفلا تتقون) الهمة داخلة على محذوف والفاء عاطفة على ذلك المحذوف والتقدير أنكم التفكر فى مصنوعات الله فلا تتقون (قوله الذين كفروا) صفة للآل كاشنة لأن هذه المقالة لاتقع من مؤمن ولذا تركت من قصة نوح لعلمها بما هنا (قوله إنا لنراك) رأى هنا علمية ففعلوها الأول الكاف والثانى متعلق الجار والمجرور (قوله فى سفاهة) الحكمة فى تعبير قوم هود بالسفاهة وقوم نوح بالضلال أن نوحا لما خوف قومه بالطوفان وجعل يصنع الفلك نسبوه للضلال حيث أتعب نفسه فى عمل سفينة فى أرض لاهما بها ولاطين ، وهود لما نهاهم عن عبادة الأصنام التى صموها صمودا وصمدا وهبا ونسب من يعبدونها للسفه خاطبوه بمثل ما خاطبهم به (قوله ولكنى رسول) تقدم أن مثل هذا الاستدراك وقع أحسن موقع لكونه وقع بين ضدين (قوله أبلغكم) بالتخفيف والتشديد قراءتان سبعيتان (قوله وأنا لكم ناصح) الحكمة فى تعبير هود بالجملة الاسمية ونوح بالجملة الفعلية أن هودا كان نصوحا مع التراخي

ومعلوم أنه يدل عليه بالجملة الاسمية ونوح كان مكررا للنصح وذلك يدل عليه بالجملة الفعلية لأن الفعل للتجدد (قوله مأمون على الرسالة) أي فلا أزيد ولا أنقص (قوله أوعجبتم) الهمة داخلة على محذوف تقديره أ كذبتموني وعجبتم (قوله ذكر) أي موعظة تخوفكم من عذاب الله (قوله إذ جعلكم خلفاء) إذ ظرف معمول لاذ كروا أي اذكروا وقت جعلكم وللصود ذكر النعمة لا ذكر وقتها (قوله بسطة) بالسين والصاد قراءتان سبعيتان ومعناها واحد (قوله قوة وطولا) أي ومالا (قوله مائة ذراع الخ) الذي قاله الهلي في سورة الفجر إن طولهم كان أربعمائة ذراع بذراع نفسه ، وفي رواية خمسمائة ذراع وقصيرهم ثلثمائة ذراع ، وكان رأس الواحد منهم قدر القبة العظيمة وكانت عينه بعد موته تفرخ فيها الضباع (قوله آلاء الله) جمع إلى بكسر الهمزة وضمها كحمل وقفل أو بكسر ففتح كضلع أو بفتحين كقفا (قوله تفوزون) أي برضا الله وزيادة النعم لأن شكر النعم مما يزيدها (قوله قالوا أجنثنا) أي جوابا لنصحه لهم (قوله وجب) أي حق ونبت والتعصير بالماضى إشارة إلى أنه واقع لاحالة (قوله وغضب) عطف سبب على مسبب (قوله في أسماء) أي مسميات (قوله أصناما) قدره إشارة إلى مفعول سميتموها الثاني (٧٧) (قوله فأرسلت عليهم الريح العقيم)

وكانت باردة ذات صوت شديد لامطر فيها وكان وقت مجيئها في عجز الشتاء وابتدأتهم صبيحة الأربعاء لثمان بقين من شوال وسخرت عليهم سبع ليال وثمانية أيام فأهلكتهم ورجلهم ونساءهم وأولادهم وأمواهم بأن رفعت ذلك في الجوف فرزقه وفي رواية بعث الله عز وجل الريح العقيم فلما دنت منهم نظروا إلى الأبل والرجال تطير بهم الريح بين السماء والأرض فلما رأوها بادروا إلى البيوت فدخلوها

مأمون على الرسالة (أَوْ عَجِبْتُمْ أَنْ جَاءَكُمْ ذِكْرٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَلَى لِسَانِ رَجُلٍ مِنْكُمْ لِيُنذِرَكُمْ وَأَذْكُرُوا إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاءَ فِي الْأَرْضِ مِنْ بَعْدِ قَوْمِ نُوحٍ وَزَادَكُمْ فِي الْخَلْقِ بَضْعَةً قُوَّةً وَطُولًا وَكَانَ طُولُهُمْ مِائَةَ ذِرَاعٍ وَاقْصِرْهُمْ سِتِينَ (فَإِذْ كُرُوا آلَاءَ اللَّهِ) نعمه (لَعَلَّكُمْ تَفْلَحُونَ) تفوزون (قَالُوا أَجِئْنَا لِنُعْبِدَ اللَّهَ وَخُذَهُ وَنَذَرَ) نترك (مَا كَانَ يَعْبُدُ آبَاؤُنَا فَأَتَيْنَا بِمَا نَعْبُدُنَا) به من العذاب (إِنْ كُنْتُمْ مِنَ الصَّادِقِينَ) في قولك (قَالَ قَدْ وَقَعَ) وجب (عَلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ رِجْسٌ) عذاب (وَعَصَبُ أُنْجَادٍ لُوْنِي فِي أَهْلِهِ سَمِيْتُمْوهَا) أي سميتم بها (أَنْتُمْ وَأَبَاؤُكُمْ) أصناما تعبدونها (مَا تَزَلُ اللَّهُ بِهَا) أي بعبادتها (مِنْ سُلْطَانٍ) حجة وبرهان (فَانْتَظِرُوا) العذاب (إِنِّي مَعَكُمْ مِنَ الْمُنْتَظِرِينَ) ذلك بتكذيبكم لي فأرسلت عليهم الريح العقيم (فَأَنجَيْنَاهُ) أي هوداً (وَالَّذِينَ مَعَهُ) من المؤمنين (رِيحَةً مِّنَّا تَطْغَنُ دَارَ الْقَوْمِ) الذين كذبوا بآياتنا أي استأصلناهم (وَمَا كَانُوا مُؤْمِنِينَ) عطف على كذبوا (وَ) أرسلنا (إِلَى ثَمُودَ) بترك الصرف مراداً به القبيلة (أَخَاهُمْ صَالِحًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ قَدْ جَاءَكُمْ بَيِّنَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ) على صدق (هَذِهِ نَاقَةُ اللَّهِ لَكُمْ آيَةٌ) حال عاملها معنى الإشارة وكانوا سألوه أن يخرجها لهم

وأغلقوا الأبواب فجاءت الريح فقالت أبوابهم ودخلت عليهم فأهلكتهم فيها ثم أخرجتهم من البيوت فلما أهلكتهم أرسل الله عليهم طيرا أسود فنقلتهم إلى البحر فألقاهم فيه وقيل إن الله تعالى أمر الريح فأهلكهم الرمال فكانوا تحت الرمال سبع ليال وثمانية أيام يسمع لهم أنين تحت الرمل ثم أمر الريح فكشفت عنهم الرمل ثم احتملتهم فمرت بهم في البحر (قوله والذين معه) أي وكانوا شرذمة قليلة يكتمون لإيمانهم وسبب نجاتهم أنهم دخلوا في حظيرة فصار يدخل عليهم من الريح ما يلتذون به ثم بعد ذلك أتوا مكة مع هود فعبدوا الله فيها حتى ماتوا (قوله أي استأصلناهم) أي لم يبق منهم أحدا (قوله عطف على كذبوا) أي وفائدته وإن علم أنه الإشارة إلى أن الله علم عدم إيمانهم وأنهم لو بقوا ما آمنوا أي فلا تخزن عليهم أيها السامع (قوله وإلى ثمود) تقدم أنه معطوف على قوله لقد أرسلنا نوحا عطف قصة على قصة وعود قبيلة حموا باسم جدتهم ثمود بن عاد بن عابر بن سام بن نوح (قوله بترك الصرف) أي للعلمية والتأنيث وو أريد به إلى لصف (قوله أخاهم) أي في النسب لأنه ابن عبيد بن آسف بن ماسح بن عبيد بن حاذر بن ثمود الملقب بـهوك كان بين صالح وهود مائة سنة وعاش صالح مائتين وثمانين سنة (قوله صالحا) بدل من أخاهم أو عطف بيان عليه (قوله ما لكم من إله غيره) علة لقوله اعبدوا الله وقوله قد جاءكم علة لمحدوف والتقدير امتثلوا ما أمرتكم به لأنه قد جاءكم بينة على صدق (قوله هذه ناقة الله لكم آية) كلام مستأنف بيان للعجزة والاضافة للتشريف واسم الإشارة مبتدأ وناقة الله خبر ومضاف إليه ولكم جار ومجرور متعلق بمحدوف

حال من آية لأنه نعت نكرة تقدم عليها أو خبر ثان وآية حال والعامل فيها محذوف تقديره أشير وقد أشار له المفسر بقوله حال عاملها معنى الإشارة وهذا القول وقع من صالح بعد نصحه كما قال تعالى في سورة هود : هو أنشأكم من الأرض واستعركم فيها الآيات (قوله من صخرة عينوها) وكان يقال لها الكائبة وكانت منفردة في ناحية الجبل فقالوا أخرج لنا من هذه الصخرة ناقة تكون على شكل البخت وتكون عشراء جوفاء وبراء أى ذات جوف واسع ووبر وصوف ، فدعا الله فتمخضت الصخرة تمخض التوتج بولدها فأنصدعت عن ناقة عشراء جوفاء وبراء كما وصفوا لا يعلم ما بين جنبيها إلا الله تعالى فعند خروجها ولدت ولدا مثلاً في العظم فكشت الناقة مع ولدها ترحى وتشرب إلى أن عقروها (قوله فذروها) مرتب على كونها آية من آيات الله (قوله تأكل في أرض الله) أى وتشرب (قوله فيأخذكم) بالنصب في جواب النهى والتعقيب ظاهر لأنهم لم يلبثوا إلا ثلاثة أيام رأوا فيها أمارات العذاب كما يأتى في سورة هود (قوله عذاب أليم) أى مؤلم (قوله واذكروا إذ جعلكم خلفاء) تذكير لهم بنعم الله التي أنعمها عليهم (قوله في الأرض) قدره المفسر إشارة إلى أن في الآية الحذف من الأول لدلالة الثاني عليه (قوله وبوأكم في الأرض) أى أرض الحجر بكسر الحاء مكان بين الحجاز والشام (قوله تتخذون) أى تعملون وتصنعون واتخذ يصح أن يكون متعلّياً لواحد فمن سهولها متعلق باتخذ أول اثنين فمن سهولها متعلق بمحذوف مفعول ثان (قوله من سهولها) جمع سهل وهو المكان المتسع الذى لا جبل به ومن بمعنى فى أى تصنعون فى الأرض السهلة القصور ويصح أن تكون من الابتداء أى تتخذون من السهول أى الأراضى (٧٨) اللينة القصور أى طوبها وطينها والأقرب الأول ، وسميت القصور

بذلك لقصر أيدي الفقراء عن تحصيلها (قوله وتنحتون الجبال بيوتا) يصح أن يكون المعنى على إسقاط الحافض أى من الجبال وبيوتا مفعول تنحتون ، ويصح أن يكون الجبال مفعولاً به وبيوتا حل مقترنة كما قال المفسر لأن الجبال لا تصير بيوتا إلا بعد نحتها

من صخرة عينوها (فَذَرُوهَا تَأْكُلُ فِي أَرْضِ اللَّهِ وَلَا تَمْسُوهَا بِسُوءٍ) بقر أو غيره (فَيَأْخُذْكُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ . وَاذْكُرُوا إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاءَ) فِي الْأَرْضِ (مِنْ بَعْدِ عَادٍ وَبَوَّأَكُمْ) أَسْكَنْكُمْ (فِي الْأَرْضِ تَتَّخِذُونَ مِنْ سُهُولِهَا قُصُورًا) تَسْكُنُونَهَا فِي الصَّيْفِ (وَتَنْحِتُونَ الْجِبَالَ بُيُوتًا) تَسْكُنُونَهَا فِي الشِّتَاءِ وَنَصَبَهُ عَلَى الْحَالِ الْمَقْدَرَةِ (فَازْكُرُوا آلَاءَ اللَّهِ وَلَا تَمْنُوا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ . قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا مِنْ قَوْمِهِ) تَكْبَرُوا عَنِ الْإِيمَانِ بِهِ (لَلَّذِينَ اسْتَضَعُوا مِنْكُمْ) أَمِنْ مِنْهُمْ (أَيُّ مَنْ قَوْمُهُ بَدَلٌ مِمَّا قَبْلَهُ بِإِعَادَةِ الْجَارِ) (أَتَعْلَمُونَ أَنَّ صَالِحًا مُرْسَلٌ مِنْ رَبِّهِ) إِلَيْكُمْ (قَالُوا) نَعَمْ (إِنَّا بِمَا أُرْسِلَ بِهِ مُؤْمِنُونَ . قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا بِالَّذِي آمَنْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ) وَكَانَتِ النَّاقَةُ لَهَا يَوْمٌ فِي الْمَاءِ وَلَهُمْ يَوْمٌ فَلَوْ ذَلِكَ (فَعَقَرُوا النَّاقَةَ) ،

وهو وإن كان جامداً إلا أنه مؤول بالمشتق أى مساكن (قوله مفسدين) حال مؤكدة لعاملها لأن العدو عقرها هو الفساد (قوله تكبروا) أشار بذلك إلى أن السين زائدة (قوله عن الإيمان به) أى بصالح (قوله بدل مما قبله بإعادة الجار) أى بدل كل من كل إن كان الضمير في منهم عائداً على القوم ويكون جميع المستضعفين آمنوا ، وبدل بعض من كل إن كان الضمير عائداً على المستضعفين ويكون بعض المستضعفين آمنوا والله أعلم بحقيقة الحال (قوله أتعلمون) مفعول قول المستكبرين (قوله قالوا نعم) قدره المفسر إشارة إلى أن هذا حق الجواب وإعما عدلوا عنه مسارعة إلى تحقيق الحق وإظهار إيمانهم وتنبهها على أن رسالته واضحة لا تخفى فلا ينبغي السؤال عنها فهذا الجواب تبكيت لهم (قوله قال الذين استكبروا) إظهار في محل الإضمار تبكيتاً لهم (قوله إنا بالذي آمنتم) لم يقولوا إنا بما أرسل به إظهاراً لمخالفتهم بإيامهم وتعتنا وعناداً (قوله وكانت الناقة لها يوم في الماء) أى فإذا كان يومها وضعت رأسها في البئر فما ترفعه حتى تشرب جميع ما فيها ثم تنبجج فيحلبون ماشاءوا حتى يملؤا أو أنهم يمشربون ويتخرون (قوله فعقروا الناقة) أى في يوم الأربعاء فقال لهم صالح تصبحون غدا وجوهكم مصفرة ثم تصبحون في يوم الجمعة وجوهكم محمرة ثم تصبحون يوم السبت وجوهكم مسودة ، فأصبحوا يوم الخميس قد اصفرت وجوههم فأيقنوا بالعذاب ثم احمرت في يوم الجمعة فازداد خوفهم ثم اسودت يوم السبت فتجهزوا للهلاك ، فأصبحوا يوم الأحد وقت الضحى فكفنوا أنفسهم وتحنطوا كما يفعل بالميت وألقوا بأنفسهم إلى الأرض فلما اشتد الضحى أتهم صيحة عيظمة من السماء فبها صوت كل صاعقة وصوت في ذلك الوقت كل شيء له صوت مما في الأرض ثم تزلزلت بهم الأرض حتى هلكوا جميعاً . وأما ولد الناقة فقيل إنه فرهاراً بافتتحت له الصخرة التي خرجت منها أمه

فدخلها وانطبقت عليه قال بعض المفسرين . إنه هذابة التي تخرج قرب يوم القيامة ، وقيل إنهم أدركوه وذبحوه (قوله عقرها
 قدار) أى ابن سالف وكان رجلا أحمر أزرق العينين قصيرا وكان ابن زانية ولم يكن لسالف وهو أشقى الأولين كما ورد في الحديث
 (قوله بأن قتلها بالسيف) أى فالمراد بالعقر النحر ففيه إطلاق السبب على السبب لأن العقر ضرب قوائم البعير أو الناقة لتقع فتنحر
 (قوله وقالوا يا صالح) أى على صيبل التهنيم والاستهزاء (قوله بما عدنا به) قدره إشارة إلى أن العائد محذوف وكان الأولى أن يقدر
 ضمير نصب بأن يقول تعدناه لئلا يلزم حذف العائد المجرور بالحرف من غير اتحاد متعلقهما (قوله فاخذتهم الرجفة) أى بعد مضى
 ثلاثة أيام والتعقيب ظاهر لأن الثلاثة أيام مقدمات الهلاك (قوله والصيحة من السماء) أشار بذلك إلى أن في الآية اكتفاء لأن
 عذابهم كان بهما معا (قوله في دارهم) أى أرضهم فالمراد بها الجنس (قوله فتولى عنهم) أى بعد أن هلكوا وماتوا توخيها كما
 خاطب النبي صلى الله عليه وسلم الكفار من قتلى بمرحى أقوا في القلب فقال عمر يا رسول الله كيف تكلم أقواما قد جيفوا فقال
 صلى الله عليه وسلم ما أنت بأسمع لما أقول منهم ولكن لا يجيبون ، وقيل خاطبهم قبل موتهم وقت ظهور العلامات فيهم وعليه
 يكون في الآية تقديم وتأخير تقديره فتولى عنهم وقال يا قوم لقد أبلغتكم رسالة ربى ونصحت لكم ولكن لا تحبون الناصحين فأخذتهم
 الرجفة فأصبحوا في دارهم جاثمين (قوله واذكر) خطاب لسيدنا محمد صلى الله عليه وسلم وقدره ولم يقدر أرسلنا مع أنه يكون
 موافقا لما قبله وما بعده لأنه يوم أن وقت الإرسال قال لقومه ما ذكر مع أنه ليس كذلك بل أمرهم أولا بالتوحيد ثم بين لهم فروع
 شريعته . ولوط بن هاران أخى إبراهيم الخليل عليهما السلام وكان إبراهيم ولوط (٧٩) بابل بالعراق فهاجرا إلى

الشام فنزل إبراهيم بأرض
 فلسطين ونزل لوط
 بالأردن وهى قرية بالشام
 فأرسله الله إلى أهل سدوم
 بالعدل المعجزة على وزن
 رسول وهى بله بحمص
 (قوله أناتون الفاحشة)
 استفهام توبيخ وتقريع
 لأنها من أعظم التواحيش
 ولذا كان حذوا عند
 أنى خيفة الرى من

عقرها قدار بأمرهم بأن قتلها بالسيف (وَعَتَوْا عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ وَقَالُوا يَا صَالِحُ أَنتِنَا إِنَّمَا تَعِدُّنَا)
 به من العذاب على قتلها (إِنْ كُنْتُمْ مِنَ الْمُرْسَلِينَ . فَأَخَذْتُهُمُ الرِّجْفَةَ) الزلزلة الشديدة من
 الأرض والصيحة من السماء (فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ جَاثِمِينَ) باركين على الركب ميتين (فَتَوَلَّى)
 أَعْرَضَ صَالِحٌ عَنْهُمْ وَقَالَ يَا قَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رَسُولَ رَبِّى وَنَصَحْتُ لَكُمْ وَلَكِنْ لَا تُحِبُّونَ
 النَّاصِحِينَ (وَ) اذكر (لُوطًا) ويبدل منه (إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ) أى أدبار الرجال (مَا سَبَقَكُمْ
 بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِنَ الْعَالَمِينَ) الإنس والجن (أَنْتُمْ كُمْ) بتحقيق المزمزين وتسهيل الثانية وإدخال
 الألف بينهما على الوجهين (لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ شَهْوَةً مِنْ دُونِ النِّسَاءِ) بل أنتم قوم مسرفون
 متجاوزون الحلال إلى الحرام (وَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا أَخْرِجُوهُمْ) أى لوطا وأنباعه

شاهق جبل وعند مالك الرجم مطلقا فاعلا أو مفعولا أحصنا أو لم يحصنا (قوله ما سبقكم الخ) تأكيد للانكار عليهم لأن مباشرة
 التبيح قبيحة واختراعه أقبح (قوله الانس والجن) أى وجميع البهائم بل هذه الفعل لم توجد في أمة إلا في قوم لوط وفساق هذه الأمة
 الحمدية وكان قوم لوط يتباهون بالضراط في المجالس أيضا كما قال تعالى : وتأتون في ناديتكم المنكر وهو فاحشة عظيمة أيضا (قوله
 بتحقيق المزمزين) حاصل ما أفاده المفسر أن القراءات أربع بتحقيق المزمزين وتسهيل الثانية من غير إدخال ألف بين المزمزين
 أو بإدخالها ولكن الحق أن إدخال الألف بين المزمزين الحقيقة غير سبعة وإنما هى لهشام وبقى قراءة سبعة أيضا وهى
 بهمة واحدة على الخبر نستأف بيان تلك الفاحشة وهى لتافع وحفص عن عاصم فتحصل أن القراءات خمس أربع سبعة
 وواحدة غير سبعة (قوله شهوة) أى لأجل الشهوة (قوله من دون النساء) إما حال من الرجال أو من الواو فى تأتون وحكمة
 التوبيخ على هذا الفعل القبيح أن الله تعالى خلق الإنسان وركب فيه شهوة النكاح لبقاء النسل وعمران الدنيا وجعل النساء محلا
 للشهوة والنسل فإذا تركهن الإنسان فقد عدل عما أحل له وتجاوز الحد لوضعه الذى فى غير محله لأن الأدبار ليست محلا للولادة التى
 هى المقصودة بالذات (قوله وما كان جواب قومه) القراء على نصب جواب خبرا لكان واسمها أن وما دخلت عليه وقرأ الحسين
 بالرفع اسم كان وأن وما دخلت عليه خبرها وما مضى عليه الجماعة أفصح عربية لأن الأعراف وقع اسمها والواو هنا للتعقيب لحلولها
 محل الفاء فى النمل والعنكبوت لأن جوابهم لم يتأخر عن نصيحتهم والحصر نسي والمراد أنه لم يقع منهم جواب عن نصيح وموعظة
 فلا ينافى أنهم زادوا فى الجواب من الكلام القبيح .

(قوله من قرئتم) أى سذوم (قوله إنهم أناس يتطهرون) قالوا ذلك استهزاء (قوله فأنجينا وأهلكنا) أى ابتليه لأنه لم ينج من العذاب إلا هو وابتلاه لإيمانهم به فخرج لوط من أرضه وطوى الله له الأرض في وقته حتى نجا ووصل إلى إبراهيم ، وسيأتى تمام القصة في سورة هود وإنما ذكرت هنا اختصاراً (قوله الباقيين في العذاب) أى لأن النجور من باب قعد يستعمل بمعنى البقاء في الزمان المستقبل وبمعنى الكثرة في الزمان للماضي والراد الأول (قوله وأمطرنا) يقال غالباً في الرحمة مطر وفي العذاب أمطر وعلى كل هو متعدّ ينصب المفعول (قوله هو حجارة السجيل) أى وكانت معجونة بالكبريت والنار وهاكوا أيضاً بالحسف . قال تعالى - فلما جاء أمرنا جعلنا عاليها سافلها - ورد أن جبريل رفع مدائنهم إلى السماء وكانت خمسة وأسقطها مقاربة إلى الأرض وأمطر عليهم الحجارة متتابعة في النزول عليها اسم كل من يرمى بها ، وقيل إن الحجارة لمن كان مسافراً منهم والحسف لمن كان في المدائن (قوله فانظر) الخطاب لكل سامع يتأتى منه النظر والتأمل ليحصل الاعتبار بما وقع لهؤلاء القوم (قوله وإلى مدين) معطوف على قوله لقد أرسلنا نوحاً عطف قصة على قصة ، ولذا قرئ للفسر أرسلنا ومدين اسم قبيلة شعيب واسم لقريته أيضاً بينها وبين مصر ثمانية مراحل سميت باسم أبيهم مدين بن إبراهيم الخليل عليه السلام وشعيب بن ميكائيل بن يشجر بن مدين بن إبراهيم الخليل فشعيب أخوهم (٨٠) في النسب وليس من أنبياء بني إسرائيل ، وقوله شعيباً بدل من أخاهم أو عطف

(مِنْ قَرَيْتِكُمْ إِنْهُمْ أَنْاسٌ يَتَطَهَّرُونَ) من أدبار الرجال (فَأَنْجَيْنَاهُ وَأَهْلَهُ إِلَّا امْرَأَتَهُ كَانَتْ مِنَ الْغَايِينَ) الباقيين في العذاب (وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ مَطَرًا) هو حجارة السجيل فأهلكهم (فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُجْرِمِينَ . وَ) أرسلنا (إِلَى مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ قَدْ جَاءَتْكُمْ بَيِّنَةٌ) معجزة (مِنْ رَبِّكُمْ) على صدق (فَأَوْفُوا) أنموا (الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ وَلَا تَبْخَسُوا) تنقصوا (النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ) بالكفر والمعاصي (بَعْدَ إِصْلَاحٍ) يمث الرسل (ذَلِكَمُ) المذكور (خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ) مريدى الإيمان فبادروا إليه (وَلَا تَقْعُدُوا بِكُلِّ صِرَاطٍ طَرِيقٍ) (تَوَعَّدُونَ) تخوفون الناس بأخذ ثيابهم أو المكس منهم (وَتَصُدُّونَ) تصرفون (عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ) دينه (مَنْ آمَنَ بِهِ) بتوعدكم إياه بالقتل (وَتَبْغُونَهَا) تطلبون الطريق (عِوَجًا) معوجة (وَأَذْكُرُوا إِذْ كُنْتُمْ قَلِيلًا فَكَثَرَكُمْ) وأنظروا كيف كان عاقبة المفسدين (قبلكم بتكذيبهم رسلهم أى آخر أمرهم من الهلاك (وَإِنْ كَانَ طَائِفَةٌ مِنْكُمْ آمَنُوا بِالَّذِي أُرْسِلْتُ بِهِ

بيان عليه وأرسل شعيب أيضاً إلى أصحاب الأيكة وهي شجر ملتف بعضه ببعض بالقرب من مدين . قال تعالى - كذب أصحاب الأيكة المرسلين - (قوله معجزة) لم تذكر تلك المعجزة في القرآن ، وقيل المراد بها نفسه بمعنى أن أوصافه لا يمكن معارضتها وقيل المراد بها قوله - فأوفوا الكيل والميزان - الخ بمعنى ما يترتب عليها من العزّ للطبع والقد

والعقاب للخالق (قوله فأوفوا الكيل والميزان) أى وكانت عادتهم تقص الكيل والميزان وطائفة (قوله ولا تبخسوا الناس أشياءهم) هذا لازم لقوله فأوفوا الكيل والميزان لأن الشخص إذا لم يوف الكيل والميزان لغيره فقد نقصه من الثمن وكذلك إذا استوفى الكيل والميزان لنفسه فقد نقص الغير من الثمن (قوله بعد إصلاحها) ورد أنه قيل بث شعيب لهم كانوا يفعلون المعاصي ويستحلون المحارم ويسفكون الدماء فلما بعث شعيب أصلى الله به الأرض وهكذا كل نبي بعث إلى قومه (قوله مريدى الإيمان) جواب عما يقال إنهم لم يكونوا مؤمنين إذ ذاك (قوله فبادروا إليه) جواب الشرط وما قبله دليل الجواب (قوله بكل صراط) أى محسوس بدليل ما بعده (قوله تخوفون الناس) قدره إشارة إلى أن مفعول توعدون محذوف (قوله بأخذ ثيابهم) ورد أنهم كانوا يجلسون على الطريق ويقولون لمن يريد شعيباً إنه كذاب أرجع لا يفتنك عن دينك فإن آمنت به قتلناك (قوله من آمن) هذا مفعول تصدون (قوله تطلبون الطريق) أى المبرع عنه بالسبيل وهو الطريق المعنوى الذى هو الدين ، والمعنى تعدلوا عن الصراط المستقيم إلى الاعوجاج (قوله واذكروا إذ كنتم) إذ ظرف معمول لقوله اذكروا : أى اذكروا وقت كونكم قليلاً الخ ، والمراد اذكروا تلك النعمة العظيمة (قوله قليلاً) أى في العدة والعدد والضعف ، وقوله فكثركم : أى فزاد عددكم وقوتكم فكانوا أغنياء أقوياء ذوى عدد كثير بوجود شعيب بينهم ، ولذا لما فرّ موسى هارباً من فرعون نزل عند شعيب فطمئنه وأمن روجه . قال تعالى حكاية عن شعيب - قال لا تخف نجوت من القوم الظالمين - (قوا عاقبة المفسدين)

أى وأقربهم إليكم قوم لوط فانظروا ما نزل بهم (قوله وطائفة لم يؤمنوا) في الكلام الحذف من الثانى لدلالة الأول عليه ، والتقدير وطائفة منكم لم يؤمنوا بالذى أرسلت به (قوله فاصبروا) يجوز أن يكون الضمير للمؤمنين من قومه وأن يكون للكافرين منهم وأن يكون للفريقين وهذا هو الظاهر فأمر المؤمنين بالصبر ليحصل لهم الظفر والغلبة والكافرين بالصبر لسوء عاقبة أمرهم وهو نظير قوله تعالى - فاصبروا إنا معكم مترصون - (قوله وبينكم) لاجابة له لأن الضمير عائد على شعيب وعليهم ، والمعنى حتى يقضى الله بين الفريقين للمؤمنين والكفار (قوله وهو خير الحاكمين) التعبير باسم التفضيل باعتبار أنه الحاكم حقيقة وغيره حاكم مجازا ومن كان له الحكم بالأصالة والحقيقة خير من كان له الحكم مجازا (قوله قال للملأ) أى جوابا لما قاله لهم (قوله يا شعيب) إنما وسطوا اسمه بين المعطوف والمعطوف عليه زيادة في القباحة والشناعة منهم (قوله وغلبوا في الخطاب الجمع على الواحد الخ) جواب عما يقال إن شعيبا لم يسبق له الدخول في ملتهم وإنما حمل المفسر على هذا الجواب تفسيره العود بالرجوع ، وقال بعضهم: إن عادتناى بمعنى صار على هذا فلا إشكال ولا جواب (قوله وعلى نحوه) أى التغليب (قوله أنعود (٨١) فيها) أشار بذلك إلى أن

الهمزة داخلية على محذوف والواو عاطفة على ذلك المحذوف (قوله أولو كنا كارهين) الهمزة لانكار الوقوع وكلة لوفى مثل هذا المقام ليست لبيان تنفاء الشئ في الزمن الماضى لاتفاء غيره فيه بل هي لحرر الربط والمبالغة في الاتهام العود ، والمعنى لا يطمعوا في عودنا محتارين ولا مكروهين يتأمل (قوله إن عدا في بحكم) شرط حذف جوابه لدلالة قوله قد نفينا عليه (قوله وما يكون لنا) أى لاصح ولا يطق لنا أن نعود فيها في حال من الأحوال إلا

وَطَائِفَةٌ لَمْ يُؤْمِنُوا) به (فَاصْبِرُوا) انتظروا (حَتَّى يَحْكُمَ اللَّهُ بَيْنَنَا) وبينكم بإنجاء الحق وإهلاك المبطل (وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ) أعد لهم (قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا مِنْ قَوْمِهِ) عن الإيمان (لَنُخْرِجَنَّكَ يَا شُعَيْبُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَكَ مِنْ قَرْيَتِنَا أَوْ لَنَعُودَنَّ) ترجعن (فِي مِلَّتِنَا) ديننا وغلبوا في الخطاب الجمع على الواحد لأن شعيبا لم يكن في ملتهم قط وعلى نحوه أجاب (قَالَ أ) نعود فيها (وَلَوْ كُنَّا كَارِهِينَ) لها ، استفهام إنكار (قَدْ أَفْتَرَيْنَا عَلَى اللَّهِ كَذِبًا إِنْ عُدْنَا فِي مِلَّتِكُمْ بَعْدَ إِذْ نَجَّيْنَا اللَّهُ مِنْهَا وَمَا يَكُونُ) ينبغى (لَنَا أَنْ نَعُودَ فِيهَا إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّنَا) ذلك فيخذلنا (وَسِعَ رَبُّنَا كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا) أى وسع علمه كل شئ ومنه حالى وحالكم (عَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْنَا رَبَّنَا افْتَحْ) احكم (بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِالْحَقِّ وَأَنْتَ خَيْرُ الْفَاتِحِينَ) الحاكمين (وَقَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ) أى قال بعضهم لبعض (لَسَنَ) لام قسم (أَتُبْنِمُ شُعَيْبًا إِنْ كُنْمْ إِذَا تَخَاسَرُونَ. فَأَخَذْتَهُمُ الرِّجْفَةُ) الزلزلة الشديدة (فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ جَانِحِينَ) باركين على الركب مبتتين (الَّذِينَ كَذَّبُوا شُعَيْبًا) مبتدأ خبره (كَأَنَّ) مخففة واسمها محذوف أى كأنهم (لَمْ يَفْنَوْا) يقيموا (فيها) في ديارهم (الَّذِينَ كَذَّبُوا شُعَيْبًا) كانوا هم المخاسرين (التأكيد إعادة الموصول وغيره لرد عليهم في قولهم السابق (فتولى) أعرض عنهم ،

في حال مشيئة الله لنا (قوله إلا أن يشاء الله ربنا) يصح ان يكون متصلا والمستثنى منه عموم الاحوال او منقطعا وهذا الاستثناء محض رجوع إلى الله ونفويض الأمر إليه وقد جازاهم الله بأن كفاهم شر أعدائهم وأخذهم عزيز مقتدر (قوله أى وسع علمه) أشار بذلك إلى أن علما تميز محوّل عن الفاعل (قوله وبين قومنا) أى الكفار وإنما أعرض عن مكالتهم ورجع لله متضرعا لما ظهر له من شدة عنادهم وتعتنتهم في كفرهم (قوله وقال الملأ الذين كفروا الخ) إنما قال بعضهم لبعض هذه المقالة خوفا على بعضهم من الميل لشعيب حيث توعدوه بما تقدم فلم يبال بهم (قوله إنكم إذا تخاسرتم) أى في الدنيا بفوات ما يحصل لكم بالبخل والتطفيف ، وجملة إنكم إذا تخاسرتم جواب القسم وحذف جواب الشرط لدلالة جواب القسم عليه (قوله فأخذتهم الرجفة) ذكر هنا وفي العنكبوت الرجفة وذكر في سورة هود - وأخذ الذين ظلموا الصيحة - أى صيحة جبريل عليهم من السماء وجمع بينهما بأن الرجفة في المبدأ والصيحة في الأثناء فتأمل ، وأما أهل الأيكة فأهلكوا بالظلمة كاسياتى في سورة الشعراء (قوله كأن لم يغنوا فيها) أى كأنهم لم يلبسوا في ديارهم أصلا لأنهم استؤصلوا بالمرة (قوله وغيره) أى وهو ضمير الفصل [١١ - صاوى - ثانى]

(قوله وقال يا قوم) ما تقدم من كون القول بعد هلاكم أو قبله في قصة صالح يجرى هنا (قوله فكيف آسى) أصله آسى بهمزين قلبت الثانية ألفا (قوله وما أرسلنا في قرية من نبي) جملة مستأنفة قصد بها التعميم بعد ذكر بعض الأمم بالخصوص وإنما خص ما تقدم بالذكر لمزيد تعنتهم وكفرهم (قوله فكذبوه) قدره إشارة إلى أن الكلام فيه حذف لأن قوله إلا أخذنا أهلها لا يترتب على الإرسال وإنما يترتب على التكذيب (قوله لعلهم يضرعون) أصله يتضرعون قلبت التاء ضادا وأدغمت في الضاد وإنما قرئ بالفتح في الأنعام لأجل مناسبة الماضي في قوله تضرعوا بخلاف ما هنا فجاء به على الأصل (قوله ثم بدلنا) أى استدراجا لهم (قوله العذاب) أى الفقر والمرض (قوله الفنى والصحة) لفوضر مرتب (قوله كفرا للنعمة) أى وتكذيبا لأنبيائهم (قوله وهذه عادة الدهر) هذا من جملة مقولهم (قوله فكونوا على ما أتم عليه) هذا من جملة قول بعضهم لبعض (قوله فأخذناهم بئسنة) مرتب على قوله - وقالوا قد مس - (٨٢) نآءنا - الخ (قوله وهم لا يشعرون) أى لعدم تقدم أسبابه لهم وهذه الآية بمعنى آية

وَقَالَ يَا قَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَالَاتِ رَبِّي وَنَصَحْتُ لَكُمْ فَلَمْ تَوْنُوا (فَكَيْفَ آسَى) أَحْزَنَ (عَلَى قَوْمٍ كَافِرِينَ) استنهم بمعنى النفي (وَمَا أَرْسَلْنَا فِي قَرْيَةٍ مِنْ نَبِيٍّ) فكذبوه (إِلَّا أَخَذْنَا) عاقبنا (أَهْلَهَا بِالْبَاسَاءِ) عدة الفقر (وَالضَّرَاءِ) المرض (لَعَلَّهُمْ يَضُرُّعُونَ) يتذللون فيؤمنون (ثُمَّ بَدَّلْنَا) أعطيناكم (مَكَانَ السَّيِّئَةِ) العذاب (الْحَسَنَةَ) الفنى والصحة (حَتَّى عَفَوْا) كثروا (وَقَالُوا) كفرا للنعمة (قَدْ مَسَّ آبَاءَنَا الضَّرَاءُ وَالسَّرَاءُ) كما مسنا وهذه عادة الدهر وليست بعقوبة من الله فكونوا على ما أتم عليه قال تعالى (فَأَخَذْنَا هُمْ) بالعذاب (بَنَتَّةٍ) فجأة (وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ) بوقت مجيئه قبله (وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى) المكذبين (آمَنُوا) بالله ورسلم (وَاتَّقُوا) الكفر والمعاصي (لَفَتَحْنَا) بالتخفيف والتشديد (عَلَيْهِمْ بَرَكَاتٍ مِنَ السَّمَاءِ) بالمطر (وَالْأَرْضِ) بالنبات (وَلَكِنْ كَذَّبُوا) الرسل (فَأَخَذْنَا هُمْ) عاقبناهم (بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ) أَفَأَمِنْ أَهْلُ الْقُرَى) المكذبون (أَنْ يَأْتِيَهُمْ بَأْسُنَا) عذابنا (بَيَّاتًا) ليلا (وَهُمْ نَائِمُونَ) غافلون عنه (أَوَأَمِنْ أَهْلُ الْقُرَى أَنْ يَأْتِيَهُمْ بَأْسُنَا ضُحًى) نهارا (وَهُمْ يَلْعَبُونَ) أفأمنوا مكره الله (استدراجا) أيام بالنعمة وأخذهم بئسنة (فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْخَاسِرُونَ) أولم يهتد (يتبين) للذين يرتئون الأرض (بالسكى) (من بد) هلاك (أهلها أن) فاعل مخفية واسمها محذوف أى أنه (لَوْ نَشَاءُ أَصَبْنَا هُمْ) بالعذاب (بِذُنُوبِهِمْ) كما أصبنا من قبلهم والمهمزة في اللواضع الأربعة للتوبيخ والقاء والواو،

الأنعام . قال تعالى - فلما نسوا ما ذكروا به فتحنا عليهم أبواب كل شيء الآية - (قوله ولأن أهل القرى) جمع قرية وللراد جميع القرى المتقدم ذكرهم وغيرهم (قوله ورسلمهم) أى أهل القرى وفي نسخة ورسله : أى الله (قوله راتقوا) عطف على آمنوا عطف عام على خاص لأن التقوى امتثال للأمورات ومن جعلتها الإيمان (قوله بالتخفيف والتشديد) أى فهما قراءتان سبعيتان (قوله جمع بركة) وهي زيادة الخير في الشيء (قوله ولكن كذبوا) أى لم يؤمنوا ولم يتقوا (قوله بما كانوا يكسبون) أى

الداخلية

بسبب كسبهم من الكفر والمعاصي (قوله أفأمن) المهمزة مقدمة من تأخير

والقاء عاطفة على قوله - فأخذناهم بئسنة - وما بينهما اعتراض وهذه طريقة الجمهور ، وعند الزمخشري أن المهمة داخلية على محذوف وما بعدها معطوف على ذلك المحذوف ولكنه في هذا اللوح وافق الجمهور في كشافه (قوله بيئاتا) حال من بأسنا ، وجملة وهم نائمون حال من صبر يأتيهم (قوله وهم يلعبون) أى يشتغلون بما لا يعينهم (قوله مكر الله) المكر في الأصل الخديعة والحيلة وذلك مستحيل على الله حينئذ فللراد بالمكر أن يفعل بهم فعل الماكر بأن يستدرجهم بالنعم أولا ثم يأخذهم أخذ عزيز معتذر (قوله للذين يرتئون) أى وهم كل قوم جاءوا بعد هلاك من قبلهم كعدو وثمود وقوم لوط وأصحاب مدين والأمة الحميرية فإن كل فرقة من هؤلاء تبين لها الإصابة بذنوبهم بحيث شاء الله ذلك (قوله فاعل) أى الصدر للأخذ منها ومن جواب لوهو الفاعل والتقدير أولم يتبين إصابتنا بالعذاب لو شئنا الإصابة (قوله لو نشاء) أى إصابتهم لفعلنا إنشاء محذوف (قوله في اللواضع الأربعة) أى وأولها أفأمن أهل القرى وآخرها أولم يهد فائتان بالقاء والتثان بالواو .

(قوله الداخلة) أى لهمزة وقوله عليهما أى الفاء والواو (قوله فى الموضع الأول) أى من موسى الوار (قوله ونطبع) فسر المفسر نحن إشارة إلى أنه مستأنف منقطع عما قبله (قوله تلك القرى نقص) اسم الإشارة مبتدأ والقرى بدل أو عطف بيان ونقص خبره (قوله التى مرذكرها) أى وهى قوم نوح وعاد وثمود وقوم لوط وقوم شعيب (قوله من أنبيائها) أى بعض أخبارها وما وقع لها (قوله ليؤمنوا) اللام زائدة لتوكيد النفي (قوله عند مجيئهم) أى الرسل (قوله قبل مجيئهم) أى بالمعجزات بعد إرسالهم للخلق (قوله أى الناس) أشار بذلك إلى أن هذه الجملة غير مرتبطة بما قبلها ويصح أن الضمير عائذ على الأمم فيكون بينهما ارتباط (قوله وإن وجدنا) أى علمنا فأكثر مفعول أول وفاسقين مفعول ثان واللام فارقة والمراد ليظهر متعلق علمنا للخلق على حد : لنعلم أى الحزبين أحصى (قوله لفاسقين) أى خارجين عن طاعتنا بترك الوفاء بالهدى (قوله أى الرسل المذكورين) أى وهم نوح وهود وصالح ولوط وشعيب (قوله موسى) وعاش مائة وعشرين سنة وبينه وبين يوسف أربعين سنة وبين موسى وإبراهيم سبع مائة سنة (قوله التسع) أى وهى العسا واليد البيضاء والسنون الحديدة والظوفان والجراد والتمل والضفادع والدم والطمس وكلها مذكورة فى هذه السورة إلا الطمس (٨٣) فى سورة يونس قال تعالى

- ربنا اطمس على
مؤلهم - (قوله إلى
فرعون) هذا لقبة واسمه
الوليد بن مصعب بن الريان
فرعون فى الاصل علم
شخص ثم صار لقباً لكل
من ملك مصر فى الجاهلية
وعاش من العمر ستائة
وعشرين سنة ومدة
ملكه أربع مائة سنة لم ير
مكروها قط وكنيته
أبومرة وقيل أبو العباس
وهو فرعون الثانى
وفرعون الأول أخوه
واسمه قابوس بن مصعب
ملك العمالة وفرعون

الداخلة عليهما للعطف وفى قراءة بسكون الواو فى الموضع الأول عطفها بأو (وَ) نحن (نَطْبَعُ) نَحْمُ (عَلَى قُلُوبِهِمْ قَوْمٌ لَا يَسْمَعُونَ) الموعظة سماع تدبر (تِلْكَ الْقُرَى) التى مرذكرها (نَقْصُ عَلَيْكَ) بإحمد (مِنْ أَنْبِيَائِهَا) أخبار أهلها (وَلَقَدْ جَاءَهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ) المعجزات الظاهرات (فَمَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا) عند مجيئهم (بِمَا كَذَّبُوا) كفروا به (مِنْ قَبْلُ) قبل مجيئهم بل استمروا على الكفر (كَذَلِكَ) الطبع (يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِ الْكَافِرِينَ) وَمَا وَجَدْنَا لِأَكْثَرِهِمْ (أَيِ النَّاسِ) (مِنْ عَهْدٍ) أى وفاء بعدهم يوم أخذ الميثاق (وَإِنْ) مخففة (وَجَدْنَا أَكْثَرَهُمْ لَفَاسِقِينَ) ثُمَّ بَعَثْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ (أَيِ الرُّسُلِ) المذكورين (مُوسَى بِآيَاتِنَا) التسع (إِلَى فِرْعَوْنَ وَآلِهِ) قومه (فَظَلَمُوا) كفروا (بِهَا) فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ) بالكفر من إهلاكهم (وَقَالَ مُوسَى يَا فِرْعَوْنُ إِنِّي رَسُولٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ) إليك فكذبه فقال أنا (حَقِيقٌ) جذير (حَلَى أَنْ) أى بأن (لَا أَقُولُ عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ) وفى قراءة بتشديد الياء فحقيق مبتدأ خبره أن وما بعده (قَدْ جِئْتُكُمْ بِبَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ فَأَرْسِلْ مَعِيَ) إلى الشام (بَنِي إِسْرَائِيلَ) وكان استعبدكم (قَالَ) فرعون له (إِنْ كُنْتُ جِئْتُ بِآيَةٍ) على دعواك (فَأْتِ بِهَا)

إبراهيم التروذ وفرعون هذه الامة أبو جهل (قوله فظلموا بها) ضمن ظلموا معنى كفروا فعداه بالباء ويصح أن تكون الباء سببية والمفعول محذوف تقديره ظلموا أنفسهم بسببها أى بسبب تكذيبهم بها (قوله كيف كان عاقبة المفسدين) كيف اسم استفهام خبر كان مقدم عليها وعاقبة اسمها وإنما قدم لأن الاستفهام له الصدارة (قوله وقال موسى) تفصيل لما أجمل أولاً لأن التفصيل بعد الاجمال أوقع فى النفس وهذا القول وما بعده إنما وقع بعد كلام طويل حكاة الله فى سورة الشعراء بقوله تعالى - فأتيا فرعون فقولا إنا رسول رب العالمين - الآيات وقوله تعالى قال فرعون ومارب العالمين الآيات وفى طه أيضاً (قوله فكذبه) قدره إشارة إلى أن جملة حقيق مرتبة على محذوف (قوله حقيق) خبر لمحذوف قصره المفسر بقوله أنا (قوله أى بأن) أشار بذلك إلى أن على بمعنى الباء (قوله إلا الحق) مقول القول وهو مفرد فى معنى الجملة ويصح أن يكون صفة لمصدر محذوف مفعول مطلق تقديره إلا القول الحق (قوله وفى قراءة) أى وهى سبعة أيضاً (قوله مبتدأ) أى وسوغ الابتداء به العمل فى الجار والمجرور فأتى على متعلق بحقيق (قوله فأرسل معى إلى الشام) أى وسبب سكتناهم بمصر مع أن أصلهم من الشام أن الأسباط أولاد يعقوب جاءوا مصر لآخيه يوسف فكثروا وتناسلوا فى مصر فلما ظهر فرعون استعبدكم واستعملهم فى الأعمال الشاقة فأحب موسى أن يخلصهم من ذلك الأمر (قوله استعبدكم) أى جعلهم عبيدا أرقاء بسبب استخدامه إياهم

(قوله إن كنت من الصادقين) شرط حذف جوابه لعلالة ما قبله عليه (قوله ثعبان ميين) الثعبان ذكر الحيات وصفت هنا بكونها ثعبانا وفي آية أخرى كأنها جاز والجان الحية الصغيرة ووجه الجمع أنها كانت في العظم كالثعبان العظيم وفي خفة الحركة كالحية الصغيرة ورد أنه لما ألقى العصا صارت حية عظيمة صفراء شقراء فاتحة لهما بين لحيها ثمانون ذراعا وارتفعت من الأرض قدر ميل وقامت على ذنبها واضعة لحيها الأسفل في الأرض والأعلى على سور القصر وتوجهت نحو فرعون لتأخذه فوثب هاربا وأحدث أى تعوط في ثيابه بحضرة قومه في ذلك اليوم أربعائة مرة واستمر معه هذا المرض وهو الاسهال إلى أن غرق مع كونه كان لا يتعوط إلا في كل أربعين يوما مرة وقيل إنها أدخلت قبة القصر بين أنيابها وحملت على الناس فانهزموا ومات منهم خمسة وعشرون ألفا ودخل فرعون البيت وصاح ياموسى أنشدك بالذى أرسلك أن تأخذها وأنا أومن بك وأرسل معك بنى إسرائيل فأمسكها بيده فعادت كما كانت (قوله ونزع يده) أى اليمنى (قوله ذات شعاع) أى نور يغلب على ضوء الشمس (قوله من الأدمة) أى السمرة (قوله وفي الشعراء أنه) أى هذا القول (قوله فكأنهم قالوه معه) هذا بيان لوجه الجمع بين ما هنا وبين ما يأتى في الشعراء (٨٤) (قوله فماذا تأمرون) يصح أن يكون من كلام فرعون ويكون معناه

تشيرون ويصح أن يكون من كلام الملأ له والجمع للتعظيم على عادة خطاب الملوك والأول أقرب (قوله أرجته) فيه ست قرات سبعة ثلاثة مع الممزوى كسر الهاء من غدير إشباع وضما مع الاشباع وعدمه وثلاث من غير همز وهى إسكان الهاء وكسرها بإشباع وبدونه (قوله وأرسل في الدائن) أى مدائن صعيد مصر وكان رؤساء السحرة بأقصى صعيد مصر (قوله وفي قراءة سحار) أى

إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ) فِيهَا (قَالَ لَقِيَ عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُبِينٌ) حية عظيمة (وَنَزَعَ يَدَهُ) أخرجها من جيبه (فَإِذَا هِيَ بِيَضَاهُ) ذات شعاع (لِلنَّاطِرِينَ) خلاف ما كانت عليه من الأدمة (قَالَ لِلْمَلَأِ مِنْ قَوْمِ فِرْعَوْنَ إِنَّ هَذَا لَسَاحِرٌ عَلِيمٌ) فائق في علم السحر وفي الشعراء إنه من قول فرعون نفسه ، فكأنهم قالوه معه على سبيل التشاور (يُرِيدُ أَنْ يُخْرِجَكُمْ مِنْ أَرْضِكُمْ فَإِذَا تَأْمُرُونَ . قَالُوا أَرْجَاهُ وَأَخَاهُ) أخر أمرها (وَأَرْسِلْ فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ) جامعين (يَأْتُوكَ بِكُلِّ سَاحِرٍ) وفي قراءة سحار (عَلِيمٍ) يفضل موسى في علم السحر فجمعوا (وَجَاءَ السَّحَرَةُ فِرْعَوْنَ قَالُوا أَأُتِىَ) بتحقيق المزمعين وتسهيل الثانية وإدخال ألف بينهما على الوجهين (لَنَا لَا جَرَأَ إِنْ كُنَّا نَحْنُ الْغَالِبِينَ . قَالَ نَعَمْ وَإِنَّكُمْ لَمِنَ الْقَارِعِينَ . قَالُوا يَامُوسَى إِمَّا أَنْ تُلْقِيَ عَصَاكَ (وَأِمَّا أَنْ نَكُونَ نَحْنُ الْمُلُوكُ) مامعنا (قَالَ أَلْقُوا) أمر للاذن بتقديم إلقائهم توصلا به إلى إظهار الحق (فَلَمَّا أَلْقُوا) حباهم وعصبيهم (سَحَرُوا أَعْيُنَ النَّاسِ) صرفوها عن حقيقة إدراكها (وَأَسْتَرَفَبُوهُمْ) خوفهم حيث خيلوها حيات نسي (وَجَاءُوا بِسِحْرِ عَظِيمٍ .

وأوحينا

بالأمالة وتركها فتكون اقرأ آت ثلاثا وكلها سبعة (قوله لجمعوا) أى وكانوا اثنين

وسبعين وقيل اثني عشر ألفا وقيل سبعين ألفا وقيل ثمانين ألفا وقيل بضعا وثمانين ألفا (قوله بتحقيق المزمعين الخ) كلامه يفيد أن هنا قراءتين فقط مع أنها أربع فكان عليه أن يقول وإدخال ألف بينهما وتركه وبقيت خمسة وهى أن بهمة واحدة (قوله قال نعم) أى لكم الأجر (قوله وإنكم لمن المقرئين) أى في المنزلة عندي بحيث تكونون أول من يدخل عندي وآخر من يخرج (قوله قالوا ياموسى الخ) إما أن يكون ذلك تأدبا من السحرة مع موسى وقد جوزوا عليه بالإيمان والنجاة من النار وإما أن يكون ذلك على عادة أهل الصنائع أو عدم مبالاة بموسى لاعتمادهم على غلبتهم (قوله إما أن تلقى الخ) أن وما دخلت عليه في تأويل مصدر مفعول محذوف تقديره اختر إما إلقاءنا أو إلقاءك (قوله أمر للاذن) جواب عما يقال كيف أمرهم بالسحر وأقرم عليه . فأجاب بأن ذلك للتوصل إلى إظهار الحق (قوله عن حقيقة إدراكها) أى عن إدراك حقيقتها (قوله بسحر عظيم) أى عند السحرة وفي باب السحر وإن كان حقيرا في نفسه وذلك أنهم ألقوا حبلا غلاظا وأخشابا طولا وطلوا تلك الحبال بالزئبق وجعلوا داخل تلك الأخشاب الزئبق أيضا فلما أثر فيها حر الشمس تحركت والتوى بعضها على بعض حتى تخيل للناس أنها حيات وكانت سعة الأرض ميلا في ميل وكانت الواقعة في سكوندريه فلما ألقى موسى عصاه بلغ ذنبها وراء البحر ، ثم فتحت

فأما ثمانين ذراعاً فكانت تبطل حبالهم وعصيم واحداً واحداً حتى ابتلعت الكل وقصدت القوم الذين حضروا ذلك المجمع فزعوا ووقع الزحام فمات منهم خمسة وعشرون ألفاً ثم أخذها موسى فصارت في يده عصاً كما كانت فلما رأى السحرة ذلك عرفوا أنه أمر من السماء وليس بسحر غرر والله ساجدين وقالوا لو كان ما صنع موسى سحراً لبقيت حبالنا وعصينا وكانت حمل ثلثاه بعير فعدمت بقدر الله تعالى (قوله وأوحينا إلى موسى) أى بعد أن أتى السحرة حبالهم وعصيم أوحى الله إلى موسى على لسان جبريل حيث قال له كما في سورة طه : قلنا لا تخف إنك أنت الأعلى الآية (قوله تلقف) أى تأخذ وتبطل بسرعة (قوله في الأصل) أى وأصلها تلقف حذفت إحدى التائين تخفيفاً وهذه قراءة الجمهور وفي قراءة بادغام التاء في التاء وفي قراءة تلقف من لقف كلف فتكون القراءات ثلاثاً وكلها سبعة (قوله ما يافكون) أى يكذبون فالألف الكذب (قوله بتجويهم) أى تزيتهم الباطل بصورة الحق (قوله وبطل ما كانوا يعملون) أى ظهر بطلانه (قوله هنالك) أى في ذلك المكان وهو سكندرية (قوله وانقلبوا صاغرين) أى فرعون وقومه غير السحرة فانهم لم يصبروا بل أصابهم العز الأبدي بإيمانهم بالله وحده (قوله ساجدين) حال من السحرة وقوله : قالوا آمنا في موضع الحال من الضمير في ساجدين والتقدير قائلين في حال سجودهم آمنا الخ (قوله رب موسى وهرون) بدل من رب العالمين أو عطف بيان أوتعت جى به لدفع إيهام فرعون الناس أنه هورب العالمين (٨٥) حيث قال للسحرة إياي تعنون فدفعوا

ذلك بقولهم : رب موسى وهارون (قوله بتحقيق المميزين) أى همزة الاستفهام والهمزة الزائدة في الفعل وقوله وإبدال الثانية أى في الفعل وإن كانت قائمة فهي فاء الكلمة وفي قراءة سبعة أيضاً بحذف همزة الاستفهام وفي قراءة بتحقيق الأولى وتسهيل الثانية وإبدال الثالثة ألفاً وفي قراءة بقلب الأولى وإبدال الثانية وقاب الثالثة ألفاً

وَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنْ أَلْقِ عَصَاكَ فَإِذَا هِيَ تَلْقَفُ) بحذف إحدى التائين في الأصل تبطل (مَا يَافِكُونَ) يقلبون بتجويهم (فَوَقَعَ الْحَقُّ) ثبت وظهر (وَبَطَلَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ) من السحر (فَنَكَبُوا) أى فرعون وقومه (هُنَالِكَ) وانقلبوا صاغرين) صاروا ذليلين (وَأَلْقَى السَّحَرَةُ سَاجِدِينَ. قَالُوا آمَنَّا بِرَبِّ الْعَالَمِينَ. رَبِّ مُوسَى وَهَارُونَ) لهم بأن ما شاهدوه من العصا لا يتأتى بالسحر (قَالَ فِرْعَوْنُ ءَأَمَنْتُمْ) بتحقيق المميزين وإبدال الثانية ألفاً (يَه) بموسى (قَبْلَ أَنْ آذَنَ) أنا (لَكُمْ إِنَّ هَذَا) الذى صنعتموه (لَمَكْرٌ مَكْرَتُهُمْ فِي الْمَدِينَةِ لِيُخْرِجُوا مِنْهَا أَهْلَهَا فَسَوْفَ يَعْمَلُونَ) ما ينالكم منى (لَا تَقْطَعْنَ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ مِنْ خِلَافٍ) أى يد كل واحد اليمنى ورجله اليسرى (ثُمَّ لَأَصْلَبَنَّكُمْ أَتَجْمِنُ قَالُوا إِنَّا إِلَى رَبِّنَا) بعد موتنا بأى وجه كان (مُنْقَلِبُونَ) راجعون في الآخرة (وَمَا تَنْفَعُ) تنكر (مِنَّا إِلَّا أَنْ آمَنَّا بِآيَاتِ رَبِّنَا لَمَّا جَاءَنَا رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا) عند فعل ما توعدنا بنا لثلاث ترجع كفاراً (وَتَوَفَّنَا مُسْلِمِينَ .

فالقراءات أربع وكلها سبعة (قوله قبل أن آذن لكم) أصله آذن أبدلت الثانية ألفاً على القاعدة المشهورة ، والمعنى أحصل منكم الإيمان قبل حصول الأذن منى لا يلبق منكم ذلك والفعل مضارع منصوب بأن (قوله إن هذا المكر) أى حيلة وخديعة (قوله مكرتموه) أى تواطأتم عليه قبل مجيئكم إلينا وقصد بذلك اللعين تثبيت القبط بهاتين الشبهتين اللتين ألقاهما عليهما وهما قوله : إن هذا المكر وقوله : تخرجوا منها أهلها (قوله ما ينالكم منى) قدره إشارة إلى أن مفعول تعملون محذوف (قوله لا تقطن أيديكم) هذا بيان لوعيده الذى توعدهم به وهل فعل ما توعدهم به أولاً ؟ خلاف بل قال بعضهم إنه لم يفعل بدليل قوله تعالى : أتموا ومن اتبعكم القالبون (قوله من خلاف) الجار والمجرور في محل نصب على الحال أى مختلفة (قوله بأى وجه كان) أى سواء كان بقتلك أولاً وفي آية طه : إنما تقضى هذه الحياة الدنيا (قوله وما تنقم منا) أى تنكره منا فتوله إلا أن آمنا أن وما دخلت عليه في تأويل مصدر مفعول به تنقم ، والمعنى وما تنكره منا إلا إيماننا ويصح أن يكون المعنى وما تنهذبنا جىء من الأشياء إلا لأجل إيماننا فيكون مفعولاً لأجله (قوله لما جاءتنا) أى حين أتقنا من عنده (قوله عند فعل ما توعدنا بنا) أى ما توعدنا به وهو القطع من خلاف والتصليب في العبارة قلب (قوله لثلاث ترجع كفاراً) علة لقوله - ربنا أفرغ علينا صبراً - (قوله وتوفنا مسلمين) أى ثابتين على الدين الحق غير مغيرين ولا مبديلين .

(قوله وقال الملا) أى الصرون على الكفر فانه حين آمنت به السحرة آمن من بنى إسرائيل سنائة ألف (قوله وبذر) معطوف على ليفسدا ، والمعنى أترك موسى وقومه ليفسدوا فى الأرض وليتركك وآلهتك والاستفهام إنكارى ، والمعنى لا يلبق ذلك (قوله وآلهتك) بالجمع فى قراءة الجمهور لأنه جعل آلهة يعبدوها قومه وجعل نفسه هو الإله الأعلى قال تعالى : فخر فنادى فقال أنا ربكم الأعلى ، وقرئ شذوذاً وإلهتك بناء التأنيت لأنه كان يعبد الشمس (قوله أصناما صغاراً) أى على صور الكواكب (قوله بالتشديد والتخفيف) أى فهما قراءتان سبعيتان (قوله المولودين) أى الصغار (قوله ونسجى نساءهم) أى للخدمة (قوله من قبل) أى قبل مولد موسى (قوله قال موسى لقومه) أى تسلياً لهم (قوله استعينوا بالله) أى اطلبوا الإعانة منه سبحانه (قوله يورثها) الجملة حالية من لفظ الجلالة وقوله من يشاء مفعول ثانٍ والمفعول الأول الماء (قوله للمتقين الله) قدره إشارة إلى أن مفعول المتقين محذوف (قوله قالوا أؤذينا) أى بالقتل الأولاد واستبقاء النساء للخدمة (قوله من قبل أن تأتينا) أى بالرسالة وكان فرعون يستعملهم فى الأعمال الشاقة نصف النهار فلما بعث موسى وجرى بينهم ما جرى استعملهم جميع النهار وأعاد القتل فيهم (قوله كيف تعملون فيها) أى من الإصلاح والافسك (٨٦) (قوله ولقد) اللام موطئة لقسم محذوف تقديره والله لقد أخذنا أى ابتلينا

وهذا شروع فى تفصيل مبادئ هلاك فرعون وقومه لتكذيبهم بالآيات البينات (قوله بالسنين) جمع سنة ومن المعلوم أنه يجرى مثل جمع المذكر السالم فى إعرابه بالواو رفعاً وبالياء نصباً وجراً وتحذف نونه للإضافة فى الحديث اللهم اجعلها عليهم سنين كسنى يوسف « ويقل إعرابه كحين (قوله بالتحط) أى احتباس المطر (قوله ونقص من الثمرات) أى إتلافها بالآفات (قوله فإذا جاءتهم الحسنة) أشار بذلك إلى أنهم باقون

وَقَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِ فِرْعَوْنَ (لَه) (أَنْذَرُ) تَرَكَ (مُوسَى وَقَوْمَهُ لِيُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ) بالدعاء إلى مخالفتك (وَيَذَرُكَ) وَآلِهَتِكَ (وَكَانَ صَنَعَ لَهُمْ أَصْنَامًا صَغَارًا يَعْبُدُونَهَا) قَالَ أَنَا رَبُّكُمْ وَرَبُّهَا وَلَذا قَالَ أَنَا رَبُّكُمْ الْأَعْلَى (قَالَ سَنَقْتُلُ) بالتشديد والتخفيف (أَبْنَاءَهُمْ) المولودين (وَنَسْجَى) نستبقي (نِسَاءَهُمْ) كفعلنا بهم من قبل (وَإِنَّا فَوْقَهُمْ قَاهِرُونَ) قادرون ففعلوا بهم ذلك فشكا بنو إسرائيل (قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ اسْتَعِينُوا بِاللَّهِ وَأَصْبِرُوا) على أذاهم (إِنَّ الْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا) يعطيها (مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَالْعَاقِبَةُ) المحموده (لِلْمُتَّقِينَ) اللَّهُ (قَالُوا) أؤذينا من قبل أن تأتينا ومن بعد ما جئتنا ، قَالَ عَسَى رَبُّكُمْ أَنْ يُهْلِكَ عَدُوَّكُمْ وَيَسْتَخْلِفَكُمْ فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ) فيها (وَلَقَدْ أَخَذْنَا آلَ فِرْعَوْنَ بِالسِّنِينَ) بالتحط (وَنَقَصَ مِنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَذَكَّرُونَ) يتعظون فيؤمنون (فَإِذَا جَاءَهُمْ الْحَسَنَةُ) الخصب والغنى (قَالُوا لَنَا هَذِهِ) أى نستحقها ولم يشكروا عليها (وَإِنْ تُصِيبْهُمْ سَيِّئَةٌ) جذب وبلاء (يَطِيرُوا) يتشاءموا (بِمُوسَى وَمَنْ مَعَهُ) من المؤمنين (أَلَا إِنَّمَا طَأْثَرُهُمْ) شؤمهم (عِنْدَ اللَّهِ) يأتهم به (وَلَكِنْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ) أن ما يصيبهم من عنده (وَقَالُوا) لموسى (مَهْئَا تَأْتِنَا بِهِ مِنْ آيَةٍ لِيَسْحَرَنَا بِهَا فَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ) ،

فى غيهم وضلالهم لم يتعظوا ولم ينزجروا عما هم عليه (قوله أى نستحقها) أى بحولنا وقوتنا فدعا (قوله يطيروا) أصله يتطبروا أدغمت التاء فى الطاء والتطير فى الأصل أن يفرق الشئ بين القوم ويطير لكل واحد ما يخصه فيشمل النصيب الحسن والسيئ ثم غلب على الخط والنصيب السيئ ، والحكمة فى التعبير فى جانب الحسنة باذا المفيدة للتحقيق وتعريفها وفى جانب السيئة بان المفيدة للشك وتنكيرها الإشارة إلى أن رحمة الله تغلب غضبه وأنها صادرة منه سبحانه وتعالى وإن لم يتأمل لها العبد بخلاف السيئة فصدورها منه نادر ليدققهم بعض الذى عملوا لعالمهم يرجعون (قوله ألا إنما طأثرهم) الأداة استفتاح يؤتى بها اعتناء بما بعدها للرد عليهم (قوله شؤمهم) أى عذابهم الذى تشاءموا به (قوله عند الله) أى لا عند موسى فليس له مدخل فى إيجاد ذلك (قوله يأتهم به) أى جزاء لأعمالهم السيئة (قوله ولكن أكثرهم لا يعلمون) يفيد أن الأقل يعلم أن فرعون كاذب وموسى صادق وإنما كفرهم محض عناد (قوله وقالوا) أى فرعون وقومه (قوله مهما تأتينا به الخ) مهما اسم شرط جازم وتأت فعل الشرط مجزوم بحذف الياء والكسرة دليل عليها ونا مفعول ومن آية بيان لهما وبه متعلق بتأت وضيمها راجع لهما ولتسحرنا متعلق بتأتنا وبها متعلق بقوله فما الفاء واقعة فى جواب الشرط وما فانية ونحن مبتدأ وبمؤمنين

هبر مرفوع بواو مقدره منع من ظهورها اشتغال المحل بإياه التي جلبها حرف الجر الزائد واجملة في محل جزم جواب الشرط (قوله فدعا عليهم) قال سعيد بن جبير لما آمنت السحرة ورجع فرعون مغلوبا أبي هو وقومه إلا الإقامة على الكفر والتأدي على البحر فتابع الله عليهم الآيات فأخذهم الله أولا بالسنين وهو القحط ونقض الثمرات وأراهم قبل ذلك من المعجزات اليد والعصا فلم يؤمنوا فدعا عليهم موسى وقال يارب ابن عبدك فرعون علا في الأرض وبنى وعتا وإن قومه قد نقضوا العهد فخذهم بعقوبة تجعلها عليهم نعمة ولقوى عظة ولمن بعدهم آية وعبرة ففعل الله بهم ما سيذكر (قوله فأرسلنا عليهم الطوفان) أي ما من السماء والحال أن بيوت القبط مشيكة ببيوت بني إسرائيل فامتلات بيوت القبط حتى قاموا في الماء إلى تراقيهم ومن جلس منهم غرق ولم يدخل من ذلك الماء في بيوت بني إسرائيل شيء وركب ذلك الماء على أرضهم فلم يقدروا على الحرث ودام عليهم سبعة أيام من السبت إلى السبت فاستغاثوا بموسى فأزال الله عنهم المطر وأرسل الريح فجفف الأرض وخرج من النبات ما لم ير مثله قط فقالوا هذا الذي جزعنا منه خير لنا لكننا لم نشعر فلا والله لا تؤمن بك ولا ترسل معك بني إسرائيل فأقاموا شهرا في عافية (قوله إلى حلق الجالسين) في كلام غيره إلى حلق القائمين ومن جلس غرق كما علمت (قوله والجراد) أي واستمر من السبت إلى السبت يأكل زروعهم ونعائمهم وأوراق أشجارهم وأبلى الجراد بالجوع فكانت لا تشبع ولم تصب بني إسرائيل فعظم الأمر عليهم فضجوا من ذلك وقالوا يا موسى ادع لنا ربك بما عهد عندك لننكشف عنا الرجز لنؤمنن لك ولترسلن معك بني إسرائيل فأشار موسى ببصاه نحو الشرق والمغرب فرجعت الجراد من حيث جاءت فأقاموا شهرا (٨٧) في عافية ثم رجعوا إلى أعمالهم

الحديثة (قوله والقمل)

مشى القمل على أنه السوس أو نوع من القراد وقيل إنه القمل المعروف بدليل قراءة الحسن والقمل بفتح القاف وسكون الميم وقيل هو البراغيث فأكل ما أبقاه الجراد وكان يدخل بين ثوب أحدهم وجلده فيمصه وكان أحدهم يأكل الطعام فيمتلا قلا

فدعا عليهم (فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الطُّوفَانَ) وهو ماء دخل بيوتهم ووصل إلى حلق الجالسين سبعة أيام (وَالْجَرَادَ) فأكل زرعهم ونعائمهم كذلك (وَالْقُمَّلَ) السوس أو هو نوع من القراد فتتبع ما تركه الجراد (وَالضَّفَادِعَ) فلات بيوتهم وطعامهم (وَالدَّمَ) في مياههم (آيَاتٍ مُّفَصَّلَاتٍ) مبيّنات (فَاسْتَكْبَرُوا) عن الإيمان بها (وَكَانُوا قَوْمًا مُّجْرِمِينَ . وَلَمَّا وَقَعَ عَلَيْهِمُ الرِّجْزُ) العذاب (قَالُوا يَا مُوسَى ادْعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِنْدَكَ) من كشف العذاب عنا إن آمنا (لَئِنْ) لام قسم (كَشَفْتَ عَنَّا الرِّجْزَ لَنُؤْمِنَنَّ لَكَ وَآتَيْنَاكَ مَعَكَ بَنِي إِسْرَائِيلَ فَلَمَّا كَشَفْنَا) بدعاء موسى (عَنَّهُمُ الرِّجْزَ إِلَى أَجَلٍ هُمْ بِالْفَوْهِ إِذَا هُمْ يَنْكُتُونَ) ينفضون عهدهم ويصرون على كفرهم .

فاستمر ذلك سبعة أيام من السبت إلى السبت فضجوا واستغاثوا برفع عنهم ثم أقاموا شهرا في عافية ثم رجعوا لأخبث ما كانوا عليه (قوله والضفادع) جمع ضفدع كدبرهم وزبرج (قوله فلات بيوتهم وطعامهم) أي وكان الواحد منهم يجلس في الضفادع إلى رقبته ويهم أن يتكلم فينب الضفدع فيه وكان يملأ قدورهم ويطنى نيرانهم وكان أحدهم يضطجع فيركبه الضفدع فيكون عليه ركاما حتى لا يستطيع أن ينقلب إلى شقه الآخر، ورد أن الضفادع كانت بريّة فلما أرسلها الله سمحت وأطاعت فجعلت تلقى نفسها في القدور وهي تغلى وفي الثناير وهي تفور فأثابها الله بحسن طاعتها برد الماء فصارت من حينها تسكن الماء، ثم ضجوا وشكوا لموسى وقالوا ارحمنا هذه المرة لما بقي إلا أن نتوب ولا نعود بعد ما أقامت عليهم سبعة أيام من السبت إلى السبت فدعا الله موسى فكشف الله عنهم ذلك واستمروا شهرا في عافية ثم عادوا (قوله والدّم) أي وكان أحمر خالصا فصارت مياههم كلها دما فما يستقروا من بحر ولا نهر إلا وجدوه دما فأجهدهم العطش جدا حتى إن القبطية تأتي للراة من بني إسرائيل فتقول لها اسقيني من مائك فتصب لها من قربتها فيعود في الأناء دما حتى كانت القبطية تقول للاسرائيلية اجعليه في فيك ثم يحبه في في فتأخذه في فيها ماء وإذا عجهت في فيها صار دما واعتري فرعون العطش حتى إنه ليضطر إلى مضغ الأحجار الرطبة فإذا مضغها صار دما فكثروا على ذلك سبعة أيام من السبت إلى السبت فشكوا لموسى ذلك فكشف عنهم (قوله آيات) حال من الحسة للذكورة (قوله نصلات) أي مفرقات فكانت كل واحدة تمسك سبعة أيام بين كل واحدة وأخرى شهر (قوله ولما وقع عليهم الرجز) هذا موزع على خمسة فكانوا كلما ضجوا قالوا هذه المكافحة (قوله من كشف العذاب) بيان لما (قوله فلما كشفنا) أي في كل واحدة من الخمس (قوله إلى أجل هم بالقوه)

أى وهو وقت إغراقهم (قوله فانتقمنا منهم) أى أردنا الانتقام منهم لأن الانتقام هو الإغراق فلا يحسن دخول الفاء بينهما (قوله مشارق الأرض ومغاربها) أى نواحيها وجميع جهاتها (قوله صفة للأرض) فيه أنه يلزم عليه الفصل بين الصفة والموصوف بالمعطوف وهو أجنبي والأولى أن يكون صفة للمشارك والمشارك (قوله وهو الشام) الحامل له على هذا التفسير قوله تعالى : التى باركنا فيها وهذا الوصف لا يعين هذا المعنى بل يمكن تفسير الأرض بأرض مصر كما هو السياق وقد بارك الله فيها بالتبيل وغيره ويؤيده قوله تعالى : كم تركوا من جنات وعيون إلى أن قال : كذلك وأورثناها قوما آخرين وكذلك آية الشعراء وقد اختار ما قلناه جملة من المفسرين وقال بعضهم المراد بمشارك الأرض الشام ومغاربها مصر فأنهم ورثوها المعلقة فى الشام وورثوها القرهظنة فى مصر (قوله كلمت) ترسم هذه بآثاره المجرورة لا غير وما عداها فى القرآن بالهاء على الأصل (قوله بما صبروا) أى بسبب صبرهم (قوله ودمرنا ما كان يصنع فرعون وقومه) أى أهلكتنا وخر بنا الذى كان يصنعه فرعون وقومه (قوله وما كانوا يعرشون) هذا آخر قصة فرعون وقومه (قوله بكسر الراء وضمتان) قراءة ثان سبعيتان (قوله من البنين) أى كصرح هامان وغيره من جميع ما أسسوه بأرض مصر (٨٨) (قوله وجاوزنا) شروع فى قصة بنى إسرائيل وما وقع منهم من كفر

النعمة والقبائح والقصد
من ذلك نسلية النبي
صلى الله عليه وسلم
وتخويف أمته من أن
يفعلوا مثل فعلهم (قوله
عبرنا) العبر هو الانتقال
من جانب لآخر لاتقالم
من الجانب الغربى إلى
الشرق (قوله بضم الكاف
وكسرها) أى من بابى
نصر وضرب وهما قراءتان
سبعيتان (قوله على أصنام
لهم) قيل هى حجارة على
صور البقر وقيل بقر حقيقة
وكان هؤلاء القوم
العاكفون من الكنعانيين
الذين أمر موسى بقتالهم بعد

(فَانْتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ) البحر الملح (بأنهم) بسبب أنهم (كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا
وَكَانُوا عَنْهَا غَافِلِينَ) لا يتدبرونها (وَأَوْرَثْنَا الْقَوْمَ الَّذِينَ كَانُوا يُسْتَضَفُونَ) بالاستعباد وهم
بنو إسرائيل (مَشَارِقَ الْأَرْضِ وَمَغَارِبَهَا الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا) بالماء والشجر صفة للأرض
وهى الشام (وَكَلِمَتُ رَبِّكَ الْحُسْنَى) وهى قوله : وزيد أن نمن على الذين استضعفوا فى
الأرض الخ (عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ بِمَا صَبَرُوا) على أذى عدوم (وَدَمَّرْنَا) أهلكتنا (مَا كَانَ
يَصْنَعُ فِرْعَوْنُ وَقَوْمُهُ) من العمارة (وَمَا كَانُوا يَعْرِشُونَ) بكسر الراء وضمتان : يرشون من البنين
(وَجَاوَزْنَا) عبرنا (بَنَى إِسْرَائِيلَ الْبَيْتَ فَأَتُوا) فروا (عَلَى قَوْمِهِ يَتَكَفَّوْنَ) بضم الكاف
وكسرها (عَلَى أَصْنَامِهِمْ) يقيمون على عبادتها (قَالُوا يَا مُوسَى اجْعَلْ لَنَا إِلَهًا) صنًا نعبد
(كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ) قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ يَتَّبِعُونَ حيث قابلتم نعمة الله عليكم بما قتلتموه (إِنَّ هَؤُلَاءِ
مُتَّبِعُونَ) هالك (مَا هُمْ فِيهِ بِغَاطِلِينَ) مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ . قَالَ أَغَيْرَ اللَّهِ أَبْنِيَكُمْ إِلَهًا) مبيدوا
وأصله أبنى لكم (وَهُوَ فَضَّلَكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ) فى زمانكم بما ذكره فى قوله (وَ) اذكروا
(إِذْ أَنْجَيْنَاكُمْ) وفى قراءة أنجاكم (مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ) يكلفونكم ويذيقونكم
(سُوءَ الْعَذَابِ) أشده وهم (يَقْتُلُونَ أَبْنَاءَكُمْ،

ذلك (قوله قالوا يا موسى) القاتل بعضهم لا جميعهم (قوله اجعل لنا إلها) قيل إنهم مرتدون بهذه المقالة لقصدهم ويستحيون
بذلك عبادة الصنم حقيقة وقيل ليسوا مرتدين بل هم جاهلون جهلا مركبا لا اعتقادهم أن عبادة الصنم بقصد التقرب إلى الله تعالى لا تضرهم
فى الدين وعلى كل فهذه المقالة فى شرعنا رددة والجار والمجرور مفعول ثان والهاء مفعول أول وقوله كالم آلهة صفة لالهها وما اسم موصول ولهم
صلتها وآلهة بدل من الضمة المستتر فى لهم والتقدير اجعل إلها لنا كالذى استقر لهم الذى هو آلهة (قوله إن هؤلاء متبر ما هم فيه) جملة
مستأنفة تصدبها تو يبخهم ورجعهم (قوله ما هم فيه) أى من الدين الباطل وهو عبادة الأصنام (قوله قال أغيراه) الاستفهام للانكار
والنوبيخ (قوله أبنيكم) أى أطلب وأقصد لكم (قوله وأصله أبنى لكم) أى خذ الجار فاصل الضمير (قوله وهو فضلكم) الجملة حالية
من لفظ الجلالة (قوله فى زمانكم) أى بانجائكم وإغراق عدوكم وإزال للن والساوى عليكم وليس تفصيلهم على جميع العالمين فان
أمة محمد صلى الله عليه وسلم أفضل من جميع الأمم (قوله وإذ أنجيناكم) هنا من كلام موسى فاستناد الانجاء إليه مجاز لكونه على يده وسببا
فيه حيث ضرب بعصاه البحر فانفلق (قوله وفى قراءة أنجاكم) أى وهى ظاهرة فان الفاعل ضمير عائد على الله وهما قراءتان سبعيتان (قوله
يسومونكم) من السوم وهو الاذاقة (قوله يقتلون أبناءكم) قدر المفسرهم إشارة إلى أن يقتلون بيان ليسومونكم .

(قوله ويستحيون نساءكم) أى لخدمتهم (قوله الانجاء أو العذاب) أشار بذلك إلى أن امم الاشارة يصح عوده على الانجاء ، ومعنى كونه بلاء أنه يختبرهم هل يشكرون فيؤجروا أو يكفرون فيعاقبوا وعوده على العذاب ظاهر فلا ابتلاء كما يكون في الشر يكرن في الخير . قال تعالى - وفلواكم بالشر والخير فتنة - فالشكر على النعمة موجب لزيادتها كما أن الصبر على البلاء موجب لرضا الله - قال تعالى - وجبر الصابرين الذين إذا أصابتهم مصيبة قالوا إنا لله وإنا إليه راجعون - (قوله بألف ودونها) أى فهما قراءتان سبعيتان فعلى الألف من الواعدة وهى مفاعلة من الجانبيين فمن الله الأمر ومن العبد القبول وطى حذف الألف فالوعد من الله لاغير وهو ظاهر (قوله ثلاثين ليلة) إنما عبر بالليالي دون الأيام مع أن الصيام فى الأيام لأن موسى كان صائما تلك الليلة ليلا ونهارا موافقا لحرمة الوصال على غير الأنبياء فعبّر بالليالي لدفع توم اقتصاره على صوم النهار فقط . قال المفسرون : إن موسى عليه الصلاة والسلام وعد بنى إسرائيل إذا أحلك الله تعالى عدوم فرعون أن يأتيهم بكتاب من عند الله فيه بيان ما يأتون وما يفرّون فلما أحلك الله فرعون سأل موسى ربه أن يزل عليه الكتاب الذى وعد به بنى إسرائيل فأمره أن يصوم ثلاثين يوما فصامها فلما تمت أنكر خلوف فيه فاستاك بعد خرنوب ، وقيل أكل من ورق الشجر فقالت الملائكة كنا نشم من فيك رائحة المسك فأفسدته بالسواك ، فأمره الله أن يصوم عشر ذى الحجة فكانت فتنة بنى إسرائيل فى تلك العشر (قوله أنكر خلوف فيه) أى كره رائحة فيه من أثر الصوم وهو بضم الخاء واللام معناه (٨٩) الرائحة (قوله وآتمناها) أى الواعدة المأخوذة من

وَيَسْتَحْيُونَ (نِسَاءَكُمْ) وَفِي ذَلِكَمُ) الانجاء أو العذاب (بَلَاءٌ) إِنْصَامٌ أَوْ ابْتِلَاءٌ (مِنْ رَبِّكُمْ عَظِيمٌ) أَفَلَا تَتَعَزَّوْنَ فَنُتَبِّهُنَّ عَمَّا قَلَّمْ (وَوَاعَدْنَا) بِأَلْفٍ وَدُونِهَا (مُوسَى ثَلَاثِينَ لَيْلَةً) نَكَلَمُهُ عِنْدَ انْتِهَائِهَا بِأَنْ يَصُومَهَا وَهِيَ ذُو الْقَعْدَةِ فَصَامَهَا ، فَلَمَّا تَمَّتْ أَنْكَرَ خُلُوفَ فِيهِ فَاسْتَاكَ فَأَمَرَهُ اللَّهُ بِبَشْرَةٍ أُخْرَى لِيَكَلِمَهُ بِخُلُوفٍ فِيهِ كَمَا قَالَ تَعَالَى : (وَأَتَمَمْنَاهَا بِبَشْرٍ) مِنْ ذِي الْحِجَّةِ (قَمَّ مِيقَاتُ رَبِّي) وَقْتُ وَعْدِهِ بِكَلَامِهِ إِيَّاهُ (أَرْبَعِينَ) حَالِ (لَيْلَةً) تَمِيزُ (وَقَالَ مُوسَى لِأَخِيهِ هَارُونَ) عِنْدَ ذَهَابِهِ إِلَى الْجَبَلِ لِلنَّجَاةِ (أَخْلَفْنِي) كُنْ خَلِيفَتِي (فِي قَوْمِي وَأَصْلَحْ) أَمْرَمُ (وَلَا تَتَّبِعْ سَبِيلَ الْفَاسِدِينَ) بِمَوَاقِفِهِمْ عَلَى الْعَامَى (وَلَمَّا جَاءَ مُوسَى لِمِيقَاتِنَا) أَيْ لَلْوَقْتِ الَّذِي وَعَدْنَاهُ بِالْكَلَامِ فِيهِ (وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ) بِلَا وَسْطَةٍ كَلَامًا سَمِعَهُ مِنْ كُلِّ جِهَةٍ (قَالَ رَبِّ أَرِنِي) فَسَكَ (أَنْظُرْ إِلَيْكَ قَالَ لَنْ تَرَانِي) أَيْ لَا تَقْدِرُ عَلَى رُؤْيِي وَالتَّعْبِيرُ بِهِ دُونَ لَنْ أَرَى يَفِيدُ إِمْكَانَ رُؤْيِهِ تَعَالَى (وَلَكِنْ أَنْظُرْ إِلَى الْجَبَلِ) ،

نَبَاهِهِ وَصَامَ ثُمَّ آتَى طُورَ سَيْنَاءَ فَأَنْزَلَ اللَّهُ ظِلًّا غَشِيَتْ الْجَبَلِ عَلَى أَرْبَعِ فَرَاسِخٍ مِنْ كُلِّ نَاحِيَةٍ وَطَرَدَ عَنْهُ الشَّيْطَانُ وَهُوَ الْأَرْضُ وَنَحَى عَنْهُ الْمَلَائِكَةُ وَكَشَطَ لَهُ السَّمَاءَ ، فَرَأَى الْمَلَائِكَةَ قِيَامًا فِي السَّمَاءِ وَرَأَى الْعَرْشَ بَارِزًا ، وَأَذْنَاهُ رَبِّهِ حَتَّى سَمِعَ صَرِيحَ الْأَقْلَامِ عَلَى الْأَلْوَابِ وَكَلِمَهُ ، وَكَانَ جَبْرِيلُ مَعَهُ فَلَمَّ يَسْمَعُ ذَلِكَ الْكَلَامَ فَاسْتَعْلَى ، وَمُوسَى كَلَّمَ رَبَّهُ فَاشْتَاقَ إِلَى رُؤْيَيْهِ فَقَالَ رَبِّ أَرِنِي الْخ (قوله أى للوقت) أى وكان يوم الخميس يوم عرفة فكلمه الله فيه وأعطاه التوراة صبيحة يوم الجمعة يوم النحر (قوله وكلمه ربه) أى أزال الحجاب عنه حتى سمع كلامه بجميع أجزائه من جميع جهاته لأن الله أنشأه الكلام لأن الله سبحانه وتعالى دائماً متكلم يستحيل عليه السكوت والآفة ولم يصل لنا معنى ما فهمه موسى من تلك الكلمة (قوله قال رب أرنى) لما سمع الكلام هام واشتاق إلى رؤية الذات فسأل الله أن يزيل عنه حجاب البصر كما أزال الله عنه حجاب السمع إذ لا فرق بين الحاستين فقد سأل جازاً لأن كل من جاز سمع كلامه جلوت رؤية ذاته (قوله نفسك) قدره إشارة إلى أن مفعول أرنى محذوف (قوله أنظر إليك) جواب الشرط لا يقال إن الشرط قد اتحد مع الجواب لأن المعنى هيئ لي رؤيتك ومكنى منها فإن تفعل بى ذلك أنظر إليك (قوله قال لن ترانى) أى لا طاقة لك على رؤيتى فى الدنيا ، وهذا لا يقتضى أنها مستحيلة عقلاً وإلا لما علقت على جأثر وهو استقرار الجبل (قوله ولكن انظر إلى الجبل) هذا من نزلات الحق لموسى وتصلية له على ما فاته من الرؤية وهذا الجبل كان أعظم الجبل وأصح زينة

(قوله الذي هو أقوى منك) أى لحجبه عن الرؤى بمرحمة به لعدم طاقته الجبل على ذلك فضلا عن موسى (قوله أى ظهر من نوره) أى نور جلال عرشه ، وفي رواية « أمر الله ملائكة السموات السبع بحمل عرشه فلما بدا نور عرشه اصدع الجبل من عظيمة الرب سبحانه وتعالى » (قوله نصف أئمة الخنصر) وفي رواية « قدر منخر الثور » وفي رواية « قدر سم الحياط » وفي رواية « قدر الدرهم » (قوله بالقصر والد) أى فهما قراءتان سبعيتان (قوله مستويا بالأرض) أى بعد أن كان عاليا مرتفعا وقيل تفرق ستة أجبل فوق ثلاثة بالمدينة وهى أحد وورقان ورضوى ، وثلاثة بمكة ثبير وبور وحراء (قوله وخر موسى صقعا) أى سقط مغشيا عليه ذاهبا عن حواسه ولذا لا يصق عند النفخة (قوله فلما أفاق) أى برد حواسه له (قوله من سؤال مالم أومره) أى وليس للراد أن طلب الرؤية معصية وإنما هو من باب حسنات الأبرار سيئات القربين (قوله فى زمانى) دفع بذلك ما يقال إن قبله من المؤمنين كثيرا من الأنبياء والأمم ، وفي القصة أن موسى عليه السلام كان بعد مراجع من السكالة لا يستطيع أحد أن ينظر إليه لما غشى وجهه من النور ولم يزل على وجهه برقع حتى مات ، وقالت له زوجته أنام أرك منذ ذلك ربك فكشف لها عن وجهه ، فأخذها مثل شعاع الشمس فوضعت يدها على وجهها وخرت ساجدة وقالت ادع الله أن يجعلنى زوجتك فى الجنة . قال ذلك لك إن لم تزوجى بى فان المرأة لآخر أزواجها ، وورد أيضا « أنه مكث زمنا طويلا كلما سمع كلام الناس نفا » (قوله قال يا موسى) هذا (٩٠) نسلية له على ما فاته من الرؤية (قوله أهل زمانك) دفع بذلك ما يقال إن من جملة

عباس سيد محمد صلى الله عليه وسلم وإبراهيم الخليل فيقتضى أنه مختار عليهما فأجاب بأن الراد بالناس أهل زمانه أبناء أو غيرهم ، ولذلك كانت أنبياء بنى إسرائيل يتعبدون بالتوراة (قوله بالجمع) أى باعتبار تعدد الأحكام الوحي بها (قوله والافراد) أى مراد بها للمنى الصدى أى إرسالي وما قراءتان سبعيتان

الذى هو أقوى منك (فَإِنْ أَشَقَرْتَ) ثبت (مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرَانِي) أى ثبت لرؤيتي وإلا فلا طاقته لك (فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ) أى ظهر من نوره قدر نصف أئمة الخنصر كما فى حديث صححه الحاكم (لِلْجَبَلِ جَمَلَهُ دَا) بالقصر والد أى مذكوكا مستويا بالأرض (وَحَرَ مُوسَى صَقًا) مغشيا عليه لمول مارأى (فَلَمَّا أَفَاقَ قَالَ سُبْحَانَكَ) تنزيها لك (تُبْتُ إِلَيْكَ) من سؤال مالم أومره (وَأَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ) فى زمانى (قَالَ) تعالى له (يَا مُوسَى إِنِّي اصْطَفَيْتُكَ) اخترتك (عَلَى النَّاسِ) أهل زمانك (بِرِسَالَتِي) بالجمع والافراد (وَبِكَلَامِي) أى تكليمي إياك (فَعُذْ مَا آتَيْتُكَ) من الفضل (وَكُنْ مِنَ الشَّاكِرِينَ) لأنسى (وَكُتِبْنَا لَهُ فِي الْأَلْوَا حِ) أى ألواح التوراة ، وكانت من سدر الجنة ، أو زبرجد ، أو زمرد سبعة أو عشرة (مِنْ كُلِّ شَيْءٍ) يحتاج إليه فى الدين (مَوْعِظَةً وَتَفْصِيلًا) تبيننا (لِكُلِّ شَيْءٍ) بدل من الجار والمجرور قبله (فَعُذْهَا) قبله قلنا مقدرا (بِقُوَّةِ) بمجد واجتهاد (وَأَمْرُ قَوْمِكَ بِأَخْذُوا ،

(قوله وبكلامى) اسم مصدر بمعنى التكليم : أى تكليمي إياك مباشرة بلا واسطة بأحسنها

ويصح أن يراد بالكلام التوراة كما يقال للقرآن كلام الله يقال للتوراة أيضا كلام الله لأنها أفضل كتاب أنزل من السماء بعد القرآن (قوله لأنسى) جمع نعمة وجمع أيضا على نعم (قوله وكتبنا له فى الألواح) أى وكان طول اللوح منها اتى عشر فراعاً ، وقيل عشرة على طول موسى والكاتب لها هو الله بلا واسطة (قوله من سدر الجنة) أى خشبها المسمى بالسدر والشاقق لها هو الله بلا واسطة (قوله أو زمرد) وقيل من ياقوتة حمراء (قوله سبعة أو عشرة) وقيل تسعة ، وقيل اثنتان ويكون الراء بالجمع ما فوق الواحد قال الربيع بن أنس : نزلت التوراة وهى وقر سبعين عبرا يقرأ الجزء منها فى سنة ولم يحفظها إلا أربعة مرعى ويوشع بن نون وعزير وعيسى عليهم السلام ، وقال الحسن : هذه الآية فى التوراة بألف آية (قوله بدل) أى قوله موعظة وتفصيلا بدل من محل قوله من كل شىء وهو النصب ، وقوله لكل شىء متعلق بتفصيلا (قوله قبله قلنا مقدرا) أشار بذلك إلى أن هذا المذوف معطوف على كتبنا (قوله بمجد واجتهاد) أى لا يترسخ وكسل فان العلم لا يأتى إلا للمجد المشتاق كان كسبيا أو وهيبا فلا بد لمتعاطي العلم من الكد والتعب ومخالفة النفس . قال بعضهم : بقدر الكد نكسب العالى ومن طلب العلاء مهر اللبالي

تروم العز ثم تنام ليلا يفوح البحر من طلب اللاسى

فقد بالروح والدينا خيلى هكذا الأوطان كى تدرك سناه

وقل بعض الطرفين :

وهذا الخطاب لموسى والمراد غيره لأنه هو آخذ لها بقوة واجتهاد (قوله بأحسنها) أى بالأحوط منها لأن فيها عزائم ورخصا وفاقا ومفضولا وجائزا ومنذوبا فأمر قومك بأخذوا بأحوطها بأن يتبعوا العزائم ويتركوا الرخص ، وذلك كالقود والعفو ، الاتصا والصبر فالأخذ بالنفع أحسن من القود والصبر أحسن من الاتصا أو يقال إن اسم التفضيل ليس على باب : أى بحسب الإضافة بيانية ، والعنى يعملون بجميع ما فيها (قوله سأريكم) الخطاب لموسى ومن تبعه فالكاف مفعول أول ودار مفعول ثان ، والمعنى أملككم إياها بدليل قراءة من قرأ سائر نكم بالثاء الثلاثة (قوله وهى مصر) هذا هو الأقرب ، مقليل المواد بدار الفاسقين ديار عاد وثمود وقوم لوط وقوم نوح (قوله ليعتبروا بهم) أى فى الآية إشارة إلى أنهم إن خالفوا فعل بهم كما فعل فرعون وقومه ، وهكذا كل ظالم فاجر ولومن للمسلمين إذا بنى واعتدى وتكبر وتجبر بمهل مدة ثم نصير دياره بلاقع فاعبرة بعموم اللفظ بالخصوص السبب ، ويؤيده قوله تعالى - فأصبحوا لآرى إلامسا كنهم كذلك نجى القوم المجرمين - (قوله سأصرف عن آياتي) أى أنسى قلوبهم وأطمسها عن فهم آياتي فلا يفكرون ولا يتدبرون (قوله بغير الحق) حال من الذين يتكبرون : أى حال كونهم متلبسين بالدين الغير الحق (قوله وإن يروا كل آية لا يؤمنوا بها) أى لوجود الطبع على قلوبهم وفى الآية إشارة إلى أن التكبر المترى لا يستفيد نورا ولا خيرا من الذى اعترض وتكبر عليه (قوله بأنهم كذبوا) أى بسبب تكذيبهم (قوله تقدم مثله) أى فى قوله - فأغرقناهم فى اليم بأنهم كذبوا بآياتنا وكانوا عنها غافلين - (قوله (٩١) والذين كذبوا) مبتدأ جملة حبطت أعمالهم خبره

(قوله لهدم شرطه) أى الثواب وهو الإيمان فلا إيمان شرط فى الثواب لأنه مقدر من الجزاء يعطى للمؤمنين فى مقابلة أعمالهم الحسنة فأعمال الكفار الحسنة لا تتوقف على نية يجازون عليها فى الدنيا أو يخفف عنهم من عذاب غير الكفر لكنه لا يقال له ثواب كذا قرر الأشباح (قوله هل

يَأْخُذُكُمْ دَارَ الْفَاسِقِينَ) فرعون وأتباعه وهى مصر ليعتبروا بهم (سَأَصْرِفُ عَنْ آيَاتِيَ) دلائل قدرتي من المصنوعات وغيرها (الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ) بأن أخذهم فلا يفكرون فيها (وَأِنْ يَرَوْا كُلَّ آيَةٍ لَا يُؤْمِنُوا بِهَا وَإِنْ يَرَوْا سَبِيلَ الرُّشْدِ) الهدى الذى جاء من عند الله (لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا) يسلكوه (وَأِنْ يَرَوْا سَبِيلَ الْغَيِّ) الضلال (يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا، ذَلِكَ) الصرف (بأنهم كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا عَنْهَا غَافِلِينَ) تقدم مثله (وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَلِقَاءِ الْآخِرَةِ) البعث وعيره (حَبِطَتْ) بطلت (أَعْمَالُهُمْ) ما عملوه فى الدنيا من خير كصلة رحم وصدقة فلا ثواب لهم لعدم شرطه (هَلْ) ما (يُجْزَوْنَ إِلَّا) جزاء (مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ) من التكذيب والمعاصى (وَأَتَّخَذَ قَوْمُ مُوسَى مِنْ بَعْدِهِ) أى بعد ذهابه إلى النجاة (مِنْ حُلِيِّمٍ) الذى استعاروه من قوم فرعون بعله عرس فبقى عندهم (عِجْلًا) صاغه لهم من السامرى (جَسَدًا) ،

يجزون) استفهام إنكارى بمعنى النفي ، ولذا أشاره المفسر بقوله ما (قوله واتخذ قوم موسى) عطف قصة على قصة والواو لا تقتضى ترتيبا ولا تعقيبا لأن عبادتهم العجل كانت زمن المكاملة فى مدة العشرة الأيام الزائدة فوق الثلاثين (قوله من حلبيهم) جمع حلى بفتح فسكون وأصله حلوى اجتمعت الواو والياء وسبقت إحداها بالسكون قلبت الواو ياء وأدغمت فى الياء وقلب ضم اللام كسرة لتصح الياء (قوله الذى استعاروه من قوم فرعون) أى قبل غرقهم (قوله فبقى عندهم) أى ملكا لبنى إسرائيل كملكوكوا غيره من أموالهم وديارهم ولذا أضافه الله لهم ، وأما قول المفسر استعاروه فهو باعتبار ما كان (قوله عجلا) وهذا العجل قد حرقه موسى عليه السلام ونسفه فى البحر كقصه الله تعالى فى سورة طه (قوله صاغه لهم منه السامرى) واسمه موسى وكان ابن زنا وضعته أمه فى جبل فأرسل الله إليه جبريل فصار يرضعه من ألبعه فكان يعرفه إذا نزل إلى الأرض فلما نزل جبريل يوم غرق فرعون وكان راكبا فرسا فكان كل شئ وطنته بحافرها يخضر ويحرف فظن موسى السامرى لذلك وعلم أن هذا التراب له أثر فأخذ شفا منه وادخره فلما توجه موسى للنجاة صنع لهم العجل ووضع التراب فى فيه فصار له خوار فقال لهم هذا الحكم وإله موسى فبنى كفى سورة طه وكان موسى السامرى منافقا ، وانظر إلى من ربه جبريل حيث كان منافقا وإلى من ربه فرعون حيث كان مرسلًا فان هذا دليل على أن السعادة والشقاوة بيد الله ، فقد قال بعضهم :

إذا المرء لم يخلق سعيدا من الأزل *

فقد خاب من ربه وخاب المؤمن فموسى الذى ربه جبريل كافر وموسى الذى ربه فرعون مرسل

(قوله بدل) أى من عجل أو عطف بيان (قوله لما ودما) تضرع لجسدا (قوله له خولر) هذه قراءة العامة وقرئ: شدودا له جؤلر بحيم فهمزة وهو الصوت الشديد (قوله فإن أثره الحياة) أى بتأثير الله له (قوله ألم يروا) استفهام توبيخ وتقرير (قوله اتخذوه) كرره لمزيد التشنيع عليهم (قوله وكانوا ظالمين) أى أنفسهم أشد الظلم حيث عبدوا غير الله (قوله ولما سقط في أيديهم) فعل مبنى للجهول والجار والمجرور نائب الفاعل وقرئ: شدودا بالبناء للفاعل فالفاعل ضمير يعود على الندم وقرئ: شدودا أيضا أسقط بضم المهملة والضمير عائد على الندم والأصل على القراءة السبعية سقطت أفواههم على أيديهم ففى بمعنى على وذلك من شدة الندم فإن العادة أن الانسان إذا ندم على شئ أعرض بضمه على يده فسقوط الفم على اليد لازم للندم فأطاق اللزوم وأريد اللزوم على سبيل الكناية ولم تعرف هذه الكناية فى لغة العرب إلا فى القرآن (قوله ورأوا) الجملة حالية (قوله وذلك) أى الندم (قوله بعد رجوع موسى) أى وإنما قدم ليتصل ما قالوه بما فعلوه (قوله لنن لم يرحمنا ربنا الخ) فيها قراءتان سبعيتان بالياء والتاء فعلى قراءة الياء يكون ربنا مرفوعا على الفاعلية وعلى قراءة التاء يكون منصوبا على النداء (قوله ولما رجع موسى) أى من النجاة (قوله غضبان) أى لما فعلوه (٩٢) من عبادة العجل وقد أخبره بذلك الولي حيث قال له كما فى طه فانا قد

فتنا قومك من بصدك الآية (قوله أسفا) حال وكذا غضبان فتكون حالامتداخلة (قوله بلما) خلقتموني بلس فعل ماض لانشاء القدم وما تميز وقيل فاهل وجمله خلقتموني صفة لما والمخصوص بالندم محذوف قدره المفسر بقوله خلافتكم هذه والمعنى بلس خلافة خلقتمونيها خلافتكم هذه (قوله من بعدى) متعلق بخلفتموني (قوله أمجلمتكم) أمر ربكم أى تركتموه غير تام على تضمين عجل

بدل لما ودما (لَهُ خُورًا) أى صوت يسمع اقلب كذلك بوضع التراب الذى أخذه من حافر فرس جبريل فى فمه فإن أثره الحياة فيما بوضع فيه ومفعول اتخذ الثانى محذوف أى إلها (أَلَمْ يَرَوْا أَنَّهُ لَا يُكَلِّمُهُمْ وَلَا يَهْدِيهِمْ سَبِيلًا) فكيف يتخذ إلها (أَتُخَذُوا) إلها (وَكَانُوا ظَالِمِينَ) باتخاذ (وَكَمَا سَقَطَ فِي أَيْدِيهِمْ) أى ندموا على عبادته (وَرَأَوْا) علما (أَنَّهُمْ قَدْ ضَلُّوا) بها وذلك بعد رجوع موسى (قَالُوا لَنْ لَمْ يَرْحَمْنَا رَبُّنَا وَيَغْفِرْ لَنَا) بالياء والتاء فيهما (لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ) وَلَمَّا رَجَعَ مُوسَى إِلَى قَوْمِهِ غَضْبَانَ (من جنتهم (أَصِفًا) شديد الحزن (قَالَ) لهم (بَشَرًا) أى نفس خلافة (خَلَقْتُمُونِي) ها (مِنْ بَدْنِي) خلافتكم هذه حيث أشركتم (أَمْجَلْتُمْ أَمْرَ رَبِّكُمْ وَأَلْقَى الْأَلْوَابَ) ألواح التوراة غضبا لربه فتكسرت (وَأَخَذَ بِرَأْسِ أَخِيهِ) أى بشعره يمينه ولحيته بشماله (يَجْرُهُ إِلَيْهِ) غضبا (قَالَ) يا (أَبْنَاءَ أُمَّ) بكسر اللهم وفتحها أراد أى وذكرها أعطف لقلبه (إِنَّ الْقَوْمَ اسْتَضَفُّونِي وَكَادُوا) قاربوا (يَقْتُلُونَنِي فَلَا تُشْمِتْ) تفرح (بِإِيَّائِي الْأَعْدَاءَ) ياهانتك إياى (وَلَا تَجْعَلْنِي مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ) بعبادة العجل فى الواخنة ،

معنى سبق أول المعنى أمجلمتكم وعد ربكم الذى وعدنيه من الأرباب وقد رمت موتى وغرمت بدنى كما غرمت الأمم بعد (قال) أنبيائهم (قوله وألقى الألواح) أى وكان حاملها (قوله فتكسرت) هذا أحد الأقوال وقيل إنه تكسر البعض وبقى البعض وقيل المراد بالقائها وضعها ليتفرغ لمسألة أخيه فلما فرغ أخذها بعينها ولم يذهب منها شئ كما حققه زاده على البيضاوى (قوله أى بشعره يمينه) أشار بذلك إلى أن الكلام على حذف مضاف (قوله يجره إليه) حال من فاعل أخذ (قوله بكسر اللهم وفتحها) أى فهما قراءتان سبعيتان فأما قراءة الفتح فعند البصريين مبنى على الفتح لتركبه تركب خمسة عشر وعند الكوفيين ابن منادى منصوب بفتحة ظاهرة وهو مضاف لأم مجرور بكسرة مقصورة على ما قبل ياء التكلم المنقلبة ألفا المحذوفة للتخفيف وبقيت الفتحة لتدل عليها وأما على قراءة الكسر فعند البصريين هو منادى مضاف لياء التكلم المحذوفة تخفيفا فهو كسر بناء وعند الكوفيين كسرة إعراب وحذف الياء اكتفاء بالكسرة (قوله وذكرها أعطف) جواب عما يقال إن هرون شقيق موسى فلم اقتصر فى خطابه على الأم وكان هرون كثير الحلم محببا فى بنى إسرائيل وهو أكبر من موسى ثلاث سنين (قوله وكادوا يقتلونى) أى بذلت وسى فى نصيحتهم حتى قهروني وقاربوا قتلى (قوله فلا تشمت فى الأعداء) الشهامة فرح العدو بما ينال الشخص من الكروه .

قوله قال رب اغفر لي) أى لما تبين له عذر أخيه جمعه معه في الدعاء استعطافاً وإرضاء له (قوله إن الدين اتخذوا العجل) أى وكانوا ستمائة ألف وثمانية آلاف وبقى اثنا عشر ألفاً لم يعبدوه لأن جملة من عبى البحر مع موسى ستمائة ألف وعشرون ألفاً (قوله إلها) قدره إشارة إلى أن مفعول اتخذوا محذوف (قوله سينالهم) الاستقبال بالقسبة لخطاب موسى به وأما بالنسبة لنزوله على نبينا فهو ماض (قوله رجعوا عنها) أى عن السيئات التى منها عبادة العجل (قوله ولما سكنت عن موسى الغضب) أى بمراجعة هرون له حيث أنان له الكلام واعتذر له وفي الكلام استعارة بالسكناء حيث شبه الغضب بأمر قام على موسى فأمره بالقاء الألواح والأخذ برأس أخيه وطوى ذكر المشبه به ورمز له بجى من لوازمه وهو السكوت فإثباته تخيل وفي السكوت استعارة تبعية حيث شبه السكون بالسكوت واستعير اسم المشبه به للمشبه واشتق من السكوت سكوت بمعنى سكن على طريق الاستعارة التصريحية التبعية وما وقع من موسى عليه السلام من الغضب ليس ناشئاً عن سوء خلق وعدم حلم وإنما هو غضب لانتهاك حرمة الله ولا ينافي الحلم قال بعضهم :

إذا قبل حلم قل فالحلم موضع وحلم الفتى في غير موضعه جيل

وما قيل إن موسى لما كان قليل الحلم أمره الله بإلانة الكلام لفرعون حيث (٩٣) قال له فقولا له قولاً ليناً ومحمد

عليه السلام لما كان كامل الحلم أمره الله بالاغلاظ على الكفار حيث قال واغلاظ عليهم فهو باطل لا أصل له وإنما الذى يقال إن كلا كامل في الحلم وكلا مأمور بالإلانة أولاً فإذا تقرر الدين وثبت وأمروا بالجهاد أمروا بالاغلاظ هذا هو الحق ومن نى عن أحد منهم الحلم فقد كفر (قوله وفي نسختها) أى كتابتها وتسميتها نسخة باعتبار كتابتها

(قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي) مَا صَنَعْتُ بِأَخِي (وَلِأَخِي) أَشْرَكَ فِي الدَّعَاءِ إِرْضَاءً لَهُ وَدَفْعاً لِّلشَّيْءِ بِهِ (وَأَدْخَلْنَا فِي رَحْمَتِكَ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ) قَالَ تَعَالَى (إِنَّ الَّذِينَ اتَّخَذُوا الْعِجْلَ) الْإِلَهَاءَ (سَيَنَالُهُمْ غَضَبٌ) عَذَابٌ (مِنْ رَبِّهِمْ وَذِلَّةٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا) فَمَذَبُوا بِالْأَمْرِ بِقَتْلِ أَنْفُسِهِمْ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ (وَكَذَلِكَ) كَمَا جَزَيْنَاهُمْ (نَجْزِي الْمُفْتَرِينَ) عَلَى اللَّهِ بِالْإِشْرَافِ وَغَيْرِهِ (وَالَّذِينَ عَمِلُوا السَّيِّئَاتِ ثُمَّ تَابُوا) رَجَعُوا عَنْهَا (مِنْ بَعْدِهَا وَآمَنُوا) بِاللَّهِ (إِنَّ رَبَّكَ مِنْ بَعْدِهَا) أَى التَّوْبَةِ (لَغَفُورٌ) لَهُمْ (رَحِيمٌ) بِهِمْ (وَلَمَّا سَكَتَ) سَكَنَ (عَنْ مُوسَى الْغَضَبَ أَخَذَ الْأَلْوَابَ) الَّتِي أَلْقَاهَا (وَفِي نَسَخَتِهَا) أَى مَا نَسَخَ فِيهَا أَى كَتَبَ (هُدًى) مِنَ الضَّلَالَةِ (وَرَحْمَةً لِّلَّذِينَ هُمْ لِرَبِّهِمْ يَرْتَابُونَ) يَخَافُونَ وَأَدْخَلَ الْإِلَاحَ عَلَى الْمَعْمُولِ لَتَقْدَمَهُ (وَأَخْتَارَ مُوسَى قَوْمَهُ) أَى مِنْ قَوْمِهِ (سَبْعِينَ رَجُلًا) مِمَّنْ لَمْ يَعْبُدِ الْعِجْلَ بِأَمْرِ تَعَالَى (لِيُمَيِّقَآنَا) أَى لِنُفَرِّقَ الَّذِي زَعَدَنَاهُ بِإِتْيَانِهِمْ فِيهِ لِيَعْتَذَرُوا مِنْ عِبَادَةِ أَجْنَابِهِمُ الْعِجْلَ فُجِرَ بِهِمْ (فَلَمَّا أَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ) الزَّلْزَلَةُ الشَّدِيدَةُ قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ لَأَنَّهُمْ ،

من اللوح المحفوظ وهذا على ما قاله زاده من أن الألواح لم تتكسر وأما على ما قاله ابن عباس من أنها تكسرت فصام موسى أربعين يوماً فردت عليه في لوحين فمعنى قوله وفي نسختها أى ما نسخ من الألواح التى كسرت في ألواح أخر فتسميتها نسخة ظاهر لأن نسخ الشيء نقله (قوله للذين هم لربهم يرهبون) أى وأما لغيرهم فليس فيه هدى ورحمة وإنما هو وبال وخسران فهى نظير القرآن مع المؤمنين والمنافق قال تعالى فأما الذين آمنوا فزادتهم إيماناً وهم يستبشرون وأما الذين في قلوبهم مرض فزادتهم رجساً إلى رجسهم وماتوا وهم كافرون (قوله وأدخل اللام على المفعول لتقدمه) أى فضعف عن العمل فقوى باللام والمعنى للذين هم يخافون ربهم أى يخافون عقابه (قوله أى من قومه) أشار بذلك إلى أن قوله من قومه مفعول ثان مقدم منصوب بزرع الخافض والمفعول الأول قوله سبعين (قوله سبعين رجلاً) أى من شيوخهم روى أنه لم يجد إلا ستين شيخاً فأوحى الله إليه أن يختار من الشباب عشرة فاخترهم فأصبحوا شيوخاً فأمرهم موسى عليه السلام أن يصوموا ويتطهروا ويظهروا ناسبهم ثم خرج بهم إلى الليقات وهو طور سيناء فلما دنا موسى من الجبل وقع عليه عمود من النمام حتى أحاط بالجبل ودخل موسى فيه وقال للقوم ادنوا فدنوا حتى دخلوا في النمام ووقعوا سجداً وسمعوا الله وهو يكلم موسى يأمره وينهاه فلما انكشف النمام أقبلوا على موسى وقالوا لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة فأخذتهم الصاعقة وهى المائدة بالرجفة هنا وماتوا يوماً وليلة وسبب أخذ الصاعقة لهم سؤالهم الرؤية وهذا قول غير ابن عباس وقال ابن عباس إن السبعين الذين سألوها الرؤية غير السبعين

الذين ذهبوا للشفاعة فأدلى أخذتهم الصاعقة بسبب سؤالهم الرؤية والثانية أخذتهم الرجفة بسبب معاشرتهم لمن عبدوا العجل وسكوتهم عليهم وإلى هذا القول يشير للفسر بقوله قال وهم غير الذين سألو الرؤية الخ (قوله لم يزايلوا) أى لم يفارقوا قومهم (قوله وهم غير الذين سألو الرؤية) أى لأنهم لم يكونوا في ذلك البعاد بل كانوا مع موسى حين أخذ التوراة فلما سمعوا كلام الله لموسى أقبلوا عليه وقالوا أرونا الله جهره فأخذتهم الصاعقة (قوله لو شئت أهلكتهم) مفعول المشيئة محذوف تقديره إهلاكهم (قوله استغفاهم استعطاف) أى طلب العطف والرحمة من الله (قوله ابتلاؤك) أى اختبارك ليتين الطيع من العاصي (قوله وأنت خير الغافرين) اسم التفضيل ليس على بابة أو على بابة باعتبار أن الغفر ينسب لغيره تعالى لكونه سببا وهو الغافر الحقيقي (قوله واكتب) أى حقق وأثبت وهذا من جملة دعاء موسى فأوله أنت ولينا وآخره إنا هدا إليك وحيتذ فلا ينبغي جعل قوله واكتب لنا أول الربع (قوله في هذه الدنيا حسنة) أى ما محمد عاقبته كالعاقبة والإيمان والعرفة وقوله وفي الآخرة حسنة أى وهى الجنة وما احتوت عليه من اللقاء والمهادنة (قوله إنا هدا إليك) استئناف مسوق لتعليل الدعاء أى لأننا هدا إليك أى رجعنا من هاد يهود إذا رجع ولذلك سميت اليهود بذلك وكان اسم مدح قبل نسخ شريعتهم وبعد ذلك صار ذما (قوله قال عذابي) جواب من الله لموسى (قوله أصيب به من أشاء) أى في الدنيا كقتل الذين عبدوا العجل أنفسهم وفي الآخرة بالنار لمن كفر (قوله) (٩٤) ورحمى وسعت كل شئ) ورد أنه لما نزلت هذه الآية فرح إبليس وقال قد

دخلت في رحمة الله فلما نزل فسا كتبها الخ أيس من ذلك وفرحت اليهود وقالوا نحن من المتقين الذين يؤتون الزكاة المؤمنين فأخرجهم الله منها وأبنتها لهذه الأمة بقوله الذين يتبعون الرسول الخ (قوله في الدنيا) أى فامن مسلم ولا كافر ولا مطيع ولا عاص إلا وهو متقلب في الرحمة (قوله فسا كتبها) أى أبنتها

لم يزايلوا قومهم حين عبدوا العجل قال وهم غير الذين سألو الرؤية وأخذتهم الصاعقة (قال) موسى (رَبِّ لَوْ شِئْتَ أَهْلَكْتَهُمْ مِنْ قَبْلُ) أى قبل خروجي بهم ليعاين بنو إسرائيل ذلك ولا يتهمنى (وَإِيَّايَ أَهْلَكُنَا بِمَا عَمَلْنَا السُّفَهَاءَ مِنَّا) استغفاهم استعطاف أى لاتعذبنا بذنب غيرنا (إِنْ) ما (هِيَ) أى الفتنة التى وقعت فيها السفهاء (إِلَّا فِتْنَتُكَ) ابتلاؤك (تُضِلُّ بِهَا مَنْ تَشَاءُ) إضلاله (وَتَهْدِي مَنْ تَشَاءُ) هدايته (أَنْتَ وَلِيْنَا) متولى أمورنا (فَاغْفِرْ لَنَا وَأَرْحَمْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الْغَافِرِينَ . وَأَكْتُبْ) أوجب (لَنَا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ) حسنة (إِنَّا هُدْنَا) تبنا (إِلَيْكَ قَالَ) تعالى (عَذَابِي أَصِيبُ بِهِ مَنْ أَشَاءُ) تعذيبه (وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ) عمت (كُلَّ شَيْءٍ) فى الدنيا (فَسَا كُتِبَهَا) فى الآخرة (لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالَّذِينَ هُمْ بِآيَاتِنَا يُؤْمِنُونَ . الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ) محمدا صلى الله عليه وسلم (الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ) باسمه وصفته ،

(قوله للذين يتقون) أى يتشاولون الأوامر ويحجتبون النواهي (قوله ويؤتون الزكاة) يأمروهم

خصها بالذكور لمشتقتها على النفوس من حيث إن المال محبوب (قوله الذين يتبعون الرسول) أى بالإيمان به بعد بعثته والعمل بشريعته ورد أن الله قال لموسى أجعل لك الأرض مسجدا وطهورا تصلون حيث أدركتكم الصلاة وأجعلكم تقرأون التوراة عن ظهر قلب يحفظها الرجل والمرأة والحر والعبد والصغير والكبير فقال موسى ذلك لقومه فقالوا لا نريد أن نصلى إلا فى الكنائس ولا نستطيع أن نقرأ التوراة عن ظهر قلب ولا نقرأها إلا نظرا قال فسا كتبها إلى قوله هم المفلحون فجعل هذه الأمور لهذه الأمة (قوله الأمي) أى الذى لا يقرأ ولا يكتب نسب إلى الأم لأنه باق على حاله الذى ولد عليها أولا ثم القرى وهى مكة لكونه ولدها (قوله باسمه وصفته) أى من كونه محمدا ولد بمكة وهاجر إلى المدينة يقبل الهدية ويرد الصدقة وهكذا من أوصافه وأخلاقه العظيمة قال الخبيس فى تاريخه : إن محمدا مذكور فى التوراة باللغة السريانية بلفظ المنحمن بضم الميم وسكون النون وفتح الحاء وكسر الميم الثانية وبعدها نون مشددة بعدها ألف ومعناه محدود كرا الحسن عن كعب الأحبار أن اسم النبي صلى الله عليه وسلم عند أهل الجنة عبد الكريم وعند أهل النار عبد الجبار وعند أهل العرش عبد المجيد وعند سائر الملائكة عبد الحميد وعند الأنبياء عبد الوهاب وعند الشياطين عبد القاهر وعند الجن عبد الرحيم وفى الجبال عبد الخالق وفى البر عبد القادر وفى البحر عبد المهيمن وعند النجوم عبد الغياث وعند الوحوش عبد الرزاق وفى التوراة مودمود وفى الإنجيل طاب طاب وفى الصحف عاقب وفى الزبور فاروق وعند الله طه ومحمد صلى الله عليه وسلم اه بحروفه

(قوله بأمرهم بالمعروف الخ) هذا وما بعده إلى المفلحون من جملة أوصافه المكتوبة في التوراة والأنجيل (قوله عما حرم في شرعهم) أى وحى لحوم الابل وشحم النعم واللمز والبقر (قوله من الميتة ونحوها) أى كالمم ولحم الخنزير (قوله كقتل النفس) أى وتعيين القصاص في القتل وتحريم أخذ الدية وترك العمل يوم السبت وكون صلاتهم لا تجوز إلا في الكنائس ونحو ذلك من الأمور الشاقة التي كلفوا بها وتسميتها أغلالا مجاز لأن التحريم يمنع من الفعل كما أن الأغلال تمنع منه (قوله وقرؤه) أى عظموه (قوله ونصروه) أى أيدوه (قوله الذي أنزل معه) أى مقارنا لزمانه ومصحوبا به (قوله أى القرآن) تفسير للنور مى القرآن بذلك لأنه ظاهر في نفسه مظهر لغيره يهدي من الضلال المعنوي كما أن النور يهدي من الضلال الحسي (قوله أولئك هم المفلحون) أى الموصوفون بهذه الصفات فائزون ظافرون بالنجاة من الأهوال دنيا وأخرى (قوله قل يا أيها الناس) أى بهذه الآية دفعا لما يتوهم أن الفوز مخصوص بمن تبعه من أهل الكتابين فأفاد هنا أن الفوز ليس قاصرا عليهم بل كل من تبعه حصل له الفوز كان من أهل الكتابين أولا والناس اسم جنس واحد إنسان (قوله جميعا) حال من ضمير إليكم (قوله الذي له ملك السموات) يصح رفع الذي ونصبه على أنه نعت مقطوع وجره على أنه نعت متصل وقوله له ملك السموات والأرض صلة الموصول لأجل لها من الاعراب وقوله لا إله إلا هو بيان للصلة وقوله يحيي ويميت بيان لقوله لا إله إلا هو فكل واحدة من هذه الجمل كالدليل لما قبلها ولا عمل لكل من الاعراب لأن الصلة (٩٥) لأجل لها فكذا مبنيها (قوله

فآمنوا بالله) تنزيح على ما تقدم أى حيث علمت من محمدا مرسل لجميع الناس وأن الله له ملك السموات والأرض لا إله إلا هو يحيي ويميت وجب عليكم الإيمان بالله ورسوله وفيه التفات من التكلم للغبية ونكتته التوطئة للاتصاف بقوله النبي الأئمة الخ (قوله الذي يؤمن بالله وكتابه) أى لأنه مرسل لنفسه (قوله

(يَأْمُرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ) مما حرم في شرعهم (وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ) من الميتة ونحوها (وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ) ثقلهم (وَالْأَغْلَالَ) الشدائد (الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ) كقتل النفس في التوبة وقطع أثر النجاسة (فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ) منهم . (وَعَزَّزُوا) وقرؤه (وَنَصَرُوهُ) وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنْزِلَ مَعَهُ) أى القرآن (أُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ) قل خطاب للنبي صلى الله عليه وسلم (يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَكَلِمَاتِهِ) القرآن (وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ) ترشدون (وَمِنْ قَوْمٍ مُوسَى أُمَّةٌ) جماعة (يَهْتَدُونَ) الناس (بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ) في الحكم (وَقَطَعْنَاهُمْ) فرقنا بني إسرائيل (اثْنَتَيْ عَشْرَةَ) حال (أَسْبَاطًا) بدل منه أى قبائل (أُمَمًا) بدل مما قبله (وَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى إِذِ اسْتَسْقَاهُ قَوْمُهُ) في التيه (أَنْ أَضْرِبَ بِمِصْرِكَ الْحَجَرِ) فاضربه (فَأَنْبَجَسَتْ) انفجرت (مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا) بعدد الأسباط

لحكم تهتدون) أى تفلحون والترجي في القرآن بنزلة التحقيق فهو بمعنى قوله فيما سبق أولئك هم المفلحون (قوله ترشدون) من باب تعب ونصر (قوله ومن قوم موسى أمة) استئناف مسوق لدفع توهم أن قوم موسى لم يحصل لهم هدى بل استمروا على ضلالهم فدفع ذلك بأن بعضهم آمن بالنبي صلى الله عليه وسلم وهم شذمة قليلة كعبد الله بن سلام وأضرابه (قوله وقطعناهم) الماء مفعوله واثنتي عشرة حال وأسباطا بدل كما قال الفسر وتمييز العدد محذوف تقديره فرقة ويصح أن قطع بمعنى صبر فالهاء مفعول أول واثنتي عشرة مفعول ثان وأسباطا بدل وسبب تفرقهم كذلك أن أولاد يعقوب كانوا كذلك فكل سبط ينتمي لواحد منهم والأسباط جمع سبط وهو ولد المرادف للحفيد هكذا في كتب اللغة وتفرقة بعض العلماء بين السبط والحفيد بأن السبط ولد البنت والحفيد ولد المرادف اصطلاح (قوله أى قبائل) أى كالتقبائل في التفرق والتعدد (قوله بدل مما قبله) أى فهو بدل من البديل (قوله وأوحينا إلى موسى) أى حيث أمر بقتال الجبارين هو ومن معه من بني إسرائيل ونقب عليهم اثني عشر نقيباً وأرسلهم يأتون له بأخبار الجبارين فاطلعوا على أوصاف مهولة لهم فرجعوا وأخبروا موسى عليه السلام فأمرهم بالكم عن قومهم فخانوا إلا اثنين منهم يوشع وكالب فجنبوا الحرم الله عليهم دخول القرية أربعين سنة يتيهون في الأرض فلما طالت عليهم المدة في التيه عطشوا فطلبوا منه السقيفا فداها موسى فأمره بضرب الحجر بعصاه وهذا الحجر هو الذي فرّش به حين اتهموه بالآخرة خفيف مربع كراس الرجل (قوله فانبجست) أى انفجرت .

(قوله مخرجهم) أى عيّنهم الخاصة بهم (قوله وظللنا عليهم الغمام) أى السحاب يسر يسرهم ويخفى لهم بالليل يسرون بضوئه (قوله الترنجيبين) هو شئء حلو كان ينزل عليهم مثل الثلج من الفجر إلى طلوع الشمس فيأخذ كل إنسان صاعا (قوله والطير السمانى) أى فكانت ريح الجنوب تسوقه إليهم فيأخذ كل منهم ما يكفيه (قوله مارزقناكم) أى وهو المن والسوى (قوله وماظلمونا) أى لم يسل لنا منهم ظلم بفعلهم ذلك فان ذلك مستحيل (قوله واذكر) خطاب للنبي صلى الله عليه وسلم (قوله واذا قيل لهم) أى بعد خروجهم من التيه (قوله بيت المقدس) وقيل أريحا وقد ذكر القولين في البقرة فعلى الأول يكون القائل الله على لسان موسى وهم في التيه وعلى الثانى يكون على لسان يوشع وهو المعتمد كما تقدم في البقرة (قوله وقولوا حطة) قدر المفسر أمرنا إشارة إلى أن حطة خبر لمحدوف ومعنى أمرنا حطة أى طلبنا حطة الذنوب ومغفرتها (قوله سجود انحنا) أى فالمراد السجود اللغوى بأن يكونوا على هيئة الراكعين (قوله بالنون والتاء) أى فهما قراءتان سبعيتان ولكن على النون يقرأ خطايا وخطيئات وعلى التاء يقرأ خطيئاتكم وخطيئتك بالجمع والافراد فالقراآت أربع (قوله قولوا غير الذى قيل لهم) أى وفعلنا غير ماأمروا به (قوله فقالوا حبة الخ) يحتمل أنه مجرد هذيان قصدوا به إغاطة موسى ويحتمل أن يكون له معنى صحيح كأنهم قالوا مطلوبنا حبة يعنى قمح في زكائب من شعرة وقد تقدم بسطه في البقرة (قوله على أستاذهم) جمع سته وهو الدبر (قوله عذابا) أى وهو (٩٦) الطاعون ومات منهم في وقت واحد سبعون ألفا (قوله بما كانوا

يظلمون) أى بسبب ظلمهم وقد غارت هذه القصة مافى البقرة من عشرة أوجه قد تقدمت مفصلة فراجع إن شئت (قوله واسألهم) أى اليهود الذين في المدينة وسبب نزولها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يربح اليهود على كفرهم ويقول لهم أتم قد تبعتم أصولكم في الكفر بأنبياهم فكانوا يقولون إن أصولنا لم تقع

(قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ) سبط منهم (مَشَرَبَهُمْ) وَظَلَّلْنَا عَلَيْهِمُ الْغَمَامَ) فى التيه من حر الشمس (وَأَنْزَلْنَا عَلَيْهِمُ الْمَنَّاءَ وَالسَّلْوَى) هما الترنجيبين والطير السمانى بتخفيف الميم والقصر وقلنا لهم (كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَمَا ظَلَمُونَا وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ .) (وَاذْكُرْ) (إِذْ قِيلَ لَهُمْ اسْكُنُوا هَذِهِ الْقَرْيَةَ) بيت المقدس (وَكُلُوا مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ وَقُولُوا) أمرنا (حِطَّةٌ) وَأَدْخُلُوا الْبَابَ) أى باب القرية (سُجَّدًا) سجود انحنا (تَغْفِرُ) بالنون والتاء مبنيا للمفعول (لَكُمْ) خطاياكم (سَتَرِيدُ الْمُحْسِنِينَ) بالطاعة نوابا (فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ قَوْلًا غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ) فقالوا حبة فى شعرة ودخلوا يزحفون على أستاذهم (فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِجْزًا) عذابا (مِنْ السَّمَاءِ) بما كانوا يظلمون . (وَشَلَّلَهُمْ) يا محمد توبيخا (عَنِ الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَتْ حَاضِرَةَ الْبَحْرِ) محاورة لبحر القلزم وهى أيلة ماوقع بأهلها (إِذْ يَمْدُونُ) يعتدون (فِي السَّبْتِ) بصيد السمك للمأمرين بتركه فيه (إِذْ) ظرف ليعدون (تَأْتِيهِمْ حِيتَانُهُمْ يَوْمَ سَبْتِهِمْ شُرَّعًا) ظاهرة على الماء .

منهم مخالفة لربهم ولا كفر بأنبياهم وكانوا يعرفون لموقع هذه القرية ويخفونه ويعتدون أنه لا علم لأحد غيرهم به فزلت الآية فقصها رسول الله عليهم فبهتوا . إن قلت إن السورة مكية وهذا خطاب لأهل المدينة فالجواب أنها مكية ماعدا تلك الآيات الثمانية التى أولها واسألهم الخ فانها مدنية كما تقدم (قوله توبيخا) أى وتقريرا وتبكيئا (قوله عن القرية) أى أهلها (قوله مجاورة لبحر القلزم) أى عند العقبة بجانب القلعة (قوله إذ يعدون) أى يعتدون الحدود وكانوا فى زمن داود عليه السلام وسبب نهيهم عن الصيد يوم السبت أن الله أمرهم على لسان داود أن يتخذوا يوم الجمعة عيدا ينقطعون فيه لعبادة الله ففكر هو ذلك واختاروا السبت ومعناه فى اللغة القطع فهو إشارة إلى أنهم منقطعون عن كل خبر فلما شددوا امتحنهم الله بأن حرم عليهم سيد السمك يوم السبت وأجله لهم باقى الأسبوع فكانوا يوم السبت يجدون السمك مترا كما وباقى الجمعة لم يجدوا منه شيئا ثم إن إبليس علمهم أن يصنعوا جداول حول البحر يوم السبت فإذا جاء العصر ومثلت الجداول بالسمك سدوا عليه وأخذوه يوم الأحد فافتقرت القرية ثلاث فرق وكانوا سبعين ألفا ففرقة اصطادت وفرقة نتهتهم وضربوا بينهم وبينهم سورا وفرقة لم تصد ولم تنه فبعد أيام قلائل مسخ من اصطاد قرده وخنازير وأمكنوا ثلاثة أيام وماتوا وأنجى الله الفرقة الناهية والفرقة الثالثة وقع فيها خلاف بالانجاء والاهلاك والصحيح نجاتهم (قوله حيتانهم) جمع حوت وأصل حيتان حوتان وقت الوار ساكنة بعد كسرة قلبت ياء (قوله شرعا) حل من فاعل تأتيتهم أى قرية من الساحل .

(ويوم

(قوله ويوم لا يثبتون) أى لا يكون يوم السبت ، والمعنى تأنيهم حينئذ يوم السبت ظاهرة وغير يوم السبت لآثامهم ، ولما كانت العبارة موهمة قال المفسر أى سائر الأيام أى باقيا (قوله ابتلاء من الله) علة لقوله تأنيهم وقوله لآثامهم (قوله كذلك) أى الابتلاء للتقدم (قوله بما كانوا يفسقون) أى يتجاوزون الحد (قوله ثلث صادوا معهم) المناسب حذف قوله معهم (قوله عطف على إذ قبله) أى وهو إذ يعدون (قوله لم تعظون قوما) إما قصدوا بذلك اليوم على الناهين حيث وعظوم فلم يقبلوا منهم (قوله أو معذبهم عذابا شديدا) أو مائة خلق تجوز الجمع ، والمعنى مهلكهم في الدنيا ومعذبهم في الآخرة (قوله قالوا معذرة) قتر المفسر موعظتنا إشارة إلى أن معذرة خبر لمحذوف وفي قراءة بالنصب على المفعول من أجله أى وعظناهم لأجل المعذرة (قوله لثلاثا نسب إلى تقصير) أشار بذلك إلى أن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر واجب عليهم ، ولذا ورد أنه جمع عليه في جميع الشرائع (قوله ولعلهم يتقون) إشارة إلى أنهم ظانون إفادة الوعظة وهو عطف على المعنى إذ التقدير موعظتنا للاعتذار ولعلهم يتقون (قوله فلما نسوا ما ذكروا به) في الكلام (٩٧) حذف دل عليه قوله : أنجبنا الذين

ينهون الخ والتقدير فلما ذكر من تذكر ونسى من نسي أنجبنا الخ (قوله بئس) فعل من بؤس إذا اشتد وقرئ بئس على وزن ضميم وبئس بكسر الباء وسكون الهمزة أو قلبها ياء ويس بفتح الباء وتشديد الياء مكسورة ويس بفتح الباء وسكون الياء وبئس على وزن فاعل هكذا في البيضاوي وليست كلها سبعة (قوله كونوا) أمر تكوين لا قول فهو كناية عن سرعة التصيير إذ لا يكلف الشخص إلا بما يقدر عليه وكونهم قردة

(وَيَوْمَ لَا يَنْتَبِهُونَ) لَا يَعْظُمُونَ السبت أى سائر الأيام (لَا تَأْنِيهِمْ) ابتلاء من الله (كَذَلِكَ نَبَلَّوهُمْ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ) ولما صادوا السك افتقرت القرية أثلاثا ثلث صادوا معهم وثلث نهوم وثلث أمسكوا عن الصيد والنهي (وَإِذْ) عطف على إذ قبله (قَالَتْ أُمَةٌ مِنْهُمْ) لم تصد ولم تنه لمن نهى (لَمْ تَعْظُونْ قَوْمًا اللَّهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا قَالُوا) موعظتنا (مَعْذِرَةٌ) نعتذر بها (إِلَى رَبِّكُمْ) لثلاثا نسب إلى تقصير في ترك النهي (وَلَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ) الصيد (فَلَمَّا نَسُوا) تركوا (مَا ذُكِّرُوا) وعظوا (بِهِ) فلم يرجعوا (أُنْجَيْنَا الَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ الشُّؤْءِ وَأَخَذْنَا الَّذِينَ ظَلَمُوا) بالاعتداء (بِمَذَابٍ بئس) شديد (بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ . فَلَمَّا عَتَوْا) تكبروا (عَنْ) ترك (مَا هُوَ عَنْهُمْ قُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ) صاغرين فكانوا وهذا تفصيل لما قبله قال ابن عباس ما أدرى ما فعل بالفرقة الساكنة وقال عكرمة لم تهلك لأنها كرهت ما فعلوه وقالت لم تعظون الخ وروى الحاكم عن ابن عباس أنه رجع إليه وأعجبه (وَإِذْ تَأَذَّنَ) أعلم (رَبُّكَ لِيُنْفِثَ رِيحًا مِنْهَا) أى اليهود (إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ يَسُومُهُمْ سُوءَ الْعَذَابِ) بالذل وأخذ الجزية فبعث عليهم سليمان بعده بمختصر قتلهم وسبام وضرب عليهم الجزية فكانوا يؤدونها إلى الجوس إلى أن بعث نبينا صلى الله عليه وسلم فضربها عليهم (إِنْ رَبُّكَ لَتَسْرِيعُ الْعِقَابِ) لمن عصاه (وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ) لأهل طاعته (رَحِيمٌ) بهم .

ليس في طاعتهم (قوله فكانوا) أى قردة ، وقيل إن شبابهم مسخوا قردة وشيوخهم خنازير ، وقيل إن الذين مسخوا خنازير هم أصحاب السائدة (قوله وهذا) أى قوله فلما عتوا تفصيل لما قبله وهو قوله : وأخذنا الذين ظلموا الخ (قوله لأنها كرهت ما فعلوه) أى فهي داخله تحت قوله : أنجبنا الذين يهون عن السوء فهي وإن لم تنه صريحا لكنها نهت ضمنا (قوله أنه رجع إليه) أى إلى قول عكرمة (قوله وإذ تأذن) إذ ظرف لمحذوف تقديره اذكر وقت إذ تأذن (قوله أعلم) مفعوله محذوف والتقدير أعلم ربك أسلافهم (قوله ليعنفن) أى ليسلطن عليهم (قوله من يسومهم) أى يذيقهم (قوله بمختصر) علم مركب تركيبا مزجيا كجعلك فاعرابه على الجزء الثانى والأول ملازم للفتح وهو غير منصرف للعلمية والتركيب المزجى ، وبخت معناه فى الأصل ابن نصر اسم صنم ، سعى بذلك لأنه وجد وهو صغير مطروحا عند ذلك الضم (قوله وسبام) أى سبى نساءهم وصغارهم (قوله وضرب عليهم الجزية) أى على من لم يقاتل منهم (قوله فضربها عليهم) أى ولا تزال كذلك إلى نزول عيسى فلا يقبل منهم إلا الاسلام (قوله إن ربك لمرسيع العقاب) أى إذا تعلق إرادته به ولا فهو واسع الحلم .

(قوله وقطعناهم) أي بنى إسرائيل الكائنين قبل زمن النبي صلى الله عليه وسلم (قوله ومنهم ذون ذلك) قسّر الفسرناس إشارة إلى أن دون نمت لمنعوت محذوف وهو كثير إذا كان التفصيل بمن كقولهم : منا ظعن ومنا أقام ، أي منا فريق ظعن ومنا فريق أقام (قوله وبوناهم بالحسنات والسيئات) أي اختبرناهم بالعطايا كالنعم والعافية والبلايا كالنقم والأسقام والشدائد لعلمهم يرجعون عما هم عليه من الكفر والمعاصي إلى طاعة ربهم فلم يرجعوا (قوله غلف من بعدهم خلف) بسكون اللام للشيء وفتحها للخبر يقال خلف سوء وخلف صالح وهذه صفة من كان في زمن النبي صلى الله عليه وسلم إثر بيان صفات أسلافهم (قوله التوراة) أشار بذلك إلى أن آل في الكتاب للعهد (قوله عن آبائهم) أي أسلافهم سواء كانوا صلحاء أولا (قوله عرض هذا الأدنى) معى عرضا لتعرضه للزوال ففي الكلام استعارة نصريحية حيث شبه متاع الدنيا بالعرض الذي لا يقوم بنفسه بجامع الزوال في كل واستعير اسم الشبه به للشبه (قوله ويقولون) أي زيادة على طمعهم في الدنيا (قوله سيفعلون) أي لأننا أبناء الله وأحبّاءه وشأن الحبيب أن لا يهذب حبيبه (قوله مصرّون عليه) أي لم يقلعوا عنه فقد طمعوا في المغفرة مع فقد شروطها إذ من أكبر شروطها التندم والإقلاع (قوله ميثاق) (٩٨) الكتاب أي التوراة ، والمعنى أخذ عليهم الميثاق في التوراة أنهم

لا يصحذبون على الله ولا يقولون إلا الحق (قوله إلا الحق) صفة لوصف محذوف مفعول مطلق لقوله أن لا يقولوا والتقدير أن لا يقولوا على الله إلا القول الحق (قوله قلم كذبوا عليه) أي الله (قوله أفلا يعقلون) الهزمة داخلة على محذوف والفاء عاطفة على ذلك المحذوف والتقدير أتركوا التدبر والتفكير فلا يعقلون (قوله بالباء والتاء) أي فهما قراءتان سبعيتان فعلى الباء يكون إخبارا

(وَقَطَعْنَاهُمْ) فَرَقْنَاهُمْ (فِي الْأَرْضِ أُمَمًا) فَرَقَا (مِنْهُمْ الصَّالِحُونَ وَمِنْهُمْ) نَاسٌ (ذُونَ ذَلِكَ) الْكَافِرُونَ وَالْفَاسِقُونَ (وَبَلَّغْنَاهُمْ بِالْحَسَنَاتِ) بِالنَّعَمِ (وَالسَّيِّئَاتِ) النَّقَمِ (لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ) عَنْ فَسَقِهِمْ (فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ وَرِثُوا الْكِتَابَ) التَّوْرَةَ عَنْ آبَائِهِمْ (يَأْخُذُونَ عَرَضَ هَذَا الْأَدْنَى) أَيْ حِطَامَ هَذَا الشَّيْءِ الَّذِي هُوَ أَيْ الدُّنْيَا مِنْ حَلَالٍ وَحَرَامٍ (وَيَقُولُونَ سَيَعْفَرُ لَنَا) مَا فَعَلْنَاهُ (وَإِنْ يَأْتِيهِمْ عَرَضٌ مِثْلُهُ يَأْخُذُوهُ) الْجُمْلَةُ حَالُ أَيْ يَرْجُونَ الْمَغْفِرَةَ وَهُمْ عَائِدُونَ إِلَى مَا فَعَلُوا مَصْرُوعُونَ عَلَيْهِ وَلَيْسَ فِي التَّوْرَةِ وَعْدُ الْمَغْفِرَةِ مَعَ الْإِصْرَارِ (أَلَمْ يَأْخُذْ) اسْتَفْهَامُ تَقْرِيرٍ (عَلَيْهِمْ مِيثَاقُ الْكِتَابِ) الْإِضَافَةُ بِمَعْنَى فِي (أَنْ لَا يَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ وَدَرَسُوا) عَطَفَ عَلَى يَأْخُذْ قَرَأُوا (مَا فِيهِ) فَلَمْ كَذَبُوا عَلَيْهِ بِنِسْبَةِ الْمَغْفِرَةِ إِلَيْهِ مَعَ الْإِصْرَارِ (وَالذَّارُ الْآخِرَةُ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يَتَّقُونَ) الْحَرَامِ (أَفَلَا يَعْقِلُونَ) بِالْبَاءِ وَالتَّاءِ أَنَّهَا خَيْرٌ فَيُؤْتِرُونَهَا عَلَى الدُّنْيَا (وَالَّذِينَ يُمْسِكُونَ) بِالْتَّشْدِيدِ وَالتَّخْفِيفِ (بِالْكِتَابِ) مِنْهُمْ (وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ) كَعَبْدِ اللَّهِ بْنِ سَلَامٍ وَأَحْبَابِهِ (إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ الْمُصْلِحِينَ) الْجُمْلَةُ خَيْرُ الَّذِينَ فِيهِ وَضَعُ الظَّاهِرِ مَوْضِعَ الْمُضْمَرِ أَيْ أَجْرَهُمْ (وَ) اذْكُرْ (إِذْ نَقَعْنَا الْجَبَلَ) رَفَعْنَاهُ مِنْ أَصْلِهِ ،

(فوقهم)

عنهم وعلى التاء يكون خطابا لهم (قوله بالتشديد) أي يمسكون غيرهم بالكتاب

وبدلونه على طريق الهدى (قوله والتخفيف) أي يمسكون بالكتاب بمعنى يهتدون في أنفسهم (قوله منهم) أي من بنى إسرائيل (قوله وأقاموا الصلاة) خصها بالذكر لأنها أعظم أركان الدين بعد التوحيد (قوله وفيه وضع الظاهر موضع المضمرة) أشار بذلك إلى أن الرابط هو لفظ المصلحين لقيامه مقام الضمير على حد قول الشاعر : سعاد اتى أضناك حب سعادا ✽ ونسكتة ذلك الإشارة إلى شرفهم والاعتناء بهم (قوله وإذ تقننا) إذ ظرف معمول المحذوف قدره المفسر بقوله اذكر والمقصود من ذلك الرد على اليهود والتقبيح عليهم حيث قالوا إن بنى إسرائيل لم تصدر عنهم مخالفة لله (قوله الجبل) قيل هو الطور وقيل هو جبل من جبال فلسطين ، وقيل من جبال بيت المقدس وفي آية النساء التصريح بالطور . وسبب رفع الجبل فوقهم أن موسى لما جاءهم بالتوراة وقرأها عليهم فلما سمعوا ما فيها من التغليظ أبوا أن يقبلوا ذلك ، فأمر الله الجبل فانتقل من أصله حتى قام على رؤوسهم مقدار عسكرهم وكان فرسخا في فرسخ وكان ارتفاعه على قدر قامتهم محاذيا لرؤوسهم كالسقيفة فلما نظروا إلى الجبل فوق رؤوسهم خروا سجدا فسجد كل واحد على خدّه وخاجبه الأيسر وجعل ينظر بعينه اليمنى إلى الجبل خوف أن يسقط عليه ، ولذلك لا تسجد اليهود إلا على شق وجوههم الأيسر .

(قوله فوقهم) إما حال منتظرة أو ظرف لانتقائهم (قوله كأنه ظلة) حال من الجبل (قوله ووطنوا) الجملة حانية من الجبل والتقدير رفعناه فوقهم والحال أنه مظنون وقوعه عليهم ومعنى الظن اليقين كما قال المفسر (قوله وقلنا) قدره إشارة إلى أن قوله خذوا معمول لمحدوف وهو معطوف على تتقنا (قوله لعلمكم تتقون) أى تصفون بالتقوى وهى امتثال الأمور واجتناب للهيئات أو تجملون بينكم وبين النار وقاية تحفظكم منها (قوله وإذا أخذ ربك) عطف على قوله وإذا تتقنا عطف قصة على قصة وقدر المفسر أن إشارة إلى أن إذ ظرف معمول لمحدوف والحكمة فى تخصيص بنى إسرائيل بهذه القصة الزيادة فى إقامة الحجة عليهم حيث أعلمهم الله بأنه أعلم نبيه بمبدأ العالم فضلا عن وقائعهم (قوله بدل اشتغال) أى من قوله بنى آدم والأوضح أنه بدل بعض من كل لأن الظهور بعض بنى آدم كضربت زيدا يده (قوله بأن أخرج بعضهم من صلب بعض) أى فأخرج أولاد آدم لصلبه من ظهره ثم أخرج من ظهر أولاده لصلبه أولادهم وهكذا على حسب الظهور الجسماني إلى يوم القيامة وميز السلم من الكافر بأن جعل ذر السلم أبيض وذر الكافر أسود . روى أنهم لما اجتمعوا قال لهم اعلماوا أنه لا إله غيرى وأنا ربكم لا رب لكم غيرى فلا تشركوا بى شيئا فإني سأنتقم ممن أشرك بى ولم (٩٩) يؤمن وإني مرسل إليكم رسلا يذكرونكم عهدى

وسيثاق ومنزل عليكم كتابا فتكلموا جميعا وقالوا شهدنا أنك ربنا لا رب لنا غيرك فأخذ بذلك مواثيقهم ثم كتب الله آجالهم وأرزاقهم ومضائهم فنظر إليهم آدم عليه السلام فرأى منهم النقى والفقير وحسن الصورة ودون ذلك فقال رب هلا سويت بينهم فقال إني أحب أن أشكر فلما قرره بتوحيده وأشهد بعضهم على بعض ودون ذلك أعادهم إلى

(فَوَقَّعَهُمْ كَأَنَّهُ ظِلَّةٌ وَظَلَّتْ) أيقنوا (أَنَّهُ وَاقِعٌ بِهِمْ) ساقط عليهم بوعد الله إياهم بوقوعه إن لم يقبلوا أحكام التوراة وكانوا أبوها لثقلها قبلوا وقلنا لهم (خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ) بجِد واجتهاد (وَأَذْكُرُوا مَا فِيهِ) بالعمل به (لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ) (وَ) اذكر (إِذْ) حين (أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ) بدل اشتغال مما قبله بإعادة الجار (ذُرِّيَّاتِهِمْ) بأن أخرج بعضهم من صلب بعض من صلب آدم نسلا بعد نسل كنحو ما يتوالدون كالذر بنعمان يوم عرفة نصب لهم دلائل على ربوبيته وركب فيهم عقلا (وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ) قال (أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى) أنت ربنا (شَهِدْنَا) بذلك والاشهاد (أَنْ) لا (يَقُولُوا) بالياء والثناء فى الموضعين أى الكفار (يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا) التوحيد (غَافِلِينَ) لانعرفه (أَوْ يَقُولُوا إِنَّمَا أَشْرَكَ آبَاؤُنَا مِنْ قَبْلُ) أى قبلنا (وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِنْ بَيْنِهِمْ) فاقترعنا بهم (أَفَتُنْفِكُ كُنَّا) تعذبنا (بِمَا فَعَلَ الْمُبْطِلُونَ) من آباءنا بتأسيس الشرك ، المعنى لا يمكنهم الاحتجاج بذلك مع إشهادهم على أنفسهم بالتوحيد والتذكير به على لسان صاحب المعجزة قائم مقام ذكره فى النفوس (وَكَذَلِكَ نَقُصُّ الْآيَاتِ) نبينا مثل ما بينا الميثاق ليتدبروها ،

صلبه فلا تقوم الساعة حتى يولد كل من أخذ منه الميثاق (قوله كالذر) قيل هو صغار الخمل وقيل هو الهباء الذى يطير فى الشمس وقيل غير ذلك (قوله بنعمان) مكان بجانب عرفة (قوله وركب فيهم عقلا) أى وصمعا وروحا (قوله وأشهدهم على أنفسهم) أى قرره فان الشهادة على النفس معناها الاقرار (قوله بلى) هى جواب للنفى ولكنها تفيد اثباته كان مجردا أو مقرونا بالاستفهام التقريرى كما هنا ولذلك قال ابن عباس لو قالوا نعم لكفروا لأنهم لتقرير ما قبلها منقبا أو منقبا فكأنهم أقروا بأنه ليس بربه وإلى ذلك أشار العارف الاجهورى رضى الله عنه بقوله :

بلى جواب النفى ليعينه يصير اثباتا كذا قرروا نعم لتقرر الذى قبلها اثباتا أو نفيا كذا حرروا

(قوله شهدنا) يحتمل أن يكون من كلام الملائكة الذين استشهدهم الله على ذلك فيكون الوقت على قوله بلى ، ويحتمل أن يكون من كلام التربة ويصكون المعنى أقرروا بذلك وحيفت فلا يصح الوقت على بلى (قوله فى الموضعين) أى قوله أن يقولوا أو يقولوا والمناسب تأخير قوله فى الموضعين فعلى الياء يكون إخبارا عنهم وعلى التاء يكون خطابا لهم (قوله فاقترعنا بهم) أى أنهم مؤاخذون بذلك وعن معذورون (قوله المعنى لا يمكنهم) أى معنى الجملتين (قوله مع إشهادهم على أنفسهم) أى لإقرارهم عليها (قوله على لسان صاحب المعجزة) أى وهم المرسلون وهو جواب عما قال إن هذا العهد لا يذكره أحد اليوم .

قوله وهما برجون عطف على ما قدره المفسر. [فائدة حسنة] ذكر القطب الشعراني في رسالته مماها القواعد الكشفية في الصفات الالهية: قد ذكر العلماء في قوله تعالى - وإذا خذرك من بني آدم من ظهورهم ذرياتهم - الآية اثني عشر سؤالا ونحن نوردنا عليك مع الجواب عنها بما فتح الله به . الأول ابن موضح أخذ الله تعالى هذا العهد . والجواب أن الله أخذ ذلك عليهم بيطن نعمان وهو واد بجنب عرفة قاله ابن عباس وغيره وقال بعضهم أخذه بسرديب من أرض الهند وهو الموضع الذي هبط آدم فيه من الجنة وقال السكبي كان أخذ العهد بين مكة والطائف ، وقال الامام طي بن أبي طالب كان أخذ العهد في الجنة وكل هذه الأمور محتملة ولا يضرنا الجهل بالمكان بعد صحة الاعتقاد بأخذ العهد . الثاني كيف استخرجهم من ظهره . والجواب ورد في الصحيح أنه تعالى مسح ظهر آدم وأخرج ذريته منه كلهم كهيئة البرثم اختلف الناس هل شق ظهره واستخرجهم منه أو استخرجهم من بعض ثقب رأسه وكلا الوجهين بعيد والاقترب كما قيل أنه استخرجهم من مسام شعر ظهره إذ تحت كل شعرة ثقبه دقيقة يقال لها مم مثل مم الحياط في النفوذ لافي السعة فتخرج الذرة الضعيفة منها كما يخرج الصلبان من العرق السائل وهذا غير بعيد في العقل فيجب اعتقاد اخراجها من ظهر آدم كما شاء الله ولا يجوز اعتقاد أنه تعالى مسح ظهر آدم على وجه الماسة إذ لا اتصال بين الحادث والقديم . الثالث كيف أجابوه تعالى ببلى هل كانوا أحياء عقلاء أم أجابوه بلسان الحال . والجواب أنهم أجابوه بالنطق وهم أحياء عقلاء إذ لا استحيل في العقل أن الله يعطيهم الحياة والعقل والنطق مع صغرهم فان بحار قدرته تعالى واسعة وغاية وسعنا في كل مسألة أن ثبت الجواز ونسكل علم كيفيتها إلى الله تعالى . الرابع فاذا قال الجميع بلى فلم قبل قوما ورد آخرون . والجواب كما قال الحكيم الترمذي أن الله تعالى تجلى للكفار بالهيبة فقالوا بلى مخافة فلم يك ينفعهم إيمانهم فكان إيمانهم كإيمان النافقين وتجلي للمؤمنين بالرحمة فقالوا بلى مطيعين مختارين فنفعهم إيمانهم . الخامس إذا سبق لنا عهد وميثاق مثل هذا فلائى شيء لاندكره اليوم . والجواب أنا لم نتذكر هذا العهد لأن تلك البنية قد انقضت وتغيرت أحوالها بما مرور الزمان عليها في أصلاب الآباء وأرحام الأمهات ثم استحال تصويرها في الأطوار الواردة (١٠٠) عليها من العلة والمضة واللحم والعظم وهذا كله مما يوجب النسيان . وكان على

حكرم الله وجهه يقول
 (وَلَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ) عن كفرهم ،
 إني لأذكرك العهد الذي

عهد إلى ربى وكان سهل القسرى يقول إني لأعرف تلامذتى من ذلك اليوم ولم أزل أربهم (واول)
 في الأصلاب حتى وصلوا إلى . السادس هل كانت تلك القنات مصورة بصورة الانسان أم لا والجواب لم يبلغنا في ذلك دليل إلا أن الأقرب للعقول عدم الاحتياج إلى كونها بصورة الانسان إذ السمع والنطق لا يقتزمان إلى الصورة بل يقتضيان محلا حيا لا غير السابع متى تعلقت الأرواح بالقنات التي هي الثرية هل قبل خروجها من ظهره أم بعد خروجها منه . والجواب قال بعضهم إن الظاهر أنه تعالى استخرجهم أحياء لأنه صمام ذرية والثرية هم الأحياء لقوله تعالى - وآية لهم أنا حملنا ذريتهم في الفلك المشحون - فيحتمل أن الله تعالى أدخل فيهم الأرواح وهم في ظلمات ظهر أبيهم ثم أدخلها مرة أخرى وهم في ظلمات بطون أمهاتهم ثم أدخلها مرة ثالثة وهم في ظلمات بطون الأرض هكذا جرت سنة الله فسمى ذلك خلقا . الثامن ما الحكمة في أخذ الميثاق منهم . والجواب أن الحكمة في ذلك إقامة الحجة على من لم يوف بذلك التاسع هل أعادهم إلى ظهر آدم أحياء أم استرد . أرواحهم ثم أعادهم إليه أمواتا . والجواب أن الظاهر أنه لما ردهم إلى ظهره قبض أرواحهم قياسا على ما فعله بهم إذا ردهم إلى الأرض بعد الموت فإنه يقبض أرواحهم يعيدهم فيها . العاشر أين رجعت الأرواح بعد رد القنات إلى ظهره . والجواب أن هذه مسألة غامضة لا يتطرق إليها النظر العقلي عندي بأكثر من أن يقال رجعت لما كانت عليه قبل حلولها في القنات فمن رأى في ذلك شيئا فليحقه بهذا الموضع . الحادى عشر قوله وإذا أخذرك من بني آدم من ظهورهم ذرياتهم والناس يقولون إن الثرية أخذت من ظهر آدم . والجواب أنه تعالى أخرج من ظهر آدم بنه لصلبه ثم أخرج بنى بنه من ظهور بنه فاستثنى عن ذكر اخراج بنى آدم من آدم بقوله من بنى آدم إذ من العلوم أن بنى بنه لا يخرجون إلا من بنه ومثال ذلك من أودع جوهرة في صدف ثم أودع المصدفة في خرقة ثم أودع الخرقة مع الجوهرة في حقة ثم أودع الحقة في درج ثم أودع الدرج في صندوق فأخرج منه تلك الأشياء بعضها من بعض ثم أخرج الجميع من الصندوق فهذا لاتناقض فيه . الثاني عشر في أى مكان أودع كتاب العهد والميثاق والجواب قد جاء في الحديث أنه مودع في باطن الحجر الأسود وأن للحجر الأسود عينين ولها لسانا فان قال قائل هذا غير متصور في العقل فالجواب أن كل ما صر على العقل تصوره يكفي في الإيمانه به ورد معناه إلى الله تعالى اه ملخصا .

(قوله واتل عليهم) عطف على واسألهم عطف قصة على قصة (قوله آياتنا) أى وهى علوم الكتب القديمة ومعرفة الاسم الأعظم فكان يدعو به حيث شاء فيحصل بعينه وكان يرى العرش وهو جالس مكانه وكان فى مجلسه اثنا عشر ألف حبرة للتعلمين الذين يكتبون عنه . وحاصل قصته على ما ذكره ابن عباس وغيره أن موسى عليه السلام لما قصد قتال الحارين ونزل أرض الكنعانيين من أرض الشام أتى قوم بلعم إليه وكان عنده الاسم الأعظم فقالوا إن موسى رجل حديد ومعه جند كثير وإنه جاء يخرجنا من بلادنا ويقتلنا ويغلبها لبني إسرائيل وأنت رجل حجاب الدعوة فأخرج قاعد الله أن يردهم عنا ، فقال ويلكم نبى الله ومعه الملائكة والمؤمنون فكيف أدعو عليهم وأنا أعلم من الله ما لا تعلمون وإني إن فعلت ذلك ذهبت دنيائى وآخرتى فراجعوه وألحوا عليه فقال حتى أؤامر ربى ، وكان لا يدعو حتى ينظر ما يؤمر به فى المنام فأمر ربى فى الدعاء عليهم ، فقيل له فى المنام لا تدع عليهم ، فقال لقومه إني قد أمرت ربى وإني نهيت أن أدعو عليهم ، فأهدوا إليه هدية فقبلها وراجعوه فقال حتى أؤامر ربى فأمره فلم يؤمر بشيء ، فقال قد أمرت ربى فلم يأمرنى بشيء ، فقالوا له لو كره ربك أن تدعو عليهم لنهاك كما نهاك فى المرة الأولى ، فلم يزالوا يتضرعون إليه حتى فتنوه فافتتن ، فركب أنانا له متوجها إلى جبل يطلعه على عسكر بنى إسرائيل يقال له حسان ، فلما سار على أناته غير بعيد ربضت فزل عنها وضربها فقامت فركبها فلم تسر به كثيرا حتى ربضت فضربها وهكذا مرارا ، فأذن الله تعالى لها فى الكلام (١٠١) فانطقها له فكلمته حجة عليه ، فقالت :

ويحك يا بلعم ! أين تذهب ؟ أما ترى الملائكة أمامى تردنى عن وجهى ، ويحك تذهب إلى نبى الله والمؤمنين فتدعو عليهم فلم ينزجرفلى الله سبيل الأنان ، فانطلقت حتى أشرف على جبل حسان فجعل يدعو عليهم لا يدعو بشر إلا صرف الله به لسانه إلى قومه ولا يدعو بخير لقومه إلا صرف الله

(وَأْتَلُ) يا محمد (عَلَيْهِمْ) أى اليهود (نَبَأٌ) خبر (الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَأَنْسَخَ مِنْهَا) خرج بكفره كما تخرج الحية من جلدها وهو بلعم بن باعوراء من علماء بنى إسرائيل سئل أن يدعو على موسى وأهدى إليه شيء فدعا فانقلب عليه واندلع لسانه على صدره (فَاتَّبَعَهُ الشَّيْطَانُ) فأدركه فصار قرينه (فَكَانَ مِنَ الْغَاوِينَ . وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ) إلى منازل العلماء (بِهَا) بأن نوقفه للعمل (وَلَكِنَّهُ أَخْلَدَ) سكن (إِلَى الْأَرْضِ) أى الدنيا ومال إليها (وَأَتَّبَعَ هَوَاهُ) فى دعائه إليها فوضعناه (فَقَسَلَهُ) صفته (كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِنْ تَحْمِلَ عَلَيْهِ) بالطرده والزجر (يَلْهَثُ) يدلغ لسانه (أَوْ) إِنْ (تَتْرُكُهُ يَلْهَثُ) وليس غيره من الحيوانات كذلك وجللتا الشرط حال أى لاهتا ذليلا بكل حال والقصد التشبيه فى الوضع والخسة بقرينة الفاء المشعرة بترتب ما بعدها على ما قبلها من الميل إلى الدنيا واتباع الهوى وقرينة قوله :

به لسانه إلى بنى إسرائيل ، فقال له قومه : يا بلعم ، أندرى ما تصنع ؟ إننا ندعو لهم وتدعوا علينا ، فقال هذا ما لأملكه ، هذا شيء قد غلب الله عليه فاندفع لسانه فوقه على صدره ، فقال لهم الآن قد ذهب منى الدنيا والآخرة ولم يبق إلا المكر والخديعة فسأمر لكم وأحتال ، أحملا النساء وزينوهن وأعطوهن السلع ثم أرسلوهن إلى عسكر بنى إسرائيل يبعنهن فيه ، ومروهن أن لاتمنع امرأة نفسها من رجل راودها ، فانه إن زنى رجل بواحدة كفيتموهم ففعلوا ، فلما دخل النساء العسكر مرت امرأة من الكنعانيين على رجل من عظماء بنى إسرائيل وكان رأس سبط شمعون بن يعقوب ، فقام إلى المرأة وأخذ يدها حين أعجبه جمالها ثم أقبل بها حتى وقف على موسى ، وقال إني أظنك أن تقول هذه حرام عليك ، قال أجل هى حرام عليك لاتقر بها . قال فوالله لانطيعك ثم دخل بها فبته فوقع عليها ، فأرسل الله عليهم الطاعون فى الوقت فهلك منهم سبعون ألفا فى - اعة من النهار (قوله من علماء بنى إسرائيل) أى بل قيل بقبوته والحق خلافه لأن الأنبياء معصومون من كل ما ينضب الله تعالى (قوله وأهدى إليه شيء) أى فى نظير الدعاء عليهم وتسمى تلك الهدية رشوة وهى محرمة فى شرعنا لدى الجاه والنصب (قوله واندلع لسانه) أى تدلى (قوله فاتبعه الشيطان) هذا مبالغة فى ذمه حيث كان عالما عظيما ثم صار الشيطان من أتباعه (قوله ولو شئنا لرفعناه) مفعول المشبهة محذوف تقديره رفعته (قوله بها) أى بسبب تلك الآيات (قوله ولكنه أخلد) أى مال واطمأن (قوله كمثال الكلب) أى لدى هوأخس الحيوانات (قوله إن تحمل عليه) أى تشدد عليه وتجهده يلهث أى يخرج لسانه (قوله وأتركه) أى من غير تشديد عليه (قوله وليس غيره من الحيوانات كذلك) أى بل غيره يلهث فى حال التعب فقط (قوله ما بعدها) أى وهو الانسلاخ وقوله من

لليل الخ بيان لما قبلها (قوله ذلك مثل القوم) أي اليهود الذين آمنوا بالتوراة وفيها صفات النبي صلى الله عليه وسلم وأخلاقه وشماطه فنبهوا وبدلوا (قوله فاقصص القصص) أي الذي أوحى إليك ليعلموا أنك علمته من الوحي فيؤمنون (قوله على اليهود) لامتنعوا له بل المراد اقصص القصص على أمتك ليتعظوا بذلك (قوله ساء مثلاً القوم) ساء فعل ماض لانشاء القوم ومثلاً تمييز والقوم فاعل على حذف مضاف تقديره مثل القوم والخصوص بالهم محذوف تقديره مثلهم (قوله من يهد الله) هذا رجوع للحقيقة وتسليته صلى الله عليه وسلم (قوله فهو لهتدي) بآيات وآله وصلوا ووفقا باتفاق القراء هنا (قوله ولقد ذرأنا لجنهم كثيراً) أي بحكم القصة الإلهية حين قبض قبضة وقال هذه الجنة ولأبالي ، وقبض قبضة وقال هذه النار ولأبالي ، وقوله كثيراً يؤخذ منه أن أهل النار أكثر من أهل الجنة وهو كذلك لما تقدم من أن من كل ألف واحداً للجنة والباقي للنار (قوله الحق) قدره هو ونظيره في يصرون ويسمعون إشارة إلى أن مفعول كل محذوف (قوله بل هم أضل) إضراب اتقالي ونكتة الإضراب أن الأنعام لا تدرى المواقب والمقالات تعرفها فقدومهم على المضار مع علمهم بعواقبها أضل من قدوم الأنعام على مضارها (قوله أولئك هم الغافلون) أي قلباً وسمماً وبصراً وهذه علامة (١٠٣) أهل النار الخالدين فيها (قوله والله الأسماء الحسنى) ذكرت في أربعة

مواضع من القرآن هنا وفي آخر الإسراء وفي أول طه وفي آخر الحشر (قوله الوارد بها الحديث) أي وقد ورد بطرق مختلفة منها قوله صلى الله عليه وسلم « إن لله تسعة وتسعين اسماً مائة غير واحد » وترى حب الوتر وما من عبد يدعو بها إلا وجبت له الجنة » ومنها « إن لله تسعة وتسعين اسماً من أحصاها دخل الجنة » ومنها « إن لله عز وجل تسعة وتسعين اسماً مائة غير واحد » إن الله وتر

(ذَلِكَ) (مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَبُوا بِآيَاتِنَا فَاقْصُصِ الْقَصَصَ) على اليهود (لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ) يتدبرون فيها فيؤمنون (سَاءَ) (بَسْ) (مَثَلًا الْقَوْمِ) أي مثل القوم (الَّذِينَ كَذَبُوا بِآيَاتِنَا وَأَقْسَمُوا كَانُوا بِظُلْمٍ) بالكذب (مَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ وَمَنْ يُضِلِّ فَلَا وَلِيَّكَ هُمْ الْخَاسِرُونَ . وَلَقَدْ ذَرَأْنَا) خلقنا (لَهُمْ كَثِيرًا مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ بِهَا) الحق (وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَا يُبْصِرُونَ بِهَا) دلائل قدرة الله بصر اعتبار (وَلَهُمْ آذَانٌ لَا يَسْمَعُونَ بِهَا) الآيات والمواعظ سماع تدبر واتعاظ (أُولَئِكَ كَالْأَنْعَامِ) في عدم الفقه والبصر والاستماع (بَلْ هُمْ أَضَلُّ) من الأنعام لأنها تطلب منافعها وتهرب من مضارها وهؤلاء يقدمون على النار معاندة (أُولَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ . وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى) التسمة والتسعون الوارد بها الحديث والحسنى مؤنث الأحسن (فَادْعُوهُ) سموه (بِهَا وَذَرُّوا) اتركوا (الَّذِينَ يُلْحِدُونَ) من ألحد ولحد : يميلون عن الحق (فِي أَسْمَائِهِ) حيث اشتقوا منها أسماء. لآلهم كالللات من الله والعزى من العزيز ومنات من المنان (سَيُجْزَوْنَ) في الآخرة جزاء (مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ) وهذا قبل الأمر بالقتال ،

يجب الوتر من حفظها دخل الجنة » ومنها « إن لله مائة اسم غير اسم من دعا بها استجاب الله له » (وممن وكأها مذكورة في الجامع الصغير عن علي وعن أبي هريرة ، والأسماء جمع اسم وهو اللفظ الدال على المسمى إماعى الدات فقط أو الدات والصفات والخبار بأنها تسع وتسعون ليس حصراً وإنما ذلك إخبار عن دخول الجنة بأسمائها أو استجابة الدعاء بها وإلا فأسماء الله كثيرة قال بعضهم إن لله ألف اسم وقال بعضهم إن أسماء على عدد أنبيائه فكل نبي يستمد من اسم ونبينا يستمد من الجمع (قوله والحسنى مؤنث الأحسن) أي ككبرى وصغرى مؤنث الأكبر والأصغر وإنما كانت حسنى لأن الدال يشرف بشرف مدلوله (قوله سموه بها) أي وقت دعائكم وندائكم وأذكاركم (قوله وذروا) أمر للكافرين (قوله من ألحد ولحد) أي رباعياً وثلاثياً وهما قراءتان سبعيتان (قوله يميلون عن الحق) تفسير لكل من القراءتين ومنه لحد لليت لأنه يمال يحفره إلى جنب القبر بخلاف الضريح فإنه الحفر في الوسط (قوله حيث اشتقوا) أي اقتطعوا وهذا الإلحاد كفر ويطلق الإلحاد على التسمة بالمرد وهو بهذا المعنى حرام لأن أسماء توقيفية فيجوز أن يقال ياجواد ولا يجوز أن يقال يأسخى ويقال يا عالم دون عاقل وحكيم دون طيب وهكذا (قوله جزاء ما كانوا يعملون) أشار بذلك إلى أن الكلام على حذف مضاف وقد روي صحاح الكلام إذ لا معنى لكونهم يجزون الذي كانوا يعملونه من الإلحاد بل المراد جزاؤه (قوله وهذا قبل الأمر بالقتال) اسم الإشارة راجع لقوله وذروا الذين

بالعدون في أممائه فهذه الآية منسوخة بآية القتال (قوله وعن خلقنا الجار والمجرور خبر مقدم وأمة مستنداً مؤخر (قوله بالحق) الباء للابسة : أى يهدون الناس ويرشدونهم ملتبسين بالحق (قوله وبه يعدلون) أى بالحق يجعلون لأمر متعادلة مستوية لا إفراط فيها ولا تفريط (قوله كما في الحديث) أى وهو قوله صلى الله عليه وسلم « لا تزال من أمة طائفة على الحق إلى أن يأتي أمر الله » وعن معاوية قال وهو يخطب : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « لا تزال من أمة قائمة بأمر الله لا يضرهم من خذلهم ولا من خالفهم حتى يأتي أمر الله وهم على ذلك » وهذه الطائفة لا تختص بزمان دون زمان ولا مكان دون مكان بل هم في كل مكان وفي كل زمان ، فالإسلام دائماً يعلو ولا يعلو عليه وإن كثر الفساق وأهل الشر فلا عبرة بهم ولا صولة لهم وفي هذا بشارة لهذه الأمة المحمدية بأن الإسلام في عاق وشرف وأهله كذلك إلى قرب يوم القيامة حتى تموت حملة القرآن والعلماء وينزع القرآن من المصاحف وتأتي الرح اللينة فيموت كل من كان فيه مثقال ذرة من الإيمان ولا يكون هذا الأمر إلا بعد وفاة عيسى عليه الصلاة والسلام (قوله والذين كذبوا بآياتنا) مبتدأ خبره الجملة الاستقبالية بعده (قوله فسندرجهم) الاستدراج هو الاستعداد درجة فدرجة أو الاستنزى درجة بعد درجة (قوله نأخذهم قليلاً قليلاً) أى نغدهم بالعطايا شيئاً فشيئاً وهم مقيمون على العصا حتى ينتهي بهم الأمر إلى الهلاك فهم يظنون أنهم في نعم وهم في تقم ، ولذا قيل إذا رأيت الله أنعم على عبده وهو مقيم على معصيته فاعلم أنه مستدرج له (قوله إن كيدى متين) الكيد (١٠٣) في الأصل السكر والخديعة وذلك

مستحيل على الله ، بل المراد الاستدراج وكان شديداً لأن ظاهره إحسان وباطنه خذلان (قوله أولم يتفكروا) الهمزة داخله على عذوف والواو عاطفة على ذلك المحذوف ، والتقدير أعموا ولم يتفكروا (قوله ما باحبرهم من جنة) سبب نزولها ما روى أنه صلى الله عليه وسلم صعد على الصفا فدعاهم فغذا فغذا يابني

(وَمِمَّنْ خَلَقْنَا أُمَّةً يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ) هم أمة محمد صلى الله عليه وسلم كما في الحديث (وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا) القرآن من أهل مكة (سَنَسْتَدْرِجُهُمْ) نأخذهم قليلاً قليلاً (مِنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ) وأملهم أنهم (إِنَّ كَيْدِي مَتِينٌ) شديد لا يطاق (أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا) فاعلموا (مَا بِصَاحِبِهِمْ) محمد صلى الله عليه وسلم (مِنْ جَنَّةٍ) جنون (إِنْ) ما (هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ مُبِينٌ) بين الانذار (أَوَلَمْ يَنْظُرُوا فِي مَلَكُوتِ) ملك (السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَ) في (مَا خَلَقَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ) بيان لما فيستدلوا به على قدرة صانعه ووحدانيته (وَ) في (أَنْ) أى أنه (عَسَى أَنْ يَكُونَ قَدِ اقْتَرَبَ) قرب (أَجَلُهُمْ) فيموتوا كفاراً فيصبروا إلى النار فيبادروا إلى الإيمان (فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَهُ) أى القرآن (يُؤْمِنُونَ) مَنْ يَضِلُّ اللَّهُ فَلَا هَادِيَ لَهُ وَيَذَرُهُمْ بِالْبَيَاءِ وَالتَّوْنِ مع الرفع استثناءً والجزم عطفاً على محل ما بعد الفاء (فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ) يترددون تحيراً (يَسْتَكُونُكَ) أى أهل مكة (عَنِ السَّاعَةِ) القيامة ،

فلان يابني فلان يحذرهم بأس الله ، فقال بعضهم إن صاحبكم لجنون بات يهوت إلى الصباح ، ومعنى يهوت يصوت ، وإيمانسبوه إلى الجنون لخالفته لهم في الأقوال والأفعال فانه كان موحداً مقبلاً على الله بكليته معرضاً عن الدنيا وشهواتها وهم ليسوا كذلك (قوله ملك السموات والأرض) إنما فسر الملكوت بالملك لأن الملكوت ما غاب عنا كالملائكة والعرش والكرسى والمأمور بالنظر فيه عالم الملك وهو ما ظهر لنا (قوله وما خلق الله) قدر المفسر في إشارة إلى أنه معطوف على ملكوت السموات والأرض (قوله وأن عسى) قدر المفسر في إشارة إلى أن الجملة في محل جر عطفاً على ما قبلها وأن مخففة من الثقيلة واسمها ضمير الشأن ، وجملة عسى أن يكون قد اقتراب أجلهم خبرها (قوله فبأي حديث الخ) متعلق بيؤمنون وهو استفهام تعجبى ، والمعنى إذا لم يؤمنوا بهذا القرآن الذى هو أعظم المعجزات فبأي آية ومعجزة يؤمنون بها (قوله من يضل الله) تذييل لما قبله خارج مخرج المثل (قوله بالياء والتون) أى مع الرفع والياء لا غير مع الجزم فالقراآت ثلاث وكلها سبعة فعلى التون يكون التفاتاً من الغيبة للتكلم لأن الاسم الظاهر من قبيل الغيبة (قوله على محل ما بعد الفاء) أى وهو الجزم لأن جملة فلا هادى له جواب الشرط في محل جزم (قوله يستلونك) الضمير عائد على أهل مكة كما قال المفسر لأن السورة مكية إلا ما تقدم من الثمان آيات ، وهذا استئناف مسوق لبيان تعنتهم في كفرهم لأنه صلى الله عليه وسلم كان يخوفهم من الساعة وأهوالها (قوله القيامة) سميت ساعة إما السرعة مجيئها قال تعالى - وما أمر الساعة إلا كلمح البصر أو هو أقرب - أو لسرعة حسابها لأن الخلق جميعاً يحاسبونه

في قدر نصف نهر أو لأنها ساعة عند الله لحظتها وإن كانت في نفسها طوية لأن الأزمان عنده مستوية ، ولها أسماء كثيرة منها القيامة لقيام الناس لرب العالمين فيها والقارة لأنها تفرع القلوب بأهوالها والحاقة لأنها ثابتة والحافضة والرافعة لأنها تخفض أقواما وترفع آخرين والطامة لأنه لا يمكن ردها والصامة لأنها تصم الآذان والزلزلة لتزلزل الأرض والقلب ويوم الفرقة لتفرقهم في الجنة والنار واليوم للعود لأن الله وعد فيه أقواما بالجنة وأوعدهم أقواما بالنار ويوم العرض لعرض الناس على ربهم ويوم الفرقة لقول الإنسان الكافر يومئذ أين الفرقة واليوم الصبر لشدة الحساب فيه وزحمة الناس بعضهم على بعض حتى يكون على القدم أثق قدم ، وفي رواية: سبعون ألف قدم على قدم ، وتدنو الشمس من الرؤوس حتى يكون بينها وبين الرؤوس قدر المروء إلى غير ذلك من أسماءها (قوله أيان مراسها) في الكلام استعارة بالكناية حيث شبه الساعة بسفينة في البحر وطوى ذكر الشبه به ورمزه هي من لوازمه وهو الارساء فذكره تخييل ، وهذه الجملة من المبتدأ والخبر بدل من الجار والمجرور قبله ، والمعنى يسألك عن وقت مجيء الساعة وهو في محل نصب لأن الجار والمجرور في محل نصب معمول لسألتك (قوله متى تكون) أشار بذلك إلى أن الكلام فيه حذف مضاف ، والتقدير إنما علم وقتها عند الله (قوله على أهلها) أشار بذلك إلى أن الكلام على حذف مضاف وفي معنى على ويصح أن تبقى الآية على ظاهرها لأنه لا يطبقها شيء من السموات لطيبها ولا الأرض لتبذلها فهي شاقة مفزعة لكل ماسوى الله (قوله لاتأتاكم إلا بفتنة) أي على حين غفلة والحكمة في إخفائها ليتأهب لها كل أحد كما أخفيت ساعة الاجابة يوم الجمعة ليعتني باليوم (١٠٤) كله وليلة القدر في سائر الليالي ليعتني بجميع الليالي والرجل الصالح في جميع

الخلق ليعتقد الجميع والصلاة الوسطى في جميع الصلوات للحفاظ على الجميع (قوله كأنك حتى عنها) عن معنى الباء ، والمعنى كأنك عالم بها ومتيقن لها (قوله تأكيد) أي لما قبله لبيان أنها من الأمور المكتومة التي استأثر الله بعلمه فلم يطلع عليه أحدا إلا من ارتضاء

(أَيَّانَ) متى (مُرْسِيًا ، قُلْ) لهم (إِنَّمَا عَلِمَهَا) متى تكون (عِنْدَ رَبِّي لَا يُخَلِّبُهَا) يظهرها (لَوْ قَتَيْتَهَا) اللام بمعنى في (إِلَّا هُوَ تَقَلَّتْ) عظمت (فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ) على أهلها لموها (لَا تَأْتِيكُمْ إِلَّا بَفْتَةٍ) فجأة (يَسْتَلُونَكَ كَأَنَّكَ حَفِيٌّ) مبالغ في السؤال (عَنْهَا) حتى علمتها (قُلْ إِنَّمَا عَلِمْتُهَا عِنْدَ اللَّهِ) تأكيد (وَلَكِنْ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ) أن علمها عنده تعالى (قُلْ لَا أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَقْعًا) أجلبه (وَلَا ضَرًّا) أذمه (إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ وَلَوْ كُنْتُ أَعْلَمُ الْغَيْبِ) ما غاب عني (لَأَسْتَكْبَرْتُ مِنْ تَخْلِيلِ وَمَا مَسَّنِيَ الشَّوْهُ) من فقر وغيره لاحترازي عنه باجتناب المضار (إِنْ) ما (أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ) بالنار للكافرين (وَبَشِيرٌ) بالجنة (لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ . هُوَ) أي الله (الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ) ،

من الرسل والذي يجب الايمان به أن رسول الله لم يقتل من الدنيا حتى أعلمه الله بجميع الغيبات التي تحصل في الدنيا والآخرة فهو يعلمها كما هي عين يقين لما ورد « رفعت لي الدنيا فأنا أنظر فيها كما أنظر إلى كفى هذه » وورد أنه اطلع على الجنة وما فيها والنار وما فيها وغير ذلك مما توارت به الأخبار ولكن أمر بكتبان البعض (قوله لنفسى) معمول لأملك (قوله إلاما شاء الله) أي تملكه لي فأنا أملكه (قوله ولو كنت أعلم الغيب الخ) إن قلت إن هذا يشكك على ما تقدم لنا أنه اطلع على جميع مغيبات الدنيا والآخرة ، والجواب أنه قال ذلك تواضعا وأن علمه بالغيب كلال علم من حيث إنه لا قدرة له على تغيير ما قدر الله وقوعه فيكون المعنى حينئذ لو كان لي علم حقيقي بأن أقدر على ما أريد وقوعه لاستكثرت الخ إن قلت إن دعاءه مستجاب لا يرد . أجيب بأنه لا يشاء إلاما يشاءه الله فلو اطلع على أن هذا الشيء مثلا لا يكون كذا لا يوفق للدعاء له إذ لا يشفع ولا يدعو إلا بما فيه إذن من الله واطلاع منه على أنه يحصل مادها به ، وهو سر قوله تعالى - من ذا الذي يشفع عنده إلا بإذنه ، وفي ذلك المعنى قال العارف : وخصك بالهدى في كل أمر فلست تشاء إلا ما يشاء وللخواص من أمته حظ من هذا المقام ، ولذا قال العارف أبو الحسن الشاذلي : إذا أراد الله أمرا أمسك السنة أوليائه عن الدعاء ستر عليهم لئلا يدعوا فلا يستجاب لهم فيقتضحوا (قوله للكافرين) أشار بذلك إلى أن في الآية اكتفاء (قوله لقوم يؤمنون) نصوا بذلك لأنهم المنتفعون بذلك (قوله هو الذي خلقكم) الخطاب لأهل مكة المعارضين المعاندين (قوله من نفس واحدة) أي لأنه المالك المتصرف وهذا أعظم دليل على انفراد بالوحدانية .

(قوله بالتخفيف والتشديد) أى فهما قراءتان سبعيتان (قوله سواء عليكم) استئناف مقرر لمضمون ما قبله أى سواء عليكم في عدم الافادة دعاؤكم لهم وسكونكم عنهم فانه لا يتغير حالكم في الحالين كما لا يتغير حالهم عن حكم الجهادية (قوله ملوكة) دفع بذلك ما يقال إن الأصنام جمادات لا تعقل فكيف توصف بأنها مثلكم . وأجيب بأن المراد بكونهم أمثالكم أنهم ملوكون مقهورون لا يملكون ضرا ولا نفعا فالتشبيه من هذه الحيثية لامن كل وجه (قوله وفضل عابديهم) إما بتشديد الضاد عطف على بين أو بسكون الضاد عطف على غاية ومعنى فضلهم زيلتهم عليهم بهذه النافع المذكورة (قوله أم لهم) أشار المفسر إلى أن أم منقطعة تفسر بيل والهمزة والاضراب اتقالي من توبيخ لتوبيخ آخر (قوله يبطشون) من باب ضرب وبها قرأ السبعة وقرئ شذوذا من باب قتل والبطش هو الأخذ بعنف (قوله استفهام انكارى) أى في المواضع الأربعة أى ليس لهم شئ من النافع المذكورة (قوله قل ادعوا شركاءكم) أى واستعينوا بهم في عداوتى (قوله ثم كيدون) قرئ بآيات الباء وصلا وحذفها وقفا وبآياتها في الحالين وحذفها في الحالين وكلها سبعة ، وفي القرآن كيدن في ثلاثة مواضع هنا وفي هود بآيات الباء عند السبع في الحالين (١٠٦) وفي الرسالات بحذفها عند السبع في الحالين (قوله إن ولي) العامة

على تشديد الولى مضافا لىاء للتكلم المفتوحة وفي وفي بعض الطرق بياء واحدة مشددة مفتوحة (قوله والذين تدعون من دونه) من تمام التعليل لعدم مبالاة بهم (قوله وإن تدعوم) أى أيها المشركون أى تدعوا أصنامكم إلى أن يهدوكم لا يسمعوا دعاءكم فضلا عن المساعدة والامداد وهذا أبغ من نفى الاتباع وقوله وتراهم ينظرون الخ بيان لعجزهم عن الابصار بعد بيان عجزهم عن السمع وبه يتم

بالتخفيف والتشديد (سَوَاءَ عَلَيْكُمْ أَدَعَوْهُمْ) إليه (أَمْ أَنْتُمْ صَامِتُونَ) عن دعائهم لا يتبعوه لعدم سماعهم (إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ) تعبدون (مِنْ دُونِ اللَّهِ عِبَادٌ) ملوكة (أَمْثَالُكُمْ فَأَدْعُوهُمْ فَلْيَسْتَجِيبُوا لَكُمْ) دعاءكم (إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ) في أنها آلهة ثم بين غاية عجزهم وفضل عابديهم عليهم فقال (أَلَمْ أَزْجُلْ يَمَشُونَ بِهَا ، أَمْ) بل أ (لَمْ أَئِدْ) جمع يد (يَبْطِشُونَ بِهَا ، أَمْ) بل أ (لَمْ أَعِزُّ يْبَصِرُونَ بِهَا ، أَمْ) بل أ (لَمْ أَذَنْ يَسْمَعُونَ بِهَا) استفهام إنكارى أى ليس لهم شئ من ذلك مما هو لكم فكيف تعبدونهم وأتم أتم حالا منهم (قُلْ) يا محمد (أَدْعُوا شُرَكَاءَكُمْ) إلى هلاكى (ثُمَّ كِيدُونِ فَلَا تُنْظِرُونِ) تملون فأنى لا أبالى بكم (إِنَّ وَلِيِّ اللَّهِ) متولى أمورى (الَّذِي نَزَّلَ الْكِتَابَ) القرآن (وَهُوَ يَتَوَلَّى الصَّالِحِينَ) يحفظه (وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ لَا يَسْمَعُونَ نَصْرَكُمْ وَلَا أَنْفُسَهُمْ يَنْصُرُونَ) فكيف أبالى بهم (وَإِنْ تَدْعُوهُمْ) أى الأصنام (إِلَى الْهَلْدَى لَا يَسْمَعُوا وَتَرَاهُمْ) أى الأصنام يا محمد (يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ) أى يقابلونك كالناظر (وَهُمْ لَا يَبْصُرُونَ خُذِ الْعَفْوَ) أى اليسر من أخلاق الناس ولا تبحث عنها (وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ) المعروف (وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ) فلا تقابلهم بسفهم ،

على تشديد الولى مضافا لىاء للتكلم المفتوحة وفي وفي بعض الطرق بياء واحدة مشددة مفتوحة (قوله والذين تدعون من دونه) من تمام التعليل لعدم مبالاة بهم (قوله وإن تدعوم) أى أيها المشركون أى تدعوا أصنامكم إلى أن يهدوكم لا يسمعوا دعاءكم فضلا عن المساعدة والامداد وهذا أبغ من نفى الاتباع وقوله وتراهم ينظرون الخ بيان لعجزهم عن الابصار بعد بيان عجزهم عن السمع وبه يتم

التعليل ورأى بصرية (قوله خذ العفو)

(وإما)

هذا أمر من الله تبارك وتعالى صلى الله عليه وسلم بمكارم الأخلاق وحسن معاملة الكفار إثر بيان زجرهم وإخافهم بالخطاب ، وروى نزلت هذه الآية سأل النبي صلى الله عليه وسلم جبريل عن معناها فقال حتى أسأل ربي فذهب ثم رجع فقال يا محمد ربك يأمرك أن تصل من قطعك وتعطي من حرمك وتعفو عمن ظلمك ، قال جعفر الصادق ليس في القرآن آية أجمع لمكارم الأخلاق من هذه الآية (قوله أى اليسر من أخلاق الناس) أى ما سهل منها (قوله ولا تبحث عنها) أى لا تفتش عن الأخلاق بل اقبل مآثرها ودع ما بطن لله (قوله وأمر بالعرف) أى ما عرف حسنه في الشرع (قوله وأعرض عن الجاهلين) إن كان المراد بالجاهلين الكفار وبالأعراض عدم مقاتلتهم فالآية منسوخة بآية القتال ، وإن كان المراد بالجاهلين ضملاء الاسلام وأجلاف العرب وبالأعراض عدم تعنيفهم والاعلاظ عليهم فالآية محكمة ومكلام المفسر يشهد لثاني ، ومن معنى ذلك قوله تعالى : فاصفح الصفح الجميل ، وهو الذى لا عتاب بعده : وفي هذه الآية تعليم لمكارم الأخلاق لعباد فليس هذا الأمر من خصوصياته صلى الله عليه وسلم .

(قوله أي آدم) أي وهو مخلوق من الماء والطين والماء والطين موجودان من عدم فآل الأمر إلى أن آدم وأولاده موجودون من عدم (قوله وجعل منها زوجها) أي من الضاع الأيسر فنبئت منه كما نبئت النحلة من النواة (قوله حواء) تقدم أنها مبيت حواء لأنها خلقت من حي وهو آدم (قوله ليسكن إليها) هذا هو حكمة كون حواء من آدم : أي فالحكمة في كونها منه كونه يسكن إليها و يألفها لأنها جزء منه (قوله وياألفها) عطف تفسير (قوله فلما تفشاهما) التفشى كناية عن الجماع وعبر به تعليماً لعباده الأدب (قوله هو النطفة) إن قلت إن الجنة لاحتل فيها ولا ولادة . أجيب بأن ذلك بعد هبوطهما إلى الأرض ، وأما جماعه لها في الجنة فبغير نطفة ولا حمل منها ولا ولادة (قوله فمرت به) أي ترددت بذلك الحبل لعدم المشقة الحاصلة منه (قوله لما أثقلت) أي صارت ذات ثقل أو دخلت في الثقل كأصبح إذا دخل في الصباح (قوله وأشققا) أي خافا ، ورد أنه لما جاءها إبليس وقال لها ما هذا الذي في بطنك فقالت لأدري فقال لها يحتمل أن يكون كلباً أو حماراً أو غير ذلك ، ويحتمل أن يخرج من عينك أو فمك أو تشق بطنك لإخراجه غفوقها بهذا كله ، فعرضت الأمر على آدم فدعوا ربهما إلى آخر الدعاء المذكور (قوله لئن) اللام موطئة لقسم محذوف تقديره والله (قوله ولدا قدره) إشارة (١٠٥) إلى أن صالحا صفة لموصوف

محذوف مفعول ثان
لأننا لأنه بمعنى أعطيتنا
(قوله لنكونن من
الشاكرين) أي نزيد في
الشكر لأن الشكر يزيد
ويعظم بزيادة النعم (قوله
شركاء) جمع شريك ،
والمراد بالجمع المفرد بدليل
القراءة الثانية (قوله أي
شريكاً) تفسير لكل من
انقراءتين (قوله بتسميته
عبد الحرث) أي والحرث
كان اسماً لابليس فتصدد
العين بذلك انتسابه له
وأنه عبته (قوله وليس
بإشراك في العبودية)

أَي آدَمَ (وَجَعَلَ) خَلَقَ (مِنْهَا زَوْجَهَا) حَوَاءَ (لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا) وَيَأْلَفَهَا (فَلَمَّا تَفَشَّاهَا)
جَامِعَهَا (حَمَلَتْ حَمْلًا خَفِيًّا) هُوَ النَّطْفَةُ (فَفَرَّتْ بِهِ) ذَهَبَتْ وَجَاءَتْ لَخْفَتِهِ (فَلَمَّا أَثْقَلَتْ)
بِكَبْرِ الْوَلَدِ فِي بَطْنِهَا وَأَشْفَقَا أَنْ يَكُونَ بَهِيمَةً (دَعَا اللَّهُ رَبَّهُمَا لَئِنْ آتَيْنَا وَلَدًا (صَالِحًا)
سَوِيًّا (لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ) فَكَتَبَ عَلَيْهِ (فَلَمَّا آتَاهُمَا) وَلَدًا (صَالِحًا) جَمَلًا لَهُ شُرَكَاءُ)
وَفِي قِرَاءَةِ بَكْسَرِ الشَّيْنِ وَالتَّنْوِينِ أَيْ شَرِيكًا (فِيمَا آتَاهُمَا) بِتَسْمِيَتِهِ عَبْدَ الْحَرِثِ وَلَا يَنْبَغِي
أَنْ يَكُونَ عَبْدًا لِلَّهِ وَلَيْسَ بِإِشْرَاكَ فِي الْعِبُودِيَةِ لِعَصْمَةِ آدَمَ ، وَرَوَى سَمُرَةُ عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ
عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ لَمَّا وَلَدَتْ حَوَاءُ طَافَ بِهَا إِبْلِيسُ وَكَانَ لَا يَعِيشُ لَهَا وَلَدٌ فَقَالَ سَمِيهِ عَبْدَ الْحَرِثِ
فَأَنَّهُ يَعِيشُ فَسَمَتْهُ فَعَاشَ فَكَانَ ذَلِكَ مِنْ وَحْيِ الشَّيْطَانِ وَأَمْرِهِ رَوَاهُ الْحَاكِمُ وَقَالَ صَحِيحٌ وَالتِّرْمِذِيُّ
وَقَالَ حَسَنٌ غَرِيبٌ (فَتَعَالَى اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ) أَيْ أَهْلُ مَكَّةَ بِهِ مِنَ الْأَصْنَامِ وَالْجَمْلَةُ مُسَبِّبَةٌ
عُطْفٌ عَلَى خَلْقِكُمْ وَمَا بَيْنَهُمَا اعْتِرَاضٌ (أَيْشِرِكُونَ) بِهِ فِي الْعِبَادَةِ (مَا لَا يَخْلُقُ شَيْئًا وَهُمْ
يَخْلُقُونَ وَلَا يَسْطَعِطُونَ لَهُمْ) أَيْ لِعَابِدِيهِمْ (نَعُزُّكَ وَلَا أَنْفُسُهُمْ يَنْعُرُونَ) بِمَنْعِهَا عَنْ أَرَادِهِمْ
سِوَاهُ مِنْ كَسْرٍ أَوْ غَيْرِهِ وَالِاسْتِفْهَامُ لِلتَّوْبِيخِ (وَإِنْ تَدْعُوهُمْ) أَيْ الْأَصْنَامُ (إِلَى الْهُدَى لَا يَتَّبِعُوكُمْ)

المناسب أن يقول في العبادة أو في المعبودية وإنما هو إشراك في التسمية وهو ليس بكفر بل تعمده حرام لعدم تعظيمه شرعاً ،
وأما النسبة للعظم شرعاً كعبد النبي وعبد الرسول فقليل بالكراهة ، والحاصل أن النسبة للعظم شرعاً لاحترامها فيها ولغيره حرام
إن لم يعتد للمعبودية وإلا كان كفراً في الجميع (قوله وروى سمرة) الحكمة في ذكر هذه الرواية أن هذا المقام زلت فيه
أقدام العلماء فمنهم من أصاب ومنهم من أخطأ ، فذكر هذه الرواية ليتضح المقام ويظهر الفث من السمين (قوله وكان لا يعيش
لها ولد) وذلك أنها ولدت قبل ذلك عبد الله وعبيد الله وعبيد الرحمن فأصابهم الموت وكان يلح عليها كل مرة فألح عليها في
الآخر فسمته عبد الحرث كما أفادته رواية المفسر (قوله والجملة) أي قوله - فتعالى الله عما يشركون - (قوله مسببة) عطف على قوله
خلقكم أي وليس لها تعلق بقصة آدم وحواء أصلاً ، ويؤيد ذلك الجمع بعد التثنية ولو كان راجعاً لما لثني الضمير وقال يشركان ، وفي
قوله يشركون التفات من الخطاب إلى الغيبة (قوله أيشركون) شروع في توبيخ أهل مكة على الإشراك (قوله وإن
تدعوم) هذا بيان لعجز الأصنام عما هو أدنى من النصر التثني عنها ، والخطاب للمشركين بطريق الالتفات اعتناء بمزيد
التوبيخ ، وقوله إلى الهدى : أي لكم : أي إن تدعوم إلى أن يهدوكم لا يتبعوكم إلى مرادكم ولا يجيبوكم كما يجيبكم الله

(قوله وإما يزغك) سبب نزولها أنه صلى الله عليه وسلم لما أمر بأخذ العفو والأمر بالعرف والأعراض عن الجاهل قال وكيف بالاضب فنزلت هذه الآية . والزغ هو النخس وهو في الأصل حث السائق للدابة على السير والمراد منه الوسوسة فشبهت الوسوسة بالزغ بمعنى ألحى على السير واستعبر اسم الشبه به للشبه واشتق من الزغ يزغك بمعنى يوسوس لك والخطاب للذي والمراد غيره لأن الشيطان لا تسلط له عليه (قوله فاستعذ بالله) أى اطلب الاستعاذة بالله بأن تقول : أعوذ بالله من الشيطان الرجيم (قوله جواب الشرط) أى وقرن بالفاء لأنه جملة طلبية (قوله إنه مميح عليم) أى فيجيبك لما طلبت (قوله إن الذين اتقوا) أى الذين انصفوا بامتنال الأوامر واجتناب النواهي (قوله أى شئ ألم بهم) تفسير للقراءتين أى خاطر قليل من الشيطان فإذا وسوس الشيطان لهم بفعل المعصية أو ترك الطاعات تذكروا عقاب الله وثوابه فرجعوا لما أمر الله به ونهى عنه (قوله عقاب الله) أى في متابعة الشيطان وقوله وثوابه أى في مخالفته (قوله وإخوانهم) مبتدأ وجملة يمدونهم خبر (قوله أى إخوان الشياطين من الكفار) أى والفساق أشار بذلك إلى (١٠٧)

والفساق والضمر عائذ على الشياطين (قوله يمدونهم) الواو عائذة على الشياطين والهاء عائذة على الكفار والفساق فقد عاد ضمير الخبر على غير المبتدأ في المعنى (قوله هم) أى الإخوان (قوله لا يقصرون) أى لا يبدون عن النفي (قوله بالتبصر) أى التأمل والتفكير والنفي أن الشياطين يمدون الكفار والفساق في النفي حتى لا يكفون عنه ولا يتركونه فجعل الله في هذه الآية للتقنين علامة ونفیرهم علامة (قوله وإذا لم تأتوهم) رجوع لخطاب

(وَأَمَّا) فيه إدغام نون إن الشرطية في ما الزيدة (يَزْغُكَ مِنَ الشَّيْطَانِ زَغٌ) أى إن يصرفك عما أمرت به صارف (فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ) جواب الشرط وجواب الأمر محذوف أى يدفعه عنك (إِنَّهُ سَمِيعٌ) للقول (عَلِيمٌ) بالفعل (إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ) أصابهم (طَيفٌ) وفي قراءة طائف : أى شئ ألم بهم (مِنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا) عقاب الله وثوابه (فَإِذَا هُمْ مُبْصِرُونَ) الحق من غيره فيرجعون (وَإِخْوَانُهُمْ) أى إخوان الشياطين من الكفار (يَمْدُونَهُمْ) أى الشياطين (فِي النَّفْسِ ثُمَّ) هم (لَا يَقْصِرُونَ) يكفون عنه بالتبصر كما تبصر المتقون (وَإِذَا لَمْ تَأْتِهِمْ) أى أهل مكة (بِآيَةٍ) مما اقترحوا (قَالُوا لَوْلَا اجْتَبَيْتَهَا) أنشأتها من قبل نفسك (قُلْ) لهم (إِنَّمَا أَتَّبِعُ مَا يُوحَىٰ إِلَيَّ مِنْ رَبِّي) وليس لي أن آتي من عند نفسي بشئ (هَذَا) القرآن (بَصَاطُ) حجج (مِنْ رَبِّكُمْ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ) . وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنْصِتُوا) عن الكلام (لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ) نزلت في ترك الكلام في الخطبة وعبر عنها بالقرآن لاشتمالها عليه وقيل في قراءة القرآن مطلقاً (وَأَذْكُرُ رَبَّكَ فِي نَفْسِكَ) أى سرّاً (تَضَرَّعاً) تذلاً (وَخِيفَةً) خوفاً منه (وَفَوْقَ السَّرِّ) دُونَ الْجَهْرِ مِنَ الْقَوْلِ) أى قصداً بينهما،

كفار مكة (قوله مما اقترحوا) أى طلبوا (قوله لولا اجتبيتها) أشار للمفسر إلى أن لولا تحضيضية حيث قال هلا (قوله أنشأتها) أى اخترعتها واختلقها (قوله وليس لي أن آتي من عند نفسي بشئ) أى لا يمكنني ذلك (قوله بصائر) أى سبب فيها فسمى السبب وهو القرآن باسم السبب وهو الحجج (قوله لقوم يؤمنون) خصوا بذلك لأنهم المنتفعون به (قوله فاستمعوا له) أى للقرآن (قوله نزلت في ترك الكلام في الخطبة) أى وهو واجب عند مالك والشافعي في القديم ومذهب الشافعي في الجديد الانصات سنة والكلام مكروه (قوله وقيل في قراءة القرآن مطلقاً) أى فيحرم الكلام في مجلس القرآن للتخليط على القاري ، بل يجب الانصات والاستماع فإن أمن التخليط فلا حرمة وما ذكره المفسر قولان من أربع ، وثالثها نزلت في تحريم الكلام في الصلاة لأنهم كانوا يتكلمون في الصلاة ، رابعها أنها نزلت في ترك الجهر بالقراءة خلف الإمام (قوله وأذكرك ربك في نفسك) أى بأي نوع من أنواع الذكر كالسبح والتنهيل والدعاء والقرآن وغير ذلك ، وقوله سرا أى إن لم يلزم عليه الكسل والإجهر (قوله تضرعاً وخيفة) مفعولان لأجله أوحالان أى متضرعين خائفين (قوله ودون الجهر) معطوف على قوله في نفسك .

(قوله بالعدو) جمع غدوة وهي من طلوع الفجر إلى طلوع الشمس ، والأصل جمع أصيل وهو من العصر إلى الغروب وإنما خص هذين الوقتين بالذكر لأن الإنسان يقوم من النوم عند الغداة فطلب أن يكون أول صحيفته ذكر الله ، وأما وقت الأصل فلا إن الإنسان يستقبل النوم وهو أخو الموت فينبغي له أن يشغله بالذكر خيفة أي يموت في نومه ، فيبحث على مامات عليه ، وقيل إن الأعمال تصعد في هذين الوقتين وقيل لكراهة النفل في هذين الوقتين فطلب الذكر فيهما لئلا يضيع على الإنسان وقته (قوله ولا تكن من الغافلين) خطاب للنبي والمراد غيره (قوله عند ربك) المندية عندية مكانة لا مكان أو المراد عند عرش ربك ، وهذا كالدليل لما قبله أي فإذا كان دوام الذكر دأب من لم يجعل لهم على أعمالهم جنة ولا نار فلتكونوا كذلك بالأولى (قوله ينزهونه) أي ينتقدون تنزيهه (قوله أي يخصونه) أخذ هذا الحصر من تقديم العمول (قوله بالخضوع) تفسير للسجود ، أي فالمراد بالسجود مطلق العبادة لا خصوص السجود المعروف ، وإنما خص السجود لأن أقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد ، وهذه أول سجدة القرآن المأمور بها عند التلاوة ، والله أعلم .

[سورة الأنفال] (قوله (١٠٨) سورة الأنفال) مبتدأ ومضاف إليه ، ومندية خبر أول وخس الخ

خبر ثان (قوله أو إلا) أو لحكاية الخلاف فانه اختلف هل هي مدينة كلها وهو الصحيح أو إلا سبع آيات أولها وإذا يكرر بك الذين كفروا وآخرها بما كنتم تكفرون فكيات وهو ضعيف ، ولا يلزم من كونها في شأن أهل مكة أنها نزلت بها بل نزلت بالمدينة حكاية عما وقع في مكة (قوله في غنائم بدر) أي لأنهم أول غنيمة في الاسم (قوله وقال الشيوخ) أي وكانوا محدقين برسول الله خوفا

(بِالْفُتُوِّ وَالْأَسَالِ) أوائل النهار وأواخره (وَلَا تَكُنْ مِنَ الْغَافِلِينَ) عن ذكر الله (إِنَّ الَّذِينَ عِنْدَ رَبِّكَ) أي اللاتكة (لَا يَسْتَكْبِرُونَ) يتكبرون (عَنْ عِبَادَتِهِ وَيُسَبِّحُونَهُ) ينزهونه عما لا يليق به (وَلَهُ يَسْجُدُونَ) أي يخصونه بالخضوع والعبادة فكونوا مثلهم .

(سورة الأنفال)

(مدينة أو إلا : وإذا يكرر بك الآيات السبع فكية)

خس أو ست أو سبع وسبعون آية)

(بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ) لما اختلف المسلمون في غنائم بدر قال الشبان هي لنا لأننا باشرنا القتال . وقال الشيوخ كنا رداء لكم تحت الرايات ولو انكشفتم لقتلنا فلا تستأثروا بها ، نزل (يَسْتَلُونَكَ) يا محمد (عَنِ الْأَنْفَالِ) الغنائم لمن هي (قُلْ) لهم (الْأَنْفَالُ لِلَّهِ وَالرَّسُولِ) يجعلانها حيث شاء ، قسمها صلى الله عليه وسلم بينهم على السواء ، رواه الحاكم في المستدرک (فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ) أي حقيقة ما بينكم بالوعدة وترك النزاع (وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ)

حقا

عليه من العدو (قوله كنا رداء) أي عونا لكم (قوله ولو انكشفتم) أي انهزمتم

(قوله لقتلتم) أي رجعتكم (قوله يستلونك) السؤال ان كان عن تعيين الشيء وتبينه تعدى للفعل الثاني بمن كاهنا ، وإن كان بمعنى طلب الاعطاء تعدى للمفعولين بنفسه كسأت زيدا مالا خلافا لمن فهم أن ما هنا من الثاني وادعى زيادة عن (قوله عن الأنفال) جمع نفل مثل سبب وأسباب ، ويقال نفل بسكون الفاء أيضا وهي الزيادة لزيادة الأمة بها عن الأمم السابقة فانها لم تكن حلالا لهم بل كانوا إذا غنموا غنيمة وضعوها في مكان ، فان قبلها الله منهم أزل عليها نارا أحرقتها والابقيت (قوله لله والرسول) قيل إن معنى ذلك أنها مملوكة لله وأعطاهاملكا لرسوله يتصرف فيها كيف يشاء وعلى هذا فقوله : واعلموا أننا غنمتم الآية ناسخة لها ، وقيل إن ما يأتي توضيح لما هنا وتفصيل له والآية محكمة فيكون المعنى لله والرسول من حيث قسمتها على المجاهدين (قوله يجعلانها حيث شاء) أي فامتثلوا ما أمركم به (قوله فاتقوا الله) أي امتثلوا أمره وأمر نبيه (قوله وأصلحوا ذات بينكم) أي الحالة التي بينكم وهي الوصلة الاسلامية فالنفي أنزكو النزاع والشحناء والغرموا اللودة والهبة بينكم ليحصل النصر والخبر لكم (قوله وأطيعوا الله ورسوله) أي فبا بأمركم به (قوله إن كنتم مؤمنين) شرط خفف جوابه لدلالة ما قبله عليه

(قوله حقا) أى كاملين فى الإيمان فعلامة كل الإيمان طاعة الله والرسول ، وعدم وجود الحرج فى النفس . قال تعالى : فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا فى أنفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما (قوله إنما المؤمنون) استئناف مسوق لبيان صفات المؤمنين فهو كالدليل لما قبله (قوله الكاملون الإيمان) بالنصب على نزع الخافض أى فيه ، وفى بعض النسخ يحذف النون فيكون مضافا للإيمان (قوله الذين إذا ذكر الله) وصل الدين بثلاث صلات كلها متعلقة بالقلب (قوله رجلت قلوبهم) أى فزعت لاستيلاء هيئته على قلوبهم (قوله تصديقا) أشار بذلك إلى أن التصديق يقبل الزيادة إذ لا يصح أن يكون إيمان الأنبياء كإيمان الفساق ، وما قبل الزيادة قبل النقص وبذلك أخذ مالك والشافعي وجمهور أهل السنة (قوله به يتقون) أشار بذلك إلى أن على بمعنى الباء ، ويتوكلون بمعنى يتقون وقوله لا يغيره حصر أخذ من تقديم المعمول والمعنى أن تقتهم بالله لا يغيره فلا يعتمدون على عمل ولا على مال ولا يخافون من غيره (قوله الذين يقيمون الصلاة) أى يلازمونها فى أوقاتها مستوفية الشرط والأركان والآداب (قوله ينفقون) أى النفقة الواجبة كالزكاة أو الصدقة كالصدقة (قوله حقا) صفة لمصدر محذوف أى إيماننا حقا (قوله بلا شك) أى لظهور علامة الإيمان (١٠٩) الكامل فيهم (قوله عند ربهم)

العندية عندية ، كناية لامتكان (قوله ومغفرة) أى غفران لذنوبهم (قوله ورزق كريم) أى دائم مستمر لا تنكد فيه ولا تعب مقرون بالتعظيم والتكريم (قوله كما أخرجك) الكاف بمعنى مثل وما مصدرية خبر المحذوف والتقدير قسم الغنائم عموما والحال أن بعض الصحابة كارهون لذلك مثل إخراجك من بيتك والحال أنهم كارهون لذلك فهو تشبيه حكم بحكم ، أو قصة

حقا (إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ) الكاملون الإيمان (الَّذِينَ ذُكِرَ اللَّهُ) أى وعيده (وَجَلَتْ) خافت (قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تَلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا) تصديقا (وَطَلَى رَبُّهُمْ يَتَكَلَّمُونَ) به يتقون لا يغيره (الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ) يأتون بها بحقها (وَرَمَّا رَزَقْنَاهُمْ) أعطيناهم (يَنْفَقُونَ) فى طاعة الله (أُولَئِكَ) الموصوفون بما ذكر (هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا) صدقا بلا شك (لَهُمْ دَرَجَاتٌ) منازل فى الجنة (عِنْدَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ) فى الجنة (كَمَا أَخْرَجَكَ رَبُّكَ مِنْ بَيْتِكَ بِالْحَقِّ) متعلق بأخرج (وَإِنَّ فَرِيقًا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ لَسَكَارِهُونَ) الخروج والجملة حال من كاف أخرجك وكما خبر مبتدأ محذوف أى هذه الحال فى كراهتهم لها مثل إخراجك فى حال كراهتهم وقد كان خيرا لهم فكذلك أيضا ، وذلك أن أبا سفيان قدم بغير من الشام فخرج النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه ليغنموها فعلت قريش فخرج أبو جهل ومقاتلو مكة ليزبوا عنها ، وهم النفيير وأخذ أبو سفيان بالمرير طريق الساحل فنجت فقييل لأبى جهل ارجع فأبى وصار إلى بدر ،

بقصة وهذا أحسب الأعراب ولذا درج عليه المفسر ، فالمشبه قسم الغنائم عموما ، والمشبه به الخروج لقتال ذى الشوكة بجامع أن كلا كان فيه كراهة لبعض المؤمنين بحسب الصورة الظاهرية ، وفى الواقع ونفس الأمر خير ومصلحة للعموم فى كل لأن الأول ترتب عليه إصلاح ذات البين . والثانى ترتب عليه عز الاسلام ونصر (قوله من بيتك) أى الكائن المدينة أو المراد بالبيت نفس المدينة (قوله متعلق بأخرج) أى والباء سببية ، والمعنى أخرجك من بيتك بسبب الحق أى إظهار الدين ورفع شأنه ويصح أن الباء للابسة والجار والمجرور متعلق بمحذوف حال من الكاف فى أخرجك . أى أخرجك متلبسا بالحق أى الوحي لاعتنى هوى نفسك (قوله والجملة حال) أى مقدرة لأنهم وقت الخروج لم يكونوا كارهين ، وإنما طرأت الكراهة عند الأمر بقتال ذى الشوكة (قوله أى هذه الحال) أى وهى قسم الغنائم على العموم (قوله فى كراهتهم لها) هذا هو وجه الممانعة والشبهة بينهما (قوله فكذلك أيضا) أى قسم الغنائم كان خيرا انتهاء لما فيه من إصلاح ذات البين (قوله قدم بغير) أى إبل حاملة تجارة ، وكان فيها أموال كثيرة ، ورجال قليلة نحو الأربعين (قوله فعلت قريش) أى بإخبار مضمضة بن عمرو الثقفى الذى اكترأ أبو سفيان ليعلم قريشا بذلك (قوله ومقاتلو مكة) أى وكانوا ألفا إلا خمسين (قوله وأخذ أبو سفيان) أى عدل عن الطريق المعتاد للمدينة وسار بساحل البحر .

(قوله فشاور صلى الله عليه وسلم أصحابه) أى فى المضى إلى بدر لقتال النضير (قوله فوافقوه) أى آخرها بعد أن توقف بعضهم محتجا بعدم التهيؤ ، وكان إذ ذاك صلى الله عليه وسلم بوادى دقران بدال وقاف وراء بوزن سلمان واد قريب من الصفراء ، وعند المشاورة قام أبو بكر وعمر فأحسنا فى القول ، ثم قام سعد بن عباد فقال : انظر أمرك فامض فيه فوالله لو سرت إلى عدن ماتخلف عنك رجل من الأنصار ، ثم قال مقداد بن عمرو : امض كما أمرك الله فانا معك حيثما أحيت لا نقول لك كما قالت بنو إسرائيل لموسى : اذهب أنت وربك فقاتلا إنا هاهنا قاعدون ، ولكن اذهب أنت وربك فقاتلا إنا معكما مقاتلون ، فتبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال : أيها الناس ! أشيروا علىّ وهو يريد الأنصار ، فقام سعد بن معاذ فقال : كأنك تريدنا يا رسول الله ؟ قال أجل . قال أنا قد آمنا بك وصدقناك وشهدنا أن ما جئت به هو الحق فامض يا رسول الله لما أردت فانا لانكره أن تلقى بنا عدونا وإنا لصبر عند الحرب صدق عند اللقاء ولعل الله يريك منا ما تقر به عينك فسر بنا على بركة الله ، ثم قال رسول الله سيروا على بركة الله وأبشروا فان الله وعدنى إحدى الطائفتين ، والله لكأني أنظر إلى مصارع القوم (قوله يجادلونك فى الحق) أى يقيمون حجة قبالة حجة ، فليس للراد بالجدال الجدال فى الباطل (قوله ظهر لهم) أى تحتم القتال (قوله كأنما يساقون إلى الموت) أى كأنهم مثل من يساق إلى القتل وهو ينظر بعينه أسبابه (قوله فى كراهتهم له)

هذا هو وجه المشابهة ، وسبب تلك الكراهة قلة عددهم وعددهم فقد ورد أنهم كانوا ثلثمائة وثلاثة عشر ، والكل رجال وليس فيهم إلا فرسان (قوله بخلاف النضير) أى فانه كثير العدد والعدد (قوله يظهره) جواب عما يقال إن فيه تخصيص الحاصل ، وكذا يقال فى قوله ويبطل الباطل (قوله ليحق القول) ليس مكررا مع ما قبله لأن المراد بالأول تثبيت ما وعده به فى هذه

فشاور صلى الله عليه وسلم أصحابه وقال : إن الله وعدنى إحدى الطائفتين فوافقوه على قتال النضير وكره بعضهم ذلك وقالوا لم نستعد له كما قال تعالى (يُجَادِلُونَكَ فِي الْحَقِّ) القتال (بَعْدَ مَا تَبَيَّنَ) ظهر لهم (كَأَنَّمَا يُسَاقُونَ إِلَى الْمَوْتِ وَهُمْ يَنْظُرُونَ) إليه عيانا فى كراهتهم له (وَ) اذكر (إِذْ يَعِدُكُمُ اللَّهُ إِحْدَى الطَّائِفَتَيْنِ) المير أو النضير (أَنَّهَا لَكُمْ وَتَوَدُّونَ) تريدون (أَنَّ غَيْرَ ذَاتِ الشَّوْكَةِ) أى البأس والسلاح وهى المير (تَكُونُ لَكُمْ) قلة عددها وعددها بخلاف النضير (وَيُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُحِقَّ الْحَقَّ) يظهره (بِكَلِمَاتِهِ) السابقة بظهور الإسلام (وَيَنْقَطِعَ دَابِرَ الْكَافِرِينَ) آخرهم بالاستئصال فأمرهم بقتال النضير (لِيُحِقَّ الْحَقَّ وَيُبْطِلَ) يحق (الْبَاطِلَ) الكفر (وَلَوْ كَرِهَ الْمُجْرِمُونَ) المشركون ذلك . اذكر (إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ) تطلبون منه العوث بالنصر عليهم (فَأَسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي) أى باني (مُبْدِيكُمْ) معينكم (بِأَلْفٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُرْدِفِينَ) متتابعين يردف بعضهم بعضا ، وعدم بها أولا ثم صارت ثلاثة آلاف ثم خمسة كما فى آل عمران ، وقرئ بألف ،

كافلس

الواقعة من النصرة والظفر بالأعداء ، والمراد بالثانى تقوية الدين ،

وإظهار الشريعة مدى الأيام (قوله إذ تستغيثون) إما خطاب للنبي صلى الله عليه وسلم فقط فيكون الجمع لتعظيم ، أو خطاب للنبي وأصحابه ، روى عن ابن عباس قال : حدثني عمر بن الخطاب قال لما كان يوم بدر نظر رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى المشركين وهم ألف ، وأصحابه ثلثمائة وبضعة عشر رجلا ، فاستقبل نبي الله القبلة ثم مده يديه فجعل يهتف بربه يقول : اللهم أنجز لى ما وعدتني ، اللهم آتني ما وعدتني ، اللهم أن تهلك هذه العصابة من أهل الاسلام لانهبني الأرض فما زال يهتف بربه ماذا يديه حتى سقط رداؤه عن منكبيه ، فأتاه أبو بكر فأخذ رداءه فألقاه على منكبيه ثم التزمه من ورائه وقال باني الله كفاك مناشدتك ربك فانه سينجز لك ما وعدك فترأت هذه الآية (قوله تطلبون منه العوث) أشار بذلك إلى أن السين والتاء للطلب (قوله عديكم بألف) ورد أن جبريل نزل بخمسمائة وقاتل بها فى عين العسكر وفيه أبو بكر ونزل ميكائيل بخمسمائة وقاتل بها فى يسار الحيش ، وفيه على ولم يثبت أن الملائكة قاتلت فى وقعة إلا فى بدر ، وأما فى غير هاهنا كانت تنزل لتكثير عدد المسلمين ولا تقاتل (قوله يردف بعضهم بعضا) أى يعقبه فى الهجم (قوله وعدهم بها أولا) أشار بذلك إلى الجمع بين ما هنا وبين ما فى آل عمران (قوله وقرئ) أى شذوذا .

(قوله كافلس) أى فأبدلت الممزة الثانية ألفا (قوله إلا من عند الله) أى فلا يتوقف على تهيؤ بعدد ولا عدد (قوله إذ ينشأكم النعاس) أى دفعة واحدة فناموا كلهم وهذا على خلاف العادة فهى معجزة لرسول الله حيث غشى الجميع النوم في وقت الحوف وفيه ثلاث قراآت سبعة ينشأكم كبقاكم والنعاس مرفوع على الفاعلية ، وينشئكم بتشديد الشين وضم ياء المضارعة وينشئكم بتخفيف الشين وضم ياء المضارعة والنعاس منصوب على المفعولية في هاتين القراءتين (قوله أمنة) منصوب على الحال على القراءة الأولى أو المفعول لأجله على القراءتين الأخيرتين . قال عبد الله بن مسعود : النعاس في القتال أمنة من الله وفي الصلاة من الشيطان . قيل إنهم لما خافوا على أنفسهم لكثرة عدد العدو وعددهم وقلة المسلمين وعطشوا عطشا شديدا ألقى الله عليهم النوم حتى حصلت لهم الراحة وزال عنهم العطش وتمكنوا من قتال عدوهم فكان ذلك النوم نعمة في حقهم لأنه كان خفيفا بحيث لو قصدوا العدو لتنبهوا وقدروا على دفعه (قوله من الحوف) بيان لما (قوله ليظهركم الخ) أى وذلك أنهم وقفوا في كتيب رمل فتلقى الله عليهم فيه من لينه ونعمته واشتد عليهم الحوف من أن يأتيهم العدو في تلك الحالة فألقى الله عليهم النعاس فاحتلم معظمهم فاشتد احتياجهم إلى الماء فوسوس لهم الشيطان (١١١) بما ذكره المفسر فرد الله كيده

بأزال المطر الكثير عليهم فشرّبوا وتطهروا وملؤا القرب وتلبد الرمل حتى سهل الشئ عليه (قوله إذ يرحى ربك) معمول محذوف أى اذكر ولم يقدره المفسر اكالا على تقديره فيما سبق (قوله إلى اللاتكة) أل للعهد الذكر أى المذكورين فيما سبق في قوله : أتى مدكم بألف من اللاتكة كأشار إليه المفسر (قوله أتى معكم) الجملة في محل نصب مفعول ليوحى (قوله فتبنتوا الذين آمنوا)

كافلس جمع (وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ) أى الإمداد (إِلَّا بِشَرِّهِ وَلِتَعْلَمَ بِهٖ قُلُوبُكُمْ وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ هَزِيرٌ حَكِيمٌ) اذكر (إِذْ يَنْشَأُكُمْ النَّعَاسُ أَمَنَةً) أمنا مما حصل لكم من الحوف (مِنْهُ) تعالى (وَيُنْزَلُ عَلَيْكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءٌ لِيُطَهِّرَكُمْ بِهِ) من الأحداث والجنابات (وَيُذْهِبَ عَنْكُمْ رِجْزَ الشَّيْطَانِ) وسوسته إليكم بأنكم لو كنتم على الحق ما كنتم ظلماء محدثين والمشركون على الماء (وَلِيَرْبِطَ) يحبس (عَلَى قُلُوبِكُمْ) باليقين والعبر (وَيُثَبِّتَ بِهِ الْأَقْدَامَ) أن تسوخ في الرمل (إِذْ يُوحَىٰ رَبُّكَ إِلَى الْمَلَائِكَةِ) الذين أمد بهم المسلمين (أَتَى) أى أبانى (مَعَكُمْ) بالعموم والنصر (فَتَبَنَّتُوا الَّذِينَ آمَنُوا) بالاعانة والتبشير (سَاءَ لِقَايَ فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرَّعْبَ) الحوف (فَاضْرِبُوا فَوْقَ الْأَعْنَاقِ) أى الرؤوس (وَاضْرِبُوا مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ) أى أطراف اليدين والرجلين فكان الرجل يقصد ضرب رقبة الكافر فتسقط قبل أن يصل إليه سيفه، ورمام صلى الله عليه وسلم قبضة من الحمى فلم يبق مشرك إلا دخل في عينيه منها شيء فمزموه (ذَلِكَ) العذاب الواقع بهم (بِأَنَّهُمْ شَاقُوا) خالفوا (اللَّهُ وَرَسُولَهُ وَمَنْ يُشَاقِقِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ) له ،

أى قوّوا قلوبهم ، واختلف في كيفية هذه التقوية ف قيل إن الشيطان كما أن له قوّة في إلقاء الوسوسة في قلب ابن آدم بالسوء كذلك الله له قوّة في إلقاء الإلهام في قلب ابن آدم بالخير ويسمى مايلقيه الملك إلهاما ، وقيل إن ذلك التثبيت حضورهم القتال معهم ومعوتهم لهم بالقتل بالفعل ، وقيل معناه شروم بالنصر والظفر فكان الملك يمشى في صفة رجل أمام الصف ويقول أجزوا فإن الله ناصركم عليهم (قوله سألقى في قلوب الذين كفروا) كالتفسير لقوله : أتى معكم وقوله فاضربوا الخ كالتفسير لقوله فتبنتوا فهو لف ونشر مرتب (قوله الرؤوس) تفسير للفظ فوق وقد توسع فيه حيث استعملوه مفعولا به وإن كان أصله ظرف مكان ملازما للظرفية وقيل إن لفظة فوق زائدة وقد أشار له المفسر بقوله يقصد ضرب رقبة الكافر الخ فقد أشار المفسر إلى قولين، وقيل إن فوق باقية على ظرفيتها والمفعول محذوف أى فاضربوهم فوق الأعناق ، وقيل إن فوق بمعنى على والمفعول محذوف أيضا أى فاضربوهم على الأعناق (قوله أى أطراف اليدين والرجلين) في التصباح البنان الأصابع قيل أطرافها والواحدة بنانة (قوله الإدخل في عينيه) أى وفي فيه وأفضه (قوله ذلك العذاب) أى من إلقاء الرعب والقتل والأمر وقوله بأنهم الباء سببية (قوله خالفوا الله ورسوله) أصل معناها المجانبة لأنهم صاروا في شق وجانب عن النبي والمؤمنين (قوله فإن الله شديد العقاب) أى وما نزل بهم في هذا اليوم قليل بالنسبة لما أذخر لهم عند الله .

(قوله ذلکم العذاب) اسم الإشارة مبتدا خبره محذوف قدره الفسر وقوله فذوقوه لأنطق بما قبله من جهة الأعراب (قوله وأن الكافرين) عطف على ذلکم أو نصب على المفعول معه (قوله يأبىها الذين آمنوا إذا لقيتم) خطاب لكل من يحضر القتال (قوله زحفا) حال من المفعول به وهو الذين فهو مؤول بالمشتق أى حال كونهم زاحفين (قوله أى مجتمعين الخ) أى فالحض على التشبيه بالزاحفين على أدبارهم في بطء السير وذلك لأن الجيش إذا كثرت التحم بعضه ببعض يتراءى أن سيره بطيء وإن كان في نفس الأمر سريعاً ، وفي الصباح زحف القوم زحفاً من باب نفع (قوله فلا تولوهم الأدبار) ويطاق الهز على مقابل القبل ويطاق على الظهر وهو المراد هنا وللصود ملزوم تولية الظهر وهو الانهزام فهذا اللفظ استعمل في ملزوم معناه كما أشار له الفسر بقوله منهزمين والأدبار مفعول ثان لتولوهم وكذا دبره مفعول ثان ليولوهم وفي الآية تعريض حيث ذكر لهم حالة تستهجن من فاعلها في تعبيره بلفظ الدبر دون الظهر (قوله أى يوم لقائهم) حل معنى وإلا فتضى التنوين في إذ أن يقول يوم لقيتموهم لأنه عوض عن جملة (قوله إلا متحرفاً) في نصبه مع ما عطف عليه وجهان أحدهما أنه حال والثاني أنه مستثنى من ضمير المؤمنين (قوله الفرقة) بفتح الفاء وهى الفرقة من الفرع أى الفرقة من الفرقة وهو يريد الكثرة أى الرجعة لأن الكثرة من الرجوع والكثرة الرجوع وهذا أحد أبواب الحرب ومكايدها (قوله أومتحيزاً) التحيز والتحيز الانضمام وأصل تحيز تحيوز اجتمعت (١١٣) الواو والياء وسبقت إحداهما بالسكون قلبت الواو ياء وأدغمت الياء

في الياء (قوله يستنجد) أى يستنصر ويستعين (قوله فقد باء بغضب) جواب الشرط وهو من والباء للابسة أى ملتبسا ومصحوباً بغضب (قوله وماواه) أى مسكنه وفي الآية وعيد عظيم ولذلك قيل إن الفرار أكبر الكبائر بعد الكفر (قوله محصر) أى مقصور أى فإن زادت عن الضعف كما إذا كان المسلمون

(ذَلِكُمُ) الْعَذَابُ (فَذُوقُوهُ) أَيُّهَا الْكَافِرُونَ فِي الدُّنْيَا (وَأَنَّ لِلْكَافِرِينَ) فِي الْآخِرَةِ (عَذَابٌ النَّارِ) . يَأْبَى الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمْ الَّذِينَ كَفَرُوا زَحْفًا (أَيُّ مُجْتَمِعِينَ كَانَتْهُمْ لِكثَرَتِهِمْ يَرْحَفُونَ) (فَلَا تُؤَلُّوهُمْ الْأَدْبَارَ) (مَنْهُمْ يَوْمَئِذٍ) (أَيُّ يَوْمٍ لِقَائِهِمْ) (ذُبُّهُ إِلَّا مُتَحَرِّفًا) (لِقِتَالٍ) (بِأَنْ يَرِيَهُمُ الْفِرَّةَ مَكِيدَةً وَهُوَ يَرِيدُ الْكِرَّةَ) (أَوْ مُتَحَيِّزًا) (مَنْضًا) (إِلَى فِتْنَةٍ) (جَمَاعَةٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ) (يَسْتَنْجِدُ بِهَا) (فَقَدْ بَاءَ) (رَجَعَ) (بِغَضَبٍ مِنَ اللَّهِ) (وَمَأْوَاهُ جَهَنَّمُ) (وَبِئْسَ الْمَصِيرُ) (الْمَرْجِعُ هِيَ) (وَهَذَا مَخْصُوصٌ بِمَا إِذَا لَمْ يَزِدْ الْكَافِرُ عَلَى الضَّعْفِ) (فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ) (يَبْدُرُ بِقُوَّتِكُمْ) (وَلَكِنَّ اللَّهَ قَتَلَهُمْ) (بِنَصْرِهِ) (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا) (إِذْ رَمَيْتُمُ بِالْحَصَى) (لَأَنَّ كَفَّاءَ مِنَ الْحَصَى لَا يَمْلَأُ عَيْنَ الْجَيْشِ الْكَثِيرِ) (بِرَمِيهِ) (بُشْرٍ) (وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَى) (بِإِصَالِ ذَلِكَ إِلَيْهِمْ) (فَلِذَلِكَ لِيَقْهَرَ الْكَافِرِينَ) (وَلِيُبَيِّنَ لِلْمُؤْمِنِينَ مِنْهُ بَلَاءً) (عَطَاءً) (حَسَنًا) (هُوَ الْغَنِيمَةُ) (إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ) (لِأَقْوَالِهِمْ) (عَلِيمٌ) (بِأَحْوَالِهِمْ) (ذَلِكُمْ) (الْإِبْلَاءُ) (حَقٌّ) (وَأَنَّ اللَّهَ مُؤْتِي) (مُضَفٍّ) (كَيْدَ الْكَافِرِينَ) (إِنْ تَسْتَفْتِحُوا)

رابع الكفار فلا يحرم الفرار (قوله فلم تقتلوهم) نزلت هذه الآية لما افتخر المسلمون

بعدم رجوعهم من بدر فكان الواحد منهم يقول: أنا قاتل كذا أمرت كذا فاعلمهم الله الأدب بقوله فلم تقتلوهم الخ والفاء واقعة في جواب شرط . قدر أى افتخرتم بقتلهم فلم تقتلوهم (قوله ولكن الله قتلهم) قرئ بتشديد لكن وتخفيفها فعلى التخفيف تكون مهمة ولفظ الجلالة مرفوع على الابتداء وعلى التشديد تكون عاملة عمل إن ولفظ الجلالة منصوب على أنه اسمها وهما قراءتان سبعيتان (قوله وما رميت إذ رميت) ظاهره التناقض حيث جمع بين التنى والاثبات والجواب أن التنى الرمى بمعنى إصبال الحصى لأعينهم والثبت فعل الرمى كما أشار لهذا الجواب للفسر بقوله بإصبال ذلك إليهم (قوله ولكن الله رمى) فيه القراءتان المتقدمتان وقد علمت أن حكمة قوله تعالى: فلم تقتلوهم التأديب لبعض المؤمنين ، وأما حكمة قوله تعالى: وما رميت فأثبت أنها معجزة من الله لنبيه تدكر من جملة معجزاته التى أمر بالتحدث بها قال تعالى: وأما بنعمة ربك فحدث ، وقال البوصيرى: ورمى بالحصى فأصعد جيشاً ما الصا عنده وما الإلقاء

(قوله فعل) أى الله ذلك أى القتل والرمى وقوله ليقهر الخ قدره ليعطف عليه وليبلى (قوله عطاء) أى فالمراد من الإبلاء الإعطاء فهو إبلاء بخبر لا بشر فأن البلاء يقع على النعمة وعلى الهنة لأن أصله الاختيار وذلك كما يكون بالهنة لظاهر الصبر يكون بالنعمة لظاهر الشكر (قوله ذلکم) مبتدأ خبره محذوف قدره الفسر بقوله حق ، وقوله

وإن الله يجوز أن يكون معطوفاً على ذلكم فيكون في محل رفع بالأبداء ولجوه حذف أيضاً ، والمعنى ذلكم الإبلاء للمؤمنين حق وتوهين كيد الكافرين حق وموهن بفتح الواو وتشديد الهاء والتنوين فكيد منصوب على المفوضية به ويقراً بسكون الواو وتخفيف الهاء من أوهن كأكرم منونا أو مضافاً إلى كيد فالقراءات ثلاث وكلها سبعة (قوله أيها الكفار) أي فهو خطاب لأهل مكة على سبيل التهم لأنهم الذين وقع بهم الهلاك والفتح وقع لغیرهم (قوله أي القضاء) أي الحكم بينكم وبين محمد بنصر الحق وخذلان البطل (قوله حيث قال أبو جهل) أي وغيره من قريش حين أرادوا الخروج إلى بدر تعلقوا بأستار الكعبة ودعوا بما ذكره المفسر (قوله أينما) أي الفريقين يعني نفسه ومن معه ومحمداً ومن معه وهو يزعم أن محمداً هو القاطع للرحم حيث خرج من بلده وترك أقاربه (قوله فأحنه الغداة) الحين بالفتح الهلاك يقال حان الرجل هلك وأحانه الله أهلكه والغداة ظرف للحين أي أهلكه فيما يستقبل (قوله وفتحها على تقدير اللام) أي فهما قراءتان سبعيتان أي واللام المقدرة للتعليل (قوله يأيتها الذين آمنوا أطيعوا الله) أي دوموا على طاعته وعلى عدم التولي يدكم لكم العز الذي حصل بيد (قوله إن شر الدواب الخ) نزلت في جماعة من بني عبد الدار بن قصي كانوا يقولون نحن صم بكم عمى عما جاء به محمد وتوجهوا مع أبي جهل حاملين اللواء

أبى جهل حاملين اللواء لقتال النبي وأصحابه بيدر فقتلوا جميعاً ولم يسلم منهم إلا اثنان مصعب بن عمير وسبيط بن حرملة والدواب في اللغة مادب على وجه الأرض عاقلاً أو غيره وفي العرف مخصوص بالحيل والبالغ والخير وفي الآية غاية الذم لهم بأنهم أشر من الكلب والحنزير والخير (قوله ولو علم الله فيهم خيراً) هذا تسلية للنبي صلى الله عليه وسلم على عدم إيمانهم ولو

أيها الكفار أي تطلبوا الفتح أي القضاء حيث قال أبو جهل منكم : اللهم أينما كان أقطع للرحم وأتانا بما لا نعرفه فأحنه الغداة أي أهلكه (فَقَدْ جَاءَكُمْ الْفَتْحُ) القضاء بهلاك من هو كذلك وهو أبو جهل ومن قتل معه دون النبي صلى الله عليه وسلم والمؤمنين (وَإِنْ تَنْتَهُوا) عن الكفر والحرب (فَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَإِنْ تَعُودُوا) لقتال النبي صلى الله عليه وسلم (نَعُدْ) لنصره عليكم (وَلَنْ تَغْنِي) تدمع (عَنْكُمْ فِتْنَتُكُمْ) جماعاتكم (شَيْئاً وَلَوْ كَثُرَتْ) وَإِنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ) بكسر إن استئنفاً ، وفتحها على تقدير اللام (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَوَلَّوْا) تعرضوا (عَنْهُ) بمخالفة أمره (وَأَنْتُمْ تَسْمَعُونَ) القرآن والمواظ (وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ قَالُوا سَمِعْنَا وَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ) سماع تدبر واتعاط وهم المناقون أو المشركون (إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِنْدَ اللَّهِ الضُّمُّ) عن سماع الحق (الْبُكْمُ) عن النطق به (الَّذِينَ لَا يَعْمَلُونَ . وَلَوْ عَلِمَ اللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا) صلاحاً بسماع الحق (لَأَسْمَعَهُمْ) سماع تفهم (وَلَوْ أَسْمَعَهُمْ) فرضاً وقد علم أن لا خير فيهم (لَتَوَلَّوْا) عنه (وَهُمْ مُعْرِضُونَ) عن قبوله عناداً وجحوداً (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ) بالطاعة (إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ) ،

حرف امتناع لامتناع ، والمعنى امتنع سماعهم الخير سماع تفهم لامتناع علم الخير فيهم (قوله ولو أسمعهم) هذا ترق في التسلية والمعنى لو فرض أن الله أسمعهم سماع تفهم لتولوا وهم معرضون عنه عناداً فلا تحزن على كفرهم فإن كفرهم ثابت مطلقاً فهموا الحق أولاً هذا حاصل معنى الآية . واستشكل ظاهرها بأن الآية دلت على قياس حاصله لو علم الله فيهم خيراً لسمعهم ولو أسمعهم لتولوا ينتج لو علم الله فيهم خيراً لتولوا وهو فاسد إذ لو علم الله الخير فيهم لآمنوا ولم يكفروا . وأجيب بجوابين الأول أن الحد المكرر لم يتحد معنى وشرط الانتاج اتحاده معنى لأن المواد بالاصماع الأول للوجوب لفهم والاذعان والاصماع الثاني لفهم من غير إذعان . الثاني أن الكلام تم عند قوله لسمعهم وقوله ولو أسمعهم ترق في التشفيص عليهم فالمعنى هم لم يؤمنوا ولم ينقادوا عند التفهم على فرض حصوله فعلم إيمانهم عند عدمه أولوى نظير لو لم يخف الله لم يعصه ولكن توليهم عند ظهوره الحق عناد وجحود وعند عدمه جهل (قوله استجيبوا) السمع والتاء زائدتان للتوكيد (قوله إذا دعاكم) أفرد لأن دعوة الرسول في الحقيقة هي لله وذكر الرسول أولاً لأنه المبلغ عن الله فعند طاعته مخالفة لله (قوله لما يحييكم) ما إبانة وكلمة يحييكم صفة لواسم موصول وما بعدها صلة والمعنى لما فيه حياتكم الأبدية

(قوله من أمر الدين) أي وهو الإيمان والاسلام وقيل هو القرآن لأنه حياة القلوب وبه النجاة من أهوال الدنيا والآخرة وقيل هو الحق مطلقا ، وقيل الجهاد في سبيل الله وآمنها ما قاله المفسر (قوله واعلموا أن الله يحول بين المرء وقلبه) أي يخلص بينهما بتصاريفه وأحكامه وذلك كناية عن كونه أقرب للشخص من قلبه ومن قلبه لقلبه بل هو أقرب من السمع للأذن ومن البصر للعين ومن اللس للجسد ومن الشم للأنف ومن الذوق للسان فشبه القرب بالحيولة واستعير اسم التشبه به وهو الحيولة للشبه وهو القرب واشتق من الحيولة يحول بمعنى يقرب على سبيل الاستعارة التصريحية التبعية (قوله فلا يستطيع أن يؤمن أو يكفر إلا بإرادته) تقدم أنه لا مفهوم للكفر والإيمان بل السمع والبصر والشم والذوق واللس في قبضة الله سبحانه إن شاء أبقاءه وإن شاء أذهبه وإنما خص الإيمان والكفر لأن مناط السعادة والشقاوة بهما (قوله فيجازيكم بأعمالكم) أي إن خيرا غير وإن شرا فشر (قوله واتقوا فتنة) أي سبب فتنة وهي المعاصي فانها سبب لنزول المصائب الدنيوية (قوله لاتصيين) الجملة صفة لفتنة ولانافية وتصيين فعل مضارع مبني على الفتح لاتصاله بنون التوكيد الثقيلة وهو واقع في جواب شرط مقدر قدره المفسر بقوله إن أصابتكم وليس جوابا للأمر لأن المرتب على تقواها عدم إصابتها أحدا لا خصوصا ولا عموما وإنما أكد الفعل المضارع للنفي بالنون لإجراء له مجرى النهي (قوله بل تعمهم وغيرهم) أي فالظالم لظلمه وغير الظالم لآقراره وسكوته وعدم نهييه عن النكر وفي الحديث (١١٤) مامعناه «مثل الظالم كمثل جماعة في أسفل مركب ومثل غير الظالم

كمثل جماعة في أعلى المركب فأراد أهل الأسفل أن يخرقوا خرقا يستقون منه فان سلم لهم أهل الأعلى هلكوا جميعا ، وإن قاموا عليهم نجوا جميعا » قال ابن عباس أمر الله المؤمنين أن لا يقرؤا النكر بين أظهرهم فيعمهم الله بالعذاب فيصيب الظالم وغير الظالم ، وفي الحديث «إن الله لا يعذب

من أمر الدين لأنه نسيب الحياة الأبدية (وَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ) فلا يستطيع أن يؤمن أو يكفر إلا بإرادته (وَأَنَّهُ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ) فيجازيكم بأعمالكم (وَأَتَقُوا فِتْنَةً) إن أصابتكم (لَاتُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً) بل تعمهم وغيرهم واتقوا بها بإنكار موجها من النكر (وَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ) لمن خالفه (وَأَذْكُرُوا إِذْ أَنْتُمْ قَلِيلٌ مُسْتَضْعَفُونَ فِي الْأَرْضِ) أرض مكة (تَخَافُونَ أَنْ يَتَخَطَّفَكُمُ النَّاسُ) يأخذكم الكفار بسرعة (فَأَوَّاكُمْ) إلى المدينة (وَأَيَّدَكُمْ) قواكم (بِنَصْرِهِ) يوم بدر بالملائكة (وَرَزَقَكُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ) الغنائم (لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ) نعمه . ونزل في أبي لبابة مروان بن عبد المنذر وقد بعثه صلى الله عليه وسلم إلى بنى قريظة لينزلوا على حكمه فاستشاروه فأشار إليهم أنه الذبح لأن عياله وماله فيهم ،

(يأياها)

العامة تعمل الخاصة حتى يروا النكر بين ظهرانيهم وهم قادرون على

أن ينكروه فلا ينكروه فإذا فعلوا ذلك عذب الله العامة والخاصة وورد «إذا عمت الخطيئة في الأرض كان من شهدها فأنكرها كمن غاب عنها ومن غاب عنها فرضيها كان كمن شهدها» إلى غير ذلك من الأحاديث الواردة في ذلك فإذا علمت ذلك فلا تشكل هذه بقوله تعالى - ولا تزر وازرة وزر أخرى - لما علمت أن الساكت على النكر مؤاخذ بوزر نفسه لا بوزر المباشر (قوله واذكروا) خطاب للنبي وأصحابه نزلت بعد غزوة بدر (قوله مستضعفون) أي مظهرون الضعف لعدم أمرهم بالقتال (قوله الغنائم) أي فلما هاجروا وأمرؤا بالقتال تركوا التجارة وصار رزقهم من الغنائم ، وفي الحديث «جعل رزقي تحت ظل رمحي» (قوله لعلكم تشكرون) أي فزادوا من النعم لأن بالشكر تزداد النعم قال تعالى : لئن شكرتم لأزيدنكم (قوله ونزل في أبي لبابة) اسمه مروان كما في بعض النسخ وقيل رفاعه (قوله وقد بعثه إلخ) . حاصل قصته أن رسول الله حاصر قريظة خمسا وعشرين ليلة وقيل خمسة عشر وقيل بضعة عشر يوما ، فلما اشتد عليهم الأمر قام عليهم رئيسهم كعب بن أسد وعرض عليهم الإيمان فقال يا معشر اليهود قد نزل بكم من الأمر ما ترون وإني أعرض عليكم خصالا ثلاثا تغذوا منها شئتم قالوا وما هي ؟ قال تابع هذا الرجل ونصده فوائده لثقتين أنه نبي مرسل وأنه الذي تجددونه في كتابكم فتأمنون على دماءكم وأموالكم وأبنائكم ونسائكم فأبوا فقال لهم تقتل أبناءنا ونساءنا ، ثم نخرج إلى محمد وأصحابه رجالا مجردين السيوف من غمها لم تترك وراءنا قتلا حتى يحكم الله بيننا وبين محمد فقالوا أي عيش لنا بعد أبنائنا ونسائنا فقال إن هذه الليلة ليلة السبت

وهي أن يكون محمد وأصحابه قد آمنوا فيها فانزلوا لعلنا نصب منهم غرة فقالوا نفسد سبتنا وقد علمت مسخ من خالف النسب فانزلوا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن ابنت لنا أبا لبانة نستشير في أمرنا فأرسله إليهم فلما رأوه قام إليه الرجال وفتح النساء والصبيان يبكون في وجهه فرقت لهم وقالوا يا أبا لبانة أتري أن نزل على حكم محمد قال نعم وأشار بيده إلى حلقه أنه الذبح فقال أبو لبانة فوالله ما زالت قدماي من مكانهما حتى عرفت أني خنت الله ورسوله ثم انطلق وصلى طريقا أخرى فلم يأت رسول الله حتى ارتبط في المسجد إلى حمود من عمه وقال لا أبرح من مكاني هذا حتى يتوب الله عليّ مما صنعت فلما بلغ خبره رسول الله وقد استبطاه قال أما لو جاءني لاستغفرت له وأما إذ فعل ما فعل فما أنا بالذي أطلقه من مكانه حتى يتوب الله عليه فأقام أبو لبانة مرتبطا بالجذع ست ليال وقيل بضع عشرة ليلة حتى ذهب معه وكاد يذهب بصره وكانت امرأته تأتيه في وقت كل صلاة فتحله للصلاة ثم تربطه ثم تزلت توبته في بيت أم سلمة على رسول الله صلى الله عليه وسلم سحرا فقام يضحك فقالت أم سلمة مم تضحك ؟ أضحك الله سنك قال تيب على أبي لبانة قالت أفلا أبشرك يا رسول الله قال بلى إن شئت فقامت على باب حجرتها وذلك قبل أن تنزل آية الحجاب فقالت يا أبا لبانة أبشرك فقد تاب الله عليك فتسارع إليه الناس ليطلقوه ، فقال لا والله حتى يكون رسول الله هو الذي يطلقني بيده فلما أصبح أصبح أطلقه فلما اشتد الحصار على بني قريظة أطاعوا واتفقوا أن يزلوا على حكم رسول الله فحكم فيهم سعد بن معاذ وكان في خيمة في المسجد الشريف لامرأة من أسلم يقال لها ربيعة وكانت تدأى الجرحى حسبة فأتى به فلما حضر قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قوموا لسيدكم فقاموا إليه فقالوا إن رسول الله وذاك أمر، واليك لتحكم فيهم فقال سعد إني أحكم فيهم أن تقتل الرجال (١١٥) وتقسّم الأموال وتسي الذراري

والنساء فقال عليه الصلاة والسلام لقد حكمت فيهم بحكم الله من فوق سبعة أرقعة والرقيع السماء ففعل بهم كما قال سعد (قوله يا أيها الذين آمنوا) إنما هم الخطاب إلى السرة عليه وأن العبرة بعموم

(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَخُونُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ ، وَ) (لَا تَخُونُوا أَمَانَاتِكُمْ) مَا تَنَمَتُمْ عَلَيْهِ مِنَ الدِّينِ وَغَيْرِهِ (وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ) . وَأَعْلَمُوا أَنَّ أَمْوَالَكُمْ وَأَوْلَادَكُمْ فِتْنَةٌ (لَكُمْ صَادَةٌ عَنْ أُمُورِ الْآخِرَةِ) (وَأَنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ) فلا تقوّتوه بمراعاة الأموال والأولاد والخيانة لأجلهم . ونزل في توبته (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ تَتَّقُوا اللَّهَ) بِالْإِنَابَةِ وَغَيْرِهَا (يَجْعَلْ لَكُمْ فُرْقَانًا) بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ مَا تَخَافُونَ فَتَنَجُونَ (وَيُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ) (وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ) . وَ) اذْكُرْ يَا مُحَمَّد (إِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا) وقد اجتمعوا للمشاورة في شأنك

الفاظ لا بخصوص السبب (قوله وتخونوا) معطوف على الفعل قبله فهو في حيز النهي ، ولذا قدر المفسر لا فهو نهى عن الحياتين (قوله وأنتم تعلمون) الجملة حالية من فاعل تخونوا (قوله صادة) أى مانعة (قوله فلا تقوّتوه بمراعاة الأموال الخ) أى لأنها أمور زائلة فانية وسعادة الآخرة لانهاية لها فهي أولى بتقديعها على ما يفنى (قوله فرقانا) أى نجاة مما تخافون وقد أشار لهذا المفسر بقوله فتنجون ، وقيل المراد بالفرقان النور السائر في القلب الذي يفرق به بين الحق والباطل وهو أولى (قوله ويكفر عنكم سيئاتكم) أى يمحو قولوه ويغفر لكم عطف مرادف عليه (قوله وإذ يكر بكم) إذ ظرف معمول لحدوف قدره للمفسر بقوله اذكر وهذا تذكير لنعمة الله على نبيه إثر تذكير نعمة الله على المؤمنين بقوله : واذكروا إذ أنتم قليل مستضعفون في الأرض . والذكر الاحتيال على إيصال الضرر للغير . وحاصل ذلك أن قريشا عرفوا لما أسلم الأنصار أن أمر رسول الله يتفاقم ويظهر فاجتمع نفر من كبار قريش في دار الندوة ليتشاوروا في أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان رؤسائهم عتبة وشيبة ابنا ربيعة وأبو جهل وأبو سفيان وطعمة بن عدى والنضر بن الحارث وأبو البختري بن هشام وزمنة بن الأسود فجاءهم إبليس في صورة شيخ نجدى ، فلما رأوه قالوا له من أنت ؟ قال أنا شيخ من نجد سمعت باجتماعكم فأردت أن أحضركم ، ولن تعدموا من رأيي ونصحا فقالوا له ادخل فدخل ، فقال أبو البختري أما أنا فأرى أن تأخذوا محمدا وتحبسوه في بيت مقيدا وتسدوا باب البيت غير كوة تلقون منها طعامه وشربه حتى يهلك فصرخ ذلك الشيخ النجدى وقال بلس الرأي إن أصحابه يقاتلونكم ويخرجونه فهرا عليكم فقالوا صدق الشيخ النجدى فقال هشام بن عمرو إني أرى أن تحملوه على بعير فتخرجوه من بين أظهركم بلا يضركم ما صنع فقال ذلك الشيخ النجدى ما هذا برأيي تعددون إلى رجل قد اتبعه سفهاؤكم فتخرجونه إلى غيركم فيفسدهم ألم تروا إلى حلاوة مضطقه وطلاقة أسانه لئن فعلتم ذلك يذهب ويستميل قلوب قوم آخرين فيسير بهم إليكم ليخرجكم من بلادكم فقال أبو جهل إني أرى

أن تأخذوا من كل بطن من قريش شلبا نسيبا ويعطى كل شلبي سيفا صارما ثم يضربونه ضربة واحدة فإذا قتل نفرق دمه في القبائل ولا أعلن أن هذا الخبيث من بني هاشم يقوون على حرب قريش كلها غايته يطلبون ديته وهو أمر سهل فقال إبليس إنه أجودكم رأيا فتفرقوا على ذلك فأتى جبريل وأخبر رسول الله بذلك وبأن الله أذن له في الخروج إلى المدينة فلما كان الليل اجتمعوا على بابه يرصدونه حتى يدام فأمر رسول الله عليا أن يبيت بمضجهم ، وقال له نسج يردني فإنه لن يخلص إليك منهم أمر تكبره ثم خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم عليهم وقد أخذ الله أبصارهم فلم يره منهم أحد ونثر على رؤوسهم التراب وهو يتلو قوله تعالى - يس - إلى قوله - فأغشيناهم فهم لا يبصرون - ثم أتاهم آت فقال لهم إن محمدا خرج عليكم ووضع التراب على رؤوسكم لما من رجل منهم أصابه ذلك التراب إلا قتل يوم بدر كافرا (قوله بدار الندوة) أي بالدار التي يقع فيها الحديث والاجتماع وهي أول دار بنيت بمكة فلما حج معاوية اشترأها من الزبير العبدري بمائة ألف درهم ثم صارت كلها بالمسجد الحرام وهي في جانبه الشمالي (قوله ليقتلوك) هذا إشارة لرأى أبي البختري (قوله أو يقتلوك) أي شبان القبائل كلهم قتلة رجل واحد وهو إشارة لرأى أبي جهل (قوله أو يخرجوك) هو إشارة لرأى هشام بن عمرو (قوله ويكفرون بك) أي يحتالون ويتدبرون في أمرك (قوله بتدبير أمرك) جواب مما يقال إن حقيقة الكفر محالة على الله تعالى لأنه الاحتيال على الشيء من أجل حصول العجز عنه. وأجيب أيضا بأن الولاد (١١٦) بمكر الله معاملته لهم معاملة الماكر حيث خيب سعيهم وضيع أملهم أو

المراد جازاهم على مكربهم فسمى الجزاء مكرًا لأنه في مقابلته (قوله أعلمهم به) دفع بذلك ما يقال إن الكفر لاخير فيه . وأجيب أيضا بأن اسم التفضيل ليس على بابه (قوله وإذا تتلى عليهم) هذا من جملة قبائح أهل مكة (قوله مثل هذا) تنازعه كل من سمعنا وقانا (قوله الحيرة) بلدة بقرب الكوفة (قوله بدار الندوة (ليقتلوك) يقتلوك ويحبسوك) (أو يقتلوك) كلهم قتلة رجل واحد (أو يخرجوك) من مكة (ويكفرون) بك (ويكفرون الله) بهم بتدبير أمرك بأن أوحى إليك مادبروه وأمرك بالخروج (والله خير الماكرين) أعلمهم به (وإذا تتلى عليهم آياتنا) القرآن (قَالُوا قَدْ سَمِعْنَا لَوْ نَشَاءُ لَقُلْنَا مِثْلَ هَذَا) قاله النضر بن الحرث لأنه كان يأتي الحيرة يتجر فيشتري كتب أخبار الأعاجم ويحدث بها أهل مكة (إن) ما (هذا) القرآن (إلا أساطير) أكاذيب (الأوّلين) . وإذا قالوا اللهم إن كان هذا الذي يقرؤه محمد (هو الحق) المنزل (من عندك) فأمطر علينا حجارة من السماء أو ائتنا بعذاب أليم) مؤلم على إنكاره قاله النضر أو غيره استهزاء وإيهاما أنه على بصيرة وجزم ببطلانه قال تعالى (وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ) بما سألوه (وَأَنْتَ فِيهِمْ) لأن العذاب إذا نزل عم ولم تعذب أمة إلا بعد خروج نبيها والمؤمنين منها (وَمَا كَانَ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ) ،

أخبار الأعاجم) أي كالفرس والروم (قوله إلا أساطير) جمع أسطورة كأكاذيب حيث جمع أكذوبة وزنا ومعنى وقد رد الله عليهم تلك المقالة بقوله تعالى - قل فأتوا بشعر سور مثله - وقال أيضا - قل فأتوا بسورة مثله - فعجزوا عن ذلك ، وقال البوصيري : سور منه أشبهت صورنا مثل النظائر النظراء (قوله وإذا قالوا) هذا من جملة قبائحهم الشنيعة (قوله هو الحق) القراء السبعة على نصب الحق خبرا لكان وهو ضمير فصل لا عمل له من الاعراب وقرئ شذوذا برفعه على أنه خبر للضمير والجملة خبر لكان (قوله من عندك) حال من الحق (قوله حجارة من السماء) أي من سجل مسومة كما أرسلتها على أصحاب الفيل (قوله بعذاب أليم) أي كالصيحة والحسف (قوله قاله النضر) أي ابن الحرث وقوله أو غيره أي وهو أبو جهل ولا مانع من أن كلا قال ذلك (قوله استهزاء) أي سخرية به صلى الله عليه وسلم (قوله وإيهاما أنه على بصيرة) أي لأن أصعب الإيمان الدعاء على النفس (قوله بما سألوه) أي وهو الحجارة أو العذاب الأليم ولا بالعذاب العام لرفعه يركته صلى الله عليه وسلم (قوله وأنت فيهم) أي في بلدكم فإن خرجت منها أنت والمؤمنون عذبهم الله على أيديكم عذابا خاصا بهم (قوله وما كان الله معذبهم) أي عذابا عاما ولا خاصا (قوله وهم يستغفرون) الجملة حالية من الضمير في معذبهم ، والمعنى أن الله لا يعذبهم والحال أنهم يستغفرون فاستغفارهم نافع لهم بعدم نزول العذاب عليهم . إن قلت يشكل على هذا قوله تعالى - وقدمنا إلى ما عملوا من عمل فجعلناه هباء منثورا - وقوله تعالى - وما دعاء الكافرين إلا في تباب - . أجيب بأن استغفارهم نافع لهم في الدنيا فقط وأما هاتان الآيتان

قالوا منها ما يحصل في الآخرة فأعمال الكفار الصالحة التي لا تقتصر إلى نية كالأصدقات وفعل المعروف والاستغفار تنفعهم في الدنيا وتمنع عنهم العذاب فيها ولا تنفعهم في الآخرة (قوله وقيل هم المؤمنون) أى ضمير معذبهم يعود إلى أهل مكة وقوله وهم الضمير عائد على أهل مكة باعتبار مجموعهم وهم المؤمنون (قوله لو تزيلوا) أى تميز المؤمنون عن الكفار (قوله وما لهم أن لا يعذبهم الله) أى أى شئ ثبت لهم في علم تعذيب الله لهم أى لا مانع لهم منه (قوله والمستضعفين) أى وخروج المستضعفين أيضا (قوله وعلى القول الأول) أى وهو كون الضمير عائدا على الكفار (قوله هي ناسخة لما قبلها) أى وهي قوله وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون لأنه أخبر أولا أنه لا يعذبهم مع استغفارهم وأخبر ثانيا أنه يعذبهم ولا يبالي باستغفارهم ، والوجه أنها ليست منسوخة لأنها خبر والأخبار لا تنسخ وأيضا استغفارهم قد انقطع بخروجهم للقتال لارتباط استغفارهم بالبيت (قوله وهم يصدون) الجملة حالية من ضمير يعذبهم (قوله أن يطوفوا به) أى النبي والمؤمنون (قوله وما كانوا أولياءه) رد لقولهم نحن ولاية البيت فنصّد من نشاء وندخل من نشاء (قوله إن) (١١٧) أولياؤه إلا المتقون) أى المجتنبون

الشرك (قوله أن لا ولاية لهم عليه) أشار بذلك إلى أن مفعول يعلمون محذوف (قوله إلامكاه) استثناء من الصلاة على حسب زعمهم حيث ادعوا أن المكاه والتصدية من جنس الصلاة فالاستثناء زيادة في التشنيع عليهم (قوله صغيرا) أى فكان الواحد منهم يشبك أصابع إحدى كفيه بأصابع الأخرى ويضمهما وينفخ فيهما فيظهر من ذلك صوت (قوله تصفيقا) أى ضربا لإحدى اليدين على الأخرى (قوله أى جعلوا ذلك الخ) جواب عما يقال إن المكاه

حيث يقولون في طوافهم غفرانك غفرانك وقيل هم المؤمنون المستضعفون فيهم كما قال: لو تزيلوا لعذبنا الذين كفروا منهم عذابا أليما (وَمَا لَهُمْ أَنْ لَا يُعَذَّبَهُمُ اللَّهُ) بالسيف بعد خروجك والمستضعفين وعلى القول الأول هي ناسخة لما قبلها وقد عذبهم الله بيدر وغيره (وَهُمْ يَصُدُّونَ) يمنعون النبي صلى الله عليه وسلم والمسلمين (عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ) أن يطوفوا به (وَمَا كَانُوا أَوْلِيَاءَهُ) كما زعموا (إِنَّ) ما (أَوْلِيَاءَهُ إِلَّا الْمُتَّقُونَ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ) أن لا ولاية لهم عليه (وَمَا كَانَ صَلَاتُهُمْ عِنْدَ الْبَيْتِ إِلَّا مُكَاءً) صغيرا (وَتَصَدِيَةً) تصفيقا أى جعلوا ذلك موضع صلاتهم التي أمروا بها (فَذُقُوا الْعَذَابَ) بيدر (بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ) في حرب النبي صلى الله عليه وسلم (لِيَصُدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ فَسَيُنفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ) في عاقبة الأمر (عَلَيْهِمْ حَسْرَةٌ) ندامة لفواتها وفوات ما قصده (ثُمَّ يُغْلَبُونَ) في الدنيا (وَالَّذِينَ كَفَرُوا) منهم (إِلَىٰ جَهَنَّمَ) في الآخرة (يُحْشَرُونَ) يساقون (لِيَمِيزَ) متعلق بتكون بالتخفيف والتشديد أى يفصل (اللَّهُ الْخَبِيثَ) الكافر (مِنَ الطَّيِّبِ) المؤمن (وَيَجْعَلُ الْخَبِيثَ بَعْضُهُ عَلَىٰ بَعْضٍ فَيَرْكَبُهِ جَمِيعًا) يجمعه متراكبا بعضه على بعض (فَيَجْعَلُهُ فِي جَهَنَّمَ أُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ . قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا) كآبي سفيان وأصحابه ،

والتصدية لبسا من جنس الصلاة فكيف يصح استثناءها منها فاجاب بأنهم كانوا يعتقدون أنهما من جنسها فجرى الاستثناء على معتقدهم وكانوا يفعلون ذلك حين يشتمل النبي والمؤمنون بالصلاة وقراءة القرآن كما حكى الله عنهم قوله وقال - الذين كفروا لا تسمعوا لهذا القرآن والنوا فيه - (قوله إن الذين كفروا) نزلت في كفار مكة ولكن العبارة بعموم اللفظ لاختصاص السبب فان الشاهد في الكفار ذلك إلى يوم القيامة (قوله فسيفقونها) أى يعلمون عاقبة إنفاقها (قوله ثم تكون في عاقبة الأمر) أى وهي عدم وصولهم لمقصودهم (قوله ثم يغلبن) التعبير بثم إشارة إلى أنهم يملأون استدراجهم وزيادة حسرة لهم في العاقبة (قوله بالتخفيف والتشديد) أى فهما قراءتان سبعيتان (قوله جميعا) إباحال من الماء في فركه أو توكيدها (قوله يجمعه متراكبا بعضه على بعض) ظاهر الآية أن هذا الجمع قبل دخولهم النار وحينئذ فيكون بيانا لحالهم في الموقف لما تقدم أنه يكون سبعون ألف قدم على قدم (قوله أولئك هم الخاسرون) أى الخائبون في الدنيا والآخرة (قوله قل للذين كفروا) أمر للنبي صلى الله عليه وسلم أن يبلغ الكفار ما ذكر (قوله كآبي سفيان وغيره) إنما خصهم لأنهم هم الباقون من كفار مكة لأن الآية نزلت

بعد بدر وفيها قتل من قتل من صناديدهم وبقى من بقي فالحطاب لمن بقي (قوله إن يقتلوا عن الكفر) أى بأن ينطقوا بالشهادتين صادقين مصدقين فكلمة التوحيد سبب للانتقال من ديوان الأشقياء لديوان السعداء ، إذا علمت أن هذا الفضل لمن سبق له الكفر فما بالك بمن لم يسبق له الكفر وعاش مؤمنا ومات كذلك قال السنوسى فعلى العاقل أن يكثر من ذكرها مستحضرا لما احتوت عليه من النعاني حتى تترج مع معناها بلحمه ودمه فانه يرى لها من الأسرار والجواب ما لا يدخل تحت حصر (قوله من أعمالهم) أى السيئة وأعظمها الكفر (قوله وإن يعودوا) وأصل العود الرجوع عن الشيء بعد التلبس به وحينئذ فيكون المعنى وإن يرتدوا عن الاسلام بعد تلبسهم به ويصح أن يفسر العود بالاستمرار على الكفر (قوله فقد مضت سنة الأولين) أى كعاد وعمود وقوم لوط وغيرهم ممن هلك . إن قالت إن هؤلاء قد أصابهم الهلاك العام وأما أمة محمد صلى الله عليه وسلم فمحفوظة منه . أوجب بأن التشبيه في مطلق هلاك وإن كان ماسبق عاما وهذا خاص ، والأقرب أن يراد بالأولين من سبق قبلهم من أولاد عمهم وأقاربهم ممن قتل ببدر وحجة فقد مضت سنة الأولين تعاميل المحذوف ولا يصلح للجواب وتقدير الجواب وإن يعودوا نهلكهم كما أهلكنا الأولين (قوله وقاتلوهم) أى الكفار مطلقا مشركين أو غيرهم (قوله حتى لا تكون فتنة) أى شوكة لأهل الشرك أى بأن ينقضوا رأسا أو بدخولهم في الاسلام أو بأن يؤدوا الجزية بدليل قوله تعالى - قاتلوا الذين (١١٨) لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر - إلى أن قال - حتى يعطوا الجزية -

(إِنْ يَنْتَهُوا) عَنْ الْكُفْرِ وَقَتَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ (يُقَفِّرْ لَهُمْ مَا قَدْ سَلَفَ) مِنْ أَعْمَالِهِمْ (وَإِنْ يَعُودُوا) إِلَى قِتَالِهِ (قَدْ مَضَتْ سُنَّتُ الْأَوَّلِينَ) أَيْ سَنَتْنَا فِيهِمْ بِالْأَهْلَاكِ فَكَذَا تَعْمَلُ بِهِمْ (وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ) تَوْجِدَ (فِتْنَةً) شَرِكُ (وَيَكُونَ الَّذِينَ كَلَّهُ اللَّهُ) وَحْدَهُ وَلَا يَبْعِدُ غَيْرَهُ (فَإِنْ أَنْتَهُوا) عَنِ الْكُفْرِ (فَإِنَّ اللَّهَ عَمَّا يُعَمَلُونَ بِصِيرٍ) فَيَجَازِيهِمْ بِهِ (وَإِنْ تَوَلَّوْا) عَنِ الْإِيمَانِ (فَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَوْلَاكُمْ) نَاصِرَكُمْ وَمَتَوَلَّى أُمُورَكُمْ (نِعْمَ الْمَوْلَى) هُوَ (وَنِعْمَ النَّصِيرُ) أَيْ النَّاصِرُ لَكُمْ (وَأَعْلَمُوا أَنَّكُمْ غَنِمْتُمْ) أَخَذْتُمْ مِنَ الْكُفَرِ قَهْرًا (مِنْ شَيْءٍ فَإِنَّ اللَّهَ خَمْسَةُ) يَأْمُرُ فِيهِ بِمَا يَشَاءُ (وَالرَّسُولُ وَلِذِي الْقُرْبَى) قَرَابَةُ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ بَنِي هَاشِمٍ وَبَنِي الْمُطَّلِبِ (وَالْيَتَامَى) أَطْفَالُ الْمُسْلِمِينَ الَّذِينَ هَلَكَ آبَاؤُهُمْ وَهُمْ فَقَرَاءُ (وَالْمَسَاكِينِ) ذَوِي الْحَاجَةِ مِنَ الْمُسْلِمِينَ (وَأَبْنِ السَّبِيلِ) الْمُنْقَطِعُ فِي سَفَرِهِ مِنَ الْمُسْلِمِينَ أَيْ يَسْتَحِقُّهُ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَالْأَصْنَافُ الْأَرْبَعَةُ عَلَى مَا كَانَ يَقْسِمُهُ ،

فالمكلف به مأخوذ من مجموع الآيتين (قوله توجد) أشار بذلك إلى أن كان تامة وفتنة بالرفع فاعلها (قوله ويكون الدين كله لله) يكون ناقصة والدين اسمها والله متعلق بمحذوف خبرها (قوله بما يعملون) القراء السبعة على الباء التحتية وقرأ يعقوب من العشرة بالتاء الفوقية (قوله فيجازيكم به) أى بالذى

تعملونه من خير وشر (قوله وإن تولوا) أى أعرضوا ولم يمتثلوا (قوله نعم المولى) هذا ثناء من الله على نفسه فهو حمد قديم ولقديم والمعنى أن الله ينصر العبد ويشكره ولا يضعه بخلاف الناصر من الحق ينصر ويعمى بذلك النصر (قوله هو) أشار بذلك إلى أن الخصب - وص بالمدح محذوف (قوله واعلموا أنكم غنمتم) تقدم أن الحق أن هذه الآية مفصلة لآية - يسألونك عن الأنفال - (قوله من شيء) بيان لما ونكره ليشمل الجليل والحقير والشريف والوضيع (قوله فإن الله خمسة) بفتح الهمزة خبر المحذوف والتقدير فحكمه أن خمسة لله (قوله يأمر فيه بما يشاء) أى فالخمس يقسم ستة أقسام قسم لله يصرف في الكعبة والخمسة أقسام للنبي وآله واليتامى والمساكين وابن السبيل ، وبذلك قال بعض الأئمة غير الأربعة ، وقال الأئمة الأربعة : إنه يقسم خمسة أقسام فقط للخمسة المذكورين وذكر الله للتعظيم ، وهذا ما كان في زمنه وأما بعد وفاته فالخمس الذى كان ينفذه النبي يوضع في بيت المال يصرف في مصالح المسلمين وهو كواحد منهم وبهذا قال الشافعى وقال مالك النظر فيه للامام وقال أبو حنيفة سقط سهمه وسهم القرني بوفاته وصار الكل للثلاثة فقط (قوله من بنى هاشم والمطلب) هذا مذهب الشافعى وعند مالك الآل بنو هاشم فقط ، وعند أبي حنيفة فرق خمسة : آل على ، وآل عقيل ، وآل جعفر ، وآل عباس ، وآل الحارث (قوله والمساكين) للراد بهم ما يشمل الفقراء (قوله المنقطع في سفره) أى المحتاج ولو غنيا ببلده (قوله أى يستحقه النبي) إنما لم يقل الله

والنبي اشارة إلى أن ذكر اسم الله لا تعظيم والتبرك كما هو التحقيق (قوله من أن لكل) أى من الأصناف الخمسة (قوله والأخمس لأربعة) بيان لمفهوم قوله خمسة (قوله فاعلموا ذلك) أشار بذلك إلى أن جواب الشرط محذوف لدلالة ما قبله عليه والمراد علم ذلك مع العمل بمقتضاه لأن العلم المجرد لا ثمرة له (قوله عطف على بالله) أى على مدخول الباء وهو لفظ الجلالة (قوله من الملائكة الخ) بيان لما (قوله الفارق بين الحق) أى بظهوره واتصاحه وقوله والباطل أى بخموده وذهابه (قوله يوم التقي الجمعان) بدل من يوم الأول (قوله والله على كل شيء قدير) كالتذييل والدليل لما قبله (قوله بدل من يوم) أى الثاني بدل اشتمال (قوله بضم العين وكسرهما) أى فهما قراءتان سبعيتان والعدوة الشاطي والشفير والجانب سميت بذلك لأن السيل يمدوها ويتجاوزها املوها عن الوادى ، والمعنى أتم بالجانب القريب من المدينة وهم الجانب الآخر وبينهما مقدار الرمي (قوله كائنون بمكان أسفل منكم) أشار المفسر إلى أن الركب مبتدأ خبره محذوف وقوله أسفل ظرف (١١٩) صفة لمحذوف ، والمعنى أن

الركب في مكان أسفل منكم بحيث لو استغاثوا بقومهم لأغاثوهم (قوله ولو تواعدتم) أى أعلم بكل منكم الآخر بالخروج للقتال (قوله لاختلفتم في الميعاد) أى لا يمكن اختلافكم في التواعد بمعنى أنكم لم توفوا بذلك بل قد تتخلفون عن الخروج (قوله ليهلك) علة لمحذوف قدره المفسر بقوله فعل ذلك وهو جمعهم بغير ميعاد وإخراجهم بغير تأهل (قوله يكفر) أى يستمر على كفره (قوله أى بعد حجة) أشار بذلك إلى أن عن بمعنى بعد على حد قوله تعالى - لتركبن طبقا عن

من أن لكل خمس الخمس والأخمس الأربعة الباقية للعاين (إِنْ كُنْتُمْ آمَنْتُمْ بِاللَّهِ) فاعلموا ذلك (وَمَا) عطف على بالله (أَنْزَأْنَا عَلَى عَبْدِنَا) محمد صلى الله عليه وسلم من الملائكة والآيات (يَوْمَ الْفُرْقَانِ) أى يوم بدر الفارق بين الحق والباطل (يَوْمَ اتَّخَذَ الْمُجْرِمُونَ) المسلمون والكفار (وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ) ومنه نصركم مع قتلهم وكثرتهم (إِذْ) بدل من يوم (أَنْتُمْ) كائنون (بِالْعُدَّةِ الدُّنْيَا) القربى من المدينة وهى بضم العين وكسرهما جانب الوادى (وَهُمْ بِالْعُدَّةِ الْقُصْوَى) البعدي منها (وَالرَّكْبُ) العير كائنون بمكان (أَسْفَلَ مِنْكُمْ) مما إلى البحر (وَلَوْ تَوَاعَدْتُمْ) أتم والنفي للقتال (لَاخْتَلَفْتُمْ فِي الْمِيعَادِ وَلَكِنْ) جمعكم بغير ميعاد (لَيَقْضِيَ اللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا) فى علمه وهو نصر الاسلام ومحى الكفر فعل ذلك (لِيَهْلِكَ) يكفر (مَنْ هَلَكَ عَنْ بَيِّنَةٍ) أى بعد حجة ظاهرة قامت عليه وهى نصر المؤمنين مع قتلهم على الجيش الكثير (وَيَحْيَى) يؤمن (مَنْ حَيَّ عَنْ بَيِّنَةٍ وَإِنَّ اللَّهَ لَسَمِيعٌ عَلِيمٌ) اذ كر (إِذْ يُرِيكُمُ اللَّهُ فِي مَنَامِكَ) أى نومك (قَلِيلًا) فأخبرت به أصحابك فسروا (وَلَوْ أَرَأَيْتُمْ كَثِيرًا لَفَشَلْتُمْ) جبنتم (وَلَتَنْزَعْنَهُمْ) اختلقتهم (فِي الْأُمْرِ) أمر القتال (وَلَكِنَّ اللَّهَ سَلَّمَ) كم من الفشل والتنازع (إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ) بما فى القلوب (وَإِذْ يُرِيكُمُوهُمْ) ،

طبق - والمعنى أنه لم يبق لهم عذر فى عدم إيمانهم بل صار كفرهم عنادا (قوله ويحيا) أى يستمر على الحياة وهى الايمان (قوله من حى) بالفتح والادغام قراءتان سبعيتان (قوله وإن الله لسميع) أى بأقوالكم عليم بأحوالكم فيجازيكم عليها (قوله قليلا) مفعول ثالث لأن رأى الحلية تنصب مفعولين بلا همز فاذا دخلت عليها الهمزة نصبت ثلاثة والمعنى اذ كر يا محمد هذه النعمة العظيمة وهى رؤيتك إياهم فى المنام قليلا تشجيعا لأصحابك وتثبيتا لهم وإشارة إلى ضعف الكفار وأنهم يهزمون وبهذا اندفع ما يقال إن رؤيا الأنبياء حق فكيف يراهم قليلا مع كثرتهم (قوله ولو أراكم كثيرا) أى وأخبرت أصحابك بذلك (قوله ولتنزعنهم) عطف على فشلتهم عطف سبب على مسبب (قوله ولكن الله سلم) مفعوله محذوف قدره المفسر وقوله من الفشل الخ متعلق بسلم (قوله بما فى القلوب) أى بالخطرات والسرائر التى احتوت عليها القلوب فالمراد بصاحبات الصدور السرائر والصدور القلوب من باب تسمية الحال باسم عمله (قوله وإذ يريكمهم) هذه الرؤية بصرية فتتصب مفعولا واحدا إن لم تدخل عليها الهمزة والإنصبت مفعولين فالكاف مفعول أول والماء مفعول ثان وقليلا حال .

(قوله أيها المؤمنون) تفسر لكاف (قوله وهم ألق) أى فى الواقع ونفس الأمر (قوله لتقدموا عليهم) علة لقوله رتكموم الخ (قوله ليقدّموا) علة لقوله ويقالكم (قوله وهذا) أى تقليلكم فى أعينهم (قوله أراهم) أى الكفار إياهم أى المسلمين مثليهم أى مثلى الكفار وكانوا ألفا فأروا المسلمين قدر ألفين لتضعف قلوبهم ويمكن المسلمون منهم فلا تنافى بين ما هنا وبين ما تقدم (قوله ليقضى الله أمرا) علة لمحذوف تقديره فعل ذلك ليقضى الخ (قوله ترجع) بالبناء للفاعل أو للمفعول قراءتان سبعيتان والأمور فاعل على الأول وفائب فاعل على الثانى (قوله نصير) هذا على قراءة البناء للفاعل وأما على قراءة البناء للمفعول فعناده ترد (قوله إذا لقيتم فئة) أى حاربتم جماعة والفئة اسم جمع لا واحد له من لفظه (قوله فابتنوا) أمر للمؤمنين فى أى زمان (قوله ادعوه بالنصر) أى فالمراد بالله كرم ما يشمل الدعاء ويصح أن يبقى الله كرم على إطلاقه فيشمل ملاحظته تعالى بالقلوب وأنه معهم بالمعون والنصر (قوله لعلكم تفلحون) الترجى بمنزلة التحقق لأنه وعد ووعد الله لا يخلف (قوله وأطيعوا الله وأطيعوا الله وأطيعوا الله) أى فيا بأمركم به (قوله فتفشلوا) عطف مسبب على سبب (قوله تجبنوا) أى عن الحرب (قوله وتذهب ربحكم) عطف مسبب على سبب أيضا وهذا على الترتيب (١٢٠) فالاختلاف ينشأ عنه الجنب والجنب ينشأ عنه ذهاب الربح (قوله قوتكم)

أى ويطلق على الغلبة والرحمة والنصرة (قوله ودولتكم) الدولة فى الحرب بفتح الدال وجمعها دول بكسر الدال وأما دولة الدال بضم الدال وجمعها دول بضم الدال (قوله واصبروا) أى على قتالهم (قوله كالذين خرجوا من ديارهم) أى وهم أبوجهل ومن معه وذلك أنهم لما بلغوا الجحفة واقام رسول أبى سفيان وقال لهم ارجعوا فقد سلمت غيركم فقال أبوجهل لا والله حتى نقدم بدرا

أيها المؤمنون (إِذِ التَّقِيْمُ فِي أَغْيُنِكُمْ قَلِيْلًا) نحو سبعين أو مائة وهم ألف لتقدموا عليهم (وَيَقُلُّكُمْ فِي أَغْيُنِهِمْ) ليقدّموا ولا يرجعوا عن قتالكم وهذا قبل التحام الحرب فلما التحم أراهم إياهم مثليهم كما فى آل عمران (لِيَقْضِيَ اللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ) نصير (الْأُمُورُ. يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً) جماعة كافرة (فَانْتَبِئُوا) لقتالهم ولا تتهزّموا (وَأَذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا) ادعوه بالنصر (لَعَلَّكُمْ تَفْلَحُونَ) تفوزون (وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَنَازَعُوا) تختلفوا فيما بينكم (فَتَفْشَلُوا) تجبنوا (وَتَذْهَبَ رَيْبُكُمْ) قوتكم ودولتكم (وَاصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ) بالنصر والعون (وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ) لينموا غيرهم ولم يرجعوا بعد نجاتها (بَطْرًا وَرِئَاءَ النَّاسِ) حيث قالوا لا ترجع حتى نشرب الخمر وننحر الجزور وتضرب علينا القيان يندر فيتسامع بذلك الناس (وَيَصُدُّونَ) الناس (عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَاللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ) بالياء والتاء (مُحِيطٌ) علما فيجازيهم به (وَ) اذكر (إِذْ زَيْنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ) إبليس (أَعْمَاهُمْ) بأن شجبهم على لقاء المسلمين لما خافوا الخروج من أعدائهم بنى بكر (وَقَالَ) لهم (لَا غَالِبَ لَكُمْ الْيَوْمَ مِنَ النَّاسِ،

وإلى

ونشرب الخمر وننحر الجزور وتضرب علينا القيان فيتسامع

بذلك الناس ويهابوننا (قوله لينموا غيرهم) أى لينموا المسلمين عن قافلتهم التى كانت مع أبى سفيان (قوله ولم يرجعوا بعد نجاتها) قدره المفسر إشارة إلى أن بطرا وما عطف عليه علة لمحذوف لا أقوله خرجوا لأن خروجهم ليس للبطر بل لمنع الناس عن العير والبطر علة لعدم رجوعهم بعد نجاتها (قوله بطرا) هو وما بعده مفعول لأنجله والبطر كفران النعمة وعدم شكرها (قوله القيان) جمع قينة وهى الجارية المغنية. قال ابن مالك : فعل وفعله فعال لهما * (قوله فيتسامع بذلك الناس) أى القبائل فيها بونتنا وقد بد لهم الله شرب الخمر بشرب كأس الموت وضرب القيان بنوح النائمات ونحر الجزور بنحرر قاهم (قوله ويصدون) عطف على بطرا فهو فى قوة المصدر : أى وصدا . قال ابن مالك : واعطف على اسم شبه فعل فعلا (قوله بالياء والتاء) ظاهره أنهما سبعيتان وليس كذلك بل التاء الفوقية لم يقرأ بها السبعة ولا العشرة فذكرها سبق قلم (قوله وإذ زين) عطف على ولا تكونوا عطف قصة على قصة وإذ ظرف معمول لمحذوف قدره بقوله اذكر (قوله لما خافوا الخروج) أى لما خافوا من أعدائهم حين الخروج من مكة لقتالهم (قوله بنى بكر) أى وهم قبيلة كنانة وكانت قريبة من قريش وبينهم الحروب الكثيرة .

(قوله وإني جارككم) أي مجير ومعين (قوله وكان أتاها الخ) قال ابن عباس جاء إبليس يوم بدر في جند من الشياطين معه راية في صورة رجل من رجال بني مدج سراقه بن مالك فقال للمشركين لا غالب لكم اليوم من الناس (قوله ورأى الملائكة) أي نازلين من السماء (قوله اتخذنا) أي ترك نصرتنا في هذه الحالة فعلى بمعنى في (قوله أن يهلكني) أي بتسلط الملائكة على . إن قلت أنه من المنظرين فكيف يخاف الهلاك حينئذ . أجيب بأنه لشدة ما رأى من الهول نسي الوعد بأنه من المنظرين وما أشار له المفسر جواب عما يقال إن الشيطان لا خوف عنده وإلا لما كفر وأضل غيره . وأجيب أيضا بأن قوله إني أخاف الله كذب ولا مانع من ذلك (قوله والله شديد العقاب) يصح أن يكون من جملة قول الشيطان واعتذاره أو مستأنف تهديد له من كلام الله تعالى (قوله إذ يقول المنافقون) أي الكائنون بالمدينة وقوله والذين في قلوبهم مرض أي الكائنون بكفة إذ لم يحضر وقعة بدر منافق إلا عبد الله بن أبي فقط ولم يكن فيها ضعيف إيمان (قوله توها) مفعول لخرجوا والضمير في بسببه عائذ على الدين (قوله يغاب) قدره إشارة إلى أن جواب الشرط محذوف وقوله فإن الله عزير حكيم دليل عليه (قوله ولو ترى) الرؤية بصرية ومفعولها محذوف تقديره حال الكفار وقت الموت ولو حرف شرط (١٢١) تقاب المضارع ماضيا عكس إن

(قوله بالياء والتاء) أي فهم اقراء أن سبعيتان فعلى الياء الأمر ظاهر وعلى التاء فلأن الجمع يجوز تذكيره وتأنيته (قوله الذين كفروا) قيل المراد جميع الكفار من وجد ومن سيجد وقيل المراد الكفار الذين قتلوا بيدر . واختلف أيضا في وقت الضرب فقيل عند الموت تعجلا للمساء وقيل ذلك يوم القيامة ولا مانع من الجميع (قوله حال) أي من الملائكة (قوله وجوههم وأدبارهم) المراد أمامهم وخلفهم فيعمون

وَإِنِّي جَارٌّ لَكُمْ) من كنانة وكان أتاها في صورة سراقه بن مالك سيد تلك الناحية (فَلَمَّا تَرَأَتْ) التفت (الْفِئْتَانِ) المسلمة والكافرة ورأى الملائكة وكان يده في يد الحرث بن هشام (نَكَصَ) رجع (عَلَى عَقِبَيْهِ) هاربا (وَقَالَ) لما قالوا له : اتخذنا على هذا الحال (إِنِّي بَرِيءٌ مِنْكُمْ) من جواركم (إِنِّي أَرَى مَا لَا تَرَوْنَ) من الملائكة (إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ) أن يهلكني (وَاللَّهُ شَدِيدُ الْعِقَابِ .) إذ يقولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ) ضعف اعتقاد (غَرَّ هَؤُلَاءِ) أي المسلمين (دِينُهُمْ) إذ خرجوا مع قتلهم يقاتلون الجمع الكثير توها أنهم ينصرون بسببه ، قال تعالى في جوابهم (وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ) يثق به يغلب (فَإِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ) غالب على أمره (حَكِيمٌ) في صنعه (وَلَوْ تَرَى) يا محمد (إِذْ يَتَوَفَّى) بالياء والتاء (الَّذِينَ كَفَرُوا الْمَلَائِكَةُ يَضْرِبُونَ) حال (وَجُوهَهُمْ وَأَدْبَارَهُمْ) بمقامع من حديد (وَ) يقولون لهم (ذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ) أي النار ، وجواب لو لرأيت أمرا عظيما (ذَلِكَ) التعذيب (بِمَا قَدَّمْتُمْ أَيْدِيَكُمْ) عبر بها دون غيرها لأن أكثر الأفعال تراول بها (وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّامٍ) أي بذي ظلم (لِلْعَبِيدِ) فيعذبهم بغير ذنب ،

جميع أجسادهم بالضرب (قوله بمقامع من حديد) جمع مقمعة بكسر الميم وهي العصا من الحديد المحماة بالنار لو وضعت على جبال الدنيا لدكت (قوله وذوقوا) قدر المفسر يقولون إشارة إلى أنه معطوف على يضربون فهو حال أيضا (قوله ذلك) اسم الإشارة مبتدأ وقوله بما قدمت أيديكم متعلق بمحذوف خبر والباء سببية (قوله عبر بها الخ) دفع بذلك ما يقال إن إذاقة العذاب حاصلة بسبب ما فعلوا بجميع أعضائهم فلم خست الأيدي فأجاب بما ذكر وبعضهم فسروا الأيدي بالقدر جمع قدرة فيكون المعنى ذلك بسبب ما قدمت قدرتكم وكسبكم فإن اليد تطلق ويراد بها القدرة ، قال تعالى : يد الله فوق أيديهم (قوله وأن الله) معطوف على ما قدمت أيديكم والمعنى ذلك بسبب ما قدمت أيديكم وبسبب أن الله ليس بظلام للعبيد ونفي الظلم عن الله كناية عن العدل فكانه قال ذلك بسبب الذي قدمته أيديكم وبسبب عدل الله فيكم (قوله أي بذي ظلم) دفع بذلك ما يتوهم من ظاهر الآية أن أصل الظلم ثابته الله والمنفى كثرته فأجاب المفسر بأن هذه الصيغة ليست للبالغة بل للنسب ، قال ابن مالك : ومع فاعل وفعل فعل في نسب أغنى عن الياققبل وحينئذ فقد اتقى أصل الظلم بل لا يريد أصله ، قال تعالى وما الله يريد ظلما للعباد لأن الإرادة لا تتعلق إلا بالجزاء والظلم من الله مستحيل عقلا لأن حقيقته التصرف في ملك الصبر من غير إذنه ، ولا يتصور العقل ملكا لنفسه الله

(قوله كذاب آل فرعون) الكاف متعلقة بحذوف خبر مبتدأ محذوف قدره للفسر بقوله دأب هؤلاء ، وهذا نسبية له صلى الله عليه وسلم (قوله كفرا بآيات الله) تفصيل للدأب وتفسيره كما قال للفسر (قوله فأخذهم الله) أى أهلكتهم لكن هلاك غير هذه الأمة بالرجفة والزلزلة والحذف والنسخ من كل عذاب عام وهلاك كفار هذه الأمة بالسيف فالمائة في مطلق الهلاك (قوله بذنوبهم) الباء سببية (قوله إن الله قوى شديد العقاب) كالدليل لما قبله (قوله أى تعذيب الكفرة) أى بسبب ما قدمت أيديهم (قوله بأن الله) الجار والمجرور متعلق بمحذوف خبر عن اسم الإشارة والجملة تعليل لمجموع العلول وعلة السابقين (قوله لم يك) مجزوم بسكون النون المحذوفة تخفيفا . قال ابن مالك :

ومن مضاع لكان منجزم نحذف نون وهو حذف ما التزم وأصله يكون دخل الجازم وسكنت النون فالتى سا كننان حذفت الواو لالتقاءهما ثم حذفت النون تخفيفا (قوله يبدلوا نعمتهم كفرا) أى يتركوا ما يجب (١٣٢) للنعم من شكرها والقيام بحقوقها وتركوا عدم الشكر وعدم التام بحقوقها ،

واللغى يبدلون ما بهم من الحال إلى حال أسوأ منه فتغيرت نعمة إسماعيل بمعالجة العذاب لهم (قوله وأن الله سميع) أى لأقوالكم عليهم بأحوالكم (قوله كذاب آل فرعون الخ) كرره تفصيلا لما قبله لأنه مقام ذم وهو كالمدح البلاغة فيه الاطناب (قوله والذين من قبلهم) أى كقوم نوح وقوم هود وقوم صالح وغيرهم (قوله فأهلكناهم بذنوبهم) أى بسببها (قوله قومه معه) أشار بذلك إلى أن الراد بالفرعون هو آل فرعون (قوله كانوا ظالمين) فيه مراعاة معنى كل ولوروى لفظها لقليل وكل كان ظالما وكل صحيح ، وإما روى معناها مراعاة للعوامل (قوله ونزل في قريظة) أى حين قدم رسول الله المدينة وعاهدهم أن لا يحاربوه ولا يماونوا عليه فنقضوا عهده وأعانوا عليه مشركى مكة بالسلاح ثم قالوا نسبنا وأخطأنا فعاهدهم الثانية فنقضوا أيضا وعاملوا مع الكفار على قتال رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الخندق (قوله إن شر الدواب) فى ذلك إشارة إلى أنهم بم عزل من جنسهم وإناهم من جنس الدواب ومع ذلك هم شر من جميع أفرادها. قال تعالى - إن هم إلا كالأعنام بل هم أضل - (قوله الذين عاهدت منهم) بدل من الوصول قبله أوتعت أو عطف بيان (قوله أن لا يعينوا المشركين) أى كفار مكة فنقضوا أولا وثانيا (قوله فاما تنقظهم) أى تغفرون بهم (قوله فشرذ بهم) الباء سببية والكلام على حذف مضاف : أى بسبب عقوبتهم وتنكيلهم (قوله من خلفهم) مفعول لشرذ والراد بمن خلفهم كذمار مكة ، والمعنى إذا نظرت بقريظة فعاقبتهم لیتفرق كفار مكة وغيرهم ممن نقض عهدهم ويتعظوا بهم فصبرهم عبرة لغيرهم حتى لا يكون لهم قوة على محاربتك (قوله وإما تخافن) خطاب عام للمسلمين وولاية الأمور وإن كان أصل نزولها فى قريظة (قوله فأنبذ إليهم) أى أعلمهم بأن لا عهد لهم بعد اليوم فنبههم بالعهد بالشيء الذى يرمى وطوى ذكره للشبه به ورمز له

على

هـى من لولزمه وهو النبذ فائباته تخييل (قوله بأن تعلمهم به) أى إن لم يكن غدرهم ظاهرا ظهوراينا والإعلام يحتاج للإعلان .
والحاصل أنه إذا ظهرت أمارات نقض العهد وجب على الامام أن ينبذ عهدهم ويعلمهم بالحرب قبل الر كوب عليهم بحيث لا يبد
الامام غادرا لهم وإن ظهرت الخيانة ظهورا مقطوعا به فلا حاجة إلى نبذ العهد ولا لإعلام بل يبادرهم بالقتال (قوله إن الله لا يحب
الخائنين) تعليل للامس بنبذ العهد (قوله ونزل فيمن أفلت) أى فى الكفار الذين خلصوا وهربوا وهذا نسبية لرسول الله وأصحابه
حيث حزنوا على نجاته من نجا من الكفار وكان غرضهم استئصالهم بالقتل والأسر (قوله ولا تحسبن) الخطاب لرسول الله ،
وللعنى لا تظن يا محمد الذين كفروا فائتين الله وفارين من عقابه إنهم لا يمجزون وهذا وإن كان فى أهل بدر إلا أن العبرة بعموم
اللفظ لا بخصوص السبب وحسب تتمتى للمفعولين الأول الذين كفروا والثانى جملة سبقوا ، وهذا على قراءة التاء الفوقية ، وأما
على قراءة الياء التحتية فالذين كفروا فاعل والمفعول الأول محذوف تقديره أنفسهم كما قال المفسر والمفعول الثانى جملة سبقوا
(قوله وفى قراءة بفتح أن) أى مع الياء التحتية لا غير فالقراآت ثلاث خلافا لما يورمه المفسر من أنها أربع . وحاصلها أن التاء
فيها وجهان فتح أن وكسرها والياء فيها وجه واحد وهو فتح أن لا غير (قوله على تقدير اللام) أى التى للتعليل (قوله وأعدوا
لهم) أى للكفار مطلقا أو لناقضى العهد (قوله من قوة) بيان لما (قوله فى الرى) هذا الحديث رواه عتبة بن عامر قال : سمعت
رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو على المنبر يقول « وأعدوا لهم ما استطعتم (١٢٣) من قوة ألا إن القوة الرى

ثلاثا » أخرجه مسلم ،
وقيل المراد بالقوة جميع
ما يتقوى به فى الحرب على
العدو من سلاح ورمى
وخيل ورجال ودروع وغير
ذلك ولا منافاة بين هذا
وبين قوله عليه الصلاة
والسلام « ألا إن القوة
الرى » لأن المراد معظم
القوة الرى من حد الحى
عرفة والنعم توبة وهذا
هو الأحسن (قوله مصدر)
أى سامى وإلا فالقياسى

على سواء) حال أى مستويا أنت وهم فى العلم بنقض العهد بأن تعلمهم به ثلاثا يتهموك بالعدو
(إن الله لا يحب الخائنين) . ونزل فيمن أفلت يوم بدر (ولا تحسبن) يا محمد (الذين كفروا
سبقوا) الله أى فاتوه (إنهم لا يمجزون) لا يفوتونه . وفى قراءة بالتحانية فالمفعول الأول
محذوف أى أنفسهم . وفى أخرى بفتح أن على تقدير اللام (وأعدوا لهم) لقتالهم (ما استطعتم
من قوة) قال صلى الله عليه وسلم : هى الرى رواه مسلم (ومن رباط الخيل) مصدر بمعنى حبسها
فى سبيل الله (ترهبون) تخوفون (يدعدو الله وعدوكم) أى كفار مكة (وآخرين من
دوهم) أى غيرهم وهم المنافقون أو اليهود (لا تعلموهم الله يعلمهم وما تنفقوا من شىء فى
سبيل الله يوف إليكم) جزاؤه (وأنتم لا تعلمون) تنقصون منه شيئا (وإن جنحوا)
مالوا (للسلم) بكسر السين وفتحها : الصلح (فاجنح لها) وعاهدكم ، قال ابن عباس : هذا منسوخ
بآية السيف ، ومجاهد : مخصوص بأهل الكتاب إذ نزلت فى بنى قريظة ،

لما يقتضى الاشتراك كقتال وخاصم وضارب (قوله ترهبون به) أى بالرباط الذى هو معنى الربط (قوله أى كفار مكة) هذا
باعتبار سبب نزول الآية وإلا فالعبرة بعموم اللفظ فالمراد جميع الكفار فى أى زمان (قوله وهم المنافقون) أورد عليه أن المنافقين
لا يقتلون . أجيب بأن المراد بارهابهم إدخال الرعب والحزن فى قلوبهم لأنهم إذا شاهدوا قوة المسلمين وشهائمهم كان ذلك مرعبا
ومخوفا لهم (قوله أو اليهود) أو مانعة خلو فتجوز الجمع (قوله لا تعلمونهم) أى لا تعلمون بواطنهم وما انطوا عليه (قوله
وما تنفقوا من شىء فى سبيل الله) أى فى جهاد الكفار (قوله يوف إليكم جزاؤه) أى فالحسنه بسبعائة . قال تعالى - مثل
الذين ينفقون أموالهم فى سبيل الله كمثل حبة أنبت سبع سنابل فى كل سنبله مائة حبة - الآية (قوله تنقصون منه شيئا)
أى وصما ظلمنا لأن وعده بالخير لا يتخلف فكأنه واجب وضده مستحيل ، وليس المراد الظلم الحقيقى لأنه التصرف فى ملك الغير
ولمالك لأحد معه (قوله وإن جنحوا) أى الكفار مطلقا أو بنو قريظة ، وعلى هذين القولين يتخرج القول بالنسخ والقول
بال تخصيص الذى أشاره المفسر بقوله : قال ابن عباس الخ وهذا مبنى على أن المراد بالصلح عقد الجزية ، وأما إن أريد بالصلح
غيره من الهدنة والأمان فلانسخ إذ يصح عقد ذلك لكل كافر ، وهذا التقرير مرور على مذهب الشافى من أن الجزية لا تضرب
الأعلى أهل الكتاب فقط ، وقال مالك : إن الجزية تضرب على كل كافر صح سبأؤه كان من أهل الكتاب أولا فعلى مذهب
ليس فى الآية نسخ أصلا (قوله بكسر السين وفتحها) أى فهما قراءتان سبعيتان .

(قوله وتوكل على الله) أى فوض أمورك له (قوله إنه هو السميع العليم) تعليل لما قبله (قوله وإن يريدوا أن يخدعوك) شرط حذف جوابه تقديره فضالحهم ولا تخف من غدرهم (قوله هو الذى أيدك بنصره وبالمؤمنين) أى قواك بأسباب باطنية وهى نصره لك من غير واسطة وبأسباب ظاهرية وهم المؤمنون (قوله بعد الإحن) جمع إحنة وهى العداوة والشحناء التى كانت بين الأوس والخزرج (قوله وألف بين قلوبهم) أى بعد أن كان ما كان بينهم من البغضاء والعداوة والحروب العظيمة مائة وعشرين سنة حتى لو أن رجلا من قبيلة لطم لطمعة واحدة لقاتل عنه أهل قبيلته حتى يدركوا ثأرهم فلما آمنوا برسول الله زالت تلك الحالة وانقلبت العداوة محبة فى الله ورسوله فكان معجزة عظيمة لرسول الله صلى الله عليه وسلم (قوله لو أنفقت ما فى الأرض الخ) هذا امتنان من الله على نبيه ب تلك النعمة العظيمة (قوله يا أيها النبي حسبك الله) قيل نزلت ببدر فالمراد بالمؤمنين الذين كانوا حاضرين وقتها فيكون فى ذلك مدح عظيم لهم ودليل على شرفهم ، ويؤخذ من ذلك أن المؤمنين إذا اجتمعت قلوبهم مع شخص لا يخذلون أبدا وليس فى ذلك اعتماد على غير الله لأن المؤمنين ما التفت لهم إلا لايمانهم وكونهم حزب الله فرجع الأمر لله ، وقيل نزلت (١٢٤) الآية فى إسلام عمر بن الخطاب رضى الله عنه بعد إسلام ثلاثة وثلاثين رجلا

وست نسوة فيكون هو متمما للأربعين فعلى الأول الآية مدنية كبقية الآية وعلى الثانى تكون الآية مكية أثناء سورة مدنية ولا مانع أنها نزلت مرتين مرة بمكة يوم إسلام عمر ومرة بالمدينة فى أهل بدر (قوله ومن اتبعك) معطوف على لفظ الجلالة (قوله حرض المؤمنين على القتال) أى أمرهم أمرا أكيدا أورغهم فيه (قوله إن يكن منكم) إما تامة وفاعلها عشرون ومنكم حال وإما ناقصة فعشرون اسمها ومنكم

(وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ) تَوَكَّلْ بِه (إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ) لِقَوْلِ (الْعَلِيمِ) بِالْفِعْلِ (وَأِنْ يُرِيدُوا أَنْ يَخْدَعُوكَ) بِالصَّلَحِ لِيَسْتَعْمِدُوا لَكَ (فَإِنَّ حَسْبُكَ) كَافِيكَ (اللَّهُ هُوَ الَّذِي أَيْدَكَ بِنَصْرِهِ) وَبِالْمُؤْمِنِينَ وَأَلَّفَ) جَمْعُ (بَيْنَ قُلُوبِهِمْ) بَعْدَ الْإِحْنِ (لَوْ أَنْفَقْتَ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مَا أَلَمْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ) بِقُدْرَتِهِ (إِنَّهُ عَزِيزٌ) غَالِبٌ عَلَى أَمْرِهِ (حَكِيمٌ) لَا يَخْرُجُ شَيْءٌ عَنْ حِكْمَتِهِ (يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَسْبُكَ اللَّهُ) وَحَسْبُكَ (مَنْ أَتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ) (يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَرِّضْ) حَثْ (الْمُؤْمِنِينَ عَلَى الْقِتَالِ) لِلْكَفَّارِ (إِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ عِشْرُونَ صَابِرُونَ يَغْلِبُوا مِائَتَيْنِ) مِنْهُمْ (وَإِنْ يَكُنْ) بِالْبَاءِ وَالتَّاءِ (مِنْكُمْ مِائَةٌ يَغْلِبُوا أَلْفًا مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِأَنَّهُمْ) أَيْ بِسَبَبِ أَنَّهُمْ (قَوْمٌ لَا يَفْقَهُونَ) وَهَذَا خَبَرٌ بِمَعْنَى الْأَمْرِ ، أَيْ لِيَقَاتِلَ الْعَشْرُونَ مِنْكُمْ الْمِائَتَيْنِ مِنْهُمْ وَالْمِائَةَ الْأَلْفَ وَيَثْبُتُوا لَهُمْ ، ثُمَّ نَسَخَ مَا كَثُرُوا بِقَوْلِهِ (الْآنَ خَفَّفَ اللَّهُ عَنْكُمْ وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمْ ضَعْفًا) بِضَمِّ الضَّادِ وَفَتْحِهَا عَنْ قِتَالِ عَشْرَةِ أَمْثَالِكُمْ (فَإِنْ يَكُنْ) بِالْبَاءِ وَالتَّاءِ (مِنْكُمْ مِائَةٌ صَابِرَةٌ يَغْلِبُوا مِائَتَيْنِ) مِنْهُمْ (وَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ أَلْفٌ يَغْلِبُوا أَلْفَيْنِ بِإِذْنِ اللَّهِ) بِإِرَادَتِهِ وَهُوَ خَبَرٌ بِمَعْنَى الْأَمْرِ أَيْ لَتَقَاتِلُوا مِثْلَكُمْ وَثَبَّتُوا لَهُمْ (وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ) بِعَوْنِهِ ،

ونزل

خبرها وهكذا يقال فيما بعدها ويكن وقع هنا خمس مرات : الأول

والرابع بالياء لا غير ، والثانى والثالث والخامس بالياء والتاء كما سيأتى للفسر فما سكت عنه فبالياء لا غير وما نبه عليه ففيه الوجهان (قوله صابرون) أى محتسبون أجرهم عند الله وهذا خبر بمعنى الأمر لقلة المسلمين وكثرة الكافرين ، وحكمة ذلك التوكيف أن المسلمين وإيهم الله فهم معتمدون عليه ومتوكلون عليه ، فبذلك الوصف كان الواحد مكلما بقتال عشرة ، وأما الكفار فلا ناصر لهم وهم معتمدون على قوتهم وذلك داع للضعف والهزيمة ، وفى الآية من المحسنات البديعية الاحتباك وهو الحذف من كل نظير ما أثبت فى الآخر فقد أثبت صابرون فى الأول وحذف الذين كفروا منه وأثبت الذين كفروا فى الثانى وحذف لفظ الصبر منه (قوله وهذا خبر بمعنى الأمر) أى وقد كان هذا فى صدر الإسلام وكان فرار المائة من الألف حراما ثم نسخ (قوله بضم الضاد وفتحها) أى فهما قراءتان سبعيتان ، والمراد الضعف فى الأبدان لكثرة العبادة والتعب فرحمهم الله وأكرمهم ، وأيضا علم الله ضعف من يأتى بعد الصدر الأول عن القتال خفف الله عن الجميع (قوله وهو خبر بمعنى الأمر) أى وقد استمر ذلك الأمر إلى يوم القيامة .

(قوله و رل لما أخذوا الفداء من أسرى بدر) أى وكانوا سبعين من صناديدهم . وروى أنه لما جرى بالأسارى قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ماتقولون فى هؤلاء ؟ فقال أبو بكر يارسول الله أهلك وقومك استبقهم لعل الله أن يتوب عليهم وخذ منهم فداء يكون لنا قوة على الكفار ، وقال عمر يارسول الله كذبوك وأخرجوك قدمهم نضرب أعناقهم مكن عليا من عقيل فيضرب عنقه ومكن حمزة من العباس يضرب عنقه فان هؤلاء أئمة الكفر ، وقال ابن رواحة انظر واديا كثير الحط فأدخلهم فيه ثم أضرمه عليهم نارا فسكت رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يجبههم ثم دخل فقال ناس يأخذ بقول أبى بكر وقال ناس يأخذ بقول عمر وقال ناس يأخذ بقول ابن رواحة ثم خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال إن الله ليلين قلوب رجال حتى تكون ألين من اللبن ويشد قلوب رجال حتى تكون أشد من الحجارة وإن مثلك يا أبا بكر مثل إبراهيم قال - فمن تبعني فانه منى ومن عصاني فانك غمور رحيم - ومثل عيسى قال إن تعذبهم فانهم عبادك وإن تفرلهم فانك أنت العزيز الحكيم - ومثلك يا عمر مثل نوح قال - رب لا تذر على الأرض من الكافرين ديارا - ومثل موسى قال - ربنا اطمس على أموالهم واشدد على قلوبهم - الآية ، ثم قال رسول الله : اليوم أتم عالة فلا يفلتن أحد منهم إلا بفداء أو ضرب عنقه ، قال عمر بن الخطاب فهوى رسول الله ما قاله أبو بكر ولم يهر ما قلت وأخذ منهم الفداء وهو عن كل واحد عشرون أوقية من الذهب وقيل أربعون أوقية إلا العباس فأخذ منه ثمانون أوقية عن نفسه وعن أبى أخيه عقيل بن أبى طالب ونوفل بن الحرث ثمانون وأخذ منه وقت الحرب هشرون جفلة ما أخذ منه مائة وثمانون أوقية قال همر فلما كان من الفداء جئت فاذا رسول الله وأبو بكر يبكيان قلت يارسول الله أخبرني من أى شئ تبكى أنت وصاحبك فان وجدت بكاء بكيت وإن لم أجد (١٢٥) تبكيت لكنا كما فقال رسول الله

أبكي للذى عرض لأصحابي من أخذهم الفداء فقد عرض على عذابهم أدنى من هذه الشجرة لشجرة قريبة منه صلى الله عليه وسلم فنزلت الآية « وهذا من باب حسنات الأبرار سيئات المقرين فرسول الله لم يفعل إلا ما يبيح له

ونزل لما أخذوا الفداء من أسرى بدر (مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ تَكُونَ) بالقاء والياء (لَهُ أَسْرَى حَتَّى يُنْجِنَ فِي الْأَرْضِ) يبالغ فى قتل الكفار (تُرِيدُونَ) أيها المؤمنون (عَرْضَ الدُّنْيَا) حطامها بأخذ الفداء (وَاللَّهُ يُرِيدُ) لكم (الْآخِرَةَ) أى نوابها بقتلهم (وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ) وهذا منسوخ بقوله : فإما متا بعد وإما فداء (لَوْلَا كِتَابٌ مِنَ اللَّهِ سَبَقَ) بإحلال الفنائم والأسرى لكم (لَمَسَّكُمْ فِي مَا أَخَذْتُمْ) من الفداء (عَذَابٌ عَظِيمٌ . فَكُلُوا مِمَّا غَنِمْتُمْ حَلَالًا طَيِّبًا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ . يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِمَنْ فِي أَيْدِيكُمْ ،

وإنما عتابه تعالى لمن يتولى الأمور من أمته حسن السياسة من أنه لا يقبل الفداء من الكفار حتى يكون قادرا عليهم وظافرا بهم (قوله بالقاء والياء) أى فهما قراءتان سبعيتان لكن على الفوقية تعين الامالة فى أسرى وعلى التحتية تجوز الامالة وعدمها (قوله حتى يشن فى الأرض) أى حتى تظهر شوكة الاسلام وقوته وذل الكافرين (قوله عرض الدنيا) أى متاعها ، سعى عرضا لزواله وعدم ثباته (قوله والله يريد الآخرة) أى يرضاها لكم (قوله وهو منسوخ) أى قوله : ما كان لنبي أن تكون له أسرى هكذا مشى المفسر على هذا القول وهو ضعيف بل ما هنا مقيد بالاثخان أى كثرة القتال المترتب عليها عز الاسلام وقوته وما يأتى فى سورة القتال من التخيير محله بعد ظهور شوكة الاسلام حيث قال - فاذا آخذتموهم فشدوا الوثاق - فاذا علمت ذلك فالآيتان متوافقتان فى أن كلا يدل على أنه لا بد من تقديم الاثخان ثم بعده الفداء (قوله لولا كتاب) لولا حرف امتناع لوجود وكتاب مبتدأ وجملة من الله صفة له وكذا قوله سبق والخبر محذوف تقديره موجود والمعنى لولا وجود حكم من الله مكتوب بإحلال الفنائم لمسكم الخ فهو عتاب على ترك الأولى لاعلى فعل منهى عنه تنزيها لرسول الله عن مثل ذلك (قوله فيما أخذتم) أى بسبب ما أخذتم فى السببية (قوله حلالات) أى أكل حلالات (قوله طيبا) أى خالصا لاشبهة فيه (قوله يا أيها النبي قل لمن فى أيديكم من الأسارى) نزلت فى العباس عم رسول الله وكان أحد العشرة الذين ضمنوا أن يطعموا الناس الذين خرجوا من مكة لبدر وكان معه عشرون لوقية من ذهب فلما أخذ أسيرا أخذت منه فكام رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يحسبها من فدائه فأبى وقال له شئ خرجت به لتستعين به عاينا فلا تتركه لك فقال العباس يا محمد أنت تركى أن تكف قرىشا ما بقيت فقال رسول الله فأين الذهب الذى وضعته عند أم الفضل وقت خروجك من مكة وقتل لها إني لأدرى ما يصيبني فى وجهي هذا فان حدث فى هذا المال لك ولعبد الله ولعبيد الله وللفضل فقال العباس

وما يدريك يا ابن أخي فاني أعطيتها إياه في سواد الليل ولم يطلع عليه أحد إلا الله فقال أخبرني به ربي فقال : أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أنك عبده ورسوله وأنت صادق ، وأمر ابن أخيه عقيلاً ونوفلاً بن الحارث فأسلما فنزل قوله تعالى : يا أيها النبي الآية فكان العباس يقول أهداني الله خيراً مما أخذ مني عشرين عبداً تجاراً يضربون بمال كثير أذنانهم يضرب بعشرين ألفاً مكان العشرين أوقية وأعطاني زمزم ومأحب أن لي بها جميع أموال أهل مكة وأنا أنتظر المغفرة من ربي (قوله من الأسارى) بالامالة لا غير (قوله وفي قراءة الأسرى) أى بالامالة وتركها فالقراءات ثلاث وكلها سبعة (قوله من الفداء) بيان لما (قوله خيانتك) أى بقتل العهد الذى عاهدوك عليه وهو أن لا يحاربوك ولا يعاونوا عليك للشركين (قوله بما أظهروا من القول) أى قولهم رضينا بالاسلام (قوله فايثوقعوا) هذا فى الحقيقة جواب الشرط الذى هو قوله : وإن يريدوا خيانتك (قوله إن الذين آمنوا وهاجروا) أى سبق لهم الايمان والاتقال مع رسول الله من مكة إلى المدينة وهم السابقون الأولون الذين حضروا الفزوات قبل الفتح الذين قال الله فيهم : للفقراء (١٣٦) المهاجرين الذين أخرجوا من ديارهم وأموالهم يبتغون فضلاً من الله ورضواناً

وينصرون الله ورسوله أولئك هم الصادقون (قوله بأموالهم وأنفسهم) متعلق بجاهدوا أى بذلوا أموالهم وأنفسهم فى سبيل الله (قوله والذين آووا النبي) أى والمهاجرين ولم يذكروهم المفسر لأنهم تبع رسول الله (قوله وهم الأنصار) أى الذين قال الله فيهم : والذين تبوءوا الدار والايمان من قبلهم يحبون من هاجر إليهم ولا يجدون فى صدورهم حاجة مما أوتوا ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة (قوله فى النصر

مِنَ الْأَسَارَى) وفى قراءة الأسرى (إِنْ يَقْلَمَ اللَّهُ فِي قُلُوبِكُمْ خَيْرًا) إيماناً وإخلاصاً (يُؤْتِكُمْ خَيْرًا مِّمَّا أَخَذَ مِنْكُمْ) من الفداء بأن يضمنه لكم فى الدنيا ويثيبكم فى الآخرة (وَيَغْفِرْ لَكُمْ) ذنوبكم (وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ) وَإِنْ يُرِيدُوا) أى الأسرى (خِيَانَتَكَ) بما أظهروا من القول (فَقَدْ خَانُوا اللَّهَ مِنْ قَبْلُ) قبل بدر بالكفر (فَأَمَكَنَّ مِنْهُمْ) ببدر قتلاً وأسراً فليثوقعوا مثل ذلك إن عادوا (وَاللَّهُ عَلِيمٌ) بخلقهم (حَكِيمٌ) فى صنعه (إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ) وهم المهاجرون (وَالَّذِينَ آوَوْا) النبي صلى الله عليه وسلم (وَنَصَرُوا) وهم الأنصار (أُولَئِكَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ) فى النصرة والإرث (وَالَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يُهَاجِرُوا مَالَكُمْ مِنْ وَلَايَتِهِمْ) بكسر الواو وفتحها (مِنْ شَيْءٍ) فلا إرث بينكم وبينهم ولا نصيب لهم فى الفريضة (حَتَّى يُهَاجِرُوا) وهذا منسوخ بآخر السورة (وَإِنْ اسْتَنْصَرُوكُمْ فِي الدِّينِ فَعَلَيْكُمُ النَّصْرُ) لهم على الكفار (إِلَّا عَلَى قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ مِيثَاقٌ) عهد فلا تنصروهم عليهم وتنقضوا عهدهم (وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ) وَالَّذِينَ كَفَرُوا بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ) فى النصرة والإرث فلا إرث بينكم وبينهم (إِلَّا تَقْتُلُوهُمْ) أى تولى المسلمين وقطع الكفار (تَكُنْ فِتْنَةٌ فِي الْأَرْضِ وَفَسَادٌ كَبِيرٌ) بقوة الكفر وضعف الإسلام

والإرث) أى فكان الأنصار ينصرون المهاجرين وبالعكس وكان المهاجرون يرث الأنصارى الذى آتاه الله (والذين رسول الله وبالعكس) (قوله ولم يهاجروا) أى بأن أقاموا بمكة (قوله بكسر الواو وفتحها) أى فهما قرأتان سبعيتان (قوله من شئ) من زائد وشئ مبتدأ أخبره الجار والمجرور قبله (قوله فلا إرث بينكم وبينهم) أى لا إرث بين المهاجرين والأنصار وبين الذين لم يهاجروا (قوله ولا نصيب لهم فى الفريضة) اعترض بأن الفريضة لا يأخذها إلا من قاتل وهؤلاء لم يقاتلوا فالأولى حذف هذه العبارة (قوله وهذا منسوخ) اسم الإشارة عائذ على ما تقدم من أن الإرث بين المهاجرين والأنصار ثابت بالايمان والهجرة ومنفى بين من لم يهاجر وبين الأنصار والمهاجرين (قوله بآخر السورة) أى وهو قوله : وأولوا الأرحام بعضهم أولى ببعض (قوله وإن استنصروكم فى الدين) أى طابوا . أنكم النصرة لأجل إعزاز الدين والضمير عائذ على الذين آمنوا ولم يهاجروا (قوله إلا على قوم بينكم وبينهم ميثاق) أى من الكفار وهم أهل مكة (قوله وتنقضوا عهدهم) أى الصلح الكائن بالحديبية سنة ست على ترك القتال عشرينين (قوله فى النصرة والإرث) أى فهما ثابتان بين الكفار بعضهم لبعض (قوله فلا إرث بينكم وبينهم) أى ولا نصرة (قوله إلا تفعلوه) إن شرطية مدعمة فى لا النافية ففعلوه فعل الشرط وتسكن جواب الشرط ، والمعنى إن لم تفعلوا ما ذكر من تولى المؤمنين وقطع الكفار بل تولى الكفار

وقطعتم المؤمنين نكح فتنة في الأرض وفساد كبير لأنه يترتب على ذلك قوة الكفار وضعف المسلمين ، وهذا ما حله به التفسير ويحتمل أن لازادة . والمعنى إن تفعلوا ما نهيتهم عنه من موالاة الكفار وقطع المؤمنين (قوله والذين آمنوا وهاجروا الخ) ليس مكررا مع ما تقدم لأن ما هنا بيان لفضلهم ، وما تقدم بيان لكونهم أولياء بعض وأيضا ما تقدم في الهجرة قبل علم الحديدية وما هنا في الهجرة قبل الفتح كان قبل الحديدية أو بعدها (قوله أولئك هم المؤمنون حقا) أى الكاملون في الإيمان بلا شك (قوله لهم مغفرة) أى لذنوبهم (قوله ورزق كريم) أى لا تعب فيه ولا مشقة ، ويؤخذ من هذه الآية أن جميع المهاجرين والأنصار مبشرون بالجنة من غير سابقة عذاب ، وأما ما ورد من أن المبشرين عشرة فلائهم جمعوا في حديث واحد (قوله من بعد) أى بعد الحديدية . قبل الفتح لأنه بعد الفتح لا هجرة (قوله فأولئك منكم) أى محسوبون منكم وفي الآية دليل على أن المهاجرين الأولين أعلى وأجل من المتأخرين بالهجرة لأن الله ألحقهم بهم ، ومن العلوم أن المفضل يلحق بالفاضل (قوله وأولوا الأرحام) هذه الآية نزلت بعد الفتح وهي ناسخة للآية المتقدمة وهي ميراث المهاجرين والأنصار (قوله من التوارث) متعلق بأولى (قوله أى اللوح المحفوظ) وقيل المراد به القرآن لأن قسمة (١٢٧) التوارث مذكورة في سورة النساء

من كتاب الله وهو القرآن (قوله ومنه حكمة اليراث) أى التوارث بمقتضى الإيمان والهجرة بدون قرابة ونسبه ، والتوارث بالقرابة .

[سورة التوبة]

مبتدأ ومدنية خبر أول ومائة الخ خبر ثان (قوله أو إلا الآيتين) إشارة إلى قول آخر (قوله آخرها) حال من الآيتين وأولهما : لقد جاءكم رسول فاعلى أنهما مكيتان يكون معنى قوله فقل حسبى الله اكتف بالله واترك قتالهم

(وَالَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ آوَوْا وَانْتَصَرُوا أُولَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ) في الجنة . (وَالَّذِينَ آمَنُوا مِنْ بَعْدُ) أى بعد السابقين إلى الإيمان والهجرة (وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا مَعَكُمْ فَأُولَئِكَ مِنْكُمْ) أيها المهاجرون والأنصار (وَأُولُوا الْأَرْحَامِ) ذوو القرابات (بَعْضُهُمْ أَوْلَى بِبَعْضٍ) في الإرث من التوارث بالإيمان والهجرة المذكور في الآية السابقة (فِي كِتَابِ اللَّهِ) اللوح المحفوظ (إِنَّ اللَّهَ يَكُلُّ شَيْءًا عَالِمٌ) ومنه حكمة الميراث .

(سورة التوبة)

(مدنية - أو إلا الآيتين آخرها - مائة وثلاثون ، أو إلا آية)

ولم تكفب فيها البسمة لأنه صلى الله عليه وسلم لم يأمر بذلك كما يؤخذ من حديث رواه الحاكم وأخرج في معناه عن علي أن البسمة أمان وهي نزلت لرفع الأمن بالسيف ، وعن حذيفة إنكم تسمونها سورة التوبة وهي سورة العذاب . وروى البخارى عن البراء :

و يكون مفسوخا بآية السيف ، وعلى أنهما مدينتان يكون المعنى كن مستعينا بالله واثقا به في قتالهم ولا نسخ وهذه السورة من آخر القرآن نزولا لأنها نزلت بعد عزة الاسلام وانتشاره (قوله ولم تكتب فيها البسمة الخ) جواب عما يقال إن كل سورة مبتدأة بالبسمة إلا هذه السورة فما الحكمة في ذلك ، فأجاب بأن رسول الله لم يأمر بذلك أى لكونه لم ينزل عليه وحى بها ، وهذا أصح الأقوال ولذا صتر به المفسر ، وحاصل الخلاف في حكمة عدم الاتيان بالبسمة خمسة أقوال : أولها ما قاله المفسر ، الثانى أنه سئل عثمان عن ذلك ، فأجاب بأنه ظن أنها مع الأنفال سورة لأن قصتها تشبه قصتها فعلى هذا القول تكون مع الأنفال تمام السبع الطوال ، الثالث أنها نزلت لنقض عهد الكفار ، وفضيحة المنافقين فهي سورة عذاب والبسمة رحمة ولا تجتمع رحمة مع عذاب ، ونسئ أيضا الفاضحة لفضيحة المنافقين بها وسورة العذاب ، وسورة التوبة لاشتغالها على ذكرها وغير ذلك من أصنافها . الرابع تركت البسمة لاختلاف الصحابة في أن الأنفال وبراءة لسورة واحدة أو سورتان ، فتركت البسمة لقول من قال هما سورة واحدة ، وتركت بينهما فرجة لقول من قال هما سورتان . الخامس : أن ذلك على عادة العرب في الجاهلية إذا كان بينهم وبين قوم عهد ، فأرادوا نقضه كتبوا إليهم كتابا ولم يكتبوا فيه البسمة وهذه السورة نزلت لنقض عهد المشركين فلم تكتب فيها ، ثم اختلف العلماء في ابتداء تلك السورة بها ، فقال ابن حجر من الناصية :

بالحرمة ، وقال الرملى بالكراهة وفي الاثناء يكره عند الأول ، ويجوز عند الثاني ، ومذهب مالك محذرك ، وقد أشار لذلك صاحب الشاطبية بقوله :
ومهما نصلها أو بدأت براءة لتزيلها بالسيف لست بمبسلا
ولا بد منها في ابتدائك سورة سواها وفي الاجزاء خير من تلا

(نوله أنها آخر سورة نزلت) أى من الآخر وإلا فالمائدة متأخرة عنها ، وهذه السورة نزلت كاملة لما ورد أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : ما أنزل على القرآن إلا آية وآية وحرفا وحرفا إلا سورة براءة وسورة قل هو الله أحد ، فانهما نزلتا ومعهما سبعون ألف صف من الملائكة (قوله براءة) إشارة المفسر إلى أن براءة خبر لمحذوف قدره بقوله هذه (قوله إلى الذين عاهدتم) متعلق بمحذوف صفة لبراءة قدره المفسر بقوله واصله والمعنى هذه قطع وصلة صادرة من الله ورسوله واصله إلى الذين عاهدتم من المشركين (قوله ونقض العهد) أى في الصور الثلاثة (فوله فسيحوا) أمر بإباحة للمشركين وهو مقول لقول محذوف والتقدير فقولوا لهم سيحوا وهذا بيان لعقد الأمان لهم أو بعبارة أشهر وإنما اقتصر عليها لقوة الاسلام وكثرة المسلمين بخلاف صلح الحديبية ، فكان عشرين سنين لضعف المسلمين إذ ذاك (قوله أولها شوال) أى وآخرها المحرم ، وقيل أولها عشر ذى القعدة وآخرها العاشر من ربيع الأول لأن الحج في تلك السنة كان في العاشر من ذى القعدة بسبب النسيء ثم صار في السنة القابلة في العاشر من ذى الحجة ، وفيها حج رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال إن الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله الحديث ، وقيل أولها (١٢٨) عاشر ذى الحجة وآخرها عاشر ربيع الثاني (قوله بدليل ماسياتي)

أنى في قوله : فإذا انسלخ الأشهر الحرم (قوله واعلموا أنكم الح) أى فلا تفوتوا بعقد الأمان لكم (قوله وأذان) معطوف على قوله براءة من الله ورسوله عطف مفصل على مجمل (قوله إعلام) أى فالمراد الأذان اللغوي لا الشرعي الذى هو الإعلام

أنها آخر سورة نزلت ، هذه (براءة من الله ورسوله) واصله (إلى الذين عاهدتم من المشركين) عهداً مطلقاً أو دون أربعة أشهر أو فوقها ونقض العهد بما يذكر في قوله (فسيحوا) سيروا آمين أيها المشركون (في الأرض أربعة أشهر) أولها شوال بدليل ماسياتي ولا أمان لكم بعدها (وأعلموا أنكم غير مخرجي الله) أى فانتفى عذابه (وأن الله مخزي الكافرين) مذلمهم في الدنيا بالقتل والأخرى بالنار (وأذان) إعلام (من الله ورسوله إلى الناس يوم الحج الأكبر) يوم النحر (أن) أى بأن (الله يرى من المشركين) وعهودهم (ورسوله) يرى أيضاً ، وقد بعث النبي صلى الله عليه وسلم علياً من السنة ، وهى سنة تسع فاذن يوم النحر بمضى ،

مخصوصة (قوله يوم النحر) إنما سمى يوم الحج الأكبر لأن معظم أفعال الحج يكون فيه كالطواف والرمي والنحر والحلق واحتراز بالحج الأكبر عن العمرة فهى الحج الأصغر لأن أعمالها أقل من أعمال الحج لأنه يزيد عليها بأمور كالرمي والمبيت والوقوف (قوله أن الله يرى الح) هذه الجملة خبر عن قوله وأذان ، وقوله يوم الحج الأكبر ظرف للأذان والمعنى وإعلام من الله ورسوله إلى الناس كائن في يوم الحج الأكبر بأن الله يرى الح (قوله ورسوله) القراء السبعة بل العشرة على الرفع عطف على الضمير المستتر في يرى ووجد الفاصل وهو قوله من المشركين ويصح أن يكون مبتدأ خبره محذوف تقديره يرى منهم أيضاً ، وقرئ شاذاً بالنصب ووجهت بوجهين الأول أن الواو بمعنى مع ورسوله مفعول معه الثانى أنه معطوف على اسم أن وهو لفظ الجلالة ، وقرئ شاذاً أيضاً بالجر ووجهت بأن الواو للقسمة ، واستبعدت تلك القراءة لايهام عطفه على المشركين حتى أن بعض الأعراب سمع رجلاً يقرأ بها ، فقال الأعرابي : إن كان الله بريئاً من رسوله فأنا بريء منه فليبه القارىء إلى عمر ، فحكى الأعرابي الواقعة فأمر عمر بتعليم العربية وتحكى هذه أيضاً عن على وأبى الأسود الدؤلى (قوله وقد بعث الح) حاصل ذلك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم عاهد قريشاً يوم الحديبية على أن يضعوا الحرب عشرين سنين يأمن فيها الناس ، ودخلت خزاعة في عهد رسول الله ، ودخلت بنو بكر في عهد قريش ، ثم عدت بنو بكر على خزاعة ، وأعاتهم قريش بالسلاح ، فلما تظاهرت بنو بكر وقريش على خزاعة ونقضوا عهدهم خرج عمرو بن سالم الخزاعى ، ووقف علم رسول الله وأخبره الخبر ، فقال رسول الله : لانصرت إن لم أنصرك وتجهز إلى مكة ففتحها سنة ثمان من الهجرة

بهذه

مخصوصة (قوله يوم النحر) إنما سمى يوم الحج الأكبر لأن معظم أفعال الحج

يكون فيه كالطواف والرمي والنحر والحلق واحتراز بالحج الأكبر عن العمرة فهى الحج الأصغر لأن أعمالها أقل من أعمال الحج لأنه يزيد عليها بأمور كالرمي والمبيت والوقوف (قوله أن الله يرى الح) هذه الجملة خبر عن قوله وأذان ، وقوله يوم الحج الأكبر ظرف للأذان والمعنى وإعلام من الله ورسوله إلى الناس كائن في يوم الحج الأكبر بأن الله يرى الح (قوله ورسوله) القراء السبعة بل العشرة على الرفع عطف على الضمير المستتر في يرى ووجد الفاصل وهو قوله من المشركين ويصح أن يكون مبتدأ خبره محذوف تقديره يرى منهم أيضاً ، وقرئ شاذاً بالنصب ووجهت بوجهين الأول أن الواو بمعنى مع ورسوله مفعول معه الثانى أنه معطوف على اسم أن وهو لفظ الجلالة ، وقرئ شاذاً أيضاً بالجر ووجهت بأن الواو للقسمة ، واستبعدت تلك القراءة لايهام عطفه على المشركين حتى أن بعض الأعراب سمع رجلاً يقرأ بها ، فقال الأعرابي : إن كان الله بريئاً من رسوله فأنا بريء منه فليبه القارىء إلى عمر ، فحكى الأعرابي الواقعة فأمر عمر بتعليم العربية وتحكى هذه أيضاً عن على وأبى الأسود الدؤلى (قوله وقد بعث الح) حاصل ذلك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم عاهد قريشاً يوم الحديبية على أن يضعوا الحرب عشرين سنين يأمن فيها الناس ، ودخلت خزاعة في عهد رسول الله ، ودخلت بنو بكر في عهد قريش ، ثم عدت بنو بكر على خزاعة ، وأعاتهم قريش بالسلاح ، فلما تظاهرت بنو بكر وقريش على خزاعة ونقضوا عهدهم خرج عمرو بن سالم الخزاعى ، ووقف علم رسول الله وأخبره الخبر ، فقال رسول الله : لانصرت إن لم أنصرك وتجهز إلى مكة ففتحها سنة ثمان من الهجرة

طها. فلما سئل نوح أن يرسل الله أن يحج قبيل ابن المشركين يحضرون ويطوفون بالبيت عراة فقال لأحب أن أحج حتى لا يكون ذلك بعث أبا بكر تلك السنة أميرا على الموسم ليقيم للناس الحج وبعث معه أربعين آية من صدر براءة آخرها - ولو كره للمشركون - ثم بعث بعده عليا على ناقته العضباء ليقرا على الناس صدر براءة فلحق أبا بكر بالعرج بفتح العين وسكون الراء قرية جامعة بينها وبين المدينة ستة وسبعون ميلا ، فلما تلاقيا ظن أبو بكر أنه معزول ، فرجع إلى رسول الله فقال يا رسول الله أنزل في شأني شيء ؟ فقال لا ، ولكن لا ينبغي لأحد أن يبلغ هذا إلا رجل من أهلي ، أما رضي يا أبا بكر أنك كنت معي في النار وأنت معي على الخوض ؟ فقال بلى يا رسول الله ، فسار أبو بكر أميرا على الحاج وعلى بن أبي طالب يؤذن براءة ، فلما كان قبل يوم القريوة يوم قام أبو بكر فخطب الناس وحدثهم عن مناسكهم وأقام للناس الحج حتى إذا كان يوم النحر قام على فافن بما أمر به وهو لا يطوف بالبيت عريان ، ومن كان بينه وبين النبي عهد فهو منقوض ، ومن لم يكن له عهد فأجله أربعة أشهر ولا يدخل الجنة إلا نفس مؤمنة ، ولا يجتمع المشركون والمسلمون بعد عامهم هذا في الحج ، ثم حج رسول الله سنة عشر حجة الوداع ، إذا علمت ذلك نعلم أن هذه الآيات نزلت بعد فتح مكة في نقض عهود ماعدا قريش فان قريشاتهم أمرهم بفتح مكة ، وفي ذلك قال المفسرون : لما خرج رسول الله إلى تبوك فكان (١٢٩) المنافقون يرجفون الأراجيف وجعل المشركون ينقضون

بهذه الآيات وأن لا يحج بعد العام مشرك ولا يطوف بالبيت عريان « رواه البخاري (فَإِنْ بُنْتُمْ) من الكفر (فَوَيْ خَيْرٌ لَكُمْ وَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ) عن الإيمان (فَأَعْلَمُوا أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِي اللَّهِ وَبَشِّرِ) أخبر (الَّذِينَ كَفَرُوا بِعَذَابِ اللَّهِ) مؤلم وهو القتل والأسر في الدنيا والنار في الآخرة (إِلَّا الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ثُمَّ لَمْ يَنْقُصُوكُمْ شَيْئًا) من شروط العهد (وَلَمْ يَظَاهِرُوا) يباينوا (عَلَيْكُمْ أَحَدًا) من الكفار (فَأَتَمُّوا إِلَيْهِمْ عَهْدَهُمْ إِلَى) انقضاء (مَدَّتِهِمْ) التي عاهدتم عليها (إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ) باتمام العهود (فَإِذَا أَنْتَلَخَ) خرج (الْأَفْهَرُ الْحُرْمُ) وهي آخر مدة التأجيل (فَأَقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ) في حل أو حرم (وَخَذُواهُمْ) بالأسر (وَأَخْصَرُوهُمْ) في القلاع والحصون حتى يضطروا إلى القتل أو الإسلام (وَأَقْعُدُوا لَهُمْ كُلَّ مَرْصِدٍ) طريق يسلكونه ونصب كل على نزع الخافض (فَإِنْ تَابُوا) من الكفر (وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوْا الزَّكَاةَ فَخَلُّوا سَبِيلَهُمْ) ولا تعترضوا لهم (إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ) لمن تاب (وَإِنْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ) مرفوع بفعل يفسره (اسْتَجَارَكَ) استأمنك من القتل (فَأَجْرُهُ) أسنة ،

وإن لا يحج فهو وما بعده من جملة ما أذن به (قوله فهو) أي التوبة المفهومة من قوله تبتم (قوله خير لكم) أي من بقائكم على الكفر الذي هو خير في زعمكم أو اسم التفضيل ليس على باب (قوله أخبر) أشار بذلك إلى أن المراد بالشارة مطلق الاخبار ودبر عنه بالشارة نهكأ بهم (قوله إلا الذين عاهدتم) استثناء من المشركين في قوله - براءة من الله ورسوله - إلى الذين عاهدتم من المشركين - وهو منقطع والتقدير لكن الذين عاهدتم فأتموا إليهم عهدهم إلى مدتهم وهذا أولى من جملة متصل لما يلزم عليه من الفصل بين المستثنى والمستثنى منه (قوله ثم لم ينقصوكم) قرأ الجمهور بالصاد المهملة من النقصان وهو يعتد لواحد راثين فالكاف مفعول أول شيئا إما مفعول ثان أو مصدر أي لا قبلا ولا كثيرا من النقصان وقرئ شذوذا بالصاد والفتح لم ينقصوا عهدكم وهي مناسبة لذكر العهد والقراءة الأولى مناسبة لذكر الختام في مقابلتها (قوله ولم يظاهروا) أي هؤلاء المشركون وهم بنو ضمرة حتى من كذابة (قوله إلى مدتهم) أي وكان قد بقى من مدتهم تسعة أشهر (قوله فإذا أنسلخ الأشهر الحرم) أي انقضت وفرغت وتقدم للمفسران هذا يدل على أن أول المدّة شوال وهو أحد أقوال ثلاثة تقدست (قوله حيث وجدتموهم) أي في أي مكان (قوله واقعدوا لهم كل مرصد) أي لتلا ينقضوا في البلاد (قوله وأقاموا الصلاة الحج) المراد أتوا بأركان الاسلام وإنما اقتصر على الصلاة والزكاة لأنهما رأس الأعمال البدنية والمالية (قوله ولا تعترضوا لهم) أي لا لأنفسهم ، لا لأموالهم فلا تأخذوا منهم حزية ولا أعشارا ولا غير ذلك (قوله وإن أحد من المشركين

إن حرف شرط جازم وأحد فاعل بفعل مخذوف بضمه قوله استجاركم وهو فعل الشرط وقوله فأجره جوار الفسار وإما
أعرب أحد فاعلا بفعل مخذوف لأن أدوات الشرط لا يليها إلا الأفعال لفظاً أو تقديراً سباً إن (قوله حتى يسمع كلام الله) أي
فيتدبره ويعلم كيفية الدين وما انطوى عليه من المحاسن (قوله ثم أبلفه مأمته) أي إن أراد الانصراف ولم يسلم رساله إلى
قومه ليتدبر في أمره ثم بعد ذلك يجوز لك قتالهم لقيام الحجة عليهم (قوله المذكور) أي من الاجارة والابلاغ (قوله يعلموا)
أي ما لهم من الثواب إن آمنوا وما عليهم من العقاب إن لم يؤمنوا (قوله أي لا يكون) أشار بذلك إلى أن الاستفهام للمتعجب
بمعنى النفي وهذا تأكيد لإبطال عهدهم ونقضه في الآية المتقدمة (قوله إلا الذين عاهدتم) يصح أن يكون الاستثناء منقطعا
أو متصلا فعلى الانقطاع يكون الموصول مبتدأ خبره جملة الشرط وهي قوله لما استقاموا لكم الخ وعلى الاتصال يكون للموصول
منصوبا على الاستثناء (قوله يوم الحديبية) اسم مكان بينه وبين مكة ستة فراسخ (قوله وهم قريش المستنون من قبل)
أي في قوله : إلا الذين عاهدتم من الشركين ثم لم ينقصكم شيئا، وقد تبع المفسر في ذلك ابن عباس وهو مشكل لأن هذه
الآيات نزلت في شوال في السنة (١٣٠) التاسعة وقريش إذ ذاك مسلمون لأنها كانت تقضت في السنة السابعة

وحصل الفتح في الثامنة
فالصواب كما قال الحازن
أن ذلك محمول على
بنى ضمرة الدين دخلوا
في عهد قريش يوم
الحديبية مع جملة من
القبائل فكلهم نقضوا
الائى ضمرة فلم ينقضوا
لذا أمر رسول الله بأتمام
عهدهم إلى مدتهم (قوله
وما شرطية) أي بمعنى إن
ويصح كونها مصدرية
ظرفية أي فاستقيموا لهم
مدة استقامتهم لكم
(قوله حتى نقضوا باعانة
بنى بكر على خزاعة)

(حَقَّ يَسْمَعُ كَلَامَ اللَّهِ) القرآن (ثُمَّ أُبْلِفَهُ مَأْمَتَهُ) أي موضع أمته وهو دار قومهم إن لم يؤمن لينظر
في أمره (ذَلِكَ) المذكور (بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَتَّقُونَ) دين الله فلا بد لهم من سماع القرآن ليعلموا (كَيْفَ)
أي لا (يَكُونُ لِلشَّرِكِينَ عَهْدٌ عِنْدَ اللَّهِ وَعِنْدَ رَسُولِهِ) وهم كفرون بهما غادرون (إِلَّا الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ
عِنْدَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ) يوم الحديبية وهم قريش المستنون من قبل (فَمَا اسْتَقَامُوا لَكُمْ) أقاموا
على العهد ولم ينقضوه (فَأَسْتَقِيمُوا لَهُمْ) على الوفاء به وما شرطية (إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ) وقد استقام
صلى الله عليه وسلم على عهدهم حتى نقضوا باعانة بنى بكر على خزاعة (كَيْفَ) يكون لهم عهد (وَأِنْ
يَظْهَرُوا وَعَلَيْنَكُمْ) يظفروا بكم (لَا يَرْقُبُوا بَرَاعَتَكُمْ) (فِيكُمْ إِلَّا) قرابة (وَلَا ذِمَّةً) عهدا بل يؤذوكم
ما استطاعوا وجملة الشرط حال (رَضُونَكُمْ بِأَنفُسِهِمْ) بكلامهم الحسن (وَتَأْتِي قُلُوبُهُمْ) الوفاء به
(وَأَكْثَرُهُمْ فَاسِقُونَ) ناقضون للعهد (أَشْتَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ) القرآن (مِمَّا قَلِيلًا) من الدنيا أي تركوا
اتباعا للشهوات والهوى (فَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِهِ) دينه (إِنَّهُمْ سَاءَ) بش (مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ) علمهم
هذا (لَا يَرْقُبُونَ فِي مُؤْمِنٍ إِلَّا) وَلَا ذِمَّةً وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُعْتَدُونَ . فَإِنْ تَأَبَّوْا فَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوْا
الزَّكَاةَ فَإِخْوَانُكُمْ) أي فهم إخوانكم (فِي الدِّينِ وَتَفَصَّلُ) نبين (الآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ) يتدبرون

(وإن)

هذا مبنى على ما فهمه أولا ولو مشى على الصواب لقال حتى فرغت مدتهم

(قوله كيف يكون لهم عهد) كرر الاستفهام زيادة في التأكيد (قوله إلا) مفعول ليرقبوا وجمعه إلال كقداح (قوله قرابة)
وقيل المراد به العهد وقيل المراد به الله تعالى وقيل الجوار وهو رفع الصوت عند المخالفة لأنهم كانوا يفعلون ذلك عند المخالفة
والأقرب ما قاله المفسر (قوله عهدا) أي فاعطف للتفسير على تفسير الإل بالعهد (قوله رضونكم) هذا بيان لحالهم عند
عدم الظفر بالمسلمين إثر بيان حالهم عند الظفر بهم (قوله وتأتي قلوبهم) أي تمتنع من الاذعان والوفاء بما أظهروه (قوله
اشتروا بآيات الله) أي استبدلوا آيات الله بالأعراض الفانية والشهوات الزائلة (قوله فصددوا عن سبيله) أي منعوا الناس
من اتباع دين الاسلام والايان (قوله إنهم ساء ما كانوا يعملون) أي لضلالمهم وكفرهم وإضلالمهم غيرهم (قوله لا يرقبون
في مؤمن) كرر ذلك لمزيد التشنيع والتقبيح عليهم لأن مقام الدم كتمام للدح البلاغة فيه الاطناب (قوله فان تابوا الخ)
ليس فيه تكرار مع ما تقدم لاختلاف جواب الشرط لأن الأول أفاد تخليصة سبيلهم، رهنا أفاد أنهم إخواننا في الدين (قوله
أي فهم إخوانكم) أشار بذلك إلى أن إخوانكم خبر لمخذوف والجملة في محل جزم جواب الشرط (قوله يتدبرون) أي
يتعلمون فيؤمنون وإنما فسر العلم بالتدبر لأن المراد به علم يحصل معه الاذعان لا مطلق علم .

(قوله وإن نكثوا) النكث في الأصل الرجوع إلى خلف ثم استعمل في النقص مجازاً بجامع أن كلا متأخر عن مطلوبه وهو مقابل قوله فإن تابوا إلخ . والمعنى فإن أظهروا ما في ضمائرهم من الشر فقاتلوا إلخ (قوله وطعنوا في دينكم) عطفاً تفسير أو سبب على مسبب والأقرب الأول (قوله فقاتلوا) أمر لسيدنا محمد وأمه (قوله أئمة الكفر) بتحقيق الهمزة في إدخال ألف بينهما وتركه وتسجيل الثانية مع إدخال ألف بينهما وتركه وإبدال الثانية ياء فهذه خمس قراءات غير شاذة هنا وفي الأنبياء وفي ماضي القصص وفي السجدة ، وأصله أئمة بوزن أفعلة أريد إدغام إحدى اليمين في الأخرى فنقلت حركة الميم الأولى للساكن قبلها وهو الهمزة الثانية (قوله فيه وضع الظاهر إلخ) أي زيادة في التقييد عليهم حيث وصفهم بكونهم رهوساً في الكفر وكان مقتضى الظاهر فقاتلوهم (قوله لا إيمان لهم) بفتح الهمزة جمع يمين بمعنى الحلف والمعنى لاهود لهم متممة (قوله وفي قراءة بالكسر) أي فيكون مصدر آمن بمعنى أعطاه الأمان أو من الإيمان وهو التصديق (قوله ألا لا تحيض) أي وهو الطلب بحث وإزعاج لاتصافهم بصفات ثلاثة كل واحد منها يقتضي القتال (قوله وهما باخراج الرسول) إنما اقتصر على الاخراج مع أنه وقع منهم الهم بالقتل والهم بالأيدي أيضاً لأن أثر (١٣١) الاخراج ظهر عقبه وهو خروجه منها باذن ربه لا خوفاً منهم ،

(وَأِنْ نَكَثُوا) قَضُوا (أَيَّمَانَهُمْ) مَوَائِقَهُمْ (مِنْ بَعْدِ عَهْدِهِمْ وَطَعَنُوا فِي دِينِكُمْ) عَابَوْهُ (فَقَاتِلُوا أئِمَّةَ الْكُفْرِ) رؤسائه فيه وضع الظاهر موضع المضمر (لَهُمْ لَا إِيمَانُ) عهود (لَهُمْ) وفي قراءة بالكسر (لَعَلَّهُمْ يَنْتَهُونَ) عن الكفر (أَلَا) للتحضيض (تَقَاتِلُونَ قَوْمًا نَكَثُوا) قَضُوا (أَيَّمَانَهُمْ) عهودهم (وَهُمْ يَأْخُذُونَ بِالرَّسُولِ) من مكة لما تشاوروا فيه بدار الندوة (وَهُمْ يَدَّوْكُمُ) بالقتال (أَوَّلَ مَرَّةٍ) حيث قاتلوا خزاعة حلفاءكم مع بنى بكر فاستنصركم أن تقاتلوهم (أَتَخَشَّوْنَهُمْ) اتخافونهم (فَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَوْهُ) في ترك قتالهم (إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ) قَاتِلُوهُمْ يُعَذِّبُهُمُ اللَّهُ (يَقْتُلُهُمْ) بِأَيْدِيكُمْ وَيُخْزِيهِمْ بِذُلِّهِمْ بِالْأَمْرِ وَالْقَهْرِ (وَيَنْصُرْكُمْ عَلَيْهِمْ وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُؤْمِنِينَ) بما فعل بهم هم بنو خزاعة (وَيُذْهِبَ غِظَ قُلُوبِهِمْ) كربها (وَيَتُوبُ اللَّهُ عَلَى مَنْ يَشَاءُ) بالرجوع إلى الإسلام كآبي سفيان (وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ) (أَمْ) بمعنى همزة الإنكار (حَسِبْتُمْ أَنْ تُتْرَكُوا وَلَمْ تَتَّخِذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَا رَسُولِهِ وَلَا الْمُؤْمِنِينَ وَلِجَنَّةٍ) بطانة وأولياء ، المعنى ولم يظهر المخلصون وهم الموصوفون بما ذكر من غيرهم (وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ) مَا كَانَ لِلْمُشْرِكِينَ أَنْ يَعْمُرُوا مَسْجِدَ اللَّهِ ،

(قوله فما يمنعكم أن تقاتلوهم) أشار بذلك إلى أن المراد من التحضيض الأمر مع التوبيخ (قوله في ترك قتالهم) متعلق بقوله اتخشونهم (قوله إن كنتم مؤمنين) شرط حذف جوابه لدلالة ما قبله عليه (قوله قاتلوهم) هذا أمر ذكر في جوابه خمسة أمور (قوله هم بنو خزاعة) يؤخذ من ذلك أنهم مؤمنون إذ ذاك (قوله ويتوب الله) بالرفع استئناف ولم يحزم لأن التوبة على من يشاء ليست جزاء على قتال الكفار (قوله بمعنى همزة الإنكار) الحق أنها بمعنى بل والهمزة كما تقدم له (قوله أن تتركوا) أي يترككم الله من غير قتال (قوله ولما يعلم الله) الجملة حالية (قوله علم ظهور) دفع بذلك ما يقال كيف ينفي علم الله مع أنه متعلق بكل شيء وجد أولم يوجد (قوله بإخلاص) أي مع إخلاص (قوله وليجة) من الولوج وهو الدخول والمعنى بل أظنتم أن تتركوا من غير قتال بمجرد قولكم آمنا بل حتى يظهر المجاهد منكم مع الإخلاص من غيره ولم تتخذوا في الله ولا رسوله ولا المؤمنين شيئاً تدخلونه في قلوبكم عبر محبة الله ورسوله وللمؤمنين (قوله ما كان للمشركين أن يعمروا مسجد الله) سبب نزول هذه الآية وما بعدها أن جماعة من رؤساء قريش أسروا يوم بدر منهم العباس عم رسول الله فأقبل عليهم فخر من أصحاب رسول الله يعبرونهم بالشرك وجعل علي بن أبي طالب يوجه العباس بسبب قتال رسول الله وقطيعة الرحم ،

قال العباس ما لكم تذكرون مساوينا وتكتمون محاسنا قليل له وهل لكم محاسن؟ قال نعم نحن أفضل منكم نعمر للسجد الحرام ونحجب السكينة أي نخدمها ونسقي الحجج ونفك الماني (قوله بالافراد والجمع) أي فهما قراءتان سبعيتان قالا فراد إما على أن المراد السجد الحرام أو على أن السجد اسم جنس فيدخل فيه جميع الساجد والجمع إما على أن كل بقعة من السجد الحرام يقال لها مسجد أو الجمع باعتبار أنه قبلة لسائر الساجد (قوله شاهدين على أنفسهم بالكفر) قيل المراد به السجود للأصنام لأن كفار قريش كانوا قد نصبوا أصنامهم خارج البيت الحرام عند القواعد وكانوا يطوفون بالبيت حراة كما طافوا طوفة سجدوا للأصنام فلم يزدادوا بذلك إلا بعدا من الله (قوله أولئك حبطت أعمالهم) أي الحسنة التي اقتضوا بها من خدمة الساجد وفك الأسير وسقاية الحاج وغير ذلك (قوله إنما يعمر مساجد الله) بالجمع باتفاق السبعة وعمارته تكون بينها من الليل الحلال والصلاة فيها وغير ذلك (قوله أن يكونوا من المهتدين) أي أن يحشروا في زمرة يوم القيامة (قوله أجمعتم سقاية الحاج) رد على العباس وغيره كما يأتي للفسر حيث افتخروا بذلك وقالوا إن هذا شرف لا يباهى به ، والسقاية في الأصل هي المحل الذي يجمل فيه الشراب في الموسم كانوا (١٣٣) ينبذون الزبيب في ماء زمزم ويسقونه الناس أيام الحج وكان الفاعل

لذلك العباس في الجاهلية واستمرت معه السقاية في الاسلام فهي لآل العباس أبدا (قوله أي أهل ذلك) أشار بذلك إلى أن في الكلام حذف مضاف والتقدير أجمعتم أهل سقاية الحاج الخ وقد دفع بذلك ما يقال كيف يشبه للمنى وهو السقاية بالذات وهو من آمن (قوله لا يستون عند الله في الفضل) أي الأخرى لأن فضل أهل السقاية والعمارة دنيوى (قوله أو غيره) أو بمعنى الواو

بالافراد والجمع بدخوله والقعود فيه (شاهدين على أنفسهم بالكفر أولئك حبطت) بطلت (أعمالهم) لعدم شرطها (وفي النار هم خالدون) إنما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر وأقام الصلوة وآتى الزكوة ولم يخش أحدا (إلا الله فعسى أولئك أن يكونوا من المهتدين) أجمعتم سقاية الحاج وعمارة المسجد الحرام (أي أهل ذلك) (كم آمن بالله واليوم الآخر وجاهد في سبيل الله لا يستون عند الله) في الفضل (والله لا يهدي القوم الظالمين) الكافرين ، نزل ردًا على من قال ذلك وهو العباس أو غيره (الذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا في سبيل الله بأموالهم وأنفسهم أعظم درجة) رتبة (عند الله) من غيرهم (وأولئك هم الفائزون) الظافرون بالخير (يُبشِّرُهُمْ رَبُّهُم بِرَحْمَةٍ مِنْهُ وَبِرِضْوَانٍ وَجَنَّتِ لَهُمْ فِيهَا نَعِيمٌ مُّقِيمٌ) دائم (خالدین) حال مقدرة (فيها أبداً إن الله عنده أجر عظيم) ونزل فيمن ترك الهجرة لأجل أهله وتجارته (بأئبها الذين آمنوا لا تتخذوا آباءكم وإخوانكم أولياء إن استعجبوا) اختاروا (الكفر على الإيمان ومن يتولهم منهم فأولئك هم الظالمون) .

لأن أهل مكة كانوا يفتخرون بذلك ويزعمون أن هذا خير لا يباهى (قوله الذين آمنوا) أي انصفوا بالإيمان قل وما عطف عليه وهو الهجرة والجهاد (قوله من غيرهم) يدخل فيه أهل السقاية والعمارة من الكفار فمقتضاه أن لهم درجة لكنها ليست أعظم ، والجواب أن ذلك إما باعتبار ما يعتقدونه من أن لهم درجة ورتبة أو اسم التفضيل باعتبار المؤمنين الذين لم يسكملوا الأوصاف الثلاثة (قوله وأولئك هم الفائزون) أي الكاملون في الفوز بالنسبة للؤمن الذي لم يستكمل الأوصاف الثلاثة أو المراد الذين لهم أصل الفوز بالنسبة لأهل السقاية والعمارة (قوله يبشِّرُهُم رَبُّهُم بِرَحْمَةٍ مِنْهُ) ذكر الله سبحانه وتعالى ثلاثة أشياء جزاء على الصفات الثلاثة فالرحمة في مقابلة الإيمان لتوقف الرحمة عليه ، والرضوان في مقابلة الجهاد لأنه بذل الأموال والأنفس في مرضاة الله ، والرضوان نهاية الاحسان فكان في مقابلته الجنة في مقابلة الهجرة لأن في الهجرة ترك الأوطان فبدلوا وطنهم في الآخرة أعلى وأجل مما تركوه ، وانما قدمت الرحمة والرضوان إشارة إلى أنهما يكونان في الدنيا والآخرة وأخرت الجنة إشارة إلى أنها محتصة بالآخرة ولأنها آخر العطايا (قوله حال مقدرة) أي لأنهم حين لدخول لبسوا خالدين وإيمانهم منتظرون (قوله ونزل فيمن ترك الهجرة) قال ابن عباس « لما أمر النبي صلى الله عليه وسلم الناس بالهجرة إلى المدينة ففهم من تعلق به أهله وأولاده يقولون نشدك بالله أن لا نضيئنا فبرقة لهم فيقيم عليهم ويدع الهجرة فأُنزل الله تعالى هذه الآية .

(قوله قل إن كان آباؤكم) نزلت لما قال الدين أسلموا ولم يهاجروا نحن إن هاجرونا ضاعت أموالنا وذهبت تجارتنا وتخربت ديارنا وتقطعت أرحامنا ، ويؤخذ من ذلك أنه إذا تعارض أمر من أمور الدين مع مصالح الدنيا يقدم أمر الدين ولو لم عليه تعطيل أمر الدنيا (قوله وإخوانكم) أي حواشيكم ، والمراد بهم هنا إخوان النسب وإن شاع جمع أخ النسب على إخوة وأخ الدين على إخوان (قوله أقرباؤكم) وقيل هم من بينك وبينهم معاشرة مطلقا ولو غير قريب فهو عطف عام على ما قبله على كل حال (قوله وفي قراءة عشيرتكم) أي وهي سبعة وقرأ الحسن عشائركم (قوله ترضونها) أي ترضون الإقامة فيها (قوله أحب إليكم) خبر كان واسمها آباؤكم ومعطف عليه (قوله فقدمت لأجله) فتره ليرتب عليه قوله فتر بصوا وجملة فتر بصوا جواب الشرط (قوله حتى يأتي الله بأمره) قال ابن عباس هو فتح مكة اه ، إذا علمت ذلك تعلم أن هذا مشكل مع ما تقدم ومع ما يأتي من أن السورة نزلت بعد الفتح إلا أن يقال إن بعض السورة نزل قبل الفتح بحسب الوقائع والسورة بتمامها نزلت بعد الفتح ولا غرابة في ذلك فتدبر (قوله تهديد لهم) أي تخويف (قوله الفاسقين) عبر عنهم أولا بالظالمين إشارة إلى أن الكفار موصوفون بكل وصف قبيح (قوله لقد نصركم الله) الخطاب للنبي وأصحابه (١٣٣) بتعداد النعم عليهم (قوله في مواطن) جمع موطن كمواعد وموعد ويرادفه الوطن وهو محل السكنى (قوله وقريظة والنضير) الكلام على حذف مضاف أي وموطن قريظة وموطن النضير (قوله ويوم حنين) ظرف لمحدوف قدره المفسر بقوله اذكر وقيل معطوف على مواطن من عطف ظرف الزمان على ظرف المكان ورد بأنه يقتضي أن قوله إذ أعجبكم كثرتمكم يرجع لقوله مواطن أيضا لأنه

قُلْ إِنْ كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ أَقْرَبًاؤُكُمْ فِي قِرَاءَةِ عِشْرَتِكُمْ (وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا) اِكْتَسَبْتُمُوهَا (وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا) عَدِمَ قَائِمَهَا (وَمَسَاكِينُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبُّ إِلَيْكُمْ مِنْ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ) فَعَدِمْتُمْ لِأَجْلِهِ عَنِ الْمَجْرَةِ وَالْجِهَادِ (فَتَرَبَّصُوا) اِنْتَظَرُوا (حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ) تَهْدِيدُ لَهُمْ (وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ) لَقَدْ نَصَرَ كُمْ اللَّهُ فِي مَوَاطِنَ (لِلْحَرْبِ) (كَثِيرَةٍ) كَبَدَرُ وَقَرِيظَةُ وَالنُّضِيرُ (وَ) اذْكَرَ (يَوْمَ حُنَيْنٍ) وَاِدْرَيْنَ مَكَةَ وَالطَّائِفَ أَي يَوْمَ قِتَالِكُمْ فِيهِ هَوَازِنَ وَذَلِكَ فِي شَوَالِ سَنَةِ ثَمَانٍ (إِذْ) بَدَلَ مِنْ يَوْمِ (أَعْجَبْتَكُمْ كَثُرْتُمْ) قَتَلْتُمْ لَنْ تَغْلِبَ الْيَوْمَ مِنْ قَلَّةٍ وَكَانُوا اثْنَيْ عَشَرَ أَلْفًا وَالْكَفَّارُ أَرْبَعَةَ أَلْفٍ (فَلَمْ تَنْفَعْ عَنْكُمْ شَيْئًا وَضَاقَتْ عَلَيْكُمْ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ) مَا مَصْدَرِيَّةٌ أَي مَعَ رَحْبِهَا أَي سَعَتَهَا فَلَمْ تَجِدُوا مَكَانًا تَطْمَئِنُّونَ إِلَيْهِ لَشِدَّةِ مَالِحِقِكُمْ مِنَ الْخُوفِ (ثُمَّ وَلَّيْتُمْ مُدْبِرِينَ) مُنْهَزِمِينَ وَثَبَتَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى بَنَانِهِ الْبَيْضَاءِ وَلَيْسَ مَعَهُ غَيْرُ الْعَبَّاسِ ، وَأَبُوسُفْيَانُ أَخَذَ بَرَكَابَهُ (ثُمَّ أُنْزِلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ) طَمَأْنِينَتَهُ (وَعَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ) فَرَدُّوا إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَمَّا نَادَاهُمُ الْعَبَّاسُ بِإِذْنِهِ وَقَاتَلُوا (وَأُنْزِلَ جُنُودًا

بدل من يوم حنين ولا يصح ذلك لأن كثرتم لم تعجبهم في جميع تلك المواطن بل في خصوص حنين فتعين ما قدره المفسر (قوله واديين مكة والطائف) أي وبينهما ثمانية عشر ميلا وفي بعض العبارات ثلاث ليال (قوله هوازن) أي وهم قبيلة حليلة السعدية (قوله سنة ثمان) أي من الهجرة وهي سنة فتح مكة لأن مكة فتحت في رمضان وغزوة هوازن في شوال هتبه (قوله من قلة) أي من عدد قليل (قوله وكانوا اثني عشر ألفا) عشرة آلاف من المهاجرين والأنصار وألفان من الدين أسلموا في مكة بعد فتحها (والكفار أربعة آلاف) الذي في شرح المواهب أنهم أكثر من عشرين ألفا (قوله فلم تنفع عنكم شيئا) أي لم تنفعكم ولم تدفع عنكم شيئا (قوله أي مع رحبها) أشار بذلك إلى أن الباء بمعنى مع والجملة حال أي ملتبسة برحبها والرحب بالضم السعة والفتح الواسع (قوله وليس معه غير العباس) أي وقد كان أخذًا بلجام بخلته (قوله وأبوسفيان) أي ابن الحارث بن عبد المطلب وقد أسلم هو والعباس يوم الفتح ، وفي بعض السير أن الدين فبتوا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في حنين مائة ، ثلاثة وثلاثون من المهاجرين وستة وستون من الأنصار ، ويجمع بين مقاله المفسر وغيره بأنه لم يبق متصلا بالجملة إلا اثنان والباقيون مشتغلون بالحرب لم يفروا (قوله فردوا) أي رجعوا جميعا كالفضيل الضال عن أمه إذا وجدها (قوله لما ناداهم العباس) أي وكان صبا يسمع صوته من نحو ثمانية أميال .

(قوله لم تروها) قبل كانوا خمسة آلاف وقيل ثمانية آلاف وقيل ستة عشر ألفا ولم يقاتلوا بل نزلوا لتقوية قلوب المسلمين ، وروى عن رجل كان في المشركين يوم حنين قال : لما التقينا نحن وأصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم حنين لم يقوموا لنا حلب شاة ، فلما لقيناهم جعلنا نسوقهم في آثارهم حتى انتهينا إلى صاحب البغلة البيضاء ، فإذا هو رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : فتلقتا عنده رجال بيض الوجوه حسان فقالوا لنا شأهت الوجوه ارجعوا قال فانهزمنا وركبوا أكتافنا ، وروى أن الملائكة الذين نزلوا يوم حنين عليهم عمام حمرا كبين خيلا بلقا (قوله بالقتل) أي لبعضهم وهم أكثر من سبعين (قوله والأسر) أي للنساء والدرارى وكانوا ستة آلاف ولم تقع غنيمة أعظم منها ، فقد كان فيها من الابل اثنا عشر ألفا وقيل أربعة وعشرون ألفا ومن الغنم ما لا يحصى وكان فيها غير ذلك ولما هزمهم قصد إلى الطائف وأمر بجعل الغنائم في الجمرات حتى يأتي إليهم ، فلما رجع صلى الله عليه وسلم من الطائف انتظر هوازن بضعة عشر يوما ليقدموا عليه مسلمين ثم أخذ في قسمة الغنائم ، وكان في السبي أخت رسول الله من الرضاع وهي بنت حليمة السعدية فأطلقها رسول الله وأكرمها وردها لقومها فأخبرتهم بما وقع لها من رسول الله من الاكرام ، فكان ذلك باعثا على إسلامهم ، فأتى منهم جماعة وقالوا يارسول الله : أنت خير الناس وأبرهم فاردد علينا أموالنا وأهائنا ؟ فقال لهم : إن خير القول أصدقه اختاروا إما أموالكم وإما ذراريكم ونساءكم قالوا ما كنا نعدل بالأحساب شيئا ، فقال لهم أما ما كان لي ولبنى عبد المطلب فهو لكم ، وأما ما كان لغيرهم فأسأطلب فيه معروفهم ثم قال لهم إذا أنا صليت فتقدموا إلى (١٣٤) وأخبروني بذلك ففعلوا كما أمروا ، فقال صلى الله عليه وسلم من طابت

نفسه جيء أن يرد
فليفعل ، فقالوا رضينا
بذلك وسلّموه الأموال
والأسارى (قوله إنما
المشركون نجس) القراءة
السبعية بفتحتين ، وفيه
لغات أخرى ككتف
وعضد وللعنى أنهم نجس
نجاسة معنوية لاحسية ،
وقال ابن عباس أعيانهم

لَمْ تَرَوْهَا) ملائكة (وَعَذَّبَ الَّذِينَ كَفَرُوا) بالقتل والأسر (وَذَلِكَ جَزَاءُ الْكَافِرِينَ .
ثُمَّ يَقُوبُ اللَّهُ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ عَلَى مَنْ يَشَاءُ) منهم بالإسلام (وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ . يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا
إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ) فذر لحبث باطنهم (فَلَا يَقْرَبُوا الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ) أى لا يدخلوا الحرم
(بَعْدَ عَامِهِمْ هَذَا) عام تسع من الهجرة (وَأِنْ خِفْتُمْ عِيلَةً) فقرا بانقطاع تجارهم عنكم (فَسَوْفَ
يُعْطِيكُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ إِنْ شَاءَ) وقد أغناهم بالفتوح والجزية (إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ . قَاتِلُوا
الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ) وَإِلَّا لَأَمْنُوا بِالنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ (وَلَا يُخْرَمُونَ
مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ) ،

كالخمر

نجسة كالكلاب والخنازير ، وقال الحسن من صافح مشركا تواف

وأهل المذاهب على خلاف ذلك فانهم طاهرون لأنهم داخلون في آية ولقد كرّمنا بني آدم (قوله فلا يقربوا للمسجد الحرام الخ)
قال العلماء جملة بلاد الاسلام في حق الكفار ثلاثة أقسام : أحدها الحرم فلا يجوز للكافر أن يدخله بحال . وجوز أبو حنيفة
دخول المعاهد ، الثاني الحجاز فلا يجوز للكافر دخوله إلا بالاذن ولا يقيم فيه أكثر من ثلاثة أيام لما في الحديث « لا يبقين دينان
في جزيرة العرب » وحدها طولامن أقصى عدن إلى ريف العراق ، وعرضا من جدة وما والاها من ساحل البحر إلى أطراف الشام ،
الثالث سائر بلاد الاسلام يجوز للكافر أن يقيم فيها بدمّة أو أمان ولكن لا يدخل المساجد إلا لغرض شرعى (قوله عام تسع)
أى وهو عام نزول جملة السورة على الصحيح وما يوم خلاف ذلك يجب تأويله (قوله وإن خفتم عيلة الخ) سبب نزولها أن
رسول الله صلى الله عليه وسلم لما أمر عليا أن يقرأ على المشركين أول براءة خاف أهل مكة الفقر وضيق العيش لامتناع المشركين
من دخول الحرم واتجارهم فيه فذكروا ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم فنزلت (قوله فقرا) في الصباح العيلة بالفتح الفقر وهي
مصدر عال يعيل من باب سار فهو عائل والجمع عالة ، وفي المختار وعيال الرجل من يعولهم وواحد العيال عيل كجيد والجمع عيائل كجئاند
وأعال الرجل كثرت عياله (قوله وقد أغناهم بالفتوح) أى فأسلم أهل صنعاء وجدة وتبالة بفتح التاء وجرش بضم الجيم وفتح
الراء بعد هاشين معجمة قريتان من قرى اليمن وجابوا إليهم الليرة وصاروا في أرغد عيش (قوله قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله الخ)
شروع في ذكر قتال أهل الكنايين إثر بيان قتال مشركي العرب وهذه الآية نزلت حين أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بقتال الروم
فلما نزلت توجه رسول الله صلى الله عليه وسلم لغزوة تبوك (قوله وإلا لآمنوا بالنبي) جواب عما يقال إن ظاهر الآية يقتضى نفي إيمانهم بالله

واليوم الآخر مع أنهم يزعمون الإيمان بالله واليوم الآخر ، وفي كلام المفسر إشارة لقياس استثنائي وتقريره أن يقال لو آمن اليهود والنصارى بالله واليوم الآخر لآمنوا بالنبي صلى الله عليه وسلم لكنهم لم يؤمنوا بالنبي فلم يؤمنوا بالله ولا باليوم الآخر وأيضاً دعواهم الإيمان بالله باطلة لأنهم يعتقدون التجسيم والتشبيه ولا شك في كونه كفراً وكذلك دعواهم الإيمان باليوم الآخر باطلة لأنهم يعتقدون بعثة الأرواح دون الأجساد وأن أهل الجنة لا يأكلون فيها ولا يشربون ولا ينكحون ، فحصل أن كفرهم بهذه الأمور وبتكذيبهم النبي ، ومن كذب نبياً فقد كفر بالله واليوم الآخر . قال تعالى : إن الذين يكفرون بالله ورسوله ويريدون أن يفرقوا بين الله ورسوله ويقولون قومنا ببعض ونكفر ببعض ويريدون أن يتخذوا بين ذلك سبيلاً أولئك هم الكافرون حقا (قوله كالخمر) أى والخنزير والربا وكل محرم في شرعنا فانهم مخاطبون بفروع الشريعة ويعذبون عليها زيادة على عذاب الكفر (قوله دين الحق) من إضافة الموصوف لصفته (قوله الناسخ لغيره) أى السامح له فمن اتبع غير الإسلام فهو كافر قال تعالى : إن الدين عند الله الإسلام . وقال تعالى : ومن يفتغ غير الإسلام ديناً فلن يقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين ، ويصح أن يراد بالحق الله سبحانه وتعالى لأن من أسمائه الحق والمراد بدين الله الإسلام (قوله حتى يعطوا الجزية) غاية لقتالهم ومميت جزية لأنها جزاء لكف القتال عنهم وتأمينهم (قوله الخراج المضروب عليهم) أى الذى يجعله الامام على ذكورهم الأحرار البالغين المومنين (قوله أى متقادين) تفسير باللازم أى فاليد كناية عن الانقياد (قوله لا يوكلون بها) أى فاليد على حقيقتها وهذا التفسير يناسب مذهب مالك لأن عنده لا يجوز التوكيل في دفعها بل كل واحد يدفع جزية بيده ، وحين دفعها يبسط الكافر يده بها ويأخذها المسلم من يده لتكون يد المسلم هى العليا ثم بعد أخذها يصفعه للمسلم على قفاه وعند الشافعي يجوز التوكيل في دفعها (قوله وقالت اليهود الخ) هذا من تفصيل عدم إيمانهم الله واليوم الآخر ، وعزير بالصرف وعدمه

قراءتان سبعيتان فالصرف على أنه عربي فلم توجد فيه إلا علة واحدة وعدمه على أنه أعجمي ففيه العلتان وابن خبيرة عزير في رسم بالأنف لأنه ليس بصفة للعلم . وسبب تلك المقالة على

كالخمر (وَلَا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ) الثابت الناسخ لغيره من الأديان وهو دين الإسلام (مِنْ) بيان للذين (الَّذِينَ أَوْتُوا الْكِتَابَ) أى اليهود والنصارى (حَتَّى يُعْطُوا الْجِزْيَةَ) الخراج المضروب عليهم كل عام (عَنْ يَدٍ) حال أى متقادين أو بأيديهم لا يوكلون بها (وَهُمْ صَاغِرُونَ) أذلاء متقادون لحكم الإسلام (وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرُ ابْنُ اللَّهِ وَقَالَتِ النَّصَارَى الْمَسِيحُ عِيسَى) (ابْنُ اللَّهِ ، ذَلِكَ قَوْلُهُمْ ،

ما قاله ابن عباس أن عزيراً كان فيهم وكانت التوراة عندهم والتابوت فيهم فأضاعوا التوراة وعملوا بغير الحق فرفع الله عنهم التابوت وأنساهم التوراة ومسحها من صدورهم فدعا الله عزير وأبتهل إليه أن يرد إليه التوراة فبينما هو يصلى مبتهلاً إلى الله نزل نور من السماء فدخل جوفه فعادت إليه فأذن في قومه وقال يا قوم قد آتاني الله التوراة وردّها على فعلقوا به يعلمهم ثم مكثوا ما شاء الله ثم إن التابوت نزل بعد ذهابه منهم فلما رأوا التابوت عرضوا ما كان يعلمهم عزير على ما في التابوت فوجدوه مثله فقالوا ما أوتى عزير هذا إلا لأنه ابن الله (قوله وقالت النصارى المسيح ابن الله) المسيح لقب له إما لأنه مامسح على ذى عاهة إلا برىء أو لأنه مسح بالبركة . وسبب مقاتلتهم أنهم كانوا على الدين الحق بعد رفع عيسى عليه السلام إحدى وعشرين سنة يصلون إلى القبلة ويصومون حتى وقع بينهم وبين اليهود حرب وكان في اليهود رجل شجاع يقال له بولص قتل جماعة من أصحاب عيسى عليه السلام ثم قال بولص لليهود إن كان الحق مع عيسى فقد كفرنا والنامصيرنا فنحن مغبونون إن دخلنا النار ودخلوا الجنة فأتى ساحتهم وأضلهم حتى يدخلوا النار معناه ثم إنه عمد إلى فرس كان يقاتل عليه فعرقه وأظهر الندامة والتوبة ووضع التراب على رأسه ثم إنه أتى إلى النصارى فقالوا له من أنت قال أنا عدوكم بولص قد نوديت من السماء أنه ليست لك توبة حتى تنصروا وقد تبنت وأنتكم فأدخلوه الكنيسة ونصروه ودخل بيتنا فيها فلم يخرج منه سنة حتى تعلم الإنجيل ثم خرج وقال قد نوديت أن الله قد قبل توبتك فصدقوه وأحبوه وعلا شأنه فيهم ثم إنه عهد إلى ثلاثة رجال اسم واحد نسطورا والآخر يعقوب والآخر ملكان فعلم نسطورا أن عيسى ومريم والله آلهة ثلاثة وعلم يعقوب أن عيسى ليس بإنسان وأنه ابن الله وعلم ملكان أن عيسى هو الله لم يزل ولا يزال ، فلما تمكن ذلك فيهم دعا كل واحد منهم في الخلوة وقال له أنت خالصي وادع الناس لما علمت وأمره أن يذهب إلى ناحية من البلاد ثم قال لهم إني رأيت عيسى في المنام وقد رضى عنى وقال لكل واحد منهم إني سأذبح نفسى تقرباً إلى عيسى ثم ذهب إلى اللذبح فذبح نفسه وتغريقه

أولئك الثلاثة مذهب واحد إلى الروم وواحد إلى بيت المقدس والآخر إلى ناحية أخرى وأظهر كل واحد منهم مقالته ووجه الناس إليها فقبّعه على ذلك طوائف من الناس فتفرقوا واختلّفوا (قوله بأفواههم) من المعلوم أن القول لا يكون إلا بالأقوال فذكرها مبالغة في الرد عليهم (قوله يضاؤون) بضم الهاء بعدها واو وبكسر الهاء بعدها همزة مضمومة ثم واو قراءتان سبعيتان (قوله قاتاهم الله) أى أبعدهم عن رحمته فهو دعاء عليهم (قوله آتى يؤفكون) استفهام تعجب والاستفهام راجع إلى الخلق لأن الله يستحيل عليه التعجب (قوله اتخذوا) أى اليهود والنصارى (قوله أحبارهم) جمع حبر بالفتح والكسر والثاني أنصح العالم الماهر (قوله حيث اتبعوهم) أشار بذلك إلى أنهم لم يتخذوهم أرباباً حقيقة بل للعن كالأرباب في شدة امتثالهم أمرهم (قوله واليسع ابن مريم) بالنصب عطف على أحبارهم والفعل الثاني محذوف لدلالة ما قبله عليه تقديره رباً (قوله وما أمروا إلخ) الجملة حالية (قوله لا إله إلا هو) صفة ثانية لإلهها (قوله شرعه وبراهيمه) أى الدالة على صدقه صلى الله عليه وسلم وهي ثلاثة أمور: أحدها المعجزات الظاهرات، ثانيها القرآن العظيم، ثالثها كون دينه الذى أمر باتباعه وهو دين الاسلام ليس فيه شئ سوى تعظيم الله والانقياد لأمره ونهيه والتجرى من كل معبود سواه فهذه أمور نيرة واضحة في صحة نبوته صلى الله عليه وسلم فمن أراد (١٣٦) إبطال ذلك فقد خاب سعيه (قوله إلا أن يتم نوره) أى بعليه ويرفع شأنه

(قوله ولو كره الكافرون) شرط حذف جوابه لدلالة ما قبله عليه والتقدير ولو كره الكافرون إتمامه لأنهم لم يبال بهم (قوله بالمهدى) أى القرآن (قوله ودين الحق) أى دين الاسلام (قوله جميع الأديان الخالفة له) أى بفسخها لها (قوله ولو كره للشركون) كسر لمزيد التهم بهم والرد عليهم ووصفهم أولاً بالكفر وثانياً بالاشراك إشارة إلى أنهم انصفوا بكل منهما

بأفواههم) لاستند لهم عليه بل (يضاؤون) يشابهون به (قوله الذين كفروا من قبل) من آبائهم تقليداً لهم (قالتكم) لنهم (الله أئى) كيف (يؤفكون) يصرفون عن الحق مع قيام الدليل (اتخذوا أحبارهم) علماء اليهود (ورهبانهم) عباد النصارى (أرباباً من دون الله) حيث اتبعوهم في تحليل ما حرم وتحريم ما أحل (والمسيح ابن مريم وما أمروا) في التوراة والانجيل (إلا ليعبدوا) أى بأن يبدوا (إلهاً واحداً لا إله إلا هو سبحانه) تنزيهاً له (عما يشركون) يريدون أن يطفئوا نور الله (شرعه وبراهيمه) بأفواههم (قوله وبآبائهم) فيه (وبآبائهم) (قوله لا أن يتم) بظهر (نوره ولو كره الكافرون) ذلك (هو الذى أرسل رسوله) محمداً صلى الله عليه وسلم (بالمهدى ودين الحق ليظهره) بعليه (على الدين كله) جميع الأديان الخالفة له (ولو كره المشركون) ذلك (بآبائهم الذين آمنوا إن كثيراً من الأخبار والرهبان ليأكلون) يأخذون (أموال الناس بالباطل) كالرشا في الحكم (ويصدون) الناس (عن سبيل الله) دينه (والذين) مبتدأ (يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها) ،

(قوله يأبىها الذين آمنوا إن كثيراً من الأخبار الخ) لما بين عقائد الأنبياء وصفاتهم أى شرع في بيان صفات الرؤساء ، والأخبار علماء اليهود والرهبان عباد النصارى وفي قوله كثيراً إشارة إلى أن الأقل من الأخبار والرهبان لم يكونوا كذلك كعبد الله بن سلام وأضرابه من الأخبار والنجاشي وأضرابه من الرهبان (قوله يأخذون) أشار بذلك إلى أن الراد بالأكل الأخذ فأطلق الخاص وأريد العام من باب تسمية الشئ باسم جزئه الأعظم لأن معظم المقصود من أخذ الأموال أكلها (قوله بالباطل) قيل هو تخفيف الشرائع والتساهل فيها لسفلتهم ، وقيل هو تغيير صفات المصطفى صلى الله عليه وسلم الكائنة في التوراة والانجيل ، وقيل ما هو أعم وهو الأحسن والباعث لهم على ذلك حب الرئاسة وأخذ الأموال (قوله كالرشا) بضم الراء وكسرهما جمع رشوة بالضم على الأول والكسر على الثاني وفي القاموس الرشوة مثلية وهي المحل على الحكم وهي حرام ولو على الحكم بالحق فما باله يأخذها على الحكم بالباطل أما حبيل الاستقاء فيقال فيه رشاء بالكسر وللد (قوله ويصدون عن سبيل الله) أى يمنعون الناس عن الدخول في دين الاسلام (قوله والذين يكنزون) الكنز في الأصل جمع المال ودفعه وعدم الاتفاق منه . واختلف في المراد بالدين يكنزون الذهب والفضة فقيل المراد بهم أهل الكتاب لأن شأنهم الحرص وكثرة المال وقال ابن عباس نزلت في منى الزكاة من المسلمين والحقوق الواجبة وقال أبو هريرة نزلت في أهل الكتاب والمسلمين الذين يمنعون

للزكاة والمحقوق الواجبة ، روى أن أبا ذر اخلف مع مطاوعة في هذه الآية فقال مطاوعة نزلت في أهل الكتاب وقال أبو ذر نزلت فينا وفيهم فكتب مطاوعة وكان أميراً على الشام إلى عثمان يشكوه فكتب عثمان إلى أبي ذر أن اقدم إلى المدينة فقدم فآزدهم عليه الناس حتى كأنهم لم يروه قبل ذلك فأخبر عثمان بذلك فقال له إن شئت تنحيت فكنيت قريباً منافزلاً بالربذة وقال ولو أمرت على عبداً حبشياً لسمعت وأطعت (قوله أي الكنوز) أي للدلول عليها بقوله يكتزون ودفع بذلك ما يقال إن للتقدم شيئاً الذهب والفضة فكان مقتضى ثنية الضمير فلم أفرد ؟ فأجاب بأنه عائد على الكنوز المفهومة من السياق (قوله فبشروهم) إنما هي إشارة تهكم بهم وإشارة إلى أنه بمنزلة الوعد في عدم تخلفه (قوله يوم يحصى عليها) ظرف لقوله بعذاب أليم ويحصى يجوز أن يكون من حبيته وأحبيته ثلاثياً ورباعياً يقال حبيت الحديدية وأحبيتها أوقدت عليها لتحمي والفاعل محذوف تقديره يوم يحصى النار عليها أي تنقد على تلك الكنوز فتكوى بها جباههم الخ ، فلما حذف الفاعل ذهبت علامة التأنيث ولعلك قرأت بالياء من فوق وأنيب الجار والجرور منابه وتضمنه معنى الايقاد عدى بسلى (قوله جباههم) المراد بها جهة الأمام بدليل المقابلة (قوله وتوسع جلودهم) أي حتى لا يوضع دينار على دينار ولا درهم على درهم وذلك بعد جعلها صفائح من نار (قوله أي جزاءه) أشار بذلك إلى أن الكلام على حذف مضاف لأن الكنوز لا تذوق وهذا عذابه في الآخرة ، وورد أنه يصور ماله في قبره بصورة شجاع أقرع له زبيبتان يأخذ بلهزمتيه أي شدقيه ويقول له أنا كنزك أنا مالك فلا مانع (١٣٧) من حصول الجميع له أجازنا الله من أسباب ذلك

(قوله إن عدة الشهور الخ) المقصود من ذلك الرد على الجاهلية حيث يزيدون في الأشهر بحسب أهوائهم الفاسدة فراراً من القتال في الأشهر الحرم فأنهم كانوا يعظمون الأشهر الحرم فلا يقاتلون فيها فكانوا إذا اضطروا للقتال فيها ادهوا أنها لم تأت وقاتلوا فيها فرموا بها السنة أربعة عشر شهراً أو أزيد بحسب

أى الكنوز (في سبيل الله) أى لا يؤدون منها حقه من الزكاة والخير (فبشروهم) أخبرهم (بعذاب أليم) مؤلم (يوم يحصى عليها في نار جهنم فتكوى) تحرق (بها جباههم وجنوبهم وظهورهم) وتوسع جلودهم حتى توضع عليها كلها ويقال لهم (هذا ما كنزتم لأنفسكم فذوقوا ما كنتم تكفرون) أى جزاءه (إن عدة الشهور) للمعتد بها السنة (عند الله اثنا عشر شهراً في كتاب الله) اللوح المحفوظ (يوم خلق السموات والأرض منها) أى الشهور (أربعة حرم) محرمة : ذو القعدة وذو الحجة والحرم ورجب (ذلك) أى تحريمها (الدين القيم) المستقيم (فلا تظلموا فيه) أى الأشهر الحرم (أنفسكم) بالماضى فإنها فيها أعظم وزراً ، وقيل في الأشهر كلها (وقاتلوا المشركين كافة) جميعاً في كل الشهور (كما يقاتلونكم كافة وأعلموا أن الله مع المتقين) ،

مانسوله عقولهم الفاسدة (قوله عند الله) ظرف متعلق بمحذوف صفة للشهور (قوله اثنا عشر شهراً) وهذه شهور السنة القمرية العربية التي يعتد بها المسلمون في عباداتهم كالصيام والحج وسائر أمورهم ، وأيام هذه الشهور ثلاثمائة وخمسة وخمسون يوماً ، والسنة الشمسية وتسمى القبطية ، وهي عبارة عن دور الشمس في الفلك دورة تامة ، وهي ثلاثمائة وستون يوماً وربع فنقص السنة الهلالية عن السنة الشمسية إما عشرة أيام أو أحد عشر يوماً خمسة أيام نقص الشهور العربية وخمسة أيام النسيء إن كانت السنة بسيطة وستة أيام إن كانت كبيسة فكل أربع سنين تأتى فيها سنة كبيسة فتسبب هذا التقصير تدور السنة الهلالية فيقع الصوم والحج تارة في الشتاء وتارة في الصيف (قوله في كتاب الله) صفة لاثنا عشر (قوله حرم) أى معظمة محترمة تتضاعف فيها الطاعات (قوله ذو القعدة) بفتح القاف وكسر ها والفتح أصح عكس الحجة (قوله بالماضى) أى فظلم النفس يكون بمخالفة الله لأنه بسبب ذلك تعرض لعضب الله الموجب لدخول النار (قوله قاتلوا المشركين كافة) هذه الآية ناسخة لآية البقرة المفيدة حرمة القتال في الأشهر الحرم ، قال تعالى يسألونك عن الشهر الحرام قتال فيه قل قتال فيه كبير الآية وقوله كافة مصدر في موضع الحال من فاعل قاتلوا أو من المشركين ولا يفتى ولا يجمع ولا تدخل عليه أل ولا يتصرف فيه بغير الحال

(قوله بالهون والنصر) أى لمعينته مع اللتين زائدة على معيته مع الحلق أجمعين للشارها بقوله تعالى = ولا أدنى من ذلك ولا أكثر إلا هو معهم أينما كانوا - لأنها معية نصريف وتدير وذلك لا يختص بالإنسان بل مع كل مخلوق حيوانا وجمادا (قوله إنما النسي) فعيل بمعنى مفعول والمراد به تأخيرهم حرمة الهرم إلى صفر كما في المختار وهذه قراءة الجمهور بهمزة بعد الياء وفي قراءة سبعة بإبدال الهمة ياء وإدغام الياء فيها وقرئ شذوذا يسكون السين وفتح النون وبضم السين بوزن فعول (قوله كما كانت الجاهلية تفعله) أى لأن الجاهلية كانت تعتقد حرمة الأشهر الحرم وتعظيمها وكانت معاشهم من الغزو وكان يشق عليهم الكف عن ذلك ثلاثة أشهر متوالية فأخروا تحريم شهر إلى شهر آخر فكانوا يؤخرون تحريم الهرم إلى صفر فإذا احتاجوا إلى القتال أخروا التحريم إلى ربيع الأول وهكذا حتى استدار التحريم على السنة كلها وكانوا يحجون في كل شهر عامين فحجوا في ذى الحجة عامين والهرم كذلك وهكذا باقى الشهور فوافقت حجة أى بكر في السنة التاسعة ذا القعدة ثم حج رسول الله صلى الله عليه وسلم حجة الوداع فوافقت شهر الحج المشروع وهو ذو الحجة فوقف بعرفة في اليوم التاسع وخطب الناس في اليوم العاشر بنى حيث قال : إن الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله السموات والأرض السنة اثنا عشر شهرا منها أربعة حرم ثلاث متواليات ذو القعدة وذو الحجة والهرم ورجب مضر الذى بين جمادى وشعبان أى شهر هذا قلنا الله ورسوله أعلم فسكت حتى ظننا أنه سيسميه بغير اسمه قال (١٣٨) أليس البلدة قلنا بلى قال فأى يوم هذا قلنا الله ورسوله أعلم فسكت حتى

ظننا أنه سيسميه بغير اسمه قال (١٣٨) أليس البلدة قلنا بلى قال فأى يوم هذا قلنا الله ورسوله أعلم فسكت حتى ظننا أنه سيسميه بغير اسمه قال (١٣٨) أليس البلدة قلنا بلى قال فأى يوم هذا قلنا الله ورسوله أعلم فسكت حتى

بالهون والنصر (إِنَّمَا النَّسِيءُ) أى التأخير لحرمة شهر إلى آخر كما كانت الجاهلية تفعله من تأخير حرمة المحرم إذا هلّ وهم في القتال إلى صفر (زِيَادَةٌ فِي السَّكْرِ) لكفرهم بحكم الله فيه (يُضَلُّ) بضم الياء وفتحها (بِالَّذِينَ كَفَرُوا يُحِلُّونَهُ) أى النسيء (عَامًا وَيَحْرُمُونَهُ عَامًا لِيُؤْاطُوا) يوافقوا بتحليل شهر وتحريم آخر بدله (عِدَّةٌ) عدد (مَا حَرَّمَ اللَّهُ) من الأشهر فلا يزيدون على تحريم أربعة ولا ينقصون ولا ينظرون إلى أعيانها (فَيَحِلُّوا مَا حَرَّمَ اللَّهُ زَيْنَ لَهُمْ سُوءَ أَعْمَالِهِمْ) فظنوه حسنا (وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ) ونزل لما دعا صلى الله عليه وسلم الناس إلى غزوة تبوك ،

بجدي ضللا يضرب بعضكم بعضا ألا يبلغ الشاهد منكم الغائب فاعل بعض من يلفه أن يكون أوعى وكانوا له من بعض من سمعه ثم قال ألا أهل بلغت ألا هل بلغت مرتين (قوله إذا هل) بالبناء للفاعل وللفعول ويقال استهل وهل إذا رفع الصوت عند ذكره وبذلك سمي الهلال (قوله بضم الياء) أى مع فتح الضاد مبنيًا للفعول في السبعة ومع كسر الضاد مبنيًا للفاعل في العشرة (قوله وفتحها) أى مع كسر الضاد لاغير وهى سبعة أيضا فتكون القراءات ثلاثا واحدة عشرية واثنان سبعيتان (قوله أى النسيء) المراد به هنا اسم المفعول أى المنسوء أى المؤخر وهو تحريم بعض الشهور (قوله يحلونه عاما) فيه وجهان أحدهما أن الجملة تفسيرية للضلال الثانى أنها حالية (قوله ليؤاطوا) تنازعه كل من يحلونه ويحرمونه فيجوز إعمال الثانى أو الأول (قوله إلى أعيانها) أى الأربعة التى اشتهر تحريمها لأنهم لو التزموا أعيانها لم يضلوا (قوله زين لهم سوء أفعالهم) بالبناء للفعول والمزين لهم الشيطان (قوله لا يهدي القوم الكافرين) أى لا يوصلهم للسعادة (قوله ونزل لما دعا الخ) أى من هنا إلى قوله إنما الصدقات فهذه الآيات متعلقة بغزوة تبوك والمتخلفين عنها من منافقين وغيرهم (قوله إلى غزوة تبوك) بالصرف على إرادة البقعة ومنعه للعابية والتأنيث وكانت في السنة التاسعة من الهجرة بعد رجوعه من الطائف ، وسبب توجهه لها أنه بلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم أن هرقل جمع أهل الروم وأهل الشام وأنهم قدموا مقدماتهم إلى البلقاء وكان صلى الله عليه وسلم قليلا ما يخرج في غزوة إلا ورى عنها بغيرها إلا ما كان من غزوة تبوك وذلك لبعد المسافة لأنها على طرف الشام بينها وبين المدينة أربع عشرة مرحلة فأمرهم بالجهاد وبث إلى مكة وقبائل العرب وهى آخر غزواته صلى الله عليه وسلم وأنفق صتهن نفقة عظيمة فجز عشرة آلاف وأنفق عليها عشرة آلاف دينار غير تسعمائة بغير ومائة فرس وما يتطرق بذلك وجاء

أبو بكر بجميع ماله أربعة آلاف درهم وجاء عمر بنصف ماله وجاء ابن عوف بمائة أوقية وجاء العباس بمال كثير وكذا طلحة وجنت النساء بكل ما يقدرن عليه من حلين فلما تجهز رسول الله صلى الله عليه وسلم بالناس وهم ثلاثون ألفا وقيل أربعون ألفا وقيل سبعون ألفا وكانت الخيل عشرة آلاف فرس خلف على المدينة محمد بن مسلمة الأنصاري وقيل على بن أبي طالب وتحلف عبد الله بن أبي ومن كان معه من المنافقين فبعد أن خرج بهم إلى ثنية الوداع متوجها إلى تبوك عقد الأولوية والرايات فدفع لواء الأعظم إلى أبي بكر ورايته العظمى للزيروراية الأوس لأسيد بن حضير وراية الخزرج للحباب بن المنذر ودفع لكل بطن من الأنصار ومن قبائل العرب لواء وراية ولما تزلوا تبوك وجتدوا عينا قليلة الماء فاغترف رسول الله صلى الله عليه وسلم غرفة من مائها فضمض بها فاه ثم صقه فيها ففارت عينها حتى امتلأت وارتنوا هم وخيلهم وركابهم وأقام بقبوك بضع عشرة ليلة وقيل عشرين ليلة فاتاه بحنة بضم التحتية وفتح الحاء المهملة والنون المشددة ثم تاء تأنيث ابن رؤبة بضم الراء فهزته ساكنة فوحدة صاحب أيلة وأهدى له بطة بيضاء فكساه النبي رداء وصالحه على إعطاء الجزية بعد أن عرض عليه الاسلام فلم يسلّم وكتب له ولأهل أيلة كتابا تركه عندهم ليعملوا به وقد استشار صلى الله عليه وسلم عليه وسلم أصحابه في مجاوزة تبوك فأشاروا عليه

(١٣٩)

بتبوك فأشاروا عليه بعدم مجاوزتها فأنصرف هو والمسلمون راجعين إلى المدينة ولما دنا من المدينة تلقاه المتخلفون فقال لأصحابه لا تكلموا رجلا منهم ولا تجالسوهم حتى آذن لكم فصار الرجل يعرض عن أبيه وأخيه (قوله وكانوا في عسرة) أي قحط وضيق عيش حتى إن الرجلين ليجتمعان على القمرة الواحدة (قوله وشدة حر) أي حتى كانوا يشربون الفرب (قوله فشق عليهم) أي فتخلف

وكانوا في عسرة وشدة حر فشق عليهم (يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمْ تَفِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ إِذَا قُلْتُمْ) بادغام التاء في الأصل في المثلثة واجتلاب همزة الوصل أي تباطأتم ولمتم عن الجهاد (إِلَى الْأَرْضِ) والقعود فيها والاستغناء للتوبيخ (أَرْضَيْتُمْ بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا) ولذاتها (مِنَ الْآخِرَةِ) أي بدل نعيمها (مَا تَتَّاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فِي) جنب متاع (الْآخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ) حذر (إِلَّا) بادغام لا في نون إن الشرطية في الموضمين (تَتَفَرُّوا) تخرجوا مع النبي صلى الله عليه وسلم للجهاد (يُعَذِّبُكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا) مؤلما (وَيَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ) أي يأت بهم بدلكم (وَلَا تَنْصُرُوهُ) أي الله أو النبي صلى الله عليه وسلم (شَيْئًا) بترك نصره فإن الله ناصر دينه (وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ) ومنه نصر دينه ونبيه (إِلَّا تَنْصُرُوهُ) أي النبي صلى الله عليه وسلم (فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذْ) حين (أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا) من مكة أي ألقوه إلى الخروج لما أرادوا قتله أو حبسه أو نفيه بدار الندوة (ثَانِي أُتَيْنِ)،

عنهم عشر قبائل ويقال لها غزوة العسرة والفاضة لأنها أظهرت حال المنافقين (قوله مالكم) مامبتداً ولكم خبره واناقلتم حال وإذا ظرف لذلك الحال مقدم عليها والتقدير أي شيء ثبت لكم من الضرر حال كونكم متناقضين وقت قول الرسول لكم انفروا إلخ (قوله بادغام التاء إلخ) أي فالأصل تناقلتم أبدلت التاء تاء وأدغمت فيها وآتى بهمزة الوصل توصلا للنطق بالساكن (قوله ولمتم) قدره إشارة إلى أنه ضمن اناقلتم معنى لمتم فعداء إلى (قوله أرضيتم) الاستغناء للتوبيخ والتعجب (قوله حذر) أي لأن لذات الدنيا خيسية مشوبة بالكدرات والآفات سريعة الزوال بخلاف لذات الآخرة فهي شريفة منزهة عن الأقدار والأكدار باقية لا منتهى لها (قوله بادغام لا في إن) العبارة فيها قلب والأصل بادغام إن في لام لا (قوله في الموضمين) أي هذا وقوله إلا تنصروه (قوله يعذبكم عذاباً أليماً) قيل المراد في الآخرة وقيل المراد في الدنيا باحتباس المطر لما روى أنه سئل ابن عباس عن هذه الآية فقال استنفر رسول الله صلى الله عليه وسلم حيا من أحياء العرب فتناقلوا فأسلك الله عنهم المطر فكان ذلك عذابهم (قوله ويستبدل قوماً غيركم) قيل المراد بهم أبناء فارس وقيل أهل اليمن (قوله ومنه نصر دينه) أي ولو من غير واسطة (قوله إلا تنصروه) شرط حذف جوابه تقديره فسينصره الله وأما قوله فقد نصره الله فتعليل الجواب ولا يصلح أن يكون جواباً لأنه ماضٍ وقوله إذا أخرجه ظرف لقوله نصره الله وهذا خطاب لمن تناقل عن تلك الغزوة (قوله بدار الندوة) تقدم لإيضاح ذلك في سورة الأنفال في قوله تعالى - وإذ يكرهك

الذين كفروا - الخ (قوله حال) أى من الهاء فى أخرجه والتقدير إذ أخرجه الذين كفروا حال كونه منفرداً عن جميع الناس إلا أبابكر (قوله بدل من إذ قبله) أى بدل بعض من كل لأن الإخراج زمنه تمتد فيصدق على زمن استقرارهما فى النار وإلا فزمن الإخراج مبين لزمن حصولهما فى النار لأن بين النار ومكة مسيرة ساعة (قوله لا تحزن) أى لانتهم وكان حزن الصديق على رسول الله لاعلى نفسه ورد أنه قال له إذا مات أنا فأنأ رجل واحد وإذا مات أنت هلكت الأمة والدين (قوله إن لله معناه) أى معية معنوية خاصة (قوله قيل على النبي) أى فيكون المراد زاده سكينه وطمانينة حتى عمت أبابكر وإلا فرسول الله لم يسبق له انزعاج لمزيد ثقته بربه (قوله وقيل على أبى بكر) أى لأنه هو المنزعج (قوله ملائكة فى النار) أى يحرسونه من أعدائه (قوله ومواطن قتاله) الواو بمعنى أو لأنه تفسير ثان (قوله أى دعوة الشرك) أى دعوة أهل الشرك الناس إليه أو المراد عقيدة أهل الشرك (قوله وكلمة الله هى (١٤٠) العليا) القراء السبعة على الرفع مبتدأ وهى إما ضمير فصل أو مبتدأ ثان والعليا

إما خبر عن كلمة أو عن الضمير والجملة خبر كلمة وقرئ شدودا بالنصب معطوفاً على مفعول جعل (قوله انفروا خفاً وثقالاً) ذكر المفسر فى معنى ذلك ثلاثة أقوال وهى من جملة أنوال كثيرة ذكرها المفسرون فقيل الخفيف الذى لاضيعه له والثقل الذى له الضيعة وقيل الخفيف الشاب والثقل الشيخ وقيل غير ذلك فالقصد تعميم الأحوال أى انفروا على أى حال كنتم عليه وهذا الحكم باق إذا تعين الجهاد بأن خفاً العدو وأما فى حال كونه فرض كفاية فليس حكم العموم باقياً بل

حال أى أحد اثنين والآخر أبوبكر، المعنى نصره الله فى مثل تلك الحالة فلا يخذله فى غيرها (إذ) بدل من إذ قبله (ثمما فى النار) ثقب فى جبل نور (إذ) بدل ثان (يقول لصاحبه) أبى بكر وقد قال له لما رأى أقدام المشركين : لو نظر أحدهم تحت قدميه لأبصرنا (لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا) بنصره (فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ) طمأنينته (عَلَيْهِ) قيل على النبي صلى الله عليه وسلم وقيل على أبى بكر (وَأَيَّدَهُ) أى النبي صلى الله عليه وسلم (يَجْنُودُ لَمْ تَرَوْهَا) ملائكة فى النار ومواطن قتاله (وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا) أى دعوة الشرك (الشُّفْلَى) الغلوبة (وَكَلِمَةَ اللَّهِ) أى كلمة الشهادة (هِيَ الْعُلْيَا) الظاهرة الغالبة (وَاللَّهُ عَزِيزٌ) فى ملكه (حَكِيمٌ) فى صنمه (انْفِرُوا خِفَافًا وَثِقَالًا) نشاطاً وغير نشاط وقيل أقوياء وضمفاء أو أغنياء وفقراء وهى منسوخة بآية : ليس على الضعفاء (وَجَاهِدُوا بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ذَلِكَ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ) أنه خير لكم فلا تناقلوا . ونزل فى المنافقين الذين تخلفوا (لَوْ كَانَ) مادعوتهم إليه (عَرَضًا) متاعاً من الدنيا (قَرِيبًا) سهل المأخذ (وَسَفَرًا قَاصِدًا) وسطاً (لَاتَبِمُوكَ) طلباً للفنيمة (وَلَكِنْ بَعُدَتْ عَلَيْهِمُ الشُّقَّةُ) المسافة فتخلفوا (وَسَيَحْلِفُونَ بِاللَّهِ) إذا رجعت إليهم (لَوْ اسْتَطَعْنَا) الخروج (نَخْرُجُنَا مَعَكُمْ يُهْلِكُونَ أَنْفُسَهُمْ) بالهلف الكاذب (وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ) فى قولهم ذلك . وكان صلى الله عليه وسلم أذن لجماعة فى التخلف باجتهاد منه فنزل عتاباً له وقدم العفو تطميناً لقلبه (عَفَا اللَّهُ عَنْكَ ،

منسوخ إما بآية : وما كان المؤمنون لينفروا كافة ، أو بآية : ليس على الضعفاء ولا على المرضى الخ (قوله نشاطاً) بكسر النون جمع نشيط ككرام وكريم (قوله وهى منسوخة) أى على القولين الأخيرين لاطى الأول فهى محكمة (قوله أنه خير) مفعول تعلمون (قوله فلا تناقلوا) جواب الشرط (قوله فى المنافقين) أى كعبد الله بن أبى وأضرابه (قوله متاعاً من الدنيا) سعى عرضاً لسرعة زواله كالعرض (قوله المسافة) أى التى تقطع بالمشقة فهى مشتقة من المشقة (قوله وسيحلفون) هذا إخبار من الله بالغيب فإن هذه الآية نزلت قبل رجوعه من تبوك (قوله خرجنا معكم) هذه الجملة سدت مسد جواب القسم والشرط (قوله يهلكون أنفسهم) هذا مرتب على قوله وسيحلفون المعنى يزادون بها هلاكاً لأنهم هالكون بالكفر يزيدون هلاكاً باليمين الكاذبة لما فى الحديث «اليمين الفاجرة تدع الديار بلاقع» (قوله لجماعة) أى من المنافقين (قوله باجتهاد منه) هذا أحد قولين والآخر أنه لا يجتهد . والحاصل أنه اختلف هل يجوز على النبي الاجتهاد فى غير الأحكام التكميلية الصادرة من الله تعالى أولاً يجوز والصحيح الأول ولكنه فى اجتهاده دائماً مصيب وعتاب الله إنما هو على فعل أمر مباح له فهو من باب حسنات الأبرار سيئات المقرين لاعلى وزرطه فاعتقاد ذلك كفر (قوله عفا الله عنك) أى عن هذا الأمر الذى فعلته .

(قوله لم أذن لهم) اللام الأولى لتعليل والثانية لتبليغ وكلامها متعلق بأذنت فلم يلزم عليه تعاق حرق جرمتحدى اللفظ والمعنى
بماثل واحد ، والمعنى لأى شئ أذن لهم ، التخلف عن الجهاد (قوله وهلا تركتهم) قدره إشارة إلى أن قوله حتى يتبين الخ
غاية في ذلك المجنوف (قوله لا يستأذنك الذين يؤمنون) أى لا يلبق منهم وليس من عاداتهم الاستئذان في الواجب عليهم بل
الحاصل في الإيمان يبادر إليه من غير توقف حيث وقع من هؤلاء الاستئذان كان دليلا على نفاقهم (قوله في التخلف) أى
من غير عذر (قوله وأرتابت قلوبهم) إنما أسند الريب للقلب لأنه محل العمل والإيمان والمعرفة (قوله ولو أرادوا الخروج
الخ) هذا تسلية له صلى الله عليه وسلم على عدم خروج المنافقين معه إذ لا فائدة فيه ولا مصلحة وعتاب الله له على الاذن لهم
في التخلف إنما هو لأجل إظهار حالهم وفضيحتهم كأن الله يقول لنبيه كان الأولى لك عدم الاذن لهم في التخلف ليظهر حالهم
فان القرائن دالة على أنهم لا يريدون الخروج لعدم التأهب له (قوله ولكن كره الله انبعاثهم) استندراك على قوله ولو أرادوا
الخروج لأعدوا له عدة لأنه في معنى النفي فهو استندراك على ما يتوهم نبوته وهو حجة الله منهم الخروج ، والمعنى لو أرادوا الخروج
لأعدوا ولكن لم يريدوه لكرهه الله انبعاثهم لما فيه من الفساد فلم يقدروا له عدة وهذا أحسن ما يقال (قوله أى قدر الله تعالى
ذلك) جواب عما يقال حيث أمرهم الله بالعمود كان قعودهم محمولا لامذموما (١٤١) فأجاب بأنه ليس المراد بالقول

حقيقته بل المراد به الإرادة
والتقدير . وأجيب أيضا بأن
القاتل الشيطان وهو يأمر
بالفحشاء والنكر . وأجيب
أيضا بأن القاتل الله حقيقة
والقول على حقيقته وهو
أمرته يدعى حد : اعملوا
ما شئتم (قوله لو خرجوا
فيكم ما زادوكم الإخلا)
هذا بيان للفساد التي ترتب
على خروجهم . إن قلت
ان مقتضى العتاب المتقدم
ن خروجهم فيه مصلحة
ومقتضى ما هنا أن
خروجهم مفسدة فكيف

لَمْ أَذْنَتْ لَهُمْ) في التخلف وهلا تركتهم (حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكَ الَّذِينَ صَدَقُوا) في العذر (وَتَعْلَمَ
الكَاذِبِينَ) فيه (لَا يَسْتَأْذِنُكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ) في التخلف عن (أَنْ
يُجَاهِدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالْمُتَّقِينَ . إِنَّمَا يَسْتَأْذِنُكَ) في التخلف (الَّذِينَ
لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَأَرْتَابَتْ) شَكَّتْ (قُلُوبُهُمْ) في الدين (هُمْ فِي رَيْبِهِمْ
يَتَرَدَّدُونَ) يتحيرون (وَلَوْ أَرَادُوا الْخُرُوجَ) مَكَكْ (لَأَعَدُّوا لَهُ عُدَّةً) أهبة من الآلة والزاد
(وَلَكِنْ كَرِهَ اللَّهُ انْبِعَاثَهُمْ) أى لم يرد خروجهم (نَتَبَّطَهُمْ) كسلهم (وَقِيلَ) لهم (أَعْمَدُوا
مَعَ الْقَاعِدِينَ) المرضى والنساء والصبيان أى قدر الله تعالى ذلك (لَوْ خَرَجُوا فِيكُمْ مَا زَادُوكُمْ
إِلَّا خَبَالًا) فسادا بتخذيذ المؤمنين (وَلَأَوْضَعُوا خِلَالَكُمْ) أى أسرعوا بينكم بالمشى بالنيمة
(يَبْفُونَكُمْ) يطلبون لكم (الْفِتْنَةَ) بالقاء المداوة (وَفِيكُمْ سَمَاعُونَ لَهُمْ) ما يقولون سماع
قبول (وَاللَّهُ عَالِمٌ بِالظَّالِمِينَ . لَقَدْ أَبْتَدَوْا) لك (الْفِتْنَةَ مِنْ قَبْلُ) أول ما قدمت المدينة
(وَقَلَّبُوا لَكَ الْأُمُورَ) أى أجالوا الفكر في كيدك وإبطال دينك ،

الجمع بينهما . أجيب بأن خروجهم مفسدة عظيمة ، وعتاب الله لنبيه إنما هو على عدم التأنى حتى يظهر نفاقهم وفضيحتهم
وليس في خروجهم مصلحة أصلا كما علمت (قوله ما زادوكم إلا خبالا) أى ما أحدثوا فيكم إلا خبالا ، وليس المراد أن الخبال
كان حاصل من قبل وإنما حصل منهم زيادته (قوله إلا خبالا) يصح أن يكون استثناء منقطعا ، والمعنى ما زادوكم قوة
ولكن خبالا أو متصلا من عموم الأحوال ، والمعنى ما زادوكم شيئا أصلا إلا خبالا (قوله ولأوضعوا خلالكم) الإيضاع
في الأصل سرعة سير البعير ثم استعير الإيضاع لسرعة الإفساد ، في الكلام استعارة تبعية حيث شبه سرعة الإفساد بسرعة سير
الركائب ثم اشتق منه أوضعوا بمعنى أسرعوا ، وفي الخلال استعارة مكنية حيث شبه الخلال بركائب تسرع في السير وطوى
ذكر المشبه به ورمز له بهى من لوازمه وهو أوضعوا بمعنى أسرعوا فإنياته تخييل (قوله ينفونكم الفتنة) حاله من فاعل
أوضعوا ، والتقدير طالين لكم الفتنة (قوله وفيكم سماعون لهم) يحتمل أن يكون المراد جواسيس منهم يتسمعون لهم
الأخبار منهم ، ويحتمل أن يكون الضمير في فيكم عائدا على المؤمنين ، والمعنى أن في المؤمنين ضعفاء قلوب يصفون إلى
قول المنافقين بالتخذيذ والإفساد لظنهم صحة إيمانهم (قوله من قبل) أى قبل هذه الغزوة كالواقع من المنافقين في أحد
وفي الأحزاب .

(قوله حتى جاء الحق) أى استمروا على تقليب الأمور حتى ألح (قوله وهو الجدل بن قيس) وهو منافق عنيد حتى إنه من قباحته امتنع من مبايعة رسول الله تحت الشجرة في بيعة الرضوان واختفى تحت بطن ناقته (قوله فى جلاد بنى الأصفر) أى ضربهم بالسيوف وفى نسخة جهاد وهى ظاهرة ، و بنو الأصفر هم ملوك الروم أولاد الأصفر بن روم بن عيص بن إسحق (قوله وقرى سقط) أى بالافراد مراعاة للفظ من والضمير عائد على الجد بن قيس وهى شاذة كماهى قاعدته (قوله إن تصبك حسنة) أى فى بعض النزوات (قوله وإن تصبك مصيبة) أى فى بعضها وقابل الحسنة بالمصيبة إشارة إلى أن الثواب مترتب على كل منهما وإنما قابها بأسبغة فى آل (١٤٣) عمران لأنها خطاب للمؤمنين وفيهم من يراها سبغة (قوله يقولوا قد أخذنا أمرا

من قبل) أى أدركنا ما أهمنا من الأمور وهو موالاة الكفار واستزال للسلمين وغير ذلك من أنواع النفاق (قوله وهم فرحون) الجملة حالية من فاعل يتولوا (قوله قل لن يصيبنا) أى ردا لقولهم قد أخذنا أمرا من قبل (قوله الحسينيين) صفة لموصوف محذوف قدره المفسر بقوله العاقبتين (قوله ونحن نترصد بكم) أى إحدى العاقبتين السبئيتين (قوله بقارعة) أى صاعقة (قوله فتربصوا إلخ) أى فانا منتظرون ما يسرنا وأتم منتظرون ما يسوؤكم (قوله قل أنفقوا طوعا أو كرها إلخ) نزلت فى الجد ابن قيس حيث قال للنبي صلى الله عليه وسلم أئذن لى فى التعود وأنا أعطيك

(حَتَّى جَاءَ الْحَقُّ) النصر (وَظَهَرَ) عَزَّ (أَمْرُ اللَّهِ) دينه (وَهُمْ كَارِهُونَ) له فدخلوا فيه ظاهرا (وَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ أَئِذْنِي) فى التخلف (وَلَا تَقْتَتْنِي) وهو الجد بن قيس قال له النبي صلى الله عليه وسلم : هل لك فى جلاد بنى الأصفر فقال إلى مفرم بالنساء وأخشى إن رأيت نساء بنى الأصفر أن لا أصبر عنهن فأفتتن قال تعالى (أَلَا فِي الْفِتْنَةِ سَقَطُوا) بالتخلف وقرى سقط (وَإِنْ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌ بِالْكَافِرِينَ) لا يحصى لهم عنها (إِنْ تُصِيبَكَ حَسَنَةٌ) كنصر وغنيمة (تَسُوْهُمْ وَإِنْ تُصِيبَكَ مُصِيبَةٌ) شدة (يَقُولُوا قَدْ أَخَذْنَا أَمْرَنَا) بالحزم حين تخلفنا (مِنْ قَبْلُ) قبل هذه المصيبة (وَيَتَوَلَّوْا وَهُمْ فَرِحُونَ) بما أصابك (قُلْ) لهم (لَنْ يُصِيبَنَا إِلَّا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَنَا) إصابته (هُوَ مَوْلَانَا) ناصرنا ومتولى أمورنا (وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ . قُلْ هَلْ تَرَبَّصُونَ) فيه حذف إحدى التاءين من الأصل أى تنتظرون أن يقع (بِنَا إِلَّا إِحْدَى) العاقبتين (الْحُسَيْنَيْنِ) ثنية حسنى تأنيث أحسن : النصر ، أو الشهادة (وَنَحْنُ نَتَرَبَّصُ) نتظر (بِكُمْ أَنْ يُصِيبَكُمْ اللَّهُ بِعَذَابٍ مِنْ عِنْدِهِ) بقارعة من السماء (أَوْ بِأَيْدِينَا) بأن يؤذن لنا فى قتالكم (فَتَرَبَّصُوا) بنا ذلك (إِنَّا مَعَكُمْ مُتَرَبِّصُونَ) عاقبتكم (قُلْ أَنْفِقُوا) فى طاعة الله (طَوْعًا أَوْ كَرْهًا لَنْ يُتَقَبَلَ مِنْكُمْ) ما أنفقتموه (إِنَّكُمْ كُنْتُمْ قَوْمًا فَاسِقِينَ) والأمر هنا بمعنى الخبر (وَمَا مَنَعَهُمْ أَنْ تُقْبَلَ) بالتاء والياء (مِنْهُمْ نَفَقَاتُهُمْ إِلَّا أَنْهُمْ) فاعل وأن تقبل مفعول (كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ) لَا يَأْتُونَ الصَّلَاةَ إِلَّا وَهُمْ كُسَالَى (مَشَاقِلُونَ) وَلَا يُنْفِقُونَ إِلَّا وَهُمْ كَارِهُونَ (النِّفَقَةُ) لأنهم يعدونها مفرما (فَلَا تُعْجِبُكَ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ) أى لا تستحسن نعمنا عليهم فهى استدراج (إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذِيبَهُمْ) أى أن يعذبهم (بِهَا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا) بما يلقون فى جمعها من المشقة وفيها من المصائب (وَتَزَهَّقَ) تخرج

مالى ، والمعنى قل لهم اتصافكم بصفات المؤمنين فى الانفاق والصلاة لا يفيدكم شيئا (قوله طوعا) أى من غير إزام ، وقوله أو كرها : أى بالزام (قوله انكم كنتم قوما فاسقين) أى ولم تزالوا كذلك فالمراد فاسقون فيما مضى وفى المستقبل (قوله والأمر هنا بمعنى الخبر) أى فالعنى نفقتكم طوعا أو كرها غير مقبولة (قوله بالتاء والياء) أى فهما قراءتان سبعيتان (قوله إلا أنهم كفروا) استثناء من عموم الأشياء كأنه قيل ما منعهم قبول نفقاتهم لشيء من الأشياء إلا ثلاثة أمور : كفرهم بالله ورسوله ، وإتيانهم الصلاة فى حال كسلهم ، وإنفاقهم مع الكراهة (قوله لأنهم يعدونها مفرما) أى لأنهم لا يرجون عليها ثوابا ولا يخافون على تركها عقابا (قوله فهى استدراج) أى ظاهرها نعمة وباطنها نعمة (قوله بما يلقون فى جمعها من المشقة) جواب عما يقال : إن المال والولد سرور فى الدنيا ، فأجلب بأن المراد بكونهما عذبا باعتبار ما يترتب عليهما

(أنفسهم)

من الشقة . إن قلت إن هذا ليس غتصا بالمناقى بل المؤمن كذلك بهذا الاعتبار . أجب بأن المؤمن يرجو الآخرة والراحة فيها والتنعم بسبب الشقات فكأنها ليست مشقة والمناقى ليس كذلك فهي حينئذ مشقة في الدنيا والآخرة (قوله أنفسهم) أى أرواحهم (قوله يفرقون) الفرق بالتحريك الخوف (قوله لو يجدون ملجأ الخ) أى لو قدروا على الهروب منكم ولوى ضرر الأمكنة وأخسها لصلوا لشدة بغضهم لكم ، والمعنى أنهم وإن كانوا يحلفون لكم أنهم منكم فهم كاذبون في ذلك لأنهم لو وجدوا مكانا يلجئون إليه من رأس جبل أو قلعة أو جزيرة أو مغارات وهى الأماكن المنخفضة فى الأرض أوفى الجبل أو صرديب : أى أما كن ضيقة لفرّوا إليها (قوله وهم يجمعون) فى الصباح جمع الفرس برا كبه يجمع : استعصى حتى غلبه اه ففيه إشارة إلى أنهم كالدابة الجروح التى لا تقبل الانقياد بوجه من الوجوه (قوله ومنهم من يلزمك) هذا بيان لحال بعض المنافقين ، وقوله يلزمك من باب ضرب والمز الاشارة بعين ونحوها على سبيل التنقيص فهو أخص من الغمز إذ هو الاشارة بعين ونحوها مطلقا ، والمراد هنا الاعابة بالقول ، قيل نزلت فى أبى الجواط المنافق بفتح الجيم وتشديد الواو وبالطاء ، ومعناه الضخم للتكبر الكثير الكلام حيث قال : ألا ترون إلى صاحبكم يقسم صدقاتكم على رعاء الغنم يزعم أنه يعدل ، وقيل نزلت فى ذى الحويصرة التميمي ، وقيل اسمه حرقوص ابن زهير وهو أصل الحوارج (قوله فى الصدقات) المراد بها قيل الزكاة ، وقيل (١٤٣) القنائم ، وقيل ماهو أعم وهو

أولى بدليل ما يأتى للفسر (قوله فان أعطوا منها) أى ما يريدون (قوله إذا هم يستخطون) إذا غشيت قامت مقام الفاء والأصل فهم (قوله ما آتاهم الله ورسوله) نسبة الاعطاء لله حقيقة وللرسول مجازية وفيه إشارة إلى أن مافعله الرسول إنما هو على طبق ما أمر الله به (قوله وقالوا حسبنا الله) أى كافينا (قوله أن يغنيننا) أى فى أن يغنيننا وأن وما دخلت عليه فى تأويل مصدر مجرور بفي متعلقة

(أَتَقْسُمُوهُمْ وَهُمْ كَافِرُونَ) فيعذبهم فى الآخرة أشد العذاب (وَيَحْلِفُونَ بِاللَّهِ إِنَّهُمْ لَمِنْكُمْ) أى مؤمنون (وَمَا هُمْ مِنْكُمْ وَلَكِنَّهُمْ قَوْمٌ يَفْرَقُونَ) يخافون أن تفعلوا بهم كالشركيين فيحلفون تقية (لَوْ يَجِدُونَ مَلْجَأً) يلجئون إليه (أَوْ مَفَارِجَ) مراديب (أَوْ مُدْخَلًا) موضعاً يدخلونه (لَوَلَّوْا إِلَيْهِ وَهُمْ يَجْمَحُونَ) يسرعون فى دخوله والانصراف عنكم إسماعا لا يرد شئ كالفرس الجروح (وَمِنْهُمْ مَنْ يَلْمِزُكَ) يعيبك (فى) قسم (الصَّدَقَاتِ فَإِنْ أُعْطُوا مِنْهَا رَضُوا وَإِنْ لَمْ يُعْطُوا مِنْهَا إِذَا هُمْ يَسْتَخْطُونَ . وَلَوْ أَنَّ هُمْ رَضُوا مَا آتَيْنَهُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ) من القنائم ونحوها (وَقَالُوا حَسْبُنَا) كافينا (اللَّهُ سَيُؤْتِينَا اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَرَسُولُهُ) من غنيمة أخرى ما يكفيننا (إِنَّا إِلَى اللَّهِ رَاغِبُونَ) أن يغنيننا وجواب لو كان خيرا لهم (إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ) الزكوات مصروفة (لِلْفُقَرَاءِ) الذين لا يجدون ما يقع موقعا من كفايتهم (وَالْمَسَاكِينِ) الذين لا يجدون ما يكفيهم (وَالْعَامِلِينَ عَلَيْهَا) أى الصدقات من جاب وقاسم وكاتب وحاشر (وَالْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ) ليسلموا ،

يغنيننا ، ويؤخذ من الآية تعليم العباد التعفف والاعتداد على الله تعالى وتفويض الأمور إليه فان الأرزاق بيده تعالى متكفل بها لا يقطعها عن عباده ولو خالفوه (قوله إنما الصدقات للفقراء) رد على المنافقين الذين يزعمون أن رسول الله يأخذ الصدقات لنفسه ولا أهل بيته فيبين فى هذه الآية أن المستحق لها الأصناف الثمانية ورسول الله وأهل بيته محرمة عليهم تشريفا لهم وتطييرا والآية من قصر المصروف على الصفة : أى الصدقات مقصورة على الاتصاف بصرفها لهؤلاء الثمانية (قوله مصروفة) قدره ليتعاق به الجار والمجرور (قوله الذين لا يجدون ما يقع موقعا من كفايتهم) صادق بأن لا يجدوا شيئا أصلا أو لا يجدوا شيئا لا يقع الموقع من كفايتهم (قوله والمساكين الذين لا يجدون ما يكفيهم) صادق بأن لا يجدوا شيئا أصلا أو يجدوا شيئا لا يقع الموقع أو يقع ولكن لا يكفيهم فالفقير على هذا أسوأ حالا من المسكين ، وهذا مذهب الإمام الشافعى وعند مالك بالعكس فالمسكين من لا يملك شيئا أصلا والفقير من عنده شئ لا يكفيه ، والمراد بالكفاية عند مالك كفاية سنة وعند الشافعى كفاية العمر الغالب وهو ستون سنة (قوله من جاب الخ) أى وهو الذى يجمع الزكوات من أربابها ، والقاسم الذى يقسمها على المستحقين ، والكاتب الذى يكتب ما أعطاه أرباب الأموال ، والحاشر الذى يجمع أرباب الأموال ليأخذ منهم الجاني الزكاة (قوله ليسلموا) أى يرجى باعطائهم إسلامهم .

(قوله أو ثبت إسلامهم) أي فهم عديشو عهد بالاسلام فتعطيهم ليتمكن الاسلام من قلوبهم (قوله أو يسلم نظراؤهم) أي لهم
 كسبار قبيلة أسلموا فيعطون ليسلم نظراؤهم من الكفار (قوله أو يذبوا عن المسلمين) أي يذبوا الكفار ويردوهم عن
 المسلمين والحال أنهم مسلمون (قوله والأول والأخير) أي الكافر ليسلم والقاتل عن المسلمين (قوله لا يعطيان) هذا ضعيف
 عندهم والعمد عندهم إعطاء الأول (قوله بخلاف الآخرين) أي الثاني والثالث وهذا مذهب الشافعي وعند مالك المؤلف
 قلوبهم إما كفار يعطون ليسلموا أو مسلمون يعطون ليثبت إسلامهم (قوله وفي الرقاب) إنما أضيفت الصدقات إلى الأتلاف
 الأربعة الأول باللام وإلى الأربعة الأخيرة بـي إشارة إلى أن الأربعة الأول يملكونها ويتصرفون فيها كيف شاءوا بخلاف
 الأربعة الأخيرة فيقيد بما إذا صرفت في مصارفها فإذا لم يحصل نزع منهم (قوله أي المكاتبين) أي ليستعينوا بها على
 فك رقابهم وهذا التنصير على مذهب الإمام الشافعي ، وعند مالك وأحمد أن معناه يشتري بها رقيق كامل الرق ويعتق وولاؤه
 للمسلمين ، وعند أبي حنيفة يشتري بها بعض رقبة ويغان بها مكاتب لأن قوله وفي الرقاب يقتضي التبعية (قوله لغير معصية)
 أي بأن استدانوا المباح ولو صرفوه (١٤٤) في معصية وهذا مذهب الشافعي ، وعند مالك إذا صرفوه في معصية

لا يعطون منها إلا إذا تابوا
 (قوله وتابوا) أي ظهرت
 توبتهم لا مجرد قولهم
 تبتانملا (قوله أو لإصلاح
 ذات البين) أي كان
 خيف فتنة بين قبيلتين
 تنازعا في قتيل لم يظهر
 قاتله فتحملوا الدية تسكيना
 للفتنة (قوله أي القاتنين
 بالجهاد الخ) أي ويشترى
 منها آتاه من سلاح
 ودرع وفرس ومذهب
 مالك أن طلبه العلم
 التمكن فيه لهم الأخذ
 من الزكاة ولو أغنياء إذا
 انقطع حقهم من بيت

أو ثبت إسلامهم أو يسلم نظراؤهم أو يذبوا عن المسلمين أقسام ، والأول والأخير لا يعطيان
 اليوم عند الشافعي رضي الله تعالى عنه لزم الاسلام بخلاف الآخرين فيعطيان على الأصح (وفي)
 فك (الرقاب) أي المكاتبين (والغاريين) أهل الدين إن استدانوا لغير معصية أو تابوا وليس
 لهم فداء أو لإصلاح ذات البين ولو أغنياء (وفي سبيل الله) أي القاتنين بالجهاد من لاف لهم
 ولو أغنياء (وَأَبْنِ السَّبِيلِ) المنقطع في سفره (فَرِيضَةً) نصب بفعله المقدّر (مِنْ اللَّهِ وَاللَّهُ عَليمٌ)
 بخلقه (حكيمٌ) في صنعه فلا يجوز صرفها لغير هؤلاء ولا منع صنف منهم إذا وجد فيقسمها
 الإمام عليهم على السواء . وله تفضيل بعض آحاد الصنف على بعض وأفادت اللام وجوب
 استغراق أفرادها لكن لا يجب على صاحب المال إذا قسم لصره بل يكفي إعطاء ثلاثة من
 كل صنف ولا يكفي دونها كما أفادته صيغة الجمع ويثبت السنة أن شرط المعطى منها الإسلام
 وأن لا يكون هاشمياً ولا مطلبياً (وَمِنْهُمْ) أي المناققين (الَّذِينَ يُؤْذُونَ النَّبِيَّ) بعبه وبنقل
 حديثه (وَيَقُولُونَ) إذا نهوا من ذلك لثلاث يبلنه (هُوَ أَذُنٌ) أي يسمع كل قيل وقيل فإذا حلفنا
 له إنا لم نقل صدقنا ،

(قل)

المال لأشهم مجاهدون (قوله وابن السبيل) الإضافة

لأدنى ملازمة أي اللازم للطريق (قوله المنقطع في سفره) أي إن كان سفره في غير معصية وإلا فلا يعطى ولو خيف عليه
 الموت مالم يتب ويعطى بشرط أن لا يجد مسلماً وهو ملء يبله (قوله فلا يجوز صرفها لغير هؤلاء) أخذ ذلك من الحصر
 وهو محل وفاق (قوله ولا يمنع صنف منهم) هذا مذهب الشافعي وعند مالك لا يلزم تعميم الأصناف فاللام في الفقهاء الخ كبيان
 المصروف للاستحقاق (قوله فيقسمها الإمام عليهم على السواء) هذا مذهب الشافعي وعند مالك لا يلزم ذلك بل يندب إشار
 المضطر (قوله لصره) علة لعدم وجوب الاستغراق (قوله الاسلام) هذا في غير المؤلف قلوبهم (قوله وأن لا يكون هاشمياً
 ولا مطلبياً) هذا مذهب الشافعي وعند مالك الدين تحرم عليهم الزكاة بنو هاشم فقط وهذا إن كان حقهم من بيت المال
 جارياً وإلا فهم أولى من غيرهم فاعطائهم أسهل من تعاطيهم خدمة النبي والفاجر (قوله ومنهم الذين يؤذون النبي) سبب
 نزولها أن جماعة من المنافقين تكلموا في حقه صلى الله عليه وسلم بما لا يابق فقال بعضهم لبعض كفوا عن ذلك الكلام لثلاث
 يبلنه ذلك فيقع لنا منه الضرر فقال الجلاس بضم الجيم وفتح اللام المخففة إن سويد تقول ما شغلنا ثم نأتيه فننكر ما قلنا ونحلف
 فيصدقنا فما تقول فأما محمد أذن (قوله أي يسمع كل قيل) أي من غير أن يتأمل فيه ويميز باطنه من ظاهره فنصدقوا بذلك

وسمعه صلى الله عليه وسلم بالثقة لانه كان لا يخابهم بسوء أبداً ويتحمل أذاهم ويصفح عنهم لحملوه على عدم التنبه والتفقه وهو إما كان يفعل ذلك رفقاً بهم وتواضعاً عن عيوبهم وفي تسميته أذاً مجاز مرسل من إطلاق الجزء على الكل للمانة على استماعه حق طر كانه هو آلة السماع كما يسمى الجاسوس عينا (قوله قل أذن خير لكم) أى يسمع الخير ولا يسمع الشر (قوله يؤمن بالله الخ) هذا إيضاح لكونه أذن خير (قوله واللام زائدة) جواب عما يقال لم زيدت اللام مع أن الإيمان يتعدى بالباء ؟ فأجاب بأنها زيدت للفرق بين إيمان التسليم وهو قوله ويؤمن للمؤمنين أى يسلم لهم قولهم ويصدقهم فيما يقولونه وبين إيمان التصديق المقابل للكفر وهو قوله يؤمن بالله أى يصدق بالله ويوحده (قوله ورحمة للذين آمنوا) أى أظهروا الإيمان منكم وهذه الرحمة بمعنى الرفق بهم وعدم كشف أسرارهم لابعث التصديق لهم فإن رحمته في الدنيا عامة للبر والفاجر وفي الآخرة خاصة بالبر دون الفاجر إذ هي تابعة لرحمة الله تعالى وإحسانه (قوله يحلفون بالله لكم) أى يحلف المنافقون للمؤمنين إياه ماوقع منهم الإيذاء للنبي وقصدهم بذلك إرضاء المؤمنين ليدبوا عنهم إذا أراد رسول الله أن يفكك بهم وسبب نزولها أنه اجتمع ناس من المنافقين منهم الجلوس بن سويد ووديع بن ثابت فوقعوا في رسول الله قالوا إن كان ما يقول محمد حقا فنحن شر من الخير وكان عندهم غلام يقال له عامر بن قيس ثم أتى النبي صلى الله (١٤٥)

وسألهم فأنكروا وحلفوا أن عامرا كذاب وحلف عامر إنهم كذبوا فصدقهم النبي صلى الله عليه وسلم فجعل عامر يدعو ويقول اللهم صدق الصادق وكذب الكاذب (قوله ما أتوه) أى ما فعلوه وفي نسخة آذوه (قوله مرضوكم) علة لقوله يحلفون (قوله والله ورسوله أحق أن يرضوه) الجملة حالية من ضمير يحلفون والمعنى يحلفون لكم لارضائكم

(قُلْ) هو (أُذُنٌ) مستمع (خَيْرٌ لَّكُمْ) لاستمع شر (يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَيُؤْمِنُ) يصدق (لِلْمُؤْمِنِينَ) فيما أخبروه به لا لغيرهم واللام زائدة للفرق بين إيمان التسليم وغيره (وَرَحْمَةً) بالرفع عطفا على أذن والجر عطفا على خير (لِلَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ رَسُولَ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ. يَحْلِفُونَ بِاللَّهِ لَكُمْ) أيها المؤمنون فيما بلغكم عنهم من أذى الرسول إنهم ما أتوه (لِيَرْضَوْكُمْ وَاللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَقُّ أَنْ يُرْضَوْهُ) بالطاعة (إِنْ كَانُوا مُؤْمِنِينَ) حقا وتوحيد الضمير لتلازم الرضاء بن أو خبر الله أو رسوله محذوف (أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّهُ) أى الشأن (مَنْ يُحَادِدِ) يشاقق (اللَّهُ وَرَسُولَهُ فَأَنَّ لَهُ نَارَ جَهَنَّمَ) جزاء (خَالِدًا فِيهَا ذَلِكَ الْخِزْيُ الْعَظِيمُ. يَحْذَرُ) يخاف (الْمُنَافِقُونَ أَنْ تُنْزَلَ عَلَيْهِمْ) أى المؤمنين (سُورَةٌ تُنَبِّئُهُمْ بِمَا فِي قُلُوبِهِمْ) من النفاق وهم مع ذلك يستهزئون (قُلْ اسْتَهِزُوا) أمر تهديد (إِنَّ اللَّهَ مُخْرِجٌ) مظهر (مَا تَحْذَرُونَ) إخراجه من خافكم (وَلَكِنَّ) لام قسم (سَأَلْتَهُمْ) عن استهزائهم بك والقرآن

والحال أن الله ورسوله أحق بالارضاء (قوله إن كانوا مؤمنين) شرط حذف جوابه لدلالة ما قبله عليه أى فليرضوا الله ورسوله (قوله وتوحيد الضمير الخ) أشار للمفسر لثلاثة أجوبة عن سؤال وارد على الآية . حاصله أن لفظ الجلالة مبتدأ ورسوله مبتدأ ثان مطوف عليه وجملة أحق أن يرضوه خبر والضمير مفرد وما قبله منى فلم أفرد الضمير ؟ فأجاب للمفسر بأنه أفرد لأن الرضاء بن واحد لأن رضا رسول الله تابع لرضا الله ولازم له فالكلام جملة واحدة أو الجملة خبر عن رسوله وحذف خبر لفظ الجلالة لدلالة ما بعده عليه أو خبر عن لفظ الجلالة وخبر رسوله محذوف لدلالة ما قبله عليه ففيه إما الحذف من الثانى لدلالة الأولى عليه أو بالعكس (قوله ألم يعلموا) الاستفهام لتوبيخ (قوله من يحادد الله) من شرطية مبتدأ وقوله فإن الخ خبر لهذوف أى حتى أن له الخ والجملة جواب الشرط وجملة فعل الشرط وجوابه خبر من ومجموع اسم الشرط وفعله جزائه خبر أن الأولى وجملة أن الأولى من اسمها وخبرها سبت مسد مفعولى يعلم (قوله جزاء) تمييز (قوله خالدا فيها) حال مقدرة (قوله أن تنزل عليهم) أى على المؤمنين وقوله تنبئهم أى تخبر المؤمنين وقوله بما في قلوبهم أى المنافقين من الحقد والحسد للمؤمنين (قوله قل استهزؤا الخ) نزلت هذه الآية في اثني عشر رجلا من المنافقين وقفوا لرسول الله على العقبة لما رجع من غزوة تبوك ليفتكوا به إذا هلاها وتنكروا عليه في ليلة مظلمة فأخبر جبريل رسول الله بما قد أضمر وأمره أن يرسل إليهم من يضرب وجوه رءسهم وكان مع عمار بن ياسر يقود ناقه

رسول الله وسراقة يسوقها فقال لحذيفة اضرب وجوه وواحلمم ضربها حذيفة حتى لحاها عن الطريق فلما نزل قال لحذيفة هل عرفت من القوم أحدا فقال لم أعرف منهم أحدا يارسول الله فقال رسول الله إثم فلان وفلان حتى عذبهم فقال حذيفة هلا بئس إليهم من يقتلهم فقال أكره أن تقول العرب لما ظفر بأصحابه أقبل يقتلهم بل يكفيننا الله بالديلة وهي خراج من ثمر يظهر في أكتافهم حتى ينجم من صدورهم (قوله وهم سائرهم معك) أى فكانوا يقولون هيات هيات يريد هذا الرجل أن يفتح حصون الشام وقصورها فأطلع الله نبيه على ما قالوه فقال لهم هل قتلتم كذا وكذا فقالوا لا والله ما كنا في شيء من أمرك ولا من أمر أصحابك ولكن كنا في شيء مما يخوض فيه الركب ليقتلنا السفر (قوله أباقه) أى جرائقه وحقوقه (قوله وآياته) أى كلماته القرآنية (قوله ورسوله) أى محمد صلى الله عليه وسلم (قوله عنه) أى الاستهزاء (قوله مبنيا للمفعول الخ) أى ونائب الفاعل عن طائفة وهما قراءتان سبعيتان (قوله كخشي بن حبر) وفى بعض النسخ كخشي بن حبر أسلم وحسن إسلامه كان (١٤٦) ضحك ولا يخوض وكان ينكر بعض ما يسمع فلما نزلت هذه الآية تاب

وم سائرهم معك إلى تبوك (لِيَقُولُنَّ) معتدري (إِنَّمَا كُنَّا نَخَوْضُ وَنَلْمُبُ) فى الحديث لنقطع به الطريق ولم قصد ذلك (قل) لهم (أَيْلَهُ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنْتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ لَا تَعْتَذِرُوا) عنه (قَدْ كَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ) أى ظهر كفركم بعد إظهار الإيمان (إِنَّ يُعَذِّبَ) بالياء مبنيا للمفعول والنون مبنيا للفاعل (عَنْ طَائِفَةٍ مِنْكُمْ) باخلاصها وتوبتها كخشي ابن حبر (تَعَذَّبَ) بالتاء والنون (طَائِفَةٌ بِأَنَّهُمْ كَانُوا مُجْرِمِينَ) مصرين على النفاق والاستهزاء (الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ بَعْضُهُمْ مِنْ بَعْضٍ) أى متشابهون فى الدين كأباض الشيء الواحد (يَأْمُرُونَ بِالْمُنْكَرِ) الكفر والمعاصى (وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمَعْرُوفِ) الإيمان والطاعة (وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْ) عن الاخلاق فى الطاعة (نَسُوا اللَّهَ) تركوا طاعته (فَتَسِيَّهُمْ) تركهم من لطفه (إِنَّ الْمُنَافِقِينَ هُمُ الْفَاسِقُونَ . وَعَدَّ اللَّهُ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْكُفَّارَ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا هِيَ حَسْبُهُمْ) جزاء وعقابا (وَلَعَنَهُمُ اللَّهُ) أبعدهم عن رحمته (وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ) دائم ، أتم أيها المنافقون (كَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ كَانُوا أَشَدَّ مِنْكُمْ قُوَّةً وَكَثَرُوا أَمْوَالَهُمْ وَأَوْلَادَهُمْ فَاسْتَمْتَعُوا) تمتعوا (بِخَلَائِقِهِمْ) نصيبهم من الدنيا (فَاسْتَمْتَعْتُمْ) أيها المنافقون (بِخَلَائِقِكُمْ كَمَا اسْتَمْتَعَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ بِخَلَائِقِهِمْ وَخُضْتُمْ) فى الباطل والظلم فى النبى صلى الله عليه وسلم (كَالَّذِي خَاضُوا) ،

من فلقه وقال اللهم إني لا أزال أسمع آية قرأ تنشر منها الحلود وتحقق منها القلوب اللهم اجعل وفائي قتلا في سبيلك لا يقول أحد أنا غسلت أنا كفنت أنا دفنت فأصيب يوم القيامة فلم يعرف أحد من المسلمين مصرعه (قوله المنافقون) أى وسكانوا ثلثائة (قوله وللنفاق) أى وكن مائة وسبعين (قوله أى متشابهون فى الدين) أى الذى هو النفاق فهم على أمر واحد يجتمعون عليه (قوله ويقبضون أيديهم) كناية عن عدم الانفاق لأن شأن المعطى بسط

أى

اليد وشأن المسك قبضها (قوله تركوا طاعته)

جواب عما يقال إن النسيان لا يؤاخذ به الانسان . فأجاب بأن الراد به الترك (قوله تركهم) جواب عما يقال إن النسيان مستحيل على الله تعالى . فأجاب بأن الراد به الترك (قوله هم الفاسقون) أى الكاملون فى التمرد والفسق والاطهار فى موضع الاضطرار لزيادة التقرير (قوله وعد الله المنافقين) يستعمل وعد فى الخير والشر وإنما يفتقران فى المصدر لمصدر الأول وعد والثانى وعيد (قوله والكفار) أى المتجاهرون بالكفر فهو عطف مغاير (قوله خالدين فيها) حال مقدره (قوله ولهم عذاب مقيم) أى غير النار كالزهرير أو الراد عذاب فى الدنيا (قوله كالذين من قبلكم) الجار والمجرور خبر لهنوف قدره المفسر بقوله أتم وهذا خطاب للمنافقين فيه الثغرات من النية للخطاب والمثلية فى الأوصاف المتقدمة وهى الأمر بالتصبر والنهى عن الهروب وقبض اليد ونسيان حقوق الله والآية بقوله فاستمتعوا الخ (قوله فاستمتعوا بخلائقهم) أى بحظوظهم الغانية والتشاغل بها هما برضى الله تعالى .

(قوله أى تكفونهم) . أى المفسر على أن الذى حرف مصدرى وهى طريقة ضعيفة لبعض النحاة وعليه فيقدر فى الكلام مقبول مطلق لىكون مشبها بالموصول الآخوذ من الذى والتقدير وخضتم خوضا تكفونهم والصحيح أن الذى اسم موصول صفة لموصوف محذوف والهاء محذوف تقديره كالحوض الذى خاضوه (قوله ألم يأتهم) أى المنافقين والاستفهام للتقرير (قوله قوم نوح الخ) أى وقد أهلكوا بالطوفان وعاد أهلكوا بالريح العقيم ونمود أهلكوا بالرجفة وقوم إبراهيم أهلكوا بساب النعمة عنهم وبالبعوض وأصحاب مدين أهلكوا بالظلة (قوله وللتوفكات) أى التقلبات التى جعل الله عاليها سافلها (قوله فما كان الله ليظلمهم) معطوف على مقدر قدره المفسر بقوله فكذبوهم فأهلكوا (قوله بأن يعذبهم بغير ذنب) تفسير للظلم الذى : أى الواقع أن الله لم يعذبهم بغير ذنب بل لو فرض أنه عذبهم بغير ذنب لم يكن ظلما لأن الظلم هو التصرف فى ملك الغير من غير إذنه ولا ملك لأحد معه سبحانه وتعالى لكن فضل الله بأنه لا يعذب بغير ذنب ولا يجوز عليه شرعا أن يعذب فى الآخرة عبدا بغير ذنب وإن جاز عذابه (قوله والمؤمنون والمؤمنات الخ) لما بين حال المنافقين والمنافقات عاجلا وآجلا ذكر حال المؤمنين والمؤمنات عاجلا وآجلا (قوله أولياء بعض) أى فى الدين وعبر عنهم بذلك لدون المنافقين فعبر فى شأنهم بمن إشارة أن نسبة المؤمنين فى الدين كنسبة القرابة ، وأما المنافقون فنسبتهم (١٤٧) لميعة نفسانية فهم جنس واحد

(قوله يأمرون بالمعروف) أى يحبونه لأنفسهم ولاخوانهم والمعروف كل ما عرف فى الشرع وهو كل خير (قوله ويهون عن المنكر) أى ينفرون منه ولا يرضون به ، والمراد بالمنكر كل ما خالف الشرع (قوله ويطيعون الله ورسوله) أى باللسان والجان وسائر الأعضاء (قوله سيرحهم الله) أى فى الدنيا بالإيمان والعرفة وفى الآخرة بالخلود فى الجنة

أى كفونهم (أولئك حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ . أَلَمْ يَأْتِهِمْ نَبَأُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَهَادٍ وَنُوحٍ قَوْمِ هُودٍ وَنُوحٍ قَوْمِ إِبْرَاهِيمَ وَأَصْحَابِ مَدْيَنَ قَوْمِ شُعَيْبٍ (وَأُولَئِكَ كَانَتْ أُمَّةٌ لِقَوْمٍ لوطٍ أَيْ أَهْلَهَا) أَتَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ) بِالْمُعْجَزَاتِ فَكَذَّبُوهُمْ فَأَهْلَكُوا (فَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُظْلِمَهُمْ) بِأَنْ يُعَذِّبَهُمْ بِغَيْرِ ذَنْبٍ (وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ) بِارْتِكَابِ الذَّنْبِ (وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ لَا يُعْجِزُهُ شَيْءٌ عَنْ إِنْجَازِ وَعْدِهِ وَوَعِيدِهِ (حَكِيمٌ) لَا يَضَعُ شَيْئًا إِلَّا فِي مَحَلِّهِ (وَعَدَ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَسَيَكُنْ ظِلُّهَا فِي جَنَّاتٍ عِدْنٍ) إِقَامَةً (وَرِضْوَانٍ مِنَ اللَّهِ أَكْبَرُ) أَعْظَمُ مِنْ ذَلِكَ كُلِّهِ (ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ) . بِأَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ .

ونعيمها ورضا الله عنهم ، وهذه الأوصاف مقابلة لأوصاف المنافقين المتقدمة (قوله عن إنجاز وعده) أى للمؤمنين والمؤمنات (قوله ووعدته) أى للمنافقين والمنافقات فهو لقب ونشر مشوش (قوله وعد الله المؤمنين والمؤمنات) هذا تفصيل لما أجمل فى قوله أولئك سيرحهم الله (قوله جنات) أى بساتين لكل مؤمن ومؤمنة لیس فيها شركة لأحد (قوله تجري من تحتها) أى بأرضها (قوله خالدين فيها) حال من المؤمنين والمؤمنات (قوله ومساكن طيبة) أى تستطيها النفوس وتأنس بها ، فيها مالا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر (قوله فى جنات عدن) أى فى بساتين إقامة لا تحول ولا تزول . « روى أنه سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن قوله تعالى - ومساكن طيبة فى جنات عدن - قال قصر من أولوة فى ذلك التصرف سبعون دارا من ياقوتة حمراء فى كل دار سبعون بيتا من زمردة خضراء فى كل بيت سبعون سريرا على كل سرير سبعون فراشا من كل لون على كل فراش زوجة من الحور العين » وفى رواية « فى كل بيت سبعون مائدة على كل مائدة سبعون لونا من طعام » (قوله ورضوان من الله أكبر) التنوين للتقليل أى أقل رضوان يأتيهم من الله أكبر من ذلك كله فضلا عن أكثره . ورد « أن الله تعالى يقول لأهل الجنة : هل رضيتم ؟ فيقولون ما لنا لا نرضى وقد أعطينا ما لم تعط أحدا من خلقك فيقول أنا أعطيك أفضل من ذلك قالوا وأى شيء أفضل من ذلك ؟ قال أحلّ عليكم رضوانى فلا أسخط عليكم بعده أبدا » (قوله ذلك) أى الرضوان (قوله هو الفوز العظيم) أى الظفر المقصود الذى لا يباهى .

(قوله بالسيف) المراد به جميع آلات الحرب (قوله باللسان والحجة) أى لا بالسيف لتطعنهم بالشهادتين فالمراد بجهادهم بكل الجهد في نصيحتهم وتخويفهم (قوله بالانتهاز والمقت) المراد به القتل بالنسبة للكفار والاهانة والجزر بالنسبة للمنافقين (قوله ومأواهم جهنم) جملة مستأنفة بيان لعاقبة أمرهم (قوله يحلفون بالله ما قالوا) هذا بيان لقبحهم وخبائث باطنهم (قوله كلمة الكفر) قيل هي كلمة الجلاس بن سويد حيث قال : إن كان محمدا صادقا فيما يقول فنحن شر من الحجر ، وقيل هي كلمة ابن أبي ابن سلول حيث قال : لئن رجعا إلى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل (قوله أظهروا الكفر الخ) دفع بلفظك ما يقال إن ظاهر الآية يقتضي أنهم مسلمون ثم كفروا بعد ذلك مع أنهم لم يسلموا أصلا . فأجاب بأن المراد أظهروا الكفر بعد أن أظهروا الإسلام (قوله من الفتك) مثلك الفاء : الأخذ على حين غفلة (قوله ليلة العقبة) أى التي بين تبوك والمدينة (قوله وهم بضعة عشر رجلا) قيل اثنا عشر وقيل أكثر من ذلك لكن لم يبلغوا العشرين وقد أجمع رأيهم على أن يفتكوا بالنبي في العقبة ليقع في الوادي فيموت فأخبره الله بما دبروه فلما وصل إلى العقبة نادى منادى رسول الله بأمره أن رسول الله يريد أن يسلك العقبة فلا يسلكها أحد غيره واسلكوا يامعشر الجيش بطن (١٤٨) الوادي فإنه أسهل لكم وأوسع فسلك الناس بطن الوادي وسلك النبي

العقبة وكان ذلك في ليلة مظلمة فجاء المنافقون وتلثموا وسلكوا العقبة فلما ازدحموا على رسول الله نفرت ناقته حتى سقط بعض متاعه فصرخ بهم فولوا مدبرين وأمر عمار ابن ياسر وقيل حذيفة بضرب وجوه رواحلهم فانخطوا من العقبة مسرعين إلى بطن الوادي واختلطوا بالناس فقال له النبي هل عرفت أحدا منهم ؟ قال لا كانوا متلثمين واليلة مظلمة قال هم فلان وفلان حتى

بالسيف (وَالْمُنَافِقِينَ) بِاللِّسَانِ وَالْحُجَّةِ (وَأَغْلَظُ عَلَيْهِمْ) بِالْإِتِهَارِ وَالْمَقْتِ (وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ) وَنَسِ الْأَمِيرُ (المرجع هي) (يَحْلِفُونَ) (أَيِ الْمُنَافِقِينَ) (بِاللَّهِ مَا قَالُوا) ما بلفظك عنهم من السب (وَلَقَدْ قَالُوا كَلِمَةَ الْكُفْرِ وَكَفَرُوا بَعْدَ إِسْلَامِهِمْ) أظهروا الكفر بعد إظهار الإسلام (وَهُمْ يَمِئًا يَنَالُوا) من الفتك بالنبي ليلة العقبة عند عودته من تبوك وهم بضعة عشر رجلا فضرب عمار بن ياسر وجوه الرواحل لما غشوه فردوا (وَمَا تَقْمُوا) أنكروا (إِلَّا أَنْ أَعْنَهُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ مِنْ فَضْلِهِ) بالفنائم بعد شدة حاجتهم ، المعنى لم ينلهم منه إلا هذا وليس مما ينقم (فَإِنْ يَتَوْبُوا) عن النفاق ويؤمنوا بك (بِكَ خَيْرًا لَهُمْ وَإِنْ يَتَوَلَّوْا) عن الإيمان (يُعَذِّبُهُمُ اللَّهُ عَذَابًا أَلِيمًا فِي الدُّنْيَا) بالقتل (وَالْآخِرَةِ) بالنار (وَمَا لَهُمْ فِي الْأَرْضِ مِنْ وَلِيٍّ) يحفظهم منه (وَلَا نَصِيرٍ) يمنعهم (وَمِنْهُمْ مَنْ عَاهَدَ اللَّهُ لَنْ يَنْصُرَهُمْ لَتَصَدَّقْنَ) فيه إدغام التاء في الأصل في الصاد (وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الصَّالِحِينَ) وهو ثعلبة بن حاطب سأل النبي صلى الله عليه وسلم أن يدعو له أن يرزقه الله مالا ،

عندهم قال هل عرفت مرادهم قال لا قال إنهم مكروا وأرادوا الفتك بي وإن الله أخبرني بمكرهم فلما أصبح جمعهم ويؤدى وأخبرهم بما مكروا خلفوا بالله ما قالوا ولا أرادوا فنزلت الآية ويؤخذ من ذلك أنهم سافروا مع رسول الله إلى تبوك وقدم أنهم تخلفوا ويمكن الجمع بأن البعض سافر والبعض تخلف (قوله فضرب عمار بن ياسر) وقيل حذيفة (قوله وما تقموا أنكروا) أى ما كرهوا وما عابوا وفي الآية تأكيد المدح بما يشبه المذم كأنه قيل ليس له صفة تكره وتعايب إلا اغناءهم من فضله بعد أن كانوا فقراء وهذه ليست صفة ذم فحينئذ ليس له صفة تدم أصلا (قوله وليس مما ينقم) أى يعاب ويكره (قوله وإن تولوا) أى داموا عليه (قوله ومنهم) أى المنافقين وظاهر الآية أنه حين المعاهدة كان منافقا وليس كذلك بل كان مسلما محبيدا وكان يلزم السجد والجماعة حتى لقب بحمامة مسجد فجعله منهم باعتبار ما آل إليه أمره ففيه مجاز الأول (قوله لئن آتانا) تفسير لقوله عاهد واللام موطئة لقسم محذوف وإن شرطية وآتانا فعل الشرط وجملة لتصدق جواب القسم وحذف جواب الشرط لدلالته عليه ولتأخره على حذف قول ابن مالك : واحذف لى اجتماع شرط وقسم جواب ما أخرت فهو ملزم (قوله فيه إدغام التاء الخ) أى والأصل لتصدقن قطبت التاء صاد ثم أدغمت في الصاد (قوله ولتكونن من الصالحين) أى في صرف المال بأن نصل به الأرحام وتتفق في وجوه البر والخير (قوله وهو ثعلبة بن حاطب) كان أولا محايا جليلا ملازما للجمعة والجماعة والمسجد ثم رآه النبي يسرع بالخروج إلى الصلاة

فقال له رسول الله لم تفعل فعل للثانين ؟ فقال إني افتقرت ولي ولا مراثي ثوب أجىء به للصلاة ثم أذهب فأزرعه لثأبيه وتصلى به فادع الله أن يوسع في رزقي . وحاصل قصته : أنه جاء إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله ادع الله أن يرزقني مالا ، فقال رسول الله ويحك يا ثعلبة ! قليل تؤذى شكره خير من كثير لا تطيقه ثم أتاه بعد ذلك فقال له مثل ذلك فقال له رسول الله أما لك في أسوة حسنة ؟ والذي نفسي بيده لو أردت أن تسير الجبال تسمى ذهباً وفضة لسارت ، ثم أتاه بعد ذلك فقال له : والذي بعثك بالحق لن يرزقني الله مالا لأعطين كل ذي حق حقه ، فقال رسول الله : اللهم ارزق ثعلبة مالا فاتخذ غنماً فسمت كما ينجو الدود فضاقت عليه المدينة فتنحى عنها فزل واديا من أوديتها وهي تموم كما ينجو الدود فكان يصلى مع رسول الله الظهر والعصر ويصلى في غنمه سائر الصلوات ثم كثرت ونمت حتى تباعد عن المدينة فصار لا يشهد إلا الجمعة ثم كثرت ونمت حتى تباعد عن المدينة فصار لا يشهد جمعة ولا جماعة فكان إذا كان يوم الجمعة يتلقى الناس يسألهم عن الأخبار فذكره رسول الله ذات يوم فقال ما فعل ثعلبة ؟ فقالوا له يا رسول الله اتخذ ثعلبة غنماً ما يسعها واد ، فقال رسول الله : يا ويح ثعلبة ، يا ويح ثعلبة ! فلما نزلت آية الصدقة بعث رسول الله رجلاً من بني سليم ورجلاً من بني جهينة وكتب لهما أسنان الصدقة وكيف يأخذانها وقال لهما مرآ على ثعلبة بن حاطب وعلى رجل من بني سليم غنماً صدقاتهما فخرجا حتى أتيا ثعلبة فسألاه الصدقة وقرأ عليه كتاب رسول الله فقال ما هذه إلا جزية ماهذه إلا أخت الجزية أنطلقا (١٤٩) حتى تفرغا ثم عودا إلى فأنطلقا

وسمع بهما السليمي فنظر إلى خيار أسنان إليه فعزلهما للصدقة ثم استقبلهما بها فلما رأياه قالا ما هذا عليك . قال خذاه فان نفسى بذلك طيبة فمرا على الناس وأخذوا الصدقات ثم رجعا إلى ثعلبة فقال أروني كتابكما فقراه فقال ما هذه إلا جزية ماهذه إلا أخت الجزية اذهبما حتى أرى رأيي

ويؤدى منه كل دى حق حقه فدعا له فوسع عليه فاقطع عن الجمعة والجماعة ومنع الزكاة كما قال تعالى (فَلَمَّا آتَاهُم مِّنْ فَضْلِهِ بَخِلُوا بِهِ وَتَوَلَّوْا) عن طاعة الله (وَهُمْ مُّعْرِضُونَ . فَأَعْقَبَهُمْ) أى فصير عاقبتهم (نِفَاقًا) ثابتاً (فِي قُلُوبِهِمْ إِلَى يَوْمِ يَلْقَوْنَهُ) أى الله وهو يوم القيامة (بِمَا أَخْلَفُوا اللَّهَ مَا وَعَدُوهُ وَبِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ) فيه ، فجاء بعد ذلك إلى النبي صلى الله عليه وسلم بزكاته فقال إن الله منعنى أن أقبل منك فجعل يحشو التراب على رأسه ثم جاء بها إلى أبى بكر فلم يقبلها ثم إلى عمر فلم يقبلها ثم إلى عثمان فلم يقبلها ومات في زمانه (أَلَمْ يَعْلَمُوا) أى المنافقون (أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ سِرَّهُمْ) ما أسروه فى أنفسهم (وَنَجْوَاهُمْ) ما تناجوا به بينهم (وَأَنَّ اللَّهَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ) ما غاب عن العيان . ولما نزلت آية الصدقة جاء رجل فصدق بشيء كثير فقال المنافقون مرأ ،

فأنطلقا ، فلما رآهما رسول الله قال قبل أن يتكلم يا ويح ثعلبة ثم دعا للسليمي بخير فأخبراه بالذى صنع ثعلبة فنزلت الآية (قوله ويؤذى منه الخ) الجملة حالية من فاعل سأل (قوله فدعا له) أى فى المرة الثالثة (قوله فوسع عليه) أى بأن رزق غنماً فصارت تموم كالودود (قوله بخلوا به) أى حيث منع الزكاة لما جاءه الساعة لأخذها وقال ما هذه إلا جزية ماهذه إلا أخت الجزية (قوله فأعقبهم نفاقاً) أى فأورثهم البخل نفاقاً متمكناً فى قلوبهم (قوله إلى يوم يلقونه) غاية لتحكم النفاق فى قلوبهم وحكمة الجمع فى هذه الضمائر مع أن سبب نزولها فى شخص واحد الإشارة إلى أن حكم هذه الآية باقى لكل من اقص بهذا الوصف من أول الزمان لآخره وليس مخصوصاً بثعلبة (قوله بما أخلفوا الله) الباء سببية وما مصدرية والمعنى ذلك بسبب إخلافهم الله الوعد ورد « آية المنافق ثلاث : إذا حدث كذب ، وإذا وعد أخلف ، وإذا أتمن خان » (قوله فجاء بعد ذلك) أى غير ثابت فى الباطن وإنما ذلك خوفاً من أن يحكم برذته فيقتل ويؤخذ ماله كله ففعله ذلك لأجل حفظ دمه وماله لاتوبة من ذنبه وإلا لقبه الله (قوله يحشو التراب) أى يهيله على رأسه (قوله ثم جاء إلى أبى بكر) أى فى خلافة وكذا فى خلافة عمر وعثمان (قوله أى المنافقون) أى لا يقيد كونهم الذين عاهدوا الله لأن آيتهم قد انتقضت بقوله يكذبون (قوله ما أسروه) أى أخفوه (قوله ما غاب عن العيان) أى بالنسبة للعباد لا بالنسبة لله فان الكل عنده عيان وليس شئ غائباً عن علمه سبحانه وتعالى (قوله جاء رجل) هو عبد الرحمن بن عوف جاء بأربعة آلاف درهم وقال كان لى ثمانية آلاف فأقرضت رضى أربعة فاجعلها يا رسول الله فى سبيل الله وأمسكت لى بأربعة ، فقال له التى برك الله

لله فيها أعطيت وفيها أمسكت فبورك له حتى صولحت إحدى زوجاته الأربع بعد وفاته عن ربع الفين بثمانين ألفا وأعتق من الرقاب ثلاثين ألفا وأوصى بخمسين ألف دينار وبألف فرس في سبيل الله وأوصى لمن بقي من البدرين إذ ذاك وكان الباقي مائة أوصى لكل منهم بأربعمائة دينار وأوصى لأمهات المؤمنين بمحديقة بيعت بأربعمائة ألف (قوله وجاء رجل فتصدق بصاع) أى وهو أبو عقيل الأنصارى جاء بصاع تمر وقال : بتة ليلتي أجرت بالجريز أى الجبل الذى يستقى به الماء وكان أجيرا يسقى الزرع بالماء من البئر قال وكانت أجرتى صاعين من تمر فتركت صاعا لعلبالي وجئت بصاع فأمره النبي أن ينثره على الصدقات (قوله فقالوا إن الله غنى الخ) أى وإنما آتى به تعريضا بفقره ليعطى من الصدقات (قوله الذين يلزمون) مبتدأ خبره سخر الله منهم والذين لا يجدون عطف على الذين الأول وقوله ففسخرون عطف على قوله يلزمون (قوله للطوعين) أصله للتطوعين أبدلت التاء طاء ثم أدغمت في الطاء (قوله إلا جهدهم) الجهد الشيء اليسير الذى يعيش به للقل (قوله استغفر لهم الخ) خبر جيء به في صورة (١٥٠) الأمر والمعنى استغفارك لهم وعدمه سواء (قوله قال صلى الله عليه وسلم)

وجاء رجل فتصدق بصاع فقالوا إن الله غنى عن صدقة هذا فنزل (الذين) مبتدأ (يلزمون) يعيرون (الطوعين) المتغفلين (من المؤمنين في الصدقات والذين لا يجدون إلا جهدهم) طاقهم فيأتون به (فيستخرون منهم) والخبر (سخر الله منهم) جازم على سخرتهم (ولهم عذاب أليم) استغفر (يا محمد لهم أو لا تستغفر لهم) تخيير له في الاستغفار وتركه قال صلى الله عليه وسلم : إني خيرت فاخترت بمعنى الاستغفار رواه البخارى (إن تستغفر لهم سبعين مرة فلن يغفر الله لهم) قيل المراد بالسبعين المبالغة في كثرة الاستغفار، وفي البخارى حديث : لو أعلم أنى لو زدت على السبعين غفر لزدت عليها ، وقيل المراد العدد المخصوص لحديثه أيضا وسأزيد على السبعين فبين له حسم المغفرة بآية : سواء عليهم أستغفرت لهم أم لم تستغفر لهم (ذلك يأثمهم كفروا بالله ورسوله والله لا يهدي القوم الفاسقين) فرح المخلفون عن نبوك (بمقدمهم) أى بعودهم (خلاف) أى بعد (رسول الله وكرهوا أن يجاهدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله وقالوا) أى قال بعضهم لبعض (لا تنفروا) تخرجوا إلى الجهاد (في الحر قل نار جهنم أشد حرا) من نبوك فالأولى أن يتقوها بترك التخلف (لو كانوا يفقهون) يعلمون ذلك ما تخلفوا (فليضحكوا قليلا) في الدنيا (وليبتكوا) في الآخرة (كثيرا)

دليل على التخيير (قوله) قيل للرد بالسبعين الخ) هذا بناء على أن العدد لا مفهوم له (قوله غفر) جواب لو الثانية وقوله زدت جواب لو الأولى (قوله وقيل للرد الخ) بناء على أن العدد له مفهوم (قوله لحديثه) أى البخارى (قوله حسم للمغفرة) أى قطعها (قوله ذلك) أى عدم المغفرة لهم (قوله بأنهم كفروا) الباء سببية وأن مصدرية والتقدير بسبب كفرهم (قوله والله لا يهدي القوم الفاسقين) أى لا يوصلهم لما فيه رضاه (قوله فرح

جزاء

المخلفون) جمع مخلف اسم مفعول والفاعل الكسل أى الذين خلفهم الكسل

وكانوا اثني عشر (قوله أى بعد) أشار بذلك إلى أن خلاف ظرف زمان أو مكان ويصح أن يكون مصدرا بمعنى مخالفة ، والمعنى على الأول فرحوا بعودهم في خلاف رسول الله أى بعد سفره أو بمكانه الذى سافر منه وعلى الثانى فرحوا بمخالفة رسول الله حيث انصفوا بالتقود وانصف هو بالسفر (قوله وكرهوا أن يجاهدوا) أن وما دخات عليه في تأويل مصدر مفعول كرهوا والمعنى كرهوا الجهاد لأن الانسان بطبعه ينفر من إتلاف النفس والمال سيما من ينكر الآخرة (قوله وقالوا) أى قال بعضهم لبعض (قوله لا تنفروا) أى إلى تبوك لأنها كانت في شدة الحر والقحط (قوله أشد حرا) أى لأن حر الدنيا يزول ولا يبقى وحر جهنم دائم لا يفر عنهم وهم فيه مبلسون فمن آثار الشهوات على ما رضى مولاه كان مأواه جهنم ومن آثر رضا ربه على شهوته كان مأواه الجنة ولذا ورد « حفت الجنة بالمكاره وحفت النار بالشهوات » (قوله ما تخلفوا) جواب لو (قوله فايضحكوا قليلا) أى بالنسبة لبكاء الآخرة وإن كان في نفسه كثيرا (قوله وليبتكوا كثيرا) أى على ما فاتهم من النعيم الدائم . ورد عن أنس بن مالك قال « سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : يا أيها الناس ابكوا فإن لم تستطيعوا أن تبكوا فتابكوا فإن أهل النار يبكون في النار حتى تسيل دموعهم

في وجوههم كأنها جداول حتى تنقطع الدموع فتسيل الدماء فتفرغ العيون فلو أن سفنا أجريت فيها لجرت (قوله جزاء) إما مفعول لأجله أو مصدر منصوب بفعل مقتر تقديره يجزون جزاء (قوله خبر عن حالهم) أي العاجل والآجل وإنما جاء به على صورة الأمر إشارة إلى أنه لا يتخلف لأن الأمر للطاع مما لا يكاد يتخلف عنه للأمر (قوله فان رجلك الله) خطاب للنبي صلى الله عليه وسلم بدم جمعهم معه في شاهد الخير بعد ذلك ، ويؤخذ من ذلك أن أهل الفسوق والعصيان لا يرافقون ولا يشاؤون (قوله ممن تخلف) بيان للضمير في منهم (قوله من المنافقين) بيان للطائفة (قوله أول مرة) أي وهو الخروج لغزوة تبوك (قوله وغيرهم) أي كالرضي (قوله على ابن أبي) اسمه عبد الله وأبى اسم أبيه وساول اسم أمه وكان رئيس الخزرج وكان له ولد مسلم صالح فدعا النبي ليصلي عليه وسأله أن يكفنه في قيصة ففعل ، ويروى أن النبي صلى الله عليه وسلم كلم فيما فعل بهد الله بن أبي فقال صلى الله عليه وسلم وما ينشئ عنه قيصة وصلاقي من الله والله إني كنت أرجو أن يسلم به ألف من قومه ويروى أنه أسلم ألف من قومه لما راوه يتبرك بقميص النبي صلى الله عليه وسلم (قوله منهم) صفة لأحد وكذا قوله مات أبدا (قوله ولا تقم على قبره) أي لا تتول دفنه (قوله إنهم كفروا) علة لما قبله ولما (١٥١) نزلت هذه الآية ماضى على منافق

ولا قام على قبره بعدها (قوله كافرين) أي وإنما عبر عنهم بالفسق إشارة إلى أن الكافر قد يكون عدلا في دينه بخلاف الفاسق فأفعاله خبيثة لا ترضى أحدا وليس له دين يقر عليه فعب عنهم بالفسق بعد التعبير عنهم بالكفر إشارة إلى أنهم جمعوا بين الوصفين الكفر وخسة الطبع (قوله ولا تهجيك أموالهم وأولادهم الخ) الحكمة في تكرارها البالغة في التحذير من هذا الشيء الذي وقع الاهتمام به وعبر

جَزَاءَهُ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ) خبر عن حالهم بصيغة الأمر (فَإِنْ رَجَعَكَ) ردك (الله) من تبوك (إِلَى طَائِفَةٍ مِنْهُمْ) ممن تخلف بالمدينة من المنافقين (فَاسْتَأْذَنُواكَ لِلْخُرُوجِ) مَعَكَ إِلَى غَزْوَةٍ أُخْرَى (قُلْ) لَهُمْ (لَنْ تَخْرُجُوا مَعِيَ أَبَدًا وَلَنْ تُقَاتِلُوا مَعِيَ عَدُوًّا إِنَّكُمْ رَضِيتُمْ بِالْعُقُودِ أُولَئِكَ مَرَّةً قَامَعْتُمْ مَعَ الْخَالِفِينَ) للتخلفين عن الغزو من النساء والصبيان وغيرهم . ولما صلى النبي صلى الله عليه وسلم على ابن أبي نزل (وَلَا تَصَلِّ عَلَى أَحَدٍ مِنْهُمْ مَاتَ أَبَدًا وَلَا تَقُمْ عَلَى قَبْرِهِ) لدفن أوزيارة (إِنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَمَاتُوا وَهُمْ فَاسِقُونَ) كافرون (وَلَا تُجِيبِكُمْ أَمْوَالُهُمْ وَأَوْلَادُهُمْ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُعَذِّبَهُمْ بِهَا فِي الدُّنْيَا وَتَزْهَقَ) تخرج (أَنْفُسُهُمْ وَهُمْ كَافِرُونَ . وَإِذَا أَنْزَلَتْ سُورَةٌ) أي طائفة من القرآن (أَنْ) أي بَأَن (آمِنُوا بِاللَّهِ وَجَاهِدُوا مَعَ رَسُولِهِ اسْتَأْذَنَكَ أُولُوا الطُّوْلِ) ذو والنسب (مِنْهُمْ) وَقَالُوا ذَرْنَا نَكُنْ مَعَ الْقَاعِدِينَ . رَضُوا بِأَنْ يَكُونُوا مَعَ الْخَوَالِفِ) جمع خالفة أي النساء اللاتي تخلفن في البيوت (وَطَبِيعَ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ) الخير (لَكِنَّ الرَّسُولَ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ جَاهِدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ وَأُولَئِكَ لَهُمُ الْخَيْرَاتُ) في الدنيا والآخرة (وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ) أي القاترون (أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ،

في الآية الأولى بالفاء وهنا بالواو لأن ماسبق له تعلق بما قبله فحسن العطف بخلاف ما هنا فلا تعلق له بما قبله وآتى بلا فيما تقدم وأسقط من هنا اعتناء بنى الأولاد هناك وبين هنا أنهم سواء وآتى باللام في ليعذبهم هناك وبأن هنا إشارة إلى أن اللام بمعنى أن وليست لتعليل وآتى فيما تقدم بالحياة وهنا بإسقاطها إشارة إلى خسة حياة الدنيا حيث لا نستحق أن تذكر وقال هناك كارهون وسنا كافرون إشارة إلى أنهم يعلمون كفرهم قبل موتهم ويشاهدون الأماكن التي أعدت لهم في نظيره فمن حيث تلك الشاهدة تزهق أرواحهم وهم كافرون كارهون بخلاف المؤمن فإنه يشهد مقعده في الجنة ولا يخرج روحه إلا وهو كاره للدنيا يحب للآخرة (قوله وهم كافرون) الجملة حالية (قوله أي طائفة من القرآن) أي سواء كانت تلك الطائفة سورة كاملة أو بعضها (قوله ذو والنسب) أي السمة من المال وقيل الرؤساء وخصوا بالذكر لأنهم قادرون على السفر وتركوه نفاقا إذ العاجز لا يحتاج لاستئذان (قوله وقالوا) عطف على استأذنتك (قوله أي النساء) ويصح أن يراد بهم الرجال الذين لا خير فيهم من قولهم رجل خالفة أي لا خير فيه (قوله لكن الرسول) استدراك على ما قد يتوهم أن كسل هؤلاء جر غيرهم (قوله الخيرات في الدنيا والآخرة) أي بالنصر والفضيلة والجنة والكرامة (قوله أعد الله لهم) أي هيا وأحضر ويؤخذ من ذلك أن الجنة موجودة الآن

(قوله ذلك) أى الجنة المستفادة من قوله أعد الله لهم جنات (قوله وجاء المنرون) أى الطالبون قبول المنر وهذا شروع في ذكر أحوال منافق الأعراب بعد بيان أحوال منافق المدينة (قوله بادغام التاء في الأصل) أى وأصله المعتذرون أبدلت التاء ذالا وأدغمت في الدال ، وقيل إنه لأصل له بل هو جمع معذر بالتشديد بمعنى متكلف العذر كذبا وليس بمعذور (قوله من الأعراب) أى سكان البوادي الناطقون بالعربية والعربي من نطق بالعربية مطلقا سكن البوادي أم لا فهو أعم من الأعراب (قوله وقعد الدين كذبوا الله ورسوله) أى فهم فريقان فريق جاء واعتذر لرسول الله صلى الله عليه وسلم كذبا وهم أسد وغطفان اعتذروا بالجهد وكثرة العيال وفريق لم يأت أصلا وكذبوا بالتخفيف باتفاق السبعة وقرئ شذوذا بالتشديد (قوله الدين كفروا) أى استمروا عليه وآتى بمن إشارة إلى أن بعضهم أسلم وهو كذلك (قوله عذاب أليم) أى في الدنيا بالقتل والأسر والآخرة بالخلود في النار (قوله ليس على الضمفاء) هذا تخصيص لقوله فيما تقدم انفروا خفافا وثقالا والضمفاء جمع ضيف وهو ضعيف البنية النحيف (قوله كالشيوخ) أى والنساء والصبيان (قوله والزنى) من الزمانة وهى العجز والابتلاء (قوله ولا على الدين لا يجدون ما ينفقون) أى لفقرهم وعجزهم كجهينة ومزينة وبنى عذرة (قوله حرج) اسم ليس حذف من الأولين لدلالة الثالث عليه (قوله إذا نصحو) شرط (١٥٣) فى قوله حرج ، والمعنى ليس على هؤلاء حرج وقت نصحهم لله ورسوله

(قوله بعدم الارجاف) أى إثارة الفتن (قوله والتثبيط) أى تكسيل من أراد الخروج (قوله والطاعة) معطوف على عدم الارجاف ، والمعنى ان نصحهم كائن بالطاعة لله ورسوله بأن يخلصوا الايمان ويسعوا في إصلاح الخير إلى المجاهدين ويقوموا بمصالح بيوتهم وبعدم إثارة الفتن وبعدم تكسيل غيرهم بل لينشطوا ويرغبوا في

ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ . وَجَاءَ الْمُعَذَّرُونَ) بادغام التاء في الأصل فى الدال أى المعتذرون بمعنى المعذورين وقرئ به (مِنَ الْأَعْرَابِ) إلى النبي صلى الله عليه وسلم (لِيُؤْذَنَ لَهُمْ) فى القعود لمذرم فأذن لهم (وَقَعَدَ الَّذِينَ كَذَبُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ) فى ادعاء الايمان من منافق الأعراب عن المجيء للاعتذار (سَيُصِيبُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ . لَيْسَ عَلَى الضُّعَفَاءِ) كالشيوخ (وَلَا عَلَى الْمَرْضَى) كالعمى والزمنى (وَلَا عَلَى الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ مَا يَنْفِقُونَ) فى الجهاد (حَرْجٌ) إثم فى التخلف عنه (إِذَا نَصَحُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ) فى حال قعودهم بعدم الارجاف والتثبيط والطاعة (مَا عَلَى الْمُحْسِنِينَ) بذلك (مِنْ سَبِيلٍ) طريق بالمواخضة (وَاللَّهُ غَفُورٌ) لهم (رَحِيمٌ) بهم فى التوسعة فى ذلك (وَلَا عَلَى الَّذِينَ إِذَا مَا أَتَوْكَ لِتَحْمِلَهُمْ) معك إلى التزو وم سبعة من الأنصار وقيل بنو مقرن (قُلْتَ لَا أَجِدُ مَا أُحْمِلُكُمْ عَلَيْهِ) حال (تَوَلَّوْا) جواب إذا أى انصرفوا (وَأَعْيَيْنُهُمْ تَقِيضُ) نسيلا (مِنْ) للبيان (الدَّمْعُ حَزَنًا) لأجل (أَلَّا يَجِدُوا مَا يَنْفِقُونَ) فى الجهاد

(إنما)

الجهاد ، وينها من أراد التخلف (قوله ما على المحسنين من سبيل) إنما أظهر فى مقام الاضمار إشارة

إلى انتظامهم بنصحهم فى سلك المحسنين ومن زائدة للتأكيد والجار والمجرور خبر مقدم ومن سبيل مبتدأ مؤخر ويصح أن يكون فاعلا بالجار والمجرور لاعتداده على التقي (قوله ولا على الدين) أى ليس عليهم سبيل (قوله إذا ما أتوك) ما إذا وقعت بعد إذا تكون صلة (قوله إلى التزو) أى وهى غزوة تبوك (قوله وهم سبعة من الأنصار) أى ويقال لهم البكاءون فعمل العباسي منهم اثنين وعثمان ثلاثة زيادة على الجيش الذى جهزه وحمل يامين بن عمرو النضرى اثنين (قوله وقيل بنو مقرن) أى وكانوا ثلاثة إخوة معقل وسويد والنعمان وقيل هم أصحاب أبى موسى الأشعرى وقد كان حلف أن لا يحملهم ثم أتى له صلى الله عليه وسلم بابل من السبي فأرسلها لهم ليحملوا عليها فقالوا لا نركب حتى نسال رسول الله فانه قد حلف أن لا يحملنا فلعله نسى العيين فجاءوه فقال ما معناه لا أرى خيرا مما حلفت عليه إلا فعلته ، ومثل هذه العيين لا تكفر عند مالك لوجود بساط العيين حين الحلف فكان بينه مقيدة بعدم وجود ما يحملهم عليه وتكفر عند الشافى (قوله قلت لأجد) أى ليس عندى ما يحملون عليه وفى هذا التعبير مزيد لطف بهم (قوله حال) أى من الكاف فى أتوك ويصح أن تكون هى الجواب وجهة تولوا مستأنفة واقعة فى جواب سؤال مقدر تقديره فماذا حصل لهم (قوله وأعينهم) الجملة حالية من فاعل تولوا (قوله للبيان) أى لجنس القاض (قوله ألا يجدوا ما ينفقون) أشار الفسر إلى أنه مفعول لأجله والهامل فيه حزنا الواقع مفعولا له أو حالا

(قوله إنما السبيل) أى طريق العقاب (قوله وهم أغنياء) الجملة حالية من فاعل يستأذنونك (قوله رضا بأن يكذّبوا مع الخوائف) إما مستأنف أو حال وقد مقدرة (قوله تقدم مثله) أى فذكره هنا للتأكيد وعبر هنا بالعلم وهناك بالفقه إشارة إلى أن معناها واحد إذ الفقه هو العلم والعلم هو الفقه (قوله يعتذرون) أى المتخلفون بالباطل والأكاذيب استئناف لبيان اعتذارهم عند العود إليهم روى أنهم كانوا بضعة وثمانين رجلا فلما رجع رسول الله صلى الله عليه وسلم جاءوا يعتذرون إليه وإلى أصحابه بالباطل (قوله قل لا تعتذروا) أى جوابا لهم (قوله لن تؤمن لكم) تعليل للنهي وقوله قد نبأنا الله علة لعله (قوله وسيرى الله حملكم) أى السبي ومفعول يرى الثانى محذوف تقديره مستمرا والمعنى سيظهر تعلق علمه بأعمالكم لعباده (قوله أى الله) أشار بذلك إلى أنه يظهر في موضع الاضمار زيادة في التشديد عليهم (قوله بما كنتم تعملون) أى بعملكم أو بالذي كنتم تعملونه (قوله سيعلمون بالله) تأكيد لعذرهم بالكذب (قوله إنهم) (١٥٣) معذرون في التحلف) هذا هو

المحلف عليه (قوله فأعرضوا عنهم) أى غير راضين بفعلهم (قوله إنهم رجس) علة لقوله فأعرضوا عنهم (قوله فإن رضوا عنهم) شرط حذف جوابه لدلالة قوله فإن الله لا يرضى الخ . أشاره المفسر بقوله ولا ينفع رضاكم الخ (قوله أى عنهم) أشار بذلك إلى أن المقام للاضمار وإنما أظهر زيادة في التفتيح والتقييد عليهم بحيث وصفهم بالخروج عن الطاعة (قوله الأعراب) أى جنسهم وهو اسم جمع لاجمع عرب لثلاثي يلزم عليه كون الجمع أخص من مفردة فإن الأعراب سكان البوادي والعرب المتكلمون باللغة

(إِنَّمَا السَّبِيلُ عَلَى الَّذِينَ يَسْتَأْذِنُونَكَ) في التحلف (وَهُمْ أَغْنِيَاءُ رَضُوا بِأَنْ يَكُونُوا مَعَ الْخَوَافِ وَطَبَعَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ) تقدم مثله (يَعْتَذِرُونَ إِلَيْكُمْ) في التحلف (إِذَا رَجَعْتُمْ إِلَيْهِمْ) من الغزو (قُلْ) لهم (لَا تَعْتَذِرُوا لَنْ تُؤْمِنَ لَكُمْ) نصدقكم (قَدْ نَبَأْنَا اللَّهُ مِنْ أَخْبَارِكُمْ) أى أخبرنا بأحوالكم (وَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ ثُمَّ تُرَدُّونَ) بالبعث (إِلَى عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ) أى الله (فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ) فيجازيكم عليه (سَيَخْلِفُونَ بِاللَّهِ لَكُمْ إِذَا انْقَلَبْتُمْ) رجعتم (إِلَيْهِمْ) من توك وأنها معذرون في التحلف (لَتَرْضَوْا عَنْهُمْ) بترك المماينة (فَأَعْرَضُوا عَنْهُمْ) رخص (فَدَخَلَتْ بَاطِنُهُمْ) وَمَا وَاهُمْ جَهَنَّمَ جَزَاءَ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ . يَخْلِفُونَ لَكُمْ لَتَرْضَوْا عَنْهُمْ فَإِنْ تَرْضَوْا عَنْهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَرْضَى عَنِ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ) أى عنهم ولا ينفع رضاكم مع سخط الله (الْأَعْرَابُ) أهل البدو (أَشَدَّ كُفْرًا وَنِفَاقًا) من أهل المدن لجفائهم وغلظ طباعهم وبعدهم عن سماع القرآن (وَأَجْدَرُ) أولى (أَنْ) أى بأن (لَا يَعْلَمُوا حُدُودَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ) من الأحكام والشرائع (وَاللَّهُ عَلِيمٌ) بخلقه (حَكِيمٌ) في صنعه بهم (وَمِنَ الْأَعْرَابِ مَنْ يَتَّخِذُ مَا يَنْفِقُ) في سبيل الله (مَغْرَمًا) غرامة وخسرانا لأنه لا يرجو ثوابه بل ينفقه خوفا وهم بنو أسد وغطفان (وَيَتَرَبَّصُّ) ينتظر (بِكُمْ الدَّوَائِرَ) دوائر الزمان أن تنقلب عليكم فيتخلصوا (عَلَيْهِمْ دَائِرَةُ السُّوءِ) بالضم والفتح أى يدور العذاب والمهلك عليهم لاعليكم (وَاللَّهُ سَمِيعٌ) لأقوال عباده (عَلِيمٌ) بأفعالهم (وَمِنَ الْأَعْرَابِ مَنْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ) كجهيته ومزينة (وَيَتَّخِذُ مَا يَنْفِقُ) في سبيل الله ،

العربية سكنوا البوادي أم لا (قوله لجفائهم) علة لقوله أشد كفرا ونفاقا (قوله من الأحكام والشرائع) بيان للحدود (قوله لأنه لا يرجو ثوابه) أى لعدم إيمانه بالآخرة وهو تعليل للاتخاذ المذكور (قوله ويتربص) عطف على يتخذ (قوله الدوائر) جمع دائرة وهي ما يحيط بالإنسان من المصائب (قوله فيتخلصوا) أى من الانفاق (قوله بالضم والفتح) أى فهما قراءتان سبعيتان وهذا دعاء عليهم بنظير ما أرادوه للمسلمين (قوله ومن الأعراب الخ) اعلم أن الأعراب أقسام منهم المنافقون ، وقد تقدم ذكرهم في قوله ومن الأعراب من يتخذ ما ينفق مغرما ومنهم مؤمنون وقد ذكروا هنا (قوله كجهيته ومزينة) أى وكفار وأسلم قبائل عظام (قوله ويتخذ) فعل مضارع ينصب مفعولين الأول الاسم الموصول والثاني قربات على حذف مضاف أى سبب قربات وقوله عند الله ظرف متعلق بمحذوف صفة لقربات وقوله وصلوات الرسول معطوف على قربات : أى وسبب صلوات الرسول .

(قوله قربات) بضم الراء باتخاذ السبعة جمع قربة بضم الراء وسكونها ضلّي الضمّ الأمر ظاهر وعلى السكون فضمّ راء الجمع للاتباع لضمّ قانه أوجما لمضموم الراء وقد قرئ بهما في السبع ، ومعنى كونها قربات أنها تقرب العبد لرضا الله عليه وليس معناه أن الله في مكان وتلك النفقة تقربه من ذلك المكان فانه مستحيل تعالى الله عنه (قوله وصلوات الرسول) أى دعواته لأنه الواسطة العظمى في كل نعمة فتجب ملاحظته في كل عمل لله لأن الله تعيدنا بالتوسل به . قال تعالى - قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله - فمن زعم أنه يصل إلى رضا الله بدون اتخاذه صلى الله عليه وسلم واسطة ووسيلة بينه وبين الله تعالى ضلّ سعيه وخاب رأيه . قال العارف بن مشيش : ولا شيء إلا هو به منوط إذ نولا الواسطة لذهب كاقيل الموسط ، وقال بعضهم وأنت باب الله أى امرئ أقامه من غيرك لا يدخل

فهو باب الله الأعظم وصره الأعم والوصول إليه وصول إلى الله لأن الحضرتين واحدة ومن فرق لم يذق للعرفة طعما (قوله ألا إنها) الأداة استفتاح يؤق بها لأجل الاعتناء بما بعدها (قوله قربة) أى تقربهم لرضا ربهم حيث أنفقوها غناصين فيها متوسلين بذلك إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم (قوله جنته) أشار بذلك إلى أن المراد بالرحمة الجنة من إطلاق الحال وإرادة المثل لأن الجنة محل للرحمة (قوله والسابقون) مبتدأ والأولون صفته ، وقوله من المهاجرين والأنصار حال والذين اتبعوهم معطوف على السابقون والخبر قوله رضى (١٥٤) الله عنهم الخ (قوله والأنصار) أى وهم الأوس والخزرج (قوله وهم من

شهد بدرا) أى لأنهم أفضل الناس بعد الأنبياء والمرسلين وعليه تكون من التبعية (قوله أو جميع الصحابة) أى فتكون من بيانية ، وقيل للراد بهم أهل بيعة الرضوان وكنانوا ألفا وخمسمائة ، وقيل المراد بهم أهل أحد ، وقيل كل من دخل الإسلام قبل الفتح لقوله تعالى

(قُرْبَاتٍ) تقربه (عِنْدَ اللَّهِ وَ) وسيلة إلى (صَلَوَاتٍ) دعوات (الرَّسُولِ) له (أَلَا إِنَّهَا) أى فقتهم (قُرْبَةً) بضم الراء وسكونها (لَهُمْ) عنده (مَسْجِدٌ لَهُمُ اللَّهُ فِي رَحْمَتِهِ) جنته (إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ) لأهل طاعته (رَحِيمٌ) بهم (وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ) وهم من شهد بدرا أو جميع الصحابة (وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ) إلى يوم القيامة (بِإِحْسَانٍ) في العمل (رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ) بطاعته (وَرَضُوا عَنْهُ) بشوابه (وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ) وفي قراءة بزيادة من (خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ) . وَمِنْ حَوْلَكُمْ) يأهل المدينة (مِنَ الْأَعْرَابِ مُنَاقِقُونَ) كاسلم وأشجع وغفار (وَمِنَ أَهْلِ الْمَدِينَةِ) مناققون أيضا (مَرَدُّوا عَلَى النَّفَاقِ) لجوا فيه واستمروا (لَا تَعْلَمُهُمْ) خطاب للنبي صلى الله عليه وسلم (نَحْنُ نَعْلَمُهُمْ سَنُعَذِّبُهُمْ مَرَّتَيْنِ) بالفضيحة أو القتل في الدنيا ،

- لا يستوى منكم من أنفق من قبل الفتح وقاتل أولئك أعظم درجة من الذين أنفقوا وعذاب

من بعد وقاتلوا وكلا وعد الله الحسنى - (قوله إلى يوم القيامة) أى يشمل صلحاء كل زمان (قوله رضى الله عنهم) أى قبل أعمالهم وأثابهم عليها وأعطاهم مالم يعط أحدا من خلقه (قوله ورضوا عنه) أى قبلوا ما أعطاهم الله لما في الحديث « ما لنا لا نرضى وقد أعطيتنا مالم تعط أحدا من خلقك ؟ فيقول أنا أعطيتكم أفضل من ذلك ، فيقولون وأى شيء أفضل من هذا ؟ فيقول أهل عليكم رضوانى فلا أسخط بعده أبدا » (قوله وفي قراءة بزيادة من) أى وهى سبعة لابن كثير ومعلوم أنه يقرأ بالصلة فمن قرأ بقراءته وصل اتبعوهم وعندهم ولهم بأن يشبع ضمة اليم في الجميع (قوله ذلك) أى ما تقدم من الرضا والجنان (قوله الفوز العظيم) أى الظفر بالمقصود الذى لا يضاهى (قوله ومن حولكم) خبر مقدم ومناققون مبتدأ مؤخر ومن الأعراب بيان لمن ومن أهل المدينة خبر ممتد والبتدأ محذوف تقديره مناققون أيضا وجلة مردوا على النفاق صفة لذلك المحذوف فيكون من عطف الجمل أو خبر بعد خبر توسط بينهما المبتدأ ويكون من عطف المفردات (قوله كاسلم الخ) أى بعض هذه القبائل فلا ينافى ما تقدم من مدحهم في قوله ومن الأعراب من يتخذ ما ينفق قربات (قوله مردوا على النفاق) أى تمرنوا عليه ولم يتوبوا منه (قوله لا تعلمهم) إن قلت كيف نفي علمه بحال المنافقين هنا وأجبت في قوله ولتعرفتهم في لحن القول ، فالجواب أن آية النفي نزلت قبل آية الاثبات (قوله بالفضيحة أو القتل) أشار بذلك الى أنه اختلف في المرة الأولى ولكن القول الأول هو الصحيح لأن أحكام الاسلام في الظاهر جارية على المنافقين فلم يقتلوا ولم يؤسروا والفضيحة باخراجهم من المسجد لما في الحديث عن ابن مسعود « خطبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فحمد الله وأثنى عليه ثم قال :

إن منك منافقين فمن سمعهم فليعلم ثم قال قم يا فلان فانتك منافق حتى سمى ستة وثلاثين (قوله وعذاب القبر) هذه هي المرة الثانية ، وستأتي الثالثة في قوله ثم يردون إلى عذاب عظيم فقد صار عذاب المنافقين ثلاث مرات (قوله وآخرون) حاصله أن من تخلف عن نبوك ثلاثة أقسام : قسم منافقون استمروا على النفاق وقد تقدم ذكرهم في قوله وعن حولكم من الأعراب إلى قوله عظيم ، وقسم تائبون اعترفوا بذنوبهم وبادروا بالعذر لرسول الله وقد ذكرهم في قوله - وآخرون اعترفوا - إلى قوله فينبئكم بما كنتم تعملون - وقسم لم يبادروا بالعذر وقد ذكرهم الله بقوله - وآخرون مرجون - إلى قوله - حكيم - (قوله اعترفوا بذنوبهم) أي أقروا بذنوبهم لربهم وتابوا منها ، وليس المراد اعترفوا للناس وهتكوا أنفسهم فإن ذلك أمر لا يجوز (قوله وهو جهادهم قبل ذلك) أي قبل هذا التخلف (قوله وآخر سيناً) الواو بمعنى الباء ، والمعنى أنهم جمعوا بين العمل الصالح والعمل السيئ (قوله وهو تخلفهم) أي من غير عذر واضح (قوله عسى الله أن يتوب عليهم) أي يقبل توبتهم والترجي في القرآن بمنزلة التحقيق لأن عسى ونحوها تفيد الاطماع ومن أطمع إنساناً في شيء ثم حرمه منه كان عاراعليه والله أكرم من أن يطمع أحداً في شيء ثم لا يعطيه إياه لأنه وعد وهو لا يتخلف وهذه الجملة مستأنفة ويصح أن تكون خبراً وجملة خلطوا جالية وقد مقترنة (قوله نزلت في أبي لبابة) وهو رفاعه بن عبد المنذر كان من أهل الصفة ربط نفسه ثقي عشرية لیسلة في سلسلة ثقيلة وكانت له ابنة تحمل للصلاة وقضاء الحاجة ، وتقدم في سورة الأنفال أنه أوثق نفسه مرة أخرى بسبب قريظة حتى نزلت توبته (قوله وجماعة) قيل عشرة ، وقيل ثمانية ، وقيل خمسة ، وقيل ثلاثة وقد كانوا (١٥٥) تخافوا عن نبوك ثم ندموا

بعد ذلك فلما قدم رسول الله من المدينة حلفوا ليربطن أنفسهم بالسواري ولا يطلقونها حتى يكون رسول الله هو الذي يطلقها ففعلوا فلما رجع رسول الله رآهم ، فقال من هؤلاء فقيل له هؤلاء تخلفوا عنك فعاهدوا الله أن لا يطلقوا أنفسهم حتى تطلقهم أنت وترضى عنهم

وعذاب القبر (ثُمَّ يَرُدُّونَ) فِي الْآخِرَةِ (إِلَى عَذَابٍ عَظِيمٍ) هُوَ النَّارُ (وَ) قَوْمٌ (آخَرُونَ) مَبْتَدَأُ (اعْتَرَفُوا بِذُنُوبِهِمْ) مِنَ التَّخَلُّفِ نَعْتُهُ وَالْخَبَرُ (خَلَطُوا عَمَلًا صَالِحًا) وَهُوَ جِهَادُهُمْ قَبْلَ ذَلِكَ أَوْ اعْتَرَفَهُمْ بِذُنُوبِهِمْ أَوْ غَيْرَ ذَلِكَ (وَآخَرٌ سَيْنًا) وَهُوَ تَخَلُّفُهُمْ (عَسَى اللَّهُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ إِنْ اللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ) نَزَلَتْ فِي أَبِي لَبَابَةَ وَجَمَاعَةٍ أَوْ تَقَوَّاءَ أَنْفُسِهِمْ فِي سَوَارِي الْمَسْجِدِ لَمَّا بَلَغَهُمْ مَا نَزَلَ فِي التَّخَلُّفِ وَحَلَفُوا لَا يَحْلَهُمْ إِلَّا النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَحَلَمَهُمْ لَمَّا نَزَلَتْ (خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا) مِنْ ذُنُوبِهِمْ فَأَخَذَ ثَلَاثَ أَمْوَالِهِمْ وَتَصَدَّقَ بِهَا (وَصَلَّ عَلَيْهِمْ) أَيْ ادْعَ لَهُمْ (إِنْ صَلَّوْا عَلَيْكَ سَكُنْ) رَحْمَةً (لَهُمْ) وَقِيلَ طَمَئِنَّةٌ بِقَبُولِ تَوْبَتِهِمْ (وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ)

فقال وأنا أقسم بالله لا أطلقهم ولا أعذرهم حتى أؤمر بإطلاقهم فنزلت هذه الآية فعذرهم وأطلقهم (قوله ما نزل في التخلفين) أي من الوعيد الشديد حيث قال الله فيهم : فرح المخلفون بمقدمهم خلاف رسول الله الآية (قوله حلهم لما نزلت) أي آية وآخرون اعترفوا بذنوبهم (قوله خذ من أموالهم) من للتبعض والجار والمجرور حال من صدقة ووجد المسوغ وهو وصفها بقوله تطهرهم وتزكئهم بها ، والمعنى خذ بعض الأموال التي خرجوا عنها لله ورسوله ، وذلك أنه لما نزلت فيهم الآية وحلهم رسول الله آتوا وقالوا هذه أموالنا التي خلفتنا عنك خذها تصدق بها وطهرنا واستغفر لنا فقال ما أموت أن آخذ من أموالكم شيئاً فنزلت - خذ من أموالهم - الآية (قوله تطهرهم وتزكئهم) الأقرب أن التاء للخطاب وحذف قوله بها من الأول لدلالة الثاني عليه ، والمعنى خذ يا محمد بعض أموالهم صدقة حال كونك مطهرهم بها ومزكئهم بها ومعنى تزكئهم تهيئهم وتزيدهم بسبب أخذها خيراً (قوله فأخذ ثلث أموالهم) أي كفاية لذنوبهم ، ويؤخذ من ذلك أن من قال مالي صدقة في سبيل الله أولئك فقراء يكفيه ثلثه وهو مذنب مالك وهموم الآية يشمل الصدقة الواجبة والندوبة (قوله إن صلواتك) بالجمع والافراد هنا وفي هود في قوله - أصواتك تأمرك - قراءتان سبعيتان والمعنى دعواتك رحمتهم وطمأنينة وهذا في حياة رسول الله ، وأما بعد وفاته فدعاء الخليفة يقوم مقام دعاء النبي وأيضاً الأعمال تعرض عليه صباحاً ومساءً فإن رأى خيراً حمد الله وإن رأى غير ذلك استغفر لنا كما ورد في الحديث « حياتي خير لكم وعماتي خير لكم تعرض على أعمالكم في الصباح وفي المساء فإن وجدت خيراً حمدت الله وإن وجدت سوءاً استغفرت لكم » فخطب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في حياته وبعد موته ولا عبرة بمن ضل وزاغ عن الحق وتخلف في ذلك (قوله والله مبيع عليم) أي

بِالْأَقْوَالِ وَالْأَفْعَالِ (قوله ألم يعلموا) أى التائبون (قوله أن الله هو يقبل التوبة) هو مبتدأ وجملة يقبل خبره والجملة خبر أن وجملة أن واسمها وخبرها سلت مستد مفعولى يعلم أو مفعولها (قوله عن عباده) متعلق يقبل وعن بمعنى من ويجوز أن تكون باقية على معناها للجائزة ، والمعنى يتجاوز عن عباده بقبول توبتهم (قوله ويأخذ الصدقات) أى يثيب صاحبها عليها وعبر عن القبول بالأخذ ترغيباً لهم فى بذل الأموال (قوله والاستغفار للتقير) أى وهو حمل المخاطب على الإقرار بالحكم (قوله تهيجهم) أى حثهم وترغيبهم (قوله لهم أول الناس) تفسيران فى الآية (قوله اعملوا ما شئتم) فى ذلك وعد عظيم للطائعين ووعيد للعاصين ، والمعنى اعملوا أيها التائبون أو أيها الناس عموماً ما شئتم من خير فيجازيكم عليه بالثواب أو شر فيجازيكم عليه بالعقاب أو يعفو الله عنكم (قوله فسرى الله عملكم) أى يحصيه ويحازيكم عليه فلاستقبال بالنظر للجزاء (قوله ورسوله) أى لأن الأعمال تعرض عليه (قوله وللمؤمنون) أى فيكون ذلك الجزاء إما فرحاً وسروراً بين أهل الموقف أو حزناً وسوءاً بينهم (قوله فينبئكم بما كنتم تعملون) أى فيحاسبكم على جميع ما قدمتموه (قوله بالهمز) أى للضموم وتركه : أى مع تكون الواو قراءتان سبعيتان (قوله عن التوبة) أى عن قبولها وإلا فقد وقعت منهم التوبة غير أنهم لم يعتذروا للنبي صريحاً وإنما ندموا وحزنوا وصمموا على التوبة سرا (قوله إما يعذبهم) (١٥٦) إما للابهام بالنسبة للمخاطبين ، والمعنى أن الله أنبهم على المخاطبين أمرهم (قوله وإما

يؤوب عليهم) أى يقبل توبتهم (قوله حكيم فى صنعه) أى لا يسأل عما يفعل فلا يعترض على أحكامه سبحانه وتعالى (قوله وهم الثلاثة) أى وكانوا من أهل المدينة (قوله مرارة) بضم الميم (قوله إلى الدعة) أى الراحة والكسل (قوله ولم يعتذروا) أى لشدة ما نزل بهم من الحزن والأسف على ما فرطوا (قوله فوقف أمرهم حسين) لبللة أى فى نظير مدة

ألم يعلموا أن الله هو يقبل التوبة عن عباده ويأخذ (الصدقات وأن الله هو التواب) على عباده بقبول توبتهم (الرحيم) بهم والاستغفار للتقير والقصد به تهيجهم إلى التوبة والصدقة (وقل) لهم أول الناس (أعملوا) ما شئتم (فسرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون وسرّدون) بالبعث (إلى عالم الغيب والشهادة) أى الله (فينبئكم بما كنتم تعملون) فيجازيكم به (وآخرون) من المتخلفين (مرجون) بالهمز وتركه مؤخرون عن التوبة (لأمر الله) فيهم بما يشاء (إما بعدد بهم) بأن يميتهم بلا توبة (وإما يتوب عليهم) والله عليم (بحلقه حكيم) فى صنعه بهم وهم الثلاثة الآتون بعد : مرارة بن الربيع وكعب بن مالك وهلال بن أمية تخلفوا كسلاً وميلاً إلى الدعة لانفاقاً ولم يعتذروا إلى النبي صلى الله عليه وسلم كفبرهم فوقف أمرهم خمسين ليلة وهجرهم الناس حتى نزلت توبتهم بعد (و) منهم (الذين اتخذوا مسجداً) وهم اثنا عشر من المنافقين (ضراراً) مضارة لأهل مسجد قباء (وكفراً) لأنهم بنوه بأمر أبى عامر الراهب ليكون معقلاً له يقدم فيه من يأتى من عنده وكان ذهب لياتى بجنود من قيصر مثال النبي صلى الله عليه وسلم ،

(وتفريقاً)

التخلف لأنها كانت خمسين ليلة ، فلما تمتعوا بالراحة فيها مع تعب غيرهم فى السفر

عوقبوا بهجرهم تلك المدة (قوله والذين اتخذوا) بالواو ودونها قراءتان سبعيتان والأحسن إعراب الاسم الموصول مبتدأ وعلى كل خبره محذوف قدره المفسر بقوله منهم والواو إما للعطف على الجمل المتقدمة كقوله تعالى - ومنهم من يلحزك فى الصدقات ، ومنهم الذين يؤذون النبي ، ومنهم من عاهد الله - عطف قصة على قصة أول الاستئناف (قوله ضراراً) إمّا مفعول لأجله أو مفعول ثان لاتخذوا (قوله لأهل مسجد قباء) أشار بذلك إلى أن متعلق الضرار محذوف (قوله بأمر أبى عامر الراهب) أى وهو ولد حنظلة غسيل الملائكة (قوله معقلاً له) أى ملجأ (قوله وكان ذهب إلخ) حاصل ذلك أن أباعمر قد تهرب فى الجاهلية ولبس المسوح وتنصر ، فلما قدم النبي صلى الله عليه وسلم المدينة ، قال له أبو عامر ما هذا الدين الذى جئت به ؟ قال النبي صلى الله عليه وسلم جئت بالحنيفية دين إبراهيم . قال أبو عامر فأنا عليها قال له النبي إنك لست عليها . قال أبو عامر بلى ولكنك أدخلت فى الحنيفية ما ليس منها فقال النبي صلى الله عليه وسلم مافعلت ولكن جئت بها بياء نقية . قال أبو عامر أمانت الله الكاذب منا طريداً غريباً وحيداً فقال النبي صلى الله عليه وسلم آمين وسماه أباعمر الفاسق فلما كان يوم أحد قال أبو عامر الفاسق للنبي لأجد قوماً يقاتلونك إلا قاتلتك معهم فلم يزل كذلك إلى يوم حنين فلما انهزم فيها هارباً إلى الشام فأرسل إلى المنافقين أن أعدوا

ما استطعتم من قوة وإبنوا لى مسجدا فأتى قيصراً ملك الروم فأتى بجند من الروم فأخرج محمداً وأصحابه فبينوا مسجد الضرار إلى جنب مسجد قباء فلما فرغوا من بنائه أتوا رسول الله وهو يتجهز إلى تبوك ، فقالوا يا رسول الله إنا قد بينا مسجداً لدى العلة والحاجة واليلة للطيرة وإنا نحب أن تأتينا وتصلى لنا فيه وتدعو بالبركة ، فقال رسول الله إني على جناح سفر ولو قدما إن شاء الله أتيناكم فصلينا فيه ، فلما انصرف صلى الله عليه وسلم من تبوك راجعاً نزل بذي أوان وهو موضع قريب من المدينة فأتاه المناقون وسألوه أن يأتي مسجدهم فدعا بقميصه ليلبسه ويأتيهم فنزلت هذه الآية وأخبره جبريل خبر مسجد الضرار وما هموا به فدعا رسول الله مالك بن الدخشم ومن بن عدى وعامر بن السكن ووحشياً فقال لهم انطلقوا إلى هذا المسجد الظالم أهلها فاهدموه وحرقوه فخرجوا مسرعين حتى أتوا بني سالم بن عوف وهم رهط مالك بن الدخشم ، فقال مالك أنظرونى حتى أخرج إليكم بنار فدخل على أهلها فأخذ من سفن النخل فأوقده ثم خرجوا يشتدون حتى دخلوا المسجد وفيه أهل فأحرقوه وهدموا وتفرق أهلها وأمر رسول الله أن يتخذ ذلك الموضع كناسة تلقى فيه الجيف والقمامة ومات أبو عامر بالشام طريداً وحيداً غريباً (قوله) (١٥٧) (إلا الحسنى) صفة لموصوف

عذوف قدره المفسر بقوله
الفعلة (قوله يهدى)
أى يعلم (قوله فى ذلك)
أى الحلف (قوله وكانوا
سألوا النبى الخ) أى
بعد فراغهم من بنائه
وكان متجهزاً لفسوة
تبوك فوعدهم بذلك
حين يقدم (قوله لمسجد)
اللام للابتداء ومسجد
مبتدأ وأسس نفقه
وأحق خبره (قوله
يوم حلت بدار الهجرة)
أى وهو يوم الاثنين
فأقام فيه الاثنين والثلاثاء
والأربعاء والخميس وخرج
صبيحة الجمعة فدخل

(وَتَقَرِّبًا بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ) الذين يصأون بقاء بصلاة بعضهم فى مسجدهم (وَأَرْصَادًا) ترقباً
(لِمَنْ حَارَبَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ مِنْ قَبْلُ) أى قبل بنائه وهو أبو عامر المذكور (وَلِيَخْلِفُنَّ إِنْ)
ما (أَرَدْنَا) بينائه (إِلَّا) الفعلة (الحسنى) من الرفق بالمسكين فى المطر والخريف والتوسعة على المسلمين
(وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ) فى ذلك ، وكانوا سألوا النبى صلى الله عليه وسلم أن يصلى فيه
فنزل (لَا تَقُمْ) تصل (فيه أبداً) فأرسل جماعة هدموه وحرقوه وجعلوا مكانه كناسة تلقى
فيها الجيف (لَتَسْجِدَ أُسُسٌ) بنيت قواعده (عَلَى التَّقْوَى مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ) وضع يوم حلت بدار
الهجرة وهو مسجد قباء كما فى البخارى (أَحَقُّ) منه (أَنْ) أى بأن (تَقُومَ) تصلى (فيه) ، فيه
(رِجَالٌ) هم الأنصار (يُحِبُّونَ أَنْ يَتَطَهَّرُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُطَهَّرِينَ) أى يشبههم وفيه إدغام التاء
فى الأصل فى الطاء . روى ابن خزيمة فى صحيحه عن عويم بن ساعدة «أنه صلى الله عليه وسلم
أتاهم فى مسجد قباء فقال إن الله تعالى قد أحسن عليكم الثناء فى الطهور فى قصة مسجدكم فما
هذا الطهور الذى تطهرون به قالوا والله يا رسول الله ما نعلم شيئاً إلا أنه كان لنا جيران من اليهود
وكانوا يفسلون أديارهم من الغائط ففسلنا كما غسلوا . وفى حديث رواه البزار فقالوا : تتبع الحجارة
بالماء فقال هو ذاك فعليكوه»

المدينة وقيل صلى به الجمعة وهى أول جمعة صلاها رسول الله صلى الله عليه وسلم وهذا على القول بأنه أقام بقاء أربعة أيام
وقيل أقام أربعة عشر وقيل اثنين وعشرين يوماً (قوله أحق أن تقوم فيه) اسم التفضيل ليس على بابه أو باعتبار زعم
المناقين أو باعتبار ذات المسجد فان الحبث فى نيتهم لافى ذات المسجد (قوله فيه رجال) هم بنو عامر بن عوف (قوله
يحبون أن يتطهروا) يحتمل أن المراد الطهارة المعنوية من الذنوب والقبائح وذلك موجب للثناء والمدح والقرب من الله ،
وقيل المراد الطهارة الحسية من النجاسات والأحداث وهو الأقرب لأن مزيتهم لقي مدحوا عليها مبالغة فى طهارة الظاهر
وأما طهارة الباطن فأمر مشترك بين المؤمنين ، وقيل المراد ما هو أعم فقد حازوا طهارة الظاهر والباطن (قوله وفيه إدغام
التاء الخ) أى أصله المتطهرين أبدلت التاء طاء وأدغمت فى الطاء (قوله فى الطهور) بضم الطاء فى هذا وفيما يأتى لأن
المراد به العمل (قوله ففسلنا كما غسلوا) أى بعد المسح بالأحجار بدليل الرواية الثانية (قوله تتبع الحجارة بالماء)
أى وهذا هو لا كمن فى الاستنجاء فان لم يوجد حجر فالمدى يقوم مقامه وإلا فالماء فقط أو الحجر فقط أو المدر فقط (قوله
فعليكوه) أى الزمونه .

(قوله أفمن أسس بنيانه على تقوى الخ) في الكلام استعارة مكنية حيث شبهت التقوى والرضوان بأرض صلبة يبنى عليه البنيان وطوى ذكر التشبيه به ورمز له بشئ من لوازمه وهو التأسيس فإنياته تخييل والتأسيس كناية عن إحكام أمور الدين والأعمال الصالحة (قوله أم من أسس بنيانه) أي أحكم أمور دينه على ضلال وكفر ونفاق (قوله بضم الراء وسكونها) أي فهما قراءتان سبعيتان (قوله جاب) الأحسن ماقله غيره أن الراد به البحر التي لم تطو (قوله هار) إما أصله هاور أو هائر فقدمت اللام على العين فصار كقاض فأعراه بحركات مقدرة أو حذفت عينه تخفيفا بعد قلبها همزة فأعراه بحركات ظاهرة وإما أصله هور أو هير تحركت الواو أو الياء وانفتح ما قبلها قلبت ألفا مثل باب وأعراه بحركات ظاهرة كالتي قبله (قوله في نار جهنم) ورد أنهم رأوا الدخان حين حفروا أساسه (قوله خير) قدره إشارة إلى أن خبر من الثانية محذوف (قوله ريبة) أي سبب ريبة أو بولغ فيه حتى جعل نفس الريبة (قوله إلا أن تقطع قلوبهم) مستثنى من محذوف والتقدير لا يزال بنيانهم الذي بنوا ريبة في قلوبهم في كل وقت أو كل حال إلا وقت أو حال تقطيع قلوبهم وفيها قراءتان سبعيتان الأولى بفتح التاء وتشديد الطاء بحذف إحدى التائين وقلوبهم فاعل الثانية بضم التاء وقلوبهم نائب فاعل وقرئ شذوذا تقطع بالتخفيف وقرئ أيضا إلا أن تقطع بضم التاء وكسر الطاء الشدة وقلوبهم مفعول به والفاعل ضمير يعود على النبي (قوله حكيم في صنعه) أي يضع الأشياء في محلها ومنه جريان عادة الله (١٥٨) في كل حسود لأهل الدين والصالح أنه لا يزال الكذب به حتى يموت على

أسوأ الأحوال (قوله إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم الخ) لما ذكر قبائح المتخلفين لغير عذر وماقتهم من الخبر العظيم ذكر فضائل المجاهدين وما أعد لهم من الفوز الأكبر حيث عظم أنفسهم وأموالهم بأن جعل الجنة ثمنًا لهما ومن العلوم أن الثمن أغلى من الثمن وإشارة إلى أن الجنة خلقت لهم ولم يخلقوا

(أَقْنِ أَسْسَ بُنْيَانَهُ عَلَى تَقْوَى) مخافة (مِنْ اللَّهِ، وَ) رجاء (رِضْوَانٍ) منه (خَيْرٌ أَمْ مِنْ أَسْسَ بُنْيَانَهُ عَلَى شَفَا) طرف (جُرُفٍ) بضم الراء وسكونها جانب (هَارٍ) مشرف على السقوط (فَأَنْهَارَ بِهِ) سقط مع بانيه (فِي نَارِ جَهَنَّمَ) خير تمثيل للبناء على ضد التقوى بما يؤول إليه والاستفهام للتقرير، أى الأول خير وهو مثال مسجد قباء، والثانى مثال مسجد الضرار (وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ. لَا يَزَالُ بُنْيَانُهُمُ الَّذِي بَنَوْا رِيبَةً) شكاً (فِي قُلُوبِهِمْ إِلَّا أَنْ تَقَطَّعَ) تنفصل (قُلُوبُهُمْ) بأن يموتوا (وَاللَّهُ عَلِيمٌ).) بخلقه (حَكِيمٌ) فى صنعه بهم (إِنْ اللَّهُ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ) بأن يبذلوها فى طاعته كالجهاد (بِأَنْ لَهُمُ الْجَنَّةَ يُقَابِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ) جملة استئناف بيان للشراء وفى قراءة بتقديم المبنى للمفعول أى فيقتل بعضهم ويقال الباقي (وَعَدًّا عَلَيْهِ حَقًّا) مصدران منصوبان بفعلهما المحذوف (فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ وَالْقُرْآنِ، وَمَنْ أُوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ) ،

لأجلها (قوله يبذلوها في طاعته) أى يصرفوها في مرضاته (قوله بأن لهم الجنة) أى
لم يقل بالجنة إشارة إلى أن الجنة مختصة بهم وواصله إليهم كأنه قيل بالجنة الثابتة لهم ثم إن قوله اشترى من المؤمنين الخ كناية عن
التعويض عن بطل النفوس والأموال بالجنة والإحقيقه الشراء أخذ ما لا يملك بموضع وهذا مستحيل في حق الله تعالى بل معناه
أنابهم وقبلهم في نظير خدمتهم فشبهت الاثابة والقبول بالشراء واستعير اسم الشبه به للشبه واشتق من الشراء اشترى بمعنى أنابهم
وقبلهم وإنما عبر عنه بالشراء تالفاً ورفقا بهم (قوله بيان للشراء) الأوضح أن يقول بيان للبيع الذى يستلزمه الشراء (قوله
وفي قراءة) أى وهي سبعة أيضاً (قوله أى فيقتل بعضهم ويقا تل الباقي) أشار بذلك إلى أنه لا يتوقف الفضل على الجمع بين
الأمرين معا بل المدار على نية إعلاء كلمة الله حصلأ أو أحدهما أولا ولا (قوله بفعلهما المحذوف) أى والتقدير وعده وعدا وحقه
حقا (قوله فى لتوراة الخ) الجار والمجرور متعلق بمحذوف صفة لوعدا والمعنى وعدا مذكورا فى التوراة والانجيل والقرآن وخص
التوراة والانجيل بالذكور لاقامة الحجة على من عارض من اليهود والنصارى وحينئذ فلا ينافى أن هذا الوعد مذكور فى الكتب
السموية قال محمد بن كعب القرظى لما بايعت الأنصار رسول الله ليلة العقبة وكانوا سبعين رجلا قال عبد الله بن رواحة اشترط
لربك ولنفسك ما شئت قال اشترط لربى أن تعبدوه ولا تشركوا به شيئا واشترط لنفسى أن تمنعوني مما تمنعون منه أنفسكم
وأموالكم قال إذا فعلنا ذلك مالنا قال الجنة قالوا ربح البيع لا تقبل ولا نستقبل فنزلت هذه الآية بشارة لهم

(قوله أى لا أحد) أشار بذلك إلى أن الاستغفار انكارى بمعنى انى (قوله فاستغفروا) خطاب للمؤمنين لمزيد الاعتناء بهم والسين والتاء للتصيير أى صرتم لكم البشرى بذلك فى الدنيا والآخرة (قوله الثائبون الخ) هذه أوصاف تسعة للمؤمنين الصفة الأولى متعلقة بحقوق الله وحده والاثنتان بعدها متعلقان بحقوق الخلق والأخير عام (قوله بتقدير مبتدأ) أى هم الثائبون (قوله من الشرك والتفان) متعلق بالثائبون والتوبة شرطها التندم على ما وقع والعزم على عدم العود والاقلاع ورد للظالم إلى أهلها (قوله المخلصون العبادة لله) أى التهمكون فى طاعة الله سرا وجهرا (قوله الحامدون له على كل حال) أى فى السراء والضراء . قال عليه الصلاة والسلام «أول من يدهى إلى الجنة يوم القيامة الذين يحمدون الله على كل حال فى السراء والضراء» أى بأن يكون عن الله راضيا فى جميع الأحوال كالفقير والغنى والصحة والمرض وغير ذلك (قوله السامحون) من السباحة وهى فى الأصل الذهاب فى الأرض لعبادة منى الصائمون بذلك لأن من شأن السامح ترك الذات كلها من اللطم والضرب واللبس والنكح ولا شك أن الصائم كذلك والصيام عند العامة ترك شهوات البطن والفرج وعند الخاصة ترك ماسوى الله تعالى . قال العارف الجليل :

صيامى هو الامساك عن رؤية سوى وفطرى آنى نحو وجهك راجع

(قوله أى للصالحين) أشار بذلك إلى أنه أطلق الجزء وأراد الكل وخص (١٥٩) الركوع والسجود بالله كرم من

دون أركانها لأن بهما التقرب إلى الله تعالى لما فى الحديث «أقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد» والركوع إلى السجود فى التواضع والتذل (قوله والناهون عن المنكر) إنما عطف هذا بالواو على ما قبله لوجود المضادة بينهما لأن الأمر طاب الفعل والتبى طلب الترك (قوله والحافظون لحدود الله) هذا

أى لأحد أو فى منه (فاستغفروا) فيه الصفات من الغيبة (يَتَّبِعُكُمْ الَّذِي يَابِقُكُمْ بِهِ وَذَلِكَ) البيع (هُوَ الْقُوَّةُ الْعَظِيمُ) النزيل غاية المطلوب (الثَّائِبُونَ) رفع على المدح بتقدير مبتدأ من الشرك والتفان (الْعَابِدُونَ) المخلصون العبادة لله (الْحَامِدُونَ) له على كل حال (السَّامِحُونَ) الصائمون (الرَّاكِعُونَ السَّاجِدُونَ) أى الصالحون (الْآيُرُونَ بِالْعُزُوفِ وَالْقَاهُونَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَالْحَافِظُونَ لِحُدُودِ اللَّهِ) لأحكامه بالعمل بها (وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ) بالجنة . ونزل فى استغفاره صلى الله عليه وسلم لعمه أبى طالب واستغفار بعض الصحابة لأبويه المشركين (مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوا أُولَىٰ قُرْبَىٰ) ذوى قرابة (مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَفْحَابُ الْجَحِيمِ) النار بأن ماتوا على الكفر (وَمَا كَانَ اسْتِغْفَارُ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَنْ مَوْعِدَةٍ وَعَدَهَا إِيَّاهُ) بقوله : سأستغفر لك ربى رجاء أن يسلم (فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ ،

أعم الأوصاف المقدمة ولذا عطف بالواو وهذا معنى التقوى إذ هى امتثال الأمور واجتناب المنهيات ولذا حكى أن السرى السقطى سال ابن أخيه الجليل عن التقوى وهو صغير فقال له أن لا يراك حيث نهاك وأن لا يفقدك حيث أمرك فقال له أخاف أن يكون حظك من الله لك (قوله وبشر المؤمنين) اظهار فى مقام الاضمار اعتناء بهم وتشريفا لقدرهم وحذف المبشر به إشارة إلى أنه لا يدخل تحت حصر بل لهم مالا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر (قوله لعمه أبى طالب) أى لأنه صلى الله عليه وسلم قال لأبى طالب حين حضرته الوفاة : يا عم قل كلمة أحاج لك بها عند الله فأتى ، فقال النبى لا أزال أستغفر لك ما لم أنه عن الاستغفار فنزلت وقصد النبى بهذا الاستغفار تأليفه للإسلام لعمه يهتدى وإلا فرسول الله يعلم أن الله لا ينفق أن يشرك به (قوله ما كان للنبي) أى لا ينبغي ولا يصح (قوله بأن ماتوا على الكفر) أى فلا يجوز لهم الاستغفار حيث ذ ، أما الاستغفار للكافر الحى ففيه تفصيل فإن كان قصده بذلك الاستغفار هدايته للإسلام جاز وإن كان قصده أن تنفر فثوبه مع بقاءه على الكفر فلا يجوز (قوله وما كان استغفار إبراهيم لأبيه) هذه الجملة مستأنفة استئنافا بيانا واقعا فى جواب سؤال مقدر تقديره إن شرعنا هو بعينه شرع إبراهيم وقد استغفر إبراهيم لأبيه . فأجاب الله عن إبراهيم بما ذكر (قوله لأبيه) تقدم الخلاف فى كونه أباه أو عمه وإنما سمي أباه لأن عادة العرب تسمى الم أبأ والقرآن نزل بلغة العرب (قوله وحدها إياه) أى أن إبراهيم وعد أباه بالاستغفار قبل تبين أنه لا ينفع فيه الاستغفار لاصرو له على الكفر .

(قوله أنه عدو لله) أي أنه مصر ومستمر على الكفر والعداوة لأن الذي تبين بالموت إنما هو إصراره على الكفر وإلا فله كان حلالا ومتينا من قبل (قوله إن إبراهيم) هذا بيان للحامل له على الاستغفار قبل التبين (قوله لأواه) من التأوه وهو التوجع والاكتار من قول آه ، واختاف في معناه فقل هو الخاشع المتضرع وقيل كثير الدعاء وقيل المؤمن التواب ، وقيل الرحيم بعباد الله وقيل الموقن وقيل السبوح وقيل المعلم للخبر وقيل الراجع عما يكرهه الله الخائف من النار (قوله حلیم) معناه صفوح عن السيئة له مقابل له بالطف والرفق وذلك كما فعل إبراهيم مع أبيه حين قال له : لنن لم تقته لأرجنك الخ ، فأجبه إبراهيم بقوله : سلام عليك سأستغفر لك ربى وكعدم دعائه على الخمروذ حيث ألقاه في النار (قوته) ما كان الله ليضل قوما) سبب نزولها أن بعض الصحابة كانوا يستغفرون لأبائهم الكفار وماتوا قبل نزول آية التهنيت فظن بعض الصحابة أن الله يؤاخذهم فبين الله أنه لا يؤاخذ أحدا بذنب إلا بعد أن يبين حكمه فيه (قوله بعد إذ هدام) أي بعد وقت سائرهم وتوفيقهم للإيمان (قوله ومنه) أي من الشيء (قوله إن الله له ملك السموات والأرض) أي ففوضوا أموركم إليه لأنه لم يوجد لـكل شيء أقوى منه العون والنصر (قوله لقد تاب الله) اللام موثقة لقسم محذوف (قوله أي أدام توبته) جواب عما يقال إن النبي معصوم من الذنوب والمهاجرون والأنصار لم يفعلوا ذنبا بل سافروا معه واتبعوه من غير امتناع . وأجيب أيضا بأن معنى توبته على النبي عدم مؤاخذته في إذنه للتخلفين (١٦٠) حتى يظهر المؤمن من المنافق ومعنى توبته على المهاجرين والأنصار

أَنَّهُ عَدُوٌّ لِلَّهِ) بموته على الكفر (تَبَرَّأَ مِنْهُ) وترك الاستغفار له (إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَأَوَّاهٌ) كثير التضرع والدعاء (حَلِيمٌ) صبور على الأذى (وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِلَّ قَوْمًا يَهْدِي إِذْ هَدَاهُمْ) للاسلام (حَتَّى يُبَيِّنَ لَهُمْ مَا يَتَّقُونَ) من العمل فلا يتقوه فيستحقوا الاضلال (إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ) ومنه مستحق الاضلال والهداية (إِنَّ اللَّهَ لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يُحْيِي وَيُمِيتُ وَمَا لَكُمْ) أيها الناس (مِنْ دُونِ اللَّهِ) أي غيره (مِنْ وَلِيٍّ) يحفظكم منه (وَلَا نَصِيرٍ) يمنعكم عن ضرره (لَقَدْ تَابَ اللَّهُ) أي أدام توبته (عَلَى النَّبِيِّ وَالْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ الْمُسْرَةِ) أي وقتها وهي حالهم في غزوة تبك كان الرجلان ينقسمان نمرة والعشرة يعتقبون البعير الواحد واشتد الحر حتى شربوا الفرث (مِنْ بَعْدِ مَا كَادَ تَزِيغُ) بالتاء والياء : تميل (قُلُوبُ فَرِيقٍ مِنْهُمْ) عن اتباعه إلى التخلف لما هم فيه من الشدة (ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ) بالثبات (إِنَّهُمْ بِهِمْ رَهُوفٌ رَحِيمٌ) (و) تاب (عَلَى الثَّلَاثَةِ الَّذِينَ خَلَفُوا)

من أجل ما وقع في قلوبهم من الحواطر والوساوس في تلك الغزوة فانها كانت في شدة الحر والعسر وقيل إن ذكر النبي تشریف لهم وإنما المقصود ذكر قبول توبتهم لأنه لم يقع منه صلى الله عليه وسلم ذنب أصلا حتى يحتاج للتوبة منه (قوله الذين اتبعوه) أي وكانوا سبعين ألفا مابين راكب وماش من المهاجرين والأنصار

وغيرهم من سائر القبائل (قوله أي وقتها) أشار بذلك إلى أن المراد بالساعة الزمانية لا الفلكية والعسرة عن الشدة والضيق وكانت غزوة تبوك تسمى غزوة العسرة وجيشها يسمى جيش العسرة لأنه كان عليهم عسرة في المركب والزاد والماء فكان العشرة منهم يخرجون على بعير واحد يعتقبونه وكان زادهم القمح المسوس والشعير المتغير وكان تمرهم يسيرا جدا حتى إن أحدهم إذا جهده الجوع يأخذ القمرة فيلوكها حتى يجد طعمها ثم يعطيها لصاحبه حتى تأتي على آخرهم ولا يبقى إلا النواة وكانوا من شدة الحر والعطش يشربون الفرث ويحعلون ما بقى على كبدهم . قال أبو بكر : يا رسول الله إن الله قد عودك خيرا فادع الله قال أحب ذلك قال نعم فرفع رسول الله يديه فلم يرجع حتى قالت السماء فاطلت ثم سكبت ثم لثوا امامهم من الأوعية ثم ذهبنا ننظرها فلم نجد بها جاوزت العسكرة (قوله من بعد ما كاد) هذا بيان لبلوغ الشدة حدها حتى إن بعضهم أشرف على الميل إلى التخلف واسم كاد ضمير الشأن ووجهه تزيغ في محل نصب خبرها (قوله بالتاء والياء) أي فهما قراءتان سبعيتان (قوله ثم تاب عليهم) ذكر التوبة أولا قبل الذنب فضلا منه وتطيبا لقلوبهم ثم ذكرها بعده تعظيما لشأنهم وتأكيذا لقبول توبتهم (قوله إنه بهم رهوف رحيم) هذا تأكيذا تقدم ، والرهوف الرفيق بعباده اللطيف بهم ، والرحيم المحسن المتفضل (قوله على الثلاثة) قدر المفسر تاب إشارة إلى أنه معطوف على قوله على النبي ويصح عطفه على الضمير في قوله ثم تاب عليهم وهو الأقرب لاعادة الجار قال ابن مالك : وهو خاضع لذي عطف على ضمير خضف لازما قد جلا وإن كان يمكن أن يقال إنما أعاده تأكيذا (قوله على الثلاثة)

أما لم يسألهم الله لكونهم معاصرون بين الصحابة والتوبة هنا على حقيقتها . حتى أنه قبل عنهم وسامعهم وغفر لهم ماسلف منهم وأما التوبة فيما تقدم فاستعملت في مجازها بمعنى دوام العصمة لثبتي والحفظ للهجرين والأضار ، ففي الآية استعمال التوبة في حقيقتها ومجازها (قوله عن التوبة عليهم) أي عن قبولها من الله وسبب تأخير القبول من الله عدم إظهار توبتهم كما فعل أبو لبابة وقيل لئلا خلفوا عن التوبة ولم يخرجوا مع رسول الله وفي صحيح البخاري ما نصه :

باب حديث كعب بن مالك ، وقول الله عز وجل : وعلى الثلاثة الذين خلفوا

حدثنا يحيى بن بكير حدثنا الليث عن عقيل عن ابن شهاب عن عبد الرحمن بن عبد الله بن كعب بن مالك أن عبد الله بن كعب بن مالك وكان يقود كعبا حين همى قال سمعت كعب بن مالك يحدث حين تخلف عن قصة تبوك قال كعب : لم تخلف عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزوة غزاها إلا في غزوة تبوك وكان من خبري آني لم أكن قط أقوى ولا أيسر مني حين تخلفت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في تلك الغزوة وغزا رسول الله صلى الله عليه وسلم تلك الغزوة حين طابت الثمار والظلال وهمت أن أرتحل فأدركهم وإني فعلت فلم يقتلني ذلك ولم يذكرني رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى بلغ تبوك فقال وهو جالس في القوم بتبوك ما فعل كعب بن مالك فقال رجل من بني سلمة يارسول الله حبسه برداء ونظره في عطفه فقال معاذ بن جبل بئس ما قلت والله يارسول الله ما علمنا عليه إلا خيرا فسكت رسول الله صلى الله عليه وسلم قال كعب بن مالك فلما بلغني أنه توجه قافلا حضرني همى فطفقت أتذكر الكذب وأميته لأعتذر به وأقول بماذا أخرج من سخطه غدا واستعنت على ذلك بكل ذي رأي من أهلي فلما قيل إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد أظلم قادمًا أي قرب قدومه انزعج عني الباطل وعرفت آني لن أخرج منه أبدا بشيء فيه كذب فأجمعت الصدق وأصبح رسول الله صلى الله عليه وسلم قادمًا وكان إذا قدم من سفر بدأ بالمسجد فركب فيه ركعتين ثم جلس للناس فلما فعل ذلك جاءه المخلفون فطفقوا يعتذرون إليه ويقولون له وكانوا بضعة وثمانين رجلا فقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم منهم علاتهم وبايعهم واستغفرهم ووكّل سرّا ثم إلى الله فبنته فلما سلمت عليه تبسم تبسم المفضب ثم قال تعال فبنت أمشي (١٦١) حتى جلست بين يديه فقال لي ما خلفك ألم تكن قد

عن التوبة عليهم بقرينة ،

ابتعت مراكبك فقلت

بلى إني والله يارسول الله لو جلست عند غيرك من أهل الدنيا لرأيت آني سأخرج من سخطه بهذروا لقد أعطيت جدلا أي فصاحة ولكن الله لقد علمت أني حدثتك اليوم حديث كذب ترضى به عني أيوشكن الله أن يسخطك على ولئن حدثتك حديث صدق تجد أي تنضب على فيه إني لأرجو فيه عفو الله لا والله ما كان لي من عذرها كنت قط أقوى ولا أيسر مني حين تخلفت عنك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أما هذا فقد صدق فقم حتى يقضى الله فيك فقامت وبادر رجال من بني سلمة فاتبعوني فقالوا لي والله ما علمناك كنت أذنبت ذنبا قبل هذا ولقد عجزت أن تكون اعتذرت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم بما اعتذرت إليه المخلفون قد كان كافيك من ذنبك استغفار رسول الله صلى الله عليه وسلم لك فو الله ما زالوا يلوموني ولوما عني فاحق أردت أن أرجع فأكذب نفسي ثم قلت لهم هل لقي هذام أحد قالوا نعم جلان قال مثل ما قلت فقليل لهم مثل ما قيل لك فقلت من هاتوا امرأته بن الربيع العمري وهلال بن أمية الواقفي فذكروا لي رجلاين صابرين قد شهدا بدرًا فيهما أسوة فضيت حين ذكرهما لي ونهى رسول الله صلى الله عليه وسلم الناس عن كلامنا أيها الثلاثة من بين من تخلف عنه فاجتنبنا الناس فتغيروا لنا حتى تنكرت في نفس الأرض فها هي التي أعرف قلبنا على ذلك خمسين ليلة فأما صاحبنا استكانا وقعدا في بيوتهم أيكيان وأما أنا فكننت أشب القوم وأجلدهم وكنت أخرج فأشهد الصلاة مع المسلمين وأطوف في الأسواق ولا يكلمني أحد وآتي رسول الله صلى الله عليه وسلم في مجلسه بعد الصلاة فأقول في نفسي هل حرك شفتي برد السلام على أم لا ثم أصلي قر ما منه فأسأله النظر فإذا أقبلت على صلاتي أقبل إلى فإذا التفت نحوه أعرض عني حتى إذا طال على ذلك من جفوة الناس مشيت حتى تسورت جدار حائط أبي قتادة وهو ابن همي وأحب الناس إلى فسلمت عليه فوالله ما رد على السلام فقلت يا أبا قتادة أنشدك بالله هل علمني أحب الله ورسوله فسكت فعدت له فنشدته فسكت فعدت له فنشدته فسكت فقال الله ورسوله أعلم ففاضت عينا وتوليت حتى تسورت الجدار حتى إذا مضت أربعون ليلة من الحسنيين إذا رسول الله صلى الله عليه وسلم يأميني فقال إن رسول الله صلى الله عليه وسلم يأمرك أن تعتزل امرأتك فقلت ألقها أم ماذا أفعل قال بل اعتزلها ولا تقربها وأرسل إلى صاحبني مثل ذلك فقلت لا امرأتني الحق بلهم فكوني عندهم حتى يرضى الله في هذا الأمر فلبثت بعد ذلك عشرين ليلة حتى كملت بفتح الهم لنا خمسون ليلة من حين نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن كلامنا فلما صليت صلاة الفجر أصبح خمسين ليلة وأنا على ظهر بيت من بيوتنا فبينما أنا جالس على الحال

أَن ذَكَرَ اللَّهُ قَدِ انْقَضَتْ عَلَى نَفْسِي وَضَاقَتْ عَلَى الْأَرْضِ بِمَنَارِهَا صَوْتُ صَارِخٍ أَوَّلَى عَلَى جَبَلٍ سَلَعَ بِأُطَى صَوْتِهِ يَا كُفَّ بْنَ مَالِكٍ أَجْرُ قَالَ غَرَرْتُ سَاجِدًا وَعَرَفْتُ أَنَّ مَدَّ جَدِّ ، فَرَجَّ ، وَأَذِنَ رَسُولُ اللَّهِ أَيُّ أَعْلَمَ النَّاسِ تَوْبَةَ اللَّهِ عَلَيْنَا حِينَ صَلَاةِ الْفَجْرِ فَنَذِبُ النَّاسَ يَفْهَرُونَ وَأَذْهَبَ قَبْلَ صَاحِبَةٍ مُبْجَرُونَ وَرَكِبَ رَجُلٌ إِلَى فَرَسٍ وَرَكَّضَهَا وَسَيَّ سَاعٍ مِنْ أَسْلَمٍ فَأَوْفَى عَلَى الْجَبَلِ وَكَانَ الصَّوْتُ أَصْرَعَ مِنَ الْفَرَسِ فَلَمَّا جَاءَنِي الَّذِي صَعَتَ صَوْتُهُ يَشْفِرُنِي زَعَمْتُهُ تَوْبَتِي فَكَسَوْتُهُ إِيَّاهَا يَشْرَاهُ ، وَاللَّهِ مَا أَمْلَكَ مِنَ الثِّيَابِ غَيْرَهَا يَوْمَئِذٍ وَاسْتَمَرْتُ ثَوْبَيْنِ طَبْنِيهَا وَانْطَلَقْتُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ قَتَلْتَنِي النَّاسُ فُوجًا فُوجًا يَهْنُوتُنِي بِالتَّوْبَةِ يَقُولُونَ لَتَهْنِكَ خُتَمُ النَّارِ تَوْبَةَ اللَّهِ عَلَيْكَ ، قَالَ كُفَّ بْنَ مَالِكٍ حَتَّى دَخَلْتُ السَّجْدَ فَادَّارَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ جَالِسًا حَوْلَهُ النَّاسَ فَقَامَ إِلَيَّ طَلْحَةُ بْنُ عُبَيْدٍ اللَّهُ يَهْرُولُ حَتَّى صَاحَنِي وَهَنَانِي ، وَاللَّهِ مَا قَامَ إِلَيَّ رَجُلٌ مِنَ الْهَاجِرِينَ غَيْرَهُ وَلَا أَنَسَاهَا لَطْلَحَةُ ، قَالَ كُفَّ بْنَ مَالِكٍ فَلَمَّا سَلَمْتُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ وَهُوَ يَبْرُقُ وَجْهَهُ مِنَ السُّرُورِ : أَبَشِّرْ بِخَيْرٍ يَوْمَ مَرَّ عَلَيْكَ مِنْذُ وَلَدَتْكَ أُمُّكَ ، قَالَ قُلْتُ أَمِنْ عِنْدَكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ أَمْ مِنْ هُنْدِ اللَّهِ ؟ قَالَ لَا بَلْ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ ، وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ إِذَا سَمِعَ اسْتِفْهَارَ وَجْهَهُ كَأَنَّهُ قِطْعَةُ قَرٍّ وَكُنَّا نَعْرِفُ ذَلِكَ مِنْهُ فَلَمَّا جَلَسْتُ بَيْنَ يَدَيْهِ قُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنْ مِنْ تَوْبَتِي أَنْ أَتَخَلَّعَ مِنْ مَالِي صَدَقَةٌ إِلَى اللَّهِ وَإِلَى رَسُولِ اللَّهِ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ أَتَمْسُكُ عَلَيْكَ بَعْضَ مَالِكَ فَهُوَ خَيْرٌ لَكَ ، قُلْتُ قَاتِي (١٦٣) أَمْسُكْ سَهْمِي الَّذِي بِخَيْرٍ وَأُزِلْ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ : لَقَدْ تَابَ اللَّهُ عَلَى النَّبِيِّ إِنْ أُولَا

(حَتَّى إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ) أَيُّ مَعَ رَحْبِهَا أَيُّ سَعَتِهَا فَلَا يَجِدُونَ مَكَانًا يَطْمَئِنُّونَ إِلَيْهِ (وَضَاقَتْ عَلَيْهِمُ أَنْفُسُهُمْ) قُلُوبُهُمْ لِلْغَمِّ وَالْوَحْشَةِ بِتَأْخِيرِ تَوْبَتِهِمْ فَلَا يَسْمَعُونَ سُرُورًا وَلَا أُنْسًا (وَظَنُّوا) يَقْنَعُوا (أَنْ) خَفِيفَةً (لَا مَلْجَأَ مِنَ اللَّهِ إِلَّا إِلَيْهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ) وَتَقَبَّلَ التَّوْبَةَ (لِيَتُوبُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ . يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ) بِتَرْكِ مَعَاصِيهِ (وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ) فِي الْإِيمَانِ وَالْمَعُودِ بِأَنْ تَلْزِمُوا الصَّدَقَ (مَا كَانَ لِأَهْلِ الْمَدِينَةِ وَمَنْ حَوْلَهُمْ مِنَ الْأَعْرَابِ أَنْ يَتَخَلَّفُوا عَنْ رَسُولِ اللَّهِ) إِذَا غَزَا (وَلَا يَزْعِبُوا بِأَنْفُسِهِمْ عَنْ نَفْسِهِ) بِأَنْ يَصُونُوهَا عَمَّا رَضِيَ لِنَفْسِهِ مِنَ الشَّدَائِدِ وَهُوَ نَهَى بِلَفْظِ الْخَيْرِ (ذَلِكَ) أَيُّ النَّهْيِ عَنِ التَّخَلُّفِ (بِأَنْفُسِهِمْ) بِسَبَبِ أَنْهُمْ (لَا يُصِيبُهُمْ ظَمَأٌ) حُمُضٌ (وَلَا نَصَبٌ) تَعَبٌ (وَلَا غَمَمَةٌ) جُوعٌ (فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَطُوقُونَ مَوْطِئًا) مَصْدَرٌ بِمَعْنَى وَطَأَ (يَنْفِيطُ) يَنْضَبُ (الْكُفَّارَ ، وَلَا يَنَالُونَ مِنْ عَدُوٍّ) قَتْلًا أَوْ أَسْرًا أَوْ نَهْبًا (إِلَّا كَتَبَ لَهُمْ بَرٌّ) عَمَلٌ صَالِحٌ (لِيَجْزَاوا عَلَيْهِ) إِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ) ،

وَحُكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ
فَوَاللَّهِ مَا أُنِمُّوا عَلَى مِنْ
نِعْمَةٍ قَطَّ بَعْدَ أَنْ هَدَانِي
لِلْإِسْلَامِ أَعْظَمَ فِي نَفْسِي
مِنْ صَدَقِ رَسُولِ اللَّهِ أَهْ
(قوله حتى إذا ضاقت عليهم الأرض الخ) أي لم يطمئنوا
ولم يسكنوا إلى شيء منها وإذا
صلة أو ثم ليستقيم المعنى
(قوله أي مع رحبها) بضم
الراء وأما بفتحها فعناه
المكان المتسع (قوله فلا
يسمها سرور) العبارة فيها
قلب أي فلا تسع سرورا

(قوله أن خفيفة) أي واسمها ضمير الشأن (قوله لا ملجأ الخ) لاناية للجنس
والملاجئ اسمها ومن الله خبرها والجملة سدت مسد مفعولي ظنوا (قوله من الله إلا إليه) أي من سخطه إلا بالتضرع إليه (قوله
ثم تاب عليهم) أي قبل توبتهم (قوله ليتوبوا) أي ليحصلوا التوبة وينشئوها (قوله يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله) خطاب
عام لكل مؤمن (قوله مع الصادقين) مع بمعنى من بدليل القراءة الشاذة المروية عن ابن مسعود (قوله ما كان لأهل المدينة)
أي لا يصح ولا ينبغي ولا يجوز لهم التخلف عن رسول الله الخ ، والمعنى إذا خرج رسول الله بنفسه للغزو فلا يجوز لأحد من
المؤمنين التخلف بل ينفرون كافة (قوله ولا يرغبوا بأنفسهم) يجوز فيه النصب عطفا على يتخلفوا والجزم على أن لاناية (قوله
بأن يصونها الخ) هنا بيان لحاصل المعنى وإيضاحه أمروا بأن يصحبوه على البأساء والضراء وأن يكابدوا معه الأهوال برغبة
ونشاط وأن يتلقوا الشدائد معه صلى الله عليه وسلم علما بأنه أجز نفس وأكرمها عند الله فإذا تعرضت مع عزتها وكرامتها
للخوض في شدة وهول وجب على سائر الأنفس أن تتعرض مثلاً (قوله وهو نهى بلفظ الخبر) أي ما ذكر من قوله ما كان لأهل
المدينة الخ أي فكأنه قيل لا يتخلف واحد منهم (قوله ظمأ) أي ولو يسيرا وكذا يقال فيما بعده (قوله ولا يطؤون موطئا) أي لا يدوسون
بأرجلهم وحواضر خيولهم وأخفاف رواحلهم دوسا (قوله ينفيط) فتح الياء باتفاق السبعة وإن كان يجوز في اللفظ ضمها (قوله ولا ينالون)
أي يصيبون (قوله قتلوا أو أسروا أو نهبا) أمثلة للنيل بسبب جهه مصدره ويصح أن يكون بمعنى الخي المال أي المأخوذ (قوله إلا كتب لهم)

أى بكل واحد من الأمور الخمسة (قوله أى أجرم) غرضه بهذا أن التمام للاظهار والمعدل عنه لأجل مدحهم ولينفي العموم وعدم الخصوصية للمخاطبين بل هذا الفضل العظيم باق ومستمر إلى يوم القيامة (قوله وادياً) المراد به هنا مطلق الأرض وإن كان على الأصل للكان للنفرج بين الجبال (قوله ذلك) أى ما ذكر من كل من النفقة وقطع الوادى (قوله أى جزاؤه) يشير بهذا إلى تحدير مضاف أى جزاء أحسن ما كانوا الخ (قوله ولما وبخوا على التخلف الخ) أى سبب نزولها أنه لما وبخهم الله على التخلف وظهرت فضيحة المنافقين وتاب الله على من تاب أجمع رأيهم وحلفوا إنهم لا يتخلفون عن رسول الله ولا عن سرية معها فلما رجعوا من تبوك وبث السرايا تهيأ للسلمون جميعاً إلى الغزو (قوله سرية) قيل هى اسم لما زاد على المائة إلى الخمائة وما زاد إلى ثمانمائة يقال له منسوماً زاد عليها إلى أربعة آلاف يقال له جيش وما زاد عليها يقال له جعل وجلة السرايا التى أرسلها رسول الله ولم يخرج معها سبعة وأربعون ، وغزواته التى خرج فيها بنفسه سبعة وعشرون قاتل فى ثمانية منها فقط (قوله وما كان للمؤمنون) أى لا يبنى ولا يجوز لهم أن ينفروا جميعاً بل يجب عليهم أن ينقسموا قسمين طائفة تكون مع رسول الله لتلقى الوحى وطائفة تخرج للجهاد (قوله فهلا) أشار بذلك إلى أن لولا التحريض (قوله ومكث الباقون) قدره إشارة إلى أن قوله ليتفقوا الخ علة لحدوف ولا يصح أن يكون علة لقوله نفر من كل (١٦٣) فرقة منهم طائفة (قوله

ولينذروا قومهم) عطف على قوله ليتفقوا وفيه إشارة إلى أنه يبنى لطالب العلم تحسين مقصده بأن يقصد بطلبه العلم تعليم غيره واتعاض هو فى نفسه لا الكبر على العباد والتسنىق بالكلام (قوله إذا رجعوا) أى من كان فى الغزو وقوله إليهم أى إلى من مكث ليتفق فى الدين (قوله قال ابن عباس الخ) المقصود من ذلك دفع التعارض بين

أى أجرم بل يفيهم (وَلَا يُنْفِقُونَ) فيه (نَفَقَةٌ صَغِيرَةٌ) ولو مرة (وَلَا كَبِيرَةٌ) وَلَا يَقْطَعُونَ وَادِيًا) بالسير (إِلَّا كَتَبَ لَهُمْ) ذلك (لِيَجْزِيَهُمُ اللَّهُ أَحْسَنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ) أى جزاءه . ولما وبخوا على التخلف وأرسل النبي صلى الله عليه وسلم سرية نفروا جميعاً فنزل (وَمَا كَانَ (الْمُؤْمِنُونَ) لِيَنْفِرُوا) إلى الغزو (كَأَنَّهُمْ فَلَوْلَا) فهلا (نَفَرٌ مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ) قَبِيلَةٌ (مِنْهُمْ طَائِفَةٌ) جماعة ومكث الباقون (لِيَتَّفِقُوا) أى لما كثون (فِي الدِّينِ) وَلِيُنْذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ) من الغزو بتعليمهم ما تعلموه من الأحكام (لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ) عقاب الله بامثال أمره ونهيهِ ، قال ابن عباس : فهذه مخصوصة بالسرايا ، والتى قبلها بالنهى من تخلف واحد فيما إذا خرج النبي صلى الله عليه وسلم (بِأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قَاتِلُوا الَّذِينَ يَلُونَكُمْ مِنَ الْكُفَّارِ) أى الأقرب فالأقرب منهم (وَلِيَجِدُوا فِيكُمْ غِلْظَةً) شدة ، أى أغلظوا عليهم (وَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ) بالمعون والنصر (وَإِذَا مَا أُنْزِلَتْ سُورَةٌ) من القرآن (فَمِنْهُمْ) أى للمنافقين (مَنْ يَقُولُ) :

هذه الآية وما قبلها (قوله مخصوصة بالسرايا) أى وهى التى أرسلها ولم يخرج معها (قوله فيما إذا خرج النبي) أى لأنه لا عذر حينئذ فى التخلف لأن صاحب الشريعة الذى تعلمونها منه مصاحب لهم (قوله قاتلوا الذين يلونكم) ليست هذه الآية ناسخة لآية وقاتلوا المشركين كافة على التحقيق بل هذه الآية تعليم لأداب الحرب وهو أن يبدؤوا بقتال الأقرب فالأقرب حتى يصلوا إلى الأبعد فهذا يمكنون من قتالهم كافة لأن قتلهم دفعة واحدة لا يتصور ولذا قاتل رسول الله أولاً قومه ثم انتقل إلى سائر العرب ثم إلى قتل أهل الكتاب ثم إلى قتال الروم والشام ثم بعد وفاته صلى الله عليه وسلم انتقل أصحابه إلى قتال العراق ثم بعد ذلك إلى بائر الأمصار (قوله يلونكم) من القولى وهو القرب وفى فعله لفتان وليه يليه وهو الأكثر والثانية من باب وعد والآية منها وهى قليلة الاستعمال فأصله يوليون حذف الواو لوقوعها بين عدوتها ثم قلت ضمة الياء إلى اللام بعد سلب حركتها فالتقى ساكنان حذف الياء لالتقاءهما (قوله شدة) أى صبراً وتحملاً (قوله أى أغلظوا عليهم) أشار بذلك إلى أن فى الآية استعمال للسبب فى السبب لأن وجدان الكفار الغلظة مسبب عن إغلاظ المسلمين عليهم (قوله وإذا ما أنزلت) المعنى إذا أنزلت سورة من القرآن والحال أن المنافقين ليسوا حاضرين وقت النزول وليس فيها فضيحة لهم وأما ما يأتى فيحمل على ما إذا كانوا حاضرين ذلك والحال أن فيها بيان أحوالهم فلا تنافي بين الحليين كما يأتى .

(قوله لأصحابه) أي أضعفاء المؤمنين (قوله يفرحون بها) أي لأنه كما نزل شيء من القرآن ازدادوا إيماناً وهذا الحكم يقع إلى الآن فمن يفرح بكلام الله وبجاملية فهو من المؤمنين الصادقين ومن يفرح من سماعه ومن جاملية فهو إما كافر أو قريب من الكفر (قوله كفروا إلى كفرهم) أشار بذلك إلى أنه ضمن الزيادة ، معني الضم والمعنى زادتهم كفراً مضموماً إلى كفرهم لأن كفرهم يزيد بزيادة جحدهم النزل ، ومعنى الكفر رجسا لكونه أقبح الأشياء ، والرجس هو الشيء المستقفر (قوله بالياء) أي فالاستفهام حينئذ للتوبيخ وقوله والثاء أي فالاستفهام للتعجب لأن الخطاب حينئذ للصحابه (قوله ثم لا يتوبون) أي لا يرجعون عما هم عليه (قوله فيها ذكروهم) أي بيان أحوالهم (قوله نظر بعضهم إلى بعض) أي يتفامزون بالعيون (قوله يريدون الحرب) أي خوفاً من الفضيحة التي تحصل لهم (قوله ويقولون) أشار بذلك إلى أن قوله هل يراكم من أحد مقول لقول محذوف (قوله ثم انصرفوا على كفرهم) عبارته قيد أن قوله ثم انصرفوا ليس مرتباً على كونهم لم يرههم أحد وليس كذلك فكان المناسب أن يقول (١٦٤) قاموا وهو بمعنى ثم انصرفوا (قوله صرف الله قلوبهم) إخبار أودعاء

(قوله لا يفقهون الحق) أي لا يفهمونه (قوله لقد جاءكم) اللام موطنه لقسم محذوف أي وعزى وجلالى لقد جاءكم الخ (قوله من أنفسكم) خطاب للعرب قال ابن عباس ليس قبيلة من العرب إلا وقد ولدت النبي صلى الله عليه وسلم وله فيها نسب وأنفسكم بضم الفاء باتفاق السبعة وقرئ من أنفسكم بفتح الفاء من النفاسة ، والمعنى جاءكم رسول من أشرفكم وأرفعكم قدراً لما في الحديث « إن الله اصطفى كنانة من ولد إسماعيل

لأصحابه استهزاء (أَيْكُمْ زَادَتْهُ هَذِهِ إِيمَانًا) تصديقاً ، قال تعالى (فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا فَوَزَّادَتْهُمْ إِيمَانًا) لتصديقهم بها (وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ) يفرحون بها (وَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ) ضف اعتقاد (فَوَزَّادَتْهُمْ رِجْسًا إِلَى رِجْسِهِمْ) كفروا إلى كفرهم لكفرهم بها (وَمَاتُوا وَهُمْ كَافِرُونَ . أَوْلَا يَرَوْنَ) بالياء أي المناقون ، والثاء أيها المؤمنون (أَنَّهُمْ يُفَتِنُونَ) يتلون (فِي كُلِّ عَامٍ مَرَّةً أَوْ مَرَّتَيْنِ) بالقطع والأمراض (ثُمَّ لَا يَتُوبُونَ) من قاتلهم (وَلَا هُمْ يَذْكُرُونَ) يتمطون (وَإِذَا مَا أُنْزِلَتْ سُورَةٌ) فيها ذكرهم وقرأها النبي صلى الله عليه وسلم (نَظَرَ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ) يريدون الحرب يقولون (هَلْ يَرَاكُمْ مِنْ أَحَدٍ) إذا قم فإن لم يره أحد قاموا وإلا فبقوا (ثُمَّ أَنْصَرَفُوا) على كفرهم (صَرَفَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ) عن الهدى (بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَفْقَهُونَ) الحق لعدم تدبرهم (لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ) أي منكم محمد صلى الله عليه وسلم (عَزِيزٌ شَدِيدٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ) أي عنتم أي مشقتكم ولفظ الكروه (حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ) أن تهتدوا (بِالْمُؤْمِنِينَ رَوْفٌ) شديد الرحمة (رَحِيمٌ) يريد لهم الخير (فَإِنْ تَوَلَّوْا) عن الإيمان بك (قُلْ حَسْبِيَ) كافي (اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ) به وقت لابنيره (وَهُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ) .

خسه

واصطفى قريشاً من كنانة واصطفى بني هاشم من قريش واصطفاني من بني هاشم

فأنا خيار من خيار من خيار (قوله عزيز عليه ما عنتم) يصح أن يكون عزيز صفة لرسول وامصدرية أو بمعنى الذي ، والمعنى يعز عليه عنتموه ويصح أن يكون عزيز خبراً مقدماً وما عنتم مبتدأ مؤخر (قوله حريص عليكم) أي محافظ على هذاكم لتكون لكم السعادة الكاملة (قوله أن تهتدوا) أشار بذلك إلى أن الكلام على حذف مضاف أي حريص على هدايتكم (قوله ردوف) بالمد والقصر قراءتان سبعيتان ، والردوف أخص من الرحيم . قال الحسن بن المفضل لم يجمع الله لأحد من أنبيائه إسمين من أسمائه تعالى إلا للنبي صلى الله عليه وسلم فسماه رده وفارحياً وقال : إن الله بالناس لردهوف رحيم (قوله فإن تولوا) أي جميع الخلق مؤمنهم ومناقهم وكافرهم (قوله لا إله إلا هو) هذا كالدليل لما قبله (قوله لابنيره) أخذ هذا الحصر من تقديم العمول (قوله الكرسي) مراد على القول باتحاد العرش مع الكرسي وهو خلاف الصحيح ، والصحيح أن العرش غير الكرسي فالعرش جسم عظيم محيط بجميع المخلوقات والكرسي أقل منه (قوله العظيم) بالجر باتفاق السبعة صفة للعرش وقرئ شذوذاً بالرفع صفة للرب .

(قوله خصه بالذكر) جواب عما يقال إن الله رب كل شيء فلم خص العرش بالذكر (قوله أخرىة) مراده الجنس والإفهام آيات وهذا القول ضعيف لما تقدم أن آخر آية نزلت - واتقوا يوما ترجعون فيه إلى الله - وعلى ما قاله المفسر يكونان مدفعتين وهو أحد قولين حكاهما للمفسر أول السورة . وهاتان الآيتان بهما الأمان من كل مكروه ، وقد ورد : من قرأها ويكرر الآية الثانية سبعا صباحا وسبعا مساء أمن من كل مكروه حتى الموت فإذا أراد الله موته أنساء قراءتهما .

[سورة يونس] سميت السورة بذلك لذكر اسمه فيها وقصته وقد جرت عادة الله بتسمية السورة ببعض أجزائها (قوله مكية) أى نزلها قبل الهجرة (قوله أو الثلاث) أول تنويع الخلاف وسببه الخلاف فى أن آخر الآية الثانية من الحاسرين أو الأليم (قوله أو ومنهم الخ) أى فيكون اللذين إما ثلاثة أو أربعة بزيادة ومنهم الخ ، وقال القرطبي نقلا عن فرقة إن من أولها نحو من أربعين آية مكى وبقية مدنى (قوله الله أعلم بمراده بذلك) هذا أحد أقوال تقدمت فى البقرة وهو أنها وأسماها (قوله أى هذه الآيات) يحتمل أن اسم الإشارة عائد على ما تقدم من أول القرآن إلى هنا ويحتمل أنه عائد إلى الآيات التى سذكر فى هذه السورة وآتى باسم الإشارة البعيد إشارة إلى بعده (١٦٥) رتبته عن كلام البشر ورفعة قدره

(قوله آيات الكتاب) خبر اسم الإشارة (قوله والاضافة) أى فى قوله آيات الكتاب ، والمعنى تلك آيات من الكتاب لأن المشار إليه بعض القرآن (قوله المحكم) أشار بذلك إلى أن فعلا بمعنى مفعول ومعناه الذى لا يتطرق إليه الفساد ولا تغيره الدهور ولا يعثره الكذب ولا التناقض ويصح أن يكون بمعنى فاعل أى الحاضم أى ذو الحكم لاشتغال على الأحكام الدينية المتعبد بها

خصه بالذكر لأنه أعظم المخلوقات وروى الحاكم فى المستدرک عن أبى بن كعب قال : آخر آية نزلت لقد جاءكم رسول إلى آخر السورة .

(سورة يونس)

مكية إلا فإن كنت فى شك الآيتين أو الثلاث ، أو ومنهم من

يؤمن به الآية : مائة وتسع أو عشر آيات

(بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ . الرَّ) الله أعلم بمراده بذلك (تلك) أى هذه الآيات (آيات الكتاب) القرآن والاضافة بمعنى من (الحكيم) المحكم (أكان للناس) أى أهل مكة استفهام إنكارى والجار والمجرور حال من قوله (عجبا) بالنصب خبر كان وبالرفع اسمها والخبر وهو اسمها على الأولى (أن أوحينا) أى إلهامنا (إلى رجل منهم) محمد صلى الله عليه وسلم (أن) مفسرة (أنذر) خوف الناس الكافرين بالعذاب (وبشّر الذين آمنوا أن) أى بأن (لهم قدم) سلف (صديق عند ربهم) أى أجرا حسنا بما قدموه من الأعمال (قال الكافرون إن هذا) القرآن المشتمل على ذلك (سخر مبين) بين ،

(قوله استفهام إنكارى) أى والمعنى لا يلقى ولا ينفى لأهل مكة أن يتعجبوا من إرساله صلى الله عليه وسلم حيث قالوا : العجب أن الله لم يجد رسولا يرسله إلى الناس إلا يتيم أبى طالب (قوله عجبا) العجب استعظام أمر خفى سببه (قوله خبر كان) أى مقسم عليها (قوله وبالرفع اسمها) هذه القراءة شاذة فكان المناسب تفسر أن ينفى عايبها (قوله والخبر) مبتدأ وخبر : أن أوحينا خبره وقوله وهو اسمها على الأولى اعتراض بين المبتدأ والخبر (قوله مفسرة) أى بمعنى أى وضابطها أن يتقدمها جملة فيها معنى القول دون حروفه (قوله أنذر الناس) أى إن استمعوا على الكفر (قوله قدم صدق) من إضافة للوصف للصفة ، وصى الأجر الحسن قدم صدق لأن الخير قد سبق لهم عند الله والشأن أن السى يكون بالقدم فسمى السبب باسم السبب كما سميت النعمة يدا لأنها تعطى بها (قوله أجرا حسنا) هذا أحد أقوال فى تفسير قوله - قدم صدق - وهو لابن عباس ، وقيل هو الأعمال الصالحة ، وقيل شفاعة النبي صلى الله عليه وسلم ، وقيل السعادة المكتوبة لهم أزلا فى اللوح المحفوظ ، وقيل منزلة رفيعة فى الجنة وكل هذه التفسير ترجع إلى ما قاله للمفسر (قوله قال الكافرون) أى حيث رده عليهم فى تعجبهم بأبلغ ردة (قوله المشتمل على ذلك) أى الانذار والتبشير .

(قوله وفي قراءة) أى وهى سبعة أيضا (قوله المثار إليه) أى على القراءة الثانية (قوله إن ربكم الله) هذا ردة عليهم في تعجبهم ، والمعنى لا ينبغي لكم التعجب من إرسال الرسول لأن ربكم الله الذى خلق السموات والأرض الخ فمن كان قادرا على ذلك فلا يستغرب عليه إرسال رسول (قوله أى في قدرها) جواب عن قوله لأنه لم يكن ثم شمس الخ (قوله لتعليم خلقه الثابت) أى التأتى والتحمل في الأمور وتخصيص السنة بذلك ولم تكن أقل ولا أكثر مما استأثر الله بعلمه (قوله استواء يليق به) هذه طريقة السلف في تفويض علم التشابه إلى الله تعالى وطريقة الخلف يؤولونه بالاستيلاء والقهر والتصرف وإلى هذين الطريقين أشار صاحب الجوهرة بقوله :
وكل نص أوهم التشبيها أوله أو فوض ورم تنزيها
فلاستواء كما يطلق على الركوب يطلق على الاستيلاء وهو المراد هنا ، ومنه قول الشاعر :

قد استوى بشر على العراق من غير سيف ودم مهبraq (قوله يدبر الأمر) أى يتصرف في الخلائق بأسرها ولا يشغله شأن عن شأن (قوله مامن شفيح إلا من بعد إذنه) أى لا يشفع أحد عنده إلا أن يأذن له في الشفاعة (قوله ربكم) أى خالقكم ومربيكم (١٦٦) (قوله بادغام التاء في الأصل) أى فأصله تذكرون قلبت التاء ذالا

وأدخمت في القidal (قوله) إليه مرجعكم جميعا ردة على منكرى البعث حيث قالوا ما هي إلا حياتنا الدنيا نموت ونحيا وما يهلكنا إلا الدهر (قوله بفعلهما) للمقتدر أى وعدكم وعدا وحققه (قوله بالكسر) أى وهى القراءة السبعية (قوله والفتح) أى وهى شاذة فكان عليه أن يفقه عليها (قوله بالقسط) أى العدل للصواب بالفضل أو للراد بالقسط عدل العبيد بامتثالهم للأوامر واجتنابهم للنهيات فتكون الباء سببية (قوله والذين كفروا) غابر الأسلوب إشارة إلى أنهم مستحقون للعباد بسبب أعمالهم وأما المؤمنون فتوابهم بفضل الله وإلى أن المقصود من البداء والاعادة إنما هو الثواب وأما العقاب فكانه عرض للكفار من سوء اعتقادهم وأفعالهم (قوله وعذاب أليم) أى غير الشرب (قوله أى بسبب كفرهم) أشار بذلك إلى أن الباء سببية وما مصدرية (قوله هو الذى جعل الشمس ضياء) هذا من جملة أدلة توحيده (قوله ذات ضياء) أشار بذلك إلى أن ضياء مصدر ويحتمل أنه جمع ضوء ، والمعنى ذات أضواء كثيرة والضوء النور القوى العظيم فهو أخص من مطلق نور وقيل الضياء ما كان ذاتيا والنور ما كان مكتسبا من غيره فما قام بالشمس يقال له ضياء وما قام بالقمر يقال له نور . واعلم أن الشطاع الفائض من الشمس قيل جوهر وقيل عرض والحق أنه عرض لقيامه بالأجرام (قوله والقمر) معطوف على الشمس ونورا معطوف على ضياء ففيه العطف على معمولى عامل واحد وهو جاز بلا خلاف (قوله وقدره) الضمير عائذ على القمر وخص بالذكر وإن كانت الشمس لها منازل أيضا لأن سير القمر في المنازل أسرع وبه يعرف انقضاء الشهور والسنين لأن المعتبر في مثل الصيام والحج السنة القمرية ويحتمل أن الضمير عائذ على كل من الشمس والقمر وأفرد باعتبار ما ذكره والأقرب الأول .

وفي قراءة لساحر والمثار إليه النبي صلى الله عليه وسلم (إِنَّ رَبَّكُمْ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ) من أيام الدنيا أى في قدرها لأنه لم يكن ثم شمس ولا قمر ولو شاء لخلقهم في لحظة والعدل عنه لتعليم خلقه الثابت (ثُمَّ أَسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ) استواء يليق به (يُدَبِّرُ الْأَمْرَ) بين الخلائق (مَا مِنْ) زائدة (شَفِيعٍ) يشفع لأحد (إِلَّا مِنْ بَعْدِ إِذْنِهِ) رد لقولهم إن الأصنام تشفع لهم (ذَلِكَ) الخالق المدبر (اللَّهُ رَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ) وحدوه (أَفَلَا تَذَكَّرُونَ) بادغام التاء في الأصل في الذال (إِلَيْهِ) تعالى (مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا وَعَذَابُ اللَّهِ حَقًّا) مصدران منصوبان بفعلهما المقدر (إِنَّهُ) بالكسر استثناءا والفتح على تقدير اللام (يَبْدَأُ الْخَلْقَ) أى بداء بالإنشاء (ثُمَّ يُمِيدُهُ) بالبعث (لِيَجْزِيَ) يثيب (الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ بِالْقِسْطِ) وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ شَرَابٌ مِنْ حَمِيمٍ (ماء بالغ نهاية الحرارة) (وَعَذَابُ أَلِيمٌ) مؤلم (بِمَا كَانُوا يَكْفُرُونَ) أى بسبب كفرهم (هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسُ ضِيَاءً) ذات ضياء أى نور (وَالْقَمَرَ نُورًا وَقَدَرَهُ) من حيث سيره (مَنَازِلَ) ،

ثمانية

للنبيات فتكون الباء سببية (قوله والذين كفروا) غابر الأسلوب إشارة إلى أنهم مستحقون للعباد بسبب أعمالهم وأما المؤمنون فتوابهم بفضل الله وإلى أن المقصود من البداء والاعادة إنما هو الثواب وأما العقاب فكانه عرض للكفار من سوء اعتقادهم وأفعالهم (قوله وعذاب أليم) أى غير الشرب (قوله أى بسبب كفرهم) أشار بذلك إلى أن الباء سببية وما مصدرية (قوله هو الذى جعل الشمس ضياء) هذا من جملة أدلة توحيده (قوله ذات ضياء) أشار بذلك إلى أن ضياء مصدر ويحتمل أنه جمع ضوء ، والمعنى ذات أضواء كثيرة والضوء النور القوى العظيم فهو أخص من مطلق نور وقيل الضياء ما كان ذاتيا والنور ما كان مكتسبا من غيره فما قام بالشمس يقال له ضياء وما قام بالقمر يقال له نور . واعلم أن الشطاع الفائض من الشمس قيل جوهر وقيل عرض والحق أنه عرض لقيامه بالأجرام (قوله والقمر) معطوف على الشمس ونورا معطوف على ضياء ففيه العطف على معمولى عامل واحد وهو جاز بلا خلاف (قوله وقدره) الضمير عائذ على القمر وخص بالذكر وإن كانت الشمس لها منازل أيضا لأن سير القمر في المنازل أسرع وبه يعرف انقضاء الشهور والسنين لأن المعتبر في مثل الصيام والحج السنة القمرية ويحتمل أن الضمير عائذ على كل من الشمس والقمر وأفرد باعتبار ما ذكره والأقرب الأول .

(قوله ثمانية وعشرين منزلاً) أى وهى منقسمة على اثني عشر برجاً وهى الحمل والثور والجوزاء والسرطان والأسد والسنبلة والميزان والقرب والقوس والجدي والبلو والحوت لكل برج منزلان وثلاث فيكون إقامته فى كل برج ستة وخمسين ساعة وانتقالات الشمس فى هذه الأبراج مرتبة على الشهور القبطية لكن الشهر نصفه الأول من آخر برج ونصفه الآخر من أول برج آخر فتوت نصفه الأول من نصف السنبلة الأخير ونصفه الأخير من نصف الميزان الأول وهكذا (قوله ويستتر ليلتين) أى لا يرى وإن كان سائراً (قوله لتعلموا) هذا هو حكمة التعدير (قوله والحساب) معطوف على عدد مسلط عليه تعلموا ولا يجوز جره عطفاً على السنين لأن الحساب لا يعلم عدده ، ولذا سئل أبو عمرو عن الحساب أنتصبه أم تجره ؟ فقال ومن يهرى ماعدد الحساب كناية عن كونه لا يجوز جره (قوله المذكور) أى من كونه جعل الشمس ضياء والقمر نورا (قوله بالياء والنون) أى فهما قراءتان سبعيتان وعلى النون فيه الثفات من النبية إلى التكلم (قوله لقوم يعلمون) خصوا بالذكر لأنهم هم المتفهمون بذلك (قوله إن فى اختلاف الليل والنهار) أى فى (١٦٧) كون أحدهما يخلف الآخر ويعقبه

(قوله بالذهب والفضة)
تصور للاختلاف (قوله
والزيادة والنقصان) أى
فكل واحد يزيد بقدر
ما نقص من الآخر (قوله
إن الذين لا يرجون لقاءنا)
أى لا يخافونه ولا يؤمنون
به (قوله واطمأنوا بها)
أى فعلوا فعل المخلفين فيها
(قوله أولئك) مبتدأ
ومأوامم مبتدأ ثان والنار
خبر الثانى والثانى وخبره
خبر الأول والجملة خبر إن
(قوله بما كانوا يكسبون)
أى بسبب كسبهم (قوله
من الشرك والمعاصي)
بيان لقوله يكسبون
(قوله إن الذين آمنوا)

ثمانية وعشرين منزلاً فى ثمان وعشرين ليلة من كل شهر ويستتر ليلتين إن كان الشهر ثلاثين يوماً أو ليلة إن كان تسعة وعشرين يوماً (لتعلموا) بذلك (عَدَدَ السَّنِينَ وَالْحِسَابَ مَا خَلَقَ اللَّهُ ذَلِكَ) المذكور (إِلَّا بِالْحَقِّ) لا عبثاً تعالى عن ذلك (يُفَصِّلُ) بالياء والنون يبين (الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ) يتدبرون (إِنَّ فِي اخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ بِالذَّهَابِ وَالْفِضَّةِ وَالنَّعِيمِ وَالنَّقْصَانِ) (وَمَا خَلَقَ اللَّهُ فِي السَّمَوَاتِ) من ملائكة وشمس وقمر ونجوم وغير ذلك (وَ) فى (الْأَرْضِ) من حيوان وجبال وبحار وأنهار وأشجار وغيرها (آيَاتٍ) دلالات على قدرته تعالى (لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ) فيؤمنون خصهم بالذكر لأنهم المتفهمون بها (إِنَّ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا) بالبعث (وَرَضُوا بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا) بدل الآخرة لأنكارهم لها (وَاطْمَأْنَوْا بِهَا) سكنوا إليها (وَالَّذِينَ هُمْ عَنْ آيَاتِنَا) دلائل وحدانيتنا (غَافِلُونَ) تاركون للنظر فيها (أُولَئِكَ مَا لَهُمْ النَّارُ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ) من الشرك والمعاصي (إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ يَهْدِيهِمْ) يرشدهم (رَبُّهُمْ بِإِيمَانِهِمْ) به بأن يجعل لهم نورا يهتدون به يوم القيامة (تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ) دَعْوَاهُمْ فِيهَا) طلبهم لما يشتهونه فى الجنة أن يقولوا (سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ) أى يا الله فإذا ما طلبوه بعن أيديهم

هذا مقابل قوله إن الذين لا يرجون لقاءنا الخ وإن حرف توكيد ونصب الذين اسمها آمنوا صلته وجملة يهديهم بهم خبر إن (قوله آمنوا) أى صدقوا بالله ورسوله واليوم الآخر والقدر خبره وشبه حلوه وممره (قوله وعملوا الصالحات) أى الأعمال المرضية لله ورسوله (قوله يهديهم ربهم) أى يوصلهم لدار السعادة وحذف المعمول للعلم به (قوله بإيمانهم) أى بسبب تصديقهم بالله ورسوله أى وبسبب أعمالهم الصالحة أيضاً فالإيمان والأعمال الصالحة سببان موصولان لدار السعادة أو المراد بالإيمان الكامل ليشمل الأعمال (قوله بأن يجعل لهم نورا يهتدون به) أى وتصور لهم الأعمال الصالحة بصورة حسنة عند خروجهم من القبور وتقول لصاحبها كنت أسهرك فى الدنيا وأتعبك فيها فأركب على ظهري وذلك قوله تعالى - يوم نحشر المتقين إلى الرحمن وفداً - بخلاف الكافر فيحشر يوم القيامة أعمى لا يهتدى إلى مقصوده ويأتى به عمله السيئ فيقول له كنت متلذذاً فى الدنيا فأنا أركبك اليوم ، وذلك قوله تعالى - وهم يحملون أوزارهم على ظهورهم - (قوله فى جنات النعيم) أى بساكنات النعم وهذا الاسم يطلق على جميع الجنات والمعنى أن المؤمنين العاملين للصالحات يوصلهم ربهم لدار كرامته وعمل سعادته تجرى الأنهار بجانب قصورهم ينظرون إليها من أعلى أما كنهم (قوله طلبهم لما يشتهونه فى الجنة أن يقولوا الخ) أى فهذه الكلمة علامة بين أهل الجنة والخلد فى جميع

ما يطلبونه فإذا أرادوا الأكل مثلاً قالوا : سبحانهك اللهم فيأثرونهم بالطعام على الموائد كل مائدة ميل في ميل على كل مائدة سبعون ألف صحفة في كل صحفة لون من الطعام لا يشبه بعضها بعضاً فإذا فرغوا من الطعام حمدوا الله على ما أعطاهم ذلك قوله - وآخر دعوانهم أن الحمد لله رب العالمين - والمراد بما يشتهونه في الجنة ما كان محموداً في الدنيا فلا يقال إن نفوس الفساق قد تشتهى اللواط مثلاً فيفيد أنه يحصل في الجنة لأنه يقال المراد بما يشتهونه ما ليس بشهوات شيطانية لأنهم عصموا منها بالموت فلا تخطر ببالهم في الجنة ولا يعيل إليهم طبعهم وكذلك يقال في شهوة المحارم كالأم والبنت وأيضاً أهل الجنة لا أدبار لهم ولا يتغوطون فيها لما في الحديث «أهل الجنة يأكلون فيها ويربون ولا يتفلقون ولا يبولون ولا يتغوطون ولا يمتخطون» قالوا فما بال الطعام؟ قال جناء ورشح كرشح المسك يلهمون التسبيح والتحميد كإلهمون النفس» (قوله وتحييتهم فيها سلام) التحية ما يحيا به الإنسان من الكلام الطيب (قوله فيما بينهم) أى أو تحية الملائكة لهم قال تعالى - والملائكة يدخلون عليهم من كل باب سلام عليكم - أو تحية الله لهم . قال تعالى - سلام قولاً من ربّ رحيم - (قوله وآخر دعوانهم) أى خاتمة تسبيحهم في كل مجلس أن يقولوا : الحمد لله رب العالمين وليس معناه انقطاع الحمد فإن أقوال أهل الجنة وأحوالها لا آخر لها (قوله مفسرة) اعترض بأن ضابط للمفسرة مفقود هنا إذ ضابطها أن يتقدمها جملة فيها معنى القول دون حروفه وهنا تقدمها مفرد فكان المناسب أن يقول خففة من الثقيلة ويكون اسمها ضمير الشأن وجملة الحمد لله رب العالمين خبرها (قوله أن الحمد لله رب العالمين) أى فأهل الجنة يتدنون مطالبهم بالتسبيح ويختمونها بالتحميد فتلذذهم بالأكل والشرب وسائر النعيم لا يشغلهم عن ذكر الله وشكره (قوله ونزل لما استعجل للمشركون العذاب) أى لما بين (١٦٨) الله سبحانه وتعالى أنه يجيب الداعي بالخير أدب عباده بأنهم لا يطلبون

الشر بل يطلبون الخير فيعطون وقوله لما استعجل المشركون قيل هم النضر بن الحارث وغيره حيث قالوا : اللهم إن كان هذا هو الحق من عندك فأمطر علينا حجارة من السماء (قوله ولو يعجل الله للناس الشر)

(وَتَحِيَّتُهُمْ) فيما بينهم (فِيهَا سَلَامٌ وَآخِرُ دَعْوَاهُمْ أَنْ) مفسرة (الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ) ونزل لما استعجل المشركون العذاب (وَلَوْ يُعْجِلُ اللَّهُ لِلنَّاسِ الشَّرَّ اسْتِعْجَالَهُمْ) أى كاستعجالهم (بِالْخَيْرِ لَقُضِيَ) بالبناء للمفعول وللفاعل (إِلَيْهِمْ أَجْلُهُمْ) بالرفع والنصب بأن يهلكهم ولكن يهلكهم (فَنَذَرُ) نترك (الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ) يترددون متحيرين (وَإِذَا مَسَّ الْإِنْسَانَ) الكافر (الضَّرُّ) المرض والفقر (دَعَاً لِحَبِيهِ) أى مضطجماً (أَوْ قَاعِداً أَوْ قَائِماً) أى في كل حال (فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُ غُصَّةَ

مر)

أى الذى طلبوه لأنفسهم (قوله أى كاستعجالهم) أشار بذلك

إلى أن استعجالهم مصدر والأصل استعجالاً مثل استعجالهم حذف الموصوف وأقيمت الصفة مقامه ثم حذف المضاف وأقيم المضاف إليه مقامه (قوله لقضى إليهم أجلهم) أى لهلكوا جميعاً والمعنى أن الناس عند غضب والضجر قد يدعون على أنفسهم وأهلهم وأولادهم بالموت وتعجيل البلاء كما يدعونه بالرزق والرحمة فلو أجابهم الله إذا دعوه بالشر الذى يستعجلونه به مثل ما يحجبهم إذا دعوه بالخير لأهلكهم ولكنه من فضله وكرمه يستجيب للداعي بالخير ولا يستجيب له بالشر فالعبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب (قوله بالبناء للمفعول وللفاعل) أى فهما قراءتان سبعيتان (قوله بالرفع والنصب) لف ونشر مرتب فالرفع نائب فاعل والنصب مفعول به (قوله بأن يهلكهم) أى قبل وقتهم (قوله ولكن يهلكهم) أى فضلاً منه وكرماً إلى أن يأتى أجلهم فإذا جاء لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون فالمؤمن يلقى النعيم الدائم والكافر يلقى العذاب الدائم (قوله الذين لا يرجون لقاءنا) أى الذين لا يخافون عقابنا ولا يؤمنون بالبعث بعد الموت (قوله في طغيانهم) أى الذى هو إنكار البعث والمقالات الشنيعة (قوله يعمّهون) حال من فاعل يرجون (قوله يترددون متحيرين) أى في الفرار من العذاب فلا يجدون لهم مفرأ (قوله وإذا مس الإنسان الضر) وجه مناسبة هذه الآية لما قبلها أنه لما ونجهم على الدعاء بالشر لأنفسهم بين هنا غاية عجزهم وضعفهم وأنهم لا يقدرّون على إيجاد شيء ولا إعداده (قوله الكافر) مثله ناقص الإيمان المهلك في المعاصي (قوله لجنبه) حال من فاعل دعانا واللام بمعنى على (قوله أوقاعدا أوقائماً) يحتمل أن أو على بابها لأن المضار إِمَاتِيْلَةٌ نَمْنَمَةٌ القِيَام والقعود أو خفيفة لا تمنع ذلك أو متوسطة تمنع القِيَام دون القعود ويحتمل أن أو بمعنى الواو فهو إشارة لتنوع الأحوال،

والى هذا أشار المفسر بقوله أى فى جميع الأحوال (قوله مَرَّ عَلَى كَفْرِهِ) أى استمر عليه (قوله كَانَ لَمْ يَدْعُنَا) الجملة فى هو نصب حال من فاعل مَرَّ والمعنى استمر هو على كفره مشبها بمن لم يدعنا أصلا أى رجع إلى حالته الأولى وترك الالتجاء إلى ربه (قوله للسرفين) أى التجاوزين الحد (قوله مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ) أى عملهم فالواجب على الإنسان دوام الدعاء والتضرع والالتجاء لجانب الله فى كل حال سيما فى حال الصحة والنفى لأنه يشدد عليه فيهما مالا يشدد عليه فى غيرهما (قوله ولقد أهلكنا القرون من قبلكم) أى كقوم نوح وعاد وثمود وغيرهم (قوله لَمَّا ظَلَمُوا) أى حين ظلمهم (قوله وجاءتهم) قدر المفسر قد إشارة إلى أن الجملة حالية من فاعل ظلموا (قوله عطف على ظلموا) أى كأنه قيل حين ظلموا وحين لم يكونوا مؤمنين ، والمعنى أن سبب إهلاككم سببان ظلمهم وعدم إيمانهم (قوله ثُمَّ جَعَلْنَاكُمْ) عطف على أهلكنا (قوله خلافت فى الأرض) أى متخلفين من بعد القرون بسبب أن الله أودعكم أرضهم وديارهم فمن يوم بعث الله محمدا فجميع الخلق الموجودين من يومئذ إلى يوم القيامة من أمته مسلمهم وكافرهم وهم خلفاء الأرض (قوله لننظر) أى ليظهر (١٦٩) متعلق علما ونعاملهم معاملة من

ينظر ، وفى الكلام استعارة تمثيلية حيث شبه حال العباد مع ربهم بحال رعية مع سلطانها فى إيمانهم لينظر ماذا تفعل واستعير الاسم الدال على التشبه به للتشبه على سبيل التمثيل والتقريب . الله للثل الأعلى (قوله كيف تعملون) أى فهل تصدقون رسلنا ، أو تكذبونهم (قوله وإذا تتلى عليهم) فيه التفات من الخطاب للغيبة (قوله أنت بقرآن غير هذا) أى من عند ربك إن كنت صادقا فى أنه من عند الله (قوله أو بدله)

مَرَّ عَلَى كَفْرِهِ (كَانَ) مخففة واسمها محذوف أى كأنه (لَمْ يَدْعُنَا إِلَى ضُرٍّ مَسَّهُ كَذَلِكَ) كما زين له الدعاء عند الضر والإعراض عند الرخاء (زَيْنَ لِلْمُشْرِكِينَ) المشركين (مَا كَانُوا يَمْتَلُونَ) وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا الْقُرُونَ (الْأُمَمَ مِنْ قَبْلِكُمْ) يَا أَهْلَ مَكَّةَ (لَمَّا ظَلَمُوا) بالشرك (وَ) قد (جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ) الدالات على صدقهم (وَمَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا) عطف على ظلموا (كَذَلِكَ) كما أهلكنا أولئك (تَجْزَى الْقَوْمَ الْمُجْرِمِينَ) الكافرين (ثُمَّ جَعَلْنَاكُمْ) يَا أَهْلَ مَكَّةَ (خَلَائِفَ) جمع خليفة (فِي الْأَرْضِ مِنْ بَعْدِهِمْ) لِنَنْظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ (فِيهَا وَهَلْ تَعْتَبِرُونَ بِهِمْ فَتَصَدَّقُوا رُسُلَنَا) وَإِذَا تُنْتَلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا (الْقُرْآنَ) بَيِّنَاتٍ (ظَاهِرَاتِ) حَالٍ (قَالَ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا) لا يخافون البعث (أَنْتَ بِقُرْآنٍ غَيْرِ هَذَا) ليس فيه عيب آلهتنا (أَوْ بَدَّلَهُ) من تلقاء نفسك (قُلْ) لَهُمْ (مَا يَكُونُ) ينبغى (لِي أَنْ أَبْدَلَهُ مِنْ تِلْقَاءِ) قِيلَ (تَقَرَّبِي إِنْ) مَا (أَنْتَبِعُ إِلَّا مَا يُوحَى إِلَيَّ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي) بتبديله (عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ) هو يوم القيامة (قُلْ) لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا تَلَوْتُمْهُ عَلَى كُنُفِكُمْ وَلَا أَدْرَاكُمْ (أَعْلَمُكُمْ بِهِ) ولا نافية عطف على ما قبله وفى قراءة بلام جواب لو أى لأعلمكم به على لسان غيرى (قَدْ لَبِثْتُ) مكثت (فِيكُمْ عُمَرًا) ،

أى بأن تجعل مكان سبب آلهتنا مدحهم ومكان الحرام حلالا وهذا الكلام من الكفار يحتمل أن يكون على سبيل الاستهزاء والسخرية ويحتمل أنه على سبيل الامتحان ليعلموا كونه من عند الله فلا يقدر على تغييره ولا تبديله أو من تلقاء نفسه فيقدر على ذلك والأول هو المتبادر من حالهم (قوله قل ما يكون لى أن أبدله الخ) أى لا يلقى منى ولا يصح (قوله إذ أخاف) تعليل لما قبله (قوله قل لو شاء الله) مفعول شاء محذوف أى عدم إنزاله (قوله ولا أدراككم) أدرك فعل ماض وقاعده مستتر يعود على الله والكاف مفعول به (قوله ولا نافية) أى وجلة لا أدراككم مؤكدة لما قبلها عطف عام على خاص ، والمعنى لو شاء الله عدم إنزاله ماتلوته عليكم ، ولا أعلمكم به منى ولا من غيرى (قوله وفى قراءة) أى وهى سبعية أيضا (قوله بلام) أى وهى للتأكيد ، والمعنى على هذا لو شاء الله عدم تلاوتى ماتلوته عليكم ولأعلمكم به غيرى بأن ينزله على لسان نبى غيرى ونتيجة هذا القياس محذوفة تقديره لكن شاء الله إنزاله على فأنما أتلوه عليكم وأنا أعلمكم به (قوله فقد لبثت فيكم عمرا) هذا هو وجه الاحتجاج عليهم والمعنى أن كفار مكة شاهدوا رسول الله قبل مبعضه وعلموا أحواله وأنه كان أميا لم يقرأ كتابا ولا تعلم من أحد وذلك مدة أربعين سنة ثم بعدها جاءهم بكتاب عظيم الشأن مشتمل على نفائس [٢٢ - صاوى - ثانى]

المعروف والأحكام والآداب ومكارم الأخلاق فكل من له عقل سليم وفهم ثابت يعلم أن هذا القرآن من عند الله لأن عند الله (قوله سنينا) منصوب بفتحة ظاهرة وقد مر الفسر على طريقة من يجعله مثل حين ومنه حديث اللهم اجعلها عبيد سنينا كسنيين يوسف في إحدى الروايتين (قوله أفلا تعقلون) أى أعميت عن الحق فلا تعقلونه (قوله أى لا أحد) أشار بذلك إلى أن الاستفهام إنكارى بمعنى النفي (قوله بنسبة الشريك إليه) أشار الفسر إلى أن الخطاب متوجه لهم والمعنى على ذلك أنكم افتريت على الله الكذب فزعمتم أن له شريكا والله منزّه عنه وثبت عندكم صدق بالقرآن فكذبتم بآياته (قوله ويعبدون) عطف على ما تقدم عطف قصة على قصة بيان لقبائهم وفي الحقيقة عبادتهم غير الله تسبب عنه ما تقدم من افتراءهم وتكذيبهم بآيات الله (قوله مالا يضرهم ولا ينفعهم) ما اسم موصول أو نكرة موصوفة ونفى الضر والنفع هنا باعتبار ذاتهم وإثباتهما في قوله تعالى: يدعون لمن ضره أقرب من نفعه باعتبار السبب (قوله وهو الأصنام) بيان لما (قوله ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله) قال أهل الماني توهموا أن عبادتها أشد في تعظيم الله من عبادتهم إياه وقالوا لسنا بأهل أن نعبد الله ولكن نشغل عبادة هذه الأصنام فاتها تكون شائعة (١٧٠) لنا عند الله قال تعالى إخبارا عنهم: ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى.

سنينا أربعين (من قبله) لا أحدثكم بشيء (أفلا تعقلون) أنه ليس من قبلى (فمن) أى لا أحد (أعلم ممن افترى على الله كذبا) بنسبة الشريك إليه (أو كذب بآياته) القرآن (إنه) أى الشأن (لا يفلح) يسعد (المجرمون) المشركون (ويعبدون من دون الله) أى غيره (مالا يضرهم) إن لم يعبدوه (ولا ينفعهم) إن عبدوه وهو الأصنام (ويقولون) عنها (هؤلاء شفعاؤنا عند الله، قل) لهم (أنتبئون الله) تخبرونه (بما لا يعلم في السموات ولا في الأرض) استفهام إنكار إذ لو كان له شريك لعله إذ لا يخفى عليه شيء (سبحانه) تنزيها له (وتعالى عما يشركون) به معه (وما كان الناس إلا أمة واحدة) على دين واحد وهو الإسلام من لدن آدم إلى نوح، وقيل من عهد إبراهيم إلى عمرو بن لحي (فاختلأوا) بأن ثبت بعض وكفر بعض (ولولا كلمة سبقت من ربك) بتأخير الجزاء إلى يوم القيامة (لقضى بينهم) أى الناس في الدنيا (فيما فيه يختلفون) من الدين بتعذيب الكافرين (ويقولون) أى أهل مكة (لولا) هلا (أنزل عليه) على محمد صلى الله عليه وسلم (آية من ربه) كما كان للأنبياء من الناقة والعصا واليد،

إن قلت إنهم ينكرون البعث في أى وقت يشفون لهم على زعمهم أجيب بأنهم يرجسون شفاعتهم في الدنيا في إصلاح معاصيهم (قوله بما لا يعلم) للتصديق بوجود الشريك بنى لازمه لأن علمه تعالى محيط بكل شيء فلو كان موجودا لعله الله وحيث كان غير معلوم لله وجب أن لا يكون موجودا وهذا مثل مشهور فإن الإنسان إذا أراد نفي شيء وقع منه يقول ما علم الله ذلك منى أى لم يحصل

(نقل)

ذلك منى قط (قوله في السموات ولا

في الأرض) حال من العائد المحذوف في يعلم (قوله استفهام إنكار) أى بمعنى النفي (قوله إلا أمة واحدة) أى متفقين على الحق والتوحيد من غير اختلاف (قوله من لدن آدم إلى نوح الخ) ويجمع بينهما بأن عبادة الله وحده استمرت من آدم إلى نوح فظهر في أمة نوح من يعبد غير الله، قال تعالى: في شأنهم وقالوا لا تذرنا آلهتكم ولا تذرنا ودا ولا سواها الآية فاختلأوا بالطوفان واستمر من يعبد الله وحده إلى زمن إبراهيم فظهر في أمته من يعبد غير الله فأهلكوا بالبعوض واستمر من يعبد الله وحده إلى أن ظهر عمرو بن لحي، وهو أول من بحر البحار، وسبب السواكب في الحادثة إلى أن ظهر سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم (قوله ولولا كلمة) المراد بها حكمه الأزلى بتأخير العذاب عنهم إلى يوم القيامة (قوله فيما فيه يختلفون) أى في الدين الذى يختلفون بسببه (قوله بتعذيب الكافرين) متعلق بقضى (قوله هلا) أشار بذلك إلى أن لولا تخصيصية (قوله آية من ربه) أى معجزة كما كان للأنبياء، قال تعالى حكاية عنهم: وقالوا لنؤمن لك حتى تفجر لنا من الأرض ينبوعا الآية.

(قوله قتل إنما الغيب لله) أى محص به لا يقدر على الاتيان بشئ منه إلا الله وإنما لم يجابوا بعين مطلوبهم لعله بقاء هذه الأمة وهذا الدين إلى يوم القيامة . وقد جرت عادته سبحانه وتعالى : أن القوم الذين يطلبون الآيات إذا جاءت ولم يؤمنوا بها بسجل لهم الهلاك فقدم إجابتهم على طبق ما طلبوا رحمة بهم (قوله إني معكم من المنتظرين) أى لما يظلم بكم (قوله وإذا أدقنا الناس رحمة) هذا جواب آخر عن قول أهل مكة لولا أنزل عليه آية من ربه وذلك أنه لما اشتد من أهل مكة العناد وعدم الاذعان ابتلام الله بالتحط سبع سنين ثم رحمهم بعد ذلك بإزال المطر والحصب فجعلوا ذلك هزوا وسخرية وأضافوا المنافع إلى الأصنام وقالوا لو كان التحط بسبب ذنوبنا كما يقول محمد ما حصل لنا بعد ذلك الحصب لأننا لم ننب فاذا كان كذلك فعلى تقدير أن يعطوا مأسأوا من إزال ما طابوه لا يؤمنون (قوله بالاستهزاء الخ) تفسير للسكر (قوله أسرع مكرًا) أى أعجل عقوبة من سرعة مكرهم وتسمية عقوبة الله مكرًا مشاكلة (قوله إن رسلنا) تعليل لأسرعية مكره وتنبية على أن ما دبروه غير خاف على الحفظة فضلا عن العليم الخبير (قوله بالتاء والياء) أى لكن الأولى سبعة والثانية عشرة (قوله هو الذى يسيركم) الجملة للفرقة الطرفين تفيد الحصر أى لا مسير لكم فى البر والبحر إلا هو وهذا من جملة أدلة توحيده (قوله وفى قراءة) أى وهى سبعة أيضا من النشر وهو البث والتفريق والمعنى يفرقكم وينسكم فى (١٧٨) البر والبحر والرسم متقارب لكن

طولت السنة الثانية وهى النون فى القراءة الثانية وطولت السنة التى قبل لراء وهى الياء على القراءة لأولى (قوله فى البر) أى مشاة وركبانا (قوله حتى إذا كنتم فى الفلك) غاية للسير فى البحر والفلك يستعمل مفردا وجمعا فحركته فى المفرد كحركة قتل وحركته فى الجمع كحركة بدن وهما مستعمل فى الجمع بدليل وجرين وفى آية : فى الفلك المشحون

(قُلْ) لهم (إِنَّمَا الْغَيْبُ) ما غاب عن العباد أى أمره (لِلَّهِ) ومنه الآيات فلا يأتى بها إلا هو ، وإنما على التبليغ (فَانْتَظِرُوا) العذاب إن لم تؤمنوا (إِنِّي مَعَكُمْ مِنَ الْمُنْتَظِرِينَ . وَإِذَا أَدَقْنَا النَّاسَ) أى كفار مكة (رَحْمَةً) مطرا وخصبا (مِنْ بَعْدِ صَرَاءٍ) يؤس وجذب (مَسْتَهْمٌ إِذَا لَمْ يَكُفِّرْ فِي آيَاتِنَا) بالاستهزاء والتكذيب (قُلْ) لهم (أَلَمْ أَسْرِعْ مَكْرًا) مجازاة (إِنْ رُسُلُنَا) الحفظة (يَكْتُبُونَ مَا تَمْكُرُونَ) بالتاء والياء (هُوَ الَّذِي يُسِيرُكُمْ) وفى قراءة ينشركم (فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ حَتَّى إِذَا كُنْتُمْ فِي الْفُلِكِ) السفن (وَجَرَيْنَ بِهِمْ) فيه التفات عن الخطاب (بِرِيحٍ طَبِيَّةٍ) لينة (وَفَرِحُوا بِهَا جَاءَتْهَا رِيحٌ عَاصِفٌ) شديدة الهبوب تكسر كل شئ (وَجَاءَهُمُ الْمَوْجُ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ وَظَنُوا أَنَّهُمْ أُحِيطَ بِهِمْ) أى أهلكوا (دَعَوْا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ) الدعاء (لَنَنْ) لأم قسم (أَنْجِيَنَا مِنْ هَذِهِ) الأهوال (لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ) الموحدين (فَلَمَّا أَنْجَاهُمْ إِذَا هُمْ يَبْغُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ) بالشرك (يَأْتِيهَا النَّاسُ إِنَّمَا بَغْيُكُمْ) ظلمكم (عَلَى أَنْفُسِكُمْ) لأن إثمه عليها ،

مستعمل مفردا (قوله فيه التفات عن الخطاب) أى إلى الغيبة وحكمة زيادة التوبيخ على الكفار لأن شأنهم عدم شكر النعمة وأما الخطاب أولا فهو لكل شخص مسلم أو كافر بتعداد النعم عليهم (قوله بريح طيبة) أى توصل للتصود بلطف (قوله وفرحوا بها) الجملة حالية من ضمير بهم وقد مقدرة (قوله وظنوا) أى أيقنوا (قوله أى أهلكوا) أى ظنوا الهلاك لقيام الأسباب بهم (قوله مخلصين) أى غير مشركين معه شيئا من آلهتهم (قوله لن أنجيتنا) هذا مقول لقول عاصفة بيان لحصل الدعاء والتقدير قائلين وعزتك وجلالك لن أنجيتنا (قوله من الشاكرين) أى على نعمائك الموحدين لك (قوله إذا هم يبغون) إذا لمقاة والمعنى حين أنجاهم فاجأوا الفساد وبادروا إليه (قوله بغير الحق) إما وصف كاشف أو احتراز به عن البغي بحق كاستيلاء المسلمين على الكفار وتخريب دورهم وإتلاف أموالهم كما فعل رسول الله بقرظة (قوله إنما بغيكم على أنفسكم) الكلام على حذف مضاف أى إثم بغيكم كما يشير له المفسر بقوله لأن إثمه عليها والمعنى أن وبال بغيكم راجع لأنفسكم لا يضر الله منه شئ كما لا تنفع طاعة الطغيان قال تعالى : إن أحستم أحستم لأنفسكم وإن أسأتم فلها . وقال العارف ماذا يضرك وهو عاص أو يفيدك وهو طائع فاشرك الشريك لا يثبت لله شريكا بل هو محض افتراء وكذب ووباله على صاحبه وتوحيد الواحد لا يثبت لله واحدة بل هى ثابته أزلا وأبدا بل معنى وحدت ربى قلت وحدته بقلبي وامترجت بلبى وليس المعنى أنه أثبت له وحدة لم تكن فان هذا هو الكفر بعينه . وفى ذلك قال العارف :

ما وحد الواحد من واحد إذ كل من وحده جاهد

(قوله متاع الحياة الدنيا) فتر المفسر هو إشارة إلى أنه بالرفع خبر لمحدوف (قوله تمتعون فيها قليلا) أى زمنا قليلا (قوله ثم إلينا مرجعكم) أى لامفرّ لهم من ذلك وإنما إمهالهم وتأخيرهم من حلمه سبحانه وتعالى (قوله فنجازيكم عليه) أى على ما علمتم من خبر وشرّ (قوله وفي قراءة) أى وهي سبعة أيضا (قوله بنصب متاع) أى مفعول لفعل محذوف فتره للمفسر بقوله أى تمتعون (قوله إنما مثل الحياة الدنيا) بيان لشأن الدنيا وأن مدتها قصيرة ، والمعنى صفتها في سرعة انقضاءها وكونكم متعززين بها كما الخ (قوله كما أنزلناه من السماء) حكمة تشبيهها بماء السماء دون ماء الأرض إشارة إلى أن الدنيا تأتي بلا كسب من صاحبها ولانعان منه كما السماء بخلاف ماء الأرض فينال بالآلات (قوله وغيرها) أى كالدارة والحصى واللؤلؤ والياقوت والفول ونحو ذلك (قوله من الكلال) هو العشب رطبا أو يابسا (قوله حتى إذا أخذت الأرض زخرفها) غاية لمحدوف أى مازال ينجو ويذهب حتى الخ ، والمعنى حتى استوفت واستكملت الأرض زخرفها من النبات وتم سرور أهلها بها أنها أمرنا الخ (قوله بالزهر) أى أنواعه من أحمر وأصفر وأبيض وأخضر وغير ذلك (قوله وأدغمت في الزاى) أى بعد تسكينها وآتى بهمزة الوصل لأجل النطق بالسكون فلما دخلت الواو حذفت للاستغناء عنها (قوله متمكنون من تحصيل ثمارها) أى من أخذ ما أنبتته من ثمار وزروع وبقول (قوله أنها أمرنا) جواب إذا (قوله كالحصود) أى اللقطة (١٧٢) (قوله كان لم تفن بالأمس) أى كان لم تكن تلك الأشجار والنباتات

هو (متاع الحياة الدنيا) تمتعون فيها قليلا (ثم إلينا مرجعكم) بعد الموت (فتنبئكم بما كنتم تعملون) فنجازيكم عليه وفي قراءة بنصب متاع أى تمتعون (إنما مثل الحياة الدنيا كماه) مطر (أنزلناه من السماء فاختلط به) بسببه (نبات الأرض) واشتبك بعضه ببعض (عما يأكل الناس) من البر والشعير وغيرها (والأنعام) من الكلال (حتى إذا أخذت الأرض زخرفها) بهجتها من النبات (وآزنت) بالزهر وأصله تزينت أبدلت التاء زايًا وأدغمت في الزاى (وظن أهلها أنهم قادرون عليها) متمكنون من تحصيل ثمارها (أنها أمرنا) قضاؤنا أو عذابنا (ليلاً أو نهاراً فجعلناها) أى زرعها (حصيداً) كالحصود بالمناجل (كان) مخففة أى كأنها (لم تفن) تكن (بالأمس كذلك تفصل) نين (الآيات لقوم يتفكرون) والله يدعوا إلى دار السلام أى السلامة وهي الجنة بالدعاء إلى الإيمان (ويهدي من يشاء) هدايته (إلى صراط مستقيم) دين الاسلام ،

والزروع ثابتة قائمة على ظهر الأرض وهذا مثل للراغب في زهرة الدنيا وبهجتها الراسخ لها المعرض عن الآخرة فكما أن النبات الذى عظم الرجاء فيه والارتفاع به أنه للتلغات بقتة ويمس منه كذلك التمسك بالدنيا إذا افتخر بها وتعزى بأنه الموت بقتة فيسلب ما كان فيه من نعيم الدنيا ولقتها (قوله بالأمس) المراد به الزمن

(للذين)

الماضى لا خصوص اليوم الذى قبل يومك (قوله كذلك) أى كما فصلنا في ضرب الثل

(قوله تفصل الآيات لقوم يتفكرون) أى فليس هذا المثل قاصراً على شخص دون شخص بل هو عبرة لمن كان له بصيرة وتدبر فينبغي للإنسان أن ينزل القرآن في خطابه على نفسه ويتأمل فيها ويتدبر لياتر بأوامره وينتهى بنواهي (قوله والله يدعوا إلى دار السلام) لما ذكر سبحانه وتعالى صفة الدنيا ورغب في الزهد فيها والتجنب لخوارفها رغب في الآخرة ونعيمها حيث أخبر أنه بعظمته وجلاله وكبريائه يدعو إلى دار السلام ، والسلام اسم من أسماء تعالى ومعناه النزه عن كل نقص المتصف بكل كمال وأضيفت الدار للسلام لأنها سالمة من الآفات والكدرات كما أن معنى السلام السالم من كل نقص ، وقيل المراد بالسلام السلامة من الآفات ، والنقائص وعليه ترجع المفسر (قوله وهي الجنة) أشار بذلك إلى أن المراد بهذا الاسم ما يشمل جميع الجنات لا خصوص المسماة بهذا الاسم من باب تسمية الكل باسم البعض وكذا يقال في باقى دورها كدار الجلال وجنة النعيم وجنة الخلد وجنة للأوى والفردوس وجنة عدن ، فهذه الأسماء كما تطلق على مسمياتها يطلق كل اسم منها على جميع دورها لصديق الاسم على المسمى في كل (قوله بالدعاء للإيمان) أى فهو سبب لدخول الجنة وإن كان صاحبه عاصياً فالمدار في استحقاق الجنة على مجرد الإيمان (قوله ويهدي من يشاء) أى يوصله إلى السعادة الكاملة (قوله هدايته) هذا هو مفعول يشاء (قوله إلى صراط مستقيم) أى طريق قويم لا اعوجاج فيه وحذف مقابل ويهدى من يشاء الخ تقديره ويضل من يشاء عنه فالضلال والهدى بيد الله

يعطى أيهما شاء لمن شاء (قوله للذين أحسنوا) خبر مقم والحسن مبتدا مؤخر (قوله بالإيمان) أى ولو صحبه دنوب فصاة
 نؤمنين: لهم الحسنى وزيادة وإن كانت مراتب أهل الجنة متفاوتة فليس التهمكون في طاعة الله كغيرهم (قوله هي النظر إليه
 تعالى) هذا قول جمهور الصحابة والتابعين ، وقيل المراد بالزيادة رضوان الله الأكبر ، وقيل مضاعفة الحسنات ، وقيل الزيادة
 غرفة من أولوة واحدة لها أربعة أبواب ولكن القول الأول هو الذى عليه القول لأن النظر إليه تعالى يستلزم جميع ذلك ،
 ويدل له ماورد « إذا دخل أهل الجنة الجنة يقول الله تعالى : تريدون شيئا أزيدكم ؟ فيقولون ألم تبيض وجوهنا ألم تدخلنا الجنة
 وتجننا من النار قال فيكشف الحجاب فما يعطون شيئا أحب إليهم من النظر إلى ربهم تبارك وتعالى » زاد في رواية : ثم تلا
 - للذين أحسنوا الحسنى وزيادة - . واعلم أن الناس جميعا في الجنة ينظرون إليه سبحانه وتعالى في مثل يوم الجمعة من
 الأسبوع وفي مثل يوم العيد من السنة وهذه هي الرؤية العامة لجميع أهل الجنة ، وللخواص مراتب متفاوتة فمنهم من يراه
 في كل صباح ومساء ، ومنهم من يراه في مثل أوقات الصلوات الخمس ، ومنهم من لا يحجب عن الرؤية أبدا لما قيل : إن الله
 رجالا لو حجبوا عن الرؤية طرفة عين لتمنوا الخروج من الجنة (قوله ولا يرهق) الجملة مستأنفة (قوله سواد) أى وغبار
 فأهل الجنة يبيض الوجوه في غاية البسط والجمال فلا يعثرهم نكد ولا كدر قال تعالى : وجوه يومئذ مسفرة ضاحكة مستبشرة
 (قوله أولئك) أى المحدث عنهم أن لهم الحسنى وزيادة (قوله هم فيها خالدون) أى لا يخرجون منها أبدا (قوله والذين كسبوا
 السيئات) شروع في ذكر صفات أهل النار إثر ذكر صفات أهل الجنة (١٧٣) (قوله عطف على للذين أحسنوا)

أى ويكون فيه العطف
 على معمولى عاملين
 مختلفين لأن الذين
 معطوف على الذين الأول
 والعامل فيه المبتدأ الذى
 هو الحسنى وقوله : جزاء
 سيئة معطوف على الحسنى
 والعامل فيه الابتداء
 وهذا الوجه فيه خلاف
 بين النحويين ولذا حاول
 بعضهم إعراب الآية حتى

(لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا) بالإيمان (الْحُسْنَى) الجنة (وَزِيَادَةٌ) هي النظر إليه تعالى كما في حديث مسلم
 (وَلَا يَرَهُ قَوْمٌ) يفتش (وُجُوهُهُمْ قَتَرٌ) سواد (وَلَا ذَلَّةٌ) كآبة (أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ
 فِيهَا خَالِدُونَ . وَالَّذِينَ) عطف على للذين أحسنوا ، أى وللذين (كَسَبُوا السَّيِّئَاتِ) عملوا الشرك
 (جَزَاءُ سَيِّئَةٍ يَمَثِلُهَا) وَتَرَهَقُهُمْ ذِلَّةٌ مَا لَهُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ) زائدة (عَاصِمٍ) مانع (كَأَنَّمَا
 أُغْشِيَتْ) ألبست (وُجُوهُهُمْ قَطَمًا) بفتح الطاء جمع قطعة وإسكانها أى جزءاً (مِنْ اللَّيْلِ
 مُظْلِمًا) أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ . (وَ) اذكر (يَوْمَ نَخْشَرُهُمْ) أى الخلق (جميعاً)
 ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُوا مَكَانَكُمْ) نصب بالزمو مقداراً (أَنْتُمْ) تأكيد للضمير المستتر في
 الفعل المقدر ليعطف عليه (وَشَرَكَاؤُكُمْ) أى الأصنام ،

ذكر فيه سبعة أوجه أحسنها أن قوله للذين مبتدأ أول وجزاء سيئة مبتدأ ثان وبمثلها خبر الثاني والثاني وخبر خبر الأول والباء زائدة
 ويدل لزيادتها قوله تعالى : وجزاء سيئة سيئة مثلها (قوله بمثلها) أشار بذلك إلى الفرق بين الحسنات والسيئات فالحسنات مضاعفة بفضل
 الله والسيئات جزاؤها مثلها عدلا منه سبحانه وتعالى قال صاحب الجوهرة : فالسيئات عنده بالمثل . والحسنات ضوعفت بالفضل
 (قوله وترهقهم ذلة) أى يغشاهم الذل والكآبة (قوله ما لهم من الله) أى من عذابه وخطه (قوله كأنما أغشيت) أى غطيت
 (قوله وإسكانها) أى فهما قراءتان سبعيتان ، والمعنى على الأولى كأن أجزاء الليل غطتهم ولبستهم وعلى الثانية كأن جزءاً من الليل
 غشاهم وغطى وجوههم وهذه الآية بمعنى الآية الأخرى وهي قوله تعالى : وجوه يومئذ عليها غبرة ترهقها فترة أولئك هم الكفرة
 الفجرة ، وامشى عليه المفسر من أن القطع بالسكون الجزء هو أحد أقوال في تفسيره ، وقيل هو سواد الليل ، وقيل هو طرفة آخر
 الليل (قوله مظلماً) حال من الليل (قوله أولئك) أى الموصوفون بما ذكر (قوله أصحاب النار) أى المستحقون لها (قوله هم فيها
 خالدون) أى ما كثون على سبيل الخلود والتأيد (قوله ويوم نحشرهم) شروع في ذكر محاجة أهل الشرك مع معبوداتهم إثر
 بيان أصحاب النار ويوم ظرف . معمول لمحذوف قدره المفسر بقوله اذكر (قوله نصب بالزمو) أى على أنه مفعول به ، والمعنى ألزموا
 هذا المكان ولا تبرحوا عنه أو ظرف بجمل الزمو بمعنى قفوا (قوله تأكيد للضمير المستتر) أى الذى هو الواو وتسميته مستترا
 فيه مساعداً لإد الواو من الضمائر البارزة وقد يجاب بأن المراد بالاستقرار عدم الذكر بالفعل (قوله المقدر) أى الذى هو الزمو
 والإخبار بهذا الأمر للتهديد بصدر من الله على لسان ملك لامباشرة لقوله تعالى - ولا يكلمهم الله يوم القيامة - .

(قوله فزئنا) من الزئيل وهو التفرق والتميز ، يقال زل ضانك من معزك : أى فرق بينهما وميز هذا من هذا وهذه فعل بالتضعيف فهو من باب ذوات الياء أوفيل ، وأصله زبول اجتمعت الواو والياء وسبقت إحداهما بالسكون قلبت الواو ياء وأدغمت في الياء فهو من باب ذوات الواو (قوله بينهم وبين المؤمنين) هكذا فهم المفسر وهو بعيد من سابق الكلام ولحقه ، وقيل ميزنا بينهم وبين معبوداتهم وقطعنا ما كان بينهم من التواصل في الدنيا وهو الأقرب لأن الكلام فيه (قوله وقال شركاؤهم) إنما أضيف الشركاء لهم لأنهم اتخذوها شركاء لله في العبادة (قوله ما كنتم إيانا نعبدون) قال مجاهد : تكون في القيامة ساعة فيها شدة تنصب لهم الآلهة التي كانوا يعبدونها من دون الله ، فتقول الآلهة والله ما كننا نسمع ولا نبصر ولا نعقل ولا نعلم أنكم كنتم تعبدوننا ، فيقولون والله إياكم كنا نعبد ، فتقول الآلهة لهم - فكفى بالله شهيدا بيننا وبينكم إن كنا عن عبادتكم لنافلين - (قوله للفاصلة) أى تناسب رهوس الآي (قوله لنافلين) أى لا علم لنا بذلك (قوله هنالك) إشارة للكان البعيد وهو الموقف الذي يدعش العقول (قوله تبلو) أى تختبر وتعلم (قوله وفي قراءة) أى وهي سبعة أيضا من التلاوة : أى قرأ ما أسلفته وقدّمته فتجده مسطرا في صحف الملائكة . قال تعالى - ونخرج له يوم القيامة كتابا يلقاه منشورا اقرأ كتابك - أو من التلو : أى تتبع وتطلب ما أسلفته من أعمالها ، وفي قراءة أيضا تبلو بالنون بعدها ياء موحدة : أى نختبر نحن وكل بالنصب مفعول به عليها وهي شاذة (قوله وردوا) أى المشركون (قوله الثابت الدائم) أى الذي لا يقبل الزوال أزلا ولا أبدا (قوله وصل عنهم ما كانوا يفترون) أى غاب عنهم افتراؤهم بظهور الحق فلا ينافي أنهم معهم في النار ، وهكذا كل من اعتمد على غير الله يقال له - هنالك (١٧٤) تبلو كل نفس ما أسلفت - الآية فينبغي للانسان أن يسعى في خلاص قلبه

من الوهم الذي ياجسه إلى الاعتماد على غير الله من جاه أو مال أو علم أو عمل أو غير ذلك ليرى الحق حقا والباطل باطلا فيتبع الحق ويجنب الباطل ، وبهذا الأمر يتبين الولي من العاى قالولى يرى الأشياء

(فَزَيَّلْنَا) ميزنا (بَيْنَهُمْ) وبين المؤمنين كما في آية : وامتازوا اليوم أيها الجرّمون (وَقَالَ) لهم (شُرَكَائِهِمْ) مَا كُنْتُمْ إِيانَا تَعْبُدُونَ (مانافية وقدّم المفعول للفاصلة) (فَكُنِيَ) بِاللّهِ شَهِيداً بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ إِن) مخففة أى إنا (كُنَّا عَنْ عِبَادَتِكُمْ) لَنَافِلِينَ . (هُنَالِكَ) أى ذلك اليوم (تَبْلُوا) من البلوى وفي قراءة بقاء من التلاوة (كُلُّ نَفْسٍ) مَا أَسْلَفَتْ (قدّمت من العمل (وَرُدُّوا إِلَى اللَّهِ) مَوْلَاهُمْ الْحَقُّ (الثابت الدائم (وَصَلَ) غاب (عَنْهُمْ) مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ (عليه من الشركاء (قُلْ) لهم (مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ) بالمطر (وَالْأَرْضِ) بالنبات (أَمَّنْ يَمْلِكُ السَّمْعَ) بمعنى الأسماع أى خلقها (وَالْأَبْصَارَ) وَمَنْ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ

كلها ظاهرا وباطنا من الله فهو دائما مطمئن ساكن مسلم لله في كل ما يفعله والعاى يعتقد ذلك بقلبه غير أن الوهم يخيل له أن لغير الله ضرا أو نفعا فيكون دائما في تعب ونصب ، وقد أشار العارف لذلك بقوله .

وما الخلق في التماس إلا كمنجاة لها صورة لكن تبنت عن الماء
فدوال كشف لم يشهد سوى الماء وحده تبدى بوصف الثلج من غير إخفاء
ومن حجبته صورة الثالج جاهل تغطى عليه الأمر من لمع أضواء

(سورة قل لهم من يرزقكم الخ) أمر الله سبحانه وتعالى نبيه صلى الله عليه وسلم أن يقيم الحجة على الشركين ويبطل ما هم عليه من الإشراف بأسئلة ثمانية أجاب للشركون عن الخمسة الأولى وأجاب رسول الله عن الاثنين بعدها بتعليم الله له ، وجواب الأخير لم يذكر للعلم به وقد صرح به المفسر (قوله من السماء والأرض) أى رزقا مبتدأ من السماء والأرض (قوله بالمطر) أى فهو سبب لإخراج نبات الأرض فصيح كون الرزق من السماء (قوله أمن يملك السمع) أى يخلقه ويحفظه من الآفات في كل لحظة إذ هو معرض للزوال لولا حفظ الله له ما ثبت (قوله بمعنى الأسماع) (إنما قال ذلك ليوافق الأبصار) (قوله والأبصار) جمع بصر ، والصنى أن الله تعالى هو الخالق للأبصار الواضع للنور فيها لنذى به الإبصار وهو الحافظ له (قوله ومن يخرج الحي من الميت الخ) تقدّم أن المراد بالحي الإنسان والطير ، وبالميت النطفة والبيضة .

(قوله ومن يدبر الأمر) عطف عام على خاص لأن تدبير الأمر عام في كل شيء (قوله فسيقولون الله) أي جوابا لمن تنظم (قوله أفلا تتقون) أي أدمتم على الشرك فلا تتقونه ، ويؤخذ من هذا أن المعرفة ليست هي الإيمان إذ لو كانت هي الإيمان لكان إقرارهم بأن الله هو الفعال لهذه الأشياء توحيدا وإيمانا بل الإيمان هو حديث النفس التابع للمعرفة : أي قول النفس آمنت وصدقت على التحقيق (قوله الثابت) أي الذي لا يقبل الزوال أزلا ولا أبدا (قوله استفهام تقرير) المناسب لإنكار بدليل قوله : أي ليس بعده غيره (قوله وقع في الضلال) أي الباطل وهو الشرك لأنه لا واسطة بين الحق والباطل (قوله فأني نصرفون) أي نمنون وهو استفهام تعجب (قوله كذلك) الكاف في محل نصب نعت لمصدر محذوف ، والتقدير مثل صرفهم عن الحق بعد الإقرار به حقت الخ (قوله وهي لأملأن جهنم من الجنة والناس أجمعين) أي فالمراد نفذ القضاء والقرار بأن جهنم تمتلئ من الجنة والناس حتى تقول قط قط (قوله أوهي أنهم لا يؤمنون) أو لتنويح الخلاف : أي فالمراد بكلمة الله على هذا القول نفوذ قضاء الله وقدره بعدم إيمانهم (قوله قل هل من شركائكم الخ) هذا هو السؤال السادس (قوله من يبدأ) أي ينشئ الخلق من العدم (قوله ثم يعيده) أي الخالق في القيامة للحساب والجزاء (١٧٥) وإعما لم يجيبوا عن هذا السؤال وتولى الله الجواب عنه

لأنهم منكرون بالبعث فلو أجابوا لكان ذلك إقرارا منهم بالبعث وأن يكون حجة عليهم لقيام الأدلة والبراهين عليه فلا يستطيعون أن ينازعوا في ذلك (قوله قل هل من شركائكم) هذا هو السؤال السابع . والمعنى هل من شركائكم من يقيم الحجج ويرسل الرسل ويوفق العبيد لرشادهم ولما لم يكونوا مسلمين ذلك تولى الله جوابه أيضا (قوله قل الله

وَمَنْ يُدَبِّرُ الْأَمْرَ) بَيْنَ الْخَلَائِقِ (فَسَيَقُولُونَ) هُوَ (اللَّهُ قُلْ) لِمَ (أَفَلَا تَتَّقُونَ) فَتَقُولُونَ (فَذَلِكُمْ) الْفَعَالُ لِهَذِهِ الْأَشْيَاءِ (اللَّهُ رَبُّكُمْ الْحَقُّ) الثَّابِتُ (فَإِذَا بَدَأَ الْحَقُّ إِلَّا الضَّلَالَةَ) اسْتِفْهَامُ تَقْرِيرٍ : أَيْ لَيْسَ بَعْدَهُ غَيْرُهُ فَمِنْ أَخْطَأَ الْحَقُّ وَهُوَ عِبَادَةُ اللَّهِ وَقَعَ فِي الضَّلَالِ (فَأَنِّي) كَيْفَ (نُصْرَفُونَ) عَنِ الْإِيمَانِ مَعَ قِيَامِ الْبَرْهَانِ (كَذَلِكَ) كَمَا صَرَفَ هَؤُلَاءَ عَنِ الْإِيمَانِ (حَقَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ عَلَى الَّذِينَ فَسَقُوا) كَفَرُوا وَهِيَ لِأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ الْآيَةُ أَوْ هِيَ (أَنَّهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ . قُلْ هَلْ مِنْ شَرِكائِكُمْ مَنْ يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ قُلِ اللَّهُ يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ فَأَنِّي تُؤْفِكُونَ) نَصْرَفُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ مَعَ قِيَامِ الدَّلِيلِ (قُلْ هَلْ مِنْ شَرِكائِكُمْ مَنْ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ) بِنَصَبِ الْحُجَجِ وَخَلْقِ الْإِهْتِدَاءِ (قُلِ اللَّهُ يَهْدِي لِلْحَقِّ أَفَنُيْهِدِي إِلَى الْحَقِّ) وَهُوَ اللَّهُ (أَحَقُّ أَنْ يُنْبِئَ أَمِنْ لَا يَهْدِي) يَهْدِي (إِلَّا أَنْ يُهْدِيَ) أَحَقُّ أَنْ يَتَّبِعَ اسْتِفْهَامُ تَقْرِيرٍ وَتَوْبِيحُ أَيْ الْأَوَّلِ أَحَقُّ (قَالَ كُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ) هَذَا الْحُكْمُ الْفَاسِدُ مِنْ اتِّبَاعِ مَا لَا يَحِقُّ اتِّبَاعُهُ (وَمَا يَتَّبِعُ أَكْثَرُهُمْ) فِي عِبَادَةِ الْأَصْنَامِ (إِلَّا ظَنًّا) حَيْثُ قَلَدُوا فِيهِ آبَاءَهُمْ

يهدي للحق) أي فهو أحق بالاتباع لهذه الأصنام التي لا تهدي بنفسها (قوله أفمن يهدي إلى الحق) هذا هو السؤال الثامن ، وقد ذكر للفسر جوابه بقوله الأول أحق (قوله أحق أن يقبض) خبر قوله أفمن يهدي ، والمعنى أفمن يهدي إلى الحق حقيق بالاتباع أم من لا يهدي إليه (قوله أم من لا يهدي) أصله يهتدي نقلت فتحة التاء إلى الهاء وأبدلت التاء دالا وأدغمت في الدال ويهتدي بفتح الهاء وكسرها وبكسر الياء والهاء معا فالقراءات ثلاث وكلها سبعية فكسر الهاء للتخلص من التقاء الساكنين وكسر الياء اتباعا لكسر الهاء (قوله إلا أن يهدي) استثناء من أعم الأحوال ، والمعنى لا يهتدي في حال من الأحوال إلا في حال إهداء النبر إياه . ومعنى هداية الأصنام كونها تنقل من مكان لآخر ، فالعنى لا تنتقل من مكان لآخر إلا أن تحمل وتنقل وهذا ظاهر في الأصنام ، وأما مثل عبسى والعزير فعنى لا يهدي لا يخلق الهدى لافى نفسه ولا فى غيره فالخلق كلهم عاجزون إذ لا يملكون لأنفسهم شيئا فضلا عن غيرهم (قوله فما لكم) أي أى شيء ثبت لكم فى هذه الحالة (قوله كيف تحكمون) أي بالباطل وتجعلون لله شركاء (قوله وما يتبع أكثرهم) يفيد أن الأقل يعرفون أن الله منزى عن كل نقص متصف بكل كمال غير أنهم يكفرون عنادا (قوله حيث قلدوا فيه آباءهم) أي فقالوا - إنا وجدنا آباءنا على أمة وعلما على آفامهم مقتدون - .

(قوله إن الظن لا يبنى من الحق شيئا) الرد بالظن خلاف التحقيق فيشمل الشك والوم ، وهذا الكلام في حق الكفار الذين اتبعوا غيرهم في الكفر وقدوم فيه فلا عذر لهم في التقليد دنيا ولا أخرى ، وأما المؤمن الخالص الذي امتلأ قلبه بالإيمان حيث عجز عن قيام الأدلة على التوحيد وقد العارف فيه فليس من هذا القبيل بل هو مؤمن جزما لأنه ليس عنده ظن بل جزم مطابق للواقع وربما إن دام على الصدق ومتابعة من يقفه يرتقى في التوحيد إلى مقام أعلى وأجل من مقام من قدفه ، وأما القول بأنه كافر فائما يعرف لأبي هاشم الجبائي من العترة فلا يقول عليه (قوله إن الله عليم بما يفعلون) هذا تهديد لهم على ما وقع منهم من الأفعال الشنيعة والأحوال القبيحة (قوله وما كان هذا القرآن) المقصود من هذا الكلام الرد على من كذب بالقرآن وزعم أنه ليس من عند الله ، والحق لا يبنى لهذا القرآن أن يخلق ويفعل لأن تراكيبه الحسنة أعجزت العالمين وذلك لأن حسن الكلام على حسب سعة علم للتكلم وإطلاعه ولا أحد أعلم من رب العالمين فذلك أعجز الخلائق جميعا لكونه في أعلى طبقات البلاغة ولذلك قال صاحب الحمزية :
أعجز الانس آية منه والحق فهل أتى به البلاء

إلى أن قال :
سور منه أشبهت صوراً منساً ومثل النظائر النظراء

(قوله أي افتراء) أشار بذلك إلى أن خبر كان أن وما دخلت عليه في تأويل مصدر (قوله ولكن تصديق الذي بين يديه) هذا الاستدراك وقع أحسن موقع لأنه وقع بين نقيضين الكذب والصدق وتصديق بالنصب خبر لكان مقترنة والتقدير ولكن كان تصديق الحق أو مفعول لأجله (١٧٦) بفعل محذوف قدره المفسر بقوله أنزل وتصديق بمعنى مصدق أو بولغ فيه

(إِنَّ الظَّنَّ لَا يُبْنَى مِنَ الْحَقِّ شَيْئًا) فيما المطلوب منه العلم (إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا يَفْعَلُونَ) فيجازيهم عليه (وَمَا كَانَ هَذَا الْقُرْآنُ أَنْ يُفْتَرَى) أي افتراء (مِنْ دُونِ اللَّهِ) أي غيره (وَلَكِنْ) أنزل (تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ) من الكتب (وَتَفْصِيلَ الْكِتَابِ) تبين ما كتبه الله من الأحكام وغيرها (لَارْتِيَابٍ) شك (فِيهِ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ) متعلق بتصديق أو بأنزل المحذوف وقرئ برفع تصديق وتفصيل بتقدير هو (أَمْ) بل أ (يَقُولُونَ افْتِرَاءً) اختلقه محمد (قُلْ فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ) في الفصاحة والبلاغة على وجه الافتراء فانكم عربيون فصحاء مثلي (وَادْعُوا) للاعانة عليه (مَنْ اسْتَطَاعَ مِنْ دُونِ اللَّهِ) أي غيره (إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ) في أنه افتراء فلم يقدرُوا على ذلك قال تعالى (بَلْ كَذَّبُوا بِمَا لَمْ يُحِيطُوا بِإِلَهِهِ) أي القرآن ولم يتدبروه (وَلَكَّا) لم (يَأْتِيهِمْ تَأْوِيلُهُ)

حتى جعل نفس التصديق على حد زيد عدل وكذا يقال في قوله وتفصيل الكتاب (قوله من الكتب) أي السماوية المنزلة على الأنبياء (قوله وتفصيل الكتاب) أي مفصل لما في الكتاب وهو اللوح المحفوظ فالقرآن مفصل لما كتب في اللوح المحفوظ من علم

عاقبة

ما كان وما يكون وما هو كائن في الدنيا والآخرة فمن أعطى شيئا من أسرار القرآن فلا يحتاج

للاطلاع على اللوح المحفوظ بل يأخذ منه ما أوراده (قوله وغيرها) أي من الغيبات (قوله لا ريب فيه) حال من التصديق والتفصيل وهذا هو الأظهر (قوله متعلق بتصديق أو بأنزل) أي ويكون قوله لا ريب فيه معترضا بين التعلق والتعلق (قوله وقرئ) أي شاذ (قوله أم يقولون افتراء) أم منقطعة تفسر ببل والهمزة ، والحق أنهم أصروا على تلك المقالة ولم يدغخوا للحق (قوله اختلقه محمد) أي اختلقه وليس من عند الله (قوله قل فأتوا بسورة) هذا تبيك لمقاتلهم الفاسدة وهو جواب شرط مقتر والتقدير إن كان الأمر كما تزعمون فأتوا بسورة مثله . واعلم أن مراتب تحدى رسول الله صلى الله عليه وسلم بالقرآن أربعة : أولها أنه تخدام بجميع القرآن . قال تعالى - قل لئن اجتمعت الانس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن - ثانيها أنه تخدام بعشر سور . قال تعالى - قل فأتوا بعشر سور مثله مفريات - ثالثها أنه تخدام بسورة واحدة . قال تعالى - قل فأتوا بسورة مثله - رابعها أنه تخدام بحديث مثله كما قال تعالى - فليأتوا بحديث مثله - (قوله من استطاع من دون الله) أي من آلهتكم وغيرها من جميع الخلق (قوله إن كنتم صادقين) شرط حذف جوابه لدلالة ما قبله عليه : أي فأتوا بسورة وادعوا الحق (قوله بل كذبوا بما لم يحيطوا بعلمه) أي بهم ألفاظه ومعانيه العظيمة فتكذيبهم لعدم فهمهم معناه وجهلهم بفضله في المثل : من جهل شيئا غذاه . وقال البوصري :

قد تنكر العين ضوء الشمس من رمد وتنكر الفم طعم الماء من سقم

(قوله ولما يأتيهم تأويله) أي لم ينزل بهم الوعيد فيحملهم على التصديق قهر فتكذيبهم لأمرين جهلهم بفضله وعدم إتيان الوعيد لهم

(قوله من الوعيد) أى وهو العذاب للوعود به (قوله كذلك التكذيب) أشار بذلك إلى أن الكاف بمعنى مثل نعت لمصدر محذوف أى بمنزلة ذلك التكذيب كذبوا رسلكم (قوله فكذلك نهلك هؤلاء) أى بأن نسلطكم عليهم فتقتلهم وليس المراد الهلاك العام بالحقف والسخ مثلا فان ذلك مرفوع يركنه صلى الله عليه وسلم (قوله ومنهم) أى من أهل مكة المكذبين (قوله من يؤمن به) أى فى المستقبل والمعنى أن أهل مكة المكذبين للقرآن انقسموا قسمين قسم آمن بعد وقسم لم يؤمن (قوله وإن كذبوك) أى داموا على تكذيبك (قوله أى لكل جزاء عمله) أى جزاء ما عمله من خير أو شر (قوله وهذا منسوخ بآية السيف) أى بعد نزولها لم يقل ذلك وفيه إن شرط النسخ أن يكون رافعا لحكم المنسوخ ومدلول الآية ثابت لم ترفعه آية السيف إذ مدلول هذا الآية اختصاص كل بعمله وبرائة كل من عمل الآخر وهذا حاصل مطلقا فالوجه أنه لا نسخ فى هذه الآية (قوله ومنهم من يستمعون إليك) أى من كفار مكة المكذبين للقرآن فريق يصغون إلى قراءتك بأذانهم ولم يذعنوا بقلوبهم فلا تطمع فى إيمانهم لوجود الحتم على قلوبهم فلا يفقهوا الحق ولا يتبعوه وفى هذا تسلية له صلى الله عليه وسلم كأن الله يقول له لا تحزن على عدم إيمانهم فانك لا تقدر أن تسمع الصم ولو كانوا لا يعقلون (قوله أفأنت تسمع الصم) الاستفهام إنكارى بمعنى التثنية والمعنى أنت لا تقدر أن تسمع من سلبه الله السمع (قوله شبههم) أى الكفار وقوله بهم أى بالصم وقوله فى عدم الانتفاع (١٧٧) هذا هو وجه الشبه أى

فكما أن معدوم السمع لا ينتفع بالأصوات فكذلك الكفار لا ينتفعون بسماع القرآن لوجود الحجاب على قلوبهم (قوله ولو كانوا لا يعقلون) أى ولو كان مع الصم عدم العقل وجواب الشرط محذوف دل عليه ما قبله وجملة "شرط معطوبة على محذوف تقديره أنت تسمع الصم إن عقلوا بل ولو كانوا لا يعقلون فأنت لا تسمعهم فيكون المعنى أنت لا تسمع الصم

عاقبة ما فيه من الوعيد (كذلك) التكذيب (كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ) رسلكم (فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الظَّالِمِينَ) بتكذيب الرسل أى آخر أمرهم من الهلاك فكذلك نهلك هؤلاء (وَمِنْهُمْ) أى أهل مكة (مَنْ يُؤْمِنُ بِهِ) لعل الله ذلك منه (وَمِنْهُمْ مَنْ لَا يُؤْمِنُ بِهِ) أبدا (وَرَبُّكَ أَعْلَمُ بِالْمُفْسِدِينَ) تهديد لهم (وَإِنْ كَذَّبُوكَ فَقُلْ) لهم (لِي عَمَلِي وَلَكُمْ عَمَلُكُمْ) أى لكل جزاء عمله (أَنْتُمْ بَرِيثُونَ مِمَّا أَعْمَلُوا وَأَنَا بَرِيءٌ مِمَّا تَعْمَلُونَ) وهذا منسوخ بآية السيف (وَمِنْهُمْ مَنْ يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ) إذا قرأت القرآن (أَفَأَنْتَ تَسْمَعُ الصَّمَّ) شبههم بهم فى عدم الانتفاع بما يتلى عليهم (وَلَوْ كَانُوا) مع الصم (لَا يَفْقَهُونَ) يتدبرون (وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْظُرُ إِلَيْكَ أَفَأَنْتَ تَهْدِي الْعُمْى وَلَوْ كَانُوا لَا يَبْصُرُونَ) شبههم بهم فى عدم الاهتداء بل أعظم - فانها لا تسمى الأبصار ولكن تسمى القلوب التى فى الصدور - (إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الشَّيْثِينَ) وَلَكِنَّ النَّاسَ أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ . وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ كَأَنْ) أى كأنهم (لَمْ يَلْبَثُوا) فى الدنيا أو القبور (إِلَّا سَاعَةً مِنَ النَّهَارِ) ،

عقلوا أو لم يعقلوا فهم كالأنعام بل هم أضل (قوله ومنهم من ينظر إليك) أى يبصرك بعينه (قوله أفأنت تهدى العمى) يقال فيه ما قبل فيما قبله (قوله ولو كانوا لا يبصرون) أى لا يتأملون ولا يفكرون بقلوبهم فيما جئت به من الدلائل العظيمة والشانل الفخيمة ، والمعنى أنت لا تهدى عمى القلوب أبصروا أولم يبصروا (قوله بل أعظم) أى لأنهم عدموا البصيرة والشبه بهم عدموا البصر وفقد البصيرة أعظم فى الضرر من فقد البصر (قوله إن الله لا يظلم الناس شيئا) هذه الآية سبقت لدفع توهم أن الله حيث سلبهم العقل والسمع والبصر فتعذيبهم على عدم الهدى ظلم فدفع ذلك بأن الظلم هو التصرف فى ملك الغير ولا ملك لأحد معه سبحانه وتعالى فتقديره الشقاوة على أهلها ليس بظلم منه لأنه هو المالك الحقيقى وهو يتصرف فى ملكه كيف يشاء (قوله ولكن الناس أنفسهم يظلمون) إنما قال ذلك لأن الفعل منسوب إليهم بسبب الكسب الاختيارى فالله سبحانه وتعالى يعذب الشقى على ما قترفه بالنظر للكسب الاختيارى . فان قيل هو الخالق لذلك الكسب . يقال لا يستل عما يفعل (قوله ويوم نحشرهم) أى نجتمعهم للحساب والضمير عائد على المشركين المنكرين للبعث والمعنى ويوم نجتمع المشركين فى القيامة ويعرف بعضهم بعضا حال كونهم فى وقت حشرهم مشبهين بمن لم يلبثوا إلا زمنا قليلا من النهار .

(قوله لمولوا) أي فبسبب ذلك بعد الزمن السابق عليه يسجدون كل في غسه طويلا (قوله حال من الضمير) أي في حشرهم (قوله إذا بشوا) دفع بذلك ما يقال إن هذا معارض لقوله فلا أنساب بينهم . وحاصل الجواب أنهم يتعارفون أولا فإذا اشتد المول نسي بعضهم بعضا (قوله والجملة حال) أي من المولوا في يلبثوا أو من الضمير في حشرهم وطى هذا فالظرف متعلق بمحذوف تقديره اذكر (قوله أو متعلق الظرف) أي فهو معمول له والتقدير يتعارفون وقت حشرهم (قوله قد خسر الدين كذبوا) هذا إخبار من الله بحالهم الشنيع (قوله وما كانوا مهتدين) معطوف على جملة قد خسر والمعنى وما كانوا واصلين للجنة أبدا (قوله وإما نرينك) هذا تسلية له صلى الله عليه وسلم كأن الله يقول له لا تحزن فأما نرينك عقوبتهم في حياتك أو توخرهم إلى يوم القيامة فهم لا يخلتون من عذابنا على كل حال فاصبر ولا تنق فان الأمر لنا فيهم (قوله فذاك) أي هو للراد وقد حصل ذلك بأن بلغ الله نبيه الآمال فيمن عاداه بسبب تسليمه الأمر فيهم لمالكهم وهكذا يفعل الله بالظالم إذا سلم المظالم أمره لسيده ولم يعترض (١٧٨) على أفعاله وصبر على أحكامه فهذا ينال رضا الله ويظفر بمطلوبه ممن

طلبه وفي هذا المعنى قلت : أرح قلبك العاني وسلم له القضا

تقر بالرضا فالأصل لا يتحول

علامة أهل الله فينا ثلاثة

لإيمان وتسليم وصبر جميل

(قوله فإلينا مرجعهم)

هذا هو جواب الشرط

(قوله ثم الله شهيد)

ثم لترتيب الأخبار

لا لترتيب الزماني (قوله

رسول) أي أرسله الله

لهم (قوله فكذبوه)

قدره إشارة إلى أن قوله

قضى بينهم بالقسط

مرتب على محذوف

لاعلى قوله فإذا جاء

لمول مارأوا وجملة التشبيه حال من الضمير (يَتَعَارَفُونَ بَيْنَهُمْ) يعرف بعضهم بعضا إذا بشوا ثم ينقطع التعارف لشدة الأحوال والجملة حال مقدرة أو متعلق الظرف (قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ كَذَبُوا بِلِقَاءِ اللَّهِ) بالبعث (وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ . وَإِمَّا) فيه إدغام نون إن الشرطية في مال الزيدة (نُرِيَنَّكَ بَعْضَ الَّذِي نَعِدُهُمْ) به من العذاب في حياتك وجواب الشرط محذوف أي فذاك (أَوْ نَتَوَفِّيَنَّكَ) قبل تعذيبهم (فَالْيَنَّا مَرْجِعُهُمْ ثُمَّ اللَّهُ شَهِيدٌ) مطلع (عَلَى مَا يَفْعَلُونَ) من تكذيبهم وكفرهم فيمذبهم أشد العذاب (وَلِكُلِّ أُمَّةٍ) من الأمم (رَسُولٌ فَإِذَا جَاءَ رَسُولُهُمْ) إليهم فكذبوه (فَقُضِيَ بَيْنَهُمْ بِالْقِسْطِ) بالعدل فيمذبون وينجي الرسول ومن صدقه (وَهُمْ لَا يَظْلَمُونَ) بتعذيبهم بغير جرم فكذلك تفعل بهؤلاء (وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْوَعْدُ) بالعذاب (إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ) فيه (قُلْ لَا أَمْلِكُ لِنَفْسِي ضَرًّا) أذفه (وَلَا نَفْعًا) أجلبه (إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ) أن يقدرني عليه فكيف أملك لكم حلول العذاب (لِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ) مدة معلومة لملاكهم (إِذَا جَاءَ أَجْلُهُمْ فَلَا يَسْتَأْخِرُونَ) يتأخرون عنه (سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ) يتقدمون عليه (قُلْ أَرَأَيْتُمْ) أخبروني (إِنْ أَتَيْكُمْ عَذَابُهُ) أي الله (بَيَّاتًا) ليلا (أَوْ نَهَارًا مَاذَا) أي شيء (يَسْتَعْمِلُونَ) أي العذاب (الْمُجْرِمُونَ) المشركون ، فيه وضع الظاهر ،

موضع

رسولهم (قوله وهم لا يظلمون) أي لأن تعذيبهم

بسبب كسبهم لما تقدم أن الرحمة قد تأتي من غير سابقة مقتضيتها ، وأما العذاب فلا بد وأن يكون بسبب فعل يقتضيه

(قوله ويقولون) أي كفار مكة (قوله متى هذا الوعد) أي الذي تعدنا به وهذا القول منهم على سبيل الاستهزاء والسخرية

(قوله إن كنتم صادقين) خطاب للنبي والمؤمنين (قوله قل لا أملك لنفسي ضرا إلخ) أي لا أستطيع أن أدفع الضر عن

نفسى إن أراد الله نزوله بي ولا أستطيع جلب نفع أراد الله منعه عني (قوله إلا ما شاء الله) يحتمل أن يكون متصلا

والتقدير إلا ما شاء أن أملاكه وأقدر عليه ، أو منقطعا والتقدير لكن ما شاء الله من ذلك فإني أملك لكم الضر وأجلب العذاب

(قوله لكل أمة أجل) هذا من جملة ما أجابهم به والمعنى حيث كان لكل أمة أجل محبود لا تتعداه فلا معنى لاستعمالكم

العذاب (قوله يتأخرون إلخ) أشار بذلك إلى أن السنين في يستأخرون ويستقدمون زائدة والمعنى أنه إذا جاء الأجل الذي قدره

الله لكل أمة فلا يتأخرون عنه ولا يتقدمون عليه إن لم يحيى . إن قلت ورد أن الصدقة تزيد في العمر فالجواب أن للراد

بالزيادة البركة لأن الأجل الذي سبق في علم الله لا يتغير (قوله قل أرايتم) أي قل للذين يستعملون العذاب .

(قوله موضع الضرر) أى وهو الواو التى مع تاء المخاطب والتقدير ماذا تستعجلون وعدل عنه لأجل الوصف بالاجرام نيكيتا عليهم (قوله وجلة الاستفهام جواب الشرط) أى على تقدير الفاء لأن الجملة أهمية (قوله والمراد به) أى بالاستفهام (قوله لانكار التأخير) أى للاستفهام من ثم والتقدير فأخروا ثم آمنتم به إذا وقع . والمعنى لا ينبغي هذا التأخير لأن الإيمان فى هذه الحالة غير نافع (قوله آلآن) منصوب على الظرفية والمعامل فيه محذوف قدره المفسر بقوله تؤمنون والفعل للمقدر ومعموله على إضمار القول وهو يقال لكم وآلآن بهزتين الأولى همزة الاستفهام والثانية همزة آل المعرفة فإذا اجتمع هاتان الهمزتان وجب فى الثانية إما تسهيلها أو مدها بقدر ثلاث ألفات وهما قرءاتان سبعيتان وقد وقع ذلك فى القرآن فى ستة مواضع اثنتان فى الأنعام آله كرين مرتين وثلاثة فى هذه السورة آلآن مرتين وآله أذن لكم وواحد فى النمل آله خير . وأما تحقيق الهمزتين فلا يجوز (قوله وقد كنتم به تستعجلون) الجملة حالية من فاعل آمنتم (قوله استهزاء) أى تستعجلون على سبيل الاستهزاء (قوله ثم قيل للذين ظلموا) إخبار عما يقع لهم فى القيامة (قوله هل تجزون) الواو نائب الفاعل مفعول أول وقوله عما كنتم تكسبون مفعول ثان وقوله إلا جزاء مفعول مطلق لتجزون . والمعنى لا تجزون إلا جزاء الذى كنتم تكسبونه من الكفر والتكذيب (قوله ويستنبئونك) السين والتاء للطلب والمعنى يستلثونك أن تخبرهم عما وعدتهم به من العذاب أحق هو الخ ويستنبئونك فعل مضارع والواو فاعل والكاف (١٧٩) مفعول أول وجلة أحق هو

فى محل المفعول الثانى وحق مبتدأ وهو خبر أو بالعكس أو هو فاعل بحق أغنى عن الخبر والشرط موجود وهو اعتماد المبتدأ على الاستفهام (قوله قل إى وربى الخ) هذا أمر من الله لرسوله بأن يجيبهم بثلاثة أشياء إى وربى إنه لحق وما أنتم بمعجزين (قوله نعم) أى ما وعدتنا به من العذاب والبعث (قل إى) نعم (وقضى إنه لحق وما أنتم بمعجزين) فاثنتين العذاب (ولو أن لكل نفس ظلمت) كفرت (مافى الأرض) جميعا من الأموال (لا فتدت به) من العذاب يوم القيامة (وأسرؤا الندامة) على ترك الإيمان (لما رأوا العذاب) أى أخضاها رؤسؤهم عن الضملاء الذين أضلهم مخافة التعمير (وقضى بينهم) بين الخلائق (بالسط) بالعدل (وهم لا يظلمون) شيئا ،

موضع الضرر وجلة الاستفهام جواب الشرط كقولك إذا أتيتك ماذا تعطينى والمراد به التهويل أى ما أعظم ما استعجلوه (أتم إذا ما وقع) حل بكم (آمنتم به) أى الله أو العذاب عند نزوله والهمزة لانكار التأخير فلا يقبل منكم ، ويقال لكم (آلآن) تؤمنون (وقد كنتم به تستعجلون) استهزاء (ثم قيل للذين ظلموا ذوقوا عذاب الخلد) أى الذى تظلمون فيه (هل) ما (تجزون إلا) جزاء (بما كنتم تكسبون . ويستنبئونك) يستخبرونك (أحق هو) أى ما وعدتنا به من العذاب والبعث (قل إى) نعم (وقضى إنه لحق وما أنتم بمعجزين) فاثنتين العذاب (ولو أن لكل نفس ظلمت) كفرت (مافى الأرض) جميعا من الأموال (لا فتدت به) من العذاب يوم القيامة (وأسرؤا الندامة) على ترك الإيمان (لما رأوا العذاب) أى أخضاها رؤسؤهم عن الضملاء الذين أضلهم مخافة التعمير (وقضى بينهم) بين الخلائق (بالسط) بالعدل (وهم لا يظلمون) شيئا ،

إى من أحرف الجواب ولكنها مختصة بالقسم لاستعمل فى غيره ومنه قول الناس إى والله وقولهم إيوه فالواو للقسم والماء مأخوذة من الله ويحتمل أن الماء للسكت والقسم به محذوف للعلم به تقديره إى والله وهذا هو الأقرب لأن تقطيع اسم الجلالة غير لائق (قوله إنه لحق) جواب القسم (قوله وما أنتم بمعجزين) يصح أن يكون معطوفا على إى فيكون من جملة مقول القول ويصح أن يكون جملة مستأنفة خطابا من الله لهم وليس من جملة مقول القول وما يحتمل أنها جارية فاسمها الضمير وبمعجزين خبرها أو تميمية وما بعدها مبتدأ وخبر (قوله فاثنتين العذاب) أى فارتين منه بل هو مدركم لاجالة (قوله ولو أن لكل نفس ظلمت الخ) للمعنى امتنع اقتداء كل نفس من العذاب لامتناع ملكها لما تقتدى به وهو جميع مافى الأرض (قوله كفرت أى ومات على كفرها) (قوله لا فتدت به) أى لجملة فداء لها من العذاب ولكنه لا يحصل ذلك (قوله وأسروا الندامة) الضمير عائد على الرؤساء والإصرار على حقيقته . والمعنى أن الرؤساء حين يرون العذاب يخفون الندامة خوف التعير . هذا ما مضى عليه المفسر وقيل إن أسروا بمعنى أظهرها من تسمية الأضداد ولعل هذا هو الأقرب قال تعالى - أن تقول نفس يا حسرتى على ما فرطت فى جنب الله - الآية (قوله لما رأوا العذاب) ظرف لآسروا بمعنى حين أو شرط حذف جوابه لدلالة ما قبله عليه (قوله مخافة التعير) أى التوبيخ الواقع من الأتباع لهم (قوله بين الخلائق) أى فيقضى للسلطان بالجنة والكفار بالنار ويصح أن يكون المعنى يحذف الظالمين والمظلومين (قوله العدل) أى وهو عدم الجور والظلم .

(قوله ألا) أداة تنبيه يؤتى بها للاعتناء بما بعدها ومناسبة هذه الآية لما قبلها أنه لما ذكر أن كل نفس كافرة تمنى أنها لو تكلمت ما في الأرض لانتقدت به بين هنا أنه لا يمكن ذلك لعدم ملكها فان لله ما في السموات والأرض (قوله ألا إن وعد الله حق) أي لا يحصى عنه بل هو واقع ولا بد (قوله ولكن أكثرهم لا يعلمون) أي لقصور عقولهم بسبب اسقياء الغفلة عليهم فينسكرون ذلك والتعبير بأكثر إشارة إلى أن الأقل يعلم ذلك وهو واحد من ألف لما تقدم في الحديث : يا آدم أخرج بعث النار من ذريتك فيخرج من كل ألف واحدًا للجنة والباقي للنار (قوله فيجازيكم بأعمالكم) أي خيرها وشرها (قوله أي أهل مكة) أشار بذلك إلى أن الخطاب لهم ولكن العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب (قوله موعظة) مصدر وعظ بمعنى ذكر وأرشد لما ينفع من محاسن الأعمال ووزر عما يضر من قبائحها (قوله من ربكم) صفة لموعظة وفي هذا تنزل من الله لعباده كأن الله يقول الفداء في الآخرة لا ينفع وأما في الدنيا فذلك نافع (قوله وشفاء لما في الصدور) المراد بها القلوب من باب تسمية الحال باسم الحال ، والمعنى أن القرآن مذكروا وعظ وبه الشفاء لما في القلوب من الحقد والحسد والبغض والمقائد الفاسدة (قوله وهدي) أي نور يقذف في قلوب الكاملين يميزون به بين الحق والباطل وفي هذه الآية إشارة إلى الشريعة والطريقة والحقيقة فأشار للشريعة بقوله : موعظة من ربكم لأن الشريعة بها تطهير الظواهر وأشار للطريقة بقوله : وشفاء لما في الصدور لأن الطريقة بها تطهير البواطن عن كل مالا يذنبه وأشوا للحقيقة بقوله : وهدي ورحمة للمؤمنين لأن بالحقيقة التحلي بالأنوار الساطعة في القلوب التي يرى بها الأشياء على ما هي عليه (١٨٠) عيانا فعند ذلك يرى الله في كل شيء وأقرب إليه من كل شيء علمًا ذوقيا لاعلمًا

(أَلَا إِنَّ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا إِنْ وَعَدَ اللَّهُ) بالبحث والجزاء (حَقًّا) ثابت (وَلَكِنْ أَكْثَرُهُمْ) أي الناس (لَا يَعْلَمُونَ) ذلك (هُوَ يُخَبِّرُ وَيُمِيتُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ) في الآخرة فيجازيكم بأعمالكم (يَا أَيُّهَا النَّاسُ) أي أهل مكة (قَدْ جَاءَتْكُمْ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ) كتاب فيه مالكم وعليكم وهو القرآن (وَشِفَاءٌ) دواء (لِمَا فِي الصُّدُورِ) من العقائد الفاسدة والشكوك (وَهَدًى) من الضلال (وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ) به (قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ) الإسلام (وَبِرَحْمَتِهِ) القرآن (فَبِذَلِكَ) الفضل والرحمة (فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ) من الدنيا بالياء والتاء (قُلْ أَرَأَيْتُمْ) أخبروني (مَا أَنْزَلَ اللَّهُ) خلق (لَكُمْ مِنْ رِزْقٍ فَجَعَلْنَاهُ مِنْكُمْ حَرَامًا وَحَلَالًا) كالبحيرة والسائبة والميتة (قُلْ اللَّهُ أَذِنَ لَكُمْ) في ذلك التحريم والتعطيل

يقينيا فالحقيقة بمنسرة الطريقة لا تحصل إلا بعد التخلق بالطريقة والشريعة ولذا قيل: حقيقة بلا شريعة باطلة وشريعة بلا حقيقة عاطلة (قوله قل بفضل الله) متعلق بمحذوف دل عليه ما بعده والأصل ليفرحوا بفضل الله وبرحمته فبذلك فليفرحوا ثم قدم الجار والمجرور على

الفعل لا فائدة المحصر ثم دخلت الفاء لا فائدة السببية والمعنى أن من أصف بهذه الصفات المتقدمة فينبغي له أن يفرح ويشكر ما أنعم الله به عليه ويجود بروحه وجسمه في خدمة ربه ولا يتوانى فمن قذف الله في قلبه نور محبته فالواجب عليه إفتاء جسمه في خدمته كي يتم له ذلك النور ويزداد السرور وهذه المحبة هي التي يبرعها العارفون بالحجرة والشراب والحيا لأن بها السكر والفناء مما سوى الله تعالى . قال العارف رضي الله عنه :

شربنا على ذكر الحبيب مدامة سكرنا بها من قبل أن يخاق الكرم

ولا تنظر لجسمي يا عدولي فان الجسم مطلوب في سلا

ولا نشكر شراب حمي قلبي فان القلب محبوب في سقا

قالت خمر الشهود تدهي لآخرة الكرم والدنان

وقال العارف :

وقال العارف موضعا لهذه الحجرة : قتلك خمر الشهود تدهي

ومن ذلك المعنى قوله تعالى - وأن لو استقاموا على الطريقة لأسقيناهم ماء غدقا لنفتنهم فيه - ففسأل الله تعالى أن يجعلنا من أهل محبته وأن يحشرنا في زمرة أهل قربه ومودته (قوله هو خير مما يجمعون) أي من الدنيا وزخارفها وأبهامها إشارة إلى أنها خسيصة لا تساوي جناح بعوضة (قوله بالياء والتاء) راجع لقوله يجمعون وأما فليفرحوا فالتاء عشريه والياء سبعة (قوله قل أَرَأَيْتُمْ) أشار المفسر إلى أن أَرَأَيْتُمْ بمعنى أخبروني وحينئذ فتنبه مفعولين الأول الموصول وصلته والثاني جملة آله أذن لكم وقل تأ كيد للأولى وليست من جملة المفعولين الثاني (قوله كالبحيرة والسائبة) مثالان للحرام وتقدم أن البحار والسواحب ثم يوقفونها على الأصنام

يهرمون ظهورها وتاجها وألباتها ولحومها وقوله والمينة مثال للحلال (قوله لا) أشار بذلك إلى أن الاستفهام انكارى بمعنى النفي (قوله أم بل) أشار المفسر إلى أنها منقطعة بمعنى بل ويصح أن تكون متصلة معادلة للهمزة والمعنى أخبروني أحصل إذن من الله لكم أم ذلك افتراء منكم وكذب فهو استفهام لطلب التعيين وهو الأولى (قوله وما ظن الذين) ما هم استفهام مبتدأ وظن خبره ويوم ظرف متعلق بظن والمعنى أى شئ ظنهم بالله يوم القيامة (قوله أيجسبون الخ) قدر المفسر هذه الجملة إشارة إلى أن مفعولى الظن محذوفان فهذه الجملة سدت مسدها (قوله لا) أشار بذلك إلى أن الاستفهام انكارى أى لا ينبغي هذا الظن ولا يليق ولا ينفع وأما قوله في الحديث «أنا عند ظن عبدي بي» فذلك في حق المؤمن فظن الخير بالله ينفع المؤمن وأما الكافر فلا ينفعه ذلك مادام على كفره (قوله لدو فضل على الناس) أى الطائع منهم والعاصى وذلك في الدنيا فتم الدنيا ليست تابعة للتعوى بل هي ثابتة بالقسمة الأزلية للمؤمن والكافر (قوله بإهمهم) أى تأخير عذابهم (قوله والآنعام عليهم) أى بأنواع النعم كالعقل والسمع والبصر وغير ذلك (قوله لا يشكرون) أى لا يصرفون النعم في مصارفها وحينئذ فلا تنفعهم تلك النعم إلا إذا صحبها الإيمان والشكر فإن عدموا الإيمان صارت النعم نقما وقوله ولكن أكثرهم يغيبون أن القليل هو الشاكر وهو كذلك قال تعالى - وقليل من عبادى الشكور - (قوله وماتلوا منه) الضمير إما عائذ على الشأن أو على الله كما قال المفسر فعلى الأول تكون من لتعليل وعلى الثانى تكون ابتدائية وقوله من قرآن من صلة والمعنى وماتلوا من أجل هذا الشأن قرآنا أو وماتلوا قرآنا مبتدأ وصادرا من الله (قوله إلا كنا عليكم شهودا) استثناء من أعم الأحوال والمعنى ماتلوا بشئ من هذه الثلاثة في حال من الأحوال إلا في حال كوننا

(١٨١)

رقيب مطلعين عليه حافظين له إذا عصت ذلك فكان المناسب للمفسر أن يعيد الضمير في فيه لكل من الثلاثة وقد يجاب بأنه أعاده على العمل لعمومه وشموله لباقي الثلاثة (قوله إذ تفيضون) ظرف لقوله شهودا (قوله وما يعزب) بضم الزاى وكسرهما قراءة ثان سبعيتان (قوله

لا (أم) بل (على الله تفترون) تكذبون بنسبة ذلك إليه (وما ظن الذين يفترون على الله الكذب) أى أى شئ ظنهم به (يوم القيامة) أيجسبون أنه لا يعاقبهم؟ لا (إن الله لدو فضل على الناس) بإهمهم والآنعام عليهم (ولكن أكثرهم لا يشكرون وماتكون) يا محمد (في شأن) أمر (وما تتلوا منه) أى من الشأن أو الله (من قرآن) أنزله عليك (ولا تعملون) خاطبه وأمه (من عمل إلا كنا عليكم شهودا) رقيب (إذ تفيضون) تأخذون (فيه) أى العمل (وما يعزب) يغيب (عن ربك من مثقال) وزن (ذرة) أصغر غلة (في الأرض ولا في السماء ولا أصغر من ذلك ولا أكبر إلا في كتاب مبين) بين هو اللوح المحفوظ (ألا إن ،

عن ربك) أى عن علمه (قوله أصغر غلة) وقيل هو الهباء وقيل أصغر بعوضة (قوله في الأرض ولا في السماء) أى في سائر الموجودات وعبر عنه بالسماء والأرض لمشاهدة الخلق لهما . واعلم أن عالم الملك ما يشاهده الخلق كالأرض وما حوته وما ظهر من السماء ، وعالم الملكوت ما لا يشاهد كما فوق السماء من العرش والكرسى والملائكة وغير ذلك ، وعالم الجبروت هو عالم الأسماء وعالم العزة هو ما استأثر الله بعلمه كسمل ذاته وصفاته ومراداته (قوله ولا أصغر من ذلك ولا أكبر) بالرفع والنصب قراءة ثان سبعيتان فالرفع إما على الابتداء والخبر أو على أن لاعاملة عمل ليس والخبر على كلا الاعرابين قوله إلا في كتاب مبين فتكون الجملة مستأنفة منقطعة عما قبلها والنصب على أنها عاملة عمل إن لأن أصغر وأكبر شيهان بالمضاف تعلق بهما شئ من تمام معناها وهو العمل في الجار والمجرور وهاتان القراءتان هنا فقط وأما في سبأ فبالرفع باتفاق السبعة (قوله إلا في كتاب مبين) الاستثناء منقطع والمعنى لكن جميع الأشياء في كتاب مبين فهو استدراك على ما يتوهم نفسه لأن قوله لا يعزب عن ربك الخ ربما يتوهم منه أنه لم يحط بها غير علم الله فدفع ذلك بقوله إلا في كتاب مبين : أى لكن جميع الأشياء مثبتة في كتاب مبين أيضا ولا يصح أن يكون متصلا لأنه يصير المعنى لا يغيب عن علمه شئ في حال من الأحوال إلا في حال كونه مثبتا في كتاب مبين فيغيب فيفيد أن مافى الكتاب المبين غائب عن علم الله وذلك باطل وهذا الاشكال لا يرد إلا على جعل قوله ولا أصغر ولا أكبر معطوفا على مثقال وأما إن جعل مستأنفا كما تقيده فلا يرد الأشكال فتأمل (قوله ألا) أداة نفيه يؤتى بها ليقبى السامع بعدها ويحتجى به لعظمه .

(قوله أولياء الله) جمع ولي من الولاء وهو العز والنصر سموا بذلك لأنهم هم المنصورون بالله العزيزون به لا يطمعون في شيء سوى القرب منه وولي فصيل إما بمعنى فاعل أى متولى خدمة ربه بكل ما أمكنه بروحه وجسمه ودينه أو بمعنى مفعول أى تولى الله إكرامه وعطاياه ونفحاته فلم يكله لشيء سواه فحيت تولى الخدمة تولاه الله بالنعمة والفضة وهو سر قوله في الحديث « يادنيا من خدمتى فأخدمينه » فحينئذ صار معنى الولي المنحك في طاعة ربه الذي أفيضت عليه الأنوار والأسرار لما ورد « من تقرب منى شبرا تقربت منه ذراعا ، ومن تقرب منى ذراعا تقربت منه باعا ، ومن أتانى يمشي أتيت هرولة » وعلامة الولي كما في الحديث « سئل رسول الله عن علامة الأولياء فقال هم الذين إذا رؤوا ذكروا الله تعالى » وسبب ذلك ظهور أنوار المعرفة السكينة في قلوبهم على ظواهرهم ، وذلك سر قوله تعالى - سيأمنون في وجوههم من أثر السجود . وقال أبو بكر الأصم : أولياء الله هم الذين تولى الله هدايتهم وتولوا القيام بحق العبودية لله تعالى والدعوة إليه ، والولي من الولاء وهو القرب والنصرة ، فولى الله هو الذى يتقرب إلى الله بكل ما افترض الله عليه ويكون مستنلا بالله مستغرق القلب في نور معرفة جلال الله تعالى ، فإن رأى رأى دلائل قدرة الله ، وإن سمع سمع آيات الله ، وإن نطق نطق بالثناء على الله ، وإن تحرك تحرك في طاعة الله ، وإن اجتهد اجتهد فيما يقربه إلى الله لا يفتر عن ذكر الله ولا يرى بقلبه غير الله فهذه صفات أولياء الله . وإذا كان العبد كذلك كان الله وليه وناصره ومعينه . قال تعالى - الله ولي الذين آمنوا - وروى عن أبي مالك الأشعري قال : « كنت عند النبي صلى الله عليه وسلم فقال : إن الله عبادا ليسوا بأنبياء ولا شهداء يغبطهم الأنبياء والشهداء بقرهم ومقعدهم من الله يوم القيامة » قال وفي ناحية القوم أعرابي جفى على ركبتيه ورمى بيديه ثم قال : حدثنا يارسول الله عنهم من هم ؟ قال فرأيت في وجه رسول الله البشرى فقال : هم (١٨٢) عباد من عباد الله ومن بلدان شتى لم يكن بينهم أرحم يتواصلون

بها ولا دنيا يتبادلون بها يتحابون بروح الله يجعل الله وجوههم نورا ويجعل لهم منابر من لؤلؤ قدام الرحمن يفرغ الناس ولا يفرعون ويخاف

أُولِيَاءِ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ (فِي الْآخِرَةِ هُمُ الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ)
 الله بامثال أمره ونهيهِ (لَهُمُ الْبُشْرَى فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا) فسرت في حديث صححه الحاكم بالروايا
 الصالحة يراها الرجل أو ترى له (وَفِي الْآخِرَةِ) بالجنة والثواب ،

(لا تبديل)

الناس ولا يخافون » وروى عن عمر بن الخطاب قال : قال رسول الله

صلى الله عليه وسلم « إن من عباد الله لا ناسا ما هم بأنبياء ولا شهداء يغبطهم الأنبياء والشهداء يوم القيامة بمكانهم من الله » قالوا يارسول الله تخبرنا بأمرهم ؟ قال هم قوم تحابوا بروح الله على غير أرحام بينهم ولا أموال يتعاطونها فوالله إن وجوههم لنور وإنهم لعل نور لا يخافون إذا خاف الناس ولا يحزنون إذا حزن الناس ، وقرأ هذه الآية - ألا إن أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون » وروى عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « قال الله تعالى - إن أوليائي من عبادي الذين يذكرون بذكري وأذكر بذكركم » (قوله لاخوف عليهم ولا هم يحزنون) لحفظ الله لهم في الدنيا من الأسباب التي توجب الخوف والحزن في الآخرة (قوله في الآخرة) أى لما في الحديث « لا يخافون إذا خاف الناس ولا يحزنون إذا حزن الناس » (قوله الذين آمنوا) قدر المفسرهم إشارة إلى أن الاسم للوصول خبر مبتدأ محذوف وهذه الجملة مستأنفة واقعة في جواب سؤال مقتر تقديره ماصفات أولياء الله . فأجاب بأنهم الذين اتصفوا بالإيمان والتقوى ، والمعنى أن أولياء الله هم الذين اتصفوا بالإيمان وهو الاعتقاد الصحيح المبني على الدلائل القطعية والتقوى وهي امتثال الأمور واجتناب المنهيات على طبق الشرع ، ولذا قال القشيري : شرط الولي أن يكون محووظا كما أن من شرط النبي أن يكون معصوما فكل من كان للشرع عليه اعتراض فهو مغرور مخادع . وقال الإمام الشافعي وأبو حنيفة : إذا لم تكن العلماء أولياء الله فليس لله ولي وذلك في العالم العامل بعلمه (قوله فسرت في حديث صححه الحاكم بالروايا الصالحة الخ) أى لأنه لم يبق من النبوة إلا المبشرات وهي الروايا الصالحة ، وفي الحديث : « الروايا الصالحة جزء من ستة وأربعين جزءا من النبوة » وقيل المراد بالبشرى في الحياة الدنيا نزول الملائكة بالبشارة من عند الله عند الموت ، ويدل عليه قوله تعالى - تنزل عليهم الملائكة أن لا تخافوا ولا تحزنوا وأبشروا بالجنة التي كنتم توعدون - وقيل البشرى في الحياة الدنيا الثناء الحسن . وعبة الخلق لهم لما ورد عن أبي ذر : « قبل لرسول الله صلى الله عليه وسلم

لَرَأَيْتَ الرَّجُلَ يَعْمَلُ الْعَمَلَ مِنَ الْخَيْرِ وَيَحْمَدُهُ النَّاسُ عَلَيْهِ ؟ قَالَ عَاجِلُ بَسْرَى لِلْمُؤْمِنِ « ، وَوَرَدَ أَيْضًا : « إِذَا أَحَبَّ اللَّهُ عَبْدًا فَادَّى جَبْرِيْلَ فَيَقُولُ لَهُ إِنِّي أَحَبُّ فَلَانَا فَأَحْبِبْهُ جَبْرِيْلُ ثُمَّ يَنَادِي فِي السَّمَاءِ إِنَّ اللَّهَ يَحِبُّ فَلَانَا فَأَحْبِبُوهُ فَيَحِبُّهُ أَهْلُ السَّمَاءِ ثُمَّ يَوْضَعُ لَهُ الْقَبُولَ فِي الْأَرْضِ » قَالَ بَعْضُ الْحَقِيقِيْنَ : إِذَا اشْتَغَلَ الْعَبْدُ بِاللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ اسْتَنَارَ قَلْبُهُ وَامْتَلَأَ نُورًا فَيَفِيضُ مِنْ ذَلِكَ النُّورِ الَّذِي فِي قَلْبِهِ عَلَى وَجْهِهِ فَيُظْهِرُ عَلَيْهِ آثَارَ الْخُشُوعِ وَالْخُضُوعِ فَيَحِبُّهُ النَّاسُ وَيُثْنُونَ عَلَيْهِ فَذَاكَ عَاجِلُ بَسْرَاءَ بِحَبَّةِ اللَّهِ لَهُ وَرِضْوَانُهُ عَلَيْهِ وَقِيلَ الْبَشَرِيُّ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ظُهُورُ الْكِرَامَاتِ وَقَضَاءُ الْحَوَائِجِ بِسَهُولَةٍ فَكُلَّمَا تَوَجَّهَ الْعَبْدُ الْمَحْبُوبُ لَشَيْءٍ مِنْ أُمُورِهِ قَضَى عَاجِلًا وَأَحْسَنَ أَنْ يَرَادَ بِالْبَشَرِيِّ فِي الدُّنْيَا جَمِيعُ مَا تَقَدَّمَ وَأَعْظَمُهَا التَّوْفِيقُ لِحُدُومَةِ اللَّهِ وَرَاحَةِ الْجَسَدِ فِي طَاعَةِ اللَّهِ وَانْتِسَاحِ الصَّدْرِ لِدَلَالَتِهِ ، وَأَمَّا الْبَشَرِيُّ فِي الْآخِرَةِ فَالْجَنَّةُ وَمَا فِيهَا مِنَ النِّعَمِ الدَّائِمِ قَالَ تَعَالَى - يَوْمَ تَرَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ يَسْعَى نُورُهُمْ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ بِشَرَاكِهِمُ الْيَوْمَ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ - (قَوْلُهُ) لَا خَلْفَ لِمَوَاعِيدِهِ (أَيْ الَّذِي وَعَدَ اللَّهُ بِهَا أَوْلِيَائِهِ وَأَهْلَ طَاعَتِهِ فِي كِتَابِهِ وَعَلَى السَّنَةِ رَسَلَهُ وَانْعَنِى لَاتَغْيِيرَ لِدَلَالَتِهِ الْوَعْدِ (قَوْلُهُ ذَلِكَ) أَيْ الْوَعْدِ التَّائِقِ مِنْ كَوْنِهِمْ لَا خَوْفَ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ وَلَهُمُ الْبَشَرِيُّ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَكَوْنِ هَذَا الْوَعْدِ لَا يَتَغَيَّرُ وَلَا يَبْتَدِلُ (قَوْلُهُ) هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ (أَيْ الظَّفَرُ بِالْمَقْصُودِ الْكَامِلِ الَّذِي لَا يُضَاهَى (قَوْلُهُ وَلَا يَحْزَنُ) إِمَّا بِفَتْحِ الْيَاءِ وَضَمِّ الزَّيِّ مِنْ بَابِ نَصَرَ أَوْ بَضَمِ الْيَاءِ وَكَسْرِ الزَّيِّ مِنْ بَابِ أَكْرَمَ قَرَأَتَانِ سَبْعَتَانِ وَانْعَنِى لَاتَنْهَمَ بِأَقْوَالِهِمْ وَلَا تَحْزَنُ لَهَا فَإِنَّ اللَّهَ مَعَكُمْ وَنَاصِرُكُمْ وَهَذَا تَسْلِيَةٌ لَهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَمَّا يَلْقَاهُ مِنْ أَذَاهُمْ وَتَبَشِيرٌ لَهُ بِالنَّصْرِ وَالظَّفَرِ بِالْمَقْصُودِ (قَوْلُهُ اسْتِثْنَاءٌ) أَشَارَ بِذَلِكَ إِلَى أَنَّ الْوَقْتَ تَمَّ عِنْدَ قَوْلِهِ قَوْلُهُمْ وَقَوْلُهُ إِنْ الْعِزَّةَ الْحَقَّ كَلَامٌ مُسْتَأْنَفٌ مِنْ كَلَامِ اللَّهِ تَعَالَى فِي قُوَّةِ التَّعْلِيلِ لِقَوْلِهِ (١٨٣) - وَلَا يَحْزَنُكَ قَوْلُهُمْ - أَوْ وَاقِعٌ فِي

جواب سؤال مقدر تقديره
إِنَّ اللَّهَ أَمَرَهُ بِعَدَمِ الْحُزَنِ
مِنْ أَجْلِ قَوْلِهِمْ مَعَ أَنَّ
أَقْوَالَهُمْ تَوَجَّبَ الْحُزْنَ
فَأَجَابَ اللَّهُ تَعَالَى بِأَنَّ
الْعِزَّةَ اللَّهُ يَعْطِيهَا لِمَنْ يَشَاءُ
فَأَقْوَالَهُمْ لَا تَقِيدُ شَيْئًا
فَيَنْشُدُ لَا يَبَالِي بِهِمْ وَلَا
بِقَوْلِهِمْ (قَوْلُهُ إِنْ الْعِزَّةَ

(لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ) لَا خَلْفَ لِمَوَاعِيدِهِ (ذَلِكَ) الْمَذْكُورُ (هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ . وَلَا يَحْزَنُكَ قَوْلُهُمْ) لَكَ : لَسْتُ مَرْسَلًا وَغَيْرِهِ (إِنْ) اسْتِثْنَاءٌ (الْعِزَّةُ) الْقُوَّةُ (لِلَّهِ جَمِيعًا هُوَ السَّمِيعُ) لِقَوْلِهِ (الْعَلِيمُ) بِالْفِعْلِ فَيَجَازِيهِمْ وَيَنْصَرِّكُ (أَلَا إِنَّ اللَّهَ مِنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ) عِبِيدًا وَمُلْكًا وَخَلْقًا (وَمَا يَتَّبِعُ الَّذِينَ يَدْعُونَ) يَعْبُدُونَ (مِنْ دُونِ اللَّهِ) أَيْ غَيْرِهِ أَصْنَامًا (شُرَكَاءَ) لَهُ عَلَى الْحَقِيقَةِ ، تَعَالَى عَنْ ذَلِكَ (إِنْ) مَا (يَتَّبِعُونَ) فِي ذَلِكَ (إِلَّا الظَّنَّ) أَيْ ظَنَّهُمْ أَنَّهَا آلِهَةٌ تَشْفَعُ لَهُمْ (وَإِنْ) مَا (هُمْ إِلَّا يَحْزَنُونَ) .

لَهُ) أَيْ الْعَلِيَّةُ وَالسُّلْطَانَةُ الْكَامِلَةُ ثَابِتَةٌ لِلَّهِ يُخْلَعُهَا عَلَى مَنْ يَشَاءُ وَلِذَا قَالَ فِي سُورَةِ الْمُنَافِقِينَ - وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ - (قَوْلُهُ جَمِيعًا) حَالٌ مِنَ الْعِزَّةِ (قَوْلُهُ فَيَجَازِيهِمْ) أَيْ عَلَى مَا قَدَّمُوا مِنْ خَيْرٍ وَشَرٍّ (قَوْلُهُ وَيَنْصَرِّكُ) أَيْ عَلَى مَنْ عَادَاكَ وَهَذَا يُقَالُ لِكُلِّ مَنْ سَلَكَ طَرِيقَ سَيِّدِ الْمُرْسَلِينَ وَعَمِلَ بِمُقْتَضَاهَا وَتَعَرَّضَ لَهُ الْحَسَادُ بِالْإِيذَاءِ يُقَالُ لَهُ لَا يَحْزَنُكَ قَوْلُهُمْ وَعِيْبُهُمْ وَحَسَدُهُمْ لِأَنَّ الْعِزَّةَ مَمْلُوكَةٌ وَثَابِتَةٌ لَهُ يَعْطِيهَا لِمَنْ أَرَادَ فَلَا تَنْزَعُ مِنْهُمْ وَلَا تَنْتَفِئُ لَهُمْ (قَوْلُهُ أَلَا) أَدَاةُ تَنْبِيْهِ (قَوْلُهُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ) مَنْ وَاقِعَةٌ عَلَى الْعَاقِلِ فَالْمُرَادُ بِمَنْ فِي السَّمَوَاتِ الْمَلَائِكَةُ وَبِمَنْ فِي الْأَرْضِ الْإِنْسَانُ وَالْجِنُّ وَخَصَّهُمُ بِالْكَرِّ لِشَرَفِهِمْ ، وَلِيَعْلَمَ أَنَّ غَيْرَهُمْ مِنْ بَاقِي الْخُلُوقَاتِ مَمْلُوكُونَ لَهُ بِالطَّرِيقِ الْأَوَّلِيِّ وَهَذَا هُوَ الْحِكْمَةُ فِي تَعْيِيرِهِ فِي الْآيَةِ الْأُولَى بِمَا وَفَى هَذِهِ الْآيَةُ بِمَنْ أَوْ يُقَالُ فِي الْحِكْمَةِ إِنَّ التَّخَايُرَ إِشَارَةٌ إِلَى أَنَّ الْخَلْقَ جَمِيعًا فِي قَبْضَتِهِ وَمَمْلُوكُونَ لَهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى فَإِنْ مَاسْتَعْمَلَةٌ فِي غَيْرِ الْعَاقِلِ كَثِيرًا وَمِنْ بِالْعَكْسِ فَأَقَادَ أَنَّ جَمِيعَ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مَمْلُوكُونَ لَهُ حَقِيقَةٌ (قَوْلُهُ وَمَا يَتَّبِعُ الَّذِينَ) مَا نَافِيَةٌ وَيَتَّبِعُ فِعْلٌ مُضَارِعٌ وَالَّذِينَ فَاعِلٌ وَيَدْعُونَ صِلَتُهُ وَمِنْ دُونِ اللَّهِ مَتَعَلِّقٌ بِدَعْوَانِ وَشُرَكَاءُ مَفْعُولٌ يَتَّبِعُ وَمَفْعُولٌ يَدْعُونَ مَحْذُوفٌ قَدْرُهُ لِلْفَرْسِ بِقَوْلِهِ أَصْنَامًا وَالْمَعْنَى لَا يَتَّبِعُ الَّذِينَ يَعْبُدُونَ غَيْرَ اللَّهِ أَصْنَامًا شُرَكَاءَ حَقِيقَةً فَالْمَعْنَى كَوْنُهَا شُرَكَاءَ حَقِيقَةً وَأَمَّا ادْعَاؤُهُمُ الْفِكْرَةَ فَهِيَ ثَابِتَةٌ ، وَهَذَا نَتِيجَةُ قَوْلِهِ : أَلَا إِنَّ اللَّهَ مِنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ فَيَصِيرُ الْمَعْنَى حَيْثُ ثَبَتَ أَنَّ لَهُ جَمِيعَ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ عَقْلًا وَغَيْرَهُمْ تَحَقُّقٌ وَثَبَتَ أَنَّهُ لَيْسَ شَرِيكَ أَصْلًا إِذْ لَيْسَ شَيْءٌ عَمَّا جَعَلُوهُ إِلَّا خَارِجًا عَنْ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ فَكَيْفَ يَكُونُ الْمَمْلُوكُ شَرِيكًا ، تَعَالَى اللَّهُ عَنْ ذَلِكَ (قَوْلُهُ إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ) أَيْ لِأَنَّهُمْ مَقْلُدُونَ لِأَبَائِهِمْ حَيْثُ قَالُوا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَى أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَى آثَارِهِمْ مُقْتَدُونَ (قَوْلُهُ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ) هَذَا مِنْ حَصْرِ الْمَوْصُوفِ فِي الصِّفَةِ

أى ليس هم حفة إلا الكذب والحرص في الأصل الحزر والتخمين والراد منه هنا الكذب كما أفاده المفسر (قوله يكذبون في ذلك) أى اتباعهم الظن (قوله هو الذى جعل لكم الليل لتسكنوا فيه) هذا من جملة الأدلة القطعية على أنه واحد لا شرك له وفي هذه الآية احتباك حيث حذف من كل نظير ما أثبت في الآخر فحذف من الأول وصف الليل وهو مظلم وذكركه حكمة وحذف من الثانى الحكمة وذكرو وصفه والأصل هو الذى جعل لكم الليل مظلماً لتسكنوا فيه والنهار مبصراً لتبتغوا وتحركوا فيه (قوله لتسكنوا فيه) أى لتستريحوا من تعب النهار (قوله مجاز) أى عطف من الإسناد للظرف (قوله إن في ذلك) أى الجمل المذكور (قوله لقوم يسمعون) خصهم بالذكر لأنهم المنتفعون بذلك (قوله أى اليهود) أى حيث قالوا عزير ابن الله وقوله والنصارى أى حيث قالوا المسيح ابن الله وقوله وسن زعم أى وهم مشركو العرب (قوله سبحانه) أى تقدس وتزه عن ذلك قال تعالى : تكاد السموات يتفطرن منه وتنشق الأرض وتخر الجبال هداً أن دعوا للرحمن ولداً وما ينبغي للرحمن أن يتخذ ولداً الآية (قوله هو الفنى) أى المستغنى عن كل ما سواه المفتقر إليه كل ما عداه وهو دليل لما قبله (قوله له ما فى السموات الخ) دليل لقوله هو الفنى (قوله) (١٨٤) استفهام توبيخ أى تفرغ وتهديد لهم (قوله قل) أمر من الله لنبيه

يكذبون في ذلك (هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَالنَّهَارَ مُبْصِرًا) إسناد الابصار إليه مجاز لأنه يبصر فيه (إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ) دلالات على وحدانيته تعالى (لِقَوْمٍ يَسْمَعُونَ) سماع تدبر واتعاظ (قَالُوا) أى اليهود والنصارى ومن زعم أن الملائكة بنات الله (اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا) قال تعالى لهم (سُبْحَانَهُ) تنزيها له عن الولد (هُوَ الْفَنَى) عن كل أحد وإنما يطلب الولد من يحتاج إليه (لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ) ملكاً وخلقاً وعبداً (إِنْ) ما (عِنْدَكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ) حجة (بِهَذَا) الذى تقولونه (أَتَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ) استفهام توبيخ (قُلْ إِنَّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ) بنسبة الولد إليه (لَا يَفْلَحُونَ) لا يسمدون، لهم (مَتَاعٌ) قليل (فِي الدُّنْيَا) يتمتعون به مدة حياتهم (ثُمَّ إِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ) بالموت (ثُمَّ نَذِقُهُمُ الْعَذَابَ الشَّدِيدَ) بعد الموت (بِمَا كَانُوا يَكْفُرُونَ) . وائل (يا محمد) عليهم أى كفار مكة (نَبَأٌ) خبر (نُوحٍ) ويبدل منه (إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ إِنَّ كَذِبَكُمْ فِي اللَّهِ لَبِئْسَ فِتْنًا لَكُمْ) (وَتَذَكَّرِ) وعطى إياكم (بِآيَاتِ اللَّهِ فَتَلَى اللَّهُ تَوَكَّلْتُ فَأَجْمِعُوا أَمْرَكُمْ) ،

صلى الله عليه وسلم أن ينههم على سوء عاقبتهم لعلهم ينزجرون عما هم عليه (قوله لا يسمدون) أى لا يفوزون بمطلوبهم بل هم خائبون خاسرون وإن تكاثرت عليهم النعم فما لها الزوال (قوله متاع) مبتدأ خبره محذوف قدره المفسر بقوله لهم وحيث قد فالوقف على قوله لا يفلحون وهذا جواب عما يقال إنهم في حظوظ كثيرة وسعة عيش وسلامة بدن وغير ذلك من أنواع النعم الدنيوية فدفع

ذلك بقوله متاع قليل أى فلا يستمر وليس بنافع في الآخرة (قوله بما كانوا يكفرون) أى بسبب كفرهم (قوله وائل عليهم) لما ذكر سبحانه وتعالى أحوال كفار قريش وما كانوا عليه من القبائح وما عظم الله به على لسانه صلى الله عليه وسلم شرع في ذكر ما وقع للأنبياء مع أممهم ليكون ذلك تسلياً له صلى الله عليه وسلم وعبرة للكفار لعلهم يؤمنون (قوله نبأ نوح) أى بعض نبئه إذ لم يذكر جميع خبره وتقدم أن اسمه عبد الغفار بن ملك بن متوشلخ بن إدريس ونوح لقبه وبينه وبين إدريس ألف سنة وقدم قصة قوم نوح لأنهم أول الأمم هلاكاً وأشدهم كفراً (قوله كبر) بضم الباء في المعاني وأما في الأجسام فهو بكسر الباء (قوله متامى) بفتح الميم باتفاق السبعة وقرئ شذوذاً ضمها فالأول ثلاثى والثانى رباعى وهو من باب الاسناد المجازى وحق الإسناد أن يكون للذات نظير نقل على ظله (قوله لبئس فيكم) أى مكث بينكم وقوله وتذكركم الخ الواو بمعنى مع والمعنى إن كان عظم عليكم مكث بينكم مع تذكري بآيات الله فأجمعوا أمركم الخ وذلك لأنه مكث فيهم ألف سنة إلا خمسين عاماً يدعوهم إلى توحيد الله فى الحقيقة الذى شق عليهم إنما هو دعاؤه إلى التوحيد ونصيحته لهم لأن النصيحة لا يقبلها إلا الطبع السليم (قوله فعلى الله توكلت) أى وقتت به لا بغيره وفوضت أموري إليه (قوله فأجمعوا) هذا هو جواب الشرط وجملة فعلى الله توكلت اعتراض بين الشرط وجوابه ولا يصح أن تكون جواباً لأنه لا يحسن ترتيبها على الشرط

اعزموا

لأنه متوصل في التبعاً وأجمعوا بهزمة القطع هنا بالاضاف السبعة وهو شدي بفسه وبحرف الجر، وأما ما يأتي في طه في قوله فأجمعوا كيدكم فيهمزة الوصل والقطع قراءتان سبعيتان فأجمع بهزمة القطع مستعمل في المعاني كثيراً وبهمزة الوصل في الأجسام كثيراً يقال أجمعت أمري وجمعت جيشي (قوله اعزموا) أي صمموا ولا ترددوا (قوله على أمر تفعلونه) أي كهلاك (قوله الواو بمعنى مع) أي فشركاكم منصوب على اللعبة لا معطوف على أمركم لأن الشركا ذوات لا يتسلط عليه أجمعوا إلا بقلة ويصح التنبؤ باضمار فعل لائق والتقدير فأجمعوا أمركم واجمعوا شركاءكم بهزمة الوصل على حد علفتها تنبأ واما باردا أو يقدر مضاف في المعطوف والتقدير أمر شركائكم (قوله ثم لا يكن أمركم عليكم غمة) أي لا يكن أمركم مخفياً بل أظهروا ما في ضمائرهم فاني لست مبالياً بكم لأن توكل على ربي فافضة مأخوذة من قولهم غم الهلال إذا خفي على الناس (قوله ثم أقضوا إلي) أي أدوا إلى ما أردتموه وأوصلوه لي وقرئ شذوذاً ثم أقضوا إلي بقطع الهزمة وبالفاء من أقضى بالكسرة إذا انتهى إليه وأسرع والمعنى ثم أسرعوا إلى بما هزمتهم عليه (قوله فان توليتهم) أي دتم على التولي والكفر وجواب الشرط محذوف تقديره فلا ضرر على وقوله فما سألتكم الخ تعليل لذلك المحذوف (قوله ثواب عليه) أي على التذكير (قوله فتولوا) منصوب بأن مضمره بعد فاء السببية وفيه حذف إحدى التاءين والأصل فتولوا (قوله إن أجرى إلا على الله) أي ثوابي عليه لأعلى غيره فأطلبه منه (قوله وأمرت أن أكون من المسلمين) أي اللنادين لامثال (١٨٥) وأمره واجتناب نواهيته في نفسى

ونبليغ غيبي (قوله يكذبوه) أي داموا واستمروا على تكذيبه (قوله فنجيناها) أي أعقبتنا تكذيبه النجاة له ولمن آمن معه (قوله ومن معه) أي من الانس وكانوا أربعين رجلاً وأربعين امرأة (قوله في الفلك) تقدم أنه يستعمل مفرداً وجمعاً (قوله وجعلناهم) أي صبرناهم (قوله وأغرقتنا) إنما أخر ذكره عن

أعزموا على أمر تفعلونه بي (وشركاكم) الواو بمعنى مع (ثم لا يكن أمركم عليكم غمة) مستورا بل أظهروا وجاهروني به (ثم أقضوا إلي) أقضوا في ما أردتموه (ولا تنظرون) تمهلون فاني لست مبالياً بكم (فان توليتهم) عن تذكيري (فما سألتكم من أجر) ثواب عليه فتولوا (إن) ما (أجرى) نوى (إلا على الله وأمرت أن أكون من المسلمين) فكذبوه فنجيناها ومن معه في الفلك (السفينة) وجعلناهم أي من معه (خلائف) في الأرض (وأغرقتنا الذين كذبوا بآياتنا) بالطوفان (فانظروا كيف كان عاقبة المُنذرين) من إهلاكهم فكذلك تفعل بمن كذبك (ثم بعثنا من بعده) أي نوح (رسلاً إلى قومهم) كإبراهيم وهود وصالح (فجاءوهم بالبينات) المعجزات (فما كانوا ليؤمنوا بما كذبوا به من قبل) أي قبل بعث الرسل إليهم (كذلك نطبع) نختم (على قلوب المعتدين) فلا تقبل الايمان كما طبعنا على قلوب أولئك (ثم بعثنا من بعدهم موسى وهارون إلى فرعون وملأه) قومه (بآياتنا)

الانجاء إشارة إلى أن الرحمة سابقة على الغضب ولتعجيل المسرة لمن يمثل الأمر (قوله فكذلك تفعل بمن كذبك) هذا هو المقصود من ذكر هذه التخصيص (قوله رسلاً إلى قومهم) أي فكل رسول بعث إلى قومه (قوله كإبراهيم) أي فكذبوه وآذوه حتى رموه في النار (قوله وهود) أي فكذبوه وآذوه فاهلكهم الله (قوله فجاءوهم) أي جاء الأنبياء لأقوامهم ملتبسين بالآيات (قوله فما كانوا ليؤمنوا) أي لا يصح ولا يستقيم لهؤلاء الايمان فالمراد بعدم الايمان الاصرار على الكفر والتكذيب (قوله كذلك) أي مثل هذا الطبع (قوله فلا تقبل الايمان) أي لوجود الحجاب المانع منه في الحقيقة لا يمكنهم الايمان وإن كانوا في الظاهر مختارين (قوله ثم بعثنا من بعدهم) هذا عطف قصة على قصة وخاص على عام لمزيد الغرابة في وقائع موسى مع فرعون وكما هذا تسليه له صلى الله عليه وسلم (قوله موسى وهرون) أي فكل منهما رسول إلى فرعون وقومه لكن هرون وزير لموسى ومعين له قال تعالى حكاية عن موسى : وأخي هرون هو أفصح مني لساناً فأرسله مني ردءاً يصدقني الآية وهذا لا ينافي أن كلا منهما رسول من عند الله فمن أنكر رسالة واحد منهما كفر (قوله وملأه) تقدم أن الملأ بالقصر والهمز الأشرف الذين يملأون العيون بمباهتهم والمجالس بأجسامهم والقلوب بجلالتهم ، ولكن المفسر فسرهم هنا بالقوم حينئذ يكون المراد بهم ما يشمل الاتباع وقيل المراد بالملأ خصوص الأشرف وخصوا بالكفر لأن غيرهم تبع لهم فاذا آمن الرؤساء آمن الاتباع وإذا كفروا

(قوله التسع) تقدم منها في الأعراف ثمانية : الصا واليد والسنين والطوفان وحراد والقمل والضفادع والنم وريثاني التاسعة هنا في قوله : ربنا اطمس على أموالهم الآية (قوله فاستكبروا) الاستكبار ادعاء التكبر من غير استحقاق له (قوله عن الإيمان بها) أي تلك الآيات التسع وفي نسخة بهما أي موسى وهرون (قوله فلما جاءهم الحق) أي للآيات التسع ففيه إظهار في مقام الإضمار وفي الحقيقة أصل نزاعهم ودعواهم أن ما جاء به سحر إيمانها هو في اليد والصا (قوله قالوا إن هذا لسحر مبين) هذه المقالة وقعت منهم بعد هيء السحرة وابتلاع الصا حبال السحرة وعصيم (قوله قال موسى) أي ردًا عليهم بثلاث حمل الأولى أنقولون للحق لما جاءكم إنه سحر الثانية أسحر هذا الثالثة ولا يفلح الساحرون (قوله إنه لسحر) مقول لقوله أنقولون حذف لدلالة ما قبله عليه ولأنه لا ينبغي أن يذكر (قوله وقد أفلح من أتى به) الجملة حالية (قوله ولا يفلح الساحرون) أي لا يفلحون بطلوبهم والجملة حالية من فاعل أنقولون (قوله للانكار) أي فالله لا يلبق ولا ينبغي أن يقال هذا الكلام (قوله قالوا أجتنا) لما لم يجدوا حجة يعارضونه بها رجعوا للتقليد المحض فقالوا ماذا ذكر (قوله عما وجدنا عليه آباءنا) أي من عبادة الأصنام (قوله وتكون) معطوف على تلفتنا (١٨٦) أي وتكون (قوله الملك) أي وصي الكبرياء لأنه أكبر ما يطلب من أمور الدنيا ولأنه

بورث الكبرياء والعز (قوله وقال فرعون) ليس هذا مرتباً على ما تقدم فان هذا القول وقع في ابتداء القصة فالمقصود هنا بيان ذكر لقصة لا يجيد ترتيبها فان الواو لا تقتضي ترتيباً ولا تعقيباً (قوله فلما جاء السحرة) عطف على محذوف تقديره فأقوا بالسحرة (قوله بعد ما قالوا له : إما أن تلقى وإما أن نكون نحن الملقين) (قوله فلما جاء السحرة قال لهم موسى) بعد ما قالوا له : إما أن تلقى وإما أن نكون نحن الملقين (قوله فلما أتوهم ملقون) (قوله فلما أتوهم) حبالهم وعصيم (قوله موسى ما) استفهامية مبتدأ خبره (جئتم به السحر) بدل ، وفي قراءة بهمة واحدة إخبار فاصول مبتدأ (إن الله سيبطله) أي سيمحقه (إن الله لا يصلح عمل المفسدين) ويحذف ويظهر (الله الحق بكلماته) بمواحيده (ولو كره المجرمون) فما آمن لموسى إلا ذرية طائفة (من) أولاد (قومه) أي فرعون ،

السحرة وجمعوا حبالهم وعصيم وقالوا لموسى إما أن تلقى وإما أن تكون نحن الملقين قال موسى الحق (قوله ما أتم ملقون) أبهمه إشارة إلى تحقيره (قوله فلما أقوا) أي السحرة وتقدم أنهم كانوا ثمانين ألفاً (قوله حبالهم وعصيم) أي وتقدم أنها كانت حمل ثلثائة بعير (قوله استفهامية) أي أي شيء جئتم به للتوبيخ والتحقير (قوله بدل) أي من ما الاستفهامية وأعيدت همزة الاستفهام لتكشف استفهام اللبيل منه على حد قول ابن مالك :

وبدل الضمن المضمز يلى هزاهن ذا أسعيد أم على

(قوله بهمة واحدة إخبار) أي بإسقاط همزة الاستفهام ووجه هذه القراءة بأن ما اسم موصول مبتدأ وصلتها جئتم به والخبر السحر . والحاصل أن في همزة السحر الثانية وجهين التسهيل والدال لازم بقدر ثلاث ألفات وهاتان القراءةان على جعل ما استفهامية وخبرها جئتم به والسحر بدل من ما وأما على إسقاطها فالجملة خبرية وما اسم موصول مبتدأ وجئتم به صلته والسحر خبر وتحذف همزة آل عند الدرج (قوله سيمحقه) أي فلا يبقى له أثر أصلاً (قوله إن الله الحق) تعاليل لقوله سيبطله (قوله ويحق الله الحق) عطف على قوله سيبطله (قوله ولو كره المجرمون) أي الكافرون (قوله فما آمن لموسى إلا ذرية) الذرية اسم يقع على التقليل من القوم (قوله أي فرعون) أشار بذلك إلى أن الضمير في قوله عائد على فرعون والبراد بضمرة قومه ناس يسير منهم

أمرأة فرعون ومؤمن آل فرعون وخازنه وأولاد خازنه وماشطته ، وقيل إن الضمير عائذ على موسى وهم ناس من بني إسرائيل نجوا من قتل فرعون ، وذلك أن فرعون لما أمر بقتل بني إسرائيل كانت المرأة من بني إسرائيل إذا ولدت ابناً وهتبه لقبطية خوفاً عليه من القتل فنشأوا بين القبط ، فلما كان اليوم الذي غلب موسى فيه السحرة آمنوا به ، وقبيلهم بنو إسرائيل وهو الأقرب (قوله على خوف) أى مع خوف (قوله ولملئهم) أى ملأ القدرية الذين نشأوا بينهم على التفسير الثانى وأقاربهم حقيقة على التفسير الأول الذى ذكره المفسر (قوله أن يقتلهم) أى فرعون وأفرده لأنه هو الباسر للفتنة ، والخوف من الملأ إنما كان بواسطته هو (قوله وقال موسى) أى تطمينا لقاربهم وهذا يؤيد أن الضمير فى قوله عائذ على موسى . وقد يجاب عن المفسر بأنه ساءم قومه من حيث إنه مرسل لهم (قوله إن كنتم آمنتم) جوابه : فعليه توكلوا وقوله : إن كنتم مسلمين شرط حذف جوابه لدلالة ما قبله عليه والتقدير توكلتهم عليه أو هو شرط فى الشرط لأن الشرطين مقل يترتبا فى الوجود فالشرط الثانى شرط فى الأول (قوله إن كنتم مسلمين) أى منقادين لأحكام الله (قوله فقالوا) أى جواباً لموسى (قوله ربنا لا تجعلنا الخ) دعاء منهم لله سبحانه وتعالى (قوله أى لا تظهرهم علينا) أى لاتجعلهم ظاهرين علينا وغالبيين لنا (قوله ونجنا) أى خلصنا (قوله برحمتك) أى إحسانك وإنعامك (قوله من القوم الكافرين) أى الجاحدين لأيانك (قوله أن تبوء) يحتمل أن أن تفسيرية لوجود ضابطها وهو أن يتقدما جملة فيها معنى القول دون حرفه (١٨٧) ويحتمل أنها مصدرة أى

أوحينا التبوء ، والمعنى أن الله سبحانه وتعالى أوحى إلى موسى وأخيه أن يتخذا لقومهما مساكن بأرض مصر ينوطنون بها ويعبدون الله فيها رغماً على أذى عدوهم فرعون وهذا طمأنينة للقوم فانهم كانوا خائفين من فرعون (قوله لقومكما) الأقرب أن لازم زائدة فى المفعول الأول

(عَلَى خَوْفٍ مِنْ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِمْ أَنْ يَفْتِنَهُمْ) يصرفهم عن دينه بتعذيبه (وَإِنَّ فِرْعَوْنَ لَعَالٍ) متكبر (فِي الْأَرْضِ) أرض مصر (وَإِنَّهُ لَكِن الْمُسْرِفِينَ) المتجاوزين الحد بادعاء الربوبية (وَقَالَ مُوسَى يَا قَوْمِ إِنْ كُنْتُمْ آمَنْتُمْ بِاللَّهِ فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُوا إِنْ كُنْتُمْ مُسْلِمِينَ . فَقَالُوا عَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْنَا رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِّلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ) أى لا تظهرهم علينا فيظنوا أنهم على الحق فيفتنوا بنا (وَنَجِّنَا بِرَحْمَتِكَ مِنَ الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ . وَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى وَأَخِيهِ أَنْ تَبَوَّآ) اتخذا (لِقَوْمِكُمَا بِمِصْرَ بَيْوتًا) واجعلوا بيوتكم قبلة (مَصْلًى تَصْلُونَ فِيهِ لِتَأْمِنُوا مِنَ الْخُوفِ) وكان فرعون منعهم من الصلاة (وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ) أتموها (وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ) بالنصر والجنة (وَقَالَ مُوسَى رَبَّنَا إِنَّكَ آتَيْتَ فِرْعَوْنَ وَمَلَئَهُ زِينَةً وَأَمْوَالًا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا رَبَّنَا) آتيتهم ذلك (لِيُضِلُّوا) فى عاقبته (عَنْ سَبِيلِكَ) دينك (رَبَّنَا اطْمِسْ عَلَى أَمْوَالِهِمْ) امسحها ،

وبيوتاً مفعول ثان (قوله بمصر) متعلق بتبوء ، والمراد بمصر مصر القديمة (قوله واجعلوا بيوتكم قبلة) أى اجعلوا مساكنكم مصلًى ، والمراد بالقبلة مكان التوجه لله لا خصوص الفجوة العلوية . واختاف فى قبليهم قيل هى الكعبة ، وقيل بيت المقدس (قوله وكان فرعون منعهم من الصلاة) أى فى أول أمرهم فأمر الله موسى ومن معه أن يصلوا فى بيوتهم خفية لئلا يظهروا عليهم ويؤذوهم ويفتنوهم عن دينهم وذلك كما كان عليه المسلمون فى أول الاسلام بمكة (قوله أتموها) أى بشرطها وأركانها العلوية عندهم (قوله وبشر المؤمنين) أى قومك الذين آمنوا بك وهذا خطاب لموسى وعده لأن البشارة على لسانه وما قبله من قوله واجعلوا وأقيموا خطاب لموسى وقومه لاشتراكهم فى ذلك (قوله وقال موسى) أى لما رأى فرعون وقومه طغوا وبنوا ولم ينقادوا للإسلام واستمروا على الكفر والناد جاءه الإذن من الله بالدعاء عليهم ، وقدم سبب الدعاء وهو بطن النعم إذ هو من أعظم المعاصى الموجبة لغضب الله وسلب النعم (قوله زينة) هى عبارة عما يتزين به من اللباس والمال والأموال الجميلة قال ابن عباس : كان من فسطاط مصر إلى أرض الحبشة جبال فيها ذهب وفضة وزبرجد وياقوت (قوله ربنا) كثره تأكيداً للأول ولقدذا بخطاب الله (قوله أيضاً) متعلق بآتيت فى كلام الله ، وأما قول المفسر آتيتهم ذلك إنما هو تقيم للجملة المؤكدة واللام للعاقبة والضرورة ، وإلى هذا أشار المفسر بقوله فى عاقبته (قوله عن سبيلك) أى طاعتك وتوحيدك (قوله ربنا اطمس على أموالهم) أى أزل صورها وهيئاتها . قال قتادة : بلغنا أن أموالهم وحروثهم وزروعهم وجواهرهم صارت حجارة ودنانيرهم ودرامهم صارت حجارة منقوشة كهيئتها صحاحاً أو أنصافاً أو أثلاثاً ، وهذا اطمس آخر الآيات التاسع .

(قوله واشدد على قلوبهم) أي اربط عليها حتى لا تلتصق ولا تنفجرح للإيمان وإنما دعا بذلك لما علم أن سابق قضاء الله وقدره فيهم أنهم لا يؤمنون فوافق دعاء موسى ما قدر وقضى عليهم فكان ترجافا عن مراد الله ، وأما الدعاء على الكافر المجهول العقبة بموته على الكفر فلا يحل (قوله فلا يؤمنوا) عطف على ليضلوا فيكون منصوبا أو هر مجزوم بجعل لادعائية (قوله دعاء عليهم) الأقرب أنه خبر مبتدأ محذوف تقديره هذا دعاء عليهم أي قوله فلا يؤمنوا الخ ودفع بذلك ما قيل إنه خبر وليس من جملة الدعاء فتأمل (قوله وأمر هرون على دعائه) أي والمؤمن أحد الداعين فصحت التثنية في قوله دعوتكما وهو جواب عما يقال إن الداعي موسى فلم تثنى الضمير في دعوتكما (قوله فسخت أموالهم) أي الدنانير والدرهم والنخيل والزروع والثمار والحبز والبيض وغير ذلك ، وقيل مسخت صورهم أيضا فكان الرجل مع أهله نصارا خجرين والمرأة قائمة تخبز صارت حجرا وهذا قول ضعيف لأن موسى دعا على أموالهم ولم يدع على أنفسهم بالمسح (قوله فاستقيا) أي دوما على الاستقامة (قوله ولا تتبعان سبيل الذين لا يعلمون) خطاب لموسى وهرون ، والمراد غيرهما على حد : لئن أشركت ليحبطن عملك ، والمعنى لا تسلكا طريق الجاهلين الذين يظنون أنه متى دعا الإنسان أجيب بعين مطلوبه في الحال لأن الإجابة على مراد الله فر بما يحجب الشخص بغير مطلوبه أوتأخر إجابته لحكم علمها الله وفي تتبعان ثلاث قراءات سبعيات تشديد النون مع تشديد التاء فقط وتخفيفها مع تشديد التاء وتخفيفها فعل الأولى تكون النون للتوكيد الثقيلة وكسرت تشبها بنون النفي والفعل مجزوم بحذف النون وعلى الثانية والثالثة تكون الجملة اسمية والنون نون الرفع والتقدير وأنتا لا تتبعان (قوله ١٨٨) روى أنه أي تزول العذاب بهم مكث أربعين سنة من حين الدعوة وهذا

التأخير لحكمة يعلمها الله (قوله وجاوزنا بني إسرائيل البحر الخ) لما استجاب الله دعاء موسى وهرون بالطمس على أموالهم والربط على قلوبهم أوحى الله إلى موسى وهرون أن أمر بعبادى وأخرجهم من أرض مصر . ورد أن يعقوب لما دخل مصر مع ذريته

(وَاشْدُدْ عَلَى قُلُوبِهِمْ) اطبع عليها واستوثق (فَلَا يُؤْمِنُوا حَتَّى يَرَوْا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ) (المؤمن دعاء عليهم وأمر هرون على دعائه (قَالَ) تعالى (قَدْ أَجِيتَ دَعْوَتُكُمَا) فسخت أموالهم حجارة ولم يؤمن فرعون حتى أدركه العرق (فَاسْتَقِيَا) على الرسالة والدعوة إلى أن يأتيهم العذاب (وَلَا تَقْبَعَنَّ سَبِيلَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ) في استعجال قضائي ، روى أنه مكث بعدها أربعين سنة (وَجَاوَزْنَا بِبَنِي إِسْرَائِيلَ الْبَحْرَ فَأَتَيْنَهُمْ) لحقهم (فِرْعَوْنُ وَجُنُودُهُ بَغْيًا وَعَدُوًّا) مفعول له (حَتَّى إِذَا أَدْرَكَهُ الْعَرَقُ قَالَ آمَنْتُ أَنَّهُ) أي بأنه وفي قراءة بالكسر استثنافا (لَا إِلَهَ إِلَّا الَّذِي آمَنْتُ بِهِ بَنُو إِسْرَائِيلَ وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ) كرهه ليقبل منه فلم يقبل ، ودس جبريل في فيه ،

لا اجتماعهم يوسف كانوا اثنين وسبعين فلما خرج موسى بهم كانوا ستائة ألف وكان فرعون غالا عن ذلك فلما سمع أنهم خرجوا وعزموا على مفارقة ملكه خرج في عقبهم فلما أدرهم قالوا لموسى أين الخالص والبحر أمامنا والعدو وراءنا ؟ فلما قربوا أوحى الله إليه أن اضرب بيساك البحر فضر به فانقلب فقطعه موسى وبنو إسرائيل فلحقهم فرعون وكان على حصان أدهم وكان معه ثمانمائة ألف حصان على لون حصانه سوى سائر الألوان وكان يقدمهم جبريل على فرس أثني وميكائيل يسوقهم حتى لا يبق منهم أحد فدنا جبريل بفرسه ، فلما وجد الحصان ربح الأثني لم يجد ذلك فرعون نفسه فنزل البحر وتبعه جنوده حتى إذا اكتملوا جميعا في البحر وهم أولهم بالخروج انطبق عليهم وحصان بوزن كتاب وجمعه حصن ككتب كذا في القاموس فتوله وجاوزنا من المجاوزة وهي التخضية والتعدية ، والمعنى جعلناهم مجاوزين البحر بأن جعلناهم يسا وجفظناهم حتى بلغوا الشط وقوله البحر رأى بحر السويس (قوله لحقهم) أي مشى خافهم (قوله بغيا) أي في الأقوال وعدوا أي في الأفعال ففرعون متمتع على بني إسرائيل بالأقوال الكاذبة والأفعال الجائرة (قوله مفعول له) أي لأجله ويصح نصبهما على الحال أي باغين ومعتدين (قوله حتى إذا أدركه العرق) غاية لاتباعه (قوله وفي قراءة) أي وهي سبعة أيضا (قوله استثنافا) أي وأتعا في جواب سؤال مقتر أو على إضمار القول والتقدير قائلا إنه الخ (قوله كرهه ليقبل منه) أي كرر الاقرار بالإيمان ثلاث مرات : قوله آمنت وقوله أنه الخ وقوله وأنا من المسلمين (قوله فلم يقبل) أي فمات على كفره وهذا ما دلت عليه نصوص الكتاب والسنة ، وما قيل من أنه مات مؤمنا فلا يلتفت له (قوله ودس جبريل) أي بأمر من الله وهو لا يسأل عما يفعل وذلك نظير أمرنا بقتل الكفار وبهذا تعلم جواب إشكال الفخر الرازي في هذا المقام .

(قوله من حمأة البحر) يسكون اليم ونحريكها وهي الطين الأسود (قوله مخافة أن تناله الرحمة) أى وليس من أهلها لما سبق علم أنه بدم إيمانه . إن قلت ما الحكمة في عدم قبوله مع كون الإيمان وقع منه ثلاث مرات . أجب بأجوبة منها أنه إنما آمن عند نزول العذاب وهو حينئذ غير نافع . قال تعالى : فلم يك ينفعهم إيمانهم لما رأوا بأسنا ، ومنها أن الإيمان بالله من غير إقرار للرسول بالإمامة غير نافع وفرعون لم يقر برسالة موسى عليه السلام فلم يصح إيمانه ، ومنها أن قوله : آمنت ليس قاصداً به الإيمان حقيقة بل قصد به النجاة من البحر على حكم عادة إذا أصابه مصيبة رجع واستجار . وحكى أن جبريل عليه السلام أتى لفرعون بنتوى : ما قول الأمير في عبد نشأ في مال مسولاه ونعمته فكفر نعمته وجحد حقه وادعى السيادة دونه ؟ فكتب فرعون فيه : يقول أبو العباس الوليد بن مصعب جزاء العبد الخارج على سيده الكافر نعمته أن يفرق في البحر فلما غرق رفع جبريل إليه خطه (قوله وقال له) معطوف على قوله ودس وقدره إشارة إلى أن قوله الآن ظرف لمحذوف والجملة مقول لذلك القول للمقدر (قوله الآن) استفهام توبيخ وتقر يع (قوله وقد عصيت قبل) الجملة حالية والمعنى الآن تاب وقد ضيعت الإيمان في وقته الذي يقبل فيه وهو غير وقت العذاب (قوله فاليوم تنجيك) بالشدائد والتخفيف قراءتان سبعيتان (قوله بيدك) حال من الضمير في تنجيك ، والمعنى

(١٨٩)

بيدك فقط لامع روحك كما هو مطلوبك وقيل المراد بالبدن الدرع لأن له درعا كان يعرف بها فلما ألقى على وجه الأرض وعليه درعه عرفوه (قوله فيعرفوا عبوديتك) أى ويبتلوا دعوى ألوهيتك لأن الإله لا يموت ولا يتغير (قوله شكوا في موته) إنما وقع منهم الشك لشدة ما حصل في قلوبهم من الرعب منه فأمر الله البحر فألقاه على الساحل أحر قصيرا كأنه

من حمأة البحر مخافة أن تناله الرحمة وقال له (الآن) تؤمن (وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنْتَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ) بضالك وإضلالك عن الإيمان (فَالْيَوْمَ نُنَجِّيكَ) نخرجك من البحر (بِيَدِنَا) جسدي الذي لا روح فيه (لَتَكُونَ لِمَنْ خَلَقَكَ) بعدك (آيَةً) عبرة فيعرفوا عبوديتك ولا يقدموا على مثل فعلك ، وعن ابن عباس أن بعض بني إسرائيل شكوا في موته فأخرج لهم ليروه (وَإِنَّ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ) أى أهل مكة (عَنْ آيَاتِنَا لَفَلُونٌ) لا يعتبرون بها (وَلَقَدْ بَوَّأْنَا) أنزلنا (بَنِي إِسْرَائِيلَ مَبُوءًا صِدْقٍ) منزل كرامة وهو الشام ومصر (وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ فَمَا اخْتَلَفُوا) بأن آمن بعض وكفر بعض (حَتَّى جَاءَهُمُ الْعِلْمُ إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِي بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ) من أمر الذين بانجاء المؤمنين وتعذيب الكافرين (فَإِنْ كُنْتَ) يا محمد (فِي شَكٍّ مِمَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ) من القصص فرضا (فَاسْئَلِ الَّذِينَ يَفْقَهُونَ الْكِتَابَ) التوراة (مِنْ قَبْلِكَ) فإنه ثابت عندهم يخبروك بصدقه قال صلى الله عليه وسلم : لا أشك ولا أسأل (لَقَدْ جَاءَكَ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ) ،

نور فرآه بنو إسرائيل فعرفوه ، فمن ذلك الوقت لا يقبل لسان ميتا أبدا (قوله ولقد بوأنا بني إسرائيل) هذا امتنان من الله تعالى على بني إسرائيل بنعم عظيمة (قوله نبوأ صدق) أى أنزلناهم منزلا حميدا صالحا ، وإنما وصف السكان بالصدق لأن عادة العرب إذا مدحت شيئا أضافته إلى الصدق يقولون : هذا قدم صدق ورجل صدق (قوله وهو الشام ومصر) أى ، وقيل مصر فقط لأنها التي كانت تحت أيدي فرعون وقومه (قوله فما اختلفوا) أى من فعلنا بهم هذا الفعل من بني إسرائيل ، وذلك أنهم كانوا قبل مبعث النبي مؤمنين به غير مختلفين في نبوته لما يجدونه مكتوبا عندهم ، فلما بث اختلفوا فيه فكأن به بعضهم كعبدا لله بن سلام وأضرابه ، وكفر بعض (قوله حتى جاءهم العلم) أى القرآن ، وذلك أن اليهود كانوا يخبرون بجمعه وصفته ويفتخرون بذلك على المشركين ، فلما بث اختلفوا فمنهم من آمن ومنهم من كفر (قوله فرضا) جواب عما يقال إن الشك محال على رسول الله ، فأجاب بأنه على فرض الحال ، وأجب أيضا بأن الخطاب له والراد غيره ، وهذا هو الاتم في تلك الآيات (قوله فاسئل الذين يقرءون الخ) أى فان ذلك محقق عندهم ثابت في كتبهم (قوله يخبروك) مجزوم في جواب الأمر وهو أسأل (قوله لقد جاءك الحق) أى اليقين من الخبر بأنك رسول الله حقا ، وهذا كلام منقطع عما قبله وفيه معنى القسم وتقديره والله لقد جاءك الحق الخ .

(قوله فلا تكونن من المتمرين) أى دم على ما أنت عليه من عدم الشك والامتراء (قوله إن الدين حقت عليهم كلت ربك) أى ثبت حكمه وقضاؤه بموتهم على الكفر فلا يتأتى منهم الإيمان أصلا إذ لا مقب لحكمه سبحانه وتعالى (قوله حتى يروا) غاية فى التوبيخ (قوله فلا ينفعهم حينئذ) أى كفزعون وأضرابه (قوله فلولا) أشار المفسر بقوله هذا إلى أنها تحضيضية وهو للتوبيخ مع التنى وكان فعل ماض تام ، وقرية فاعلها وآمنت صفة قرية ، وقوله فنفعها معطوف على آمنت مسبب على سبب ، والمعنى لم تكن قرية من تلك القرى التى تقدمت قوم يونس كقوم نوح وهود وصالح وشعيب ولوط وموسى آمنت فيسبب على زمانها كونه نافعا لها . والحاصل أن الآية تضمنت تحضيضا وتوبيخا ونفيا . فالتنى راجع لمن مضى والتوبيخ والتخفيض راجعان لمن يسمع (قوله أريد أهلها) أشار بذلك إلى أن فى الكلمة مجازا مرسلًا من باب تسمية الحال باسم المحل لا مجازا بالحذف (قوله لا قوم يونس) أشار للمفسر إلى أن الاستثناء منقطع حيث عبر بـ لكن ، وضابط الاستدراك وجود وهو رفع ما يتوهم نبوته أو نفيه ، فأتى به هنا لدفع توهم أنهم كفبرهم لم يؤمنوا حتى نزل بهم العذاب فرفع ذلك التوهم بأن قوم يونس آمنوا قبل نزول العذاب بل عند حضور أماراته ولذلك نفعهم إيمانهم ، وأما غيرهم فلم يؤمن قبل نزوله أعم من أن يكون آمن وقت نزوله أو لم يؤمن أصلا (قوله ولم يؤخروا إلى حلوله) أى بل عجّلوا الإيمان عند ظهور أماراته . وحاصل قصتهم على ما ذكره عبد الله بن مسعود وسعيد بن جبير ورهب وغيرهم قالوا : إن قوم يونس كانوا بقرية تسمى ينوى من أرض الموصل ، وكانوا أهل كفر وشرك ، فأرسل الله عز وجل إليهم يونس عليه السلام يدعوهم إلى الإيمان بالله وترك عبادة الأصنام فدعاهم فأبوا عليه فقبل له أخبرهم أن العذاب يصحبهم إلى ثلاث فأخبرهم بذلك فقالوا إنا لم نجرب عليه كذبا قط فانظروا فإن بات فيكم (١٩٠) فامس بشيء وإن لم يبت فاعلموا أن العذاب مصحبكم فلما كان جوف الليل خرج يونس من

بين أظهرهم فلما أصبحوا تشاهم العذاب ، فكان فوق رؤوسهم . قال ابن عباس : إن العذاب كان أهبط على قوم يونس حق ، لم يكن بينهم وبينه

فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُتَمَرِّينَ) الشاكين فيه (وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ فَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ . إِنَّ الَّذِينَ حَقَّتْ عَلَيْهِمْ كَلِمَةُ رَبِّكَ) بالعذاب (لَا يُؤْمِنُونَ . وَلَوْ جَاءَهُمْ كُلُّ آيَةٍ حَتَّى يَرَوْا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ) فلا ينفعهم حينئذ (فَلَوْلَا) فعلا (كَانَتْ قَرْيَةً) أريد أهلها (آمَنَتْ) قبل نزول العذاب بها (فَنَفَعَهَا إِيْمَانُهَا إِلَّا) لكن (قَوْمُ يُونُسَ لَمَّا آمَنُوا) عند رؤية أماراة العذاب ولم يؤخروا إلى حلوله (كَشَفْنَا عَنْهُمْ عَذَابَ الْخُرْصِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَتَّعْنَاهُمْ إِلَى حِينٍ) ،

انقضاء

إلا قدر ثلثي ميل فلما دعوا كشفه الله عنهم ، وقال قتادة : قدر ميل

وقال سعيد بن جبير : غشى قوم يونس العذاب كما يغشى الثوب الغبر ، وقال وهب : غامت السماء غما أسود هائلا يدخل دخانها شديدا فهبط حتى غشى مدينتهم واستودت أسطحهم فلما رأوا العذاب أيقنوا بالهلاك فطلبوا نبيهم يونس فلم يجدوه فقفف الله في قلوبهم التوبة فخرجوا إلى الصحراء بأنفسهم ونساءهم وصبيانهم ودوابهم ولبسوا المسوح وأظهروا الإيمان والتوبة وفرقوا بين كل والدة وولدها من الناس والدواب فغن البعض للبعض فخت الأولاد إلى الأمهات والأمهات إلى الأولاد وعلت الأصوات ولجؤا جميعا إلى الله تعالى وتضرعوا إليه وقالوا آمنا بما جاء به يونس وتابوا إلى الله وأخلصوا النية فرحمهم ربهم واستجاب دعاءهم وكشف ما نزل بهم من العذاب بعد ما أظلمهم ، وكان ذلك اليوم يوم عاشوراء وكان يوم الجمعة قال ابن مسعود بلغ من توبتهم أنهم ردوا المظالم فيما بينهم حتى إنه كان الرجل يأتى إلى الحجر وقد وضع عليه أساس بناته فيقلعه فيرده ، وروى الطبراني بسنده قال لما غشى قوم يونس العذاب مشوا إلى شيخ من بقية علمائهم فقالوا له إنه قد نزل بنا العذاب فما ترى قال قولوا : إحيى حين لاحى ، وإياحى يحيى الموتى وإياحى لا إله إلا أنت ، فقالوها فكشف الله عنهم العذاب وامتعوا إلى حين ، وقال الفضيل ابن عياض إنهم قالوا : اللهم إن ذنوبنا قد عظمت وجلت وأنت أعظم وأجل فافعل بنا ما أنت أهله ولا تفعل بنا ما نحن أهله فلما خرج يونس جعل ينتظر العذاب فلم ير شيئا فقبل له ارجع إلى قومك قال وكيف أرجع إليهم فيجدونى كذبا وكان كل من كذب ولا يئنه له قتل فانصرف عنهم مغاضبا فنزل فى سفينة فلما بلغت وسط البحر وقتت وكان من عادتهم أن السفينة لاتقف إلا إذا كان فيها عبد آبق فضربوا الأتربة فخرجت على يونس فألقوه فى البحر فالتقمه الحوت فنادى فى الظلمات أن لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين فاستجاب الله نداه وأخرجه من بطن الحوت ضعيفا فأثبت الله عليه شجرة القرع ورجع إلى قومه وكانوا يزيدون عن مائة ألف

فَلَرَحُوا بِهِ وَأَخْبِرُوا بِهِ، فَهَيْثَا لَمْ يَرْجِعْ إِلَى مَوْلَاهُ وَتَلَمَّ عَلَى مَا جَاءَهُ فَإِنَّ اللَّهَ يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَيَعْفُو عَنِ السَّيِّئَاتِ (قوله انتضاء آجالهم) تفسير للحين ودفع بذلك ما قيل إن قوم يونس من النظيرين لا يموتون إلا عند الذنخة الأولى فأجاب المفسر بأن معنى الحين انتضاء آجالهم (قوله ولو شاء ربك) مفعول شاء محذوف أى إيمان جميع الناس (قوله كلهم) تأكيد لجميعها حال منها والمعنى لو أراد الله إيمان من في الأرض لآمنوا كلهم حال كونهم مجتمعين (قوله أفأنت تكبره الناس) الهمزة داخلية على محذوف والفاء عاطفة على ذلك المحذوف والتقدير أعجز على عدم إيمانهم وتأسف عليه أمأنت تكبره الخ (قوله لا) أى لست بمكبره للناس على الإيمان والمعنى ليس عليك إلا البلاغ لخلق الإيمان في قلوبهم وإكراههم عليه فإن الأمر لله لا خالق سواه (قوله وما كان لنفس أن تؤمن الخ) بيان وتعليل لما قبله ، والمعنى ما ثبت لنفس من الأنفس أن تؤمن في حال من الأحوال إلا في حال إرادة الله الإيمان لها (قوله ويجعل الرجس) معطوف على محذوف والتقدير فيريد الله الإيمان للبعض ، ويجعل الرجس الخ (قوله قل انظروا) بضم اللام وكسرها قراءتان سبعيتان فالضم على نقل ضمة الهمزة إلى اللام والكسر على أصل التخلص ، والمعنى تفكروا وتأملوا واتعظوا (قوله من الآيات) (١٩١) بيان لما (قوله وما تنفى الآيات) أى المذكورة في قوله :

انتضاء آجالهم (وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَأَمَنَّ مِنَ فِي الْأَرْضِ كُلَّهُمْ جَمِيعًا أَفَأَنْتَ تُكْرِهُ النَّاسَ بِمَا لَمْ يَشَأِ اللَّهُ مِنْهُمْ (حَتَّى يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ) لَا (وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَنْ تُوْمِنَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ) بإرادته (وَيَجْعَلُ الرَّجْسَ) العذاب (عَلَى الَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ) يتدبرون آيات الله (قُلْ) لكفار مكة (أَنْظَرُوا مَاذَا) أى الذى (فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ) من الآيات الدالة على وحدانية الله تعالى (وَمَا تَنْفِي الْآيَاتِ وَالنَّذْرُ) جمع نذير أى الرسل (عَنْ قَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ) فى علم الله أى ما تفهمهم (فَهَلْ) فها (يَنْتَظِرُونَ) بتكذيبك (إِلَّا مِثْلَ أَيَّامِ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِهِمْ) من الأمم ، أى مثل وقائعهم من العذاب (قُلْ فَانْتَظِرُوا) ذلك (إِنِّي مَعَكُمْ مِنَ الْمُنْتَظِرِينَ) ثم نُنَجِّي (المضارع لحكاية الحال الماضية (رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا) من العذاب (كَذَلِكَ) الانجاء (حَقًّا عَلَيْنَا نُنَجِّ الْمُؤْمِنِينَ) النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه حين تعذيب المشركين (قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ) أى أهل مكة (إِنْ كُنْتُمْ فِي شَكٍّ مِنْ دِينِي) أنه حق (فَلَا أَعْبُدُ الَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ) أى غيره وهو الأصنام لشككم فيه (وَلَكِنْ أَعْبُدُ اللَّهَ الَّذِي يَتَوَفَّاكُمْ) يقبض أرواحكم (وَأُمِرْتُ أَنْ) أى بأن (أَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ) (وَقِيلَ لِي) (أَنْ أَقِيمَ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا) مائلا إليه (وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ)

تنج المؤمنين وحققا علينا جملة معترضة بين العامل والمعمول (قوله تنج المؤمنين) بالتخفيف والتشديد وتحذف منه الياء لفظا وخطا (قوله حين تعذيب المشركين) أى فى الدنيا والآخرة (قوله أى أهل مكة) أى الكفار المعارضون (قوله من ديني) أى الذى جئت به عن ربي (قوله أنه حق) بدل من ديني ، والمعنى إن كنتم فى شك من حقيقة ديني وصحته فلا أعبد الخ (قوله لشككم فيه) أى فى ديني الحق أى فالعامل لكم على عبادة غير الله شككم فى حقيقة ديني ، وأما أنا فليس عندي شك فى حقيقته فذلك لأعبد غير الله فكفرهم بالشك لأنه لا يتأتى منهم إنكار كون الله حقا ودين الاسلام حقا على سبيل الجزم بذلك لقيام الأدلة العقلية القطعية على ذلك (قوله الذى يتوفاكم) خص هذا الوصف بالذكر تهديدا وتخويفا لهم (قوله أن أكون) أن مصدرية مجرورة بالياء المقدرة كما قال المفسر أى يكونى من المؤمنين المصدقين بما جاء من عند الله لأنه مرسل لنفسه فهو واجب عليه الإيمان بما أرسل به (قوله وأن أقيم) قدر المفسر القول إشارة إلى أن أن وما دخلت عليه فى محل نصب مقول لذلك القول (قوله مائلا إليه) أى مخلصا له العمل ظاهرا وباطنا فعلى المكلف أن يتخلق بحلق رسول الله بأن لا يميل لنير الله ظاهرا وباطنا بل يكون كله لله فلا يشرك معه غيره أصلا لا فى الظاهر ولا فى الباطن فكما أن الخالق لا شريك له فما خلقه كذلك يبنى للخلق أن لا يشرك فى عبادته غيره د

أى المذكورة فى قوله :
ماذا فى السموات والأرض
فى الكلام إظهار فى مقام
الاضمار ، والمعنى لا تنفع
الآيات والتندر قوما
لا يؤمنون (قوله أى مثل
وقائعهم من العذاب) أى
هو القتل بالسيف (قوله
فانتظروا ذلك) أى مثل
وقائع الأمم السابقة (قوله
ثم ننجى) بالتشديد باتفاق
المشرقة بنبوت الياء لفظا
وخطا (قوله رسلنا) أى
من سبق على محمد (قوله
كذلك) صفة لمصدر
محذوف أى انجاء مثل
ذلك الانجاء والعامل فيه

(قوله ولا تدع من دون الله) أى غيره (قوله فرضاً) جواب عما يقال إن عبادة النبي غير الله مستحبة فكيف يحاطب بذلك أجاب للتقدير بأن ذلك على سبيل الفرض والتقدير . وأجيب بأن الخطاب له وللراد غيره (قوله فلا كاشف له إلا هو) أى لا دافع ولا مانع له إلا الله حقيقة فنسبة النفع أو الضر لنبي الله باعتبار أن الله أجرى على أيديهم ذلك لاعتبار أنهم الخالقون له فان نسبة ذلك لهم من هذه الحيثية كفر (قوله وإن يردك بخير) عبر في جانب الخير بالارادة دون المسّ إشارة إلى أن الخير لا يتوقف إتيانه على سبب ونهيؤ من العبد بخلاف الضر فلا بد من تقدم سببه قال تعالى - وما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم - (قوله وهو الغفور) أى السّاز للذنوب الماسح لها (قوله الرحيم) أى النعم الحسن فالغفور النجى من النار بسبب محو الذنوب والرحيم المدخل للجنة بسبب الانعام والإحسان (قوله الحق) أى القرآن ومن جاء به وهو النبي صلى الله عليه وسلم (قوله لأن ثواب اهتدائه له) فلا يصل الله بمن كفر ضر ولا من آمن نفع تنزه سبحانه وتعالى عن أن يتكل بمخلوق (قوله لأن وبال ضلاله عاليا) أى عذاب ضلاله على نفسه فلا يشاركه أحد لافى هداية نفسه ولا فى ضلاله بل كل امرئ بما كسب رهين (قوله بوكيل) أى بحفيظ موكل (١٩٣) إلى أمركم وإنا أنا بشير ونذير (قوله فأجبركم على الهدى) أى

أكرهكم عليه (قوله ما يوحى إليك) أى من القرآن (قوله على الدعوة) أى دعائك إياهم للإيمان (قوله وأذهم) أى لك فكان رسول الله يسمع سبه بأذنه ولا يتكلم (قوله أعد لهم) أى فلا يخطئ في حكمه أصلاً وأما غيره فتارة يخطئ في حكمه وتارة يعدل ، فأفعاله سبحانه وتعالى دائرة بين الفضل والعدل قائمته للمؤمن بالفضل وتذيبه للعاصي بالعدل (قوله بالقتال) أى الجهاد ، وأشار بذلك إلى

وَلَا تَدْعُ (تَعْبُدْ) مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُكَ (إِنْ عِبَدْتَهُ) (وَلَا يَضُرُّكَ) (إِنْ لَمْ تَعْبُدْهُ) (فَإِنْ فَعَلْتَ) ذَلِكَ فَرَضًا (فَإِنَّكَ إِذَا مِنَ الظَّالِمِينَ . وَإِنْ يَمْسَسْكَ) (يَصِبْكَ) (اللَّهُ بُضْرًا) (كَفَرٍ) وَمرض (فَلَا كَاشِفَ) (لَهُ) إِلَّا هُوَ ، وَإِنْ يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَادَّ (دَافِعٍ) (لِفَضْلِهِ) (الَّذِي أَرَادَكَ بِهِ) (يُصِيبُ بِهِ) (أَيُّ الْبَخِيلِ) (مَنْ بَشَّاهُ مِنْ عِبَادِهِ) (وَهُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ) . قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ) (أَيُّ أَهْلِ مَكَّةَ) (قَدْ جَاءَكُمْ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ) (فَمَنْ أَهْتَدَى) (فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ) (لَأَنَّ ثَوَابَ اهْتِدَائِهِ) (وَمَنْ ضَلَّ) (فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهِمَا) (لَأَنَّ وَبَالَ ضَلَالِهِ) (وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ بِوَكِيلٍ) (فَأَجْبِرْكُمْ عَلَى الْهُدَى) (وَاتَّبِعْ مَا يُوْحَى إِلَيْكَ) (مِنْ رَبِّكَ) (وَأَصْبِرْ) (عَلَى الدَّعْوَةِ) (وَأَذَاهُمْ) (حَتَّى يَخُفُّكُمْ اللَّهُ) (فِيهِمْ بِأَمْرِهِ) (وَهُوَ خَيْرُ الْخَاكِينَ) (أَعْدَلُهُمْ) (وَقَدْ صَبَرَ) (حَتَّى حَكَمَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ) (بِالْقِتَالِ) (وَأَهْلَ الْكِتَابِ) (بِالْجُزْيَةِ) .

(سورة هود)

مكية إلا أقم الصلوة الآية، أو إلا فملك تارك الآية وأولئك يؤمنون به

بالآية : مائة واثنان أو ثلاث وعشرون آية

(بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ . الرَّأ) الله أعلم بمراده بذلك، هذا (كِتَابٌ أُخْكِمَتْ آيَاتُهُ)

بجيب

قول ابن عباس إن هذه الآية منسوخة بآية القتال ، والله أعلم .

[سورة هود]

بالصرف وتركه فإن لوحظ أنه اسم للسورة منع الصرف وإن لوحظ أن المراد السورة المذكورة فيها هود صرف ومثل ذلك يقال في سورة نوح لأن هذه الأسماء مصروفة وسورة مبتدأ أخبر عنه بخبرين قوله مكية وقوله مائة الخ (قوله إلا أقم الصلاة) التلاوة بالواو فالصواب أن يقول إلا أقم الصلوة الخ وهذا قول ابن عباس وقوله أو إلا فملك الخ هو قول مقاتل فالخالف أن للدنى عند ابن عباس آية واحدة وهى أقم الصلوة الآية وعند مقاتل آيتان : قوله فملك تارك بعض ما يوحى إليك الآية وقوله أولئك يؤمنون به الآية (قوله الله أعلم بمراده بذلك) تنظم أن هذا هو الأسلم في تفسير الحروف المقطعة (قوله كتاب) خبر لمحدوف قدره المفسر بقوله هذا يدل عليه قوله في آية أخرى ذلك الكتاب واسم الإشارة يصح عوده على ما ذكر في هذه السورة فقط أو على جميع القرآن وتقدم ذلك (أخكت) صفة لكتاب إيمان الإحكام أى الاتقان ففعله متعد والمعنى أثقنت آياته لفظاً ومعنى فلا يحيط بمعنى آيات القرآن غيره تعالى ولم يوجد تركيب بديع للصنع عديم النظير نظير القرآن ، أو الهمزة للنقل من حكم بضم الكاف بمعنى جعلت حكيمه .

(قوله ثم فصلت) يحتمل أن ثم ليرد الأخبار والمعنى أخبرنا الله بأن القرآن محكم أحسن الأحكام مفصل أحسن التفصيل كما تقول فلان كريم الأصل ثم كريم الفعل ويحتمل أنها لترتيب الزماني بحسب النزول لأنها أحكمت أولا حين نزلت جملة واحدة ثم قلت ثانيا بحسب الوقائع (قوله من لدن حكيم خير) صفة ثانية للكتاب وفيه طباق حسن لأن حكيم يناسب أحكمت وخير يناسب فصلت ويصح أن يكون من باب التنازع أحمل الأول وهو أحكمت وأضمر في الثاني وحذف والأحسن الأول (قوله أن لا تعبدوا) الأحسن أن أن تفسيرية لوجود ضابطها وهو تقدم جملة فيها معنى القول دون حروفه وهى قوله ثم فصلت (قوله منه) يصح عود الضمير على الله أو على الكتاب (قوله إن كفرتم) أى دبتهم على الكفر (قوله وأن استغفروا) عطف على قوله أن لا تعبدوا والسين والتاء للطلب والمعنى أسألوهم الغفران فتدوبكم فيها مضى وقوله ثم توبوا إليه أى فى المستقبل لأن شرط التوبة الندم على ما فات والاقلاع فى الحال والعزم على عدم العود فى المستقبل فلا يقال إن الاستغفار هو التوبة بل بينهما التغاير (قوله بمتعمك) جواب الأمر (قوله بطيب عيش) أى فى أمن وراحة ورضا فمن تاب من ذنوبه وأخلص عبادة ربه عاش فى أمن وراحة ورضا ، وإن ضيقت عليه الدنيا فهى رفع درجات له بوجود رضا الله عليه ، ومن لم يقب وأصر على للعاصى والكفر عاش فى خوف ونصب وسخط ، وإن وسعت عليه ملاذ الدنيا إذ لاخير فى عيش بعده النار وحينئذ فلا ينافى هذا كون الدنيا سجن للمؤمن وجنة للكافر (قوله فيه حذف إحدى (التابن) أى والأصل تتولوا

(قوله أى تعرضوا) أى عن الأوامر والنواهي وتدوموا على الكفر ، وجواب الشرط محذوف والتقدير فلا تلواموا إلا أنفسكم وقوله فاذن أخاف الخ تعليل للجواب المحذوف (قوله إلى الله مرجعكم) أى فلا مفر لكم منه (قوله ومنه الثواب) أى من الشيء المقدور عليه (قوله فيمن كان يستحي) أى

بموجب النظم وبديع المعاني (ثُمَّ فَصَّلَتْ) بينت بالأحكام والقصص والمواعظ (مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ خَيْرٍ) أى الله (أَنْ) أى بَأَنْ (لَا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ إِنِّي لَكُمْ مِنْهُ نَذِيرٌ) بالعذاب إن كفرتم (وَبَشِيرٌ) بالثواب إن آمنتم (وَأَنْ أَسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ) من الشرك (ثُمَّ تَوَبُّوا) ارجعوا (إِلَيْهِ) بالطاعة (يُمَتِّعْكُمْ) فى الدنيا (مَتَاعًا حَسَنًا) بطيب عيش وسعة رزق (إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى) هو الموت (وَيُؤْتِي) فى الآخرة (كُلَّ ذِي فَضْلٍ) فى العمل (فَضْلَهُ) جزاءه (وَأِنْ تَوَلَّوْا) فيه حذف إحدى التابن أى تعرضوا (فَإِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ كَبِيرٍ) هو يوم القيامة (إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ) ومنه الثواب والعذاب . ونزل كما رواه البخارى عن ابن عباس فيمن كان يستحي أن يتخلى أو يجامع فيفضى إلى السماء وقيل فى المنافقين (أَلَا إِنَّهُمْ يَثْنُونَ صُدُورَهُمْ لِيَسْتَخْفُوا مِنْهُ) أى الله (أَلَا حِينَ يَسْتَغْشُونَ ثِيَابَهُمْ يَتَنَفَّسُونَ) (يَعْلَمُ) تعالى (مَا يَسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ) فلا ينفى استخفاؤهم (إِنَّهُ عَالِمُ بَدَائِثِ الصُّدُورِ)

من المسلمين (قوله أن يتخلى) أى يقضى حاجته من البول والغائط (قوله فيفضى) معطوف على يتخلى وتنزيل الآية على حكم هذا القول باعتبار تعليم التوحيد والرقابة كأن الله يقول لهم : لا تظنوا أن تغطيتكم تحجبكم عن الله بل الله يعلم ما تسرون وما تعلنون فلا ينافى أن التغطية عند التخلى والجماع مندوبة وليس المراد ذمهم على هذا الفعل إذ هو مطلوب حياء من الله والجن واللائكة (قوله وقيل فى المنافقين) قال ابن عباس «نزلت فى الأخنس بن شريق من منافق مكة وكان رجلا طلق الكلام حلو النظر وكان يلقى رسول الله بما يحب وينطوى بقلبه على ما يكره » ، وقيل كان الرجل من الكفار يدخل بيته ويرى ستره ويحشى ظهره ويستغشى بثوبه ويقول الكفر ويظن أن الله لا يعلمه فى تلك الحالة (قوله ألا إنهم يثنون صدورهم) من الشئ وهو طى الشئ ليكون مستورا فالمراد يغطون صدورهم على ما فيها من الكفر ليكون مخفيا مستورا وأصله يثنيون قلت ضمة الياء إلى ما قبلها ثم حذفت الياء لالتقاء ساكنة مع الواو ، وهذا المعنى على أن سبب النزول فى المنافقين ، وأما على أنه فيمن يستحي حال قضاء الحاجة والجماع فالمراد بثنى الصدر انحناؤه بظهره حال قضاء الحاجة وتغطيته بثوبه حين قضاء الحاجة والجماع فتأمل (قوله ليستخفوا منه) هذا هو علته فى الصدر على ما فيه (قوله ألا حين يستغشون ثيابهم) أى بأروانهم فرائسهم ويرتدون ثيابهم (قوله مايسرون) أى فى قلوبهم وقوله وما يعلنون أى بأفواههم .

(قوله أى بما فى القلوب) أى فالمراد بالصدر القرب وما فيها هو الخواطر فتسقط المحل وأريد الحال فيه (قوله وما من دابة) للذكورة فى سياق التنى تم فدخلت جميع الدواب عاقلة وغير عاقلة (قوله هى مادب عليها) أى مشى وسار (قوله إلا على الله وزقها) ليس المراد أن ذلك واجب عليه فنزه سبحانه وتعالى بل المراد أنه التزم به وتكفل به التزاما لا يتخلف فى الحقيقة على معنى من وإنما التعبير بلى ليزداد العبد ثقة بربه وتوكلا عليه وإن أخذ فى الأسباب فلا يعتمد عليها بل يثق بالله ويعتمد عليه وليمكن أخذه فى الأسباب امتثالاً لأمره تعالى لأن الله يكره العبد البطال وخص دواب الأرض بالذكر لأنهم المحتاجون للأرزاق ، وأما دواب السماء كالملائكة والحوار العين فليسوا محتاجين لذلك بل قوتهم التسبيح والتهليل (قوله ويعلم مستقرها ومستودعها) أتى بذلك دفعا لما يتوهم من كونه متكفلا لكل دابة فى الأرض برزقها أنه ربما يخفى عليه بعض أما كن تلك الدواب فدفع ذلك التوهم بأنه يعلم مكان كل دابة فلا تخفى عليه خافية والمعنى أنه أحاط علمه بمكان كل دابة وزمانها (قوله بعد الموت) أى وهو القبر (قوله كل مما ذكر) أى من الدابة وبرزقها ومستقرها ومستودعها فاللوح المحفوظ أحاط بجميع أرزاق الدواب وأمكنها وأزمنتها وأحوالها وهذا من باهر قدرته تعالى لزيادة طمأنينة العبيد ومراجعة الملائكة للوكيلين بالأرزاق لا خوفا من نسيانه إذ هو مستحيل عليه (قوله وهو الذى خلق السموات) هذا بيان لكونه قادرا على جميع الممكنات وما تقدم (١٩٤) بيان لكونه عالما بالمعلومات كلها (قوله والأرض) أى وما فيها

من الأقوات والحيوانات وغير ذلك والكلام على التوزيع إذ خلق السموات فى يومين ، والأرض فى يومين ، والأقوات فى يومين كما يأتى فى سورة فصلت (قوله أولها الأحد) تقدم أن هذا مشكل لأنه لم يكن ثم زمان فضلا عن تفصيله أياما فضلا عن تخصيص كل يوم باسم وتقدم الجواب

أى بما فى القلوب (وما من) زائدة (دابة فى الأرض) هى مادب عليها (إلا على الله رزقها) تكفل به فضلا منه تعالى (ويعلم مستقرها) مسكنها فى الدنيا أو الصلب (ومستودعها) بعد الموت أو فى الرحم (كل) مما ذكر (فى كتاب مبين) بين هو اللوح المحفوظ (وهو الذى خلق السموات والأرض فى ستة أيام) أولها الأحد وآخرها الجمعة (وكان عرشه) قبل خلقهما (على الماء) وهو على متن الريح (ليبلوكم) متعلق بخلق أى خلقهما وما فيها منافع لكم ومصالح ليختبركم (أيسكم أحسن عملا) أى أطوع لله (ولئن قلنا) يا محمد لهم (إنكم مبعوثون من بعد الموت ليقولن الذين كفروا إن) ما (هذا) القرآن الناطق بالبعث أو الذى تقوله (إلا سحر مبين) بين وفى قراءة ساحر والمشار إليه النبى صلى الله عليه وسلم (ولئن أخرنا عنهم العذاب إلى) مجىء (أمة) أوقات ،

(معدودة)

هنا بأن ذلك باعتبار ما يتعلق به علمه سبحانه وتعالى

لأن كل شىء كان أو يكون فهو فى علمه على ما هو عليه فالمعنى أولها الأحد الذى علم الله أنه يكون (قوله على الماء) أى لم يكن بينهما حائل بل هو فى مكانه الذى هو فيه الآن وهو مافوق السموات السبع والماء فى المكان الذى هو فيه الآن وهو ماتحت الأرضين السبع ، وذلك أن أول ما خلق الله النور المحمدي ثم خلق منه العرش ونشأ الماء من عرق العرش غشاى الله منه الأرضين والسموات فالأرضون من زبد والسموات من دخانه (قوله ليختبركم) أى ليميز المحسن من المسىء بتلك النعم فمن شكر فهو المحسن ومن كفر فهو المسىء والمعنى ليظهر بين الناس المطيع فيثبته فى الآخرة على طاعته والعاصى فيعاقبه فى الآخرة على عصيانه (قوله أيسكم أحسن عملا) مبتدأ وخبر والجملة فى محل نصب معمولة ليبلوكم علق عنها بالاستفهام (قوله ولئن قلنا) اللام موطنة لقسم محذوف وإن حرف شرط وقوله ليقولن جواب القسم وحذف جواب الشرط لتأخره . قال ابن مالك :

واحذف لى اجتماع شرط وقسم جواب ما أخرت فهو ملتزم وكذا يقال فيما بعده (قوله لإسحر) أى كالسحر فالكلام على التشبيه البليغ من حيث إنه كلام مزين الظاهر فاسد الباطن (قوله وفى قراءة) أى وهى سبعة أيضا (قوله ولئن أخرنا عنهم العذاب) أى الذى استعجلوه (قوله إلى أمة) أى طائفة من الأئمة .

(قوله .مدودة) أى قايمة (قوله ليقولن) الفعل مرفوع بالنون المحذوفة لتوالى الأمثال والواو المحذوفة لالتقاء الساكنين فاعله وأعرب مع وجود نون التأكيد ولم يبين لأن نون التوكيد لم تبأشره إذ الأصل ليقولن حذف نون الرفع لتوالى الأمثال، فالتقى ما كنان حذف الواو لالتقاءهما والمحذوف لعله كالثابت وهذا بخلاف ليقولن المتقدم فانه مبنى لمباشرة النون فى اللفظ والتقدير (قوله ما يحبس) أى أى شئ يمنعه من النزول وهذا الاستفهام على سبيل السخرية (قوله ألا يوم يأتيهم) الأداة اقتناح داخلة على ليس فى المعنى ويوم معمول خبر ليس واسمها ضمير فيها يعود على العذاب وكذلك فاعل يأتيهم ضمير يعود على العذاب ، والتقدير ألا ليس هو : أى العذاب مصروفاعنهم يوم يأتيهم العذاب ، ففى هذه الآية تقسم معمول خبر ليس عليها (قوله من العذاب) بيان لما (قوله ثم نزعناها منه) أى أخذناها قهرا (قوله قنوط) أى لقطة صبره وعدم رجائه فى ربه (قوله ليقولن) ذهب السينات عنى) أى على حسب عادة الدهر ولا ينظر لفضل الله فى ذلك فهو منغضوب عليه على كل حال (قوله إلا الدين صبرا) مستثنى من قوله : ولئن أذقنا الانسان الخ ، وقد أشار المفسر إلى أن هذا الاستثناء منقطع حيث عبر بلسكن ويصح أن يكون متصلا باعتبار أن المراد بالانسان الجنس لا واحد بعينه (قوله لهم (١٩٥) مغفرة) أى لذنوبهم (قوله

وأجر كبير) أى عظيم مذكر لهم فى الآخرة (قوله فلعلك تارك) لعل تاتى للترجى فى الأمر المحبوب كما تقول لعل الحبيب قادم وتأتى للتوقع فى الأمر المكروه كما تقول لعل العدو قادم والآية من هذا الثانى غير أن التوقع ليس على بابة إذ مستحيل على رسول الله كتم بعض ما أمر بقلبه والعزم على ذلك بل المقصود منه الاستفهام الانكارى والتحريض على التبليغ مع عدم المبالاة بمن عاداه كأن الله

(مَعْدُودَةٌ لَيَقُولُنَّ) استهزاء (مَا يَحْبِسُهُ) ما يمنعه من النزول ؟ قال تعالى (أَلَا يَوْمَ يَأْتِيهِمْ لَيْسَ مَصْرُوعًا) مدفوعا (عَنْهُمْ ، وَحَاقَ) نزل (بِهِمْ) مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ) من العذاب (وَلَيَنْ أَذَقْنَا الْإِنْسَانَ) الكافر (مِنَّا رَحْمَةً) غنى وصحة (ثُمَّ نَزَعْنَاهَا مِنْهُ إِنَّهُ لَيَكُونُ) قنوط من رحمة الله (كَفُورًا) شديد الكفر به (وَلَيَنْ أَذَقْنَاهُ نَعْمَاءَ بَعْدَ ضَرَاءٍ) فقر وشدة (مَسْتَهْزِئًا لَيَقُولَنَّ ذَهَبَ السَّيِّئَاتِ) للمصائب (عَنِّي) ولم يتوقع زوالها ولا شكر عليها (إِنَّهُ لَنَرِيحٌ) بطر (فَخُورًا) على الناس بما أوتى (إِلَّا) لكن (الَّذِينَ صَبَرُوا) على المضراء (وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ) فى النعماء (أُولَئِكَ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ) هو الجنة (فَلَعَلَّكَ) يا محمد (تَارِكُ بَعْضِ مَا يُوحَىٰ إِلَيْكَ) فلا تبلفهم إياه لتهاونهم به (وَضَائِقُ بِهِ صَدْرُكَ) بتلاوته عليهم لأجل (أَنْ يَقُولُوا لَوْلَا) هلا (أُنْزِلَ عَلَيْهِ كَنْزٌ أَوْ جَاءَ مَعَهُ مَلَكٌ) يصدقه كما اقترحنا (إِنَّمَا أَنْتَ نَذِيرٌ) فلا عليك إلا البلاغ ، لا الإتيان بما اقترحوه (وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ) حفيظ فيجازيهم (أَمْ) بل أ (يَقُولُونَ أَفْتَرَاهُ) أى القرآن (قُلْ فَأْتُوا بِشِرِّ سُورٍ مِثْلِهِ) فى الفصاحة والبلاغة (مُفْتَرِيَاتٍ) فانكم عربون فصحاء مثلى ،

يقول لنبيه بلغ ما أمرت به ولو كره المشركون ذلك ولا تترك التبليغ محافظة على عدم استهزائهم ، وذلك أن رسول الله كان إذا قرأ آية فيها سب للمشركين وآلهتهم نفروا وقالوا انت بقرآن غير هذا أو بدله ونحن نتبعك فرد الله عليهم ذلك حيث حسه على التبليغ ونهاه عن الكتم (قوله بعض ما يوحى إليك) أى وهو ما فيه سب آلهتهم (قوله وضائق به صدرك) أى لا يكن منك ضيق صدر بسبب استهزاء الكفار بك فإن الله حافظك وناصرك عليهم ومخلفهم (قوله أن يقولوا) أى فقد قالوا إن كنت صادقاً فى الرسالة من عند الله الذى تصفه بالقدره التامة وأنت حبيبه وعزيز عنده مع أنك فقير فهلا أنزل عليك ما نستغنى به أنت وأصحابك وهلا أنزل عليك ملك يشهد لك بالرسالة (قوله كنز) أى مال كثير وصحى بذلك لأن شأنه أن يكنز (قوله فلا عليك إلا البلاغ) أى فلا تبال بقولهم ولا تقمّم منهم (قوله حفيظ) أى فيحفظك ويجازيهم (قوله أم يقولون) أم منقطعة بمعنى بل والهمزة ، والاضراب اتقالي والهمزة للتوبيخ والانكار والتعجب (قوله افتراه) أى اختلقه من عند نفسه (قوله قل فأتوا الخ) رد لما قالوه ، والمعنى أنكم عربون مثلى فأتوا بكلام مثل هذا الكلام الذى جئت به فانكم تقدرون على ذلك بل أقدر منى لممارستكم الأشعار والوقائع (قوله مثله) نعت لسور وإن كان بلفظ الافراد فانه يوصف به المتنى والجمع ولذلك والوئث .

(قوله نحدّاهم بها أولا) أى بعد أن نحدّاهم بجميع القرآن كما فى سورة الاسراء . قال تعالى - قل لئن اجتمعت الانبياء والجن على ان ياتوا بنقل هذا القرآن لاياتون بمثله - الآية ، ثم نحدّاهم بمشور كاهناتهم بسورة كافى البقرة ويونس فالاسراء قبل هود نزولا ثم هود ثم يونس ثم البقرة (قوله على ذلك) أى الاتيان (قوله أى غيره) أى من الأصنام أو من جميع المخلوقات (قوله فان لم يستجيبوا لكم) أى أيها المشركون ، وقوله : أى من دعوتهم تفسير للواو فى يستجيبوا (قوله يعلم الله) أى فكما أن علمه لا يشابهه علم كذلك كلامه لا يشابهه كلام لأن الكلام على حسب علم المتكلم فكما كان للمتكلم منسج العلم كان كلامه فصيحاً بليغاً ولا أوسع من علم الله لأنه أحاط بكل شئ علماً (قوله مخففة) أى واسمها ضمير الشأن (قوله أى أسلموا) أى فهو استفهام فيه معنى الطلب لزوال العذر للسائق من ذلك (قوله من كان يريد الحياة الدنيا) اختلف فى سبب نزولها فقيل فى اليهود والنصارى ، وقيل فى المنافقين الذين كانوا يطلبون بغزومهم مع رسول الله التنازع لأنهم كانوا لا يرجون ثواب الآخرة ، وقيل فى المرائين والحل على العموم أولى فيندرج فيه الكافر والمنافق والمؤمن الذى يأتى بالطاعات على وجه الرياء والسمعة (قوله وزينتها) أى ما يزين به فيها من الصحة والأمن والسعة والرياسة وغير ذلك (قوله بأن أصرّوا على الشرك) هذا شامل للقولين المتقدمين (قوله وقيل هى فى المرائين) أى ومعنى قوله : أولئك الذين ليس لهم فى الآخرة إلا النار : أى ابتداءهم بعد استيفاء ماعليه يخرج منها ، ويدل (١٩٦) على أن له هذا الوعيد الشديد ماروى « يقول الله أنا أغنى الشركاء عن الشرك

من عمل عملاً أشرك فيه مع غيرى تركته وشركه » وهذا القول اختاره البيضاوى لحديث « يقال لأهل الرياء حجبتهم وصليتهم ونصتقم وجاهدتهم وقرأتهم ليقال ذلك فقد قيل فلك ، ثم قال إن هؤلاء أول من تسعربهم النار » رواه أبو هريرة ثم بكى بكاء شديداً ثم قال صدق رسول الله من كان يريد

نحدّاهم بها أولا ثم بسورة (وأدعوا) للمعاونة على ذلك (مَنِ اسْتَطَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ) أى غيره (إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ) فى أنه اقترأ (قَا) ن (لَمْ يَسْتَجِيبُوا لَكُمْ) أى من دعوتهم للمعاونة (فَأَعْلَمُوا) خطاب للمشركين (أَلَمْ أَنْزِلْ) ملتبساً (بِدَلِّمِ اللَّهُ) وليس اقترأ عليه (وَأَنْ) مخففة أى أنه (لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَهَلْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ) بعد هذه الحجة القاطعة أى أسلموا (مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا) بأن أصر على الشرك ، وقيل هى فى المرائين (نُوْفَ إِلَيْنِهِمْ أَعْمَالُهُمْ) أى جزاء ماعلوه من خير كصدقة وصلة رحم (فِيهَا) بأن نوسع عليهم رزقهم (وَهُمْ فِيهَا) أى الدنيا (لَا يُبْخَسُونَ) ينقصون شيئاً (أُولَئِكَ الَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ إِلَّا النَّارُ وَحَبِطَ) بطل (مَا صَنَعُوا) (فِيهَا) أى الآخرة فلا ثواب له (وَبَاطِلٌ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ . أَفَنْ كَانَ عَلَى بَيِّنَةٍ) بيان (مِنْ رَبِّهِ) وهو النبى صلى الله عليه وسلم أو المؤمنون وهى القرآن

(ويتلوه)

الحياة الدنيا الخ (قوله نوف) بالنون مبنياً للفاعل وفيه ضمير يعود على الله وبالياء

مبنياً للفعول وأعمالهم بالرفع نائب فاعل والفاء مشددة على كل حال قراءة ثان الأولى سبعة والثانية شاذة (قوله أى جزاء ماعلوه) أشار بذلك إلى أن الكلام على حذف مضاف (قوله بأن نوسع عليهم رزقهم) أى فهذا جزاء أعمالهم الحسنة فى الدنيا وأما فى الآخرة فليس لهم فى نظير ذلك شئ . قال تعالى - وقدمنا إلى ماعلوا من عمل فجعلناه هباء منثوراً - فجزاء الآخرة بالجنة ونعيمها مخصوص بالمؤمن (قوله فلا ثواب له) أى لأنهم قد استوفوا فى الدنيا جزاء أعمالهم الحسنة فليس لهم فى الآخرة إلا العذاب . قال تعالى - ومن كان يريد حوث الدنيا وثوتها منها وماله فى الآخرة من نصيب - (قوله وباطل ما كانوا يعملون) أى فى الدنيا من الخيرات (قوله أفن كان على بينة من ربه) لما تقدم ذكر أوصاف أهل الدنيا النافلين عن الآخرة وعاقبة أمرهم ذكر أوصاف أهل الآخرة الذين يريدون بأعمالهم وجه ربهم ، واسم الموصول مبتدأ خبره محذوف قدره المفسر فيما يأتى بقوله كمن ليس كذلك وجواب الاستفهام محذوف قدره بقوله لا وقد صرح بهذين المحذوفين فى قوله تعالى - أفن كان مؤمناً كمن كان فاسقاً لا يستون - (قوله بيان) أى نور واضح ودليل ظاهر وذلك نظير قوله تعالى - أفن كان مؤمناً كمن كان فاسقاً لا يستون - (قوله وهو النبى) أى وعليه فالجمع للتعظيم فى قوله - أولئك يؤمنون به - وقوله أو المؤمنون والجمع فيها ظاهر وفى نسخة والمؤمنون وهى ظاهرة (قوله وهو القرآن) تفسير للبيئة ، وقد أخذ هذا التفسير مما يأتى فى سورة البيئة فى قوله تعالى - حتى تأتيهم البيئة رسول من الله يتلوا صفحا مطهرة فيها كتب قيمة - .

(قوله ويتلوه) الضمير عائد على من (قوله وهو جبريل) تفسير للشاهد ، وللعنى من كان متمسكا بالحق والحال أنه يقبعه شاهد من الله يصدق على ذلك وهو جبريل لأنه مقروص ومصق للرسول ويصح أن يكون المراد بالشاهد معجزات القرآن والضمير في منه إما عائد على الله أو على القرآن ، وللعنى على هذا ويقبعه شاهد يشهد بكونه من عند الله وهو الإعجاز في نظمته واشتاله على عجائب الغيبات في معناه فلا يستطيع أحد أن يأتي بمثله كلاً أو بعضاً ، ويصح أن يراد بالشاهد المعجزات الظاهرة على يد رسول الله مطلقاً (قوله ومن قبله) الجار والمجرور حال من كتاب موسى الواقع معطوفاً على شاهد (قوله شاهد له أيضاً) الأوضح أن يقول يتلوه أيضاً إذ هو للسلط عليه (قوله إماماً) أى مقتدى به (قوله ورحمة) أى إحساناً ولطفاً لمن أنزل إليهم (قوله أى من كان على بينة من ربه) أشار بذلك إلى أن اسم الإشارة عائد على قوله أفن كان على بينة (قوله ومن يكفر به) اسم للوصول راجع لقوله كمن ليس كذلك فهو لوف ونشر مرتب (قوله فلا تك) أصله تكون دخل الجازم فسكنت التون فالتقى سا كنان حذفت الواو لالتقاءهما وحذفت التون تخفيفاً (قوله في مرية) بكسر الميم باتفاق (١٩٧) السبعة وقرئ شذوذاً بضمها

وهي لغة قليلة وهو خطاب للنبي والراد غيره (قوله إنه الحق) أى الثابت الذى لا يحصى عنه (قوله ولكن أكثر الناس) يفيد أن الأقل مؤمن وهو كذلك في كل زمن إلى يوم القيامة وإما خص المفسر أهل مكة لكون أصل الخطاب لهم (قوله أى لا أحد) أشار بذلك إلى أن الاستهزاء إنكارى بمعنى النقي وهذا شروع في ذكر أوصافهم وقد ذكر منها هنا أربعة عشر وصفاً أولها قوله ومن أظلم وآخرها قوله لاجرم أنهم في الآخرة هم

(وَيَتْلُوهُ) يتبعه (شاهد) له بصدقه (منه) أى من الله وهو جبريل (ومن قبله) أى القرآن (كتاب موسى) التوراة شاهد له أيضاً (إماماً ورحمة) حال كمن ليس كذلك ؟ لا (أولئك) أى من كان على بينة من ربه (يؤمنون به) أى بالقرآن فلهم الجنة (ومن يكفر به من الأحزاب) جميع الكفار (فالتأثر مؤعده فلا تك في مرية) شك (منه) من القرآن (إنه الحق من ربك ولكن أكثر الناس) أى أهل مكة (لا يؤمنون. ومن) أى لا أحد (أظلم ممن افترى على الله كذباً) بنسبة الشريك والولد إليه (أولئك يعرضون على ربهم) يوم القيامة في جملة الخلق (ويقول الأشهاد) جمع شاهدوم الملائكة يشهدون للرسول بالبلاغ ، وعلى الكفار بالتكذيب (هولاء الذين كذبوا على ربهم ألا لعنة الله على الظالمين) المشركين (الذين يصدون عن سبيل الله) دين الاسلام (ويبغونها) يطلبون السبيل (عوجاً) معوجة (وههم بالآخرة هم) تأكيد (كافرون. أولئك لم يَكُونُوا مُعْجِزِينَ) الله (في الأرض وما كان لهم من دون الله) أى غيره (من أولياء) أنصار يمتنعونهم من عذابه (يضاعف لهم العذاب) بإضلالهم غيرهم (ما كانوا يستطيعون السمع) للحق (وما كانوا يُبْصِرُونَ) أى لقرط كراهتهم له كأنهم لم يستطيعوا ذلك (أولئك الذين خسرُوا أنفسهم) لمصيرهم إلى النار الملوثة عليهم (وَضَلَّ) غاب (عنهم ما كانوا يفترون) على الله من دعوى الشريك

الآخسرون (قوله أولئك يعرضون على ربهم) أى عرض فضيحة وهتك ستر (قوله وهم الملائكة) أى والنبيون والأصفياء (قوله ألا لعنة الله) هذا من كلام الله تعالى يقوله لهم يوم القيامة فيطردون بذلك عن الرحمة الحاصلة في الآخرة ، وليس المراد أنهم يطردون عن رحمة الدنيا (قوله الذين يصدون عن سبيل الله) أى يمتنعون الناس عن الدخول في دين الاسلام ، والعنى أنهم كما ضلوا في أنفسهم يضلون غيرهم (قوله ويبغونها عوجاً) أى ينسبون لها للعوجاج والحال أنه قائم بقلوبهم (قوله أولئك لم يكونوا معجزين) أى فارين من عذاب الله لأن الله وإن أمهلهم لايهلهم (قوله من أولياء) من زائدة في اسم كان ، والمعنى ليس لهم أنصار من غير الله يمتنعون عذاب الله عنهم (قوله بإضلالهم غيرهم) أشار بذلك إلى جواب سؤال وارد على الآية . وحاصله أن للضاعفة مخصوصة بالحسنات ، وأما السيئات فلا تضاعف . قال تعالى - ومن جاء بالسيئة فلا يجزى إلا مثله - فأجاب المفسر بأن معنى المضاعفة الشدة لأنهم يعذبون عذابين عذاباً على ضلالهم في أنفسهم وعذاباً على إضلالهم غيرهم (قوله ما كانوا يستطيعون السمع) أى لم يقبلوه لوجود الحجاب على قلوبهم (قوله وما كانوا يبصرون) أى لم يقدروا على ذلك (قوله أولئك) أى الذين لا يستطيعون السمع ولا الإبصار (قوله من دعوى الشريك) بيان لما .

(قوله لا جرم) اختلف العلماء في معنى لا جرم على ثلاثة أوجه : أولها أن لانافية لأمانى الكفار وجرم فعل ماض بمعنى حق وثبت وقوله أنهم في الآخرة هم الأخسرون الجملة في محل رفع فاعل مجرم ويصير للنفي لا عبرة بأمانيتهم بل حق وثبت خسرتهم في الآخرة وهذا الوجه أحسنها . ثانيا أن لا كذلك وجرم بمعنى كسب وأن وما دخلت عليه في تأويل مصدر مفعوله والفاعل مادل عليه السياق والمعنى ما كسب لهم كفرهم وأمنياتهم إلا خسرتهم في الآخرة . ثالثها أن لا جرم بمعنى لا بد أى لا بد أنهم في الآخرة هم الأخسرون فلا نافية للنفس وجرم اسمها مبنى معها على الفتح وجملة أنهم في محل رفع خبرها إذا علمت ذلك فقول المفسر حقا لم يوافق واحدا من هذه الثلاثة إلا أن يقال إنه مرة على الأول ويكون حقا مفعولا مطلقا لفعل محذوف والتقدير حق حقا ، وقد وردت هذه اللفظة في القرآن في خمسة مواضع ويقال في كل واحد منها ما قيل هنا (قوله إن الدين آمنوا) لما ذكر الله أحوال الكفار وما آل إليه أمرهم أتبعهم بذكر المؤمنين وما آل إليه أمرهم (قوله وأخبتوا) من الاخبات وهو الخشوع والخضوع ويتعدى باللام وإلى فإن عدى باللام فعناء خشع وخضع وإن عدى بالى فعناء اطمأن وسكن وقد اقتصر المفسر على هذا الثاني (قوله أولئك أصحاب الجنة) التعبير بأصحاب إشارة إلى أن أهل الجنة مالكون لمنازلها ملكا لا يحول ولا يزول (قوله مثل الفريقين) لما ذكر أحوال الكفار وما هم عليه من الصمم والعمى عن اتباع الحق وذكر أحوال المؤمنين وما هم عليه من التبصر وسماع الحق واتباعه أتبع ذلك بذكر مثل لكل فريق (قوله كالأعمى والأصم) هذا كناية عن كون الله سلبهم الاتفاح بالحق لسبق (١٩٨) شقاوتهم في علم الله ، والمراد من الأعمى والأصم ذات واحدة انصفت بهذين

الوصفين فإنه هو الذي لا قبل الهدى لمقصوده بأى وجه كان ومثل ذلك يقال في نظيره وهو البصير والسميع (قوله مثلا) تمهيد محول عن الفاعل والأصل هل يستوى مثلها (قوله لا) أشار بذلك إلى أن الاستفهام إنكارى (قوله أفلا تذكرون) الهمزة داخلية

(لَا جَرَمَ) حَقًّا (أَنَّهُمْ فِي الْآخِرَةِ هُمُ الْأَخْسَرُونَ . إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَأَخْبَتُوا) سَكَنُوا وَاطْمَأَنَّنُوا أَوْ أَنَابُوا (إِلَى رَبِّهِمْ أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ . مَثَلُ (الْفَرِيقَيْنِ) الْكَافِرِ وَالْمُؤْمِنِ (كَأَلْأَعْمَى وَالْأَصْمَى) هَذَا مَثَلُ الْكَافِرِ (وَالْبَصِيرِ وَالسَّمِيعِ) هَذَا مَثَلُ الْمُؤْمِنِ (هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا) لَا (أَفَلَا تَذَكَّرُونَ) فِيهِ إِدْغَامُ التَّاءِ فِي الْأَصْلِ فِي الذَّالِ : تَتَعَذَّلُونَ (وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ أُنًى) أَيْ بَأْنًى وَفِي قِرَاءَةِ الْكَسْرِ عَلَى حَذْفِ الْقَوْلِ (لَكُمْ نَذِيرٌ مُبِينٌ) بَيْنَ الْإِنْذَارِ (أَنْ) أَيْ بَأْنٍ (لَا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ) إِنْ عَبَدْتُمْ غَيْرَهُ (عَذَابَ يَوْمٍ أَلِيمٍ) مُؤَلَّمٌ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ (فَقَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ) وَهِيَ الْأَشْرَافُ (مَا تَرَاكَ ،

إلا

على محذوف والفاء عاطفة على ذلك المحذوف والتقدير أعيمتهم وتركتهم الهدى

فلا تذكرون وهو خطاب للشركين الذين كانوا في زمنه صلى الله عليه وسلم (قوله فيه إدغام التاء الخ) أى والأصل تذكرون أبدلت التاء الثانية ذالا وأدغمت في الذال وفي قراءة سبعة بحذف إحدى التاءين تخفيفا (قوله ولقد أرسلنا نوحا) جرت عادة الله في كتابه العزيز أنه إذا أقام الحجج على الكفار ووبخهم وضرب لهم الأمثال يذكر لهم بعض قصص الأنبياء المتقدمين وأهمهم لعلمهم بهتدون وفي هذه السورة سبع قصص : الأولى قصة نوح مع قومه . الثانية قصة هود مع قومه . الثالثة قصة صالح مع قومه . الرابعة قصة إبراهيم مع الملائكة . الخامسة قصة لوط مع قومه . السادسة قصة شعيب مع قومه . السابعة قصة موسى مع فرعون ، وذكر هذه القصص على حسب الترتيب الزماني وتقدم أن نوحا اسمه عبد الغفار ونوح لقبه سمى بذلك لكثرة نوحه لما ورد أنه رأى كلبا مجذوما فقال له اخسأ يا قبيح فأوحى الله إليه أعينى أم عبت الكلب فكان ذلك عتابا له فاستمر نوح صلى الله عليه وسلم على نفسه فسمى بذلك (قوله أى بأتى) أشار بذلك إلى أن قراءة الفتح على إضمار حرف الجر (قوله وفي قراءة) أى وهى سبعة أيضا (قوله على حذف القول) أى ومتى وقعت إن بعد القول كسرت (قوله مبين) أى بين الانذار وواضحه (قوله إني أخاف عليكم) هذا في قوة التعليل لقوله ألا تعبدوا إلا الله (قوله أليم) صفة لليوم وأسندته له مباينة على سبيل المجاز العقلي وحق الإسناد للعذاب (قوله ما تراك) اعلم أنهم احتجوا عليه بثلاث حجج أولها قوله ما تراك إلا جبرا مثلنا وآخرها قوله بل نظنكم كاذبين وقد أجابهم عنها إجمالا بقوله أرأيتم إن كنت على هينة من ربى الخ وتفصيلا بقوله

ولا أقول لكم عندى خزائن الله الخ (قوله إلا بهرامثلنا) أى آدميامثلنا (قوله ولا فضل لك علينا) أى لازمة لك علينا وهذا من فوط جهلهم حيث استبعدوا فضل الله على البشر وظنوا أن الرسل لا يكونون إلا من الملائكة (قوله أرادنا) إمام جمع الجمع فهو جمع لؤذل بضم الال جمع رذل يسكنونها ككلب وأكلب وأكالب أوجع الفرد وهو أرذل كأ كبر وأكابر وأبطح وأباطح (قوله كالحاكة) جمع حائك وهو القزاز (قوله والأسا كفة) جمع إسكاف وهو صانع النعال وهذه عادة الله فى الأنبياء والأولياء أن أول من يضعهم ضغفاء الناس لذلهم فلا يتكبرون عن الاتباع (قوله بالهمز وتركه) أى فهما قراءتان سبعيتان (قوله من نير تفكر فيك) أى ولو تفكروا لما اتبعوك (قوله من فضل) أى منزلة من مال وغيره (قوله فى الخطاب) أى فى قوله وما نرى لكم بل نظنكم (قوله قال يا قوم) هذا خطاب فيه غاية التلطف بهم (قوله بيان) أى حجة وبرهان (قوله فعميت) أى النبوة أى خفيت عليكم (قوله وفى قراءة) أى وهى سبعة أيضا (قوله والبناء للمفعول) أى ولا أصل أعمها الله عليكم أى أخفاها (١٩٩) فأطاق العمى وأريد لازمه وهو الحفاء لأن الأسمى تخفى

عليه الأشياء فلا يهتدى ولا يهتدى غيره (قوله أنجبركم على قبولها) أى لا قدرة لنا على إلزامكم إياها والحال أنكم كارهون لها بل الإيمان إنما هو بالرضا والقسليم الباطنى والعمى أخبروني إن كنت على حجة ظاهرة من ربى وأعطانى نبوة من عنده فأخفاها عليكم أنجبركم على قبولها والإيمان بها والحال أنكم كارهون منكرون لها لا أستطيع ذلك بل لا قدرة لى إلا على البلاغ (قوله لا على الله) أى فهو للتكفل لى بالثواب والعطايا (قوله كما أمرتوني) أى فقد قالوا له امنع واطرد هؤلاء

إِلَّا بَشَرًا مِثْلَنَا) وَلَا فَضْلَ لَكَ عَلَيْنَا (وَمَا زَاكَ أَتَّبَعَكَ إِلَّا الَّذِينَ هُمْ أَرَادُوا أَنَّا فَلَنَّا كَالْحَاكَةِ وَالْأَسَا كِفَةً) (بَادِئُ الرَّأْيِ) بِالْهَمْزِ وَتَرْكُهُ أَى ابْتِدَاءٍ مِنْ غَيْرِ تَفَكُّرٍ فِيكَ وَنَصْبِهِ عَلَى الظَّرْفِ أَى وَقْتُ حَدُوثِ أَوَّلِ رَأْيِهِمْ (وَمَا نَرَى لَكُمْ عَلَيْنَا مِنْ فَضْلٍ) فَتَسْتَحِقُّونَ بِهِ الْإِتِّبَاعَ مِنَّا (بَلْ نَظُنُّكُمْ كَاذِبِينَ) فِى دَعْوَى الرِّسَالَةِ أَدْرَجُوا قَوْمَهُ مَعَهُ فِى الْخُطَابِ (قَالَ يَا قَوْمِ أَرَأَيْتُمْ) أَخْبَرُونِي (إِنْ كُنْتُ عَلَى بَيِّنَةٍ) بَيَانٍ (مِنْ رَبِّى وَآتَانِى رَحْمَةً) نُبُوَّةٍ (مِنْ عِنْدِهِ فَعَمِيَتْ) خَفِيَتْ (عَلَيْكُمْ) وَفِى قِرَاءَةٍ بِتَشْدِيدِ اللَّيْمِ وَبِالْبِنَاءِ الْمَفْعُولِ (أَنْزَلْنَاكُمْ هَاهُنَا) أَنْجَبَكُمْ عَلَى قَبُولِهَا (وَأَنْتُمْ كَمَا كَارِهُونَ) لَا تَقْدِرُ عَلَى ذَلِكَ (وَيَا قَوْمِ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ) عَلَى تَبْلِيغِ الرِّسَالَةِ (مَالًا) مَطْوُونَةً (إِنْ) مَا (أَجْرِي) نَوَابِ (إِلَّا عَلَى اللَّهِ وَمَا أَنَا بِطَارِدِ الَّذِينَ آمَنُوا) كَمَا أَمَرْتُونِى (إِنَّهُمْ مُلَاقُوا رَبِّهِمْ) بِالْبَيْتِ فَيَجَازِيهِمْ وَيَأْخُذُ لَهُمْ مِنْ ظُلْمِهِمْ وَطَرْدَهُمْ (وَلَكِنِّى أَرَأَيْتُمْ قَوْمًا تَجْهَلُونَ) عَاقِبَةُ أَمْرِكُمْ (وَيَا قَوْمِ مَنْ يَنْصُرُنِى) يَمْنَعُنِى (مِنْ اللَّهِ) أَى عَذَابِهِ (إِنْ طَرَفْتُمْ) أَى لَا نَاصِرَ لِى (أَفَلَا) فَهَلَا (تَذَكَّرُونَ) بِأَدْعَائِ التَّائِبَةِ الثَّانِيَةِ فِى الْأَصْلِ فِى الذَّلَالَةِ: تَتَعَذَّبُونَ (وَلَا أَقُولُ لَكُمْ عِنْدِى خَزَائِنُ اللَّهِ وَلَا) إِنِّى (أَعْلَمُ الْغَيْبَ وَلَا أَقُولُ إِنِّى مَلَكٌ) بَلْ أَنَا بَشَرٌ مِثْلَكُمْ (وَلَا أَقُولُ لِلَّذِينَ تَزْدَرِى) تَحْتَقِرُ (أَعْيُنُكُمْ لَنْ يُؤْتِيَهُمُ اللَّهُ خَيْرًا اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا فِى أَنْفُسِهِمْ) قُلُوبِهِمْ (إِنِّى إِذَا) إِنْ قُلْتُ ذَلِكَ (لِمَنِ الظَّالِمِينَ) قَالُوا يَا نُوحُ قَدْ جَادَلْتَنَا) خَاصَمْتَنَا (فَأَسْكَرْتَ جَدَلْنَا فَاتِنَا بِمَا تَعِدُنَا)

الأسافلة عنك ونحن نتبعك فانا نستحي أن نجلس معهم فى مجلسك وهذا كما قالت قريش لمحمد صلى الله عليه وسلم كما فى سورة الانعام فنزل ردا عليهم : ولا تطرد الذين يدعون ربهم الآية (قوله فيجازيهم) أى على ما قدموا من الأعمال الصالحة (قوله تجهلون) أى لا تحسنون خطابا (قوله أى لا ناصر لى) أشار بذلك إلى أن الاستفهام إنكارى (قوله أفلا تذكرون) الهمة داخلية على محذوف والفاء عاطفة على ذلك المحذوف والتقدير أنأمرونى بطردهم فلا تذكرونى (قوله ولا أقول لكم عندى خزائن الله) هذا رد لقولهم وما نرى لكم علينا من فضل والبراد بخزائن الله مغيباته التى لا يعلمها ولا يطلع عليها إلا هو (قوله ولا أعلم الغيب) رد لقولهم وما زارك أتبعك الخ ، والمعنى ما قلت لكم إنى أعلم الغيب فأطلع على بواطنكم (قوله ولا أقول إنى ملك) رد لقولهم ما زارك إلا بهرامثلنا (قوله تزدري) أصله تترى فقلت تاء الافتعال دالا (قوله لن يؤتيهم الله خيرا) أى توفيقا وهدى (قوله الله أعلم بما فى أنفسهم) أى من إيمان وكفر (قوله قد جدلنا) أى شرعنا فى جدالنا

(قوله به) قدره إشارة إلى أن عائد الموصول محذوف وضح أن تكون ما مصدرية والضمير برعدك إيانا (قوله فيه) أي في الوعد (قوله تعجيله) أشار بذلك إلى أن مفعول شاء محذوف (قوله فأتين الله) أي ضارين من عذابه (قوله وجواب الشرط) أي الأول وهذا مرور على مذهب البصريين القائلين إن جواب الشرط لا يتقدم عليه وجوزه الكوفيون وحينئذ يكون تقدير الكلام إن كان الله يريد أن يغويكم فإن أردت أن أنصح لكم فلا ينفعكم نصحي وذلك لأن القاعدة إذا اجتمع في الكلام شرطان وجواب يجعل الجواب للثاني والشرط الثاني وجوابه جوابا عن الأول (قوله أي كفار مكة) هذا أحد قولين والثاني وعاليه أكثر للفسرين أن هذه الآية من جملة قصة نوح ويكون الضمير في افتراء عائدا على الوحي الذي جاءهم به نوح (قوله أي عقوبته) أشار بذلك إلى أن الكلام على حذف مضاف (قوله وأوحى) الجمهور على أنه مبنى للمفعول وأنه بالفتح في تأويل مصدر نائب فاعل وقرئ شذوذا بالبناء للفاعل وإنه بالكسر إما على إضمار القول أي أوحى الله إلى نوح قائلا له إنه الخ أو بتضمين الإيحاء معنى القول (قوله أنه لن يؤمن من قومك إلا من قد آمن) أي لن يستمر على الإيمان إلا من ثبت لإيمانه وحصل فأنفج ما يقال إن فيه تحصيل الحاصل (قوله فدعا عليهم) أي بعد اليأس من إيمانهم وحصول غاية المشقة له منهم فكانوا يضربونه حتى يسقط فيلغونه في اللبد ويلقونه (٣٠٠) في بيت يظنون موته فيخرج في اليوم الثاني ويدعوم إلى الله وكانوا

يخنقونه حتى ينشئ عليه فإذا أفاق قال رب اغفر لقومي فانهم لا يعلمون وكان الوالد منهم يوصي أولاده بعدم اتباعه ويقول قد كان هذا الشيخ مع آبائنا وأجدادنا هكذا مجنون فلا يقبلون منه شيئا فلما أوحى إليه بعدم إيمانهم دعا عليهم كما قال المفسر (قوله واصنع الفلك) يطلق مفردا وجما والمراد هنا للفرد وكان طولها ثمانين ذراعا

به من العذاب (إِنْ كُنْتُمْ مِنَ الصَّادِقِينَ) فيه (قَالَ إِنَّمَا يَأْتِيَكُمْ بِهِ اللَّهُ إِنْ شَاءَ) تعجيله لكم فإن أمره إليه لا إلى (وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ) فأتين الله (وَلَا يَنْفَعُكُمْ نَصْحِي إِنْ أَرَدْتُ أَنْ أُنْصَحَ لَكُمْ إِنْ كَانَ اللَّهُ يُرِيدُ أَنْ يُغْوِيَكُمْ) أي إغواءكم وجواب الشرط دل عليه ولا ينفعكم نصحي (هُوَ رَبُّكُمْ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ) قال تعالى (أَمْ) بل أ (يَقُولُونَ) أي كفار مكة (أَفْتَرَاهُ) اختلق محمد القرآن (قُلْ إِنْ أَفْتَرَيْتُهُ فَقَلْبِي إِجْرَامِي) إني أي عقوبته (وَأَنَا بَرِيءٌ مِمَّا تُجْرِمُونَ) من إجرامكم في نسبة الافتراء إلى (وَأُوحِيَ إِلَى نُوحٍ أَنَّهُ لَنْ يُؤْمِنَ مِنْ قَوْمِكَ إِلَّا مَنْ قَدْ آمَنَ فَلَا تَبْتَئِسْ) تحزن (بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ) من الشرك فدعا عليهم بقوله: رب لا تنذر على الأرض الخ فأجاب الله دعاءه وقال (وَاصْنَعِ الْفُلَ) السفينة (بِأَهْلِيهَا) بمرأى منا وحفظنا (وَوَحِينَا) أمرنا (وَلَا تُخَاطِبْنِي فِي الَّذِينَ ظَلَمُوا) كفروا بترك إهلاكم (إِنَّهُمْ مُفْرَقُونَ. وَاصْنَعِ الْفُلَ) حكاية حال ماضية،

(وكملا

ذراعا وعرضها خمسين وطولها

لجهة العلو ثلاثين ذراعا والذراع إلى النكسب وهذه أشهر الروايات وقيل كان طولها ألفا ومائتي ذراع وعرضها ستمائة ذراع وقيل غير ذلك وجعلها ثلاث طبقات فالسفل للوحوش والسباع والحوام وفي الوسطى الدواب والأنعام وركب هو ومن معه في العليا وقيل السفلى للدواب والوحوش والوسطى للانس والعليا للطير وأول ما حملة نوح الدرة وآخر ما حمل الحمار فلما أراد أن يدخل الحمار أدخل صدره فتعاق إبليس بذنبه فاستقل رجلاه وجعل نوح يقول ويحك ادخل فينهض فلا يستطيع حتى قال له ادخل ولو كان الشيطان معك فدخل فقال له نوح ماذا أدخلك علي يا عدو الله قال ألم تقل ادخل وإن كان الشيطان معك قال أخرج عني يا عدو الله قال لا بد أن تحماني معك هكذا قيل ، وقيل إنه لم يحمله معه في السفينة وهو الصحيح لأنه لم يثبت في حملة خبر صحيح ومكث في صنع السفينة مائتي سنة مائة في غرس الأشجار ومائة في عملها وهي من خشب الساج (قوله بمرأى منا وحفظنا) دفع بذلك ما يقال إن ظاهره مستحيل لاستحالة الأعين بمعنى الجارحة المعلومة على الله . فأجيب بأنه أطلق المألوم وأراد اللازم لأنه يلزم من كون الشيء بالأعين أنه مبالغ في حفظه (قوله ولا تخاطبني في الذين ظلموا) أي لا تراجعني في شأنهم فإن الملاك لا بد لهم منه (قوله حكاية حال ماضية) أي فالمضارع بمعنى الماضي

(قوله وكلمته عليه ملا) الجملة حالية والتقدير يصنع الفلك والحال أنه كلما مر الخ استهزأ به أي فقالوا صرت نجارا بعد أن كنت نبيا وكان يعمل السفينة في رية لاماء فيها ، واستهزأؤهم إما لكونهم لا يعرفون السفينة ولا الاتفاع بها أولكونهم يعرفونها غير أنهم تصحبوا من صنعه لها في أرض لاماء بها (قوله فإننا نسخر منكم) أي أتم محل السخرية والاستهزاء لأن من كان على أمر باطل فهو أحق بالاستهزاء والسخرية ولا حاجة لكون الكلام من باب المشاكلة (قوله موصولة) أي وعلم عرفانية تنصب مفعولا واحدا وصح أن تكون استفهامية وعلم على بابها من كونها متعدي لاثنيين ويكون الثاني محذوفا (قوله عذاب) أي وهو الفرق (قوله غاية للصنع) أي في قوله يصنع الفلك (قوله وفارالتنور) وكان من حجارة ورثه من أمه حواء والأشهر أنه كان بالكوفة على عین الداخل مما يلي باب كندة ، والتنور مما اتفق فيه لغة العرب والعجم كالصابون (قوله للخباز) أي وهي امرأة نوح وكان فورانه وقت 'أوع الفجر (قوله وكان ذلك) أي فوران التنور وعلانيته (قوله علامة لنوح) أي على الطوفان وكان في الثالث والعشرين من أيب في شدة القبط (قوله من كل زوجين) المراد بالزوجين كل اثنين لا يستغنى أحدهما عن الآخر كالكفر والآثي ويقال لكل منهما زوج ، والمعنى من كل صنف زوجين ذكر وأنثى . قال الحسن : لم يحمل نوح معه إلا ما يلد أو يبيض . وأما ماسوى ذلك مما يتولد من الطين كالبقي والبعض فلم يحمل (٢٠٩) منه شيئا . وروى بعضهم أن الحية والعقرب أتيا نوحا وقالا

(وَكَلَّمَا مَرْءَ عَلَيْهِ مَلَأَ) جماعة (مِنْ قَوْمِهِ سَخِرُوا مِنْهُ) استهزأوا به (قَالَ إِنْ تَسَخَرُوا مِنَّا فَإِنَّا نَسَخَرُ مِنْكُمْ كَمَا تَسَخَرُونَ) إذا نجونا وغرقم (فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَنْ) موصولة مفعول العلم (يَأْتِيهِ عَذَابٌ مُّجْزِيهِ وَيَحِلُّ) ينزل (عَلَيْهِ عَذَابٌ مُّقِيمٌ) دائم (حَقٌّ) غاية للصنع (إِذَا جَاءَ أَمْرُنَا) ياهلاكهم (وَفَارَ التَّنُّورُ) للخباز بالماء وكان ذلك علامة لنوح (فَلَمَّا أَهْمَلُوا فِيهَا) في السفينة (مِنْ كُلِّ زَوْجَيْنِ) أي ذكر وأنثى أي من كل أنواعهما (أَتْنَيْنِ) ذكرا وأنثى وهو مفعول ، وفي القصة أن الله حشر لنوح السباع والطير وغيرها فجعل يضرب بيديه في كل نوع فتقم يده اليمنى على الذكر واليسرى على الأنثى فيحملهما في الدنينة (وَأَهْلَكَ) أي زوجته وأولاده (إِلَّا مَنْ سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ) أي منهم بالاهلاك وهو زوجته وولده كنعان بخلاف سام وحام ويافت فحملهم وروجاتهم الثلاثة (وَمَنْ آمَنَ وَمَا آمَنَ مَعَهُ إِلَّا قَلِيلٌ) قيل كانوا ستة رجال ونساء هم وقيل جميع من كان في السفينة ثمانون نصفهم رجال ونصفهم نساء (وَقَالَ) نوح (إِذْ كَبُّوا فِيهَا بِسْمِ اللَّهِ جَحْرَاهَا وَمَرَّ سَاهَا) بفتح اليمين وضمها مصدران أي جريها ورسوها أي منتهى سيرها (إِنْ رَبِّي لَفَتُّورٌ رَّحِيمٌ) حيث لم يهلكنا (وهي تجري بهم في موج كالجبال) في الارتفاع والعظم

والأخرى لم تؤمن فتركها (قوله وأولاده) أي الثلاثة وزوجاتهم (قوله إلا من سبق عليه القول) أي القضاء بالفرق (قوله أي منهم) أخذ هذا التقييد من سورة المؤمنون (قوله وهو زوجته) أي التي لم تؤمن واسمها واعة وقيل واعة . ورد أنه قبل مجيء الطوفان بأربعين سنة أصيبوا بالعمى فلم يقدروا في تلك المدة كي لانصيهم الرحمة من أجل وجود الصغار بينهم (قوله بخلاف سام) وهو أبو العرب وحام وهو أبو السودان ويافت وهو أبو الترك (قوله ثمانون) أي اثنان وسبعون من الأمة وهو وأولاده الثلاثة وزوجاتهم (قوله وقال اركبوا) خطاب لمن معه (قوله بسم الله مجريها ومرساها) حال من الواو في اركبوا والتقدير قائلين بسم الله الخ وبسم الله خبر مقدم وقوله مجراها ومرساها مبتدأ مؤخر . روى أنه كان إذا أراد أن تجرى قال بسم الله فخرث وإذا أراد أن ترسو قال بسم الله فرست (قوله بفتح اليمين) سبق قلم إذ فتح مرسلها شاذ فالصواب أن يقول بضم اليمين أو فتح الأولى مع ضم الثانية (قوله مصدران) راجع لكل من الفتح والضم (قوله أي جريها) هذا يناسب الفتح ، وأما الضم فيقال في تفسيره أي إجرأوها وإرسأوها (قوله كالجبال) روى أن الله أرسل المطر أربعين يوما وليلة وخرج الماء من الأرض قال تعالى - ففتحنا أبواب السماء بماء منهمر وجفنا الأرض عيونا فالتقى الماء على أمر قد قدر - وارتفع الماء على أعلى جبل وأطول أربعين ذراعا حتى أغرق كل شيء . وروى أنه لما كثر الماء في السكك [٣٦ - صاوي - ثاني]

والعقرب أتيا نوحا وقالا
احملنا معك فقال إنكما
سبب البلاء فلا أحملكما
فقالا احملنا ونحن نضمن
لك أن لانصر أحدا
ذكرك فمن قرأ حين
يخاف مضرتهما : سلام
على نوح في العالين لم
يضر (قوله وهو مفعول)
أي لفظ اثنين وقوله من
كل زوجين حال منه
مقدم عليه (قوله أي
زوجته) أي التي أسلمت
لأنه كان له زوجتان
إحداهما آمنت فحملها

خافت أم صبي على ولدها من الفرق وكانت تحبه حبا شديدا فخرجت به إلى الجبى حتى بلغت ثلثة لحظها الماء فارتفعت حتى بلغت ثلثيه فلما لحظها الماء ذهبت حتى استوت على الجبل فلما بلغ الماء إلى رقبتهما رفعت الصبي بيديها حتى ذهب بهما الماء فأغرقهما فلورحم الله . منهم أحدا لرحم أم الصبي ، ولا ينافى ما تقدم من أنهم أصابهم العقمر بعين سنة لجواز أن يكون هذا الولد ابن أكثر من لو تبيين (قوله ونادى نوح ابنه) أى قبل سير السفينة (قوله وكان في معزل) الجملة حالية من ضمير ابنه وقوله يا بني الخ هذا هو للنادى به وبنى ثلاث ياء الأولى ياء التصغير والثانية ياء الكامة والثالثة ياء التكلم تحركت ياء التكلم وافتتح ما قبلها (١) قلبت ألفا فالتقى سا كنان حذف لالتقاءهما وأدغمت إحدى الياءين في الأخرى فيقرأ بفتح الياء وكسرهما قراءتان سبعيتان ، وقوله اركب معنا باظهار الباء وإدغامها في الميم سبعيتان (قوله ولا تسكن مع الكافرين) أى في البعد عن الركوب معنا . إن قلت لا تخلو الحال إما أن يكون هذا الولد مسلما أو كافرا فإن كان مسلما فيبعده كونه في معزل وإن كان كافرا فلم عطف عليه وناداه مع علمه بكفره ؟ . أجيب بأنه ذكر العلماء أنه كان منافقا يظهر الاسلام ويخفى الكفر فعند مجيء الطوفان أظهر ما كان يخفيه ولا مانع من كون الله يخرج الكافر من المؤمن وبالعكس ، وهذا الولد قيل كان من صلبه وهو الراجح ، وقيل ابن زوجته من نكاح غيره ، وقيل كان ولد خبث ولدت زوجته على فراشه ولم يعلم به . وهذا القول غير وجيه لقول ابن عباس : ما يفت امرأة نبي قط (قوله سآوى) أى أتبعي (قوله إلا من رحم) عبر المفسر بلكن إشارة إلى أن الاستثناء منقطع لأن ما بعد إلا هو المعصوم وما قبلها هو العاصم ولا (٢٠٢) شك أنه غيره (قوله وحال بينهما) أى بين نوح وابنه (قوله فكان من

للفريقين) أى المالكين الماء . ورد أنه أوى إلى جبل عال فدخل في غار منه وصعد على نفسه من كل جهة ففرق في بوله وغانطه (قوله وقيل يا أرض الخ) أى أمر الله الأرض بذلك ، والمراد تعلقت قدرته بزوال الماء على حد قوله تعالى : إنما

(وَنَادَى نُوحُ ابْنَهُ) كنعان (وَكَانَ فِي مَعَزِلٍ) عن السفينة (يَا بُنَيَّ ارْكَبْ مَعَنَا وَلَا تَكُنْ مَعَ الْكَافِرِينَ . قَالَ سَاوِيَ إِلَى جِبَلٍ يَفْصِمُنِي يَمْنَعُنِي مِنَ الْمَاءِ قَالَ لَا عَاصِمَ الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ) عذابه (إِلَّا) لكن (مَنْ رَحِمَ) الله فهو المعصوم ، قال تعالى (وَحَالٌ بَيْنَهُمَا الْمَوْجُ فَكَانَ مِنَ الْمُفْرَقِينَ . وَقِيلَ يَا أَرْضُ ابْلَعِي مَاءَكِ) الذى نبع منك فشربه دون ما نزل من السماء فصار أنهارا وبحارا (وَيَا سَمَاءُ أَقْلِعِي) أمسكى عن المطر فأمسكت (وَوَيْضَ) نقص (الْمَاءِ وَقَضِيَ الْأَمْرُ) تم أمر هلاك قوم نوح (وَأَسْتَوَتْ) وقفت السفينة (عَلَى الْجُودَى) جبل بالجزيرة قرب الموصل (وَقِيلَ بُدَا) هلاكا (لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ) الكافرين (وَنَادَى نُوحُ رَبَّهُ ،

فقال

أمره إذا أراد شيئا أن يقول له كن فيكون ، وهذا القول وقع يوم عاشوراء

ونزل نوح السفينة لعشر خلون من رجب فكان مكثهم في السفينة ستة أشهر فلما نجوا صاموا جميعا حتى الطيور والوحوش يوم عاشوراء شكرا لله على النجاة وموت السفينة بهم بالبيت الحرام فطافت به سبع مرات وأودع الله الحجر الأسود في جبل أبي قبيس . وورد أن نوحا حمل أباه آدم معه في السفينة (قوله فصار أنهارا وبحارا) أى فماء السماء بقي في أما كن من الأرض أنهارا وبحارا وماء الأرض ابتلعت الأرض فصار في باطنها (قوله نقص) أى ولم يذهب بالسكينة لما علمت من بقاء ماء السماء . (قوله جبل بالجزيرة) هى مدينة بالعراق . روى أن الله أوحى إلى الجبال أن السفينة ترمى على واحد منها فتطاوت وبقى الجودي لم يتناول تواضعا لله فاستوت السفينة عليه وبقيت على أعوادها ، وفي الحديث : لقد بقي منها شيء أدركه أوائل هذه الأمة . ورد أنهم لما خرجوا من السفينة بنوا قرية سموها التمانين لأنهم كانوا ثمانين (قوله وقيل بعدا) منصوب على المصدر بفعل مقدر أى بعدوا بعدا فهو مصدر بمعنى الدعاء عليهم (قوله للقوم الظالمين) أى فهلكوا جميعا حتى البهائم والطيور والأطفال على القول بأنهم لم يعقوا ولا يسلحوا مما يفعل ، وهذا الفرق عقوبة للكافرين لا غيرهم . قال بعضهم : هذه الآية أبلغ آية في القرآن لاحتوائها على أحد وعشرين نوعا من أنواع البديع والحال أن كلماتها تسعة عشر وخطبت الأَرْضُ أولا بالبع لأن الماء نبع منها أولا قبل أن تمطر السماء (قوله ونادى نوح ربه) أى قبل سير السفينة .

(١) قوله وافتتح ما قبلها أى بحسب الآن وقوله فالتقى سا كنان أى بحسب الأصل إذ أصله بنو يسكون الواو لأن الكلمات

قبل دخول العوامل موقوفة ومثل هذا كثير في كلام الصرفيين اه .

(قوله فقل) هذا تفصيل للنداء (قوله وقد وعدني بنجاتهم) أي اللؤلؤ عليها بقوله قلنا حمل فيها من كل زوجين اثنين وأهلك (قوله الناجين أو من أهل دينك) أشار المفسر إلى أن الكلام إما على حذف الصفة أو على حذف المضاف (قوله أي سؤالك) أشار بذلك إلى أن الضمير في إنه عائد على نوح على حذف مضاف والمعنى قال الله له يا نوح إن سؤالك عمل غير صالح أي غير مقبول لأن الله لا يقبل الشفاعة إلا في المسلمين فسؤالك خطأ ، وذلك نظير استغفار إبراهيم لأبيه وهذا غير قادح في منصب النبوة لأن نوحا كان يظن إسلام ولده لأنه كان يظهره ، ومن العلوم أن الرسل يحكمون بالظاهر ، وقيل إن الضمير عائد على الولد ويقال فيه الإخبار عنه بعمل ما قيل في زيد عدل وهو الراجح (قوله وفي قراءة) أي وهي سبعة أيضا (قوله ونصب غير) أي على المفعولية لعمل (قوله بالتخفيف والتشديد) أي فلي التخفيف تسكن اللام وعلى التشديد تفتح اللام ، وفي قراءة التخفيف وجهان حذف الياء وإثباتها وفي قراءة التشديد ثلاث فتح النون مع حذف الياء لا غير وكسر النون مع حذف الياء وإثباتها وكل هذا في حال الوصل ، وأما عند الوقف فلا تثبت أصلا (قوله ما ليس لك به علم) أي ما لا تعلم أنه صواب أم لا (قوله إني أعطيك أن تكون من الجاهلین) هذا العتاب فيه رفق وتلطاف والمعنى كأن الله يقول له إن مقامك عظيم فشأنك أن لاتسأل ولا تشفع إلا فيمن يرجى فيه النجاة وأما فيمن نجاها قبول الشفاعة فيه فلا يليق منك أن تقدم على السؤال فيه (قوله إني أعوذ بك) أي أتحصن بك (قوله أن أسألك) أي بعد (٢٠٣) ذلك (قوله ما فرط مني) أي تقدم

وسلف وهو الاقدام على سؤال ما ليس لي به علم وهذا لا يقتضي صدور ذنب من نوح إذ هو معصوم من الذنوب كبيرها وصغيرها لأن الله رعد نوحا عليه السلام بأن ينجيه وأهله فأخذ نوح بظاهر اللفظ واتبع التأويل حيث ظن أن ولده من جملة أهله الناجين فلما غابته ربه رجع على نفسه بالآلوم والندم مما

قَالَ رَبِّ إِنِّي أَبْنَى كَنْعَانَ (مِنْ أَهْلِي) وَقَدْ وَعَدْتَنِي بِنَجَاتِهِمْ (وَإِنْ وَعَدَكَ الْحَقُّ) الَّذِي لَخَلَفَ فِيهِ (وَأَنْتَ أَخْكُمُ الْخَائِكِينَ) أَعْطَاهُمْ وَأَعَدَّهُمْ (قَالَ) تَعَالَى (يَا نُوحُ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ) النَّاجِينَ ، أَوْ مِنْ أَهْلِ دِينِكَ (إِنَّهُ) أَيْ سؤَالُكَ إِيَّاي بِنَجَاتِهِ (عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ) فَإِنَّهُ كَافِرٌ وَلَا نَجَاةَ لِلْكَافِرِينَ فِي قِرَاءَةِ بَكْسِزِمِيمِ عَمَلِ فُلٍ وَنَصْبِ غَيْرِ فَالضَّمِيرُ لِابْنِهِ (فَلَا تَسْأَلْنِ) بِالتَّخْفِيفِ وَالتَّشْدِيدِ (مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ) مِنْ إِنْجَاكَ (إِنِّي أَعْطِيكَ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ) بِسؤَالِكَ مَا لَمْ تَعْلَمْ (قَالَ رَبِّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ) مِنْ (أَنْ أَسْأَلَكَ مَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ وَإِلَّا تَغْفِرْ لِي) مَا فَرَطَ مِنِّي (وَتَرَحُّمَتِي أَكُنْ مِنَ الْخَاسِرِينَ) قِيلَ يَا نُوحُ اهْبِطْ (انْزِلْ مِنَ السَّفِينَةِ) بِسَلَامٍ أَوْ بِتَحِيَّةٍ (مِنَّا وَبَرَكَاتٍ) وَخَيْرَاتٍ (عَلَيْكَ وَعَلَى أُمَمٍ مِمَّنْ مَعَكَ) فِي السَّفِينَةِ أَيْ مِنْ أَوْلَادِهِمْ وَذُرِّيَّتِهِمْ وَهُمْ الْمُؤْمِنُونَ (وَأُمَمٌ) بِالرَّفْعِ مِمَّنْ مَعَكَ (سَمِعْتَهُمْ) فِي الدُّنْيَا (ثُمَّ يَمَسُّهُمْ مِنْهَا عَذَابٌ أَلِيمٌ) فِي الْآخِرَةِ وَهُمْ الْكَافِرُ ،

وقع منه وسأله المغفرة والرحمة وذلك كما وقع لآدم في الأكل من الشجرة وليست هذه ذنوبا بل هي من باب حسنات الأبرار سيئات القربين (قوله قيل يا نوح اهبط بسلام) أي سلامة وأمن ودخل في هذا السلام كل مؤمن ومؤمنة إلى يوم القيامة وفيما بعده من النجاة والعذاب كل كافر وكافرة إلى يوم القيامة (قوله انزل من السفينة) ورد أنه لما نزل منها أراد أن يبعث من يأتيه بخير الأرض فقال له الدجاج أنا فأخذه وختم على جناحه وقال لها أنت محتومة بخاتمي لا تطيري أبدا فتدفع بك أمي فبعث الغراب فأصاب جيفة فوق عليها فاحتبس فلعنه ودعا عاياه بالخوف فلذلك يقتل في الحل والحرم ولا يألف البيوت وبعث الحمامة فلم تجد قرارا فوقفت على شجرة بأرض سبأ فحلت ورقة زيتون ورجعت إلى نوح فعلم أنها لم تحسكن من الأرض ثم بعثها بعد ذلك فطارت حتى وقفت بوادي الحرم فإذا للماء قد ذهب من موضع الكعبة وكانت طينتها حمراء فاختصبت رجلاها ثم جاءت إلى نوح فقالت بشرأى منك أن تهبط إلى الطوق في عنقي والحضاب في رجلي وأن أسكن الحرم فمسح يده على عنقها وطوقها وروى لها الحجر في رجليها ودعا لها ولدتها بالبركة (قوله أي من أولادهم الخ) أشار بذلك إلى أن من تبعه في الكلام على حذف مضاف والمعنى وعلى أم من ذرية من معك (قوله وأنهم ستمتعهم) يقال فيه ما قيل فيما قبله أي وأنهم من ذرية من معك ستمتعهم الخ ، والمعنى أن ذرية الأمم الذين معه بعضها مؤمن فعليه السلام وبعضها كافر فيمتنع في الدنيا ثم يمسسه العذاب الأليم في الآخرة ، والذرية المذكورة لم تسكن إلا من أولاد الثلاثة كاتقدم فهو الأب الثاني للخلق بعد آدم .

(قوله لك) مبتدأ أخبر عنه بثلاثة أخبار (قوله ما كنت نطقها) أى تفصيلا (قوله فاصبر) هذا هو المقصود من ذكر تلك القصة أى فقل ولا تحزن على عدم إيمان المشركين ولا تنزعج من أذامهم (قوله وإلى عاد) الجملة معطوفة على جملة ولقد أرسلنا نوحا إلى قومه عطفاً على قصة وأخر هودا لأنه متأخر عن نوح فى الزمن إذ هو من أولاد سام بن نوح وبين هود ونوح ثمانمائة سنة وعاد اسم قبيلة تنسب إلى أبيها عاد من ذرية سام بن نوح وهود ينسب له لأنه من تلك القبيلة لأن عاد ابن عوص بن إرم بن سام بن نوح وهود بن عبد الله بن رباح بن الحارث بن عاد وعاش هود أربعمائة سنة وأربع مائة وستين سنة (قوله وحدوه) أى وصى التوحيد عبادة لأنه أساسها ورأسها (قوله مالكم من إله غيره) ما نافية ولكم خبر مقسم وإله مبتدأ مؤخر وغيره صفته ومن زائدة كما قال المفسر (قوله كاذبون على الله) أى حيث ادعيتم أن الله شركاء وعبدتموه (قوله لا أسألكم عليه أجرا) أى ليس مقصدى من تبليغ التوحيد والأحكام لكم أنكم تعطوني أجرا على ذلك من مال أو غيره وللمقصود من ذلك الخطاب إراحة (٣٠٤) قلوبهم واللفظ بهم عسى أن يقبلوا ما جاء به بقاب سليم وعبرنا بأجرا

(تِلْكَ) أى هذه الآيات التضمنة قصة نوح (مِنْ أَنْبَاءِ النَّبِيِّ) أخبار ما غاب عنك (تَوْحِيهَا إِلَيْكَ) يا محمد (مَا كُنْتَ تَعْلَمُهَا أَنْتَ وَلَا قَوْمُكَ مِنْ قَبْلِ هَذَا) القرآن (فَاصْبِرْ) على التبليغ وأذى قومك كما صبر نوح (إِنَّ الْعَاقِبَةَ) المحمودة (لِلْمُتَّقِينَ . وَ) أرسلنا (إِلَى عَادٍ أَخَاهُمْ) من القبيلة (هُودًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ) وحدوه (مَا لَكُمْ مِنْ) زائدة (إِلَهٍ غَيْرُهُ إِنْ) ما (أَنْتُمْ) فى عبادتكم الأوثان (إِلَّا مُفْتَرُونَ) كاذبون على الله (يَا قَوْمِ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ) على التوحيد (أَجْرًا إِنْ) ما (أَجْرِي إِلَّا عَلَى الَّذِي فَطَرَنِي) خلقنى (أَفَلَا تَهْتَفِلُونَ . وَيَا قَوْمِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ) من الشرك (ثُمَّ تَوْبُوا) ارجعوا (إِلَيْهِ) بالطاعة (يُرْسِلِ السَّمَاءَ) المطر وكانوا قد منعه (عَلَيْكُمْ مِذْرَارًا) كثير الدرور (وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَى) مع (قُوَّتِكُمْ) بالمال والولد (وَلَا تَتَوَلَّوْا مُجْرِمِينَ) مشركين (قَالُوا يَا هُودُ مَا جِئْتَنَا بِبَيِّنَةٍ) برهان على قولك (وَمَا نَحْنُ بِتَارِكِي آلِهَتِنَا عَنْ قَوْلِكَ) أى لقولك (وَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ . إِنْ) ما (نَقُولُ) فى شأنك (إِلَّا عِتْرَاكَ) أصابك (بَعْضُ آلِهَتِنَا بِسُوهِ) خبلك لسبك إياها فانت تهذى (قَالَ إِنِّي أَشْهَدُ اللَّهَ) على (وَأَشْهَدُوا أَنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ) به (مِنْ دُونِهِ فَكِيدُونِي) احتالوا فى هلاكى (جَمِيعًا) أتم وأوثانكم (ثُمَّ لَا تَنْظُرُونِ) تملون (إِنِّي تَوَكَّلْتُ عَلَى اللَّهِ

وفي قصة نوح بمالاتقنا
(قوله إن أجرى إلا على
الذى فطرني) أى لأنه
هو العطي المانع الضار
النافع المقدم المؤخر فلا
أطلب من غيره (قوله
أفلا تعقلون) الهمزة داخله
على محذوف والفاء عاطفة
على ذلك المحذوف والتقدير
أجهلتم وعيتم فلا تعقلون
(قوله استغفروا ربكم)
أى من كل ذنب مضى
وقوله : وتوبوا إليه أى
أقاموا واعزموا على
عدم الرجوع فى المستقبل
(قوله وكانوا قد منهوه)
أى ثلاث سنين (قوله
مداراً) حال من السماء

أى كثيرة النزول والمتابع

أى كثيرة النزول والتتابع
(قوله كثير الدور) أى فىل دور در ا ودرورا فهو مدرار (قوله بالمال والولد) أى وكانت قد عقت نسأؤم ثلاثين سنة لم تله
(قوله فالوا يهود) أى استهزاء وعنادا (قوله بينة) أى معجزة وكانت معجزته التى قامت بها الحجة عليهم ماياتى فى قوله فكيدونى
جميعا ثم لانتظرون فعصمته منهم هى معجزته وكذا معجزة نوح التى قامت بها الحجة عليهم هى قوله: فاجمعوا أمركم وشركاءكم ثم
لا يكن أمركم عليكم غممة الآية، وأما الرجح والطوفان وإن كان كل معجزة فيها هلاكم لإقامة الحجة عليهم (قوله برهان) أى
دليل واضح على صحته (قوله أى لقولك) أشار بذلك إلى أن عن بمعنى لام التعليل (قوله إن تقول) أى فى شأنك (قوله غلبك)
أى أفسد عقلك (قوله اسبك) علة لقوله غلبك (قوله فأت تهذى) أى تسكاهم بالهذيان وهو الكلام الساقط الذى لا معنى له (قوله
أتى برى مما تشركون) أى الله، ومتبرئ من جميع ما تشركونه مع الله (قوله فكيدونى) باثبات الباء وصلا ووقفها على جميع القراء
والتي فى المرسلات بحذفها لجميعهم، وأما التى فى الأعراف فمن يأت الزوائد فتحذف وقفوا يجوز حذفها وإثباتها فى الوصل (قوله ثم لانتظرون)
أى لا تترخون حتى آتى بشئ يحفظنى من قراءة أو سلاح أو خبر ذلك وهذا من شدة وثوقه بربه واعتماده عليه (قوله انى توكلت)

أى فوزت بمورى إليه واعتمدت عليه (قوله ربى ربكم) هذا نبيك عليهم (قوله فلا تقع ولا ضرر إلا بذنبة) أى وأتم من جملة الدواب ليس لكم تأثير فى شئ أصلا (قوله فإن تولوا) شرط حذف جوابه لدلالة قوله فقد أبلغتكم الخ عليه والتقدير فلا عزلكم ولا مواخذة على فقد أبلغتكم الخ (قوله ويستخلف الخ) هذا وعيد شديد مترتب على إعراضهم ، والمعنى فإن تعرضوا عن الإيمان فلا مواخذة على بل يقبلنى ربى ويهلككم ويستخلف غيركم ولا تضرونا شيئا بإعراضكم بل باصر إل أنفسكم (قوله إن ربى على كل شئ حفيظ) أى فلا تخفى عليه أحوالكم بل يحازى كل أحد بعمله (قوله عذابنا) أى وهو الريح الصرصر المذكور فى قوله تعالى : سخرها عليهم سبع ليال آلاية فأصابهم صبيحة الأربعاء ثمان بقين من شوال وكان يدخل فى أنف الواحد ويخرج من دبره فيرفعه فى الجو فيسقط على الأرض فتقطع أعضاؤه وقد تقدم بسطها فى الأعراف (قوله والذين آمنوا معه) أى وكانوا أربعة آلاف (قوله وتلك عاد) مبتدأ وخبر على حذف مضاف (٢٠٥) كما أشار به المفسر أى آثار عاد

رقوله فى الأرض) أى أرضهم (قوله وانظروا إليها) أى لتعجبوا وهو خطاب للنبي صلى الله عليه وسلم وأمنته ولكن للرد الأمة (قوله لأن من عصى رسولا الخ) جواب عما يقال لم جمع الرسل مع أنهم عصوا رسولا واحدا وهو هود (قوله عنيد) أى معاند متجاوز فى الظلم (قوله لعنة) أى طردا وبعدا (قوله ويوم القيامة لعنة) أى طردا عن رحمة الله وهى الجنة وما فيها لانصافهم بالشقاوة لدائمة الموجبة للخلود فى النار (قوله ألا إن عادا كفروا ربهم) هذا بيان سبب استحقاقهم للعنتين

رَبِّ وَرَبِّكُمْ مَا مِنْ) زائدة (دَابَّةٍ) نعمة تدب على الأرض (إِلَّا هُوَ آخِذٌ بِقَاصِهَا) أى مالِكها وقاهرها فلا تقع ولا ضرر إلا بإذنه وخص الناصية بالذكر لأن من أخذ بناصيته يكون فى غاية الذل (إِنَّ رَبِّي عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ) أى طريق الحق والعدل (فَإِنْ تَوَلَّوْا) فيه حذف إحدى التائين ، أى تعرضوا (فَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ مَا أُرْسِلْتُ بِهِ إِلَيْكُمْ وَيَسْتَخْلِفُ رَبِّي قَوْمًا غَيْرَكُمْ وَلَا تَضُرُّوهُ شَيْئًا) بإشراككم (إِنَّ رَبِّي عَلَى كُلِّ شَيْءٍ حَفِيزٌ) رقيب (وَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا) عذابنا (نَجَّيْنَا هُودًا وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِنَّا وَنَجَّيْنَاهُمْ مِنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ) شديد (وَتِلْكَ عَادٌ) إشارة إلى آثارهم أى فسيحوا فى الأرض وانظروا إليها ثم وصف أحوالهم فقال (جَحَدُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَعَصَوْا رُسُلَهُ) جمع لأن من عصى رسولا عصى جميع الرسل لا شترأكم فى أصل ماجاءوا به وهو التوحيد (وَاتَّبَعُوا) أى السفلة (أَمَرَ كُلَّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ) معاند للحق من رؤسائهم (وَاتَّبَعُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا لَعْنَةً) من الناس (وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ) لعنة على رؤوس الخلائق (أَلَا إِنَّ عَادًا كَفَرُوا) جحدوا (رَبَّهُمْ أَلَا بُعْدًا) من رحمة الله (لَمَّا قَوْمَ هُودٍ) أرسلنا (إِلَى تَمُودَ أَخَاهُمْ) من القبيلة (صَالِحًا قَالَ يَاقَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ) وحدوه (مَالَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ هُوَ أَنْشَأَكُمْ) ابتداء خلقكم (مِنْ الْأَرْضِ) بخلق أبيكم آدم منها (وَأَسْتَمَرَّتْكُمْ فِيهَا) جعلكم عمارا تسكنون بها (فَاسْتَغْفِرُوا) من الشرك (مُمْ تَوَلَّوْا) ارجعوا (إِلَيْهِ) بالطاعة (إِنَّ رَبِّي قَرِيبٌ) من خلقه ،

(قوله ألا بعدا عاد) هذا هو معنى قوله : واتبعوا فى هذه الدنيا لعنة ويوم القيامة وذ كرنا كيدا وإشارة إلى أنهم مستحقون لذلك (قوله قوم هود) بدل من عاد واحترز به عن عاد الثانية للسماة بنمود وهى قوم صالح لآتية قصتهم بعد (قوله وإلى عاد) عطف على قوله ولقد أرسلنا نوحا عطف قصة على قصة وقدر المفسر أرسلنا إشارة إلى أن قوله أرسلنا الأول مسلط عليه فهو من عطفه الجمل وتمود هنا بمنع الصرف باتفاق القراء العشرة وقرى شاذا بالصرف بخلاف ما يأتى فى قوله ألا إن تمودا كفروا ربهم ألا بعدا لتمود فبالصرف وعدمه قراءتان سبعيتان وتمود اسم لآل القبيلة سميت باسمه لشهرته وبين صالح وبينه خمسة أجداد وبين صالح وهود مائة سنة وعاش صالح مائة سنة وثمانين سنة (قوله هو أنشأكم) هذا دليل على كونه هو المستحق للعبادة دون غيره (قوله من الأرض) أى مشردة أو بواسطة فالأول تخلق أينما آدم منها والثانى تخلق مواد النطف التى منها النوع لانساني (قوله جعلكم عمارا تسكنون) أى خلفاء فى الأرض ويصح أن يكون المعنى جعلكم معمرا لها بعد أن خربت (قوله فاستغفروا) أى من الذنوب التى مضت (قوله ثم توبوا إليه) أى أقبلوا عن الذنوب فى المستقبل

(قوله بعلمه) أى قائماد قرب مكانة ورفعة واللعنى أن الله قريب من خلقه قربا معنويا منزها عن الاخلطة والجهة فهو أقرب من نور العين لها ومن سمع الأذن لها ومن لمس الجسم له ومن شم الأنف له سبحانه وتعالى (قوله محجب) أى فلا يخيب سائلا (قوله نرجو أن تكون سيدا) أى لأنه كان يعين ضعيفهم ويعطى فقيرهم وكانوا يرجعون إليه في الأمور قبل تلك المقالة فلما حصلت قالوا قد اطلع رجاؤنا فيك (قوله الذى صدر منك) أى وهو نهيهم عن عبادة الأوثان (قوله أتنهانا أن نعبد) أى أتنهانا عن عبادة الذى كان يعبد آباؤنا وقوله من الأوثان بيان لما (قوله وإنا) هذا هو الأصل ويصح وإنا بنون واحدة مشددة ولذا قرئ به في سورة إبراهيم (قوله مريب) وصف لشك والاسناد مجازى وحق الاسناد لصاحبه (قوله موقع في الريب) أى الهائم (قوله أرايتم) أى أخبروني (قوله إن كنت على بينة) أى بأن مشاكلة لا اعتقاد فيه ومسايرة لخطابهم (قوله بيان) أى برهان وحجة واضحة (قوله أى عذابه) أشار بذلك إلى أن الكلام على حذف مضاف (قوله إن عصيته) أى على فرض وقوع العصية منى وإلا فهي مستحيلة عليه كبرها وصغيرها (٢٠٦) قبل النبوة وبعدها (قوله بأمركم لى بذلك) أى بصيائمه وموافقتكم (قوله

بعلمه) (محجب) لمن سأله (قَالُوا يَا صَالِحُ قَدْ كُنْتَ فِينَا مَرْجُوًّا) نرجو أن تكون سيدا (قَبْلَ هَذَا) الذى صدر منك (أَتُنْهَانَا أَنْ نَعْبُدَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا) من الأوثان (وَلَمَّا كُنَّا لِنَفِي شَكْرَ مَا تَدْعُونَا إِلَيْهِ) من التوحيد (مُرِيبٍ) موقع في الريب (قَالَ يَا قَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كُنْتُ عَلَى بَيِّنَةٍ) بيان (مِنْ رَبِّي وَأَتَانِي مِنْهُ رَحْمَةٌ) نبوة (فَمَنْ يَنْصُرُنِي) بمعنى (مِنْ اللَّهِ) أى عذابه (إِنْ عَصَيْتُهُ فَمَا تَزِيدُونَنِي) بأمركم لى بذلك (غَيْرَ تَحْسِيرٍ) تضليل (وَيَا قَوْمِ هَذِهِ نَاقَةُ اللَّهِ لَكُمْ آيَةٌ) حال عامله الإشارة (فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِي أََرْضِ اللَّهِ وَلَا تَمْسُوهَا بِسُوءٍ) عقر (فَيَأْخُذْكُمْ عَذَابٌ قَرِيبٌ) إن عقرتموها (فَعَقَرُوهَا) عقرها قدار بأمرهم (فَقَالَ) صالح (تَمَتَّعُوا) عيشوا (فِي دَارِكُمْ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ) ثم تهلكون (ذَلِكَ وَعَدٌ غَيْرُ مَكْذُوبٍ) فيه (فَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا) باهلاكم (نَجَّيْنَا صَالِحًا وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ) وهم أربعة آلاف (بِرَحْمَةٍ مِنَّا) ونجيناهم (مِنْ خِزْيٍ يَوْمَئِذٍ) بكسر الهم إعرابا وفتحها بناء لإضافته إلى مبنى وهو الأكثر (إِنَّ رَبَّكَ هُوَ الْقَوِيُّ الْعَزِيزُ) الغالب (وَأَخَذَ الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْحَةَ فَأَصْبَحُوا فِي دِيَارِهِمْ جَاثِمِينَ) باركين على الركب ميتين (كَأَنَّ) مخففة واسمها محذوف أى كأنهم (لَمْ يَفْقَهُوا) فهموا (فِيهَا) في دارهم (أَلَا إِنَّ تُمُودًا كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ ،

تضليل) أى لى إن اتبعتمكم والمعنى أخبروني إن كنت على بينة ونبوة من ربى فلا أحد يمنعني من عذاب الله إن اتبعتمكم وعصيته وحيفتكم أكون خاسرا مضيعا لما أعطاني الله من الحق وهل رأيتم نبيا صار كافرا وكل هذا تنزل منه لهم (قوله هذه ناقة الله) أى وقد طلبو منه أن يخرج لهم ناقة من صخرة عينوها حيث قالوا أخرج لنا من هذه الصخرة ناقة وبراء عشراء فدعا الله فتمخضت الصخرة كما تمخص النساء عند الولادة فخرجت منها

ناقة كما وصفوا فولدت الناقة في الحال فصيلا قدرها في الجنة يشبهها وأضيفت الناقة لله تشريفا أى لاختصاص

لأحد بها (قوله تأكل في أرض الله) أى من العشب والنبات وفي الكلام اكتفاء أى وتشرب من ماء الله على حد سرايل تقيم الحر أى البرد (قوله قريب) أى عاجل لا يتأخر عنهم إلا ثلاثة أيام (قوله عقرها قدار) أى ابن سالف حيث ضربها في رجلها فذببحوها واقتسموا لحمها ، وقدار هذا من أشق الأشقياء (قوله في داركم) أى أرضكم (قوله ثلاثة أيام) والحكمة في ذلك بقاء التفصيل ينوح على أمه ثلاثة أيام ثم فتحت له الصخرة ودخل فيها قالوا وما العلامة قال تصبحون في اليوم الأول وجوهكم مصفرة وفي اليوم الثاني وجوهكم محمرة وفي اليوم الثالث وجوهكم مسودة (قوله غير مكذوب فيه) أشار المفسر بتقدير فيه إلى أنه من باب الحذف والايصال (قوله برحمة منا) أى وهي الإيعان (قوله ومن خزي يومئذ) أى يوم إهلاكهم بالصيحة (قوله لاضافته إلى مبنى) أى فهى من أسباب البناء (قوله وهو الأكثر) أى عربية وأما في القراءة فستويان (قوله وأخذ الذين ظلموا) حذف تاء التانيث من الفعل إما لكون المؤنث مجازيا كما يقال طلع الشمس أول الفصل بالمفعول كأتى القاضي بقت الواقف (قوله الصيحة) أى مع الزلزلة فتقطعت قلوبهم وللرد صيحة جعيل عليهم من السماء فسمعوا فيها صوت كل شئ فأتوا جميعا .

(قوله ألا بعدا) أى طردا دائما عن رحمة الله فقد نزعوا من دائرة الحلم والرحمة (قوله بالصرف وتركه) أى فهماء قراءتان سبعيتان (قوله على معنى الحى) راجع للصرف وقوله والقبيلة راجع لتركة فهو لقب ونشر مرتب وقد تقدم بسط تلك التنصتة فى الأعراف (قوله ولقد جاءت رسلنا) أتى هنا بقصة إبراهيم توطئة لقصة لوط لاستقلال لأن الهلاك هنا لم يكن يقوم إبراهيم ولذا غاير الأسلوب فلم يقل وأرسلنا إبراهيم إلى قومه مثلا وأرسلنا بضم السين واسكانها قراءتان سبعيتان فى جميع القرآن متى أضيفت رسل للضمير فإن أضيفت للظاهر قرئ بضم السين لا غير . واختلف فى عدة الرسل الذين جاءوه فمن ابن عباس ثلاثة جبريل وميكائيل وإسرافيل وقيل تسعة وقيل اثنا عشر وقيل غير ذلك وعاش إبراهيم من العمر مائة وخمسا وسبعين سنة وبينه وبين نوح ألفا سنة وستائة وأربعون سنة وابنه إسحق عاش مائة وعشرين سنة ويعقوب بن إسحق عاش مائة وسبعا وأربعين سنة (قوله بالبشرى) هى الخبر السار سميت بذلك لانبساط البشرة عند حصولها (قوله بإسحاق ويعقوب بعده) أفاد المفسر أن المراد بالبشرى هنا هى ما أتت فى قوله فبشرناها بإسحاق الخ ويحتمل أن المراد بقوله هنا بالبشرى ما هو أعم من ذلك فيشمل بشره بنبذة لوط وهلاك الكافرين وغير ذلك (قوله قالوا سلاما) هذه تحيتهم الواقعة منهم وهو منصوب بفعله المحذوف والتقدير سلمنا عليكم سلاما (قوله مصدر) أى نائب عن لفظ الفعل (قوله قال سلام) إنما أتى إبراهيم بالجملة الاسمية فى الرد لتفيد الدوام والثبوت فيكون الرد أحسن من الابتداء لأن الجملة الاسمية أشرف من الفعلية وقوله عليكم قدره المفسر إشارة إلى أن سلام مبتدأ والخبر محذوف والسوغ للابتداء بالنكرة التعظيم على حد شرأ هذا تاب أول الدعاء (قوله فما لبث أن جاء بعجل) مانافية وليث فعل ماض وأن جاء فى تأويل مصدر فاعل والمعنى لم يتأخر مجيئه (٢٠٧) بعجل حنيذ (قوله مشرى)

أى على الحجارة المحمأة فى حفرة فى الأرض وهو من فعل أهل البادية وكان سمينا يسيل منه الودك كما فى آية الداريات وكان عامة مال إبراهيم البقر (قوله فلما رأى آية) هذا مرتب على محذوف كما فى الآية لأخرى : فقربه

أَلَا بُعْدًا لِمُؤَدٍّ) بالصرف وتركه على معنى الحى والقبيلة (وَلَقَدْ جَاءَتْ رُسُلُنَا إِبْرَاهِيمَ بِالْبُشْرَى) بإسحاق ويعقوب بعده (قَالُوا سَلَامًا) مصدر (قَالَ سَلَامٌ) عليكم (فَمَا لَبِثَ أَنْ جَاءَ بِعِجْلٍ حَنِيذٍ) مشوى (فَلَمَّا رَأَى أَن يُذَيَّبَهُمْ لَا تَصِلُ إِلَيْهِ نَكِرَهُمْ) بمعنى أنكروهم (وَأَوْجَسَ) أضر فى نفسه (مِنْهُمْ خِيفَةً) خوفاً (قَالُوا لَا تَخَفْ إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَى قَوْمٍ لُوطٍ) لهلكهم (وَأَمْرًا) أى امرأة إبراهيم سارة (قَائِمَةً) تخدمهم (فَضَحِكْتَ) استبشارا بهلاكهم (فَبَشَّرْنَاهَا بِإِسْحَاقَ وَمِنْ وَرَاءِ) بعد (إِسْحَاقَ يَعْقُوبَ) ولده تعيش إلى أن تراه (قَالَتْ يَا وَيْلَتَى) كلمة تقال

إلهم فقال أنا أنا كل طعاما إلا نحن قال فإن له ثمننا قالوا وما ثمنه قال تذكروا اسم الله على أوله وتحمدونه على آخره فنظر جبريل إلى ميكائيل قال وحق لهذا أن يتخذ به خليلا (قوله خوفاً) أى من أجل امتناعهم من طعامه يخاف منهم الخيانة على عادة الخائن أنه لا يأكل كل طعام من أراد خيائته إن قات كيف يخاف إبراهيم منهم مع كونه خليل الرحى وهم محصورون فى بيته . أوجب بأن خوفه لما رأى فيهم من جلال الله وهيبته غوفه من ربه لأمن ذواتهم (قوله قالوا لا تخف) أى جوابا لقوله لهم كما فى سورة الحجر : أنا منكم وجلون (قوله إلى قوم لوط) أى وهو ابن أخته إبراهيم الخليل وهو أول من آمن به وأبوه هاران أخو إبراهيم (وقوله لهلكهم) أخذ هذا المقدر من قوله فى سورة الداريات لترسل عليهم حجارة من طين مسومة الخ (قوله سارة) بالتخفيف والتشديد وهى بنت عمه (قوله تخدمهم) أى على عادة نساء العرب لا يتعاشون خدمة الضيوف (قوله فضحكى) فى سبب ذلك الضحك أقوال : قيل للبشرى بهلاك قوم لوط كما قال المفسر . وقيل من خوف إبراهيم وهو فى خدمة وحشمه ، وقيل سرورا بالولد ، وقيل تعجبا من إتيان الولد على كبر ، وقيل لموافقة مجيء الملائكة بهلاك قوم لوط لما قالت لآبراهيم فاتها قالت له قبل مجيء الملائكة انضم إليك ابن أخيك لوطا فإن العذاب نازل بقومه وقيل غير ذلك (قوله فبشرناها) إنما نسبت البشارة لها دونها لأنها كانت أشوق منه إلى الولد لأنه لم يأتها ولد قط بخلافه هو فقد أتاه إسماعيل قبل إسحاق بثلاث عشرة سنة (قوله بإسحاق) ولد بعد البشارة بسنة فإسماعيل أسن منه بأربع عشرة سنة (قوله يعقوب) بالرفع والنصب قراءتان سبعيتان (قوله كلمة تقال) أى على سبيل التعجب من مخالفة العادة لأن قدرة الله فإن ذلك كفر حاشا منه .

(قوله عند أمر عظيم) أى خبرا كان أو شرا ولكن الراد هنا الخبر (قوله والألف مبدلة من ياء الاضافة) أى فيقال فى إعرابها وبقى منادى منصوب بفتحة مقدرة على ما قبل ياء التكلم النقلية ألفا منع من ظهورها اشتغال المحل بالفتحة النائية عن الكسرة لمناسبة الألف وويلقى مضاف والألف مضاف إليه مبنى على السكون فى محل جر وترسم بالياء وتقرأ بالألف والامالة (قوله وهذا جلى) سعى الزوج بذلك لأن البعل هو المستعلى على غيره ولاشك أن الزوج مستعمل على المرأة قائم بأمورها (قوله رحمت الله وبركاته) هذا دعاء من الملائكة لهم (قوله أهل البيت) أشار المفسر بتقدير يا إلى أن أهل البيت منصوب على النداء ويصح أن يكون منصوبا على الاختصاص (قوله حميد) أى كثير الحمد (قوله مجيد) أى عظيم شريف (قوله فلما ذهب) جوابها محذوف قدره المفسر بقوله أخذ (قوله وجاءته البشرى) أى بعد الروح (قوله يجادل رسلنا) أشار بذلك إلى أن الكلام على حذف مضاف (قوله إن إبراهيم لحليم) أى فالحامل له على المجادلة حلمه ورقة قلبه ففرضه تأخير العذاب عنهم لعلهم يؤمنون ويرجعون عمام (٢٠٨) عليه من القبايح (قوله كثير الأمانة) أى التأتى فى الأمور وعدم العجلة

(قوله أوآه) فى تفسيره أقوال كثيرة تقدم بعضها فى سورة براءة (قوله فقال لهم) هذه صورة المجادلة والحاصل أنه سألهم خمسة أسئلة وأجابوه عنها (قوله إلى آخره) أى إلى آخر ما فى سورة العنكبوت (قوله أمر ربك) أى قضاء وحكمه (قوله غير مرود) أى غير مصروف عنهم فانه قضاء مبرم لا يحصى عنده (قوله ولما جاءت رسلنا) أى الملائكة الذين كانوا عند إبراهيم ، والمعنى أنهم ارتحلوا من عند إبراهيم حتى أتوا قرية لوط ونسوا

عند أمر عظيم والألف مبدلة من ياء الاضافة (أألد وأنا عجوز) لى تسع وتسعون سنة (وهذا بقلى شيخنا) له مائة أو عشرون سنة ونصبه على الحال والعامل فيه مافى ذا من الإشارة (إن هذا لشيء عجيب) أن يولد ولد لهرمين (قالوا أتعجبين من أمر الله) قدرته (رحمت الله وبركاته عليكم) يا (أهل البيت) بيت إبراهيم (إنه حميد) محمود (مجيد) كريم (فلما ذهب عن إبراهيم الروح) الخوف (وجاءته البشرى) بالولد أخذ (يجادلنا) يجادل رسلنا (فى) شأن (قوم لوط إن إبراهيم لحليم) كثير الأمانة (أوآه منيب) رجاء فقال لهم أتهلكون قرية فيها ثلثمائة مؤمن قالوا لا ، قال أتهلكون قرية فيها مائتا مؤمن قالوا لا ، قال أتهلكون قرية فيها أربعين مؤمنا قالوا لا ، قال : أفأنتم إن كان فيها مؤمن واحد ؟ قالوا : لا . قال : إن فيها لوطا قالوا نحن أعلم بمن فيها الخ ، فلما أطال مجادلتهم قالوا (يا إبراهيم أعرض عن هذا) الجدال (إنه قد جاء أمر ربك) بهلاكهم (وإنهم آتيهم عذاب غير مردود) . وكما جاءت رسلنا لوطا منى بهم (حزن بسببهم) وضاق بهم ذرعا (صدرا لأنهم حسبن الوجوه فى صورة أضياف خاف عليهم قومه) (وقال هذا يوم عصيب) شديد (وجاءه قومه)

سدم لم يحمص وبينها وبين الخليل أربعة فراسخ نصف النهار فوجدوا لوطا يعمل فى أرض له ، وقيل كان لما يحتطب وقد قال الله للملائكة لا تهلکوکم حتى يشهد عليهم لوط أربع شهادات فاستضافوه فانطلق بهم فلما مشى بهم ساعة قال لهم أما بلنكم أمر هذه القرية قالوا وما أمرها قال أشهد بالله إنها لشر قرية فى الأرض حملا قال ذلك أربع مرات فضاومعه حتى دخلوا منزله ، وقيل إنه صر مع الملائكة على جماعة من قومه فتغامزوا فيما بينهم فقال لوط إن قوهى شر خاق الله فقال جبريل هذه واحدة فمر على جماعة أخرى فتغامزوا فقال مثله ثم مر على جماعة أخرى فانطلقوا ذلك فقال لوط مثل ما قال أولا حتى قال ذلك أربع مرات وكلما قال لوط هذا القول قال جبريل للملائكة اشهدوا ، وقيل إن الملائكة جاءوا إلى بيت لوط فوجدوه فى داره فدخلوا عليه ولم يعلم أحد بمجيئهم إلا أهل بيت لوط فخرجت امرأته الخبيثة فأخبرت قومها وقالت إن فى بيت لوط رجالا مارأيت مثل وجوههم قط ولا أحسن منهم (قوله وضاق بهم ذرعا) الأصل فيه أن البعير يفرع بيديه فى سببه ذرعا على قدر سعة خطوته فإذا حمل عليه ضف ومد عنقه وضاق ذرعه فأطلق الذرع وأريد منه الصدر فالمراد ضاق صدره لعدم الخلاص من ذلك المكروه (قوله غاف عليهم قومه) منصوب بفزع الخافض أى من قومه (قوله عصب) مأخوذ من العصب وهو الشدة ومنه العصابة التى يشد بها الرأس

(قوله علموا بهم) أى إما لأنهم رأوهم مع لوط فى الطريق أو أعلمتهم زوجته (قوله يهرغون) أى يسوق بعضهم بعضاً (قوله كانوا يعملون السيئات) أى فلا حياة عندهم منها لاعتيادهم لها (قوله قال ياقوم) هذا الخطاب وقع من لوط وهم خارج الباب (قوله هؤلاء بناتى فتزوجوهن) أى وكان فى شرعه يجوز تزوج الكافر بالمسلمة . وقيل عرض بناته عليهم بشرط الاسلام . وقيل قال ذلك لتخايص أضيافه لإباحة لزويهم بهم لعلهم إذا رأوه قد فدى أضيافه بيناته ينزجروا ويرتدعوا ويتركوا هذا الأمر . وقيل للواد بيناته نساء قومه وأضلافهن إليه لأن كل نبى لقومه كالأب لأولاده فى الشفقة والطف بهم (قوله هن أطهر لكم) إن قالت إن تلك الفعلة لأطهارة فيها . أوجب بأن أفعال التفضيل ليس على بابة نظير قوله تعالى - أذلك خير زلأ أم شجرة الزقوم - (قوله تفضحون) أى تعيبون (قوله فى ضيق) أى فى شأنه (قوله أليس منكم) استفهام توبيخ (قوله قال لو أن لى بكم قوة) أى لو ثبت أن لى بكم قوة أو آتى آوى وجواب لو محذوف قدره المفسر بقوله لبطشت بكم وإنما قال ذلك لأنه لم يكن من قومه نسباً بل كلن غريباً فيهم لأنه كان أولاً بالعراق مع إبراهيم بابل (٢٠٩) فهاجر إلى الشام بأمر من

الله فنزل إبراهيم بأرض فلسطين ونزل لوط بالأردن فأرسله إلى أهل سدوم فمن ذلك الوقت لم يرسل الله رسولا إلا من قومه (قوله قالوا يالوط إنا نرسل ربك) أى فاقح الباب ودعنا وإياهم ففتح الباب ودخلوا فاستأذن جبريل ربه فى عقوبتهم فأذن له فتحوّل إلى صورته التى يكون فيها ونشر جناحيه فضرب بهما وجوههم فأعماهم وطمس أعينهم حتى ساءت وجوههم فصاروا لا يعرفون الطريق فانسرفوا وهم يقولون النجاة النجاة فى بيت لوط سحرة قد سحرونا

لما علموا بهم (يَهْرَعُونَ) يسرعون (إِلَيْهِ وَمِنْ قَبْلُ) قبل مجيئهم (كَانُوا يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ) وهى إتيان الرجال فى الأدبار (قَالَ) لوط (يَا قَوْمِ هَؤُلَاءِ بَنَاتِي) فتزوجوهن (هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَلَا تُخْزَوْنَ) تفضحون (فى ضَيْقِي) أضيافى (أَلَيْسَ مِنْكُمْ رَجُلٌ رَشِيدٌ) بأمر بالمعروف وينهى عن المنكر (قَالُوا لَقَدْ عَلِمْتَ مَا لَنَا فِي بَنَاتِكَ مِنْ حَقٍّ) حاجة - (وَإِنَّكَ لَتَعْلَمُ مَا تُرِيدُ) من إتيان الرجال (قَالَ لَوْ أَنَّ لِي بِكُمْ قُوَّةٌ) طاقة (أَوْ آوَى إِلَى رُكْنٍ شَدِيدٍ) عشيرة تنصرف لبطشت بكم ، فلما رأت الملائكة ذلك (قَالُوا يَا لُوطُ إِنَّا رُسُلُ رَبِّكَ لَنْ يَصْلُوا إِلَيْكَ) بسوء (فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِنَ اللَّيْلِ وَلَا يَلْتَمِعْ مِنْكُمْ أَحَدٌ) لئلا يرى عظيم ما ينزل بهم (إِلَّا أَمْرَأَتَكَ) بالرفع بدل من أحد ، وفى قراءة بالنصب استثناء من أهل أى فلا تسربها (إِنَّهُ مُصِيبُهَا مَا أَصَابَهُمْ) فقيل لم يخرج بها وقيل خرجت والتفتت فقالت واقوما فجاءها حجر فقتلها ، وسألهم عن وقت هلاكهم فقالوا (إِنَّ مَوْعِدَهُمُ الصُّبْحُ) فقال أريد أعجل من ذلك ، قالوا (أَلَيْسَ الصُّبْحُ بِقَرِيبٍ) فلما جاء أمرنا) بإهلاكم (جَعَلْنَا عَالِيَهَا) أى قراهم (سَاقِلَهَا) أى بأن رفعها جبريل إلى السماء وأسقطها مغلوبة إلى الأرض (وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا حِجَارَةً مِنْ سِجِّيلٍ) طين طين بالنار (مَمْضُودٍ) متتابع (مُسَوِّمَةً) معمة ،

يالوط سترى منا غدا ما ترى (قوله فأسر) بقطع الهمزة وصلها وفعله أسرى وسرى ، وهما قراءتان سبعيتان (قوله بأهلك) أى وهم بناته فخرجوا وطوى الله لهم الأرض حتى وصلوا إلى إبراهيم فى وقته (قوله بقطع) الباء للمصاحبة ، والمعنى نصف الليل (قوله ولا يلتفت منكم) خطاب له ولبنتيه (قوله بالرفع) بدل من أحد أى والمعنى ولا يلتفت منكم أحد إلا امرأتك فانها تلتفت (قوله وفى قراءة) أى وهى سبعية أيضا (قوله فقيل لم يخرج بها) راجع لقراءة الرفع (قيل خرجت والتفت) راجع لقراءة النصب (قوله بأن رفعها جبريل إلى السماء) أى بأن أدخل جناحيه تحتها وهى خمس مدائن أكبرها سدوم وهى للوثىكات المذكورة فى سورة براءة ويقال كان فيها أربعة آلاف ألف فرغ جبريل المدن كلها حتى سمع أهل السماء صياح الديكة ونباح الكلاب ولم ينسكب لهم إناء ولم ينتبه لهم قائم ثم قلبها (قوله وأمطرنا عليها) أى على أهلها الخارجين عنها فى الأسفل وغيرها . وقيل على القرى بعد قلبها فمن جملة ما وقع أن رجلا منهم كان فى الحرم فجاء حجر ووقف فى الهواء أربعين يوما ينتظر ذلك الرجل حتى خرج من الحرم فسقط عليه فقتله (قوله متتابع) أى فى النزول [٢٧ - صاوى - ثانى]

(قوله عليها اسم من يرى بها) أى مكتوب على كل حجر اسم صاحبه الذى يرى به (قوله الحجارة أو بلادهم) هذان تفسيران فى مرجع الضمير . قيل يعود على الحجارة لأنها أقرب مذكور وقيل يعود على القرى المهلكة وعلى الأول فهو وعيد عظيم لكل ظالم من هذه الأمة فى الحديث « سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم جبريل عن المراد بالظالمين ، فقال له جبريل يبنى ظالمى أمتك ما من ظالم منهم إلا وهو يعرض حجر يسقط عليه من ساعة إلى ساعة (قوله يبعيد) أى يمكن بعيد بل يمكن قريب يبرون عليها فى أسفارهم (قوله وإلى مدين) معطوف على قوله ولقد أرسلنا نوحا عطف قصة على قصة ومدين اسم قبيلة سميت باسم جدهم مدين بن إبراهيم ويسمى شبيب خطيب الأنبياء لحسن مراجعته قومه (قوله أخاهم شعيبا) أى فى القسب لا الدين لأنه ابن ميكائيل ابن يشجر بن مدين بن إبراهيم (قوله اعبدوا الله) أمرهم بالتوحيد أولا لأنه أهم الأشياء وأصلها وغيره فروع فإذا صلح الأصل صلح الفرع (قوله ولا تنقصوا للكيل والميزان) نقص يتعدى لمفعولين فالمفعول الأول قوله المكيل والميزان والمفعول الثانى محذوف تقديره شيئا ، والمعنى لا تنقصوها شيئا أصلا عند الأخذ ولا عند الدفع فنقصهما عند الدفع ظاهر ونقصهما عند الأخذ بان ترد على حقه فى البيع وهو (٢١٠) فى الحقيقة نقص من الثمن قال تعالى - ويل للطففين الذين إذا اكتالوا على

الناس يستوفون وإذا
كالوهم أو وزنهم
يخسرون - (قوله إنى
أراكم بخير) أى فاقنعوا
بما أعطاكم الله ولا تطففوا
الكيل والميزان (قوله
ووصف اليوم به) أى
بقوله محيط (قوله مجاز)
أى عقلى فى الاسناد للزمان
(قوله ولا تبخسوا) كرر
ذلك ثلاث مرات أولها
قوله ولا تنقصوا المكيل
والميزان . وثانيها قوله
ويا قوم أوفوا المكيل
والميزان . وثالثها قوله ولا
تبخسوا الناس أشياءهم

عليها اسم من يرى بها (عند ربك) ظرف لها (ومآهى) الحجارة أو بلادهم (من الظالمين)
أى أهل مكة (ببعيد . و) أرسلنا (إلى مدين أخاهم شعيبا) قال ياقوم أعبدوا الله (وحده
(مالككم من إله غيره ولا تنقصوا المكيل والميزان إنى أراكم بخير) نعمة تنفيكم عن
التطفيف (وإنى أخاف عليكم) إن لم تؤمنوا (عذاب يوم يحيط) بكم يهلككم ووصف
اليوم به مجاز لوقوعه فيه (ويا قوم أوفوا المكيل والميزان) أتموها (بالقسط) بالعدل
(ولا تبخسوا الناس أشياءهم) لا تنقصوهم من حقوقهم شيئا (ولا تمشوا فى الأرض مفسدين)
بالقتل وغيره من عنى بكسر اللثة : أفسد ومفسدين حال مؤكدة لمعنى عاملها تمشوا (بقيت الله)
رزقه الباقي لكم بعد إيفاء الكيل والوزن (خير لكم) من البخس (إن كنتم مؤمنين
وما أنا عليكم بحفيظ) رقيب أجازيكم بأعمالكم إنما بشت نذيرا (قائلوا) له استهزاء
(يا شعيب أصلواتك تأمرك) بتكليف (أن تترك ما يعبد آباؤنا) من الأصنام (أو)
ترك (أن نفعل فى أمواتنا ما نشاء) للمعنى هذا أمر باطل لا يدعو إليه داع بخير (إنك
لأنت الحليم الرشيد) قالوا ذلك استهزاء (قال ياقوم ،

فأكيدا لكونهم مصرين على ذلك العمل القبيح منهمكين فيه (قوله أشياءهم) أى أموالهم ودخل فى ذلك رأيتم
من يسوم السلع وينقص قيمتها وهو مشهور تقتدى به الناس فالواجب إعطاء كل سلعة قيمتها وإعطاء كل ذى حق حقه وحينئذ
فهو عطف عام على خاص (قوله ولا تمشوا فى الأرض مفسدين) هذا أعم مما قبله ، والمعنى لا تكونوا من المفسدين فى الأرض بالمعاصى
بل كونوا مصلحين لدينكم ودنياكم (قوله بقيت الله) رسم بالثناء المحرورة وعند الوقف عليها للاضطراب يجوز بالثناء المحرورة
أو المربوطة وليس فى القرآن غيرها (قوله خير لكم) أى لوجود البركة فيه (قوله إن كنتم مؤمنين) أى مصدقين بما أمرتكم
به ونهيتكم عنه وهو شرط حذف جوابه لدلالة ما قبله عليه : أى فارضوا بما قسم الله لكم من الحلال (قوله وما أنا عليكم
بحفيظ) أى حافظ لكم من القبائح ولا حافظ عليكم النعم إنما أنا مبلغ لكم الأحكام (قوله يا شعيب) خاطبوه باسمه من غير
اقتران بالتعظيم لقباحتهم وسوء فعاهم (قوله أصلواتك تأمرك) أى وكان كثير الصلاة . وقيل المراد بها الدين وخست بالله كره
لأنها أعظم الشائى (قوله بتكليف) قدره دفعا لما يقال إن الترك من وصفهم وفعلهم لا فعل شعيب والإنسان يؤمر بفعل نفسه
لا بفعل غيره (قوله من الأصنام) بيان لما (قوله أو أن نفعل) قدر المفسر ترك إشارة إلى أنه معطوف على ما يعبد آباؤنا (قوله
قالوا ذلك استهزاء الخ) أى أو أرادوا السفه العاوى من باب نسجية الأضداد أو المراد الحليم الرشيد فى زعمكم

(قوله أرايتم) أى أخبروني (قوله على بينة) أى نبوة وصدق (قوله أفأشوبه) أى أخلطه (قوله من البخس والتطفيف) بيان للحرام (قوله وما أريد أن أخالفكم) أى فأنا أمركم بما أمر به نفسى وليس قصدى أن أنهاكم عن شيء وأفعله (قوله ما استطعت) أى مدة استطاعتى (قوله وما توفيقى) أى وما كوني موافقا (قوله عليه توكلت) أى توفضت أمورى إليه (قوله يكسبنكم) أى فهو متعلق لمفعولين : الأول الضمير والثانى أن وما دخلت عليه والمعنى لا يكن شقاى مكسبا لكم إصابة مثل ما ذكر فلا تستمروا على مخالفتى حتى يصيبكم بسبب تلك المخالفة مثل ما أصاب الخ (قوله أى منازلهم) أى لأهم كانوا مجاورين لقوم لوط وبلادهم قريبة من بلادهم وقوله أو زمن هلاكهم (٢١١) أى فقد كان زمن هلاك

قوم لوط قريبا من قوم شعيب (قوله واستغفروا ربكم) أى اطلبوا منه المغفرة لذنوبكم (قوله ثم توبوا إليه) أى ارجعوا إليه بفعل الطاعات (قوله ودود) صيغة مبالغة إما بمعنى فاعل أى عجب لهم كما قال للفسر أو بمعنى مفعول أى إن عباده يحبونه ويمتشلون أوامرهم ويحفظون نواهيهم (قوله ضعيفا) أى لاقوة لك (قوله لرجسناك) أى أمريناك بالحجارة وقيل للمعنى لشتمناك وأغلظنا عليك القول (قوله هم الأعزة) أى لموافقهم لهم فى الدين (قوله ظهريا) منسوب للظهر والكسر من تسييرات النسب والقياس فتح الظاء والهاء مفعول أول وظهريا مفعول ثان لاتخذوا ووراءكم

أَرَأَيْتُمْ إِنْ كُنْتُمْ عَلَىٰ يَمِينٍ مِنْ رَبِّي وَرَزَقْنِي مِنْهُ رِزْقًا حَسَنًا (قوله أفأشوبه بالحرام من البخس والتطفيف) (وما أريد أن أخالفكم) وأذهب (إلى ما أنهيكم عنه) فأرتكبه (إن) ما (أريد إلا الإصلاح) لكم بالعدل (ما استطعت وما توفيقى) قدرتى على ذلك وغيره من الطاعات (إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب) أرجع (ويا قوم لا يجر منكم) يكسبنكم (شقاى) خلافى فاعل يجرم والضمير مفعول أول ، والثانى (أن يصيبكم مثل ما أصاب قوم نوح أو قوم هود أو قوم صالح) من العذاب (وما قوم لوط) أى منازلهم أو زمن هلاكهم (منكم ببعید) فاعتبروا (واستغفروا ربكم ثم توبوا إليه إن ربى رحيم) بالمؤمنين (ودود) محب لهم (قالوا) إيذانا بقله المبالاة (يا شعيب ما نفقت) نفهم (كثيرا) عما تقول وإننا لنراك فينا ضعيفا (ذليلا) (ولولا رهطك) عشيرتك (لرجسناك) بالحجارة (وما أنت علينا بعزیز) كريم عن الرجس وإنما رهطك هم الأعزة (قال ياقوم أرهطى أعز عليكم من الله) فتتركوا قتلى لأجلهم ولا تحفظونى لله (واتخذتموه) أى الله (وراءكم ظهريا) منبوزا خلف ظهوركم لا تراقبونه (إن ربى بما تعملون محيط) علما فيجازيكم (ويا قوم أعملوا على مكانتكم) حالتكم (إنى عامل) على حالتى (سوف تعلمون من) موصولة مفعول العلم (بأنه عذب يخزيه ومن هو كاذب وأرتقبوا) انتظروا عاقبة أمركم (إنى معكم رقيب) منتظر (ولما جاء أمرنا) ياهلاكهم (نجينا شعيبا والذين آمنوا معه برحمة منا وأخذت الذين ظلموا الصيحة) صاح بهم جبريل (فأصبحوا فى ديارهم جائعين) باركين على الركب ميتين (كان) مخفية أى كأنهم (لم يفتنوا) بقيموا (فيها ألا بدأ بالدين كما بدت قومود) ولقد أرسلنا موسى بآياتنا ،

نرف له (قوله منبوزا خلف ظهوركم) أى جعلتموه نسيا منسيا (قوله اعملوا على مكاتكم) هذا وعيد عظيم وتهديد لهم (قوله سوف تعلمون) استئناف بيانى كأن قائلا قال فماذا يكون بعد ذلك (قوله موصولة) أى بمعنى الذى (قوله ومن هو كاذب) معطوف على قوله من يأتيه والمعنى سوف تعلمون الذى يأتيه عذاب يخزيه وتعلمون الكاذب (قوله صاح بهم جبريل) أى غرقت أرواحهم جميعا وهذا فى أهل قريته وأما أصحاب الأيكة فأهلكوا بعذاب الظة وهى سحابة فيها ريح طيبة باردة فأظلمت حتى اجتمعوا جميعا فألمها الله عليهم نارا ورجفت الأرض من تحتهم فأحترقوا وصاروا رمادا (قوله ألا بعدا) أى هلاكا (قوله كما بدت قومود) أى كما هلكت قومود والتشبيه من حيث إن هلاك كل بالصيحة (قوله ولقد أرسلنا موسى) هذه هى النصبة السابعة (قوله بآياتنا) أى التسع تقدم منها ثمانية فى الأعراف والتاسعة فى يونس وتقدم الكلام عليها .

(قوله وسُلطان مبین) قبل للراد به العاصي وخبت بالذكر لكونها أكبر الآيات وأعظمها وقيل للراد به المعجزات الباهرة والحجج الظاهرة وسميت الحجة سلطاناً لأن بها قهر الخصم كما أن السلطان به قهر غيره فيكون عطف عام (قوله وملته) أي جماعته وأتباعه (قوله فاتبعوا أمر فرعون) أي ماهو عليه من الكفر بتلك الآيات العظيمة (قوله سديد) أي صائب محمود العاقبة بل لا يدعو إلى خير (قوله يقدم) مضارع قديم كنصر ومصدره قدم كقفيل وقدم بمعنى يتقدم (قوله كما اتبعوه في الدنيا) أي في دخول البحر والكفر والضلال (قوله فأوردكم النار) الورد في الأصل يقتل للورود على الماء للاستقاء منه فشبّه النار بما يورد وطوى ذكر الشبه به ورمز له بجيء من لوازمه وهو الورد فأنبأته تخييل وشبه فرعون في تقدمه على قومه إلى النار بمن يتقدم على الواردين إلى الماء ليكسر العطش على سبيل التهكم (قوله هي) قدره إشارة إلى أن الخصوص بالدم محذوف (قوله لعنة) أي طردا وبعداً عن الرحمة (قوله ويوم القيامة) هذا وقت تام وقدر المفسر لعنة إشارة (٢١٢) إلى أن فيه الحذف من الآخر لدلالة الأول عليه (قوله بئس الرفد المرفود)

المراد بالرفد اللعنة الأولى وقوله المرفود أي الممان باللعنة الثانية والمعنى أن اللعنة الأولى أرفدت بلعنة أخرى تقويها وتعاونها وتسميتها رفدا تهكم (قوله ذلك) أي ما تقدم في هذه السورة من القصص (قوله من أنباء القرى) أي أخبار أهل القرى وهم الأنبياء الماضين (قوله نقصه عليك) أي لتخبر به قومك ليعتبروا (قوله منها قائم) أي أثر قائم موجود (قوله حصيد هلك بأهله) أي عحي فلم يبق له أثر وفيه تشبيه القائم والحصيد بالزرع الذي يعضه قائم على ساقه

وَسُلْطَانٍ مُبِينٍ) برهان بين ظاهر (إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ فَاتَّبِعُوا أَمْرَ فِرْعَوْنَ وَمَا أَمْرُ فِرْعَوْنَ بِرَشِيدٍ) سديد (يَقْدُمُ) يتقدم (قَوْمَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ) فيتبعونه كما اتبعوه في الدنيا (فَأُورِدَهُمْ) أدخلهم (النَّارَ وَيَبْسُ الْوَرْدُ الْمَوْرُودُ) هي (وَأَتَّبِعُوا فِي هَذِهِ) أي الدنيا (لَعْنَةً وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ) لعنة (بِئْسَ الرَّفْدُ) العون (الْمَرْفُودُ) رفدم (ذَلِكَ) للذكور مبتدأ خبره (مِنْ أَنْبَاءِ الْقُرَى نَقُصُّ عَلَيْكَ) يا محمد (مِنْهَا) أي القرى (قَائِمٌ) هلك أهله دونه (وَ) منها (حَصِيدٌ) هلك بأهله فلا أثر له كالزرع المحصود بالمناجل (وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ) ياهلاكهم بغير ذنب (وَلَكِنْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ) بالشرك (فَمَا أَغْنَتْ) دفعت (عَنْهُمْ آلِهَتُهُمُ الَّتِي يَدْعُونَ) يسبدون (مِنْ دُونِ اللَّهِ) أي غيره (مِنْ) زائدة (شَيْءٌ لَمَّا جَاءَ أَمْرُ رَبِّكَ) عذابه (وَمَا زَادَهُمْ) بعبادتهم لها (غَيْرَ تَتْنِيْبٍ) تخسير (وَكَذَلِكَ) مثل ذلك الأخذ (أَخَذَ رَبُّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَى) أريد أهلها (وَمِنْ ظَالِمَةٍ) بالذنوب أي فلا يغني عنهم من أخذه شيء (إِنْ أَخَذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ) روى الشيخان عن أبي موسى الأشعري قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «إن الله ليلبي للظالم حتى إذا أخذه لم يفلته ثم قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم وكذلك أخذ ربك الآية» (إِنْ فِي ذَلِكَ) المذكور من القصص (لَايَةً) لعلبة (لَمَنْ خَافَ عَذَابَ الْآخِرَةِ ذَلِكَ) أي يوم القيامة (يَوْمٌ مَجْمُوعٌ لَهُ) فيه (النَّاسُ وَذَلِكَ يَوْمٌ مَشْهُودٌ) يشهده جميع الخلائق (وَمَا تُؤَخِّرُهُ إِلَّا أَجَلٌ مُعَدَّدٌ)

لوقت

وبعضه قد حصد وذهب أثره (قوله لما جاء)

أي حين جاء (قوله وما زادوهم) الضمير المرفوع للأضنام والمنصوب لعابديها وعبر عنها بواو العقلاء لتزليلهم منزلتهم (قوله غير تنبيي) التنبأ الحسran يقال تنبته وتنب يدق بمعنى خسرت (قوله وهي ظالمة) الجملة حالية (قوله أليم شديد) أي غير مرجو الخلاص منه (قوله إن الله ليلبي للظالم) أي يمدد بطول العمر وسعة الرزق ونفوذ الكلمة (قوله ثم قرأ الخ) أي فيؤخذ من ذلك أن من قدم على ظلم يجب عليه أن يتوب ويرجع عما هو عليه ويرد المظالم لأهلها لتلايق في هذا الوعيد العظيم فإن هذه الآية ليست مخصوصة بالأمم الماضية بل هي عامة في كل ظالم غير أن هذه الأمة الحمدية لا ينزل بها عذاب على سبيل الاستئصال إكراماً لنبيها صلى الله عليه وسلم (قوله من القصص) أي السبع (قوله لمن خاف عذاب الآخرة) أي لأنه إذا تأمل ما حصل لهؤلاء في الدنيا من العذاب كان ذلك باعثاً له على الخوف من ذلك اليوم (قوله فيه) أشار بذلك إلى أن اللام بمعنى في والمعنى أن يوم القيامة تجمع فيه الخلائق من الإنس والجن وغيرهما (قوله يشهده) أي يحضره (قوله وما تؤخره) أي ذلك اليوم وهو يوم القيامة

(قوله لو قت معلوم) أى وهو مدة الدنيا (قوله يوم يأت ذلك اليوم) إن قلت إن اليوم لا يصلح أن يكون ظرفاً لليوم وإلا لزم تعيين الشيء بنفسه . أجب بأن الكلام على حذف مضاف أى هوله وعذابه أو للمعنى حين يأتى ذلك اليوم الخ (قوله لا تكلم نفس إلا بإذنه) أى جميع الخلائق يسكتون فى ذلك اليوم فلا يتكلم أحد إلا بإذنه . إن قلت كيف يجمع بين ما هنا وبين قوله تعالى - يوم تأتى كل نفس تجادل عن نفسها - وقوله تعالى حكاية عن الكفار - والله ربنا ما كنا مشركين - . أجب بأن القيامة مواطن مختلفة ففى بعضها لا يقدرّون على الكلام لشدة الهول ، وفى بعضها يتحاجون ويتجادلون أو للراد لا تكلم نفس بما ينفع وينجى بل قد يتكلم الكفار بكلام لا نفع به بل لظهار بطلان حججهم (قوله كتب كل فى الأزل) أى وظهرت الحاتمة على طبق ما كتب (قوله فى علمه) أى وهم من ماتوا كفاراً وإن تقدم منهم إيمان (قوله لهم فيها زفير وشهيق) الزفير فى الأصل تردد النفس فى الصدر حتى تنتفخ منه الأضلاع والشهيق ردّ النفس إلى الصدر وهذا التفسير الذى ذكره المفسر لابن عباس وقيل الزفير أول صوت الحمار والشهيق آخره وقيل الزفير صوت الحمار والشهيق صوت البغل وقيل غير ذلك (قوله أى مدة دوامهما) أشار بذلك إلى أن ماضى سرية ظرفية ودام تامة لأنها بمعنى بقيت أو مقدار دوامهما (قوله فى الدنيا) أى فالمراد سموات الدنيا وأرضها (قوله غير ما شاء ربك) أفاد أن إلا بمعنى غير والمعنى أنهم يخلدون فى النار مقدراً مكث الدنيا غير الزيادة التى شاءها الله وما شاءه الله قديين فى آيات أخر منها قوله خالدين فيها أبداً ، ومنها : وما هم بخارجين من النار ، ومنها قوله : لا يفتر عنهم وهم فيه مبلسون (قوله إن ربك فعال (٢١٣) لما يريد) دفع بذلك ما يتوهم من التعبير بالمشيئة أنها قد

لو قت معلوم عند الله (يَوْمَ يَأْتِ) ذلك اليوم (لَأَتَكَلَّمُ) فيه حذف إحدى التاءين (نَفْسٌ إِلَّا بِإِذْنِهِ) تعالى (فَنُفِثَهُمْ) أى الخلق (شَقِيٌّ ، وَ) منهم (سَعِيدٌ) كتب كل فى الأزل (فَأَمَّا الَّذِينَ شَقُوا) فى علمه تعالى (فَنُفِثَ النَّارَ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ) صوت شديد (وَشَهِيْقٌ) صوت ضئيف (خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ) أى مدة دوامهما فى الدنيا (إِلَّا) غير (مَا شَاءَ رَبُّكَ) من الزيادة على مدتهما مما لا ينتهى له والمعنى خالدين فيها أبداً (إِنَّ رَبَّكَ فَتَالِ لِمَا يُرِيدُ . وَأَمَّا الَّذِينَ سَعَدُوا) بفتح السين وضما (فَنُفِثَ الْجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ إِلَّا) غير (مَا شَاءَ رَبُّكَ) كما تقدم ودل عليه فيهم قوله (عَطَاءٌ غَيْرٌ مَجْذُوذٍ) مقطوع وما تقدم من التأويل هو الذى ظهر وهو خال من التكلف والله أعلم بمراده

من التعبير بالمشيئة أنها قد تتخلف فأجاب بقوله إن ربك فعال لما يريد فلا تتخلف لمشيئة الله بخلود الكافرين لأنه متى أراد شيئا حصل ولا بد وما قيل إن وعيده قد يتخلف فالمراد وعيد العاصى لا وعيد الكافر (قوله وأما الذين سعدوا) هذا مقابل قوله فأما الذين شقوا وفى هذه

الآية من الحسنات البديعية الجمع والتفريق والتقسيم فالجمع فى قوله يوم يأت لاتكلم نفس إلا بإذنه والتفريق فى قوله فنفثهم شقى وسعيد والتقسيم فى قوله فأما الذين شقوا الخ وأما الذين سعدوا الخ (قوله بفتح السين وضما) أى فهما قراءتان سبعيتان فالفتح من قولهم سعد الرجل بمعنى قامت به السعادة والضم من قولهم سعده الله أى أسعده فالأول قاصر والثانى متعد ، والمعنى إن الذين سبق لهم السعادة من الله بموتهم على الإيمان وإن سبق منهم الكفر فى الدنيا فهم فى الجنة ، والمراد بالسعادة رضا الله على العبد وعلامة ذلك أن يكون العبد محبا لربه ساعيا فى مرضاته دائم الإقبال على طاعاته راضيا بأحكامه (قوله فى الجنة) المراد بها دار النعيم بجميع دورها فشمّل جنة الفردوس وغيرها (قوله ما دامت السموات والأرض) أى مدة دوامهما فى الدنيا ، والمعنى قدر مكث السموات والأرض من أول الدنيا إلى آخرها (قوله كما تقدم) أى فيقال غير ما شاء ربك من الزيادة التى لا تنتهى لها فالمعنى خالدين فيها أبداً ، ويدل على ذلك قوله تعالى - خالدين فيها أبداً - فالزيادة التى شاءها الله فسرت فى آيات أخر بالخلود المؤبد (قوله ودلّ عليه) أى على الخلود المؤبد وقوله فيهم أى السعداء (قوله عطاء) مفعول مطلق لفعل محذوف تقديره أعطاهم ذلك عطاء وعطاء اسم مصدر أعطى والمصدر إعطاء (قوله مقطوع) أى ولا منوع بل هو عطاء دائم لا يزول ولا يحول (قوله هو الذى ظهر) أى من نحو عشرين وجها فى تفسير تلك الآية : منها أن المراد بالسموات والأرض سقف الجنة والنار وأرضها ، ويحتمل الاستثناء فى جانب أهل الشقاوة على عصاة الأمة فيكون المعنى خالدين فيها أبداً إلا عصاة المؤمنين الذين نفذ فيهم الوعيد فلا يخلدون أبداً بل

يخرجون بشفاعه النبي صلى الله عليه وسلم والاستثناء حيثئذ إما منقطع لعدم دخول هؤلاء في الاشقياء أو متصل بجمل هؤلاء أشقياء باعتبار وسعدها باعتبار آخر وفي جانب أهل السعادة على عصاة المؤمنين أيضا لكن باعتبار تعذيبهم أولا فيتأخرون في الدخول مع السابقين فتحصل أن الاستثناء في كل محمول على العصاة لكن في جانب أهل الشقاوة مستثنون من الخلود وفي جانب أهل السعادة مستثنون من المبدأ كأنه قال فأما الذين سعدوا ففي الجنة من أول الأمر إلا ما شاء ربك من العصاة فليسوا في الجنة من أول الأمر بل هم في النار يعذبون ثم يخرجون ، ومنها أن للراد بالدين شقوا الكفار وبالدين سعدوا المؤمنين والاستثناء باعتبار أن بعض الكفار قد ينقل من النار إلى غيرها كالزمهرير وبعض المؤمنين قد ينقل من النعيم فيما تشبه الأفس وقد الأعين إلى أعلى منه وهو رؤية وجه الله الكريم وعظائمه ، ومنها أن الاستثناء راجع لمدة تأخرهم عن دخول الجنة والنار كمدة الهديا والبرزخ لأنهم لم يدخلوها حين خلقوا سعداء وأشقياء ومنها غير ذلك . وما تقدم من أن نعيم الجنان وعذاب النار دائم هو ما دللت عليه الآيات القرآنية والأحاديث النبوية ووراء ذلك أقوال يجب تأويلها والأخذ بظاهرها كفر ، فنها ما قيل إن الجنة والنار ينقضيان بدليل ظاهر هذه الآية ، ومنها أن أهل النار تنقلب عليهم النار نعيما حتى لو صب عليهم ماء الجنة يتأذون ، ومنها أن النار تحرب حتى لا يصير فيها أحده ، ومنها غير ذلك ، وهذه الأقوال باطلة ونسبتها لحي الدين بن العربي كذب وعلى فرض صحة نقلها عنه يجب تأويلها (قوله فلا تك في مريية) هذا شروع في ذكر أحوال المخالفين من هذه الأمة إثر بيان المخالفين من غيرهم وهذا الخطاب للنبي والمراد (٢١٤) غيره (قوله من الأصنام) بيان لما (قوله ما يعبدون) أى فليس لهم في ذلك

إلا محض تقليد آبائهم (قوله وقد عذبناهم) أى آباءهم وإنما قرره لتمام للشبهة (قوله وإنا لموفوهم) أى هؤلاء (قوله أى تاما) أشار بذلك إلى أن قوله غير منقوص حل من نصيب مينة له (قوله فاختلف فيه) هذا تسلية للنبي صلى الله عليه وسلم : أى فلا تحزن على

(فَلَا تَكُ) يا محمد (فِي مَرِيَّةٍ) شك (مِمَّا يَعْبُدُ هَؤُلَاءِ) من الأصنام أنا نعذبهم كما عذبنا من قبلهم وهذا تسلية للنبي صلى الله عليه وسلم (مَا يَعْبُدُونَ إِلَّا كَمَا يَعْبُدُ آبَاؤُهُمْ) أى كعبادتهم (مِنْ قَبْلُ) وقد عذبناهم (وَإِنَّا لَمَوْفُوهُمْ) مثلهم (نَصِيْبُهُمْ) حظهم من العذاب (غَيْرَ مَنقُوصٍ) أى تاما (وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ) التوراة (فَأَخْتَلَفَ فِيهِ) بالتصديق والتكذيب كالقرآن (وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ) بتأخير الحساب والجزاء للخلائق إلى يوم القيامة (لَقَضَى بَيْنَهُمْ) في الدنيا فيما اختلفوا فيه (وَإِنَّهُمْ) أى المكذبين به (لَنِي شَكٍّ مِنْهُ مَرِيْبٍ) موقع في الريبة (وَإِنْ) بالتخفيف والتشديد (كَلَّا) أى كل الخلائق (لَمَّا) ما زائدة واللام موطة لقسم مقدر ، أو فارقة وفي قراءة بتشديد لما ،

ما وقع لك فانه قد وقع لغيرك (قوله لقضى بينهم) أى لجوزى

المحسن على إحسانه والسيء على إساءته في الدنيا (قوله أى المكذبين به) أى بالقرآن (قوله لنى شك منه) أى من القرآن (قوله موقع في الريبة) أى لأنهم إذا نظروا لأبائهم وما كانوا عليه قالوا لو كان ما هم عليه ضلالا ما اجتمعوا عليه وإذا نظروا إلى النبي ومعجزاته الظاهرة قالوا إنه الحق وما جاء به صدق فهم في شك ولا شك أنه كفر وكل هذا ناسى من الطبع على قلوبهم وإلا فالحق ظاهر لمن تدبره (قوله وإن كلا) أى من الطائعين والعاصين وأتى بالجملة الاسمية المؤكدة بأن ولام القسم زيادة في تأكيد بشرى الطبع ووعيد العاصي (قوله بالتخفيف والتشديد) أى ولما كذلك فتكون القراءات أربعا وكلها سبعة (قوله أى كل الخلائق) أشار بذلك إلى أن التنوين عوض عن المضاف إليه (قوله ما زائدة) أى والأصل لليوفينهم فاستقل اجتماع اللامين فوسطت بينهما ما لدفع ذلك الثقل (قوله واللام موطة) أى والأخرى للتأكيد (قوله أو فارقة) أى آتى بها فرقا بين المهمة والنافية وفيه أن إن عاملة على كل حال فليست حيثئذ فارقة فكان المناسب حذف قوله أو فارقة إلا أن يقال إنها مهمة وكلا منصوب بفعل مقدر تقديره وإن يرى كلا وفيه أن هذا تكلف وما لا كلفة فيه خير مما فيه كلفة وما ذكره المفسر من الاعراب مبنى على قراءة تشديد إن وتخفيفها مع تخفيف لما ، وتوضيحه أن يقال إن حرف توكيد ونصب وكلا اسمها واللام موطة لقسم محذوف وما زائدة واللام الثانية للتأكيد ويوفينهم فعل مضارع مبنى على الفتح لاتصاله بنون التوكيد الثقيلة والهاء مفعول وربك فاعل وجملة القسم في محل رفع خبر إن .

(قوله بمعنى إلا فإن نافية) هذا ظاهر على قراءة تخفيف إن وحيثئذ فيقال إن نافية وكلا منصوب بفعل مقتر، والتقدير وإن يرى كلا إلا أيوفينهم الخ ولم يتكلم على تشديدهما . هذا حاصل تقرير المفسر ولا يخفى عليك مافيه من المناقشة والكفاية ، والاعراب السالم من ذلك كله أن يقال إن القراءات السبعة أربع تخفيفيهما وتشديدهما وتخفيف إن فقط وتخفيف لما فقط مع نون كلا في الجميع فعلى الأولى إن مخففة من الثقيلة وكلا اسمها واللام الأولى لام الابتداء وما اسم موصول واللام الثانية موطئة لقسم محذوف ويوفينهم جواب القسم وجملة القسم وجوابه صلة الموصول والموصول وصلته خبر إن وعلى الثانية إن عاملة ولما أصله لمن ما بدخول اللام على من الجارة قلبت النون مما فتوا إلى الأمثال حذفت إحدى الميمات وأدغمت إحدى اليمين في الأخرى فصار اسم موصول وجملة ليوفينهم قسمية صلة الموصول وهو وصلته خبر إن وعلى الثالثة فإن المخففة عاملة وأصل لما لمن ما فعل بها ما تقدم وعلى الرابعة إن المشددة عاملة واللام لام الابتداء وما اسم موصول وليوفينهم جملة قسمية صلة الموصول وهو وصلته خبر إن فتحصل أن إن عاملة وما اسم موصول في جميع الأوجه كلها واللام الثانية موطئة للقسم والأولى لام الابتداء فتأمل وما قرئناه زبدة كلام طويل في هذا المقام فليحفظ (قوله أي جزاءها) أشار بذلك إلى أن الكلام على حذف مضاف (قوله فاستقم) أي دم على الاستقامة التي أمرت بها في خاصة نفسك كقيام الليل وتبائع ما أمرت بقبليغه للخلق وعدم فوارك من قتال الكفار ولواجبته أهل الدنيا وغير ذلك من التكالييف العامة له ولغيره والخاصة به (قوله ومن تاب معك) (٢١٥) قدر المفسر قوله ليستقم جوابا عما يقال إن قوله من تاب معطوف على الضمير

الاستمر في استقامته فيلزم عليه أن يفعل الأمر قد رفع الظاهر فأجاب المفسر بأن ذلك من عطف الجمل والمحدور إنما يلزم لو كان من عطف المفردات ، ويحجب أيضا بأنه قد يتعذر في التابع ما لا يتعذر في المتبوع (قوله ولا تظنوا) خطاب للنبي وللأمة ولكن المراد الأمة فإن

بمعنى إلا فإن نافية (لَيُؤَقِّنَنَّهُمْ رَبُّكَ أَعْمَالَهُمْ) أي جزاءها (إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ) عالم ببواطنه كظواهره (فَاسْتَقِمْ) على العمل بأمر ربك والدعاء إليه (كَمَا أُمِرْتُ ، وَ) ليستقم (مَنْ تَابَ) آمَنَ (مَعَكَ وَلَا تَطْغَوْا) تجاوزوا حدود الله (إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ) فيجازيكم به (وَلَا تَرَوْا كُنُوزًا تُبْدُونَ) (إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا) بمودة أو مداينة أو رضا بأعمالهم (فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ وَمَا لَكُم مِّنْ دُونِ اللَّهِ) أي غيره (مِنْ) زائدة (أَوْ لِيَاءُ) يحفظونكم منه (ثُمَّ لَا تَنصَرُونَ) تمنعون من عذابه (وَأَقِمِ الصَّلَاةَ طَرَفِي النَّهَارِ) الغداة والعشي أي الصبح والظهر والعصر (وَزُلْفَا) جمع زلفة أي طائفة (مِنَ اللَّيْلِ) أي المغرب والعشاء (إِنَّ الْحَسَنَاتِ) كالصلوات الخمس (يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ) الذنوب الصغائر . نزلت فيمن قبل أجنيبه فأخبره صلى الله عليه وسلم فقال ألي هذا فقال لجميع أمتي كلهم رواه الشيخان (ذَلِكَ ذِكْرِي لِلذَّاكِرِينَ) عظة للمتقين ،

الطيبان مستحيل على النبي صلى الله عليه وسلم وهذه الآية صعبة التكليف ، ولذلك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « شيتني هود وأخواتها » (قوله إلى الذين ظلموا) أي بالكفر أو المعاصي (قوله بمودة) مصدر وادد كقاتل: أي محبة (قوله أو مداينة) أي مصانة فالمداينة بقل الدين لإصلاح الدنيا (قوله أو رضا بأعمالهم) أي وتزينها لهم ولا عذر في الاحتجاج بضرورات الدنيا فإن الله هو الرزاق ذو القوة المتين (قوله فتمسككم النار) أي لأن المرء يحشر مع من أحب (قوله يحفظونكم منه) أي من عذاب النار (قوله طرفي النهار) منصوب على الظرفية لإضافته إلى الظرف (قوله الغداة والعشي) تفسير للطرفين (قوله أي الصبح) راجع للغداة ، وقوله والظهر والعصر راجع للعشي (قوله وزلفا) بضم ففتح كغرف ، وقوله جمع زلفة : أي كغرفة (قوله إِنَّ الْحَسَنَاتِ) أي الواجبة أو المندوبة (قوله نزل فيمن قبل أجنيبه) أي وهو أبو اليسر قال « أنتني امرأة تبتاع تمرا فقلت لها إن في البيت تمرا أطيب من هذا ، فدخلت معي البيت فقبلتها فأثيت أبا بكر فذكرت ذلك له ، فقال استر على نفسك ونب ولا تخبر أحدا ، فأثيت عمر فذكرت ذلك له ، فقال استر على نفسك ونب ولا تخبر أحدا ، فلم أصبر حتى أثيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكرت ذلك له فقال : أخنت رجلا غازيا في سبيل الله في أهله بمنزل هذا وأطرق طويلا حتى أوحى إليه - وأقم الصلاة - إلى - الذَّاكِرِينَ - فقرأها رسول الله صلى الله عليه وسلم عليه ، فقلت ألي هذا خاصة أم للناس عامة ؟ فقال بل للناس عامة » (قوله ذلك) أي المذكور من الأمر بالاستقامة وما بعده .

(قوله واصبر) أى ولا تنزعج من قومك (قوله فان الله لا يضيع أجر المحسنين) أى بل يعظمهم فوق ما يطلبون (قوله فلولا كان من القرون الخ) لما بين سبحانه وتعالى ماحل بالأمر الماضية من عذاب الاستئصال بين هنا أن السبب في ذلك أمران : الأول عدم وجود من ينهى عن الفساد . الثانى عدم رجوعهم عما هم فيه (قوله فهلا) أفاد المفسر أن لولا تخصيصية والمراد بها النفي (قوله من قبلكم) الجار والمجرور متعاقب بمحذوف صفة للقرون وأولوا فاعل كان ، وقوله من القرون حال من فاعل كان (قوله أصحاب دين وفضل) أى ومموا أولو بقية لأن أهل البقاء برهم لا يتحولون عما هم عليه من الدين والإصلاح فلهم البقاء والنجاة من الهلاك (قوله للراد به) أى بالتخصيص للاستفاد من لولا (قوله لإقليات) هذا استثناء منقطع ، ولذا عبر للمفسر بـ لكن فالمستثنى منه القرون المهلكة بالعذاب لعدم نهيمهم عن النكر والمستثنى من أنجاه الله من العذاب بسبب أمرهم بالمعروف ونهيمهم عن النكر (قوله واتبع الذين ظلموا ما أترفوا فيه) أى داموا على شهواتهم ولم يتذكروا عذاب الله (قوله نعموا) أى من النعيم الذى يفضله الله تعالى ، فالمعنى أن سبب هلاكهم اشتغالهم بالشهوات المضية لله تعالى وعدم رجوعهم عنها (قوله وكانوا مجرمين) الجملة حالية : أى والحال أنهم فاعلون للجرائم مصرون عليها (قوله وما كان ربك ليهلك القرى) هذا كالدليل لما قبله ، والمعنى ماصح أن يهلك القرى بظلم منه لها والحال أن أهلها مصلحون ومضى الأخذ من غير ذنب ظلمنا نكرما منه وإلا حقيقة الظلم التصرف في ذلك الغير من غير إذنه (٢١٦) ولا ملك لأحد معه وهو بهذا المعنى مستحيل عقلا على الله ، وأما أخذه بغير

(وَأَصْبِرْ) يَأْمُرُ عَلَى أَذَى قَوْمِكَ أَوْ عَلَى الصَّلَاةِ (فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ) بِالصَّبْرِ عَلَى الطَّاعَةِ (فَلَوْلَا) فَهَلَا (كَانَ مِنَ الْقُرُونِ) الْأُمُّ الْمَاضِيَةِ (مِنْ قَبْلِكُمْ أُولُوا بَقِيَّةٍ) أَصْحَابُ دِينٍ وَفَضْلٍ (يَهْتَوْنَ عَنِ الْفَسَادِ فِي الْأَرْضِ) الْمُرَادُ بِهِ النَّفْيُ أَيْ مَا كَانَ فِيهِمْ ذَلِكَ (إِلَّا) لَكِنْ (قَلِيلًا مِمَّنْ أَنْجَيْنَا مِنْهُمْ) نَهَوْا فَنَجَوْا وَمِنْ اللَّيْبَانِ (وَاتَّبَعَ الَّذِينَ ظَلَمُوا) بِالْفَسَادِ وَتَرَكَ النَّهْيَ (مَا أَتَرَفُوا) نَمَوْا (فِيهِ وَكَانُوا مُجْرِمِينَ) وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ الْقُرَى بِظُلْمٍ مِنْهُمْ (وَأَهْلُهَا مُصْلِحُونَ) مُؤْمِنُونَ (وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَمَعَ النَّاسَ أَتَمَّةً وَاحِدَةً) أَهْلُ دِينٍ وَاحِدٍ (وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ) فِي الدِّينِ (إِلَّا مَنْ رَحِمَ رَبُّكَ) أَرَادَ لَهُمُ الْخَيْرَ فَلَا يَخْتَلِفُونَ فِيهِ (وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ) أَيْ أَهْلُ الْاِخْتِلَافِ لَهُ وَأَهْلُ الرَّحْمَةِ لَهَا (وَوَسَّيْتُ كَلِمَةً رَبُّكَ) وَهِيَ (لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ) الْجِنِّ (وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ) وَكُلًّا نَصَبَ بِنَقْصٍ وَتَنَوِينِهِ عَوْضَ عَنِ الْمُضَافِ إِلَيْهِ أَيْ كُلِّ مَا يَحْتَاجُ إِلَيْهِ (نَقْصٌ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الرُّسُلِ مَا) بَدَلَ مِنْ كَلَامٍ (تُثَبِّتُ) نَظْمُنْ (بِهِ فَوَادِّكَ) قَلِيلُكَ

ذنب فهو وإن كان جائرا عقلا فمستحيل شرعا لأنه مما ظلمنا بفسادنا ونزاه نفسه سبحانه عنه كما أزم نفسه بالرحمة تفضلا منه (قوله منه لها) ويصح أن يكون المعنى بظلم منهم ويراد بالظلم الشرك، والمعنى أنه لا يهلك أهل القرى بمجرد شركهم إذا كانوا مصلحين فيما بينهم لفرط مسامحته تعالى في حقوقه ولذلك تقدم حقوق العباد

على حقوق خالقهم (قوله ولو شاء ربك لجمع الناس أمة واحدة) أى لكنه لم يشأ ذلك فلم يجعلهم أمة واحدة فلو امتناعية ، والمعنى امتنع ذلك لعدم مشيئة الله له (قوله أهل دين واحد) أى وهو دين الإسلام (قوله ولا يزالون مختلفين) أى على أديان شتى . واستفيد من هذا أن الاختلاف كما كان حلولا في الأمم الماضية لا يزال مستمرا في هذه الأمة فمنهم الكافر والمؤمن والطائع والعاصي ، ولذلك ورد في الحديث « افتقرت اليهود على إحدى وسبعين فرقة وستة فترقون ثلاثا وسبعين فترقا في النار وواحدة في الجنة » والمراد بالفرقة الواحدة أهل السنة والجماعة (قوله فلا يختلفون فيه) بل هم على دين واحد لا يفترقون . قال تعالى - أن أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه - (قوله ولذلك خلقهم) اللام للعاقبة والصبرورة ، والمعنى خلق أهل الاختلاف لتكون عاقبة أمرهم هو الاختلاف وخلق أهل الرحمة لتكون عاقبة أمرهم الرحمة (قوله وتمت) أى حقت ووجبت (قوله لأملأن جهنم) أى حتى تقول قط قط بمعنى يكفى يكفى كما في الحديث وذلك بعد أن تمت أغناؤها وطلب الزيادة فيتجلى الله عليها بصفة الجلال فتخضع وتذل وتقول قط قط (قوله من الجنة والناس) أى الكفار منهم لأن الامتلاء على سبيل الخلود لا يكون إلا من الكفار (قوله نصب بنقص) أى على أنه مفعول له (قوله من أنباء الرسل) أى أخبارهم (قوله ما ثبت به فؤادك) أى القصص والأخبار التى بها يزداد فؤادك ثباتا على أدائه الرسالة وتحمّل أذى قومك وعلمها بخض امتك وشرفها حيث اتقاد منها خلق كثير في مدة يسيرة بخلاف الأمم الماضية .

(قوله الأنبياء) أي الأخبار وقوله أو الآيات تفسير ثان ، والمراد بالآيات آيات هذه السورة وحُصت بالكُر وإن كان جاء الحق في جميع السور تدریفاً لما لكونها جمعت من قصص الأمم الماضية بالممكن في غيرها (قوله وموعظة) أي اتعاط وقوله وذكري أي تذكر وتدبر (قوله حالتكم) أي وهي الكفر (قوله على حالتنا) أي وهي الإيمان (قوله تهديد لهم) أي تخويف ولبعض المراد الأمر بدواهم على الكفر بل هو على حد : إذا لم تستح فاصنع ما شئت (قوله إنا منتظرون ذلك) أي عاقبة أمركم (قوله وقه غيب السموات والأرض) قال كتب الأخبار خاتمة التوراة هي خاتمة سورة هود (قوله أي علم ما غاب فيها) أي فلم يكلفنا بمعرفته (قوله وللعمول) أي فهما قراءتان سبعيتان والمعنى واحد (قوله الأمر كله) أي أمر الخلائق كلهم في الدنيا والآخرة من خير وشر (قوله فينتقم من عصي) أي ويثيب من أطاع (قوله فأعبدوه) هذا مفرع على قوله : ولله غيب السموات والأرض الخ أي حيث كان هو العالم بما غاب في السموات والأرض وإليه مرجع الأمور كلها فهو حقيق بعبادته هو لا غيره وحقيق بالتوكل عليه وتقويض الأمور إليه (قوله ثق به) أي اعتمد عليه ولا تاتفت لغيره فإنه لا يضرك ولا ينفع بل الضرر النافع العطى المانع هو الله وبهذا تعلم أن التوكل أمر زائد على التوحيد فالله وحيد ينفي الشرك (٢١٧) والتوكل ينفي الأوهام المعطلة عن

مراتب الأخبار (قوله وماربك بغافل عما يعملون) ما حجازية ووربك اسمها وبغافل خبرها منصوب بفتحة مقترنة على آخره منع من ظهورها اشتغال المحل بحركة حرف الجر الزائد (قوله وفي قراءة) أي وهي سبعة أيضاً (قوله بالفوقانية) أي خطابا للنبي والمؤمنين . [سورة يوسف عليه السلام] مناسبة هذه السورة لما قبلها جمع قصص الأنبياء

(وَجَاءَكَ فِي هَذِهِ) الأنبياء أو الآيات (الْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرٌ لِلْمُؤْمِنِينَ) خصوا بالذكر لانقاعهم بها في الإيمان بخلاف الكفار (وَقُلْ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ أَعْمَلُوا عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ) حالتكم (إِنَّا عَامِلُونَ) على حالتنا تهديد لهم (وَأَنْتَظِرُوا) عاقبة أمركم (إِنَّا مُنْتَظِرُونَ) ذلك (وَلِلَّهِ غَيْبُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ) أي علم ما غاب فيهما (وَالْيَهُ يَرْجِعُ) بالبناء للفاعل : يعود وللعمول : يرد (الْأَمْرُ كُلُّهُ) فينتقم من عصي (فَاعْبُدْهُ) وحده (وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ) ثق به فإنه كافيك (وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ) وإنما يؤخرهم لوقتهم ، وفي قراءة بالقافانية

(سورة يوسف)

مكية مائة وإحدى عشرة آية

(بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ . الرَّ) الله أعلم بمراده بذلك (تِلْكَ) هذه الآيات (آيَاتِ الْكِتَابِ) القرآن والاضافة بمعنى من (الْمُبِينِ) المظهر للحق من الباطل (إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا) بلغة العرب ،

فإن ما قبلها ذكر فيها سبع قصص للأنبياء وهذه من محاسن قصص الأنبياء وأيضاً ليتسلى النبي صلى الله عليه وسلم بما وقع للأنبياء من أذى الأقارب والأباعد على ما وقع له من أذى قومه الأقارب والأباعد ، وحكمة قص القصص عليه ليتأسى بهم ويتخاف بأخلاقهم فيكون جامعا لكلمات الأنبياء . وسبب نزول هذه السورة أن اليهود سألت النبي صلى الله عليه وسلم وقالوا حدثنا عن أمر يعقوب وولده وشأن يوسف ، وهذه السورة فيها من الفوائد الشريفة والحكم النيفة ما لا يدخل تحت حصر ولذا قال خالد بن معدان سورة يوسف وسورة مريم تتفكه بهما أهل الجنة في الجنة وقال عطاء لا يسمع سورة يوسف محزون إلا استراح إليها (قوله مكية) خبر أول هن سورة وقوله مائة الخ خبر ثان (قوله تلك آيات الكتاب) مبتدأ وخبر وأشير إليها بإشارة البعيد إشارة لبعدها عن كلام الحوادث وعلوّ شأنها (قوله هذه الآيات) أي آيات هذه السورة (قوله المظهر للحق) أي فهو مأخوذ من أبان التعدى ويصح أخذه من اللزوم ويكون المعنى البين حلاله وحرامه (قوله إنا أنزلناه) أي نحن بعظمتنا وجلالنا (قوله عربيا) نعت للقرآن والعربي منسوب للعرب لكونه نزل بلغتهم ، والمعنى أن القرآن نزل بلغة العرب فليس فيه شيء غير عربي . فإن قلت قد رد فيه شيء غير عربي كجبل ومشكاة وإستبرق وغير ذلك . أجيب بأن هذا مما توافقت فيه اللغات والمراد أن تراكيبه وأصاليبه عربية وإن ورد فيه غير عربي فهو على أسلوب العرب لا على أسلوب غيرهم وإنما كان عربيا لأن تلك اللغة أفصح للغات ولأنها [٢٨ - صاوي - ثاني]

لغة أهل الجنة في الجنة (قوله لعلكم تقولون) علة لكونه عربيا ، والمعنى لكي تهتموا بمعانيه وتأملوا فيها فاعلموا أنه من عنده (قوله أحسن قصص) صفة لمصدر محذوف مفعول مطلق والتقدير قصصا أحسن القصص ، والقصص في اللغة من قصص الأثر: تتبعه معنى الكلام الذي يحكي عن الغير بذلك لأن التكلم يتضمن الخبر شيئا فشيئا ، والمعنى نحن نبين لك أخبار الأمم السابقة أحسن البيان وقبل المراد خصوص قصة يوسف وإنما كانت أحسن القصص لما فيها من الحكم والنكت وسير المالك والممالك والعلماء ومكر النساء والصبر على الأذى والتجاوز عنه أحسن التجاوز وغير ذلك من المحاسن (قوله بإيجاننا) الباء سببية وأشار بذلك إلى أن ما مصدرية والجار والمجرور متعلق بنقص (قوله هذا القرآن) اسم الإشارة مفعول لأوحيانا والقرآن بدل من اسم الإشارة أو عطف بيان أو نعت (قوله وإن كنت من قبله) الجملة حالية (قوله لمن الغافلين) أى لم تخطر ببالك تلك القصة ولم تسمعها قط بل كنت خالي الذهن منها وهذا من معجزاته صلى الله عليه وسلم حيث يخبر عن المتقدمين والمتأخرين بأحسن تعبير وأبلغ وجه ولما قال البوصري :

كفاك بالعم في الأمتى معجزة في الجاهلية والتأديب في اليم
فأكبر دلائل على فضل الإنسان غزارة علمه وسعة اطلاعه على ما أعطاه الله من العلوم الدنيوية والعارف الربانية (قوله اذكر) قدره إشارة إلى أن إذ ظرف المحذوف وقيل معمول لقوله تعالى يا بني وهو الأولى لما فيه من عدم الحذف (قوله يوسف) اسم عبراني ممنوع من الصرف وعاش من العمر مائة وعشرين سنة وعاش أبوه مائة وسبعا وأربعين سنة وعاش جده اسحاق مائة وثمانين سنة وعاش جده (٢١٨) إبراهيم مائة وخمسة وسبعين سنة (قوله بالكسر) أى وأصلها يا بني حذف

(لَعَلَّكُمْ) يا أهل مكة (تَقُولُونَ) تهتمون بمعانيه (نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا) بإيجاننا (إِلَيْكَ هَذَا الْقُرْآنَ، وَإِنْ) مخففة أى وإنه (كُنْتَ مِنْ قَبْلِهِ لَمَنِ الْغَافِلِينَ) اذكر (إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ) يعقوب (يَا أَبَتِ) بالكسر دلالة على إياه بالإضافة المحذوفة، والفتح دلالة على ألف محذوفة قلبت عن الياء (إِنِّي رَأَيْتُ) في المنام (أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ) تأكيد (لِي سَاجِدِينَ) جمع بالياء والنون للوصف بالسجود الذي هو من صفات العقلاء (قَالَ يَا بُنَيَّ لَا تَقْصُصْ رُؤْيَاكَ عَلَى إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُوا لَكَ كَيْدًا) يمتثلوا في هلاكك حسداً لعلهم يتأولوها من أنهم الكواكب ،

الياء وعوض عنها تاء التأنيث ونقلت كسرة ما قبلها لها وفتحت الباء لمناسبة تاء التأنيث وتقول في إعرابها يحرف نداء وأبت منادى منصوب بفتحة مقدرة على ما قبل ياء التكلم للمعوض عنها تاء التأنيث (قوله والفتح) أى وأصلها

والشمس

أبى بكسر الباء وفتح الياء ففتحت الباء ثم تحركت الياء وانفتح ما قبلها قلبت ألفا لحذفت الألف

وعوض عنها تاء التأنيث وفتحت للدلالة على الألف المحذوفة وتعويض تاء التأنيث عن ياء التكلم مخففة بلنظيرين أبت وأمت وهذان الوجهان زائدان على أوجه المنادى المضاف لياء التكلم وهى خمس جميعها ابن مالك في قوله :

واجعل منادى صح إن يضاف ليا كعبد عبدى عبد عبدا عبديا فيكون في أبت وأمت سبعة أوجه يجوز منها وجهان قراءة لاغير (قوله إنى رأيت) هذه الرواية كانت ليلة الجمعة ليلة القدر وكان سنه إذ ذاك اثنتى عشرة سنة وقيل سبع سنين وقيل سبع عشرة سنة وبين هذه الرواية واجتماعه بأبيه وإخوته في مصر أربعين سنة وقيل ثمانون وقيل اثنان وعشرون وقيل ثمانية عشر وسيأتى تحقيق ذلك ، والمراد بالسجود هنا قيل الخضوع والانحناء وقيل حقيقة السجود (قوله أحد عشر كوكبا) أى وهو جريان والطارق والذبال وقابس وعمودان والفايق والمصبح والصروح والفرع ووناب وذوالكتفين قدر أى الجميع تزلزل من السماء وسجدن له ، وجريان بفتح الجيم وكسر الراء وتشديد الياء التحتية وقابس بقاف وموحدة وسين مهملة وعمودان ثنية عمود والفايق بفاء آخره قاف والمصبح اسم مفعول والفرع بفاء وراء مهملة ساكنة وعين مهملة ووناب بتشديد المثلثة وذوالكتفين ثنية كنف (قوله تأكيد) أى هذه الجملة تأكيد للجملة الأولى ويصح أن يكون قوله رأيتهم جوابا لسؤال مقترنا من قوله : إذ رأيت أحد عشر كوكبا والشمس والقمر كأن قالوا وما كيفية رؤياك فيهم فقال رأيتهم ساجدين (قوله جمع بالياء والنون) أى قوله ساجدين (قوله لا تقصص رؤياك على إخوتك) إنما ساء أبوه عن ذلك لأنه فهم من رؤياه أن الله تعالى يصطفيه لرسالته ويخوف إخوته بخاف عليه حسدهم ، ويؤخذ من ذلك أن الإنسان إذا رأى خبرا في منامه فلا يخبر به إلا حبيبا أو لييبا خبر حسود لما قيل : إن الرقيا على رجل طائر متى قصت وقت

بخلاف رؤيا السكره فلا يقصها لما في الحديث « إذا رأى أحدكم ما يحب فلا يحدث بها إلا من يحب وإذا رأى ما يكره فليقلع عن يسهه ثلاثا وليتعوذ بالله من الشيطان وشرها فانها لن تضره » (قوله والشمس أمك والقمر أبوك) حكمة تأويل أمه بالشمس لأنها يظهر منها الإقمار وهم الأنبياء وأبيه بالقمر لأن القمر يهتدى به في الظلم ، فكذلك الرسل يهتدى بهم في ظلمات الجهل والشرك والاختار بالسكواكب لأن نورهم لا يبلغ نور أيهم إما لأنهم أنبياء فقط وليسوا برسل أو أولياء فقط وليسوا بأنبياء . وما مشى عليه للفسر من أن المراد بالشمس أمه أحد قولين ، وقيل إن أمه راحيل قد ماتت وانراد بالشمس خالته ليا (قوله إن الشيطان للانسان عدو مبين) أي فيوقع الانسان في المعاصي لفرط عداوته له . واعلم أن ما وقع من إخوة يوسف معه مما يأتي في القصة باق على ظاهره ولا تأويل فيه على القول بعدم نبوتهم لأن الولي تجوز عليه المعصية ولكن لا يصير عليها يل يتوب وهؤلاء آل أمرهم لحسن التوبة ، وأما على القول بنبوتهم فهو مشكل غاية الاشكال إذ كيف يقع ذلك من الأنبياء . فأجاب العلماء عن ذلك بأن هذا مبنى على أن النبي معصوم بعد النبوة لا قبلها أو كانوا لم يبلغوا الحلم وكل هذا ليس بسديد بل الحق أن النبي معصوم ظاهرا وباطنا قبل النبوة وبعدها وإنما الجواب الذي يشق القليل ويربح العليل أن يقال إن الله أعلمهم على أن يوسف يعطى النبوة والمالك بمصر ولا يتصور ذلك إلا بهذا الفعل فهم مأمورون به باطنا مخالفون ظاهرا إذ ليسوا مشرعين فلا يكفون إلا بالخلوص بواطنهم مع ربهم ، ونظير ذلك قصة الخضر مع موسى حيث قال بعدما فعل ما فعل وما فعلته عن أمرى فهم مأمورون بحكم الباطن مخالفون بحكم الظاهر وقصة آدم في أكله من الشجرة وتقدم ما يفيد ذلك في (٢١٩) البقرة بأبلغ وجه (قوله وكذلك يجتنبك ربك) أي كما

والشمس أمك والقمر أبوك (إِنَّ الشَّيْطَانَ لِلْإِنْسَانِ عَدُوٌّ مُبِينٌ) ظاهر العداوة (وَكَذَلِكَ) كما رأيت (يَجْتَنِبُكَ) يجتارك (رَبُّكَ وَيُعَلِّمُكَ مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ) تعبير الرؤيا (وَيُؤْتِيكَ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ) بالنبوة (وَعَلَى آلٍ يَغْفُوبٌ) أولاده (كَمَا أُمِّتَ) بالنبوة (عَلَى أَبِيكَ مِنْ قَبْلُ) إبراهيم وإسحاق (إِنَّ رَبَّكَ عَلِيمٌ) بخلفه (حَكِيمٌ) في صنعه بهم (لَقَدْ كَانَ فِي) خبر (يُوسُفَ وَإِخْوَتِهِ) وهم أحد عشر (آيَاتٍ) عبر (لِلسَّائِلِينَ) عن خبرهم ، اذكر (إِذْ قَالُوا) أي بعض إخوة يوسف لبعضهم (لِيُوسُفُ) مبتدأ (وَأَخُوهُ) شقيقه بنيامين (أَحِبُّ) خبر (إِلَى أَيْنَا مَنَا وَنَحْنُ عُصْبَةٌ) جماعة (إِنَّ أَبَانَا لَنِي ضَالٌّ)

رفع منزلتك بهذه الرؤيا العظيمة يختارك ويصطفيك ربك (قوله تعبير الرؤيا) أي تفسيرها (قوله ويؤتيك نعمته عليك) أي يصل نعمته الدنيا بنعمة الآخرة (قوله وعلى آل) يعقوب (لم يقل بالنبوة إشارة للخلاف في نبوتهم

(قوله إبراهيم وإسحق) إمام بدل من أبويك أو عصف بيان عليه (قوله عليم بخلفه) أي فيصطفى من يشاء وقوله حكيم في صنعه أي فيضع الأشياء في محامها (قوله لقد كان) اللام موطنة لقسم محذوف والتقدير والله لقد كان الخ (قوله وهم أحد عشر) أي وهم يهودا وروبييل وشمعون ولاوى وريالون ويشجر وهؤلاء الستة من بنت خال يعقوب ليا ثم بعد موتها تزوج أخيها راحيل وقيل جمع بينهما ولم يكن الجمع بين الأخنتين محرما في شرعه فولدت له بنيامين ويوسف ، وأما الأربعة الباقون دان ونفثالي وجاد وآشر فمن صريين زلفة وبلهة (قوله آيات للسائلين) أي وغيرهم ففيه اكتفاء وذلك أن اليهود لما سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم عن قصة يوسف ، وقيل سألوا عن انتقال أولاد يعقوب من أرض كنعان إلى أرض مصر فذكر لهم تلك القصة فوجدوها مطابقة لما في التوراة وحينئذ فهي من دلائل نبوته صلى الله عليه وسلم حيث قص عليهم تلك القصة بأبلغ وجه مع كونه لم يسبق له تعلم من أحد ولا قرأ ولا كتب (قوله ليوسف) اللام موطنة لقسم محذوف (قوله بنيامين) بكسر الباء وفتحها وهو أصغر من يوسف (قوله أحب خبر) أي عن يوسف وأخوه ولم تحصل المطابقة لأنه اسم تفضيل مجرد وهو يلزم التذكير والتوحيد قال ابن مالك : وإن لم تذكر يصف أو مجردا ألزم تذكيرا وأن يوحد

وأحب مصوغ من حب المبني للفعول وهو سماحي ولوجاء على القياس لتوصل إليه بأشد . قال ابن مالك :

وأشد أو أشد أو شبهما يخلف ما بعض الشروط عدما

واعلم أن مادة الحب والبغض إذا بني أفعل التفضيل منها تعدى للفاعل بالي وللفعول باللام أو بنى والآية الكريمة من الأول فإن الأب هو فاعل المحبة وإذا قلت زيد أحب لي من عمرو وأحب في منه كان معناه أنه زيدا يحبني أكثر من عمرو (قوله ونحن عصابة)

الجملة حالية والعصبة قبل من العشرة إلى الأربعين وقيل من ثلاثة إلى عشرة وقيل من عشرة إلى خمسة عشر وقيل غير ذلك (قوله خطأ) أى فى أمر الدنيا وما يصلحها لأننا أشد قوة وأكبر سنا وأكثر منفعة من يوسف فلم آثره علينا فى الجملة إن هذا خطأ بين وليس المراد الخطأ فى الدين فإن اعتقاده كفر (قوله بإشارها) أى تقديمهما (قوله اقتلوا يوسف الخ) إنما قالوا ذلك لأن جبر للناس بلغهم فتشاوروا فى كيدهم بين أحد أمرين إما قتله أو تعذيبه بأرض بعيدة (قوله أى بأرض) أشار بذلك إلى أن قوله أرضاً منصوب على نزع الخافض ويصح نصبه على الظرفية لأن المقصود أى أرض بعيدة (قوله وجه أيكم) أى قلبه والمعنى لا يكون لكم منازع فى محبته فيكم حينئذ (قوله بأن تتوبوا) أى تصالحوا دينكم بعد هذه الفعلة (قوله قال قائل) هذا رأى ثلث أرفق بيوسف مما تقدم من الخصاتين (قوله هو يهودا) بدال مهمل وأصله بالعبرانية بالمجعة لكن لما استعملته العرب أهملته وكان أكبرهم سنا وأحسنهم رأياً وقيل القائل روبييل (قوله فى غيايت الحب) الغياية الشئ المظلم والحب البر الذى لم تلو ، والمعنى اطرحوه فى قعر البئر للظلم. وكان بأرض بيت المقدس وقيل بالأردن وقيل على ثلاثة فراسخ من منزل يعقوب (قوله يلتقطه بعض السيارة) أى لأن هذا الحب كان يرد عليه كثير من (٣٢٠) المسافرين (قوله فاكتفوا بذلك) قدره إشارة إلى أن جواب الشرط محذوف

(قوله قالوا يا أبانا) هذا مرتب على محذوف وذلك أنهم قالوا أولاً ليوسف اخرج معنا إلى الصحراء إلى مواشىنا فنسبق ونصيد وقالوا له سل أباك أن يرسلك معنا فسأله فتوقف يعقوب فقالوا مالك الخ ، والمعنى أى شئ نبت لك فى عدم أمننا (قوله تأمنا) اتفق القراء على إخفاء النون الساكنة عند النون المتحركة واتفقوا أيضاً على إدغامها مع الاشتمام كما فى الخطيب ومن الشواذ ترك الإدغام

خطأ (مبين) بين بإشارها علينا (أقتلوا يوسف أو أطرحوه أرضاً) أى بأرض بعيدة (يخجل لكم وجه أيكم) بأن يقبل عليكم ولا يلتفت لغيركم (وتكفونوا من بعده) أى بعد قتل يوسف أو طرحه (قوماً صالحين) بأن تتوبوا (قال قائل منهم) هو يهودا (لا تقتلوا يوسف وألقوه) اطرحوه (فى غيايت الحب) مظلم البئر وفى قراءة بالجمع (يلتقطه بعض السيارة) المسافرين (إن كنتم فاعلين) ما أردتم من التفريق فاكتفوا بذلك (قالوا يا أبانا مالاً لا تأمنا على يوسف وإنا له لنا محزون) لقائمون بمصالحه (أرسله معنا غداً) إلى الصحراء (ترتع وتلعب) بالنون والياء فهما نشط وتسع (وإنا له لحافظون) قال إني ليحزنني أن تذهبوا (أى ذهابكم) لفرقه (وأخاف أن يأكله الذئب) المراد به الجنس وكانت أرضهم كثيرة الذئاب (وأنتم عنه غافلون) مشغولون (قالوا لئن) لام قسم (أكله الذئب ونحن عصبة) جماعة (إنا إذا لخاسرون) عاجزون ، فأرسله معهم (فلما ذهبوا به وأجمعوا) عزموا (أن يحملوه فى غيايت الحب) وجواب لما محذوف أى فعلوا ذلك بأن نزعوا قبيصه بعد ضربه وإهانتته وإرادة قتله وأدلوه فلما وصل إلى نصف البئر ألقوه ليوت فسقط فى الماء

كما فى أبى السعود (قوله لقائمون بمصالحه) أى لم يطفون عليه حافظون له (قوله غدا) منصوب على الظرفية ثم والغد اليوم الذى بعد يومك (قوله بالنون والياء فهما نشط وتسع) أى فى ترتع وتلعب وهما قراءتان سبعيتان والترتع التمتع فى أكل الفواكه ونحوها واللعب بالاستباق والاتصال تمرينا لقتال الأعداء وهو غرض صحيح مباح لمصافيه من تعلم الحاربة والاقدام على العدو (قوله ليحزننى) الحزن ألم القلب بفراق المحبوب (قوله وأخاف أن يأكله الذئب) بالهمز وتركه قراءتان سبعيتان وسبب خوفه أنه كان رأى فى المنام أن ذنباً تعرض ليوسف فكان يخاف عليه الذئب (قوله قالوا لئن أكله الذئب) هذا جواب عن عذره الثانى وهو قوله وأخاف أن يأكله الذئب وأما الأول وهو قوله إني ليحزننى الخ فلم يجيبوا عنه لأن غرضهم حصوله (قوله ونحن عصبة) الجملة حالية (قوله عاجزون) أى فالحسرة مجاز عن الضعف والعجز لأنه يشبهه (قوله فلما ذهبوا به) تقدم أنه كان بين ذهابهم به واجتماعه بأبيه أربعين سنة وقيل ثمانون سنة لم تحف فيها عيني يعقوب (قوله بأن نزعوا قبيصه الخ) روى أنهم لما برزوا به إلى الصحراء أخذوا يؤذونه ويضربونه حتى كادوا يقتلونه قصار يصيح ويستغيث فقال يهودا أماعهدتوني على أن لا تقتلوه فأتوا به إلى البئر فدلوه فيها فعلق بشفيرها ونزعوا قبيصه ليلطخوه بالدم ويحتالوا به على أيهم فقال يا اخوتاه ردوا على قبيصى أتارى به فتعزوا له ادع الأخد عشر كوكا والشمس والقمر يلبسونك ويؤنسونك وفى التخصيص أن إبراهيم عليه السلام حين ألقى فى النار

جاء عن نبيه فأتاه جبريل عليه السلام بميص من جرير الجنة فألبسه إياه فدفعه إبراهيم إلى إسحاق ودفعه إسحاق إلى يعقوب فجعله في قبة من فضة وجعلها في عنق يوسف فألبسه لللك إياه حين ألقى في الحب فأضاء له الحب وسيأتي أنه القمص الذي أرسله مع البشير بأمر جبريل وأخبره أنه لا يلقى على مبتلى إلا عوفى (قوله ثم أدى إلى صخرة) أي جاء له بها لللك فأجلسه عليها ، قال الحسن لما ألقى يوسف في الحب عذب ماؤها فكان يغنيه عن الطعام والشراب ودخل عليه جبريل فأنس به فلما أمسى نهض ليذهب فقال إنك إذا خرجت استوحشت فقال إذا رهبت من شيء فقل : يا صريح المستصرخين ويا غوث المستغيثين ويا مفرج كرب الكرويين قد ترى مكاني وتعلم حالي ولا يخفى عليك شيء من أمري فلما قالها يوسف حفته الملائكة واستأنس في الحب وفرج الله عنه بخروجه من ليلته ، وقيل إنه مكث في الحب ثلاثة أيام فكان إخوته يرعون حوله وكان يهودا يأتيه بالطعام (قوله أو دونها) قيل خمسة عشر ، قيل اثني عشر وقيل سبعة (قوله لتنبئهم) أي كما سيأتي في قوله وجاء إخوة يوسف فدخلوا عليه الآية (قوله عشاء) أي ليكونوا في الظلمة ليقبل اعتذارهم فلما بلغوا منزل يعقوب جعلوا يبكون ويصرخون فسمع أصواتهم ففرغ من ذلك وسألهم فأجابوه (٢٢١) بما ذكر (قوله وما أنت بمؤمن لنا الخ) في هذا الكلام

فتح باب اتهام لهم كما لا يخفى (قوله لاتهمتنا الخ) قدره للفسر إشارة إلى أن لو شرطية وجوابها محذوف والأسهل من هذا جعل الواو حالية ولو زائدة والتقدير وما أنت بمؤمن لنا والحال أنا كنا صادقين في نفس الأمر (قوله محله نصب) أي فعلى طرف بمعنى فوق (قوله أي ذى كذب) أشار بذلك إلى أن وصف الدم بالكذب على حذف مضاف

ثم أدى إلى صخرة فنادوه فأجابهم بظن رحمتهم فأرادوا رضخه بصخرة فنعهم يهودا (وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِ) في الحب وحى حقيقة وله سبع عشرة سنة أو دونها تطميناً لقلبه (لَتُنَبِّئَنَّهُمْ) بعد اليوم (بِأَمْرِهِمْ) بصنيعهم (هَذَا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ) بك حال الإنباء (وَجَاءُوا أَبَاهُمْ عِشَاءً) وقت المساء (يَبْكُونَ) قَالُوا يَا أَبَانَا إِنَّا ذَهَبْنَا نَسْتَبِقُ (نَرَى) (وَتَرَكْنَا يُوسُفَ عِنْدَ مَتَاعِنَا) ثيابنا (فَأَكَلَهُ الذَّنْبُ وَمَا أَنْتَ بِمُؤْمِنٍ) بمصدق (لَنَا وَلَوْ كُنَّا صَادِقِينَ) عندك لاتهمتنا في هذه القصة لحبة يوسف فكيف وأنت تسيء الظن بنا (وَجَاءُوا عَلَى قَيْصِهِ) محله نصب على الظرفية أي فوقه (بِذَمِّ كَذِبٍ) أي دى كذب بأن ذبحوا سحلة ولطخوه بدمها وذهلوا عن شقه وقالوا إنه دمه (قَالَ) يعقوب لما رآه صحيحاً وعلم كذبهم (بَلْ سَوَّلَتْ) زينت (لَكُمْ أَنْفُسُكُمْ أَمْراً) فعملتموه به (فَصَبَّرْ جَمِيلٌ) لاجزع فيه وهو خير مبتد محذوف أي أمرى (وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ) المطلوب منه العون (عَلَى مَا تَصِفُونَ) تذكرون من أمر يوسف (وَجَاءَتْ سَيَّارَةٌ) مسافرون من مدين إلى مصر فنزلوا قريباً من جب يوسف (فَأَرْسَلُوا وَارِدَهُمُ) الذي يرد الماء ليستقي منه ،

ويصح أن يكون مباله على حد زيد عدل (قوله سحلة) هي الصخرة من الغنم (قوله وذهلوا عن شقه) أي عن تزيقه لأن العادة أن الذئب إذا أكل الإنسان يشق قيصه وقد ذهلوا عن هذه الحيلة كي لاتم لهم (قوله لما رآه صحيحاً) روى أنه قال ما أحلم هذا الذئب يأكل ابني ولا يقدر قيصه وقيل إنهم أتوه بذئب وقالوا هذا أكله فقال يعقوب أيها الذئب أنت أكلت ولدي وثمرة فؤادي فأطلقه فقه قال والله ما أكلت ولدك ولا رأيته قط ولا يحل لنا أن نأكل لحوم الأنبياء فقال له يعقوب فكيف وقت بأرض كنعان فقال جئت لصلة الرحم فأخذوني وآتوا بي إليك فأطلقه يعقوب (قوله بل سولت) أي سهلت لكم أنفسكم أمراً عظيماً فعملتموه بيوסף وهو قومه في أعينكم (قوله لاجزع فيه) فسر المفسر الصبر الجميل بأنه الذي لاجزع فيه والأولى أن يفسره كما في الحديث بأنه الذي لا شكوى فيه لغير الله وأما الهجر الجميل فهو الذي لا إيذاء معه وأما الصفح الجميل فهو الذي لا عتاب بعده وقد تحقق بجميعها كل من يوسف ويعقوب (قوله المطلوب منه العون) أي فالسين والتاء للطلب (قوله على ما تصفون) أي على تحمل السكاره التي تذكرونها في أمر يوسف (قوله وجاءت سيارة) جمع سائر أي مسافر سموا بذلك لسيرهم في الأرض (قوله من مدين إلى مصر) أي فأخطأوا الطريق ونزلوا بأرض قفراء قرباً من الجب (قوله فأرسلوا) ذكر باعتبار للنبي ولورايه اللفظ فقال فأرسلته وأردها (قوله وأردهم) وهو مالك بن ذعر الحزمي وهو من أهل مدين

(قوله فأدلى دلوه) يقال أدلى بالهمزة إذا أرسل الدلو في البئر ودلاه بالتضخيف إذا نزع الدلو مؤثلاً وقد يذكر (قوله فأخرجه) أي بعد أن مكث فيها ثلاثة أيام على ما قبل ولما أخرج صارت جذران البئر تبكي عليه (قوله قال يا بشرى) منادى مضاف لياه للتكلم (قوله وفي قراءة) أي وهي سبعة أيضاً (قوله وندأوها مجازاً) أي لتزييلها منزلة العاقل (قوله هذا غلام) التنكير للتعظيم لأنه كان عليه السلام حسن لوجه أجمع أشعر بضم العينين مستوى الخلق أبيض اللون غليظ الساعدين والعضدين والناسقين حميص البطن صغير السرة وكان إذا تقدم ظهر النور من ضواحه وإذا تكلم ظهر من ثناياه وبالجملة لم يكن أحسن منه إلا سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم فإن يوسف أعطى شطر الحسن ورسول الله أعطى الحسن كاملاً . قال البوصيري :

منزه عن شريك في محاسنه فجوهز الحسن فيه غير منتقم إن قلت إذا كان كذلك فلم لم تقتن النساء بجمال محمد النبي صلى الله عليه وسلم كما اقتن بجمال يوسف . أجيب بأن جمال محمد قد ستره الله بالجلال كالشمس لا يستطيع أحد أن يتأمل فيها إذا قرب منها ولذلك لم ترو الشمال الشريف إلا عن صغار الصحابة كالحسن والحسين وعبد الله بن عمر وغيرهم لاعتن كبارهم لقيام الجلال بقلوبهم فيمنعهم من وصفه وأما جمال يوسف فهو ظاهر لم يستتر بجلال كالبدر فينشد يتأمل فيه المتأمل ويصفه الواصف غير أنه يعجز عن استيعاب محاسنه ، ومن هذا المعنى قول ابن الفارض :

لو أسمعوا يعقوب بعض ملاحه في وجهه نسي الجمال الیوسنی (قوله تعلم به إخوته) أي حين نظروا إلى القافله واجتماعها على البئر فأتوهم وقد (٢٢٢) ظنوا موت يوسف فأروه أخرج حيا فضر به وشتموه وقالوا هذا عبد

أبق منا فان أردتم بعناه لكم ثم قالوا له بالعبرانية لانسكر العبودية فتلك فاقتر بها فاشتره مالك ابن ذعر الخزاعي (قوله وأسرؤه) أي أخذوا أمره جاعليه (بضاعة) بأن قالوا هذا عبدنا أبق وسكت يوسف خوفاً أن يقتلوه (وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِمَا يَصْمَلُونَ . وَشَرَّوْهُ) باعوه منهم (بِشْتَيْنِ بَخْسٍ) ناقص (دَرَاهِمَ مَعْدُودَةٍ) عشرين أو اثنين وعشرين (وَكَاثُوا) أي إخوته (فِيهِ مِنَ الزَّاهِدِينَ) فجاءت به السيارة إلى مصر فباعه الذي اشتراه بعشرين ديناراً وزوجى نمل وتوین (وَقَالَ الَّذِي اشْتَرَاهُ مِنْ مِصْرَ) وهو قبطير العزيز (لِأَمْرَاتِهِ) ،

(فَأَدْلَى) أرسل (دَلْوَةً) في البئر فتعلق بها يوسف فأخرجه فلما رآه (قَالَ يَا بُرْسَى) وفي قراءة بشرى وندأوها مجازاً أي احضرى فهذا وقتك (هَذَا غُلَامٌ) فلم به إخوته فأتوهم (وَأَسْرَوْهُ) أي أخذوا أمره جاعليه (بِضَاعَةً) بأن قالوا هذا عبدنا أبق وسكت يوسف خوفاً أن يقتلوه (وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِمَا يَصْمَلُونَ . وَشَرَّوْهُ) باعوه منهم (بِشْتَيْنِ بَخْسٍ) ناقص (دَرَاهِمَ مَعْدُودَةٍ) عشرين أو اثنين وعشرين (وَكَاثُوا) أي إخوته (فِيهِ مِنَ الزَّاهِدِينَ) فجاءت به السيارة إلى مصر فباعه الذي اشتراه بعشرين ديناراً وزوجى نمل وتوین (وَقَالَ الَّذِي اشْتَرَاهُ مِنْ مِصْرَ) وهو قبطير العزيز (لِأَمْرَاتِهِ) ،

زليخاء

قلوا إنه بضاعة استبضعناه لبعض أهل الماء

لتبيعه لهم بمصر وإنما قالوا ذلك خيفة أن يطلبوا منه الشركة فيه ، وقوله جاعليه حال من فاعل أسروه ، وقوله بضاعة معمول لتلك الحال وهذا في الحقيقة وأما بحسب الظاهر فهو حال من الواو في أسروه ، ومعنى قوله بضاعة أنه ملك للغير أعطوه له ليبيعه لهم ويصح أن يعود الضمير على الاخوة ويكون معنى البضاعة الشيء المتمول الذي يباع ويشري وعليه درج الفسر (قوله بما يعملون) أي من العمل الذي ظاهره قبيح وباطنه حسن حيث ترتب عليه من الأضرار والفوائد العظيمة ما لا يدخل تحت حصر وهذا تعليم من الله لعباده التفويض والتسليم له في شأن إخوة يوسف والمعنى لا تخش أيها السامع في شأنهم بسوء فإن الله عليم بما يعملون (قوله باعوه) أي إخوته ، وقوله منهم أي السيارة والمعنى باعه إخوته للسيارة أي لبعضهم وهو مالك بن ذعر الخزاعي (قوله ناقص) أي عن قيمته لو كان رقيقاً وقيل إن البخش معناه الحرام لأنه ممن حر وهو حرام (قوله معدودة) أشار بذلك إلى أنها قليلة لأنهم كانوا لا يزنون ما قبل عن أر بعين درهماً يأخذونها عدداً ويزنون ما بلغها وهو أوقية (قوله أي إخوته) ويصح أن يعود الضمير على السيارة وإنما زهدنا فيه لحوفهم منه حيث وصف لهم بالأباق (قوله الذي اشتراه) أي وهو مالك بن ذعر الخزاعي (قوله بعشرين ديناراً الخ) وقيل لما عرض للبيع ترفع الناس في ثمنه حتى أبلغ وزنه ذهباً وقيل فضة وقيل مسكاً وقيل حريراً وكان وزنه أر بمائة رطل (قوله وهو قبطير العزيز) أي وكان وزيراً للريان ملك مصر وقد آمن بيوسف ومات في حياته وقد اشتراه العزيز وهو ابن سبع عشرة سنة ومكث يوسف في منزله ثلاث عشرة سنة واستوزره الریان وهو ابن ثلاثين سنة وآناه الله الحكمة والهدى وهو ابن ثلاث وثلاثين سنة وتوفي وهو ابن مائة وعشرين سنة

(قوله زليخاء) بفتح الزاي وكسر اللام وللدَّ أو بضم الزاي وفتح اللام (قوله عسى أن ينفعنا) أى يكفينا بعض أمورنا إذا قرى وبلغ أو يرج إذا أردنا بيعه (قوله أو نتخذها ولدا) أى نثنيه أو مائة خلوة تجوز الجمع وهو المقصود لهما (قوله وكان حصورا) أى لا يأتى النساء أو عقبا (قوله وكذلك) إلى قوله نجزى المحسنين معترض بين وصية العزيز وما وقع من زوجته (قوله من القتل) أى الذى عزم عليه إخوته وقوله والجلب أى الذى رموه فيه (قوله وعطفنا عليه قلب العزيز) أى خلقنا فيه لابل والمحبة حيث دفع فيه اللال الكثير وأوصى زوجته عليه (قوله مكنا ليوسف) أى أعطيناه مكانة ورتبة عالية فى الأرض (قوله حتى بلغ ما بلغ) أى من السلطنة والعز (قوله لئلا يهلكه) إمامن الملك بكسر الميم أى نجعله مالكا لما فيها أو من الملك بضمها أى نجعله سلطانا على أهلها (قوله أو الواو زائدة) أى والمعنى مكنا ليوسف فى الأرض لتعلمه الخ (قوله لا يعجزه شيء) أى لأنه يحكم ما يشاء ويفعل ما يريد فلا راد لما قضاه (قوله ولما بلغ أشده) جمع شدة كنعمة وأنعم ولم يقل هنا واستوى كما قال فى حق موسى لأن موسى بلغ الأربعين وهى سن النبوة فقد استوى وتمهيد لحل أمرار النبوة وأما يوسف فلم يكن إذ ذاك بلغ هذا السن (قوله حكمة) هى العلم مع العمل (قوله وعلمنا) عطف عام (قوله كما جزيناه) أى بكل خير (قوله نجزى المحسنين) أى فاعلى الاحسان والمعنى لخصوصية ليوسف بذلك بل سنة الله فى خلقه أن كل محسن له من الله الجزاء الحسن (قوله ورأودته) هذه الآية مرتبطة بقوله - وقال (٢٢٣) الذى اشتراه من مصر - الخ

ولما بينهما اعتراض قصد به بيان عواقب صبر يوسف من السيادة والخير العظيم والمرادة مفاعلة وهى فى الأصل تكون من الجانبين ولكنها هنا من جانب واحد ولما كان الجانب الآخر سببا فى حصول الفعل نزل مرثته فقيل فيه مفاعلة وذلك أن جمال يوسف سبب لميلها وطلبها له ، فالمفاعلة ليست على بابها

زليخاء (أَكْرِمِي مَثْوَاهُ) مقامه عندنا (عسى أن ينفعنا أو نتخذها ولدا) وكان حصورا (وكذلك) كما نجيناها من القتل والجلب وعطفنا عليه قلب العزيز (مكنا ليوسف فى الأرض) أرض مصر حتى بلغ ما بلغ (ولنعلمه من تأويل الأحاديث) تعبير الرؤيا عطف على مقدر متعلق بمكنا أى لئلا يهلكه أو الواو زائدة (والله غالب على أمره) تعالى لا يعجزه شيء (ولكن أكثر الناس) وهم الكفار (لا يعلمون) ذلك (ولما بلغ أشده) وهو ثلاثون سنة أو وثلاث (آتيناه حكما) حكمة (وعلمنا) فقها فى الدين قبل أن يبعث نبيا (وكذلك) كما جزيناه (نجزى المحسنين) لأنفسهم (ورأودته التى هو فى بيتها) هى زليخاء (عن نفسه) أى طلبت منه أن يواقعها (وغلقت الأبواب) للبيت (وقالت) له (هيت لك) أى هلم واللام للتبيين وفى قراءة بكسر الهاء وأخرى بضم التاء (قال معاذ الله) أعوذ بالله من ذلك (إنه) أى الذى اشتراى (ربى) سيدى

نظير مداواة المريض ون سبب المداواة الرض انقائم بالمريض (قوله هى زليخاء) أى ولم يصرح باسمها استهجانا له وسترا وتعلما للأدب كأن الله يقول من الآداب أن لا يذكر أحد زوجته باسمها بل يكنى عنها ولم يذكر فى القرآن اسم امرأة إلا مريم وتقدم الجواب عنه بأن النصارى زعموا أنها زوجة الله فذكرها باسمها ردا عليهم كأنه يقول : إن أحدكم يستنكف عن ذكر اسم زوجته بين الناس فلو كانت زوجة له كما زعمون لكنى عنها كما يكنى الرجل عن زوجته (قوله أى طلبت منه) أشار بذلك إلى أن المرادة من جانبها فقط (قوله وغلقت الأبواب) أى وكانت سبعة (قوله هيت لك) أى بفتح الهاء والتاء ككيف (قوله وفى قراءة بكسر الهاء) أى مع فتح التاء كقيل وقوله وأخرى بضم التاء أى مع فتح الهاء كحيث فهذه ثلاث قراءات وبقى قراءتان وهما هت بكسر الهاء وبهزمة الساكنة وفتح التاء أو ضمها وكلاهما سبعة (قوله واللام للتبيين) أى تبين المفعول الذى هو المخاطب كأنها تقول الخطاب لك نظير سقيالك ورعيالك (قوله معاذ الله) منصوب على أنه مصدر نائب عن الفعل ، والأصل أعوذ بالله معاذا كسبحان الله بمعنى أسبح الله (قوله إنه ربى) الهاء اسم إن وربى خبرها وأحسن جملة حالية أو خبر ثان وما درج عليه للمفسر من أن الضمير للحال والشأن^(١) ومراده بربه الذى اشتراه ، قد تفسرين والآخر أن الضمير يعود على الله تعالى وهو الأقرب والأظهر .

(١) قوله الضمير للحال والشأن لابن سببه الإعراب الذى قبله وعبرة الجلال بعيدة من ذلك له .

(قوله أحسن منواي) نهدي حيث أمرنا بكرامى فلا يلبق منى أن أخونه وفيه إرشاد لها إلى رعاية حق العزيز بلطف
(قوله قصدت منه الجماع) أى مع العزم والتصميم (قوله قصد ذلك) أى بمقتضى الطبع البشرى من غير رضا ولا تصميم كبل
الصائم لئلا يبارد ولكن يمنعه دينه عنه ، وهذا لا يؤاخذ به الانسان بل في مبادعته الثواب الجزيل والأجر الجليل ، فخالفة
النفس عن شهواتها مع وجود ميل الطبع أعلى وأجل من تركها لعدم الميل لها ، ولذا يباهى الله بالشاب التارك لشهواته
للائكة الكرام قال تعالى - وأما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى فإن الجنة هي المأوى - (قوله قال ابن عباس الخ)
أى وفي رواية : أنه انخرج سقف البيت فرأى يعقوب عاضا على أصبعه ، وفي رواية : أنه نودي يا يوسف أتواقعا إنما ذلك مالم
تواقعا مثل الطير في جوف السماء لا يطاق عليه وإنما مثلك إن واقعتها مثل الطير إذا وقع على الأرض لا يستطيع أن يدفع عن
نفسه شيئا ومثلك مالم تواقعا مثل الثور الصعب الذى لا يطاق ومثلك إذا واقعتها كمثلها إذا مات ودخل الفحل في قرنه لا يستطيع
أن يدفع عن نفسه وبالجملة فقد كثرت عليه الواردات في هذا الشأن (قوله وجواب لولا لجامعها) أى فيكون المعنى امتنع
جماعه لما لرؤيته برهان ربه وقيل إن قوله وهم بها هو الجواب والمعنى ولولا أن رأى برهان ربه لم بها أى امتنع همه بها لرؤيته
برهان ربه فلم يقع منه هم أصلا وحينئذ فالوقف على قوله ولقد همت به وهذا هو الأحسن في هذا المقام لخلاؤه من الكافة والشبهة
(قوله كذلك أريناه الخ) أشار (٢٢٤) بذلك إلى أن الكاف مع مجرورها في محل نصب معمول لمحذوف وقوله

لنصرف متعلق بذلك
المحذوف (قوله المحاصرين
في الطاعة) أى الذين
لا يشركون في طاعته
غيره (قوله وفي قراءة)
أى وهى سبعة أيضا (قوله
بفتح اللام) أى اسم
مفعول من أخلصه أى
اجتنبه واختاره (قوله
واستبنا الباب) حكمة
إفراء الباب هنا وجمعه
تقتم أنها لم تتمكن من
من الراودة إلا بعد غاى

(أَحْسَنَ مَنَوَايَ) مقامى فلا أخونه في أهله (إِنَّهُ) أى الشأن (لَا يَفْلَحُ الظَّالِمُونَ)
الزناة (وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ) قصدت منه الجماع (وَهُمْ بِهَا) قصد ذلك (لَوْلَا أَنْ رَأَى بُرْهَانَ
رَبِّهِ) قال ابن عباس مثل له يعقوب فضرب صدره فخرجت شهوته من أنامله وجواب لولا
لجامعها (كَذَلِكَ) أريناه البرهان (لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ) الخيانة (وَالْفَحْشَاءَ) الزنا (إِنَّهُ
مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ) في الطاعة وفي قراءة بفتح اللام أى المختارين (وَأَسْتَبْنَأُ الْبَابَ) بادر
إليه يوسف للفرار وهى للتشبث به فأمسكت ثوبه وجذبت به إليها (وَقَدَّتْ) شقت (قَيْصُهُ مِنْ دُبُرٍ
وَأَلْفِيًا) وجدا (سَيِّدَهَا) زوجها (لَدَى الْبَابِ) فترزت نفسها ثم (قَالَتْ مَا جَزَاءُ مَنْ أَرَادَ بِأَهْلِكَ
سُوءًا) زنا (إِلَّا أَنْ يُسَجَّنَ) يجبس أى سجن (أَوْ عَذَابٌ أَلِيمٌ) مؤلم بأن يضرب (قَالَ) يوسف متبرئاً
(هِيَ رَاوَدَتْنِي عَنْ نَفْسِي وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِنْ أَهْلِهَا) ابن عمها روى أنه كان في المهد قتال (إِنْ كَانَ
قَيْصُهُ قَدْ مِنْ قَبْلِ) قدام (فَصَدَقَتْ وَهُوَ مِنَ الْكَاذِبِينَ . وَإِنْ كَانَ قَيْصُهُ قَدْ مِنْ دُبُرٍ)

تلك الأبواب وأما فراره وتسابقهما فلم يكن إلا عند باب من تلك الأبواب إن قلت مة مضى قوة الرجولية
أنه يسبقها ولم يقع عائق . أجب بأن الذى عاقه عن السبق إنما هو الاشتغال بفتح الأبواب (قوله للتشبث) أى التعلق (قوله
فأمسكت ثوبه) أى وقطعت منه قطعة بقيت في يدها (قوله لدى الباب) أى البرانى الأقصى (قوله فترزت نفسها) أى بادرت بذلك
(قوله ماجزاء من أراد الخ) ما يحتمل أن تكون نافية أو استفهامية ومن إماموصولة أو نكرة موصوفة (قوله إلا أن يسجن أو عذاب
أليم) فى ذلك إشارة لطيفة إلى أن زليخا لشدة حبها ليوسف بدأت بذكر السجن لحفته وأخرت العذاب لذته لأن الحب لا يسي
فى إيلام المحبوب وأيضاً فإن قولها إلا أن يسجن فيه إشارة إلى أنها أرادت تخفيف السجن وإلا فلو أرادت التطويل والتعذيب
بالسجن ل قالت إلا جعله من السجونين كما قال فرعون لموسى لا تجعلك من السجونين (قوله قال هى راودتنى الخ) إنما قال ذلك
لكونها اتهمته وإلا فلا سكت لما كان يوسف متكلماً بهى . من ذلك (قوله من أهلها) أى ليكون أقوى فى نفي التهمة عن يوسف
وهى منفية عنه بأمور منها أنه خرج هارباً والطالب لا يهرب ومنها كونها متزينة بأكل الوجوه ومنها شقها للقميص من خلف
(قوله ابن عمها) وقيل ابن خالها (قوله روى أنه كان فى المهد) أى فى الأحاديث الصحيحة وهو أحد قولين وقيل كان كبيراً حكماً وكان
فى ذلك الوقت جالساً مع الملك فلما أخرج الباب وحصل منهما ما حصل قال إن كان الخ فكان ذلك على سبيل الفتيا (قوله إن كان قيسه الخ)
إن قلت إن قد القميص أمر ثابت من قبل فلا معنى للتتابع هنيه والجواب أن يقال إن المعنى إن ثبت أن قيسه قد من قبل الخ (قوله قصدت)

الكلام على قدره لتصحيح دخول الفاء في الجواب لأن جواب الشرط لا يثرن بالفاء إلا إذا كان لا يصلح لمباشرة الأدلة وهذا ما ضمنتصرف يصلح لمباشرتها (قوله إن كيدك عظيم) أي فيما يتعلق بأمر الجماع والشهوة وإلا فالرجال أعظم في الحيل والكابدين والغاوص كيد النساء بالعظم وكيد الشيطان بالضعف لأن كيد النساء أقوى بسبب أنهن حبايل الشيطان فكيدهن مقرون بكيد الشيطان فهما كيدان بخلاف كيد الشيطان دونهن فكيد واحد ، ولذا قال بعضهم : أنا أخاف من النساء أكثر مما أخاف من الشيطان لأن الله تعالى يقول : إن كيد الشيطان كان ضعيفا وقال في حق النساء : إن كيدك عظيم (قوله واستغفري لذنبك) إن قلت لهم قوم مشركون فلا يعرفون ذنبا مع خالقهم فما الذنب الذي يطلب الاستغفار منه ؟ . أجب بأن المراد بالذنب حياتها وزوجها وفي هذا إشارة إلى أن العزيز قليل الغيرة ، ولذا قال بعضهم : إن تربة مصر تقتضي ذلك ولذا لا يشأ فيها الأسد ولودخل فيها لا يبقى (قوله الآمين) أي برى يوسف وهو برىء (قوله واشتهر الخبر) قبحه إشارة إلى أن قوله وقال نسوة مرتب على محذوف وهذا الاشتهار منها وذلك أنها أخبرت بعض النساء بذلك وأمرتهن بالسكتم فلم يكتمن (قوله وقال نسوة في المدينة) اختلف في عدتهن فقبل خمس وقيل أربعون وجمع بينهما بأن أصل الاشاعة كان من خمس وهن امرأة صاحب الملك وامرأة صاحب دوابه وامرأة خبازه وامرأة ساقيه وامرأة صاحب سجنه ، ونسوة (٢٢٥) اسم جمع لا واحدا من لفظه (قوله امرأة العزيز) مبتدأ وقوله

خلف (فَكَذَّبَتْ وَهَوَّ مِنَ الصَّادِقِينَ . فَلَمَّا رَأَى) زوجها (قَبِيصَهُ قَدْ مِنْ دُبُرٍ قَالَ إِنَّهُ) أي قولك ماجزاء من أراد الخ (مِنْ كَيْدِكُنْ إِنَّ كَيْدَكُنْ) أيها النساء (عَظِيمٌ) ثم قال يا (يُوسُفُ أَعْرِضْ عَنْ هَذَا) الأمر ولا تذكره لثلاثي (وَأَسْتَغْفِرِي) يا زليخا (لذَنبِكِ إِنَّكِ كُنْتِ مِنَ الْخَاطِئِينَ) الآمين ، واشتهر الخبر وشاع (وَقَالَ نِسْوَةٌ فِي الْمَدِينَةِ) مدينة مصر (أَمْرَاتُ الْعَزِيزِ يُرَاوِدُ فَتَاهَا) عبدها (عَنْ نَفْسِهِ قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا) تميز أي دخل حبه شغاف قلبها أي غلافه (إِنَّا لَنَرَاهَا فِي ضَلَالٍ خَطِئٍ) بين مجبها إياه (فَلَمَّا سَمِعَتْ بِمَكْرِهِنَّ) غيبتن لها (أَرْسَلَتْ إِلَيْهِنَّ وَأَعْتَدَتْ) أعدت (لَهُنَّ مَتَكًا) طعاما يقطع بالسكين للاتكاء عنده وهو الأترج (وَأَتَتْ) أعطت (كُلَّ وَاحِدَةٍ مِنْهُنَّ سِكِّينًا وَقَالَتْ) ليوسف (أَخْرِجْ عَلَيْنَ فَلَمَّا رَأَيْنَهُ أَكْبَرْتَهُ) أعظمته (وَقَطَعْنَ أَيْدِيَهُنَّ) بالسكاكين ولم يشعن بالألم لشغل قلبهن بيوسف (وَقُلْنَ حَاشَ لِلَّهِ) تنزيها له (ما هذا) أي يوسف (بَشَرًا

العزيز) مبتدأ وقوله تراود فتاها خبر أول وقوله : قد شغفها حبا خبر ثان وحبا تمييز محذوف عن الفاعل والأصل قد شغف حبه قلبها (قوله فتاها) الفتى هو الشاب القوى (قوله أي دخل حبه شغاف قلبها) الشغاف جلد رقيقة على القلب تمنع أذى الطعام والشراب عن القلب وحينئذ يكون المعنى أن حبه خرق لك الجلد ووصل للقلب

وسكنه ، وقيل إن معنى شغفها صار محيطا بقلبها كما يحيط الشغاف بالقلب حتى لا تكاد تنظر لغيره (قوله خطامين) أي حيث تركت ما يليق بها من العفة والستر وأحببت غير زوجها (قوله بمكرهن) أي حديثهن ، ومكر لأنهن طلبن بذلك رؤية يوسف لأنه قد وصف لهن حسنه وجماله فتعلقن به وأحببن أن يرينه (قوله غيبتن) إنما سميت الغيبة مكرًا لإخفائها عن القناب كما يخفى للسكر (قوله أرسلت إليهن) أي وكن أربعين امرأة من أشراف المدينة فصنعت لهن ضيافة عظيمة (قوله وأعدت) أي هيات وأحضرت (قوله متكاً) معنى الطعام بذلك لأنه يتكأ عنده على عادة المتكبرين من أكل الفواكه حال الاتكاء (قوله وهو الأترج) بضم الهمزة وسكون التاء وضم الراء وتشديد الجيم جمع أترجة ويقال فيه ترنج والأولى هي الفصحى (قوله سكيناً) أي خنجرًا وكان من هادتهن أكل الفواكه واللحم بالسكين (قوله وقالت أخرج عليهن) أي وقد زينته بأحسن الزينة وجبته في مكان آخر (قوله فلما رأينه) مرتب على محذوف تقديره فخرج فلما رأينه الخ (قوله أعظمته) أي هبته ودهشن عند رؤيته من شدة حسنه وجماله ، يقال إنه ورث حسن آدم يوم خلقه الله عز وجل قبل أن يخرج من الجنة وقيل إنهن أعظمته لأنهن رأين عليه آثار النبوة والمهابة وعدم الالتفات إليهن فوق الرعب في قلوبهن وتجبين منه (قوله وقطنن أيديهن) أي جرحنها حتى سال الله قال وهب : ماتت منهن جماعة (قوله وقطنن حاش) بآيات آتت بعد الشين وحذفها قراءتان سبعيتان وهذا [٢٩ - صاوي - ثاني] بالنظر لنطق وأما في الرسم فلا تكتب فيه آت بعد الشين (قوله ما هذا بشرًا) أي معاذ الله أن يكون

هَذَا بَشَرًا إِمَّا هَذَا مَلَكٌ كَرِيمٌ عَلَى رَبِّهِ (قوله إن هذا إلهك كريم) القصصه من هذا إثبات الحسن العظيم ليوسف لسماهم أنه لاشئ أحسن من الملك ولأنه لما كان الملك مطهرا من بواث الشهوة مهابا لاحتكم عليه الصورة شبه به (قوله شطر الحسن) أى نصفه ، والمعنى أن الله خلق حسنا فأعطى يوسف نصفه وقسم نصفه بين الخلائق (قوله فذلكن) ذا اسم إشارة القريب لحضوره بالمجلس وقرن باللام للنفيدة للبعد إشارة لبعده رتبته عن غيره وقد فسرهما للمفسر بهذا المعنى القريب (قوله الذى لم تنفى فيه) خبر محذوف قدره للمفسر بقوله هو (قوله امتنع) أشار بذلك إلى أن السين والتاء زائدتان (قوله ولئن لم يفعل) اللام موطنه لقسم محذوف وإن شرطية وقوله ليسجنن جواب القسم وحذف جواب الشرط لدلالة جواب القسم عليه على القاعدة في اجتماع الشرط والقسم أنه يحذف جواب التأخر منهما (قوله فقلن له أطع مولاتك) ورد : أنه ما من امرأة إلا دعته لنفسها (قوله قال رب) لما اشتد به الكرب توجه لربه في الفرج (قوله أحب إلى) اسم التفضيل ليس على بابه إذ ليس له فيما يدعونه إليه حبة ورغبة . إن قات هو محاب الدعوة فلم طلب النجاة بالسجن ولم يطلب النجاة العامة ؟ . أوجب بأنه اطلع على أن السجن محتم عليه فدعا به لأن النبي لا ينطق عن الهوى (قوله مما يدعوتني) فعل مضارع مبنى على سكون الواو والتون الأولى للنسوة فاعل والثانية نون الوقاية وهو مثل (٢٢٦) النسوة يعفون قالوا وليست ضميرا بل هي لام الكلمة (قوله والقصد بذلك)

إِنْ) مَا (هَذَا إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ) لما حواه من الحسن الذى لا يكون عادة فى النسمة البشرية وفى الصحيح أنه أعطى شطر الحسن (قالت) امرأة العزيز لما رأت ما حل بهن (فذلكن) فهذا هو (الذى لم تنفى فيه) فى حبه بيان لعذرها (ولقد راودته عن نفسه فاستعصم) امتنع (ولئن لم يفعل ما أمره) به (ليسجنن وليكنونا من الصاغرين) الذليلين قتلن له أطع مولاتك (قال رب السجن أحب إلى مما يدعونني إليه وإلا تصرف عني كيذهن أصب) أمل (إلين وأكن) أصر (من الجاهلين) المذنبين والقصد بذلك الدعاء فلذا قال تعالى (فاستجاب له ربه) دعاه (فصرف عنه كيذهن) إنه هو السميع (لقول (العلم) بالفعل (ثم بدا) ظهر (لهم من مد ما رأوا الآيات) الدالات على براءة يوسف أن يسجنوه دل على هذا (ليسجنن حتى) إلى (حين) ينقطع فيه كلام الناس فسجن (ودخل معه السجن فتيان) غلامان الملك أحدهما ساقيه والآخر صاحب طعامه قرأياه عبر الرؤيا قالوا لنختبرنه ،

أى بقوله : وإلا تصرف عني الخ كأنه قال اللهم اصرف عني كيذهن لأجل أن لأصبر من الجاهلين لأنك إن لم تصرفه عني صرت منهم إذ لا قدرة لى على الامتناع إلا بأعانتك لى (قوله ثم بدا لهم) أى للعزيز وأصحابه وذلك أن زليخا قالت لزوجها إن هذا العبد العبراني قد فضحنى عند الناس يخبرهم أتى قد راودته عن نفسه فاما أن تأذن لى فأخرج

قال)

وأعذر إليهم وإما أن تسجنه فظهر لهم سجنه لما فيه من الصلحة بحسب رأيهم

مع علمهم ببراءته وزاھته (قوله أن يسجنوه) أن وما دخلت عليه فى تأويل مصرفا فعل بدا (قوله ليسجننه) اللام موطنه لقسم محذوف والجملة فى محل نصب مقول لقول محذوف والتقدير ثم ظهر لهم سجنه قائلين والله ليسجننه (قوله حتى حين) أى وهو سبع سنين أو اثنتا عشرة سنة وسيأتى ذلك (قوله ودخل معه) أى محبته ، والمعنى كأننا مقارنين له فى الدخول وهذا مرتب على قول المفسر فسجن (قوله غلامان) تنبيه غلام وهو اسم للشخص من حين ولادته إلى أن يشب وقوله الملك أى ملك مصر وهو الريان بن الوليد العمليقي (قوله أحدهما ساقيه) أى واسمه سرحم وقوله والآخر صاحب طعامه أى واسمه برهم . وسبب سجنهم أن جماعة من أهل مصر أرادوا قتل الملك فجعلوا لهامرشوة على أن يسا الملك فى طعامه وشرا به فأجابا ثم إن الساقى ندم ورجع والحياز قبل الرشوة ومم الطعام فلما حضر الطعام بين يدى الملك قال الساقى لآما كل أيتها الملك فان الطعام مسموم هال الحياز لا تشرب أيها الملك فان الشراب مسموم فقال الملك للساقى اشرب من الشراب فشرب وقال لتخيل كل من الطعام فأبى فأطعم من ذلك الطعام دابة فهلكت فأمر بحبسهما فاتفق أنهما دخلا مع يوسف (قوله قرأياه عبر الرؤيا) أى بشر علمه ويقول فى أعبر الأحلام (قوله لنختبرنه) أى لنمتحنه ليظهر لنا حله .

(قوله قال أحدهما) أى بعد مضي خمس سنين من دخولهم السجن (قوله إلى أرائي) أرى قصب مفعولين الباء مفعول أول وجهه أعصير حمرا مفعول ثان (قوله أى عنباً) أى قسميته حمرا من باب مجاز الأول أى عنباً يؤول إلى كونه حمرا وفي النسخة أنه قال رأيت في المنام كآني في بستان وفيه شجرة وعليها ثلاثة عناقيد من العنب وكان كأس الملك في يدي فصرتها فيه وسقيت الملك (قوله إلى أرائي) أى رأيتي فالتعير بالمضارع استحضار للحال الماضية (قوله أحمل فوق رأسي خبزاً) وذلك أنه قال رأيت في المنام كأن فوق رأسي ثلاث سلال وفيها الخبز وألوان الأطعمة وسباع الطير تنهش منها (قوله إنا نراك من المحسنين) أى العالمين بتعير الرؤيا وإنما قال ذلك لأنهما رأياه في السجن يعود للرضى ويقوم الليل ويصوم النهار ويصبر أهل السجن ويشرم ويواسي فقيرهم فكان يقول اصبروا وأبشروا فيقولون بارك الله لنا فيك يا فتي ما أحسن وجهك وخلقتك وحديثك لقد بورك لنا في جوارك فمن أين أنت قال أنا يوسف ابن صفي الله يعقوب ابن ذبيح الله إسحق ابن خليل الله إبراهيم فقال له صاحب السجن يافتي والله لو استطعت خلعت سبيلك ولكن سأرفق بك وأحسن جوارك واختر أي بيوت السجن شئت (قوله عجباً أنه عالم) أى لأجل أن يقبلوا عليه ويؤمنوا به وهكذا ينبغي للعالم الحامل أن يظهر نفسه ليقنطري به ويؤخذ عنه وإنما أخبرها بذلك توطئة لدعائهما إلى الإيمان (قوله في منامكما) أى (٢٣٧) فالفني أي طعام رأيتاه في المنام وأخبرتني به إلا فسره

لكما قبل أن يقع في الخارج وخصه رؤيته بالطعام لأنهما من أهل الطعام والشراب والشأن أن رؤيا المنام تتعلق باشتغال الشخص في اليقظة ، وقيل المراد إتيان الطعام لهما في اليقظة والمعنى لا يأتيكما طعام رزقانه من منازلكما إلا أخبركما بقدرة وكيفيته والوقت الذي يأتي فيه قبل أن يصلكما فهو إشارة إلى أن من معجزاته

(قَالَ أَحَدُهُمَا) وهو الساقى (إِنِّي أَرَانِي أُعْصِرُ حَمْزًا) أى عنبًا (وَقَالَ الْآخَرُ) وهو صاحب الطعام (إِنِّي أَرَانِي أَحْمِلُ فَوْقَ رَأْسِي خُبْزًا تَأْكُلُ الطَّيْرُ مِنْهُ نَبِّئْنَا) خبرنا (بِتَأْوِيلِهِ) بتعبيره (إِنَّا نَرَاكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ . قَالَ) لهما عجباً أنه عالم بتعير الرؤيا (لَا يَأْتِيَكُمَا طَعَامٌ تُرْزَقَانِهِ) في منامكما (إِلَّا نَبَّأْتُكُمَا بِتَأْوِيلِهِ) في اليقظة (قَبْلَ أَنْ يَأْتِيَكُمَا) تأويله (ذَلِكَ بِمَا عَمَلْتَنِي رَبِّي) فيه حث على إيمانها ثم قواه بقوله (إِنِّي تَرَكْتُ مِلَّةَ) دين (قَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ) تأكيد (كَافِرُونَ . وَأَتَيْتُ مِلَّةَ آبَائِي إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ مَا كَانَ) ينبغي (لَنَا أَنْ نُشْرِكَ بِاللَّهِ مِنْ) زائدة (شَيْءٍ) لمصمتنا (ذَلِكَ) التوحيد (مِنْ فَضْلِ اللَّهِ عَلَيْنَا وَعَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ) وهم الكفار (لَا يَشْكُرُونَ) الله فيشركون ثم صرح بدعائهما إلى الإيمان فقال (يَا صَاحِبِي) ساكني (السَّجْنِ) أرباب متفرقون خير أم الله الواحد القهار) خبر استفهام تقرير (مَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِهِ) أى غيره (إِلَّا أَسمَاءُ

الإخبار بالغيبات ، وهذا مثل معجزة عيسى حيث قال : وأنبيكم بما تأكلون وما تدخرون في بيوتكم فقالا ليوسف هذا من علم العرافين والكهنة فمن أين لك هذا العلم فقال ذلكما علمني ربى الخ (قوله فيه حث) أى تعريض لطلب الإيمان (قوله إني تركت) للمراد بالترك عدم التلبس بالشئ من أول الأمر (قوله واتبعت مله آباءى) لما بين أنه ادعى النبوة وأظهر المعجزة بين هنا أنه لا غرابة في ذلك لأنه من بيت النبوة ، وذلك لأن إبراهيم وإسحاق ويعقوب كانوا مشهورين بالرسالة ، وذكر الفخر الرازى أنه نبى في السجن ولا مانع أنه نبى قبل الأربعين كيجي وعيسى وذلك لأن إخوته رموه في الحب وهو ابن سبع عشرة سنة ومكث تحت يد العزيز ثلاث عشرة سنة من جهلها مدة السجن فتكون الجملة ثلاثين سنة (قوله ما كان لنا) أى لا يصح ولا يليق منامعشر الأنبياء أن نشرك بالله شيئاً مع أصفائه لنا وانعامه علينا بأنواع النعم وفي هذا تعريض لهم بترك ما هم عليه من الشرك كما أنه قال لا يصح للعبد الضعيف العاجز للمفتقر أن يعبد غير من هو مفتقر إليه ومنهم عليه (قوله لمصمتنا) أى فليس المراد أنه حرم ذلك عليهم بل المراد أنه طهرهم من الكفر (قوله من فضل الله علينا) أى بالوحى ، وقوله وعلى الناس : أى بإرشادهم (قوله يا صاحبي السجن) قدر للمفسر ساكني إشارة إلى أن الإضافة لأدنى ملابس و يصح أن يكون المعنى يا صاحبي في السجن فالإضافة للظرف (قوله متفرقون) أى من ذهب وفضة وحديد وخشب وحجارة وغير ذلك (قوله ما تعبدون) خطاب لأهل السجن جميعاً .

(قوله صميموها) أى فكأنكم لا تعبدون إلا الأعماء المجردة واللغى أنكم صميم مالم يدل على استحقاقه للألوهية عقل ولا نقل ثم أخذتم تعبدونها قوله للاستقيم أى الذى لا عوجاج فيه (قوله ما يصبرون) قدره إشارة إلى أن مفعول يعملون محذوف (قوله يا صاحبي السجن) هذا شروع فى تسمية رؤيائهما (قوله فيخرج بعد ثلاث) أى من الأيام وهى العقابيد الثلاثة التى عاصرها (قوله سيده) أى وهو الملك (قوله وأما الآخر فيخرج بعد ثلاث) أى من الأيام وهى السلال الثلاث (قوله فقالا ما رأينا شيئاً) هذا أحد قولين وقيل إنهما رأيا ذلك حقيقة فرآهما مهمومين فسألهما عن شأنهما فذكر كل واحد له رؤياه (قوله قضى الأمر) المراد به الجنس أى قضى أمر كل واحد وما يؤول إليه شأنه ككذب أو صدق (قوله سألتها) تفسير لتستفتيان فالمراد من المضارع للماضى (قوله وقال للذى ظن أنه ناج) إن كان الظن واقعاً من الساقى فالأمر ظاهر وإن كان من يوسف فهو بمعنى اليقين كما قال المفسر على حد الدين يظنون أنهم ملاقوا ربهم (قوله سيدك) أى وهو الملك (قوله محبوسا) أى طال حسه ظمأ خمس سنين (قوله أى الساقى) أى واللغى أنسى الشيطان الساقى أن يذكر يوسف عند الملك وذلك للحكم الباهرة التى ستظهر وهذا أحد قولين وقيل إن الضمير عائد على يوسف واللغى أن الشيطان أنسى يوسف ذكر ربه عز وجل حين استغاث بمخلوق واستناد الانساء للشيطان لأنه يفرح به ويحببه (٢٣٨)

فانه لا تسلط له على
المرسلين قال تعالى : إن
عبادى ليس لك عليهم
سلطان ، فلما وقع من
يوسف ذلك عتب بيقينه
فى السجن تلك المدة من باب
حسنات الأبرار سيئات
المقرين (قوله قيل سبعا)
أى وهى مدة مكث أيوب
فى البلاء وقوله وقيل اثنتى
عشرة هذا قول ثان فى
مدة السجن وقيل خمسا
ونصفا قبل قوله اذ كرنى
وسبعا بعده وقيل أربع
عشرة سنة خمس قبل

سَمِيعُهَا) سَمِيعُهَا أَصْنَامًا (أَنْتُمْ وَأَبَاؤُكُمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ بِهَا) بعبادتها (مِنْ سُلْطَانٍ) حجة وبرهان (إِنْ) مَا (الْحُكْمُ) الْقَضَاءُ (إِلَّا اللَّهُ) وحده (أَمْرًا) (لَا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ ذَلِكَ) التوحيد (الَّذِينَ الْقِيمُ) المستقيم (وَلَكِنْ أَكْثَرُ النَّاسِ) وهم الكفار (لَا يَعْلَمُونَ) ما يصيرون إليه من العذاب فيشركون (يَا صَاحِبِي السَّجْنِ أَمَّا أَخَذُكَ) أى الساقى فيخرج بعد ثلاث (فَيَسْئَلُ رَبَّهُ) سيده (حَرَامًا) على عادته (وَأَمَّا الْآخَرُ) فيخرج بعد ثلاث (فَيَضْلِبُ فَتَأْكُلُ الطَّيْرُ مِنْ رَأْسِهِ) هذا تأويل رؤيا كما قالوا مارأينا شيئًا فقال (قُضِيَ) تم (الْأَمْرُ الَّذِي فِيهِ تَسْتَفْتِيَانِ) سألتها عنه صدقتا أم كذبتا (وَقَالَ لِلَّذِي ظَنَّ) أيمن (أَنَّهُ نَاجٍ مِنْهُمَا) وهو الساقى (أَذْكُرْنِي عِنْدَ رَبِّكَ) سيدك قل له إن فى السجن غلامًا محبوبًا ظلمًا فخرج (فَأَنْسَاهُ) أى الساقى (الشَّيْطَانُ ذِكْرَ) يوسف عند (رَبِّهِ فَلَيْثَ) مكث يوسف (فِي السَّجْنِ بَضْعَ سِنِينَ) قيل سبعًا وقيل اثنتى عشرة (وَقَالَ الْمَلِكُ) ملك مصر الريان بن الوليد (إِنِّي أَرَى) أى رأيت (سَبْعَ بَقَرَاتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ) يتناهن (سَبْعُ) من البقر (عِجَافٌ)

القول وتسع بعده وحكمة مكنه تلك المدة في السجن ليؤمن أهل السجن وليصل أمره للأك فيخرج
والحال أنه مطلوب لاطالب فيتحقق له العز الذي جربه سابقا فترتب على طلبه السجن وإبقائه فيه الزمن الطويل من الحكم
العظيمة والأسرار الفخيمة والعز والسودد ما لا تحيط به العبارة ولا تحصى الاشارة فأمر يوسف صلوات الله وسلامه عليه ظاهرها
ذل وباطنها غاية العز على حد قول البوصرى :

لوييس النصارهون من النا ولما اختير للنصاره الصلاه

فبلايا الأنبياء والمقرئين لا تزيدهم إلا رفة وعزا (قوله وقال الملك الخ) أى لما أراد الله الفرّج عن يوسف وإخراجه من السجن رأى ملك مصر رؤيا عجيبه أهالته فجمع سحرته وكهنته ومعبريه وأخبرهم بما رأى فى منامه وسألهم عن تأويلها فأعجزهم الله جميعا ليكون ذلك سببا لخلاص يوسف من السجن (قوله أى رأيت) أشار بذلك إلى أنّ المضارع بمعنى الماضى استحضارا للحال الماضى . وحاصل رؤياه أنه رأى فى منامه سبع بقرات عمان قد خرجن من البحر ثم خرج بعدهن سبع بقرات عجاف فى غاية الهزال والضعف فابتلعت العجاف السمان ودخات فى بطونها ولم يرمهن شئ ولم يقين على العجاف شئ منها ورأى سبع سنبلات خضر قد انقعد حبها وسبعا أخر يابسات قد استحصنن فالتوت اليابسات على الخضضر حتى علون عليهن ولم يبق من خضرهن شئ

(قوله جمع عجفاء) أى جمع سمعى والقياس عجف . قال ابن مالك * فعل لنحو أحر وأحررا * (قوله خضر) أى انقصد خبها وقوله وأخر يابسات : أى بلغت أوان الحصد وهو معطوف على سبع ويكون قد حذف اسم العدد منه لدلالة ما قبله عليه (قوله يا أيها الملأ) أى السحرة وللعبرون (قوله تعبرون) من عبر بالتخفيف يقال عبر البحر جاوزه وعبر الرؤيا فسرهما كأن العبر لما فسر الرؤيا خاص من ورطتها كالأدى يجاوز البحر وزيدت اللام فى للرؤيا تقوية للعامل لتأخره عن معموله (قوله فاعبروها لى) فقره إشارة إلى أن جواب الشرط محذوف دل عليه ما قبله (قوله أضفأت أحلام) أى تخالطها جمع ضفت وأصله ما جمع وحزم من النبات كالحزمة من الحشيش استعير للرؤيا السكاذبة ، والمعنى أنهم قالوا إن هذه الرؤيا أخلاط أحلام من الشيطان فلا تعبر ، وهذا لفرط عجزهم وجهلهم بتعبيرها على العادة أن من جهل شيئا عاداه (قوله وقال الذى نجا الخ) أى بعد أن جلس بين يدي الملك وقال له إن فى السجن رجلا عالما بتعبير الرؤيا (قوله وادكر) إما حال من الذى أوعطف على نجا (قوله فيه إبدال التاء) أى تاء الاتعمال والأصل اذنكر بناء بعد الدال قلبت التاء دالا فاجتمع متقاربان إبدال الأول من جنس الثانى وأدغم (قوله وإدغامها فى الدال) للناسب قلب العبارة بأن يقول وإدغام الدال فى الدال (٢٢٩) أى بعد قلبها دالا (قوله بعد

جمع عجفاء (وَسَبَعَ سُنْبِلَاتِ خُضْرٍ وَأَخْرَ) أى سبع سنبلات (يَابِسَاتٍ) قد التوت على الخضروعلت عليها (يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَفْتُونِي فِي رُؤْيَايَ) بينوا لى تعبیرها (إِنْ كُنْتُمْ لِلرُّؤْيَا تَعْبُرُونَ) فاعبروها لى (قَالُوا) هذه (أَضْفَأْتُ) أخلاط (أَحْلَامٍ وَمَا نَحْنُ بِتَأْوِيلِ الْأَخْلَامِ بِمَالِينَ . وَقَالَ الَّذِي نَجَا مِنْهُمَا) أى من الفتيين وهو الساقى (وَادَّكَرَ) فيه إبدال التاء فى الأصل دالا وإدغامها فى الدال أى تذكر (بَعْدَ أَمْرٍ) حين حال يوسف (أَنَا أَنْبَأُكُمْ بِتَأْوِيلِهِ فَأَرْسِلُونِ) فأرسلوه فأتى يوسف فقال يا (يُوسُفُ أَيُّهَا الصِّدِّيقُ) الكثير الصدق (أَفْتِنَا فِي سَبْعِ بَقَرَاتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ وَسَبْعِ سُنْبِلَاتٍ خُضْرٍ وَأَخْرَ يَابِسَاتٍ لَعَلِّي أَرْجِعُ إِلَى النَّاسِ) أى الملك وأصحابه (لَعَلَّهُمْ يَعْلَمُونَ) تعبیرها (قَالَ تَزْرَعُونَ) أى ازرعوا (سَبْعَ سِنِينَ دَأْبًا) متتابعة وهى تأويل السبع السمان (فَمَا حَصَدْتُمْ فَذَرُوهُ) أى اتركوه (فِي سُنْبِلِهِ) لتلا يفسد (إِلَّا قَلِيلًا يَمَّا تَأْكُلُونَ) فأرسلوه (ثُمَّ يَأْتِي مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ) أى السبع المحصبات (سَبْعٌ شِدَادٌ) مجدبات صعاب وهى تأويل السبع العجاف (يَأْكُلْنَ مَا قَدَّمْتُمْ لَهُنَّ) من الحب المزروع فى السنين المحصبات أى تأكلونه فهن (إِلَّا قَلِيلًا يَمَّا تُحْصِنُونَ) تدخرون (ثُمَّ يَأْتِي مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ) أى السبع المجدبات (عَامٌ فِيهِ يَمُوتُ النَّاسُ) بالمطر (وَفِيهِ يَعْصِرُونَ)

والثانية فى قوله - فلما جاءه الرسول قال ارجع إلى ربك - والثالثة فى قوله - ذلك ليعلم أى لم أخنه - الخ ، والرابعة فى قوله - وقال الملك اتنوني به أستخاصه لنفسى - الخ (قوله الكثير الصدق) وصفه بذلك لأنه جربه فى السجن فى تعبیر الرؤيا وغيره (قوله أى الملك) أى ومن عنده (قوله أى ازرعوا) إما حمله على الأمر مناسبة قوله فذرؤه وإلا فالناسب إيقاؤه على حاله من الاخبار لأنها تفسير للرؤيا وفيه إشارة إلى أن الله أمر بذلك لتحتم حصوله فى علمه تعالى (قوله دأبا) بفتح الهمزة وسكونها قراءتان سبعيتان وهو مصدر واقع موقع الحال (قوله وهى تأويل السبع السمان) أى والسبع الخضر (قوله لتلا يفسد) أى يأكله السوس كما هو شأن غلال مصر ونواحيها ومنه من الفساد ببقائه فى سنبله من خصوصيات يوسف والإقنى زمننا بقاؤه فى سنبله لا يدفع عنه الفساد (قوله وهى تأويل السبع العجاف) أى والسبع اليابسات (قوله أى تأكلونه فهن) أشار بذلك إلى أن الاسناد مجازى من الاسناد للظرف كما فى نهاده صائم (قوله تدخرون) أى للبذر (قوله ثم يأتى من بعد ذلك عام الخ) هذه إشارة لهم زيادة على تعبیر الرؤيا (قوله يموت الناس) إما من التوت وهو الفرج وزوال السكر أو من النيت وهو المطر ، والمعنى فيه ينزل كرب الناس ويخرج عنهم بيزول المطر وتتابع الجبر عليهم .

(قوله الأعتاب) أى يعصرونها خمرًا ، وقوله وغيرها : أى كالزيتون والسمسم والكتان والصب وغير ذلك (قوله وقال الملك) مرتب على محذوف قدره المفسر بقوله لما جاءه الرسول الخ ، وذلك أن الساقى لما رجع إلى الملك وأخبره بما عساه يوسف رؤياه واستحسنه الملك وعرف أن الذى قاله كأن لا محالة قال اتئوتى به حتى أبصره فرجع الساقى وقال له أجب الملك فقال له ارجع الخ (قوله فلما جاءه الرسول) مرتب على محذوف : أى فذهب الرسول إلى طلبه فلما جاءه الخ (قوله إظهار براءته) أى لتظهر براءة ساحته ويعلم أنه سجن ظلما (قوله إلى ربك) أى وهو الملك (قوله إن ربى سيدى) أى فالمراد به العزيز وهو استشهاد بكونه يعلم مكرهه وكيدهم ويصح أن يكون المراد بالرب الله تعالى وحينئذ يكون فى كلامه التفويض لله تعالى وهو الأقرب (قوله فجمعهم) أى وكانت زليخاء معهن وخاطبهن جميعا ولم يخص زليخاء بالخطاب سترا عليها (قوله من سوء) أى خيانة (قوله قالت امرأت العزيز) هذا إقرار منها بالحق والحامل لها على ذلك كون يوسف راعى جانبها حيث قال ما بال النسوة الخ ولم يذكرها مع أن الفتن كلها إنما نشأت من جهتها فكافأته بأن أعترفت بأن الذنب منها (قوله وضع) أى اضع (قوله فأخبر يوسف بذلك) أى بجواب النسوة المذكور (قوله فقال) أى يوسف وهذا أحد قولين ، وقيل إن قوله ذلك ليعلم من كلام زليخا ويكون المعنى ذلك الذى قلته ليعلم يوسف (٢٣٠) أتى لم أخنه ولم أكذب عليه وجئت بما هو الحق الواقع وما أبرئ نفسى من

الأعتاب وغيرها لخصبه (وقال الملك) لما جاءه الرسول وأخبره بتأويلها (أتئوتى به) أى بالذى غيرها (فلما جاءه) أى يوسف (الرسول) وطلبه للخروج (قال) قاصدا لإظهار براءته (أزجع إلى ربك فأشأله) أن يسأل (ما بال) حال (النسوة اللاتي قطعن أيديهن إن ربى) سيدى (بكيدهن عليم) فرجع فأخبر الملك فجمعهم (قال ما خطبكُن) شأنكن (إذ راودتن يوسف عن نفسه) هل وجدتن منه ميلا إليكن (قلن حاش لله ما علمنا عليه من سوء قالت امرأت العزيز الآن حصحصن) وضع (الحق أنا راودته عن نفسه وإنه لمن الصادقين) فى قوله هى راودتنى عن نفسى فأخبر يوسف بذلك فقال (ذلك) أى طلب البراءة (ليعلم) العزيز (أتى لم أخنه) فى أهله (بالغيب) حال (وأن الله لا يهدي كيد الخائنين) ثم تواضع لله فقال (وما أبرئ نفسى) من الزلل (إن النفس) الجنس (لأمازة) كثيرة الأمر (بالشوء إلا ما) بمعنى من (رحم ربى) فعصمه (إن ربى غفور رحيم) وقال الملك أتئوتى به أستخلصه لنفسى) أجعله خالصا لى دون شريك فجاءه الرسول وقال أجب الملك قدام وودع أهل السجن ودعا لهم ثم اغتسل ،

الحياة إن النفس لأماره بالسوء لأنفسا رحما الله بالعضمة كنفس يوسف (قوله ليعلم العزيز) أى زوج زليخا (قوله حال) أى إمام الفاعل : أى وأنا غائب عنه أو من للفعول : أى وهو غائب عنى (قوله لا يهدي كيد الخائنين) أى لا يستدده (قوله ثم تواضع لله) أى فوقع منه هذا القول على سبيل التواضع وإلا فستحيل فى حقه أن تأمره نفسه بالسوء لعصيته

(قوله وما أبرئ نفسى) هذه الجملة حالية من محذوف ، والتقدير طلبت البراءة وليس ليعلم الخ والحال أتى لم أقصد بذلك تنزيه نفسى ولا براءتها الخ (قوله الجنس) أى جنس النفوس (قوله كثيرة الأمر) أى لصاحبها . واعلم أن النفس واحدة ولها صفات : فأول أمرها تكون أماره بالسوء تدعو إلى الشهوات وتميل إليها ولا تنبأ ، وهذه نفس الكفار والعصاة المصرين فإذا أراد الله لها بالهدى جعل لها واعظا يأمرها وينهاها ، فحينئذ تصير لوامة تلوم صاحبها على ارتكاب الرذائل ، فينشأ عن ذلك مجاهدته وتوبته ورجوعه لحالقه ، فإذا كثر عليها ذلك واستمرصارت مطمئنة ساكنة تحت قضاء الله وقدره راضية بأحكامه فتستحق من الله العطايا والتحف . قال تعالى - يا أيها النفس الطمئنة ارجعى إلى ربك راضية مرضية فادخلى فى عبادى وادخلى جنتى - وهذا هو مقام الواصلين وقبل ذلك يسمى مقام السائرين (قوله وقال الملك) أى وهو الريان بن الوليد وذلك أنه لما ظهر له فى يوسف من المزايا التى لم توجد فى غيره قال ما ذكر (قوله فجاءه الرسول الخ) قدر المفسر هذه الجملة وهى ثمانية إشارة إلى أن قوله تعالى - فلما كله - مرتب على محذوف (قوله ودعا لهم) أى بقوله : اللهم عطف عليهم قلوب الأخيار ولا تهم عليهم الأخبار (قوله ثم اغتسل) أى فلما خرج من السجن كتب على بابيه هدايت البلوى وقبر الأحياء وشماتة الأعداء وتجربة الأصدقاء .

(قوله ولبس ثيابا حسنا) يؤخذ من هذا أن مما ينبغي عند الدخول على السلاطين الطهارة وتحسين الهيئة وهذه الثياب يحتمل أنها كانت عنده أو أرسلها له الملك (قوله ودخل عليه) ورد أنه لما دخل سلم عليه بالعربية ، فقال الملك ما هذا اللسان ؟ قال لسان عمي إسماعيل ، ثم دعا له بالعبرانية ، فقال له ما هذا اللسان أيضا ؟ فقال هذا لسان آبائي ، وكان الملك يتكلم بسبعين لسانا ولم يعرف هذين اللسانين ، وكان كلما تكلم بلسان أجابه يوسف به فتعجب الملك من أمره مع صغر سنه لأنه كان إذ ذاك ابن ثلاثين سنة ثلاث عشرة منها مدة إقامته مع زليخا والسجن وسبع عشرة قبلها ، وعلى هذا فدعوا لهعبادة الله في السجن إما نبوة قبل الأربعين أو نصيحة منه لدين آباءه على عادة العلماء وتأسيسا لنبوته (قوله مكين أمين) أى قريب المنزلة رفيع الرتبة مؤتمن على سرنا (قوله قال فماذا ترى أن تفعل الخ) روى أن الملك قال ليوسف عليه السلام : أحب أن أسمع تأويل رؤياي منك شفاهها . قال نعم : أيها الملك رأيت سبع بقرات سمان شهب حسان غير عجاف كشف لك عنهم النيل فطلعن من شاطئه تشخب أخلافهن لبنا فينا أنت تنظر إليهن وقد أعجبك حسنهن إذ نضب النيل فغار ماؤه وبدأ يسه خرج من حنثه سبع بقرات عجاف شعث غير ملصقات البطون ليس لهن ضرع ولا أخلاف ولهن أنياب وأضراس وأكف كأ كف السكالب وخراطيم كخراطيم السباع فاختلطن بالسمان فافترسن السمان افتراس السبع فأكنن لحومهن ومزقن جلودهن وحطمن عظامهن ومشمشن مخنن ، فينا أنت تنظر وتتعجب كيف غلبنهن وهن مهازل ثم لم يظهر فيهن سمن ولا زيادة بعد أكلهن وإذا سبغ سنبلات خضر وسبغ سنبلات أخرسود يابسات في منبت واحد عروقهن في الثرى والماء ، فينا أنت تقول في نفسك أى شئ هذا هؤلاء خضر ثممرات هؤلاء سود يابسات والمنبت واحد أصولهن في الثرى والماء إذ هبت ريح فردت أوراق اليابسات السود على الخضر للثمرات (٢٣١) فاشتعلت فيهن النار فاحترقن فصرن سودا فها ما رأيت

ولبس ثيابا حسنا ودخل عليه (فلما كلمه قال) له (إِنَّكَ الْيَوْمَ لَدَيْنَا مَكِينٌ أَمِينٌ) ذو مكانة وأمانة على أمرنا فإذا ترى أن تفعل ؟ قال اجمع الطعام وازرع زرا كثيرا في هذه السنين الخصبه وادخر الطعام في سنبله فيأتى إليك الخلق ليمتاروا منك فقال ومن لى بهذا (قال) يوسف (أَجْعَلْنِي عَلَى خَزَائِنِ الْأَرْضِ) أرض مصر (إِنِّي حَفِيزٌ عَلِيمٌ) ذو حفظ وعلم بأمرها وقيل كاتب حاسب (وَكَذَلِكَ) كأنعامنا عليه بالخلاص من السجن (مَكْنًا لِيُوسُفَ فِي الْأَرْضِ) أرض مصر (يَتَبَوَّأُ) ينزل (مِنْهَا حَيْثُ يَشَاءُ) بعد الضيق والحبس وفي القصة أن الملك توجه وختمه وولاه مكان العزيز وعزله

الصادق ؟ قال يوسف عليه السلام : أرى أن تجمع الطعام وتزرع زرا كثيرا في هذه السنين الخصبه وتجعل ما يتحصل من ذلك الطعام في الخزائن بقصبه وسنبله فانه أبقي له فيكون ذلك القصب والسنبل علقا للدواب وتأمر الناس أن يدفعوا الخمس من زرعهم أيضا فيكفيك ذلك الطعام الذى جمعه لأهل مصر ومن حولها وتأنيك الخلق من سائر النواحي لليرة ويجمع عندك من الكنوز والأموال ما لم يجمع لأحد من قبلك فقال الملك ومن لى بهذا ومن يجمعه لى ويبيعه لى ولو جمعت أهل مصر ما أطاقوا ذلك ولم يكونوا فيه أمناء ، فقال يوسف عند ذلك اجعلنى الخ (قوله قال اجعلنى على خزائن الأرض) إن قلت إن فى ذلك القول طلب التقدمة والامارة وهو لا يليق بالأخيار . أحيب بأن محل هذا ما لم يتعين عليهم والإخفيند يجب طلبها وأيضاً ذلك بوحى من الله وكان بين ذلك القول وتوليته على الخزائن سنة وإنما أخره الملك سنة قبل التولية بالفعل مع مزيد رغبته فيه ليشتهر قبل التولية بين أهل المملكة في أطراف القطر ويصير معروفا للخاص والعام وأنه ذو المكانة والأمانة عند الملك (قوله لى حفيظ عليم) تعليل لما قبله ومفعول اجعل الثانى محذوف ، والتقدير اجعلنى أمينا على خزائن الأرض فالى حفيظ عليم . إن قلت إن فى هذا تركية للنفس وقد نهى الله عن ذلك بقوله - فلا تزكوا أنفسكم - أحيب بأن محل النهى حيث قصد بها الفخر والكبر على خلق الله بخلاف ما إذا قصد بها إيصال النفع للغير والاختبار بالواقع فلا ضرر فى ذلك بل ذلك من باب التحدث بالنعم وهو مأثور به شرعا (قوله مكننا ليوسف فى الأرض) أى مكناه إياها (قوله بعد الضيق والحبس) أى بعد صبره على الضيق حين وضع فى الحب وحين حبس (قوله وفى القصة أن الملك الخ) قال ابن عباس وغيره : لما انقضت السنة من يوم سؤال يوسف الامارة دعاه الملك فتوجه وقلده بسيفه وحلاه بخاتمه ووضع له سريرا من ذهب مكللا بالهتر والياقوت طوله ثلاثون ذراعا وعرضه عشرة أذرع ووضع له ثلاثين فراشا وستين مأدبة وضرب له عليه حلة من إستبرق وأمره أن يخرج فخرج متوجا لونه كالسليج ووجهه كالقمر يرى الناظر وجهه فيه من صفاء لونه ، فانطلق

حتى جلس على ذلك السرير ودانت ليوسف الملوك وفوض الملك الأكبر اليه ملكه وعزل قطفير عما كان عليه وجعل يوسف مكانه . قال الزخشرى : إن يوسف قال للملك أما السرير فأشدد به ملكك ، وأما الخاتم فأدبر به أمرك ، وأما التاج فليس من لاسي ولا لباس آتائي ، فقال له الملك قد وضعت إجلالا لك وإقرارا بفضلك ، وكان الملك مصر خزائن كثيرة فسلمها ليوسف وسلم له سلطانه كله وجعل أمره وقضاه نافذا حتى بمملكته ثم هلك قطفير عزيز مصر في تلك الليالي فزوج الملك يوسف امرأة العزيز بعد هلاكه ، فلما دخل يوسف عليها قال أليس هذا خيرا عما كنت تريدن ؟ قالت له أيها الصديق لا تلتفتي فأني كنت امرأة حسناء ناعمة كما ترى وكان صاحبي لا يأتي النساء وكنت كما جعلك الله في حسنك فغلبتني نفسي وعصمتك الله . قالوا فوجدوا يوسف عذراء فأصابها فولدت له ولدين ذكرين إفرائيم ومبشا وبنتا واسمها رحمة زوجة أيوب عليه السلام ومبشا هو جد يوشع ابن نون وأقام في مصر العدل وأحببه الرجال والنساء فلما اطمان يوسف في ملكه دبر في جمع الطعام أحسن التدبير فبنى الحصون والبيوت الكثيرة وجمع فيها الطعام للسنين المجيدة ، وأنفق المال المعروف حتى خلت السنون المخصبة ودخلت السنون المجيدة بهول وشدة لم ير الناس مثله . وقيل إنه دبر في طعام الملك وحاشيته كل يوم أكلة واحدة نصف النهار ، فلما دخلت سنة القحط كان أول من أصابه الجوع الملك ، فجاء نصف الليل فنادى يايوسف الجوع الجوع ، فقال يوسف بهذا أوان القحط فهلك في السنة الأولى من سنى القحط كل ما أعدوه في السنين المخصبة ، فجعل أهل مصر يتعاونون الطعام من يوسف فباعهم في السنة الأولى بالنقود حتى لم يبق بمصر درهم ولا دينار إلا أخذه منهم ، وباعهم في السنة الثانية بالحلى والجواهر حتى لم يبق بمصر في أيدي الناس منها شيء . وباعهم في السنة الثالثة بالدواب والماشية والأنعام حتى لم يبق دابة ولا ماشية إلا احتوى عليها ، وباعهم في السنة الرابعة بالعبيد والجواري حتى لم يبق بأيدي الناس عبد ولا أمة ، وباعهم في السنة الخامسة بالضياع والعقار حتى أتى عليها كلها ، وباعهم (٢٣٢) في السنة السادسة بأولادهم حتى استرقهم ، وباعهم في السنة السابعة برقابهم

حتى لم يبق بمصر حر ولا حرّة إلا ملكه فصاروا جميعا عبيدا ليوسف عليه السلام ، فقال أهل مصر مارأينا كالأيوم ملكا

ومات بعد فزوجه امرأته فوجدها عذراء وولدت له ولدين وأقام العدل بمصر ودانت له الرقاب
(نُصِيبُ بِرَحْمَتِنَا مَنْ نَشَاءُ وَلَا نُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ . وَلَآ أَجْرُ الْآخِرَةِ خَيْرٌ) من أجر الدنيا
(لِلَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ) ودخلت سنة القحط وأصاب أرض كنعان والشام

أجل ولا أعظم من يوسف ، فقال يوسف للملك : كيف رأيت صنع الله بي (وجاء
فيما خولني فأتري في هؤلاء ؟ قال الملك الراى رأيك ونحن لك تبع ، قال فاني أشهد الله وأشهدك أتى قد اعتقتهم عن آخرهم
ورددت عليهم أملاكهم ، ولم يزل يوسف يدعو الملك إلى الاسلام ويتلطف به حتى أسلم هو وكثير من الناس ومات في حياة
يوسف ، وأما العزيز فلم يثبت إسلامه (قوله ومات بعد) أي مات العزيز بعد عزله (قوله فزوجه امرأته) أي بعد أن ذهب مالها وعمى
بصرها من بكائها على يوسف ، فصارت تتكفف الناس وكان يوسف يركب في كل أسبوع في موكب زهاء مائة ألف من عظماء
قومه ، فقيل لها لو تراءت له لعله يسعفك بشيء ، فلما ركب في موكبه قامت فنادت بأعلى صوتها : سبحان من جعل الملوك
عبيدا بمعصيتهم وجعل العبيد ملوكا بطاعتهم ، فقال يوسف ماهذه ؟ فقدمت إليه فعرفها فرق لها وبكى بكاء شديدا ، ثم دعاها
للزواج وأمر بها فهيئت ثم زفت إليه فقام يوسف يصلى ويدعو الله وقامت وراءه ، فسأل الله تعالى أن يعيد لها شبابها وجمالها
وبصرها ، فرد الله عليها ذلك حتى عادت أحسن ما كانت يوم راودته إكراما له عليه السلام لما عفا عن محارم الله ، فأصابها
قازا هي عذراء فعاشا في أرغد عيش . روى أن الله أتى في قلب يوسف محبتها أضعاف ما كان في قلبها ، فقال لها ما شأنك
لا تحبينى كما كنت أول مرة ؟ فقالت لما ذقت حبة الله شغلنى ذلك عن كل شيء (قوله ولدين) أي وبنتا (قوله ودانت له الرقاب) أي
خضعت له الناس (قوله نصيب برحمتنا من نشاء) أي نخصه بنعمتنا من أردنا (قوله ولا نضيع أجر المحسنين) أي بل نضاعفه
لهم (قوله ولأجر الآخرة خير) اللام موثقة لقسم محذوف (قوله للذين آمنوا) أي انصفوا بالإيمان وقوله وكانوا يتقون : أي
يتمثلون الأوامر ويحتملون النواهي (قوله ودخلت سنة القحط الخ) قدر ذلك إشارة إلى أن قوله وجاء إخوة يوسف مرتب على
محذوف أى سبب مجيئهم أنه لما فرغت سنة الحصب وأنت سنة القحط والجلب واحتاجت الناس للطعام فبلغ يقوب أن بمصر
ملكا يبيع الطعام للمحتاجين فبعثهم ليتأهوا منه

(قوله وجاء إخوة يوسف) أى وكانوا عشرة وكان مسكنهم بالقرى من أرض فلسطين وهي شور الشام وكانوا أهل بادية وأهل وشية ، وحكمة ذهاب العشرة جميعا أنه بلغهم أن الملك لا يزيد الواحد عن حمل بئر قصدا للعدل بين الناس فرضهم بذلك أن يكون الأحمال عشرة (قوله ليمتاروا) أى ليحملوا البيرة وهي الطعام المجلوب من بلد آخر (قوله لبعد عهدهم به) قال أبو صالح عن ابن عباس كان بين أن أقوه في الحب وبين دخولهم عليه اثنتان وعشرون سنة فلذا أنكروه ولأنه كان على سرير الملك وكان علي رأسه تاج الملوك وزى الملوك (قوله فقالوا للبيرة) أى لأخذها (قوله لعلكم عيون) أى جواسيس تطلعون على عوراتنا ونخبرون بها أعداءنا (قوله ولما جهزهم بجهازهم) أى هيا لهم الطعام وأكرمهم في النزول وأحسن ضيقتهم وأعطاهم ما يحتاجون إليه في سفرهم (قوله قال اتوني بأخ لكم) أى إن كنتم صادقين في ذلك فأنا أكتفي منكم بذلك قالوا إن أبانا يحزن لفراقه قال فاركبوا بكنكم عندي رهينة حتى تأتوني به فاقتنعوا فيما بينهم فأصاب (٢٣٣) القرعة ثم ون خلفوه عنده

وقوله بأخ لكم إنما لم يقل بأخيكم زيادة في الإبهام عليهم وذلك للفرق بين قولك رأيت غلامك وغلاما لك فإن الأول يقتضى أن عندك به نوع معرفة دون الثانى (قوله ألا ترون الخ) غرضه بذلك الترغيب في العود مرة أخرى (قوله وأنا خير للزئلين) أى خير من يكرم الضيفان (قوله فلا كيل لكم عندي) أى إذا عدتم مرة أخرى (قوله أى ميرة) أشار بذلك إلى أن المراد بالكيل الكيل (قوله نهى) أى والفعل مجزوم بحذف النون وحذفت ياء المتكلم تخفيفا وهذه النون للوقاية (قوله أو عطف على محل

(وَجَاءَ إِخْوَةُ يُوسُفَ) إِلَّا بَنِيَامِينَ لِيَمْتَارُوا لَمَّا بَلَغَهُمْ أَنَّ عَزِيزَ مِصْرَ يَعْطَى الطَّعَامَ بِشْتَهٍ (فَدَخَلُوا عَلَيْهِ فَمَرَّفَهُمْ) أَنَّهُمْ إِخْوَتُهُ (وَهُمْ لَهُ مُنْكَرُونَ) لَا يَعْرِفُونَهُ لِبُعْدِ عَهْدِهِمْ بِهِ وَظَنِّهِمْ هَلَاكَه فَكَلَمُوهُ بِالْمِصْرَانِيَةِ فَقَالَ كَلِمَتَكَ عَلَيْهِمْ مَا أَقْدَمَكُمْ بِلَادِي؟ فَقَالُوا: لِلْبِيرَةِ. فَقَالَ: لِمَلِكِ عَيْنُون قَالُوا: مَعَاذَ اللَّهِ. قَالَ: فَمَنْ أَيْنَ أَنْتُمْ؟ قَالُوا: مِنْ بِلَادِ كِنْعَانَ وَأَبُونَا يُعْتَقَبُ نَبِيَّ اللَّهِ. قَالَ: وَلَهُ أَوْلَادٌ غَيْرُكُمْ؟ قَالُوا: نَعَمْ كُنَّا اثْنَيْ عَشَرَ فَذَهَبَ أَصْفَرْنَا هَلَاكَ فِي الْبَرِّيَّةِ وَكَانَ أَحِبَّنَا إِلَيْهِ وَبَقِيَ شَقِيقُهُ فَاحْتَبَسَهُ لِيَنْتَصِلَ بِهِ عَنْهُ فَأَمَرَ بِاتِّزَالِهِمْ وَإِكْرَامِهِمْ (وَلَمَّا جَهَّزَهُمْ بِجِجَارِهِمْ) وَفِي لَهْم كِيلِهِمْ (قَالَ أَتَأْتُونِي بِأَخٍ لَكُمْ مِنْ أَيْيُكُمْ) أَيْ بَنِيَامِينَ لِأَعْلَمَ صَدَقَكُمْ فِيمَا قُلْتُمْ (أَلَا تَرَوْنَ أَنِّي أُوفِي الْكَيْلَ) أَنَّهُ مِنْ غَيْرِ بَخْسٍ (وَأَنَا خَيْرُ الْمُنْزِلِينَ. فَإِنْ لَمْ تَأْتُونِي بِهِ فَلَا كَيْلَ لَكُمْ عِنْدِي) أَيْ مِيرَةٍ (وَلَا تَقْرُبُونِ) نَهَى أَوْ عَطَفَ عَلَى مَحَلِّ فَلَا كَيْلَ أَيْ تَحْرِمُوا وَلَا تَقْرُبُوا (وَقَالُوا سَتَرَأَوْدُ عَنْهُ أَبَاهُ) سَنَجْتَنِدُ فِي طَلْبِهِ مِنْهُ (وَأَنَا لَنَأْءِلُونَ) ذَلِكَ (وَقَالَ لِفَتَيْتَيْهِ) وَفِي قِرَاءَةِ لَفْتَيَانِهِ: غُلَامَانِ (أَجْعَلُوا بَضَاعَتَهُمْ) الَّتِي أَتَوْا بِهَا نَمِنَ الْمِيرَةِ وَكَانَتْ دِرَاهِمَ (فِي رِحَالِهِمْ) أَوْعِيْتَهُمْ (لَعَلَّهُمْ يَعْرِفُونَهَا إِذَا انْقَلَبُوا إِلَى أَهْلِهِمْ) وَفَرَّغُوا أَوْعِيَتَهُمْ (لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ) إِلَيْنَا لِأَنَّهُمْ لَا يَسْتَحِلُّونَ إِسْمَاكَهَا (فَلَمَّا رَجَعُوا إِلَى أَيْيِهِمْ قَالُوا يَا أَبَانَا مُنِّعَ مِنَّا الْكَيْلِ) إِنْ لَمْ تَرْسِلْ أَخَانَا إِلَيْهِ (فَارْسِلْ مَعَنَا أَخَانَا نَكْتَلِ)

فلا كيل) أى وهو الجزم لأنه جواب الشرط وحيفت فلا تافية ونون الرفع محذوفة للجواز على كل حال وعليه فيكون المعنى فلا كيل ولا قرب (قوله وإنا لنأعلون ذلك) أى الراودة والاجتهاد (قوله وفي قراءة) أى وهي سبعة أيضا وكل من فتيته وفتيانته جمع لقي لكن الأول جمع قلة والثاني جمع كثرة (قوله اجعلوا بضاعتهم في رحالهم) أى فقد وكل بكل رجل واحدا من غلمايه يضع فيه ثمن الطعام الذى في هذا الرحل (قوله وكانت دراهم) وقيل كانت نعالا وجلودا والأقرب الأول لأن شأن الدراهم أن تخفى ولا شك أنهم لم يعلموا بها إلا عند تفرغ أوعيتهم (قوله لأنهم لا يستحلون إسماعيل) أى لأن دياتهم وأماتهم تحملهم على رد البضاعة إليه إذا وجدوها لأنهم مطهرون من أكل ما لا يحل لهم ، وقيل قصد يوسف بذلك مواساة أبيه . إخوته خوفا أن لا يكون عندهم شيء من المال . وقيل أراد أن يريهم برّه وكرمه ليكون ذلك باعثا لهم على الرجوع ، وقيل رأى أن أخذ ثمن الطعام من أبيه وإخوته لؤما ، وقيل أراد أن يحسن إليهم على وجه لا ياحقهم فيه منة ولا عيب (قوله فلما رجعوا) أى التبعة [صاوي - ثاني] لما قسم أنه أخذ ثمنهم رهينة على أن يأتوه بنيامين (قوله منع منا الكيل) أى بعد هذه المرة

(قوله بالنون والياء) أى فهما قراءتان سبعيتان وأصل نكتل نكتيل تحرك الياء وانفتح ما قبلها قلبت ألفا ثم حذفت لالتقاء الساكنين (قوله هل آمنكم) الاستفهام إنكارى ولما أفسر هل بما ، وللعنى كيف آمنكم على ولدى بنيامين قد فعلتم بأخيه يوسف ما فعلتم وإنكم ذكركم مثل هذا فى شأن يوسف حيث قلتم : وإناله لحافظون ، فلما لم يحصل الحفظ هناك فكيف آمنكم هنا (قوله إلا كما آمنتمكم) الكاف بمعنى مثل صفة مصدر محذوف والتقدير إلا أتماننا مثل أتمانى لكم على أخيه الخ (قوله وفى قراءة) أى وهى سبعة أيضا (قوله تمييز) أى على كل من القراءتين (قوله فأرجو أن يمن بحفظه) أى ولا يجمع على مطيعتين . قال كتب الأخبار لما قال يعقوب ذلك قال الله له لأردن عليك كليهما حيث توكلت على واستحفظتنى عليه (قوله ولما فتحوا متاعهم) أى بحضرة أيهم (قوله وجدوا بضاعتهم) أى وهى ثمن البيرة (قوله أعظم من هذا) ورد أنهم قد كانوا ذكروا ليعقوب إحسان ملك مصر إليهم وحشوا يعقوب على إرساله بنيامين معهم فلما وجدوا بضاعتهم ردت إليهم قالوا أى شئ نطلب بعد هذا الأكرام أوفى لنا الكيل ورد لنا (٢٣٤) نحن ، لو كان رجلا من أولاد يعقوب ما أكرمتنا كرامته فقال لهم يعقوب إذا رجعت

إلى مصر فأقرئوه منى السلام وقولوا له إن آبائنا يصلى عليك ويدعوك بما أولينا (قوله وتزداد كيل جبر) أى على أحمالنا (قوله لتأنتنى به) هذا هو جواب القسم (قوله إلا أن يحاط بكم) استثناء من عموم الأحوال والتقدير لتأنتنى به فى كل حال إلا حال يحاط بكم (قوله فلما آتوه موقعهم) أى بقولهم بالله رب محمد لنا نينك به . والوفاق العهد المؤكد باليمين (قوله من أبواب متفرقة) أى وكانت أبواب مصر إذ ذاك أربعة (قوله لثلاث نصيبكم العين) إنما خاف عليهم العين لكلامهم

بالنون والياء (وإننا له لحافظون . قال هل) ما (آمنكم عليه إلا كما آمنتمكم على أخيه) يوسف (من قبل) وقد فعلتم به ما فعلتم (قاله خير حفظا) وفى قراءة حافظا تمييز كقولهم لله دره فارسا (وهو أرجم الراجحين) فأرجو أن يمن بحفظه (ولما فتحوا متاعهم وجدوا بضاعتهم ردت إليهم قالوا يا آبائنا ما نبغى) ما استفهامية أى أى شئ نطلب من إكرام الملك أعظم من هذا وقرئ بالفوقانية خطابا ليعقوب وكانوا ذكروا له إكرامه لهم (هذه بضاعتنا ردت إلينا ونمير أهلنا) نأتى بالبيرة لهم وهى الطعام (ونحفظ أخانا وترزاد كيل بغير) لأخينا (ذلك كيل يسير) سهل على الملك لسخائه (قال لن أرسله معكم حتى تؤتون موثقا) عهدا (من الله) بأن تحلفوا (لتأنتنى به إلا أن يحاط بكم) بأن تموتوا أو تغلبوا فلا تطيقوا الإتيان به فأجابه إلى ذلك (فلما آتوه موقعهم) بذلك (قال الله على ما تقول) نحن وأنتم (وكيل) شهيد وأرسله معهم (وقال يا بنى لا تدخلوا) مصر (من باب واحد وأدخلوا من أبواب متفرقة) لثلاث نصيبكم العين (وما أغنى) أدفع (عنكم) بقولى ذلك (من الله من) زائدة (شئ) قدره عليكم وإنما ذلك شفقة (إن) ما (الحكم إلا لله) وحده (عليه نوكلت) به وقت (وعليه فليتبوكل المتوكلون) قال تعالى (ولما دخلوا ،

وجاهلهم وقوتهم واشتبارهم بين أهل مصر باكرام الملك لهم واحترامهم فأمرهم بالتمفرق ليساموا من إصابة العين فانها كما قال أهل السنة سبب عادى للضرر كالسهم والسيوف يوجد الضرر عندها لاجها وقالت الفلاسفة إن العائن ينبعث من عينه قوة سمية تنص بالعيون فيهلك أو يفسد فأنبتوا للعين تأثيرا بنفسها وهو كلام باطل واعتقاده كفر ، وأعظم نافع فى الرقى من العين سورنا المعوذتين (قوله من الله) أى من قضائه (قوله وإنما ذلك) أى القول (قوله شفقة) أى رأفة بكم . إن قلت لم أمرهم بذلك فى هذه المرة ولم يأمرهم فى المرة الأولى . أجيب بجوابين الأول لكون معهم بنيامين وهو عزيز عليه يخاف عليهم من أجل كونه معهم والثانى أنهم اشتهروا فى مصر بأنهم أولاد رجل واحد وفيهم نور النبوة والشهامة والجمال سيما وقد كانوا عند الملك بمنزلة بخلاف المرة الأولى (قوله عليه توكلت) أى فوضت أمورى واعتمدت عليه لاطى ما أمرتكم به لأن الأخذ فى الأسباب مع التوكل أنفع من ترك الأسباب (قوله ولما دخلوا من حيث أمرهم أبوهم) اختلف فى جواب لما قيل هو قوله ما كان يتنى الخ والمعنى أن دخولهم من أبواب متفرقة لا يدفع عنهم عما قدره الله شيئا بل الدخول متفرقا كالدخول مجتمعا بالنسبة لقضاء الله وقيل هو قوله آوى

من

إليه أخاه وهو جواب لما الثانية أيضا لأن المقصود بدخول المدينة الدخول على يوسف والقصود به إيواء الأخ فلما الثانية مرتبة على لما الأولى يصلح أن يكون جوابها واحدا (قوله من حيث أمرهم أبوهم) نى من أبواب متفرقة (قوله ما كان يغنى) أى يدفع عنهم متفرق ففاعل يغنى ضمير يعود على التفرق (قوله لإحاجة) استثناء منقطع ولذا فسر به ولكن، والمعنى لم يكن تفرقهم دافعا عنهم من قدراته شيئا لكن حاجة في نفس يعقوب قضاها وهي دفع العين عنهم التى كانت تصيبهم عند دخولهم مجتمعين فإن التفرق في الدخول دفعها بلادة الله (قوله لتعليمنا إياه) أشار بذلك إلى أن مامصدرية (قوله ولما دخلوا على يوسف) أى منزله ومحل حكمه وهذا الدخول غير الدخول السابق فإن المراد به دخول المدينة قل المفسرون لما دخلوا عليه قالوا أيها الملك هذا أخونا الذى أمرتنا أن نأتيك به فقد جئتاك به فقال أحسنتم وأصنتم ستجدون ذلك عندي ثم أنزلهم وأكرم نزلهم ثم أضافهم وأجلس كل اثنين على مائدة فبقي بنيامين وحيدا فبقي وقال لو كان أخى يوسف حيا لأجلسني معه فقال لهم يوسف لقد بقي هذا وحده فقالوا كان له أخ فهلاك قال لهم فأنما أجلسه معي فأخذه فأجلسه معه على المائدة وجعل يواكله فلما دخل الليل أمرهم بمثل ذلك من الفرائش وقال كل اثنين ينامان على فراش واحد فبقي بنيامين وحده فقال يوسف هذا ينام عندي على فراشي فقام بنيامين مع يوسف على فراشه فجعل يوسف يضمه إليه ويشم ريح أبيه منه حتى أصبح فلما أصبح قال لهم إني أرى هذا الرجل وحيدا ليس معه ثان فأنما أضمه إلى (٢٣٥) فيكون معي في منزلي ثم إنه

أنزلهم وأجرى لهم الطعام فقال روبييل مارأينا مثل هذا فلما خلا به قال له يوسف ما سمكت قال بنيامين قال فهل لك من ولد قال عشرة بنين قال فهل لك من أخ لأم قال كان لي أخ فهلاك قال يوسف أحب أن أكون أنا أخاك بدل أخيك الهالك قال بنيامين ومن يجد أخا منك أيها الملك ولكن لم يدك يعقوب ولا راحيل فبقي يوسف عليه السلام وقام إليه وعانقه وقال إني أنا أخوك الخ وقال كعب لما قال له

مِنْ حَيْثُ أَمَرَهُمْ أَبُوهُمْ (أَي مَتَفَرِّقِينَ) (مَا كَانَ يُغْنِي عَنْهُمْ مِنَ اللَّهِ) (أَي قَضَائِهِ مِنْ) زَائِدَةٍ (شَيْءٍ إِلَّا) لَكِنْ (حَاجَةً فِي نَفْسٍ يَعْتُوبُ قَضَاءَهَا) وَهِيَ إِرَادَةُ دَفْعِ الْعَيْنِ شَفَقَةً (وَإِنَّهُ لَدَوَّ عِلْمِهِ لَمَّا عَلَّمْنَاهُ) لَتَعْلِيمِنَا إِيَّاهُ (وَلَكِنْ أَكْثَرَ النَّاسِ) وَهِيَ الْكُفَّارُ (لَا يَتَكَلَّمُونَ) الْهَامُ اللَّهُ لِأَصْفِيَانِهِ (وَلَمَّا دَخَلُوا عَلَى يُوسُفَ آوَى) ضَمٌّ (إِلَيْهِ أَخَاهُ قَالَ إِنِّي أَنَا أَخُوكَ فَلَا تَبْتَئِسْ) تَحْزَنُ (بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ) مِنَ الْحَسَدِ لَنَا، وَأَمْرُهُ أَنْ لَا يَخْبِرَهُمْ وَتَوَاطَا مَعَهُ عَلَى أَنَّهُ سَيَحْتَالُ عَلَى أَنْ يَبْقِيَهِ عِنْدَهُ (فَلَمَّا جَمَّزَهُمْ بِجَهَازِهِمْ جَمَعَ السَّمَايَةَ) هِيَ صَاعٌ مِنْ ذَهَبٍ مَرْصَعٌ بِالْجَوَاهِرِ (فِي رَحْلِ أَخِيهِ) بَنِيَامِينَ (ثُمَّ أَذَّنَ مُؤَذِّنٌ) نَادَى مُنَادٍ بَعْدَ انْقِصَالِهِمْ عَنْ مَجْلِسِ يُوسُفَ (أَيَّتُهَا الْعِيرُ) الْقَافِلَةُ (إِنَّكُمْ لَسَارِقُونَ) قَالُوا وَ (قَدْ أَقْبَلُوا عَلَيْهِمْ مَاذَا) مَا الَّذِي (تَقْعِدُونَهُ) (قَالُوا نَقْعِدُ صُوعًا) صَاعٌ (الْمَلِكِ وَلَمَّا جَاءَ بِهِ رَحِلُ بَعِيرٍ) مِنَ الطَّعَامِ (وَأَنَابِهِ) بِالْحُلِيِّ (زَعِيمٌ) كَفِيلٌ (قَالُوا تَاللَّهِ) قَسَمَ فِيهِ مَعْنَى التَّعَجُّبِ (لَقَدْ عَلِمْتُمْ مَا جِئْتُمْ لِنَفْسٍ فِي الْأَرْضِ وَمَا كُنَّا سَارِقِينَ) مَاسَرَقْنَا قَطْ (قَالُوا) أَيُّ الْمُؤْذِنِ وَأَصْحَابِهِ (فَمَا جَزَاؤُهُ) أَيُّ السَّارِقِ (إِنْ كُنْتُمْ كَاذِبِينَ) فِي قَوْلِكَ: مَا كُنَّا سَارِقِينَ،

يوسف إني أنا أخوك قال بنيامين أنا لا فأفارقك فقال يوسف قد علمت اغتنام والدي في فأذا حبستك عندي ازداد غمه ولا يمكنني هذا إلا بعد أن أشهرك بأمر فطيع وأنسبك إلى مالا يحمد فقال لأبائي أفعَلْ مَا بَدَأَكَ فَاثِي لَا أَفَارُكَ قَالَ يَوْسُفُ فَاتِي أَدَسْ صَاعِي فِي رَحْلِكَ ثُمَّ أَنَادَى عَلَيْكَ بِالسَّرْقَةِ لِأَحْتَالُ فَبَرَدَكَ بَعْدَ إِطْلَاقِكَ قَالَ فَافْعَلْ مَا شِئْتَ فَذَلِكَ قَوْلُهُ تَعَالَى فَلَمَّا جَهَّزَهُمُ الْخُ (قَوْلُهُ فَلَمَّا جَهَّزَهُمُ) عَبْرَهُنَا بِالْفَاءِ إِشَارَةً إِلَى طَلَبِ سِرِّهِمْ وَذَهَابِهِمْ بِلَادَهُمْ بِخِلَافِ الْمَرَّةِ الْأُولَى فَإِنَّ الْمَطْلُوبَ طُولَ إِقَامَتِهِمْ لِيَتَعَرَّفَ حَالَهُمْ (قَوْلُهُ هِيَ صَاعٌ مِنْ ذَهَبٍ) كَانَ يَشْرَبُ فِيهِ الْمَلِكُ فَسُمِّيَ سَقَايَةً بِاعْتِبَارِ أَوَّلِ حَالِهِ وَصَاعًا بِاعْتِبَارِ آخِرِ أَمْرِهِ لِأَنَّ الصَّاعَ آلَةُ الْكِيلِ (قَوْلُهُ مَرْصَعٌ بِالْجَوَاهِرِ) أَيُّ مَزِينٍ وَمُحَلِّي بِهَا (قَوْلُهُ بَعْدَ انْقِصَالِهِمْ عَنْ مَجْلِسِ يُوسُفَ) أَيُّ خُرُوجِهِمْ وَسِرِّهِمْ بِقِيلِ لِنَهُمْ وَصَلُوا إِلَى بَلْيَيسَ وَرَدُوا مِنْ عِنْدِهَا (قَوْلُهُ أَيْتُهَا الْعِيرُ) هِيَ فِي الْأَصْلِ كُلُّ مَا يَحْمِلُ عَلَيْهِ مِنْ إِبِلٍ وَحَمِيرٍ وَيُقَالُ أَطْلَقْتُ وَأُرِيدُ أَصْحَابَهَا فَهُوَ جَزَاءُ عِلَاقَتِهِ الْجَاهِرَةِ (قَوْلُهُ وَأَقْبَلُوا) قَدَرٌ لِلْفَرْسِ قَدْ إِشَارَةً إِلَى أَنَّ الْجُمْلَةَ حَالِيَّةٌ وَالْمَعْنَى أَنَّهُمُ اتَّفَعُوا إِلَيْهِمْ وَخَاطَبُوهُمْ بِمَا ذَكَرَ (قَوْلُهُ مَاذَا تَقْعِدُونَ) أَيُّ أَيُّ شَيْءٍ صَاعٌ مِنْكُمْ (قَوْلُهُ صُوعًا الْمَلِكِ) أَيُّ آلَةِ كَيْلِهِ وَإِنَّمَا اتَّخَذَ آلَةَ كَيْلٍ لِعِزَّةٍ مَا يَكَالُ بِهِ فِي ذَلِكَ الْوَقْتُ وَفِيهِ قُرْآنُ كَثِيرَةٍ السَّبْعِيَّةِ مِنْهَا وَاحِدَةٌ وَهِيَ صُوعًا وَمَا عَدَلَهَا شَاذٌ (قَوْلُهُ حَمَلُ بَعِيرٍ) أَيُّ جَعَلَا لَهُ (قَوْلُهُ قَالُوا تَاللَّهِ الْخُ) إِنَّمَا قَالُوا ذَلِكَ لِمَا ظَهَرَ مِنْ أَحْوَالِهِمْ مَا يَبْدُلُ عَلَى صَدَقَتِهِمْ حَيْثُ كَانُوا مَوَاطِينَ عَلَى الطَّاعَاتِ وَالْخِبرَاتِ حَتَّى بَلَغَ مِنْ أَمْرِهِمْ أَنَّهُمْ سَدُّوا أَفْوَاهَهُمْ لِكُلِّ شَيْءٍ مِنْ أَمْوَالِ النَّاسِ (قَوْلُهُ لَقَدْ عَلِمْتُمْ) الْإِلَاحُ مَوْطِئَةٌ لِقَسَمِ

محذوف تأكيد لما قبله (قوله ووجد فيكم) الجلة حالية ، والمعنى لما جزأوه . إن كنتم صادقين في قولكم والحال أنه ظهر خلاف ما كنتم (قوله خبره من وجد) أى فمن اسم موصول ووجد صلتها والكلام على حذف مضاف أى استرقاق من وجد أشار له المفسر بقوله يسرق (قوله وكانت سنة آل يعقوب) أى طريقهم وشرعيتهم يسرق السارق سنة (قوله كذلك الجزاء) أى الله كور وهو استرقى السارق (قوله فصرخوا) أى ردوا من المكان الذى لحقهم فيه جماعة الملك (قوله فبدأ بأوعيتهم) أى فكان يفتح وعاء وعاء ويفتشه ثم بها فراغه منه يستغفر الله مما قدفهم به إلى أن وصل إلى رحل بنيامين فقال : ما أظن هذا أخذ شيئا فقالوا والله لا نتركك حتى تنظر في رحله فإنه أطيب لنفسك وأنفسنا فلما فتحوا متاعه وجدوا الصواع فيه (قوله ثم استخرجها من وعاء أخيه) أى فلما أخرجها منه نكس الأخوة ردوسهم من الحياء وأقبلوا على بنيامين يلومونه ويقولون له فضحتنا وسودت وجهنا يا بني وراحيل مازال لنا منكم بلاء فقال بنيامين بل بنوراحيل مازال لهم منكم بلاء ذهبتم بأخى فأهلكتموه في البرية إن الذى وضع هذا الصواع في رحلي هو الذى وضع البضاعة في رحالكم (قوله كذلك الكيد) أى الحيلة وهى استفتاء يوسف من إخوته (قوله كدنا ليوسف) أى ألهمناه أن يضع الصاع في رحل أخيه ليضمه إليه على ما حكم به إخوته (قوله علمنا الاحتيال الخ) أى فلما وقع من يوسف في تلك الواقعة (٢٣٦) بوحى من الله تعالى وحيد فلا يقال كيف نادى على إخوته بالسرقة

واتهمهم بها مع أنهم بريئون (قوله لأن جزاءه عنده الضرب الخ) أى وهذه الطريقة لا توصله إلى أخذ أخيه (قوله مثلى المسروق) أى مثلى قيمته (قوله إلا أن يشاء الله) استثناء منقطع والمعنى ما كان ليأخذ أخاه في دين الملك ولكن أخذه بشريعة يعقوب لمشيئة الله لأخذه إذ لو شاء عدم أخذه لماعلمه تلك الحيلة (قوله بحكم أبيه) أى

ووجد فيكم (قالوا جزأوه) مبتدأ خبره (من وجد في رحله) يسترق ثم أكد بقوله (فبدأ) أى السارق (جزأوه) أى المسروق لا غير ، وكانت سنة آل يعقوب (كذلك) الجزاء (تجزى الظالمين) بالسرقة فصرخوا ليوسف لتفتيش أوعيتهم (فبدأ بأوعيتهم) ففتشها (قبل وعاء أخيه) ثلاثتهم (ثم استخرجها) أى السقاية (من وعاء أخيه) قال تعالى (كذلك) الكيد (كدنا ليوسف) علمناه الاحتيال في أخذ أخيه (ما كان) يوسف (ليأخذ أخاه) رقيقا عن السرقة (في دين الملك) حكم ملك مصر لأن جزاءه عنده الضرب وتغريم مثلى المسروق لا الاسترقاق (إلا أن يشاء الله) أخذه بحكم أبيه أى لم يتمكن من أخذه إلا بمشيئة الله بإلهامه سؤال إخوته وجوابهم بسنتهم (رفع درجات من نشأه) بالإضافة والتنوين في الهم كيوסף (وفوق كل ذي علم) من المخلوقين (عليم) أعلم منه حتى ينتهى إلى الله تعالى . (قالوا إن يسرق فقد سرق أخ له من قبل) أى يوسف وكان سرق لأبى أمه صناما من ذهب فكسره ،

لثلا

شريعته (قوله بالإضافة والتنوين) أى فهما قراءة ان سعيان (قوله وفوق) خبر مقدم وعليم

مبتدأ مؤخر ، والمعنى أن إخوة يوسف وإن كانوا علماء إلا أن الله جعل يوسف قوهم في العلم بل فضله عليهم بمزايا عظيمة منها الرسالة والملك والانعام عليهم وغير ذلك (قوله قالوا إن يسرق الخ) سبب هذه المقالة أنه لما خرج الصاع من رحل بنيامين افتضح الأخوة ونكسوا ردوسهم فقالوا تبرئة لناحتهم إن يسرق الخ وآتوا بان المفيدة للشك لأنه ليس عندهم تحقق مرقته بمجرد إخراج الصاع من رحله وبالمضارع لحكاية الحال الماضية (قوله وكان سرق لأبى أمه صناما الخ) هذا أحد أقوال في السرقة التى نسبوها له ، وقيل جاءه سائل يوما فأخذيضة من البيت فناولها للسائل وقيل أخذ دجاجة من الطير التى كانت في بيت يعقوب فأعطاه سائلا وقيل كان يخبأ الطعام من المائدة للفقراء وقيل لم يسرق أصلا لظاهره ولا باطنا وإنما كانت تهمة فقط وذلك أن عمت حفصته بدموت أمه فأحبته حبا شديدا ، فلما زعرع وقعت محبة يعقوب عليه فأحبه فقال لأخته يا أختاه سلمى إلى يوسف فوالله ما أقدر أن يغيب عنى ساعة واحدة فقالت لأعطيك فقال والله ما أنا بتاركه عندك فقالت دعه عندي أياما أنظر إليه لعل ذلك يسلبني عنه ففعل ذلك فعمدت إلى منطقة كانت لاسحاق وكاتوا بتوارثونها بالكبر وكانت أكبر أولاد إسحق وكانت عندها فشدت المنطقة على وسط يوسف تحت ثيابه وهو صغير لا يشعر ثم قالت لقد فقدت منطقة إسحاق ففتشوا أهل البيت فوجدوها مع يوسف فقال يعقوب إن كان فعل ذلك فهو سارق فأمسكته عندها حتى مات .

(قوله ثلاثا يصده) أى يدوم على عبادته (قوله والضرب للكلمة الخ) أى فهو عائد على متأخر لفظاً ورتبة وحيث يكثر في الكلام تقديم وتأخير والتقدير قال أتم شر مكاني وأسرها في نفسه وهذا أحد قولين وقيل إنه عائد على قوله فقد سرق أخ له من قبل، ومعنى قوله أسرها لم يرد لها جواباً (قوله أتم شر مكاني) أى منزلة والمعنى أن ما ظهرتم به شر عما ظهر به يوسف وأخوه فانهما اتفهما بالسرقه ظاهراً وأتم سرقتم يوسف من أبيه وفعلتم به ما فعلتم (قوله لسرقتم أخاكم من أبيكم) أى وهو يوسف (قوله عالم) أشار بذلك إلى أن اسم التفضيل ليس على بابة إذ لا مشاركة بين الحادث والقديم (قوله قالوا يا أيها العزيز الخ) سبب هذه المقالة أنه لما استخرج الصاع من رحل بنيامين غضب روبييل لذلك وكان بنو يعقوب إذا غضبوا لم يطاقوا وكان روبييل إذا غضب لم يحم لضبه شيء وكان إذا صاح ألقى كل حامل حملها إذا سمعت صوته وكان مع ذلك إذا مسه أحد من ولد يعقوب يسكن غضبه وكان أقوى الأخوة وأشدّهم، وقيل كان هذا صفة شمعون بن يعقوب فقال لإخوته: كم عدد الأسواق بمصر؟ قالوا عشرة قال اكفوني أتم الأسواق وأنا أكفيكم الملك أو اكفوني أتم الملك وأنا أكفيكم الأسواق فدخلوا على يوسف فقال روبييل أيها الملك اتردن علينا أخانا أولاً صبحن صيحة لا يبقى بمصر امرأة (٢٣٧) حامل إلا وضعت حملها وقامت كل

شعرة في جسد روبييل حتى ارجت من ثيابه فقال يوسف لابن صغير له: قم إلى جنب هذا فمسه وأخذ بيده فأتى له، فلما مسه سكن غضبه فقال لإخوته من مسني منكم؟ فقالوا لم يصبك منا أحد فقال روبييل إن هنا بذرا من بذر يعقوب فغضب ثانياً فقام يوسف إليه فوكزه رجله وأخذ يدا من يديه فوقع على الأرض وقال لهم: أتم يا معشر العبرانيين تزعمون أن لا أحد أشد منكم، لما رأوا ما زل بهم ورأوا

لثلاثا يصده (فأسرها يوسف في نفسه ولم يبدّها) يظهرها (لهم) والصير للكلمة التي في قوله (قال) في نفسه (أنتم شرّ مكاناً) من يوسف وأخيه لسرقتم أخاكم من أبيكم وظلمكم له (والله أعلم) (عالم) بما تصفون (تذكرون في أمره) (قالوا يا أيها العزيز إن له أبا شيخاً كبيراً) يحبه أكثر منا ويتسلى به عن ولده المالك ويحزنه فراقه (فخذ أحداً) استعبده (مكانه) بدلاً منه (إنا تركنا من المؤمنين) في أفعالك (قال معاذ الله) نصب على المصدر حذف فعله وأضيف إلى المفعول أى نعوذ بالله من (أن نأخذ إلا من وجدنا متاعنا عنده) لم يقل من سرق نحرزاً من الكذب (إنا إذا) إن أخذنا غيره (لظالمون) فلما استتأسوا) يتسوا) منه خلصوا) اعتزلوا (نجياً) مصدر يصلح للواحد وغيره أى يتأجى بعضهم بعضاً (قال كبيرهم) سنار روبييل، أورايا يهودا (ألم تعلموا أن أباكم قد أخذ عليكم موثقاً عهداً) (من الله) في أخيك (ومن قبل ما) زائدة (فرطتم في يوسف) وقيل ما مصدرية مبتدأ خبره من قبل (فلن أبرح) أفارق (الأرض) أرض مصر (حتى يأذن لي أبنى) بالعود إليه (أو يحكم الله لي) بخلص أخى (وهو خير الحاكمين) أعد لهم (أرجعوا إلى أبيكم) قولوا يا أبانا،

أن لا سبيل إلى الخلاص خضعوا ودلوا وقالوا يا أيها العزيز الخ (قوله كبيراً) أى في السن أو القدر لأنه نبي من أولاد الأنبياء (قوله استعبده) أى استرقه (قوله مكانه) منصوب على الظرفية أو ضمن خذ معنى اجعل فكانه مفعول ثان (قوله من المؤمنين) أى في أفعالك وإلينا في توفية السكيل وحسن الضيافة وغير ذلك (قوله إنا إذا لظالمون) أى في أخذ أحدكم مكانه (قوله يتسوا) أشار بذلك إلى أن السنين والتاء زائدتان (قوله اعتزلوا) أى مجلس الملك (قوله نجياً) هو حال والمعنى خلصوا حال كونهم متناجين ومتشاورين في أمر هذه القضية (قوله في أخيك) أى في رده (قوله ما زائدة) أى والجار والمجرور متعلق بفرطتم (قوله وقيل ما مصدرية مبتدأ) أى وهى وما دخلت عليه في تأويل مصدر مبتدأ فالمتبدا في الحقيقة المصدر المنسبك والمعنى وتفریطكم كأن من قبل تفریطكم في بنيامين. واعترض هذا الاعراب بأن الظروف المنقطعة عن الإضافة لا تقع خبراً. ويجاب بأن محل ذلك ما لم يمتنع المضاف إليه كما هنا (قوله فلن أبرح الأرض) أشار بذلك إلى أن أبرح ضمنت معنى أفارق فالأرض مفعول به وأبرح تامة (قوله أو يحكم الله) إما معطوف على يأذن أو منصوب بأن مضمرة في جواب التنى كأنه قال فلن أبرح الأرض إلا أن يحكم الله كقولهم لا تزنك أو قضني حتى أى إلا أن قضني حتى (قوله قولوا يا أبانا الخ) إنما أمرهم بذلك لتزول التهمة عنهم عند أبيهم

(قوله إن ابنك سرق) إنما نسبوه لسرقه لأنهم شاهدوا الصواع قد أخرج من مناعه فقلب على ظنهم أنه سرق ، فنسبوه إلى السرقه في ظاهر الحال لافي الحقيقة (قوله وما كنا للغيب حافلين) أي وما كنا للعواقب عالمين فلم ندر حين إعطيناك اللوثق أنه سيمسرق وتصاب به كما أصبت يوسف (قوله أي أرسل إلى أهلها) أشار بذلك إلى أن الكلام على حذف مضاف وكذا في قوله والعمير (قوله وهم قوم من كنعان) أي وكانوا جيرانا ليعقوب (قوله وإنا لصادقون) أي سواء نسبنا إلى التهمة أم لا وليس غرضهم أن يثبتوا صدق أنفسهم بهذه المقالة لأن دعوى الخصم لا تثبت بنفسها (قوله فرجعوا) أي التسعة وقدره إشارة إلى أن قوله قال بل سؤلت الخ مرتب على محذوف (قوله فصر جليل) خبر لبند محذوف قدره المقصر بقوله صبرى ، وتقدم أن الصبر الجليل هو الذى لا شكوى معه لمخاوف ولا جزع من فعل الخالق ولذلك فوض أمره لله ولم يسأل العمير ولم يرسل يستخبر من القرية التي كانوا فيها بل استسلم للقضاء ولم يقطع الرجاء (قوله عسى الله أن يأتيهم بهم) إنما قال ذلك لأنه لما طال حزنه واشتد كربه علم أن الله سيجعل له فرجا ومخرجا لأنه إذا اشتد الكرب كان إلى الفرج أسرع وقيل إن يعقوب أطلعه الله على باطن الأمر وأن أولاده أحياء لم يصابوا بشيء وأنه سيجتمع عليهم غير أنه أمر بكم ذلك فلوح بتلك الإشارة إلى ماعمله (قوله وأخويه) أي بنيامين (٢٣٨) وكبيرهم (قوله الحكيم في صنعه) أي لأنه يضع الأشياء في محلها

(قوله وتولى عنهم) مرتب على ما ذكره له (قوله الألف بدل من ياء الإضافة) أي والأصل يا أسنى بكسر الفاء وفتح الياء قلبت الكسرة فتحة ثم تحركت الياء واخترع ما قبلها قلبت ألفا فيقال في إعرابها أسنى منادى منصوب بفتحة مقدرة على ما قبل ياء التكلم للقلبة ألفا (قوله على يوسف) إنما تجدد حزنه على يوسف عند إخباره بواقعة

إِنَّ أَبْنَكَ سَرَقَ وَمَا شَهِدْنَا عَلَيْهِ (إِلَّا بِمَا عَلَّمْنَا) تيقنا من مشاهدة الصاع في رحله (وَمَا كُنَّا لِلْغَيْبِ) لما غاب عنا حين إعطاء اللوثق (حَافِظِينَ) ولو علمنا أنه يسرق لم نأخذ (وَسُئِلَ الْقَرْيَةَ الَّتِي كُنَّا فِيهَا) هي مصر أي أرسل إلى أهلها فأسألمهم (وَالْأَمِيرَ) أي أصحاب العمير (الَّتِي أَقْبَلْنَا فِيهَا) وهم قوم من كنعان (وَأَنَا لَصَادِقُونَ) في قولنا فرجعوا إليه وقالوا له ذلك (قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ) زينت (لَكُمْ أَنْفُسُكُمْ أَثْرًا) فعملتموه اتهمهم لما سبق منهم من أمر يوسف (فَصَبَّرْ جَلِيلٌ) صبرى (عَسَى اللَّهُ أَنْ يَأْتِيَنِي بِهِمْ) بيوسف وأخويه (جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ) بحال (الْحَكِيمُ) في صنعه (وَتَوَلَّى عَنْهُمْ) تاركا خطابهم (وَقَالَ يَا أَسْنَى) الألف بدل من ياء الإضافة أي يا حزني (عَلَى يُوسُفَ وَأَيُّضَ عَيْنَاهُ) انمحق سوادهما وبدل بياضا من بكائه (مِنْ الْحُزْنِ) عليه (فَهُوَ كَظِيمٌ) مغموم مكروب لا يظهر كرب (قَالُوا تَاللَّهِ) لا (تَقْتُولُوا) تزال (تَذْكُرُ يُوسُفَ حَتَّى تَكُونَ حَرَضًا) مشرقا على الهلاك لطول مرضك وهو مصدر يستوى فيه الواحد وغيره (أَوْ تَكُونَ مِنَ الْمَلَائِكَةِ) اللوثق ،

بنيامين لأن الحزن القديم إذا صادفه حزن آخر كان أوجع للقلب وأعظم لهيجان الحزن وليس في هذا إظهار جزع بل هو شكوى لله لا للخلق فعنى يا أسنى أشكو إلى الله شدة حزني فلا ينافي قوله فصر جليل (قوله وايضت عيناه) قيل معناه عمي فلم يبصر شيئا ست سنين وهذا بناء على جواز مثل هذا على الأنبياء بعد التبليغ واشتهار الأمر وقيل معناه ضعف بصره من كثرة البكاء واتصال الدمع بعينه ببعض لم يكن عمي حقيقة بل من كثرة البكاء صار على إنسان العين غشاوة مانعة له من النظر ولم يذهب أصلا وهذا هو الأقرب (قوله فهو كظيم) أي مكظوم من الحزن بمسك عليه لا يذكره لأحد قال قتادة : الكظيم الذى يرد حزنه في جوفه لم يقل إلا خبرا (قوله قالوا تالله) أي تسلية له على ما نزل به من الحزن العظيم . إن قلت كيف حلفوا على شيء لا يعلمون حقيقته . أجيب بأنهم حلفوا على غلبة الظن وهي بمنزلة اليقين فهو من لغو اليمين الذى لا يؤاخذ به العبد (قوله تفتؤانذ كر يوسف الخ) إنما قدر المفسر لا لأن التسم المثبت جوابه مؤكد بالنون أو التام عند الكوفيين أو بهما عند البصريين فلهذا رأينا الجواب هنا خاليا منهم علمنا أن القسم على الشيء بمعنى أن جوابه منقضى لا مثبت فلو قيل تالله أحبك كان المراد لأحبك وهو من قبيل التورية ومن ذلك إذا قال والله أجيئك غدا فيجئت بالخطىء بخلاف ما إذا قال لا أجيئك فيجئت بعده (قوله حتى تكون حرضا) هو من باب تعب يقلل حرضا أشرف على الهلاك (قوله وغيره) أي للثنى والمجموع والذكر واللوث .

(قوله قال لهم) أى جواباً لقولهم (قوله إنما أشكو بني) البتة تفريق الحزن وإظهاره لأن الإنسان إذا ستر الحزن وكتمه كان هماً وإذا ذكره لغيره كان بشاً فالبتة أشد الحزن وهذه المقالة قالها لجبريل عليه السلام لما ورد أنه كان ليعقوب شخص مؤانخ له فقال له ذات يوم يا يعقوب ما الذى أذهب بصرك وما الذى قوس ظهرك ؟ قال أما الذى أذهب بصري فالبكاء على يوسف ، وأما الذى قوس ظهري فالحزن على بنيامين ، فأتاه جبريل فقال له يا يعقوب إن الله يقرئك السلام ويقول لك أما تستحي أن تشكو إلى غيري ؟ فقال إنما أشكو بني وحزنى إلى الله ، فقال جبريل الله أعلم بما تشكو ، وإنما عوتب يعقوب بهذا لأن حسنة الأبرار سيئات للقرين لأن العتاب على قدر الرتبة (قوله وأعلم من الله ما لا تعلمون) أى من رحمته وإحسانه (قوله وهو حى) أى لما روى أن ملك الموت زار يعقوب فقال له يعقوب أيها الملك الطيب ربحه الحسن صورته الكريم على ربه هل قبضت روح ابن يوسف قال لا فطابت نفس يعقوب وطمع في رؤيته (قوله يا بني اذهبوا إلح) سبب تلك المقالة أن أولاده لما أخبروه بسيرة ملك مصر وكال حاله في جميع أقواله وأفعاله أحست نفس يعقوب وطمع أن يكون هو يوسف فعند ذلك قال يا بني إلح (قوله فتحسبوا) هو بالحاء المهملة طلب الخبر بالحاسة والتجسس بمعناه ، روى أن يعقوب حين أمر أولاده أن يذهبوا ليأتوا بخبر يوسف وأخيه كتب لهم كتاباً إلى يوسف لما حبس عنده بنيامين من يعقوب إسرائيل الله ابن إسحاق ذبيح الله ابن إبراهيم خليل الله إلى ملك مصر ، أما بعد فانا أهل بيت وكل بنا البلاء ، أما جدى (٢٣٩) إبراهيم فشددت يدها ورجلاه وألقى في النار فصار لأمر

الله ، وأما عمى إسماعيل فابتلى بالقرية في صفه فصار لأمر الله ، وأما بنى إسحاق فابتلى بالذبح ووضع السكين على فقهه ففداه الله ، وأما أنا فكان لى ابن وكان أحب أولادى إلى فذهب به إخوته إلى البرية ثم أتونى بقبضه ملطخاً بالدم وقالوا قد سلكه الذئب فذهبت

(قَالَ لَهُمْ) (إِنَّمَا أَشْكُوا بَنِي) هو عظيم الحزن الذى لا يصبر عليه حتى يبيت إلى الناس (وَحَزَنِي إِلَى اللَّهِ) لا إلى غيره فهو الذى تنفع الشكوى إليه (وَأَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ) من أن رؤيا يوسف صدق وهو حى ثم قال (يَا بَنِي أَذْهَبُوا فَتَحَسَّسُوا مِنْ يَوْسُفَ وَأَخِيهِ) اطلبوا خبرهما (وَلَا تَيْسَاسُوا) تقنطوا (مِنْ رُوحِ اللَّهِ) رحمته (إِنَّهُ لَا يَيْئَاسُ مِنْ رُوحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ) فانطلقوا نحو مصر ليوסף (فَلَمَّا دَخَلُوا عَلَيْهِ قَالُوا يَا أَيُّهَا الْعَزِيزُ مَسْنَا وَأَهْلُنَا الشُّرَّ) الجوع (وَجِئْنَا بِبِضَاعَةٍ مُزْجَاةٍ) مدفوعة يدفعها كل من رآها لردامتها وكانت دراهم زيوفا أو غيرها (فَأَوْفٍ) أنتم (لَنَا الْكَيْلُ وَتَصَدَّقْ عَلَيْنَا) بالمساحة عن رداءة بضاعتنا (إِنَّ اللَّهَ يَجْزِي الْمُتَصَدِّقِينَ) يثيبهم، فرق عليهم وأدر كته الرحمة ورفع الحجاب بينه وبينهم ثم (قَالَ) لهم توبينخا (هَلْ عَلِمْتُمْ مَافَعَلْتُمْ بِيُوسُفَ) من الضرب والبيع وغير ذلك (وَأَخِيهِ)

عيناى ثم كان لى ابن آخر وكان أخاه من أمه فكنت أنسلى به وإنك حبسته وزعمت أنه سرق وإنا أهل بيت لا نسرق ولا نلد سارقاً فان رددته إلى والدعوت عليك دعوة تدرك السابع من ولدك ، فلما قرأ يوسف كتاب أبيه اشتد بكأؤه وقل صبره وأظهر نفسه لاختوته (قوله وأخيه) لم يقل وأخويه لأنه كان يعلم أن الثالث مقيم بمصر فلم يخف عليه حاله (قوله اطلبوا خبرهما) أى بالحاسة كما أن التجسس طلب الخبر بالحاسة أيضاً فهما بمعنى واحد ولذا قرئ هنا بالجيم شذوذاً (قوله من روح الله) بالفتح مصدر بمعنى الرحمة وهو فى الأصل استراحة القلب من غمه والمعنى لا تقنطوا من راحة تأنيكم من الله (قوله فانطلقوا نحو مصر) قدره إشارة إلى أن قوله فلما دخلوا عليه مرتب على محذوف (قوله مدفوعة) أى مردودة (قوله وكانت دراهم زيوفا) أى معيبة (قوله أو غيرها) أولتنويع الخلاف فقيل كانت تعالوا قيل صوفا (قوله فأوفٍ لنا الكيل) أى أعطنا ما كنت تعطيتنا من قبل بالثمن الجيد فانا نريد أن تقيم لنا الناقص مقام الزائد (قوله بالمساحة) وقيل برد أخينا بنيامين . إن قلت إن ما فعلوه خلاف ما أمرهم به أبوم من التحسس من يوسف وأخيه . أجيب بأن أبواب التحسس كثيرة وهذا منها لأن الاعتراف بالعجز وضيق اليد وشدة الحاجة مما يرقق القلب فان كان يوسف فسيظهر لهم حاله لحصول الرقة والعطف منه لهم وإن كان غيره فلا يرق ولا يعطف (قوله ورفع الحجاب إلح) قيل هو اللثام الذى كان يثلم به وقيل هو الستر الذى كان يكلمهم من خلفه وقيل هو تاج الملك الذى كان يضعه على رأسه وكان له فى قرنه علامة تشبه الشامة وكان ليعقوب مثلها وإسحاق مثلها ولسارة مثلها ففرغوها (قوله قال هل علمتم ما فعلتم بيوسف وأخيه) أى هل علمتم عاقبة ما فعلتم بهما من تسليم الله إياهما من كل مكروه وإعناهم الله عليهما بذلك اللهم العظيمة

(قوله من جنسكم له) أى ظلمكم وإذا يتكلم له (قوله إذا تم جاهلون) أى وقت جهلكم بما فيه أمرها (قوله من شمالك) أى أخلاقه (قوله وإدخال أقب بينهما الخ) أى فاقرا أت أربع التحقيق والتسهيل للثانية مع ألف بينهما بدونها ، فى قراءة خمسة سبعة أى وهى إنك بهمة واحدة (قوله قال أناس يوسف) إنما عرض باسمه تعظيما لآزله من ظلم إخوته ولما عوض الله من النصر والملك (قوله إنه من يتق) بأقبات الباء وصلا ووقفاً وبخذفها فيهما قراءتان سبعيتان فعلى الإثبات تكون من موصولة والفعل صلتها وعلى الحذف تكون شرطية والفعل مجزوم بخذفها (قوله فيه وضع الظاهر الخ) أى والأصل لا يضيع أجرم (قوله وغيره) أى كأمير والصفح والحلم (قوله لخطئين) يقال خطى إذا كان عن عمد وأخطأ إذا لم يكن عن عمد ولذا عبر بخطئين دون خطئين (قوله قال لا تثريب) أى لا تؤيبخ ولا تؤم عليكم (قوله اليوم) خبر ثان أو متعلق بالخبر فالوقف عليه وهو الأقرب ولذا مشى عليه المفسر وقوله يغفر الله لكم استئناف ويصح أن يكون ظرفاً لقوله يغفر فالوقف على قوله عليكم (قوله بغفر الله لكم) الجملة دعائية (قوله وهو أرحم الراحمين) أى يقبل التوبة ويعفو عن المذنبين ومن كرم يوسف عليه السلام أنهم لما عرفوه قالوا له إنك تدعونا بكرة وعشياً إلى الطعام ونحن نستحي منك لما تقدم منا فقال إن أهل مصر كانوا ينظرون إلى يعقوب العبودية (٢٤٠) ويقولون سبحان من باع عبداً يبيع بشرين درهماً بلغ ولقد شرفت بكم وعظمت

من هضمكم له بعد فراق أخيه (إذ أنتم جاهلون) ما يؤول إليه أمر يوسف (قالوا) بعد أن عرفوه لما ظهر من شمائله مثبتتين (أنتك) بتحقيق المميزين وتسهيل الثانية وإدخال ألف بينهما على الوجهين (لأنت يوسف قال أنا يوسف وهذا أخى قد من) نعم (الله علينا) بالاجتماع (إنه من يتق) يغفر الله (ويصبر) على ما يناله (فإن الله لا يضيع أجر المحسنين) فيه وضع الظاهر موضع المضمحل (قالوا تالله لقد آثرك) فصلك (الله علينا) بالملك وغيره (وإن) مخففة أى إنا (كنا لخطئين) آثمين فى أمرك فاذلنا لك (قال لا تثريب) عتب (عليكم اليوم) خصه بالذكر لأنه مظنة التثريب فغيره أولى (يغفر الله لكم وهو أرحم الراحمين) وسألهم عن أبيه فقالوا ذهبت عيناه فقال (أذهبوا بقميصي هذا) وهو قميص إبراهيم الذى لبسه حين ألقى فى النار) أى لأنه لما ألقى فيها عرفنا أنه جبريل قميص من حرير الجنة فألبسه إياه فكان ذلك القميص عند إبراهيم فلما مات ورثه إسحاق فلما مات ورثه يعقوب وجعله فى قسبة من فضة وسترأسها وعلقها فى عنق يوسف حفظاً من

العين فلما ألقى فى الحبس عرفنا أنه جبريل وأخرج له ذلك القميص من القسبة وألبسه إياه (قوله وقال) أى جبريل أو صلاته (قوله يأت بصيرا) يحتمل أن يأت بمعنى صير فبصير مفعول ثان وهو الذى درج عليه المفسر ويحتمل أنها بمعنى يحيى فبصير أجال (قوله بأهلكم أجمعين) أى وكانوا اثنين وسبعين ما بين رجل وامرأة وقيل ثلاثاً وسبعين فأرسل لهم فى راحلة وكانوا حين خرجوا من مصر مع موسى ستائة ألف وخمسمائة وثمانية وسبعين رجلاً سوى الذرارى والضغفاء وكانت الذرية إذ ذاك ألف ألف ومائتى ألف فقد بورك فيهم حتى بلغوا هذا العدد فى تلك المدة البسيطة لأنه كان بين يعقوب وموسى أربع مائة سنة (قوله خرجت من عريش مصر) أى متوجهة إلى أرض كنعان والعريش بلدة معروفة آخر بلاد مصر وأول بلاد الشام وما ذكره المفسر أحد قولين والآخرون الراد خرجت من نفس مصر (قوله لمن حضر من بنيه وأولادهم الخ) مقتضى هذا أن الأولاد لم يذهبوا جميعاً لمصر بل بقى بعضهم وقال غيره إن الأولاد ذهبوا جميعاً وهذا الخطاب لأولادهم (قوله لئى لأجد ريح يوسف) أى ريح الجنة من قميص يوسف فالإضافة لأدنى ملابس وفى هذا دليل على أن كل سهل فهو فى مدة المهنة صعب وكل صعب فهو فى زمان الإقبال سهل حيث وصل إليه ريح القميص من المكان البعيد عند انقضاء مدة الفراق ومنع من وصول خبره إليه - مع قرب إحدى البهتين من الأخرى فى تلك المدة العظيمة ، ومن ذلك قول العارف ابن الفارض رضى الله عنه :

أهوام إقباله كالسيوم في قصر . ويوم إضراره في الطول كالجرج (قوله أوصلته إليه الصبا) هي ربح نهب من مطاع الشمس . إن قلت إن ربح الصبا تقابل الذهاب من مصر إلى الشام فإذا كانت تقابله فكيف تحمل الريح من القميص انتهى معه إلى جهة الشام فتمتضي المادة أن التي حملت هي الدبور لأنها هي التي تذهب من جهة مصر إلى الشام . أجيبي بأن هذا خرق عادة أو يقال إن هذا ظاهر إذا كانت حملته لمقابلتها فقط ، وأما ما حصل فقد فاح شذاه على جميع الدنيا ولذا قال مجاهد : هبت ربح فصفقت القميص ففاحت روائح الجنة في الدنيا وأصلت يعقوب فوجد ربح الجنة من ذلك القميص وحينئذ حمل الصبا لريحه ظاهر لأنها لم تحمل ربحه ليعقوب فقط بل حملته لأهل الدنيا ، وقد بالغ الناس في مدح الصبا حتى قال بعض الحكماء : لو توالى على الأرض سبعة أيام لأبنت الزعفران ، وقال بعضهم مادحا لها :

أيا جيسى نسمان بالله خليا نسيم الصبا يخلص إلى نسيما
فإن الصبار ربح إذا ما فست على نفس مهموم تجلت هموما
أجد بردها أوتشف من حرارة على كعب لم يبق إلا رسوما

(قوله أو أكثر) قبل عشرة وقيل شهر (قوله لولا أن تفندون) أن وما دخلت عليه في تأويل مصدر مبتدأ خبره محذوف وجوبا وجواب لولا محذوف أيضا وتقدير الكلام لولا تنفيذكم لي موجود لصدقتموني ، والتفنيذ هو تضعيف الرأي (قوله قالوا) أي من حضر عنده من أولاد بنيه (قوله في ضلالك القديم) أي (٢٤١) من ذكر يوسف وعدم نسيانك إياه لأنه كان عندهم قد مات

وهلك (قوله فأحب أن يفرحه) أي فقال لاختوته إنني ذهبت بالقميص ملطخا بالدم فأنا أذهب بهذا القميص فأفرحه كما أحزته فحمله وخرج به حافيا حاسرا ومعه سبعة أرغفة لم يستوف أكلها حتى أتى أباه

أوصلته إليه الصبا بإذنه تعالى مسيرة ثلاثة أيام أو ثمانية أو أكثر (لَوْلَا أَنْ تُفَنِّدُونِ) تسفهون لصدقتموني (قَالُوا) له (تَاللَّهِ إِنَّكَ لَفِي ضَلَالِكَ) خطئك (الْقَدِيمِ) من إفراطك في محبته ورجاء لقائه على بُعد العهد (فَلَمَّا أَنْ) زائدة (جَاءَ الْبَشِيرُ) يهودا بالقميص وكان قد حمل قميص الدم فأحب أن يفرحه كما أحزته (أَتَيْنِيهِ) طرح القميص (عَلَى وَجْهِهِ فَارْتَدَّتْ) رجع (بَصِيرًا) قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ . قَالُوا يَا أَبَانَا اسْتَغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا إِنَّا كُنَّا خَاطِئِينَ . قَالَ سَوْفَ أَسْتَغْفِرُ لَكُمْ رَبِّي إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ) أخر ذلك إلى السحر ليكون أقرب إلى الإجابة أو إلى ليلة الجمعة ثم توجهوا إلى مصر وخرج يوسف والأكابرة لثقتهم

وكانت للسافة ثمانين فرسخا فلما وصل إليه علمه في نظير تلك البشارة كلمات كان ورثها عن أبيه إسحاق وهو عن أبيه إبراهيم وهي : بالطيف فوق كل لطيف الطيف بي في أموري كلها كما أحب ورضي في دنياي وآخري (قوله فارتد بصيرا) أي رجع بصره لحالته الأولى (قوله قل ألم أقول لكم) أي أعلم من الله ما لا تعلمون أي من أمور باطنية لا تعلمونها فأنتم تنظرون للظاهر وأنا أنظر للباطن (قوله قالوا يا أبانا الخ) أي لما ظهر الحق وتبين اعتذروا لأبيهم بما وقع منهم (قوله استغفر لنا) أي اطلب لنا من ربنا غفران ذنوبنا (قوله إنا كنا خاطئين) أي آمين (قوله أخر ذلك إلى السحر) أي فلما انتهى إلى وقت السحر قام إلى الصلاة متوجها إلى الله فلما فرغ منها رفع يديه وقال اللهم اغفر لي جزئي على يوسف وقلة صبري عنه واغفر لأولادي ما أتوا إلي وإلى أخيه يوسف فأوحى الله إليه أني قد غفرت لك ولهم أجمعين (قوله أو إلى ليلة الجمعة) أي وقيل إلى الاجتماع بيوسف ليجتمع معه على الاستغفار والعبادة لهم ويؤيده ما روي أنه استقبل القبله قائما يدعو وقام يوسف خلفه يؤتمن وقاموا خافهما أذلة خاشعين حتى نزل جبريل عليه السلام وقال إن الله قد أجاب دعوتك في ولدك وعقد موافقتهم بعدك على النبوة ، وهذا إن صح فهو دليل على نبوتهم . فربح عموهم منهم بمصر (قوله ثم توجهوا إلى مصر) قال أصحاب الأخبار : لما دنا يعقوب من مصر كلم يوسف الملك الأكبر وخرقه بمجيء أبيه وأهله فخرج يوسف في أربعة آلاف من الجنود وركب أهل مصر معهم يتلقون يعقوب عليه السلام وكان يعقوب يمشي وهو يتوكأ على يد ابنه يهودا فلما نظر إلى الخيل والناس قال يا يهودا هذا فرعون مصر قال لا بل هذا ابنك يوسف فلما دنا كل واحد من صاحبه أراد يوسف أن يبدأ يعقوب بالسلام فقال له جبريل تمهل حتى يبدأك بالسلام فقال يعقوب السلام عليك يا مذهب الأحزان [٣١ - صاوي - ثاني] وقيل إنهما نزلا وتماثقا فملا كما يفعل الوالد بولده والولد بوالده وبكيا ، وقيل إن يوسف

قال لآبيه يا أبت بكيت على حق ذهب بصرك ألم تعلم أن القيامة تجمعنا قال بلى ولكن خشيت أن يسلب دينك فيحال بيني وبينك وخرج يوسف للقاء أبيه في أربعة آلاف من الجند لكل واحد منهم جبة من فضة وراية خزر وقصب قزيفت الصحراء بهم واصطفوا صفوا ولما صعد يعقوب ومعه أولاده وحفدته نظر إلى الصحراء مملوءة بالفرسان مزينة بالألوان فنظر إليهم متعجبا فقال جبريل انظر إلى الهواء فإن الملائكة قد حضرت صرورا بحالك كانوا باكين محزونين مدة لأجلك وهاجت الفرسان بعضهم في بعض وصهلت الخيول وسبحت الملائكة وضربت الطبول والبوقات فصار كأنه يوم القيامة ، قيل وكان دخولهم يوم عاشوراء (قوله فلما دخلوا) أى يعقوب وأولاده (قوله في مضر به) أى خيمته وكان ذلك خارج المدينة على عادة الملوك (قوله آوى إليه أبويه) أى قرّبهما منه (قوله وأمه) أى على القول بحياتها حينئذ وقوله أوخالته أى واسمها ليا وهذا على القول بموت أمه راحيل ، وقيل المراد بخالته امرأة أخرى غير ليا تزوجها يعقوب بعدها ، وقيل أحيا الله أمه بعد موتها وسجدت له تحقيقا لرؤياه والله أعلم بحقيقة الحال (قوله ادخلوا مصر) هذا الدخول غير الدخول الأول لأن المراد به هنا دخول نفس المدينة ، وأما الأول فالمراد به دخول خيمته خارج البلد (قوله إن شاء الله آمين) أى من كل مكروه لأن الناس كانوا يخافون من ملوك مصر فلا يدخلها أحد إلا بجوارم فقال لهم يوسف (٢٤٢) ادخلوا مصر آمين على أنفسكم وأهلكم لأنكم أتم ملوكها فلا تخافون

(فَلَمَّا دَخَلُوا عَلَى يُوسُفَ) في مضر به (آوَى) ضم (إِلَيْهِ أَبَوَيْهِ) أباه وأمه أو خالته (وَقَالَ) لهم (ادْخُلُوا مِصْرَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ آمِينَ) فدخلوا وجلس يوسف على سرير (وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ) أجلسهما معه (عَلَى الْمَرْشَى) السرير (وَخَرَّوْا) أى أبواه وإخوته (لَهُ سُجَّدًا) سجود الانحناء لا وضع جبهة وكان تحيتهم في ذلك الزمان (وَقَالَ يَا أَيْتُ هَذَا تَأْوِيلُ رُؤْيَايَ مِنْ قَبْلُ قَدْ جَعَلَهُ رَبِّي حَقًّا وَقَدْ أَحْسَنَ بِي) (إِذْ أَخْرَجَنِي مِنَ السِّجْنِ) لم يقل من الحب تكرما لثلاث نخل إخوته (وَجَاءَ بِكُمْ مِنَ الْبَدْوِ) للبادية (مِنْ بَعْدِ أَنْ تَزَوَّجَ) أنشد (الشَّيْطَانُ بَيْنِي وَبَيْنَ إِخْوَتِي إِنَّ رَبِّي لَطِيفٌ لِمَا يَشَاءُ إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ) بخلق (الْحَكِيمُ) في صنعه وأقام عنده أبوه أربعين سنة أو سبع عشرة سنة ، وكانت مدة فراقه ثمانى عشرة أو أربعين سنة ، وحضره الموت فوصى يوسف أن يحمله ويدفنه عند أبيه ففنى بنفسه ودفنه ثمة ثم عاد إلى مصر وأقام بعده ثلاثا وعشرين سنة . ولما تم أمره

من أحد (قوله فدخلوا الخ) قدر ذلك إشارة إلى أن قوله : ورفع أبويه مرتب على محذوف (قوله وخرأله سجدا) يحتمل أن يكون ذلك السجود خارج البلد عند أول اللقاء ويحتمل أنه بعد الدخول وجلس يوسف وأبويه على السرير (قوله سجود انحناء) أى على عادة تحية الملوك وهذا أحد قولين ، وقيل المراد بالسجود حقيقته

وهو وضع الجبهة على الأرض ولا يشكل على هذا أن حقيقة السجود لا تكون إلا لله لأنه يقال إن يوسف جعل كالقبلة لذلك السجود ، وما قيل في سجود الملائكة لآدم يقال هنا . إن قلت كيف رضى يوسف بسجود أبيه له مع كونه أكبر منه وكان الواجب مراعاة الأدب ؟ . أجيب بأن هذا بأمر من الله تحقيقا لرؤيا يوسف لأن رؤيا الأنبياء وحى (قوله هذا) أى السجود (قوله حقا) أى صدقا حيث وجدت وتحققت في الخارج على طبق ما في النوم (قوله وقد أحسن بي) أى أنعم على (قوله ثلاث نخل إخوته) أى ولأن نعمة الله عليه في الخروج من السجن وكانت سببا لوصوله إلى الملك بخلاف إخراجه من الحب فانه أعقبا الرق والتهمة والسجن وليس في ذلك إدخال ضرور على أبويه (قوله وجاء بكم من البدو) عطف على أخرجني ، والمعنى وقد أنعم على وقت إخراجه من السجن ووقت مجيئكم من البدو (قوله إن ربى لطيف) ضمنه معنى مدير فعده باللام ، واللطيف معناه الرفيق المحسن (وكانت مدة فراقه ثمانى عشرة الخ) حاصله أنه اختلف في مدة فراق يوسف لأبيه فذكر المفسر ثلاثة أقوال ، وقيل اثنان وعشرون ، وقيل ست وثلاثون ، وقيل خمس وثلاثون ، وقيل سبعون ولا يعلم الحقيقة إلا الله ، واتفقوا على أن عمر يوسف مائة وعشرون سنة (قوله فوصى يوسف أن يحمله الخ) أى وقد فصل خمله في تابوت من ساج حتى قدم به الشام فوافق ذلك موت أخيه يعقوب وكان قد ولدا في بطن واحد فدفنا في قبر واحد (قوله ولما تم أمره) أى في ملكه .

(قوله وعلم أنه) أى الملك (قوله إلى الملك الدائم) أى وهو نعيم الآخرة (قوله فقال) أى طلب الملك الدائم بوقائه على الاسلام وما قبل ذلك فهو ثناء على الله فتم على الدعاء لمراعاة الأدب إشارة إلى أن الانسان ينبغي له إذا أراد أن يدعو يقدم الثناء على الله لاعتقاف بالتم ثم بعد ذلك يسأل مطلوبه (قوله من الملك) أى بضنه وهو ملك مصر إذ لم يملك جميع الأقطار إلا أربعة اثنان مسلمان : إسكندر ذوالقرنين وسليمان بن داود ه واثنتان كافران بختنصر وشداد بن عاد (قوله فاطر السموات والأرض) يصح أن يكون نعتا لرب أو مدلا أو عطف بيان أو نداء ثانيا (قوله توفى مسلما) إن قلت كيف يطلب اللوت مع أن تمنيه لا يجوز . أجب بأنه علم بالوحى قرب أجله فطلب ما يكون هند اللوت وهو اللوح بالصالحين فحط طلب اللوت على ما بعده . إن قلت إن كل نبى مقطوع بموته على الاسلام فلم طلب ذلك . أجب بأن الله تجلى على يوسف بخوف الاجلال فطلب ذلك لأن المعصوم عند ذلك ينسب العصمة (قوله من آبائى) أى إبراهيم وإسحق ويعقوب فالمراد لحوقا خاصا الذى هو أعلى الراتب (قوله ومات) أى وقد توارثت الفراغة من المعالقة بعد يوسف مصر ولم يزل بنو إسرائيل تحت أيديهم على بقايا من دين يوسف وآبائه إلى أن بعث الله موسى عليه السلام وأغرق فرعون وقومه فقطع الله الفراغة منها وأورثها الله بنى إسرائيل (قوله ونشأ المصريين فى قبره) أى حتى هموا أن يقتتلوا ثم اصطالحوا على أن يدفنوه فى أعلى النيل (٢٤٣) من جهة الصعيد لتم بركته

الجميع فجعلوه فى صندوق من مرمر وهو نوع من أجود الرخام ودفنوه فى الجانب الأيمن فأخضب وأجذب الجانب الأيسر فنقل له فأخضب وأجذب الجانب الأيمن فدفنوه فى وسط النيل ور بطوه بسلسلة فأخضب الجانبان فبقى أر بعائة سنة فلما أمر الله موسى بالخروج من مصر أمره بأخذ يوسف معه ودفنه فى الأرض المقدسة بقرب آبائه فلم يهتد إلى مكانه فدلته

وعلم أنه لا يدوم تاقته نفسه إلى الملك الدائم فقال (رَبِّ قَدْ آتَيْتَنِي مِنَ الْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِي مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ) تسيير الرؤيا (فاطر) خالق (السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ) أَنْتَ وَلِيِّيَ) متولى مصالحى (فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ) من آبائى فعاش بعد ذلك أسبوعا أو أكثر ، ومات وله مائة وعشرون سنة ، ونشأ المصريين فى قبره فجعلوه فى صندوق من مرمر ودفنوه فى أعلى النيل لتعم البركة جانبيه فسبحان من لا اقضاء للملكه (ذلك) المذكور من أمر يوسف (من أنباء الغيب) أخبار ما غاب عنك يا محمد (نوحيه إليك وما كنت لتدريهم) لدى إخوة يوسف (إذ أجمعوا أمرهم) فى كيدهم ، أى عزموا عليه (وهم يَمْكُرُونَ) به أى لم تحضرم فتعرف قصتهم فتخبر بها وإنما حصل لك علمها من جهة الوحى (وما أكثر الناس) أى أهل مكة (ولو حرصت) على إيمانهم (بمؤمنين) وما تشاء لهم عليه (أى القرآن (من أجر) تأخذه (إن) ما (هو) أى القرآن (إلا ذكر) عظة (للمالكين) وكأين (وكم (من آية) دالة على وحدانية الله (فى السموات والأرض يَمْزُونَ عَلَيْهَا) يشاهدونها (وهم عنها معرضون) لا يفكرون فيها ،

عليه يجوز قبل إنها من أولاد يعقوب وشرطت عليه أن تكون معه فى الجنة فضمن لها ذلك وشرطت عليه أيضا أن يدعو لها أن ترجع شابة كلما هربت فدعا لها فكانت كلما وصلت فى السن خمسين سنة رجعت بنت ثلاثين ف عاشت ألفا وستائة سنة فخلفه موسى ودفنه بالأرض المقدسة فهو الآن هناك . وأما إخوته فلم يثبت فى جبل دفتهم شئ وما قيل من أنهم مدفونون فى الجبل المعروف بالترافة الكبرى فهو بالظن فقط (قوله للذكور) أى من أمر يوسف وقصته (قوله من أنباء الغيب) أى الأخبار الغيبية التى لم تكن تعلمها قبل الوحى (قوله وما كنت لديهم) كالعلة لقوله من أنباء الغيب ولقوله نوحيه إليك (قوله وهم يَمْكُرُونَ) أى يحتالون فيما دبروه (قوله وإنما حصل لك علمها من جهة الوحى) أى فيكون إخباره بها معجزة لأنه لم يطالع الكتب القديمة ولم يأخذ عن أحد من البشر فآبائه تلك القصة العظيمة على أبلغ وجه من غير غلط ولا تحريف غاية الإعجاز (قوله وما أكثر الناس الخ) هذه تسلية له صلى الله عليه وسلم (قوله ولو حرصت) هذه الجملة معترضة بين ما أخبرها (قوله وكأين) مبتدأ ومن آية تمييز وهو تسلية أخرى له صلى الله عليه وسلم ، والمعنى لا تتعجب من إعراضهم عنك فإن إعراضهم عن هذه الآيات الدالة على وحدانية الله وقدرته أغرب وأهجب (قوله كم) أشار بذلك إلى أن كأن بمعنى كم الخبرية التى للتكثير (قوله فى السموات والأرض) صفة لآية وقوله يَمْزُونَ عَلَيْهَا خبر للبتداء (قوله وهم عنها معرضون) الجملة حالية

(قوله وما يؤمن أكثرهم بالله) أى وما يتعرف أكثرهم بالتوحيد حيث يقولون الله هو الخالق الرزق للمطى وغير ذلك (قوله يزنونها) أى الأصنام بقولهم إلا شريكاً هو لك (قوله قعمة تشاهم) أى عقوبة تشاهمهم وتحيط بهم (قوله هذه سبيلهم) أى طريقى وشريعى (قوله ادعوا إلى الله) أى أدل الناس على طاعته ودينه (قوله حجة واضحة) أى بها يتميز الحق من الباطل (قوله عطف على أنا المبتدأ الخ) أى فأنما مبتدأ ومن اتبعني عطف عليه وقوله : على بصيرة جار ومجرور متعلق بمحذوف خبر مقدم فالوقف على قوله ادعوا إلى الله ويكون في اللقار جملتان الأولى تنتهى لقوله ادعوا إلى الله والثانية مبدؤها قوله على بصيرة الخ وهذا ما جرى عليه التفسير في الاعراب (قوله من جملة سبيله) راجع لقوله وسبحان الله وما أنا من المشركين فهما معطوفان على قوله ادعوا إلى الله كأنه قال شريعى ادعوا إلى الله وأسبح الله وكوفى لست من المشركين على بصيرة أنا ومن اتبعى (قوله وما أرسلنا من قبلك إلا رجالاً) رد (٢٤٤) على أهل مكة حيث قالوا هلا بعث الله لنا ملكاً ، والمعنى كيف يشعبدون

من ذلك مع أن جميع رسل الله الذين كانوا من قبلك هم من قبلك (قوله وفي قراءة) أى وهي سبعة (قوله لجفائهم) أى غلظ طبعهم وهو مقابل لقوله وأحلم وقوله وجهلهم مقابل لقوله وأعلم فهو لطف ونشر مشوش (قوله أفلم يسبوا) أى الممزة داخلة على محذوف والتاء والهمزة على ذلك المحذوف والتقدير أعمو فلم يسبوا الخ والاستفهام للتوبيخ (قوله في الأرض) أى في أسفارهم (قوله الذين من قبلهم) أى كقوم هود وصالح ولوط وغيرهم من هلكوا (قوله من إهلاكهم) بيان لآخر أمرهم (قوله ولدار الآخرة) أى الدار

(وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللَّهِ) حيث يقولون بأنه الخالق الرزق (إِلَّا وَهُمْ مُشْرِكُونَ) به بعبادة الأصنام ولذا كانوا يقولون في تلبيتهم : لبيك لا شريك لك إلا شريكاً هو لك تملكه وما ملك ، يزنونها (أَفَأَمِنُوا أَنْ تَأْتِيَهُمْ غَاشِيَةٌ) قعمة تشاهم (مِنْ عَذَابِ اللَّهِ أَوْ تَأْتِيَهُمُ السَّاعَةُ بَغْتَةً) فجاء (وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ) بوقت إتيانها قبله (قُلْ) لهم (هَذِهِ سَبِيلِي) وفسرها بقوله (ادْعُوا إِلَى) دين (اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ) حجة واضحة (أَنَا وَمَنْ أَتَّبَعَنِي) آمن بى عطف على أنا المبتدأ الخبر عنه بما قبله (وَسُبْحَانَ اللَّهِ) تنزيها له عن الشركاء (وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ) من جملة سبيله أيضا (وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا يُوْحَىٰ) وفي قراءة بالنون وكسر الحاء (إِلَيْهِمْ) لاملأكة (مِنْ أَهْلِ الْقُرَى) الأمصار لأنهم أعلم وأحلم بخلاف أهل البوادي لجفائهم وجهلهم (أَفَلَمْ يَسِيرُوا) أى أهل مكة (فِي الْأَرْضِ) فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم (أى آخر أمرهم من إهلاكهم بتكذيبهم رسلهم (وَلَتَذَارُ الْآخِرَةُ) أى الجنة (خَيْرٌ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا) الله (أَفَلَا يَعْقِلُونَ) بالياء والتاء أى يأهل مكة هذا فتؤمنون (حَقِّي) غاية لما دل عليه : وما أرسلنا من قبلك إلا رجالاً أى فتراخى نصرهم حتى (إِذَا اسْتَيْسَسَ) يس (الرُّسُلُ وَظَنُوا) أيقن الرسل (أَنَّهُمْ قَدْ كُذِّبُوا) بالتشديد تكذيباً لا إيمان بعده ، والتخفيف أى ظن الأمم أن الرسل أخفقوا وما وعدوا به من النصر (جَاءَهُمْ نَصْرُنَا فَنُجِّى) بنونين مشدداً ومخففاً وبنون مشدداً ماض (مَنْ نَشَاءُ وَلَا يُرَدُّ بَأْسُنَا) عذابنا (عَنِ الْقَوْمِ الْمُجْرِمِينَ) المشركين (لَقَدْ كَانَ ،

في

الآخرة (قوله خير للذين اتقوا) أى وأما لغيرهم فليست خيرا لهم

لحرمانهم من نعمها (قوله الله) قدره إشارة إلى أن مفعول اتقوا محذوف (قوله بالياء والتاء) أى فهما قراءتان سبعيتان (قوله يأهل مكة) راجع لقراءة التاء فيكون خطاباً لهم وعلى الياء يكون إخباراً عنهم (قوله غاية لما دل عليه وما أرسلنا الخ) أى وحينئذ يكون المعنى وما أرسلنا من قبلك إلا رجالاً نوحى إليهم فكذبهم أنهم فتراخى نصرهم حتى الخ (قوله أيقن الرسل) هذا راجع لقراءة التشديد ، والمعنى أيقن الرسل بالوحي من الله بأن قومهم يكذبونهم تكذيباً لا إيمان بعده وأما قراءة التخفيف فالظن على بابه (قوله والتخفيف) أى فهما قراءتان سبعيتان (قوله من النصر) بيان لما (قوله بنونين مشدداً الخ) حاصل ما ذكره ثلاث قراءات التشديد والتخفيف مع النونين والتشديد مع النون الواحدة وظاهر كلامه أن جميعها سبى وليس كذلك بل للتشديد مع النونين قراءة شاذة (قوله ماض) أى مبنى للفعول ومن نشاء نائب فاعل .

(قوله في قصصهم) القصص بالفتح مصدر قص إذا قبح الأثر والخبر ، وللراد الأخبار (قوله الرسل) أى كهود وصالح ولوط وشعيب وغيرهم ويحتمل أن الضمير عائذ على يوسف وإخوته بدليل قوله تعالى في أول السورة - نحن نقص عليك أحسن القصص - والمعنى أن الذى قدر على إخراج يوسف من الحب والسجن ومن عليه بالعز والملك وجمع شمله بأبيه وإخوته بعد للدة الطويلة قادر على إعزاز محمد صلى الله عليه وسلم وإعلاء كلمته وإظهار دينه رغما على أنف كل معارض (قوله عبرة) أى تفكر وانعاط (قوله لأولى الألباب) تعريض بأنهم ليسوا بأولى ألباب (قوله هذا القرآن) أى الذى تقدم ذكره فى قوله - إنا أنزلناه قرآنا عربيا (قوله تصديق الذى بين يديه) هذه أخبار أربعة أخبر بها عن كان المحذوفة التى قدرها المفسر ، والمعنى أن هذا القرآن مصدق لما تقدم قبله من الرسل ومن الكتب التى جاءوا بها فقول المفسر من الكتب لا مفهوم له (قوله فى الدين) أى من الحلال والحرام والمواظع وغير ذلك (قوله ورحمة) أى إنعاما وإحسانا .

[سورة الرعد] مبتدأ وقوله مكية خبر أول وقوله ثلاث الخ خبر ثان (قوله مكية إلا ولا يزال الدين كفروا الآية) وقيل للذى منها قوله تعالى - هو الذى يرثكم البرق إلى قوله له دعوة الحق (قوله (٢٤٥) أو مدينة إلا ولو أن قرآنا

الآيتين) وقيل مدينة كلها وقيل مكية كلها فتحصل أن فيها خمسة أقوال وسُميت بالرعد لذكره فيها . ومن فضائلها أن قراءتها عند المختصر تسهل خروج الروح (قوله ثلاث أو أربع الخ) حاصل ما ذكره من الخلاف فى عدد آياتها أربعة أقوال (قوله الله أعلم بمراده بذلك) تقدم أن هذا القول هو الأسلم فى تفسير تلك الأحرف المقطعة (قوله هذه الآيات) أى آيات السورة وأشير لها باعتبار علم الله بها أو

فِي قَصَصِهِمْ) أَيْ الرِّسَالِ (عِبْرَةٌ لِأُولَى الْأَلْبَابِ) أَصْحَابِ الْعُقُولِ (مَا كَانَ) هَذَا الْقُرْآنُ (حَدِيثًا يُفْتَرَى) يَخْتَلَقُ (وَلَكِنْ) كَانَ (تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ) قَبْلَهُ مِنَ الْكُتُبِ (وَتَفْصِيلَ) تَبْيِينِ (كُلِّ شَيْءٍ) يَحْتَاجُ إِلَيْهِ فِي الدِّينِ (وَهَدًى) مِنَ الضَّلَالَةِ (وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ) خَصْصًا بِالذِّكْرِ لانتفاعهم به دون غيرهم ،

(سورة الرعد)

مكية إلا : ولا يزال الدين كفروا الآية ، ويقول الذين كفروا لست مرسلًا الآية ، أو مدينة إلا : ولو أن قرآنا الآيتين : ثلاث أو أربع أو خمس أو ست وأربعون آية (بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ . الرَّ) الله أعلم بمراده بذلك (تِلْكَ) هذه الآيات (آيَاتُ الْكِتَابِ) القرآن والإضافة بمعنى من (وَالَّذِي أَنْزَلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ) أى القرآن مبتدأ خبره (الْحَقُّ) لا شك فيه (وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ) أى أهل مكة (لَا يُؤْمِنُونَ) بأنه من عنده تعالى (اللَّهُ الَّذِي رَفَعَ السَّمَوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا) أى العمد جمع عماد وهو الأسطوانة وهو صادق بأن لا عمد أصلا ،

باعتبار وجودها فى اللوح المحفوظ فلا يقال إن اسم الإشارة لا بد أن يكون لحاضره لم توجد فى الخارج ويصح أن يعود اسم الإشارة على ماضى من أول القرآن إلى هنا (قوله والذى أنزل إليك) اسم للوصول مبتدأ وأنزل صلتة ومن ربك متعلق به أو حال وقوله الحق خبر كما قال المفسر ، والمعنى أن القرآن الذى أنزل عليك ربك هو الحق الذى لا شك فيه (قوله أى أهل مكة) هذا تفسير للناس باعتبار النزول وإلا فالعبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب فأكثر الناس لا يؤمنون فى كل زمان (قوله لا يؤمنون) أى لا يصدقون بذلك ، والمعنى لا تعتبرهم فانهم لا يقول عليهم (قوله الله الذى رفع الخ) هذا شروع فى ذكر الأدلة على وجوب وجوده تعالى واتصافه بالكالات ، وبدأ بأدلة من العالم العلوى وأعقبها بأدلة من العالم السفلى بقوله وهو الذى مد الأرض الخ (قوله جمع عماد) أى على غير قياس وقياسه أن يجمع على عمد بضمين وقد قرئ به شاذًا ، وقيل جمع عمود (قوله وهو الأسطوانة) ويقال له سارية (قوله وهو صادق بأن لا عمد أصلا) أى وهو المراد فالتى منسب على القيد بعبده أى لم تروها لعدم وجودها ، وقيل إن لها عمدا على جبل قاف وهو جبل من زمرّد محيط بالدنيا والسماء عليه مثل القبة ، فالتى منسب على القيد دون القيد ، وعلى ذلك جملة ترونها صفة لعمد والضمير عائذ عليها ، وقيل إن ترونها حل من السموات

والتقدير رفع السموات حال كونها مرئية لكم بغير عمد ، وقيل إنها جملة مستأفة لاهل لها من الابرار وعلى هذين القولين فالضمير عائذ على السموات (قوله ثم استوى على العرش) ثم لجرد العطف لا للترتيب إذ لا ترتيب بين رفع السموات والاستواء على العرش والاستواء في الأصل الركوب والتمكن وذلك مستحيل عليه تعالى لاستلزامه الجسمية والجهة والراد به هنا القهر والغلبة والاستيلاء لأن من شأن من ركب على شيء أن يكون قاهرا غالبا ، ومن ذلك قول الشاعر :

قد استوى بهر على العراق من غير سيف ودم مهراق

وهذه طريقة الخلف وما مضى عليه المفسر طريقة السلف وكل من الطريقتين صحيح (قوله وسخر الشمس والقمر) أى لنفع العالم بهما (قوله يوم القيامة) أى وحينئذ فيلقين في النار بعد ذهاب نورهما ليعذب بهما عبادهما ومدارج عليه للمفسر من أن للراد بالأجل السمي هو يوم القيامة أحد تفسيرين والآخر أن الراد الوقت المعين لقطع الفلك فان الشمس تقطعه في سنة واحدة والقمر في شهر لا يختلف جرى واحد منهما قال تعالى : والشمس تجري لمستقر لها الخوكل صحيح (قوله يدبر الأمر) أى أمر العالم العلوى والسفلى وذلك بالاحياء والامانة (٢٤٦) والاعزاز والاذلال وغير ذلك من أنواع التصرفات (قوله لعلكم

يلقاء ربكم توقنون) أى لأن من قدر على ذلك كله فهو قادر على احياء الانسان بعد موته (قوله وهو الذى مد الأرض) شروع في ذكر أدلة من العالم السفلى (قوله بسط الأرض) أى طولاً وعرضاً ليرتاح الحيوان عليها (قوله ثوابت) أى لتسكنها عن الاضطراب بأهلها وفي الحديث «أول بقعة وضعت من الأرض موضع البيت ثم مدت منها الأرض وأول جبل وضعه الله على وجه الأرض أبو قبيس

(ثُمَّ أَسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ) استواء يليق به (وَسَخَّرَ) ذَلَّ (الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلًّا) منهما (يَجْرِي) في فلكه (لِأَجَلٍ مُّسَمًّى) يوم القيامة (يُدَبِّرُ الْأَمْرَ) يقضى أمر ملكه (يُفَصِّلُ) يبين (الآيَاتِ) دلالات قدرته (لَكُمْ) يا أهل مكة (يَلْقَاهُ رَبَّكُمْ) بالبعث (تُوقِنُونَ) وَهُوَ الَّذِي مَدَّ بَسَطَ (الْأَرْضَ وَجَعَلَ) خلق (فِيهَا رَوَامِي) جبالاً ثوابت (وَأَنْهَاراً وَمِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ جَعَلَ فِيهَا رَوَاجِينَ اثْنينِ) من كل نوع (يُنْشِئُ) ينطى (اللَّيْلَ) بظلمته (النَّهَارَ إِنَّ فِي ذَلِكَ) المذكور (لآيَاتٍ) دلالات على وحدانيته تعالى (لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ) في صنع الله (وَفِي الْأَرْضِ قِطْعٌ) بقاع مختلفة (مُتَجَاوِرَاتٍ) متلاصقات فمنها طيب وسبخ وقليل الريع وكثيره وهو من دلائل قدرته تعالى (وَجَنَّاتٍ) بساتين (مِنْ أَعْنَابٍ وَزُرْعٍ) بالرفع عطفاً على جنات والجذر على أعناب وكذا قوله (وَنَخِيلٍ صِنْوَانٍ) جمع صنو وهى النخلات يجمعها أصل واحد وتشعب فروعها (وَعِزُّ صِنْوَانٍ) منفردة (تُسْقَى) بالتاء أى الجنات وما فيها والياء أى للذكور (بِمَاءٍ وَاحِدٍ وَنُفَّصِلُ) بالنون والياء (بِمَقْعَةٍ عَلَى بَعْضٍ فِي الْأَكْلِ) ،

ثم مدت منه الجبال (قوله ومن كل الثمرات) متعلق بجعل ومفعولها الثانى محذوف تقديره لكم (قوله بضم فوجين اثنين) بيان لأقل مراتب العدد وإلا فقد يكون أكثر من نوعين كما هو معلوم بالمشاهدة والمراد بالثمر ما يشمل الحب وتعداد الأصناف المذكورة إما باعتبار الألوان كالبياض والسواد أو الطعوم كالحلاوة والمالحة والمخوضة والمزوجة أو القدر كالسكب والصغر أو الكيفية كالحرارة والبرودة والنعومة والخشونة وغير ذلك (قوله ينطى الليل بظلمته النهار) أى ويزيل ظلمة الليل بضياء النهار فيعدم كلا بوجود الآخر فى الآية اكتفاء (قوله يتفكرون) أى يتأملون فيستدلون بتلك الصنعة على وجوب صانعها ويعرفون أن لها صانعاً حكيماً قادراً متصفاً بالكمالات وخص المتفكرون بالذكر لأنهم هم الذين يحصل لهم الاعتبار والايان (قوله طيب) أى ينبت وقوله وسبخ أى لا يثبت شيئاً (قوله وهو) أى هذا الاختلاف (قوله بالرفع) أى له وللثلاثة بعده وقوله والجذر أى كذلك فهما قراءتان سبعيتان (قوله وهى النخلات) أى الصنوان (قوله بالتاء) أى وحينئذ فيقرأ بفضل بالنون والياء وقوله والياء أى وحينئذ فيقرأ بفضل بالنون لاغير بالقراءات ثلاث وكلها سبعة خلافاً لما يوهه المفسر من أنها أر بع (قوله فى الأكل) أى وغيره كاللون والرائحة والقدر والحلاوة والمخوضة وغير ذلك وهذا كمثل بنى آدم منهم الصالح الميعن الذين والحديث الغليظ الطبع خلقوا من آدم وفضل الله من شاء على من شاء ، ولذا قال الحسن هذا مثل ضربه الله لقلوب

بني آدم كانت الأرض طينته واحدة في يد الرحمن فسطحها فصارت قطعاً متجاورات وأُزيل على وجهها ماء السماء فتخرج هذه زهرتها وتثمرتها وتخرج هذه نباتها وتخرج هذه سبخها وملحها وخبيثها وكل يسقي بماء واحد كذلك الناس خلقوا من آدم فينزل الله عليهم من السماء تذكراً فترق قلوب قوم وتخضع وتقسو قلوب قوم قتلهو ولا تسمع (قوله بضم الكاف وسكونها) أى فهما قراءتان سبعيتان بمعنى ما كُول (قوله لقوم يعقلون) خصوا بالذكر لأنهم الذين يتفكرون والاعتبار (قوله وان تعجب) بادغام الباء في الفاء وبتحقيقها قراءتان سبعيتان والعجب استعظام أمر حتى سببه (قوله من تكذيب الكفار لك) أى مع كونك كنت مشهوراً بينهم بالأمانة والصدق فلما جئت بالرسالة كذبوك (قوله فعجب قولهم) لا بد هنا من صفة محذوفة لتتم الفائدة والتقدير فعجب عظيم أو أى عجب وعجب خبر مقدم وقولهم مبتدأ مؤخر (قوله منكروين للبعث) حال من الضمير في قولهم (قوله أئذا كنا تراباً) هذه الجملة في محل نصب مقول القول وهو أحسن ما يقال (قوله لأن القادر الخ) تعليل لقوله تعالى فعجب قولهم (قوله وما تقدم) أى من رفع السموات بغير عمد وتسخير الشمس والقمر وغير ذلك من الأمور المتقدمة (قوله قادر على إعادتهم) أى لأنه إذا تعلقت قدرته بشئ كان فلا فرق بين الابتداء والاعادة وأما قوله تعالى : وهو أهون عليه فذلك باعتبار عادة المخاوقات أن القادر على الابتداء تسهل عليه الاعادة بالأولى وإلا فالكل في قدرته تعالى سواء (قوله وفي المزمزين في الموضعين الخ) من هنا إلى قوله وتركها أربع قراءات (قوله وفي قراءة بالاستفهام (٢٤٧) في الأول الخ) وفي ذلك ثلاث

قراءات تحقيق المزمزين من غير إدخال ألف بينهما وتحقيق الأولى تسهيل الثانية مع إدخال ألف بينهما بدونها وقوله وأخرى عكسه قراءتان التحقيق مع الألف ودونها ولا يجوز تسهيل الثانية فتكون القراءات تسعاً وكلها سبعة واختلاف القراء في هذا الاستفهام المكرر اختلافاً منتشراً وهو في أحد عشر موضعاً

بضم الكاف وسكونها ، فن حل وحامض وهو من دلائل قدرته تعالى (إِنَّ فِي ذَلِكَ) للذكور (لَا يَأْتِ لِقَوْمٍ يُعَقِّلُونَ) يتدبرون (وَإِنْ تَعَجَّبْتَ) يا محمد من تكذيب الكفار لك (فَعَجَبٌ) حقيق بالمعجب (قَوْلُهُمْ) منكروين للبعث (أَعِذَا كُنَّا تُرَابًا أَوْ أُنَّا لَنِي خَلْقٍ جَدِيدٍ) لأن القادر على إنشاء الخلق وما تقدم على غير مثال قادر على إعادتهم . وفي المزمزين في الموضعين التحقيق وتحقيق الأولى وتسهيل الثانية وإدخال ألف بينهما على الوجهين وتركها وفي قراءة بالاستفهام في الأول والخبر في الثاني وأخرى عكسه (أُولَئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ وَأُولَئِكَ الْأَغْلَالُ فِي أَعْنَاقِهِمْ وَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ) ونزل في استعجالهم العذاب استهزاء (وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالسَّيِّئَةِ) المذاب (قَبْلَ الْحَسَنَةِ) الرحمة (وَقَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِمُ الْمُثَلَّاتُ) جمع المثلة بوزن السمرة أى عقوبات أمثالهم من المكذبين أفلا يعتبرون بها (وَإِنَّ رَبَّكَ ،

في تسع سور من القرآن فأولها ما في هذه السورة . والثاني والثالث في الأسراء بلفظ واحد أئذا كنا عظاماً ورقاباً أئذا لمبعوثون خفاً جديداً . والرابع في المؤمنون أئذا كنا تراباً وعظاماً أئذا لمبعوثون . والخامس في النحل أئذا كنا تراباً أئذا نخرجون . والسادس في العنكبوت أنكم لتأتون الفاحشة ما سبقكم بها من أحد من العالمين أنكم لتأتون الرجال . والسابع في آلم السجدة أئذا ضللنا في الأرض أئنانا في خلق جديد . والثامن والتاسع في الصافات أئذا متنا وكنا تراباً وعظاماً أئذا لمبعوثون أئذا متنا وكنا تراباً وعظاماً أئنا لمدينون . والعاشر في الواقعة أئذا متنا وكنا تراباً وعظاماً أئنا لمبعوثون . والحادي عشر في النازعات أئنا لمردودون في الحافرة أئذا كنا عظاماً نخرة ، والوجه في الاستفهام في الموضعين أن الأول للانكار والثاني تأكيد له ، والوجه في كونه في موضع واحد حصول الانكار به وإحدى الجملتين مرتبطة بالأخرى فإذا أنكر في إحداها حصل الانكار في الأخرى (قوله الأغلال) جمع غل وهو طوق من حديد يجعل في أعناقهم (قوله أصحاب النار) أى لا يحصى لهم عنها فهم ملازمون لها كالأصاحب الملازم لصاحبه (قوله ونزل في استعجالهم العذاب) أى وذلك أن مشركي مكة كانوا يطلبون تعجيل العذاب استهزاء حيث يقولون اللهم إن كان هذا هو الحق من عندك فأمطر علينا حجارة من السماء أو ائتنا بعذاب أليم (قوله قبل الحسنه) أى وهي تأخير العذاب عنهم (قوله وقد خلت من قبلهم) الجملة حالية (قوله جمع المثلة) بفتح اليم وضم اللثة أى وهي النعمة تنزل بالشخص فجعل مثلاً يرتدع به غيره (قوله بوزن السمرة) أى وهو شجر الطلح أى اللوز .

(قوله لئو مطرة) الراد ستر الذنوب وعدم اللؤاخذة بها حالا بل يؤخر الأخذ بها فان تاب الشخص ورجع دام ذلك السر عليه وإلا أخذه أخذ عزيز متندر (قوله على ظلمهم) الجملة حالية أى والحال أنهم ظالمون لأنفسهم بالمعاصي (قوله لمن عصاه) أى ودام على ذلك فرحمة الله فى الدنيا غلبت غضبه لجميع الخلق مؤمنهم وكافرهم ، وأما فى الآخرة فقد افردت رحمته للمؤمنين خاصة (قوله ويقول الذين كفروا) أى نعمنا (قوله هلا) أشار بذلك إلى أن لولا للتخصيص (قوله كالمصا واليد) أى وغير ذلك مما اقترحوا قال تعالى بحكاية عنهم وقالوا : لن نؤمن لك حتى تفجر لنا من الأرض ينبوعا الآية (قوله إنما أنت منذر) أى ليس عليك إلا الإنذار بما أوحى إليك لأنهم معاندون كفار ليس قصدكم بذلك الايمان بل التعت في الكفر (قوله ولكل قوم هاد) الجملة مستأنفة وهاد باثبات الباء وحذفها في الوقت وبحذفها في الوصل لاغير ثلاث قراءات سبعة ، وأما فى الرسم فهى محذوفة (قوله الله يعلم ما تخمّل كل أنثى) أى لأنه الخالق للمصور فلا تخفى عليه خافية ويعلم عرفانية متعددة لواحد وما اسم موصول مفعوله والمائد محذوف (قوله وغير ذلك) أى من أوصاف الحمل من كونه أبيض أو أسود قصيرا أو طويلا سعيدا أو شقيا قويا أو ضعيفا (قوله تنقص الأرحام من مدة الحمل) أى المعتادة وهى تسعة أشهر فهو يعلم الحمل الناقص عن تلك المدة وقوله وما تزداد أى وما تزيد فهو يعلم الناقص عن تلك المدة والزائد عليها لا يخفى عليه شئ من أوقات الحمل ولا من أحواله وقيل نقصان السقط والزيادة زيادتها على تسعة (٢٤٨) أشهر وأقل مدة الحمل ستة أشهر ، وقد يولد لهذه المدة ويعيش (قوله

وكل شئ عندده بمقدار) هذا أعم مما قبله فالشئ يشمل الحمل وغيره من أفعال العباد وأحوالهم وخواطرم فقد بر سبحانه وتعالى العالم بأسره على طبق ما تعلق به قدرته وإرادته ولا يعجزه شئ ولا يشغله شأن عن شأن قال تعالى : ما خلقكم ولا بعثكم إلا كنفس واحدة ، فينبغى للإنسان أن لا يدبر لنفسه شيئا

لئو مفررة للناس على) مع (ظلمهم) وإلا لم يترك على ظهرها دابة (وإن ربك لشديد العقاب) لمن عصاه (ويقول الذين كفروا لولا) هلا (أنزل عليه) على محمد (آية من ربك) كالمصا واليد والناقة قال تعالى (إنما أنت منذر) مخوف للكافرين وليس عليك إتيان الآيات (ولكل قوم هاد) نبى يدعوهم إلى ربهم بما يعطيه من الآيات لا بما يقترحون (الله يعلم ما تخمّل كل أنثى) من ذكر وأنثى وواحد ومتعدد وغير ذلك (وما تنقص) تنقص (الأرحام) من مدة الحمل (وما تزداد) منه (وكل شئ عندده بمقدار) بقدر وحد لا يتجاوزه (عالم الغيب والشهادة) ما غاب وما شوهد (الكبير) العظيم (المتكلم) على خلقه بالقهر بياء ودونها (سواء منكم) فى علمه تعالى (من أسر القول ومن جهر به ومن هو مستخف) مستتر (بالليل) بظلامه (وساوب) ظاهر بذهابه

ولا يشتغل بشئ تكفل به غيره بل يعتمد على من يدبر الأمور ويفوض له أحواله ويترك الأوهام التى حجبته القلوب عن مطالعة الغيوب (قوله بقدر وحد لا يتجاوزه) أى لا يتخلف شئ عن الحد الذى قدره الله من سعادة وشقاوة ورزق وغير ذلك (قوله ما غاب وما شوهد) أى ما غاب هنا وما شوهد لنا وإلا فكل شئ بالنسبة له مشاهد فلا فرق بين ما فى أعلى السموات وما فى تخوم الأرضين (قوله الكبير) أى الذى يصغر كل شئ عند ذكره وليس المراد به كبر الجثة إذ هو مستحيل عليه تعالى فالمراد بالكبير المنتصف بكل كمال أزلا وأبدا (قوله المتكلم) أى المنزه عن كل نقص (قوله بياء ودونها) أى فهما قراءتان سبعيتان فى الوصل والوقف وأما فى الرسم فالياء محذوفة لاغير (قوله سواء منكم الخ) سواء خبر مقدم ومن أسر القول ومن جهر به مبتدأ مؤخر ولم يثن الخبر لأنه فى الأصل مصدر وهولائى ولا يجمع ومنكم حال من الضمير المستتر فى سواء لأنه بمعنى مسبو (قوله فى علمه تعالى) أى فهو يعلم الجميع على حد سواء لا يتفاوت من جهر على من أسر (قوله من أسر القول) أى فى نفسه فلم يسمعه غيره (قوله ومن جهر به) أى سمعه غيره ، والمعنى سواء ما أضمرته القلوب وما نطقت به الألسنة (قوله ومن هو مستخف بالليل) أى وسواء من استخفى فى ظلام الليل ومن هو ظاهر فى النهار لأنه الخالق لليل وظلمته والظاهر ونوره وما تفعله العبيد فيهما من خير وشر وهذه الآية من تدبرها وعمل بمقتضاها ورثته الاخلاص فى أعماله فيستوى عنده أسرار العبادات وإظهارها ليلًا ونهارًا والمراقبة لأنه إذا علم أن هذه الأشياء مستوية عنده ولا يخفى عليه شئ منها فلا يستطيع أن يقدم على ما يهوى منه لا ظاهرا ولا باطنا

(قوله في سربه) بفتح السين وسكون الراء ، يقال سرب في الأرض سربوا ذهب فيها ذهباً والسرب بفتح السين يث في الأوض لا منقذ له وهو الوكر وليس مراداً هنا بل المراد الطريق الظاهرة وهي بفتح السين وسكون الراء (قوله للإنسان) أي مؤمن أو كافر وهذا من مزيد التكرمة للنوع الإنساني وإلا فهو الحافظ لكل شيء (قوله ملائكة) قيل خمسة بالليل وخمسة بالنهار واحد على اليمين يكتب الحسنات ، وواحد على الشمال يكتب السيئات ، وواحد موكل بناصيته فإذا تواضع رفعه ، وإذا تكبر وضعه ، وواحد موكل بعينه يحفظهما من الأذى ، وواحد موكل بجمعه يمنع عنه الهوام ، والصحيح أنهم عشرة بالليل وعشرة بالنهار كما في شراح الجوهرة نقلاً عن حديث البخاري ويجمعون في صلاة الفجر وصلاة العصر ثم يخرج الدين كانوا من قبل فيسألهم الله ويقول : كيف تركتم عبادي ؟ فيقولون تركناهم وهم يصلون وأتيناهم وهم يصلون ولا يفارقون الشخص أبداً إلى المات فإذا مات فقد فرغ حفظهم له وهم واحد على يمينه وآخر على شماله وآخر أمامه وآخر خلفه واثان على عينيه وواحد على شفتيه واثان على فمه يحفظان الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم وواحد آخذ بناصيته فان تواضع رفعه وإن تكبر خفضه . وهؤلاء العشرة غير رقيب وعتيد كاتب الحسنات والسيئات على الاعتماد ، وحكمة هذا السؤال وإن كان الله عالماً بكل شيء تحريف بنى آدم بين أهل الملا الأعلى ، وحكمة إجابة الملائكة بقولهم تركناهم وهم يصلون ولم يذكروا الكافر والتارك للصلاة أن العمل الصالح يرفع لأهل السماء فينشرف بنو آدم على العموم وتنزل عليهم الرحمة وتكثر أرزاقهم لأن الرحمة تم الطائع والعاصي فأخبار الملائكة بطاعة بنى آدم على العموم لاستجلاب الرحمة لهم من عالم الغيب (قوله من أمر الله) اختلاف للفسرون في من فقيل بمعنى الباء والمحفوظ منه محذوف ، والتقدير يحفظونه (٢٤٩) بأمر الله من الحوادث ،

وقيل إن من على حقيقتها والمحفوظ منه مذكور بقوله من أمر الله : أي يحفظونه من الجن والحوادث وغير ذلك إذ اعلمت ذلك فالمفسر قد أفاد القول الأول (قوله من الحالة الجميلة) أي وهي الطاعة ، والمعنى أنه جرت

في سربه أي طريقه (بالتنهار ، له) (للإنسان) (مُعَقَّبَاتٌ) ملائكة تعتقبه (من بين يديه) قدامة (ومن خلفه) ورائه (يحفظونه من أمر الله) أي بمره من الجن وغيرهم (إن الله لا يغير ما بقوم) لا يسلبهم نعمته (حتى يغيروا ما بأنفسهم) من الحالة الجميلة بالمعصية (وإذا أراد الله بقوم سوءاً) عذاباً (فلا مرد له) من المعقبات ولا غيرها (وما لهم) لمن أراد الله بهم سوءاً (من دونه) أي غير الله (من) زائدة (وال) بمنعهم عنهم (هو الذي يرىكم البرق خوفاً) للمسافرين من الصواعق (وطمعاً) للقيم في المطر (وينشئ) يخلق (السحاب الثقال)

عادة الله أنه لا يقطع نعمة عن قوم إلا إذا بدلوا أحوالهم الجميلة بأحوال قبيحة وبمعنى هذه الآية قوله تعالى - ذلك بأن الله لم يك مغفراً نعمة أنعمها على قوم حتى يغيروا ما بأنفسهم - وقوله عليه الصلاة والسلام « إذا رأيت قسوة في قلبك وحرماناً في رزقك ووهناً في بدنك فاعلم أنك تكلمت بما لا يعينك » فالنعم تأتي من الله بلا سبب وسلبها يكون بسبب المعاصي (قوله وإذا أراد الله بقوم سوءاً) إذا شريطة وجوابها قوله فلا مرد له والعامل فيها محذوف لدلالة الجواب عليه تقديره لم يرد أو واقع ، والمعنى متى سبق في علم الله نزول بلاء بقوم فلا يقدر على دفعه أحد من الملائكة ولا من غيرهم إذا علمت ذلك تعلم جهل من يقول لو كانت الأولياء موجودين لما نزل علينا بلاء (قوله وما لهم من دونه من وال) أي ناصر يدفعه . قال تعالى - وكم من ملك في السموات لا تنفى شفاعتهم شيئاً إلا من بعد أن يأذن الله لمن يشاء ويرضى - فلا دفاع لما قضاه ولا راد لما قدره (قوله هو الذي يرىكم البرق) لما أخبر سبحانه وتعالى بقوله - وإذا أراد الله بقوم سوءاً فلا مرد له - رب عليه قوله : هو الذي يرىكم البرق الخ إشارة إلى أنه سبحانه وتعالى منه الرحمة والعقاب (قوله البرق) هو لمعان يظهر من خلال السحاب ، وقيل لمعان المطراق الذي يزرجه السحاب (قوله خوفاً وطمعاً) منصوبان على الحال من الكاف في يرىكم وليس مفعولاً لأجله لعدم اتحاد الفاعل فان فاعل الإرادة الله وقيل الخوف والطمع العبيد وبعضهم جعله مفعولاً لأجله بتأويل يرىكم يجعلكم راثنين فتخافون وتطمعون (قوله للمسافرين) لا مفهوم له بل المقيمون الذين يضرهم المطر كمن يجفف الثمار والحبوب كذلك ، وقوله وطمعاً للقيم الخ لا مفهوم له أيضاً بل المسافرين المحتاج للمطر للشرب مثلاً كذلك فالبرق تارة يكون خيراً وتارة يكون شراً وبأني بالشر فبظاهره خبر (قوله وينشئ السحاب) [٣٢ - صاوي - ثاني]

هو تمر شجرة في الجنة يخلقها الله وينزل فيه الماء من السماء فالحساب من الجنة وماؤه من الجنة تهب الريح من تحت - بقول العرش فتخرج الحمل والمحمول من الجنة وهذا مذهب أهل السنة ، وقالت المعتزلة : إن الحساب له خراطيم كالابل فينزل فيشرب من البحر الملح ويرفع في الجو فتفسفه الرياح فيجاء فينزل الله على من أراد من خلقه (قوله هو ملك موكل بالسحاب الخ) هذا هو المشهور بين المفسرين وعليه فما نسمعه هو صوت تسبيح الملك الموكل بالسحاب فإذا سمعته للملائكة ضجت معه بالتسبيح فعندها ينزل المطر ، وقيل هو صوت الآلة التي يضرب بها السحاب (قوله أى يقول سبحان الله وبحمده) أى تنزيها له عن النقائص واتصافه بالكلمات (قوله ملتبسا) أشار بذلك إلى أن الباء للابسة (قوله والملائكة) قيل المراد بهم أعوان ملك السحاب ، وقيل للمراد جميع الملائكة (قوله من خيفته) أى هيئته وجلاله (قوله وهى نار الخ) وقيل هى الصوت الشديد النازل من الجوزم يكون فيه نار (قوله تخرج من السحاب) أى فإذا نزلت من السماء فرميا نفوس في البحر فتقتل الحيتان (قوله نزل في رجل) أى من طواغيت العرب وقد اختصرها المفسر ، وحاصلها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث إليه نفرا من أصحابه يدعونه إلى الله تعالى ورسوله ، فقال لهم أخبرونا من ربّ محمد الذى يدعونى إليه فهل هو من ذهب أم فضة أم حديد أم نحاس فاستعظم القوم كلامه فانصرفوا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا : ما رأينا أ كفرو قلبا ولا أجراً على الله تعالى من هذا الرجل ، فقال ارجعوا إليه فرجعوا فلم يزدكم (٢٥٠) على مقاتله الأولى شيئا بل قال أخبت منها فرجعوا إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال

بالمطر (وَيُسَبِّحُ الرَّعْدُ) هو ملك موكل بالسحاب يسوقه ملتبسا (بِحَمْدِهِ) أى يقول سبحان الله وبحمده (و) يسبح (الملائكة من خيفته) أى الله (وَيُرْسِلُ الصَّوَاعِقَ) وهى نار تخرج من السحاب (فَيُصِيبُ بِهَا مَنْ يَشَاءُ) فتحرقه ، نزل في رجل بعث إليه النبي صلى الله عليه وسلم من يدعو فقال من رسول الله وما الله أمن ذهب هو أم فضة أم نحاس فنزلت به صاعقة فذهبت بقحف رأسه (وَهُمْ) أى الكفار (يَجَادُونَ) يخاصمون النبي صلى الله عليه وسلم (فِي اللَّهِ وَهُوَ شَدِيدُ الْحَالِ) القوة أو الأخذ (لَهُ) تعالى (دَعْوَةُ الْحَقِّ) أى كلمته وهى لا إله إلا الله (وَالَّذِينَ يَدْعُونَ) بالياء والتاء يعبدون (مِنْ دُونِهِ) أى غيره وهم الأصنام (لَا يَسْتَجِيبُونَ لَهُمْ بِشَيْءٍ) مما يطلبونه (إِلَّا) استجابة (كَبَاسِطٍ) أى كاستجابة باسط (كَفَيْهِ إِلَى الْمَاءِ) على شفير البئر يدعو (لِيَبْتَلِيَ قَاهُ) بارتقاعه من البئر إليه (وَمَا هُوَ بِبَالِغِهِ) أى فاه أبداً فكذلك مام بمستجيبين لهم (وَمَا دُعَاءُ الْكَافِرِينَ) عبادتهم الأصنام أو حقيقة الدعاء (إِلَّا فِي ضَلَالٍ) ضياع ،

لهم ارجعوا إليه فرجعوا فبينما هم عنده يدعونه وينازعون ارتفعت سحابة فكانت فوق رؤوسهم فرعدت وبرقت ورمت بصاعقة فأحرقت الكافر وهم جالوس عنده فرجعوا ليخبروا النبي صلى الله عليه وسلم فبادرهم وقال لهم احترق صاحبكم ، فقالوا من أين علمت ؟ قال قد أوحى إلى - ورسول الصواعق فيصيب بهامن

يشاء - (قوله بقحف رأسه) بكسر القاف عظم الرأس الذى فوق الدماغ (قوله وهو شديد الحال) بكسر (و) الله

الميم من الماحلة وهى المكيدة ، وقيل من المحل وهو القوة والأخذ وهو الأولى ، ولندامشى عليه المفسر (قوله له دعوة الحق) أى شرعها وأمرها (قوله وهى لا إله إلا الله) أى مع عديلتها وهى محمد رسول الله فهى كلمة الحق جعلت مفتاحا للإسلام فلا يقبل من أحد إلا بالاقرار بها (قوله بالياء والتاء) ألياء فتواترة وأما التاء فشاذة وكان المناسبات للمفسر التنبيه عليها (قوله لا يستجيبون لهم) أى لا يجيبونهم (قوله إلا استجابة) أشار بذلك إلى أن الكلام على تقدير مصدر مضاف إلى المفعول ، والمعنى أن الأصنام التى يعبدوها الكفار لا تعقل ولا تسمع ولا تبصر فلا تجيب عابديها بشئ أصلا وقد ضرب الله مثلا لعدم إجابتها لهم بقوله - إلا كباسط الخ - والمعنى أن من يسط كفيه للماء ليدخل فيه لا يجيبه الماء لعدم إشعاره يسط كفيه وعطشه وعدم قدرته على ذلك فكذلك من يدعو الأصنام لتدفع عنه كرب أو توليه نعمة لا تجيبه بشئ لعدم قدرتها على ذلك لنفسها فضلا عن غيرها (قوله وما هو) أى الماء (قوله عبادتهم الأصنام أو حقيقة) هذان قولان في تفسير الدعاء والأقرب الأول بدليل قوله أولا والذين يدعون يعبدون (قوله ضياع) إنما كان دعائهم ضائعا لأنه طلب من غير من لا يملك لنفسه نفعا ولا ضرا وأما دعاؤهم لله فليس بضائع بل يستجيب لهم إن شاء فإن كان بأمور الدنيا فظاهر وإن كان بالجنة فيهديهم للإيمان ، هذا هو الذى يجب المصير إليه ويؤيده قوله تعالى - وما كان الله ليضلهم وأنف فيهم وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون - فانها في مشركى مكة وجملة ومادعاء الكافرين إلا في ضلال نتيجة ما قبلها

(قوله والله يسجد من في السموات) أى وهم الثلاثة ولا يكون إلا طوعا وقوله والأرض أى من الانس والجن وقوله طوعا وكرها حالان من الفاعل أى طائعين ومكرهين والسكره في الناقضين كما قال المفسر، وأما باقى الكفار فلم يكن منهم سجود وهذا إن حمل السجود على حقيقته وهو وضع الجبهة على الأرض بالفعل وإن أريد من السجود الأمر به بقيت من على عمومها فيندرج تحتها الإنس والجن والملك ويصح حمله على معناه المجازى وهو الخضوع والانقياد والمعنى والله خضع وانقاد وذلك من في السموات والأرض جميعا وهو بمعنى قوله تعالى - إن كل من في السموات والأرض إلا آتى الرحمن عبدا - وعلى هذا فالمراد بمن في السموات والأرض السموات والأرض ومن فيهن وغلب العاقل لشرفه ولأنه المكلف بالسجود الحقيقي والنفوى فالعارف بربه للسلم لا حكمه ولو غير عاقل بدليل قائلنا أننا طائعين خضع طوعا لإجلال لهيبه الله وجلاله والجاهل خضع كرها بمعنى جرت المقادير عليه رغما على أنه (قوله وظلالهم) معطوف على من مسلط عليه يسجد كما قدره المفسر ومعنى سجود الظل سجوده حقيقة تبعاً لصاحبه إن أريد بالسجود حقيقته وخضوعه، وانقياده إن أريد به المعنى المجازى وسجود الظلال كلها طوعا لخلوها عن النفس التى تحمل الإنسان على عدم الرضا فى الحقيقة السكارة إنما هو النفس التى حواها الجسم وأما الجسم والظل خضوعهما طوعا، ولذا قيل إن الكافر إذا سجد للصنم سجد طله لله (قوله البكر) جمع بكرة وهى من أول النهار (قوله والآصال) جمع أصيل، وهو من بعد العصر إلى الغروب فالمراد جميع (٢٥١) الأوقات إن أريد بالسجود

الخضوع والانقياد وأوقات الصلوات إن أريد بالسجود حقيقته (قوله قل من ربه السموات والأرض) هذا مرتب على ما قبله (قوله لا جواب غيره) أى لتعيينه عليه لاعترافيهم به وإنما يتركون هذا الجواب عنادا (قوله قل فأتخذتم الخ) المعنى أبعد قراركم بأنه رب السموات والأرض واعترافكم به

(وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا) كالمؤمنين (وَكَرْهًا) كالمناقضين ومن أكره بالسيف (و) يسجد (ظِلَالُهُمْ بِالْعُدُوِّ) البكر (وَأَلَا صَالٍ) العشايا (قُلْ) يا محمد لقومك (مَنْ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ قُلِ اللَّهُ) إن لم يقولوه لأجواب غيره (قُلْ) لهم (أَفَاتَّخَذْتُمْ مِنْ دُونِهِ) أى غيره (أَوْلِيَاءَ) أصناما تعبدونها (لَا يَمْلِكُونَ أَنْفُسِهِمْ نَفْعًا وَلَا ضَرًّا) وتركتم ما لكهما استفهام توبيخ (قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الْأَعْمَى وَالْبَصِيرُ) الكافر والمؤمن (أَمْ هَلْ تَسْتَوِي الظُّلُمَاتُ) الكفر (وَالنُّورُ) الإيمان؟ لا (أَمْ جَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ خَلَقُوا كَخَلْقِهِ فَتَشَابَهَ الْخَلْقُ) أى خلق الشركاء بخلق الله (عَلَيْهِمْ) فاعتقدوا استحقاق عبادتهم بخلقهم استفهام إنكار أى ليس الأمر كذلك ولا يستحق العبادة إلا الخالق (قُلِ اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ) لا شريك له فيه فلا شريك له في العبادة (وَهُوَ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ) لعباده ثم ضرب مثلا للحق والباطل فقال (أَنْزَلَ) تعالى (مِنَ السَّمَاءِ مَاءً) مطراً،

يأبى بكم أن تتخذوا من دونه من لا يملك لنفسه نفعا ولا ضرا (قوله وتركتم ما لكهما) أى وهو الله (قوله استفهام توبيخ) أى الثانى وأما الأول فهو للتقرير (قوله قل هل يستوى الأعمى والبصير) هذا ترقى في الرد عليهم (قوله الكافر والمؤمن) أى فالمراد بالأعمى أعمى القلب والبصير بصيره (قوله الكفر) أى وعبر عنه بالظلمات جمعا لتعدد أنواعه بخلاف الإيمان فهو متحد فقد عبر عنه بالنور مفردا وسمى الكفر ظلمات لأنه موصل لدار الظلمات وهى النار وسمى الإيمان بالنور لأنه موصل لدار النور وهى الجنة (قوله لا) أشار بذلك إلى أن الاستفهام إنكارى بمعنى النفي وبمعنى هذه الآية قوله تعالى - مثل نوره كمشكاة فيها مصباح الآية - وقوله تعالى - أو كظلمات فى بحر لجج - الآية (قوله أم جعلوا) أى بل أجعلوا فأم منقطعة تفسر ببل والمهمة (قوله شركاء) أى الأصنام (قوله خلقوا) أى الأصنام وقوله خلقه أى الله، والمعنى هل لهذه الأصنام خلق تخلق الله فاشقبه بخلقها فاستحققت العبادة لذلك وهو إنكار عليهم أى لم يخلقوا أصلا بل ولا يستطيعون دفع ما ينزل بهم فكيف العاجز يعبد (قوله أى ليس الأمر كذلك) أى لم يخلقوا تخلق الله حتى يشبهه بخلق الله بل الكفار يعلمون بالضرورة أن هذه الأصنام صدر عنها فعل ولا خلق ولا أثر أصلا وإذا كان كذلك فجعلهم إياها شركاء لله فى الألوهية محض جهل وعناد (قوله وهو الواحد القهار) أى المنفرد بالإيجاد والاعدام القاهر لعباده المختار فى أفعاله فلا يستل عما يفعل (قوله ثم ضرب مثلا) أى بينه، والمراد بالمثل الجنس لأن المذكور للحق مثله والباطل كذلك .

(قوله فسالت أودية) أى أنهار جمع واد وهو اللوضع الذى يسيل فيه الماء بكثرة وحينئذ فهو مجاز عقلى من إسناد الشيء لمكانه والأصل فسالت الماء فى الأودية (قوله بقدرها) بفتح الدال باتفاق السبعة ، وقرئ شذوذاً بسكونها (قوله بمقدار مثلها) أى ما يعلا كل واحد بحسبه صفراً وكبراً (قوله زبداً) الزبد ما يظهر على وجه الماء من الرغوة أو على وجه القدر عند غليانه وقد تم التل الأول (قوله وبما توقدون) الجار والمجرور خبر مقدم وزبد مثله مبتدأ مؤخر (قوله بالثناء والياء) أى وهما قراءتان سبعيتان (قوله فى النار) متعلق بتوقدون وقوله ابتغاء حلية علة لتوقدون (قوله كالأوانى) أى وللسكوك الذى ينتفع به الناس فى معاشهم (قوله زبد مثله) أى فى كونه يصعد ويعلو على أصله (قوله الكبر) هو منفاخ الحداد وأما الكور فهو اللوضع الذى توقد فيه النار كالكانون (قوله للذكور) أى من الأمور الأربعة التى للحى والباطل (قوله فأما الزبد) لف ونشر مشوش (قوله مرميابه) أى يرميه الماء إلى الساحل ويرميه الكبر فلا ينتفع به (قوله والحق ثابت) أى ما كثر كما أن الماء والجوهر ثابتان وإنما يرمى بزبدما والمعنى أن مثل الباطل كمثل الرغوة التى تعالو على وجه الماء وخبث الجوهر الذى يصعد على وجهه عند (٢٥٢) نفع النار عليه ومثل الحق كمثل الماء الصافى والجوهر الصافى

(فَسَأَلْتُ أَوْدِيَةً بِقَدَرِهَا) بِمِقْدَارِ مِثْلِهَا (فَاخْتَمَلَ السَّيْلُ زَبْدًا رَابِيًا) عَالِيًا عَلَيْهِ هُوَ مَا عَلَى وَجْهِهِ مِنْ قَدَرٍ وَنَحْوِهِ (وَبِمَا تُوقِدُونَ) بِالثَّناءِ وَالْيَاءِ (عَلَيْهِ فِي النَّارِ) مِنْ جَوَاهِرِ الْأَرْضِ كَالذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالنَّحَاسِ (أُبْتِغَاءً) طَلَبَ (حَلِيَّةٍ) زِينَةٍ (أَوْ مَتَاعٍ) يَنْتَفَعُ بِهِ كَالْأَوَانِي إِذَا أُذِيتَ (زَبْدٌ مِثْلُهُ) أَيْ مِثْلُ زَبَدِ السَّيْلِ وَهُوَ خَبَثُهُ الَّذِي يَنْفِيهِ الْكِبَرُ (كَذَلِكَ) الْمَذْكُورُ (يَضْرِبُ) اللَّهُ الْحَقَّ وَالْبَاطِلَ أَيْ مِثْلَهُمَا (فَأَمَّا الزَّبْدُ) مِنَ السَّيْلِ وَمَا أُوقِدَ عَلَيْهِ مِنَ الْجَوَاهِرِ (فَيَذْهَبُ جُثَاءً) بَاطِلًا مَرْمِيًا بِهِ (وَأَمَّا مَا يَنْتَفَعُ النَّاسُ) مِنَ الْمَاءِ وَالْجَوَاهِرِ (فَيَسْكُتُ) يَبْقَى (فِي الْأَرْضِ) زَمَانًا كَذَلِكَ الْبَاطِلُ يَضْمَحِلُ وَيَمْحَقُ وَإِنْ عَلَا عَلَى الْحَقِّ فِي بَعْضِ الْأَوَاقَاتِ وَالْحَقُّ ثَابِتٌ بَاقٍ (كَذَلِكَ) الْمَذْكُورُ (يَضْرِبُ) بَيْنَ (اللَّهِ الْأَمْثَالَ) لِلَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ أَنْجَابُهُ بِالطَّاعَةِ (الْحُسْنَى) الْجَنَّةِ (وَالَّذِينَ لَمْ يَسْتَجِيبُوا لَهُ) وَهُمْ الْكَافِرُ (لَوْ أَنَّ لَهُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُ مَعَهُ لَافْتَدَوْا بِهِ) مِنَ الْعَذَابِ (أُولَئِكَ لَهُمْ سُوءُ الْحِسَابِ) وَهُوَ الْمُواخَاذَةُ بِكُلِّ مَا عَمِلُوهُ لَا يَغْفِرُ مِنْهُ شَيْءٌ (وَمَا أُولَئِكَ بِجَاهِلٍ وَبِئْسَ الْمِهَادُ) الْفَرَّاشُ هِيَ . وَنَزَلَ فِي حِمْزَةٍ وَأَبَى جَهْلٍ (أَفَنْ يَعْلَمَ أُنْمَا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ مِنَ رَبِّكَ الْحَقُّ) فَأَمَّنْ بِهِ (كَفَنَ هُوَ أَعْمَى) لَا يَعْلَمُهُ وَلَا يُؤْمِنُ بِهِ ؟ لَا (إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ) يَتَعَطَّى (أُولُوا الْأَلْبَابِ)

كما أن الرغوة فى كل لا قرار لها ولا ينتفع بها بل ترى كذلك الباطل يضمحل ولا يبقى والحق ثابت ينتفع به كالجوهر والماء الصافين وفى هذه الآية بشرى للأمم المحمدية بأنها ثابتة على الحق لا يضرهم من خلفهم فى العقائد بل وإن علا وارفع لابد من اضمحلاله وزواله (قوله يضرب الله الأمثال) أى لارشاد عبيده باللطف والرفق فان من جملة ما جاء به القرآن الأمثال (قوله للذين استجابوا) خبر

مقدم وقوله الحسنى مبتدأ مؤخر (قوله الجنة) أى وزيادة

أصحاب

بدليل الآية الأخرى : الذين أحسنوا الحسنى وزيادة (قوله والذين) مبتدأ أخبر عنه بثلاثة أمور الأول قوله لو أن لهم الثانى قوله أولئك لهم الخ الثالث قوله وما أوامهم الخ ، والمعنى أن الكفار يجهنون أن لو كان لهم قدر ما فى الأرض جميعاً مرتين ويفتدون به من العذاب النازل بهم يوم القيامة (قوله سوء الحساب) أى الحساب السيئ فهو من إضافة الصفة للوصف والمراد أنهم يناقشون الحساب ويستلون عن التقدير والقمطير ولذا ورد فى الحديث «من نوقش الحساب هلك» (قوله وما أوامهم جهنم) أى منزلهم الملعنة لهم (قوله وبئس المهاد) هو ما يعهد أى يفرش وقدره إشارة إلى أن المخصوص بالذم محذوف (قوله ونزل فى حمزة وأبى جهل) أى سبب نزول هذه الآيات مدح حمزة بالصفات الجليلة والوعد عليها بالخير وذم أبى جهل بالصفات القبيحة والوعيد عليها بالشر ولكن العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب فكآيات الوعد لحزة ومن كان على قدمه وخلقه إلى يوم القيامة وآيات الوعيد لأبى جهل ومن كان على قدمه وخلقه إلى يوم القيامة (قوله أفن يعلم) الهمة داخلية على محذوف والفاء عاطفة على ذلك المحذوف والتقدير أيسئوى المؤمن والكافر فمن يعلم الخ (قوله لا) أشار بذلك إلى أن الاستفهام إنكسارى بمعنى النفى .

(قوله أصحاب العقول) أى السليمة الكاملة (قوله الذين يوفون) بدل من من ، وحاصل ما ذكره من الصفات لهم ثمانية أولها قوله يوفون بهد. الله وآخرها قوله ويدرون بالحسنة السيئة (قوله المأخوذ عليهم وهم فى عالم الذر) أى بالتوحيد وهو قول الله لهم ألت بربكم (قوله أو كل عهد) أى كل ميثاق أخذ عليهم كان للخالق أو للخلق ولو كافرا فيجب الوفاء بالعهد ولا تجوز الخيانة ولما كانت الأوصاف الآتية لازمة للوفى بالعهد قدم عليها وجعل ما بعده تفصيلا له وحينئذ فالمراد بالوفاء بالعهد امتثال الأمور التى على حسب الطاقة واجتناب المنهيات (قوله ولا ينقضون الميثاق) تأكيد لما قبله ولازم له لأن الوفاء بالعهد غير ناقض للميثاق فالعهد هو الميثاق وقيل الميثاق هو التزام الخلق بالوفاء بأمر الخالق والعهد هو أمر الله (قوله بترك الإيمان) راجع للأول وقوله أو الفرائض راجع للثانى فى تفسير العهد (قوله من الإيمان) بيان لما والمعنى أنهم يأتون بالإيمان بشروطه وأركانه وآدابه (قوله والرحم) أى القرابة لما فى الحديث يقول الله تعالى «أنا الرحمن خلقت الرحم وشققت لها اسما من اسمى ، فمن وصلها وصلته ومن قطعها قطعته» وقال عليه الصلاة والسلام «الرحم معلقة بالعرش تقول : من وصلنى وصله الله ، ومن قطعنى قطعته الله» وصلة الرحم تكون ببذل المعروف والافتقار بحسب الاستطاعة (قوله وغير ذلك) أى كالتوادة للناس وعيادة المريض وغير ذلك لما فى الحديث «التوادة مع الناس نصف العقل» وفى الحديث «وخالق الناس بخلق حسن» والتوادة باعطاء من حرمك ووصل من قطعك والغفوة عن ظلمك (قوله ويخشون ربهم) أى يهابونه لإجلاله وتعظيمه فلا يخشون غيره ولا يلتفتون لما سواه (قوله ويخافون سوء العذاب) أى يخافون (٢٥٣) الحساب السيئ المؤدى لفخول النار (قوله والذين صبروا

على الطاعة الخ) أشار المفسر إلى أن مراتب الصبر ثلاثة أعلاها الصبر عن المعصية وهو عدم فعلها رأسا ويلبها الصبر على الطاعات أى دوام فعلها على حسب الطاقة ويلبها الصبر على البلاء وأعلى الجميع الصبر عن الشهوات لأنه مرتبة

أصحاب العقول (الَّذِينَ يُوفُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ) المأخوذ عليهم وهم فى عالم الذر أو كل عهد (وَلَا يَنْقُضُونَ لِمِيثَاقٍ) بترك الإيمان أو الفرائض (وَالَّذِينَ يَصِلُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ) من الإيمان والرحم وغير ذلك (وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ) أى وعيده (وَيَخَافُونَ سُوءَ الْحِسَابِ) تقدم مثله (وَالَّذِينَ صَبَرُوا) على الطاعة والبلاء وعن المعصية (أَبْتِغَاءً) طلب (وَجِهَ رَبِّهِمْ) لاغيره من أعراض الدنيا (وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنْفَقُوا) فى الطاعة (يَمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً وَيَدْرُونَ) يدفعون (بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةِ) كالجهل بالحلم والأذى بالصبر (أُولَئِكَ لَهُمْ عِقَابُ الدَّارِ) أى العاقبة المحمودة فى الدار الآخرة هى (جَنَّاتُ عَدْنٍ) إقامة (يَدْخُلُونَهَا) هم (وَمَنْ صَلَحَ) آمن

الأولياء والصديقين (قوله ابتغاء وجهه ربهم) أى طابا لمرضاته (قوله لاغيره من أعراض الدنيا) أى كالصبر ليقال ما أكل صبره وأشد قوته أولئلا يعاب على الجزع أولئلا تشمت به الأعداء وغير ذلك من الأمور التى تكون لغير وجه الله وفضل الصبر لوجه الله عظيم جدا قال تعالى - وبشر الصابرين - الآية ، وورد «إذا كان يوم القيامة نادى مناد ليقم أهل الصبر فيقوم ناس من الناس فيقال لهم انطلقوا إلى الجنة فتلقاهم الملائكة فتقول إلى أين ؟ فيقولون إلى الجنة . قالوا قبل الحساب ؟ قالوا نعم ، فيقولون من أتم ؟ فيقولون نحن أهل الصبر . قالوا وما كان صبركم ؟ قالوا صبرنا أنفسنا على طاعة الله وصبرناها عن معاصى الله وصبرناها على البلاء والحن فى الدنيا ، فتقول لهم الملائكة سلام عليكم بما صبرتم فتم عقي الدار » (قوله وأقاموا الصلاة) أى فرضا أو نفلا بالأتين بها بشروطها وأركانها وآدابه (قوله وأنفقوا فى الطاعة) أى إنفاقا واجبا كالزكاة والنفقة الواجبة أو مندوبا كالتطوعات (قوله سرا وعلانية) أى لم يعلم به أحد أو علم فالمدار على الإخلاص فى النفقة أسر بها أو أعلن (قوله كالجهل بالحلم) أى فيدفع السفه والتعدي بالحلم وعدم المؤاخذه (قوله والأذى بالصبر) أى فلا يكافئون الشر بالشر بل يدفعون الشر بالخير والصبر (قوله أولئك) مبتدأ وقوله لهم خبر مقدم وعقب الدار مبتدأ مؤخر والخلة خبر المبتدأ الأول وهى مستأنفة لبيان جزاء من ذكر (قوله أى العاقبة المحمودة فى الدار الآخرة) أشار بذلك إلى أن النعمت محذوف والإضافة على معنى فى فالعقب المحمودة هى الجنة (قوله جنات عدن) قدر المفسر هى إشارة إلى أن جنات عدن خبر مبتدأ محذوف ، والمراد بجنات عدن الجنة بجميع دورها لا خصوص الدار المسماة بذلك (قوله ومن الخ) قدر الضمير للإيضاح وإلا فالفضل حاصل بالضمير المنصوب

(قوله من آباءهم) أى أصولهم وإن علا ذكورا وإنا (قوله وأزواجهم) أى اللاتي منن في عصمتهم (قوله وذرياتهم) أى فرودهم وإن سفلوا (قوله وإن لم يعملوا) أى الآباء والأزواج والذريات (قوله تكرمهم لهم) أى لأن الله جعل من ثواب للطيع سروره بما يراه في أهله ولو كان دخولهم الجنة بأعمالهم الصالحة لم تكن في ذلك كرامة للطيع إذ كل من كان صالحا في عمله فله الدرجات العلية استقلالا (قوله أو القصور) جمع قصر وهو كما ورد خيمة من درة ججوفة طولها فرسخ وعرضها فرسخ لها أنف باب مصاريعها من ذهب يدخلون عليهم من كل باب بالتحف والهدايا يقولون سلام عليكم بما صبرتم (قوله أول دخولهم للتهنئة) هذا التفسير لم ير لغيره بل في كلام غيره ما يدل على خلاف ذلك قال مقاتل إن الملائكة يدخلون في مقدار كل يوم من أيام الدنيا ثلاث مرات معهم الهدايا والتحف من الله تعالى يقولون سلام عليكم بما صبرتم (قوله يقولون) قدره إشارة إلى أن قوله تعالى سلام عليكم في محل نصب مقول لقول محذوف (قوله سلام عليكم) أى سلمكم الله من آفات الدنيا فهو دعاء لهم وتحيية (قوله بما صبرتم) الجار والمجرور متعلق بمحذوف خبر المحذوف قدره المفسر بقوله هذا الثواب الخ (قوله بصبركم) أشار بذلك إلى أن ما مصدرية تسبك مع ما بعدها بمصدر (قوله فنعم عقبي الدار) المراد بالدار قيل الدنيا وقيل الآخرة (قوله عقباكم) قدره إشارة إلى أن المخصوص بالمحذوف (قوله والذين ينقضون عهد الله من بعد ميثاقه) أى من بعد الاعتراف والقبول (قوله أولئك) أى من هذه صفاته (قوله وهم جهنم) تفسير للعاقبة السيئة (قوله الله يمسط الرزق الخ) هذا جواب عن شبهة الكفار حيث قالوا لو كان الله غضبان علينا كما زعمتم أيها المؤمنون لما بسط لنا الأرزاق ونعمنا في الدنيا

(٢٥٤)

أتبعه بذكر أوصاف أهل الشقاوة وهذه أوصاف أبي جهل ومن هذا خذوه إلى يوم القيامة (قوله من بعد ميثاقه) أى من بعد الاعتراف والقبول (قوله أولئك) أى من هذه صفاته (قوله وهم جهنم) تفسير للعاقبة السيئة (قوله الله يمسط الرزق الخ) هذا جواب عن شبهة الكفار حيث قالوا لو كان الله غضبان علينا كما زعمتم أيها المؤمنون لما بسط لنا الأرزاق ونعمنا في الدنيا

(مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ) وإن لم يعملوا بعملهم يكونون في درجاتهم تكرمهم لهم (وَالْمَلَائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِمْ مِنْ كُلِّ بَابٍ) من أبواب الجنة أو القصور أول دخولهم للتهنئة يقولون (سَلَامٌ عَلَيْكُمْ) هذا الثواب (بِمَا صَبَرْتُمْ) بصبركم في الدنيا (فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ) عقباكم (وَالَّذِينَ يَنْفُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَنْتَظِمُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ) بالكفر والمعاصي (أُولَئِكَ لَهُمُ اللَّعْنَةُ) البعد من رحمة الله (وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ) العاقبة السيئة في الدار الآخرة وهي جهنم (اللَّهُ يَنْسُطُ الرِّزْقَ) يوسمه (لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ) يضيقه لمن يشاء (وَفَرِحُوا) أى أهل مكة فرح بطر (بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا) أى بما نالوه فيها (وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا فِي) جنب حياة (الْآخِرَةِ إِلَّا مَتَاعٌ) شئ قليل يتمتع به ويذهب (وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا) من أهل مكة (لَوْلَا) هلا (أَنْزَلَ عَلَيْهِ) على محمد (آيَةٌ مِنْ رَبِّي) كالعصا واليد والناقة (قُلْ) لهم (إِنَّ اللَّهَ يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ) إضلاله فلا تنفى عنه الآيات شيئا (وَيَهْدِي) يرشد (إِلَيْهِ) إلى دينه (مَنْ أُنَابَ) رجع إليه ويبدل من (الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ) تسكن (قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ) أى وعده (أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ ،

فرد الله عليهم شبهتهم بذلك والمعنى أن بسط الرزق في الدنيا ليس تابعا للإيمان بل ذلك بتقدير الله في الأزل لمن يشاء فقد يمسط الرزق للكافر استدرجا ويضيقه على المؤمن امتحانا (قوله يوسمه لمن يشاء) أى مؤمن أو كافر وقوله يضيقه لمن يشاء أى مؤمن أو كافر (قوله وفرحوا بالحياة الدنيا) هذا بيان لقبيح أحوالهم فهو مستأنف (قوله فرح بطر) أى لافرح سرور وشكر نعم الله (قوله في الآخرة) أى نسوبة للآخرة والمعنى وما الحياة الدنيا مفسوبة في جنب الحياة الآخرة الامتاع (قوله يتمتع به ويذهب) أى فلا يقاء لها قال تعالى لا يفرنك قلب الذين كفروا في البلاد متاع قليل (قوله هلا) أشار بذلك إلى أن لولا التحضية (قوله آية من ربه) أى غير ما حاه به من نبع الماء وتسبح الحصى وغير ذلك (قوله فلا تنفى عنه الآيات شيئا) أى فجميعها لا يفيدهم شيئا إذ ما جاز على أحد المتدين يجوز على الآخر فما قالوه في حق ما جاء به من كونه سحرا أو كهانة يقولون في حق ما لم يأت به على فرض اتيانه به قال تعالى وما تنفى الآيات والنذر عن قوم لا يؤمنون (قوله ويهدي إليه) أى يوصله لمرضاته ولما يحبه (قوله ويبدل من من) أى بدل كل ويصح جعله مبتدأ خبره الموصول الثاني وما بينهما اعتراض (قوله الذين آمنوا) أى اتصفوا بالتصديق الباطني الناشئ عن إذعان وقبول (قوله وتطمئن قلوبهم) هذه علامة مؤمن الكامل والطمانينة بذكر الله هي ثقة القلب بالله والاستغفال به عن سواه ثم اعلم أن هذه الآية تفيد أن ذكر الله تطمئن به قلوب وآية الأنفال تفيد أن ذكر الله يحصل به العجل والخوف، فقتضى ذلك أنه بين الآيتين تناف. وأجيب بأن الطمانينة هنا مضاهيا للسكون إلى الله والوثوق به فيفسد عن

ذلك عدم خوف غيره وعدم الرجاء في غيره فلا ينافي حصول الخوف من الله والوجل منه وهذا معنى آية الأتقال وحينئذ نصار الغير عندنا هباء منثورا ليس معدا لدفع ضرر ولا جلب نفع وبمعنى الآيتين قوله تعالى: الله نزل أحسن الحديث كتابا متشابها مثاني تقشعر منه جلود الذين يخشون ربهم ثم تانين جلودهم وقلوبهم إلى ذكر الله فتحصل أن المؤمن الكامل هو اللطيف بالله الوائق به الخائف من هيئته وجلاله فلا يشاهد غيره لافي جلب نفع ولا دفع ضرر لأن الله هو المالك المتصرف في الأمور خيرها وشرها حيث شاهد المؤمن: وحدانية الله في الوجود أعرض عما سواه واكتفى به فلا يعرج على غيره أصلا وهذا أتم ما ذكره المفسر حيث دفع التناقض بأن معنى الطمأنينة سكون القلب بذكر الوعد والشارات والوجل بذكر الوعيد والندارات (قوله تطمئن القلوب) أي الكاملة في الإيمان (قوله طوبى) أصله طيبى وقعت اليأس كنية بعد ضمة قلبت واوا والمعنى عيشة طيبة لهم وقد فسرت في آية أخرى بقوله تعالى فهو في عيشة راضية في جنة عالية قطوفها دانية (قوله أو شجرة في الجنة) أي وأصلها في دار النبي صلى الله عليه وسلم وفي كل دار وغرفة في الجنة منها غصن لم يخلق الله لولاها زهرة إلا وفيها منها إلا السواد ولم يخلق الله لها كفة ولا ثمرة إلا وفيها منها ينبع من أصلها عينان الكافور والساسيل كل ورقة منها تظل أمة ياب أهل الجنة تخرج من أكمامها فتبث الحل والحلى ويخرج منها الخيل المسرجة المألجة والابل برحائها وأزمتها وما ذكره المفسر في تفسير طوبى قولان من أقوال كثيرة وقيل إنه دعاء من الله لهم والتقدير طيب عيشكم وقيل غير ذلك (قوله وحسن مآب) أي ولهم حسن مرجع ومنقلب في الآخرة وهي الجنة (قوله كذلك أرسلناك) هذا تسلية له صلى الله عليه وسلم أي فلا تحزن على عدم إيمان قومك فانتأر سائر الأنبياء (٢٥٥) إلى قومهم فكفروا ولم يطيعوا

فليس من كذبك بأول مكذب (قوله في أمة) أي إلى أمة (قوله قد دخلت من قبلها أمة) أي سبقت ومضت (قوله وهم يكفرون بالرحمن) بالجملة الحالية (قوله لما أمروا بالسجود له) أي كاذ كرفي سورة الفرقان بقوله تعالى وإذا قيل لهم اسجدوا للرحمن قالوا وما الرحمن وهذا القول منهم على سبيل العناد ويسمى عند أرباب المعاني تجاهل العارف فإن الرحمن هو النعم على عباده وهم يشاهدون

تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ) أي قلوب المؤمنين (الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ) مبتدأ خبره (طوبى) مصدر من الطيب أو شجرة في الجنة يسير الراكب في ظلها مائة عام ما يقطعها (لَهُمْ وَحُسْنُ مَآبٍ) مرجع (كَذَلِكَ) كما أرسلنا الأنبياء قبلك (أَرْسَلْنَاكَ فِي أُمَّةٍ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهَا أُمَمٌ لَبِثُوا) تقرأ (عَلَيْهِمُ الَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ) أي القرآن (وَهُمْ يَكْفُرُونَ بِالرَّحْمَنِ) حيث قالوا لما أمروا بالسجود له وما الرحمن (قُلْ) لهم يا محمد (هُوَ رَبِّي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ مَتَابٍ) ونزل لما قالوا له إن كنت نبيا فسير عنا جبال مكة ، واجعل لنا فيها أنهارا وعيونا لنغرس ونزرع وابعث لنا آباءنا الموتى يكلمونا أنك نبى (وَلَوْ أَنَّ قُرْآنًا سُيِّرَتْ بِهِ الْجِبَالُ) نقلت عن أما كتبها (أَوْ قُطِعَتْ) شقت (بِهِ الْأَرْضُ أَوْ كُفِّرَتْ بِنُوحَيْنِ) بأن يحيوا لما آمنوا (بَلْ لِلَّهِ الْأَمْرُ جَمِيعًا) لا لغيره فلا يؤمن إلا من شاء إيمانه دون غيره ، وإن أوتوا ما اقترحوا . ونزل لما أراد الصحابة إظهار ما اقترحوا طمعا في إيمانهم (أَفَلَمْ يَنبَأْ) يعلم (الَّذِينَ آمَنُوا أَنَّ) مخففة أي أنه

نعمه عليهم ومع ذلك قالوا وما الرحمن وهذا كقول فردوس ومارب العالمين (قوله هوربى) أي الرحمن الذى أنكرتموه هو خالق (قوله عليه توكلت) أي فوضت أموري إليه (قوله متاب) أي توبى ومرجى (قوله ونزل لما قالوا) أي كفار مكة منهم أبو جهل وعبد الله بن أمية جلسوا خلف الكعبة وأرسلوا إلى النبي صلى الله عليه وسلم فاتاهم وقيل إنه مر بهم وهم جلوس فدعاهم إلى الله فقل عبد الله بن أمية إن سرك أن تتبعك فسيرجبال مكة بالقرآن فادفعها عنا حتى تفسح فاتها أرض ضيقة لمزارعنا واجعل لنا فيها أنهارا وعيونا لنغرس الأشجار ونزرع وتتخذ البساتين فلست كاز عمت بأهون على ربك من داود حيث سخر له الجبال تسير معه أو سخر لنا الرمح لتركبها إلى الشام ليرتناوحو أنجنا وزرع في يومنا كما سخرت لسلطان الرمح كاز عمت فلست أهون على ربك من سليمان وأحى لنا جدك قصيا فان عيسى كان يحيى الموتى ولست بأهون على الله منه فنزلت هذه الآية (قوله أوقطعت به الأرض) أي من خشية الله عند قراءته فجعلت أنهارا وعيونا (قوله لما آمنوا) جواب لو والى أنى أوفى الله ما ذكر وأجابهم لم يحصل منهم إيمان لأن الله علم عدم هدامهم (قوله بل لله الأمر جميعا) أي القدرة على كل شئ وهو إضراب عما تضمنته الجملة الشرطية من معنى التنى والمعنى بل الله قادر على الاتيان بما اقترحوه إلا أن إرادته لم تتعلق بذلك لعلهم بأنهم لا يؤمنون (قوله وإن أوتوا ما اقترحوا) أي أعطوا ما طلبوه (قوله لما أراد الصحابة الخ) أي فقالوا يا رسول الله إنك مجاب الدعوة فاطلب لهم ما اقترحوا عسى أن يؤمنوا (قوله يعلم) يطلق اليأس على العلم في لغة هوزان ونضع لتضمنه معناه فان اليأس من الشئ علم بأنه لا يكون (قوله أن مخففة) أي واسمها ضمير الشأن وجملة لو يشاء الخ خبر أن .

(قوله لو يشاء الله لهدى الناس جميعا) أى ولكن لم يفعل ذلك لعدم ثلثي مشيئة باهتدائهم . إن قلت لم لم يحب الله نبيه بعين ماطلبوا كما أوجب صالحا في الناقة وعيسى في النائدة مع علمه بأنهم لا يؤمنون ؟ . أوجب بأنه جرت عادة الله في عباده الكفار أنهم متى طلبوا شيئا من المعجزات وعاهدوا نبيهم على الإيمان عند مجيئها ولم يؤمنوا أنه يهلكهم ويقطع دارهم عن آخرهم وقد أراد الله إبقاء هذه الأمة الحمدية وعدم استئصالها بالهلاك إكراما لنبيها فلم تحصل الإجابة بعين ماطلبوا رحمة بهم وإكراما لنبيهم (قوله ولا يزال الذين كفروا) إخبار من الله لنبيه بالنصر المرتب على صبره وقوله نصيبهم خبر يزال (قوله بصنعمهم) أشار بذلك إلى أن ماصدريه تسبك مع مابعدا بمصدر والياء مسببية أى بسبب صنعمهم (قوله قارعة) التنوين للتكثير إشارة إلى أنها ليست مخصوصة بشئ معين بل هي عامة في كل ما يهلكهم (قوله تفرعهم) أى تهلكهم (قوله أو تحلّ قريبا) معطوف على قارعة ، والمعنى نصيبهم بما صنعوا قارعة أو حلولك قريبا من دارهم والمطف يقتضى المغيرة فالمراد بالقارعة غير حلوله وإن كان من أعظم التوارع وهذا تسلية له صلى الله عليه وسلم ، والمعنى اصبر فانك منصور ومؤيد وهم مخذولون فان الدواهي مسلطة عليهم (قوله قريبا) أى مكانا قريبا وهو الحديبية (قوله بالنصر عليهم) أى بفتح مكة (قوله وقد حلّ بالحديبية) أى مرتين الأولى سنة ست حين أراد العمرة وبث عثمان (٢٥٦) وقد صدوا النبي صلى الله عليه وسلم والؤمنين عن البيت فصالح الكفار

(لَوْ يَشَاءُ اللَّهُ لَهْدَى النَّاسَ جَمِيعًا) إِلَى الْإِيمَانِ مِنْ غَيْرِ آيَةٍ (وَلَا يَزَالُ الَّذِينَ كَفَرُوا) مِنْ أَهْلِ مَكَّةَ (تُصِيبُهُمْ بِمَا صَنَعُوا) بِصَنَعِهِمْ أَيْ كُفْرِهِمْ (قَارِعَةً) دَاهِيَةٌ تَفْرَعُهُمْ بِصُنُوفِ الْبَلَاءِ مِنَ الْقَتْلِ وَالْأَسْرِ وَالْحَرْبِ وَالْجُدْبِ (أَوْ تَحُلُّ) يَأْمَحِدُ بِجَيْشِكَ (قَرِيبًا مِنْ دَارِهِمْ) مَكَّةَ (عَتَقَى) يَأْتِي (وَعَدُ اللَّهِ) بِالنَّصْرِ عَلَيْهِمْ (إِنَّ اللَّهَ لَا يُخْلِفُ الْمِيعَادَ) وَقَدْ حَلَّ بِالْحَدِيبَةِ حَتَّى أَتَى فَتَحَ مَكَّةَ (وَلَقَدْ أَسْتَهْزَيْ بِرُسُلٍ مِنْ قَبْلِكَ) كَمَا اسْتَهْزَى بِكَ وَهَذَا تَسْلِيَةٌ لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ (فَأَمَلَيْتُ) أَمَلْتُ (لِلَّذِينَ كَفَرُوا ثُمَّ أَخَذْتُهُمْ) بِالْعُقُوبَةِ (مَكِيفَ كَانَ عَذَابِي) أَيْ هُوَ وَاقِعٌ مَوْقِعُهُ فَكَذَلِكَ أَفْعَلُ بِنِ اسْتَهْزَاءِ بِكَ (أَفَنْ هُوَ قَائِمٌ) رَقِيبٌ (عَلَى كُلِّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ) عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ وَشَرٍّ وَهُوَ اللَّهُ كَمَنْ لَيْسَ كَذَلِكَ مِنَ الْأَصْنَامِ ؟ لَا . دَلَّ عَلَى هَذَا (وَجَعَلُوا) اللَّهُ شُرَكَاءَ قُلُوبِهِمْ (لَهُ مِنْ هَمْ ؟) (أَمْ) بَلْ أَمْ (تَنْبِئُونَهُ) تَخْبِرُونَ اللَّهَ (بِمَا) أَيْ بِشَرِّكَ (لَا يَنْفَعُ) (فِي الْأَرْضِ) اسْتِفْهَامُ إِنْكَارِ أَيْ لَا شَرِيكَ لَهُ إِذْ لَوْ كَانَ لَعَلَهُ ، تَعَالَى عَنْ ذَلِكَ (أَمْ) بَلْ تَسْمُونَهُمْ شُرَكَاءَ (بِظَاهِرٍ مِنَ الْقَوْلِ) بَظَنٍ بَاطِلٍ لَا حَقِيقَةَ لَهُ فِي الْبَاطِنِ .

النبي على أن يمكنه من الدخول في السنة السابعة فدخلها واعتمر ، والثانية سنة ثمان حين أراد فتح مكة فانه حل بها هو وجيشه وأمرهم أن يفرقوا ويوقد كل شخص نارا على حدة لإرهاب العدو في صبيحتها حصل الفتح العظيم ودخلوا مكة (قوله فأملت للذين كفروا) هذا تنزل من الله سبحانه وتعالى حيث عامل عباده معاملة ملك عدل في

رعيته حيث أمرهم بطاعته المرة بعد المرة وأغدق عليهم النعم وكلما عصوه سترهم وأمدّهم بالعطايا فلما تكرّر منهم العصيان وعدم الخوف أخذهم بالعقاب فهل هذا ظلم منه أو عدل وجواب الاستفهام أنه عدل ولو كان صادرا من سلطان في رعيته فكيف من الخالق الذي يستحيل عليه الظلم عقلا (قوله فكذلك أفعل بن استهزأ بك) أى لأعلى الموم إكراما لنبيه صلى الله عليه وسلم (قوله أفن هو قائم) الهمة داخلة على محذوف والفاء عاطفة على ذلك المحذوف والتقدير أهميتهم وسؤيتهم بين الله وبين خلقه فن هو قائم الخ ، والمعنى أفن كان حافظا للنفوس ورزقها وعالما بها كمن ليس بقائم بل هو عاجز عن القيام بنفسه فضلا عن غيره (قوله لا) هذا هو جواب الاستفهام (قوله دل على هذا) أى على الجواب المحذوف وهذا نظير قوله تعالى : أفن خلق الله صدره للإسلام أى كمن قسا قلبه يدل عليه قوله تعالى : فويل للقاسية قلوبهم ، ونظير قوله تعالى : أفن خلق كمن لا يخلق ، ولكنه صرح فيها بالمقابل (قوله قل صموهم) أى صفوهم وانظروا هل بتلك الأوصاف تستحق العبادة (قوله من هم) أى يبنوا حقيقتهم من أى جنس ومن أى نوع (قوله أم تنبئونه الخ) أم منقطعة فقد أفسرها ببل والهمة ، والمعنى تخبرون الله بشريك لا يعلمه في الأرض لعدم وجوده إذ لو وجد لعلمه وخص الأرض لكون آلهتهم التي جعلوها شركاء كاثنين فيها (قوله أم بظاهري) أم هنا للاضرب الباطلي ولقد أفسرها ببل فقط ، والمعنى أن تسميتهم شركاء ظن بطل فاسد لا يعتبر وإنما هو اسم من غير مسمى

(قوله بل زين للذين كفروا) إضراب عن محاجتهم كأنه قال لا تلتفت لهم ولا تنظر بهم فانهم لا فائدة فيهم لأنهم زين لهم ما هم عليه من السكر والكفر (قوله وصتوا) ضم الصاد وفتحها قرءان سبعين ، وللعنى منعوا عن طريق الهدى أو منعوا الناس عنه . فائدة — قال الطيبي : في هذه الآية احتجاج بليغ مبنى على فنون من علم البيان . أولها : أفن هو قائم على كل نفس بما كسبت كن ليس كذلك احتجاج عليهم وتوبيخ لهم على القياس الفاسد لفقد الجهة الجامعة لهما . ثانيها : وجعلوا لله شركاء من وضع الظاهر موضع الضمير للتنبيه على أنهم جعلوا شركاء لمن هو فرد واحد لا يشركه أحد في اسمه . ثالثها قوله : قل موم أي عينوا أسماءهم فقولوا فلان وفلان فهو إنكار لوجودها على وجه برهاني كما تقول ، إن كان الذي تدعيه موجودا فسمه لأن المراد بالاسم العلم . رابعها قوله : أم تنبئونه بما لا يعلم احتجاج من باب نفي الشيء بنفي لارمه وهو العارم وهو كناية . خامسها قوله : أم بظاهر من القول احتجاج من باب الاستدراج والهمزة لتقرير رابعهم على التفكير ، لعنى أقولون بأفواهكم من غير رؤية فتفكروا فيه لتقفوا على بطلانه . سادسها التدرج في كل من الاضرابات على ألطف وجه حيث كانت الآية مشتملة على هذه الأساليب البديعة مع اختصارها كان الاحتجاج المذكور مائدا على نفسه بالاهجاز وأنه ليس من كلام البشر اه (قوله وما لهم) خبر مقدم وواق مبتدأ مؤخر ومن الله متعلق به أي ليس لهم مانع من (٢٦٧) عذاب الله إذا جاءهم (قوله مثل الجنة) مبتدأ والى صفته ووعد

المتقون صلة الموصول والخبر محذوف والتقدير سكان فيها نقص عليك كما قال المفسر (قوله تجري من تحتها أي من تحت قصورها وغرفها (قوله الأنهار) فسر في آية أخرى في قوله تعالى : مثل الجنة التي وعد المتقون فيها أنهار كل شيء يؤكل يتجدد

(بَلْ زَيْنَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مَكْرُهُمْ) كفرهم (وَصَدُّوا عَنِ السَّبِيلِ) طريق الهدى (وَمَنْ يُضِلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ . لَهُمْ عَذَابٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا) بالقتل والأسر (وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَشَقُّ) أشد منه (وَمَا لَهُمْ مِنْ اللَّهِ) أي من عذابه (مِنْ وَاقٍ) مانع (مَثَلُ) صفة (الجنة التي وعد المتقون) مبتدأ خبره محذوف أي فيما نقص عليكم (تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ أَكُلُهَا) ما يؤكل فيها (دَائِمٌ) لا يفتى (وظِلَّالها) دائم لا تنسخه شمس لعدسها فيها (تلك) أي الجنة (عُقْبَى) عاقبة (الَّذِينَ اتَّقَوْا) الشرك (وَعُقْبَى الْكَافِرِينَ النَّارُ . وَالَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ) كعبد الله بن سلام وغيره من مؤمنى اليهود (يَفْرَحُونَ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ) لموافقته ما عندهم (وَمِنَ الْأَخْرَابِ) الذين تحزبوا عليك بالمعاداة من المشركين واليهود (مَنْ يُنْكِرُ بَعْضَهُ) كذكر الرحمن وما عدا القصص (قُلْ إِنَّمَا أُمِرْتُ) فيما أنزل إلى (أَنْ) أي بأن (أَعْبُدُ اللَّهَ وَلَا أُشْرِكُ بِهِ إِلَهًا أَدْعُوا إِلَيْهِ مَآبٍ) مرجى (وَكَذَلِكَ) الإيزال (أُنْزِلْنَا) أي القرآن

غيره فلا تنقطع أنواع ما كولاتها فليست كثمار الدنيا تنقطع في بعض الأحيان (قوله وظللها دائم) الراد بالظل فيها عدم الشمس فلا ينافي أنها نور ونورها حاصل من نور العرش لأنه سقفها ومع ذلك فانوار أهلها تنقلب على ضوء العرش (قوله عقبي الذين اتقوا) أي ما لهم ومنتهام (قوله الذين اتقوا الشرك) تقدم أن هذا أدنى مراتب التقوى (قوله وعقبى الكافرين النار) أي ما لهم ومنتهامهم (قوله والذين آتيناهم الكتاب) أي التوراة والإنجيل فال في الكتاب للجنس (قوله من مؤمنى اليهود) أي ومؤمنى النصراني كأهل نجران والحبشة واليمن فانهم كانوا إذا سمعوا ما أنزل إلى الرسول فاضت أهيئهم دموعا كما تقدم في السائدة (قوله لموافقته ما عندهم) أي في التوراة والإنجيل (قوله من ينكر بعضه) أي فكانوا إذا سمعوا شيئا يوافق هواهم سلموه وأقرؤا به وإذا خالف هواهم أنكروه فمثل القصص لا ينكرونها ومثل الدعاء إلى التوحيد ينكرونه (قوله كذا الرحمن) أي بالنسبة إلى مشركى العرب ، وذلك لأن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما كتب لهم كتاب الصلح يوم الحديبية قال فيه بسم الله الرحمن قالوا وما نعرف الرحمن إلا الرحمن البهامة ، يعنون مسيلة الكذاب لقول بعضهم مادحاه :

سميت بالهبد يا ابن الأكرمين أما وأنت غيث الورى لازلت رحمانا وقد هجاء بعض الصحابة بقوله : سميت بالحبث يا ابن الأخشين أما وأنت شر الورى لازلت شيطانا (قوله أعبد الله) أي أوحده (قوله إليه أدهوا) أي [٣٣ - صاوى - ثاني] إلى عبادته وشريعته (قوله مرجى) أي في الآخرة (قوله وكذلك) أي مثل إزال الكتب السابقة

(قوله حكما عربيا) حالان من الضمير في أنزلناه والضمي أنزلناه حاكما بين الناس بينة العرب وألشد الحكم له لأنه ترحان عن الله فطاعته طاعة الله (قوله فيما يدعوكم إليه من ملتهم) أى كقولهم له اعبد آلهتنا سنة ونعبد الملك سنة وكالصلاة إلى بيت المقدس بعد ما حولت عنه (قوله فرضا) أى على سبيل الفرض والتقدير والقصود تخفيف من يجوز عليه اتباع الهوى لأن الصوم إذا حولت بمثل ذلك كان المقصود غيره (قوله ولا واثق) أصله واثق استقلت الكسرة على إتياء حذف فالتقى ما كنان حذف إتياء لالتقاءهما (قوله لما عبروه بكثرة النساء) أى حيث قالوا لو كان مرسلنا حقا لكان مستغلا بالزهد وترك الدنيا والنساء فرد الله تعالى عليهم مقاتلهم بقوله ولقد أرسلنا الخ فقد كان لسلبان ثلاثمائة امرأة حرة وسبعمائة ضرية وكان لأبيه داود مائة امرأة ومع ذلك فلم يحدح في نبوتها فكيف يجعلون ذلك قادحا في نبوتك. واعلم أن القوم كانوا يذكرون أنواعا من الشبهات في إبطال النبوة . فالشبهة الأولى قولهم ما لهذا الرسول يأكل الطعام ويمشى في الأسواق وسيأتي ذكرها في الفرقان الثانية قولهم رسول الله إلى الخلق لا بد وأن يكون من جنس الملائكة كما قالوا لولا أنزل عليه ملك وقالوا لو ما أتينا بالملائكة وستأتي أيضا . الثالثة قولهم لو كان رسولا من عند الله لما اشتغل بالنساء . فأجاب الله بقوله ولقد أرسلنا رسلا من قبلك الآية . الرابعة قولهم لو كان رسولا من عند الله لكان أى شئ طلبناه من المعجزات أتى به فأجاب تعالى بقوله وما كان لرسول أن يأتي بآية إلا بإذن الله الآية . الخامسة قولهم لو كان رسولا لحصل ما أوعدها به من نزول العذاب فأجاب الله تعالى بقوله لكل أجل كتاب أى لكل حادث وقت معين (٢٥٨)

(حُكْمًا عَرَبِيًّا) بلفظة العرب تحكم به بين الناس (وَلَسَوْا تَبَيَّنَتْ أَهْوَاءُهُمْ) أى الكفار فيما يدعوكم إليه من ملتهم فرضا (بَعْدَ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ) بالتوحيد (مَالِكٌ مِنْ اللَّهِ مِنْ) زائدة (وَلِيٍّ) ناصر (وَلَا وَاقٍ) مانع من عذابه . ونزل لما عبروه بكثرة النساء (وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِنْ قَبْلِكَ وَجَعَلْنَا لَهُمْ أَزْوَاجًا وَذُرِّيَّةً) أولادا وأنت مثلهم (وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ) منهم (أَنْ يَأْتِيَ بِآيَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ) لأنهم عبيد مربوبون (لِكُلِّ أَجَلٍ) مدة (كِتَابٍ) مكتوب فيه تحديده (يَمْحُوا اللَّهُ) منه (مَا يَشَاءُ وَيُثَبِّتُ) بالتخفيف والتشديد فيه ما يشاء من الأحكام وغيرها (وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ) أصله الذى لا يتغير منه شئ . وهو ما كتبه في الأزل (وَأَمَّا) فيه إدغام نون إن الشرطية في ما للزينة (زُرِينُكَ بَعْضَ الَّذِي نَعْدُهُمْ) به من العذاب في حياتك وجواب الشرط مخوف أى فذاك (أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ) قبل تعذيبهم (فَأَمَّا عَلَيْكَ الْبَلَاءُ) لا عليك إلا التبليغ (وَعَلَيْنَا الْحِسَابُ) إذا صاروا إلينا

لا يتأخر عنه ولا يتقدم عليه السادسة قولهم لو كان صادقا مانسوخ الأحكام التى هى ثابتة في التوراة والانجيل ومانسوخ بعض الأحكام التى جاء بها فأجاب الله تعالى عنه بقوله - يحو الله ما يشاء ويثبت - (قوله وذرية) أى وقد كان لرسول الله سبعة أولاد ثلاثة ذكور وأربع إناث وترتيبهم في الولادة هكذا القاسم

فزيب فرقية ففاطمة فأما كلشوم فعبده الله فابراهيم وكلهم من خديجة لإبراهيم فمن مارية القبطية وكلهم فنجازيهم ماتوا في حياته لإفاطمة ثمات بعده بستة أشهر (قوله وما كان لرسول الخ) أى لم يجعل الله لرسول الإنان بآية مما اقترحه قومه بالإبرادته تعالى (قوله مربوبون) أى مقهورون مغلوبون (قوله لكل أجل كتاب) رد لاستعجالهم العذاب فانه كان يخوفهم بذلك فاستعجلوه عنادا (قوله مكتوب فيه) أى في ذلك الكتاب وهو اللوح المحفوظ (قوله بالتخفيف والتشديد) أى فهما قرأتان سبعيتان (قوله وهو ما كتبه في الأزل) أى قدره بمعنى تعالى به علمه وإرادته وما مشى عليه . أنسر من أن الصحف واللوح المحفوظ يقع فيها التغير والتبديل والمراد بأم الكتاب علم الله المتعلق بالآشياء أزلا هو أحد تفسيرين . إن قلت يرد على هذا ما ورد أن الله لما خلق اللوح والقلم وأمره بكتابة ما كان وما يكون وهو كان قال رفعت الأقلام وجفت الصحف . أجيب بأن المراد رفعت الأقلام عما هو مطابق لعلم الله والتفسير الآخر أن الحور والائبات يقعان في صحف الملائكة فقط . والمراد بقوله وعنده أم الكتاب اللوح المحفوظ وهو لا يقبل التغير ولا التبديل . والحاصل أن ما في علم الله لا يقبل التغير جزما وما في الصحف يقبل التغير جزما والخلاف في اللوح المحفوظ والآية محتملة والله أعلم بحقيقة الحال (قوله وإما ترينك) إن شرطية مدغمة في ما الزائدة كما قال المفسر وترينك فعل الشرط والفاعل مستتر تقديره نحن والكاف مفعول أول . وبعض الذى مفعول ثان والمفعول الثالث محذوف تقديره المفسر بقوله في حياتك (قوله أى فذاك) مبتدأ أخبره محذوف تقديره شاف صدرك من أصدائك (قوله أو توفينك) معطوف على ترينك فهو شرط أيضا وجوابه محذوف والتعظيم فلازم عليك وقوله قائما عليك

البلاغ دليل للحدوف (قوله فنجازيهم) أي على أعمالهم خيرها وشرها وقد جمع الخ تنبيه بين تعذيبهم على يده في الدنيا ومجازاة الله لهم في الآخرة (قوله أولم يروا) المدة داخلة على محذوف والواو عاطفة على ذلك المحذوف والتقدير أينسكرون ما وعدناهم به من العذاب ولم يروا الخ (قوله نقصد أرضهم) أي أرض أهل مكة فالمقصود نصر النبي بزوال نعمة الكفار وملكه إياهم قال تعالى - وأورثكم أرضهم وديارهم وأموالهم - الآية فالمراد بنقص أطراف الأرض ملك كبرائها وخذلانهم وما ذكره المفسر هو أحد قولين والآخر أن المراد بالأرض جميعها لا خصوص أرض الكفار وبنقص أطرافها موت العلماء والأشراف والكبراء والصالحين وحينئذ فوجه مناسبة هذا لما قبله كأن الله يقول ألم ينظروا إلى التغيرات الحاصلة في الدنيا من الخراب بعد العمارة والموت بعد الحياة والتل بعد العز فإذا كان هذا مشاهدا لهم فما المانع من أن الله يصير الكفار أذلاء بعد عزم ومقهورين بعد قدرتهم (قوله لا معقب لحكمه) أي لا مغير ولا ناقض له (قوله وهو سريع الحساب) أي فيحاسبهم في زمن يسير (٢٥٩) (قوله وقد مكر الذين من قبلهم) هذا نسلية له صلى الله

عليه وسلم (قوله فله المكر جميعا) أي لأنه الخالق لهم العالم بأحوالهم فهو يوصل إليهم العذاب من جهة لا يعلمون بها (قوله فيعد لهما) أي يهيئ ويحضر (قوله وفي قراءة) أي وهي سبعة أيضا (قوله قل كفى بالله شهيدا) أي لأنه الخالق للعجزات على يدي (قوله ومن عنده علم الكتاب) معطوف على لفظ الجلالة. والمعنى أن الله ومن عنده علم الكتاب فيهم الكفاية في الشهادة يبين وينصحكم وأل في الكتاب الجنس فيشمل التوراة والإنجيل والفرقان فقهله من مؤمنى اليهود

فنجازيهم (أولم يروا) أي أهل مكة (أنا نأتي الأرض) نقصد أرضهم (ننقصها من أطرافها) بالفتح على النبي صلى الله عليه وسلم (والله يحكمكم) في خلقه بما يشاء (لا معقب) لا راد (لحكمه) وهو سريع الحساب. وقد مكر الذين من قبلهم من الأمم بأنبيائهم كما مكروا بك (فله المكر جميعا) وليس مكرم ككفره لأنه تعالى (يعلم ما تكسب كل نفس) فيعد لها جزاءها وهذا هو المكر كله لأنه يأتيهم به من حيث لا يشعرون (وسيعلم الكافر) المراد به الجنس وفي قراءة الكفار (لن عقيب الدار) أي العاقبة المحمودة في الدار الآخرة لهم أم للنبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه (ويقول الذين كفروا) لك (لست مرسلًا) قل لهم (كفى بالله شهيدا بيني وبينكم) على صدق (ومن عنده علم الكتاب) من مؤمنى اليهود والنصارى.

(سورة إبراهيم)

مكية إلا ألم تر إلى الذين بدلوا الآيتين : إحدى أو اثنتان

أو أربع أو خمس وخمسون آية

(بسم الله الرحمن الرحيم) الله أعلم بمراده بذلك ، هذا القرآن (كتاب أنزلناه إليك) يا محمد (لتخرج الناصر من الظلمات) الكفر (إلى النور) الإيمان (بإذن) بأمر (رؤسهم) ويبدل من إلى النور (إلى صراط) طريق (العزيز) الغالب (الحميد) المحمود (الله) بالجر

والنصارى أى أو مطلقا فهو نظير قوله تعالى - يا أيها النبي حسبك الله ومن اتبعك من المؤمنين - .

[سورة إبراهيم عليه السلام] سميت بذلك لذكر قصته فيها . إن قلت إن قصة إبراهيم قد ذكرت في غير هذه السورة كالأنباء والبقرة . أجيب بأن هذه التسمية لا تقتضى اطراد التسمية بل التسمية أمر توقيفى (قوله الآيتين) أى إلى قوله تعالى - قل تمتعوا فان مصيركم إلى النار - (قوله إحدى الخ) أى فى آياتها أربعة أقوال (قوله هذا القرآن) قدره إشارة إلى أن قوله كتاب خبر المحذوف (قوله أنزلناه) أى لفظا ومعنى (قوله لتخرج الناس) هذا هو حكمة الانزال (قوله الكفر) عبر عنه بالظلمات جمعا لتعدد طرقه بخلاف الإيمان فهو متحد لا تعدد فيه وحكمة التعبير عن الكفر بالظلمات أنه يوصل لدار الظلمات وهى النار وعن الإيمان بالنور لأنه يوصل إلى دار النور وهى الجنة (قوله بإذن ربهم) فسرته بالأمر إشارة إلى أن المعنى لتأمرهم بالخروج من الظلمات إلى النور (قوله ويبدل من إلى النور) أى بإعادة الجار وهو بدل كل من كل (قوله طريق العزيز) أى وهو الاسلام وسمى بذلك لأنه للوصول لدار السعادة .

(قوله بدل أو عطف بيان) أى من العزيز وهذا على القاعدة من أن نعت العرفه إذا تقدم عليها يعرب بحسب العوامل وتعرّب ه بدلا منه أو عطف بيان وحينئذ فالأصل إلى صراط الله العزيز الحميد (قوله والرفع مبتدأ) أى فهم اقراءان سبعين (قوله ملكا وخلقاً وعبيداً) أى فلا شريك له فى شئ من ذلك (قوله وويل) قيل معناه دمار وهلاك للكافرين ، وقيل واد فى جهنم لو وضعت فيه جبال الدنيا لدايت من حرّه وهو مبتدأ وسوغ الابتداء ، فصد الدعاء (قوله نعت) أى للكافرين وفيه الفصل بين النعت والتمنوت بأجنبي وهو قوله من عذاب شديد فالأوضح أن يكون مبتدأ جره أولئك فى ضلال بعيد (قوله يستعجبون الحياة الدنيا) أى يحبونها ويألفونها زيادة على الآخرة ، والمعنى يقدمون الحياة الدنيا على الآخرة (قوله ويصدّون عن سبيل الله) أى يمنعون الناس عن الدين الحق (قوله ويبغونها عوجاً) أى يطلعون العدول والانحراف عنها ، والمعنى أنهم يضلون غيرهم ويضلون فى أنفسهم (قوله فى ضلال بعيد) أى كثر مبعدهم عن الرحمة والحج (قوله وما أرسلنا من رسول) أى محمداً أو غيره . إن قلنا إن كان المراد بقومه الذين نشأ فيهم فظاهر وإن كان المراد الذين أرسل لهم فرسول الله أرسل لكافة الخلق مع أنه لم يظهر منه إلا اللسان العربى وهو لسان (٣٦٠) بعض قومه أجيب بأن الله علمه جميع اللغات فكان يخاطب كل قوم بلغتهم

بدل أو عطف بيان وما بعده صفة ، والرفع مبتدأ خبره (الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ) ملكا وخلقاً وعبيداً (وَوَيْلٌ لِلْكَافِرِينَ مِنْ عَذَابٍ شَدِيدٍ . الَّذِينَ) نعت (يَسْتَعْجِبُونَ) يختارون (الْحَيَاةَ الدُّنْيَا عَلَى الْآخِرَةِ وَيَصُدُّونَ) الناس (عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ) دين الاسلام (وَيَبْغُونَهَا) أى السبيل (عوجاً) معوجة (أُولَئِكَ فِي ضَلَالٍ بَعِيدٍ) عن الحق (وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا بِلِسَانٍ) بلغة (قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ) ليفهمهم ما أتى به (فَيُضِلَّ اللَّهُ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ) فى ملكه (الْحَكِيمُ) فى صنعه (وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَى بِآيَاتِنَا) التسع (وَقُلْنَا لَهُ (أَنْ أَخْرِجْ قَوْمَكَ) بنى إسرائيل (مِنَ الظُّلُمَاتِ) الكفر (إِلَى النُّورِ) الإيمان (وَذَكَرْهُمْ بِأَيَّامِ اللَّهِ) بنعمه (إِنَّ فِي ذَلِكَ) التذكير (لَآيَاتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ) على الطاعة (شَكُورٍ) للنعم (وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ أَذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ أَنْجَاكُمْ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ وَيُذَبِّحُونَ أَبْنَاءَكُمْ) المولودين (وَيَسْتَحْيُونَ) يستبقون (نِسَاءَكُمْ) لقول بعض الكهنة إن مولودا يولد فى بنى إسرائيل يكون سبب ذهاب ملك فرعون (وَفِي ذَلِكَكُمْ) الانجاء أو العذاب (بَلَاءٌ) إتمام أو ابتلاء (مِنْ رَبِّكُمْ عَظِيمٌ . وَإِذْ تَأَذَّنَ) أعلم (رَبُّكُمْ لَنْ شَكَرْتُمْ) نعمتى ،

وإن لم يثبت أنه تكلم باللغة التركى لأنه لم يتفق أنه خاطب أحداً من أهلها ولو خاطبه لكانه بها (قوله فيضّل الله من يشاء) استئناف مفصل لقوله ليبين لهم (قوله وهو العزيز) أى الغالب على أمره وهو كالعلة لقوله فيضّل الله من يشاء الخ (قوله الحكيم) أى الذى يضع الشئ فى محله (قوله ولقد أرسلنا موسى) تفصيل لما أجمل فى قوله : وما أرسلنا من رسول الآية (قوله القس) تقدم منها ثمانية

بالتوحيد

فى الأعراف والتسعة فى يونس (قوله وقُلْنَا لَهُ) لاجابة لتقديره بل المناسب أن يفسر

أن بأى التفسيرية لأن ضابطها موجود وهو تقدم جملة فيها معنى القول دون حروفه وهو أرسلنا ويصح جعلها مصدرية : أى باخراج قومك وهذه الباء للتعدي وفى آياتنا للعال (قوله بنعمه) أى فالمراد بالأيام النعم وعبر عنها بالأيام لحصولها فيها (قوله لكل صبار) أى كثير الصبر ، وقوله شكور : أى كثير الشكر وخصوا بالذكر لأنهم المنتفعون بها (قوله وإذ ذكر) خطاب للنبي صلى الله عليه وسلم ، والمعنى إذ ذكر لقومك ما وقع لموسى وقومه لهم يستعبرون (قوله يسومونكم) أى يذيقونكم (قوله سوء العذاب) أى العذاب السيئ وهو الشديد (قوله ويذبحون أبناءكم) عطفه بالواو هنا إشارة إلى أنه غير العذاب السيئ المذكور وأما فى البقرة فهو تفسير لسوء العذاب فصح التنافير بهذا الاعتبار وإن كانت القصة واحدة (قوله ويستحيون نساءكم) أى للخدمة فكانوا يستخدمونهن ويمنعهن عن أزواجهن (قوله لقول بعض الكهنة) جمع كاهن وهو الخبير عن الغيبات المستقبلية وأما العراف فهو الخبير عن الأمور الماضية (قوله وفى ذلكم بلاء من ربكم) أى فآله سبحانه وتعالى يختبر عباده بالخبر والشكر قال تعالى - ونبلوكم بالشر والخير فتنة - لأن النعمة أو البلية إذا أصابت الشخص فهو معرض إما رضا الله إن شكر وصبر ، أو لنضبه إن جزع وكفر (قوله وإذ تأذن ربكم) من جملة كلام موسى لقومه كأنه قيل ولذا كروا نعمة الله عليكم وإذ كروا حين

تَأْتِي رُبَّمَا (قوله بالتوحيد والطاعة) أَيْ بَأَن وَحْدَنُونِي وَدَعْنُونِي طَاعَتِي (قوله لَأَزِيدَنَّكُمْ) أَيْ مِنْ خَيْرِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ
فِيحْصِلُ لَكُمْ لَتْنٌ وَالرَّضَا فَتُظْفَرُونَ بِالسَّعَادَتَيْنِ (قوله وَلَئِنْ كَفَرْتُمْ) لَمْ يَصْرَحْ بِالْجَوَابِ فِي جَانِبِ الْوَعِيدِ وَصَرَّحَ بِهِ فِي جَانِبِ
الْوَعْدِ إِشَارَةً إِلَى كَرَمِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى وَأَنَّ رَحْمَتَهُ سَبَقَتْ غَضَبَهُ ، وَنَظِيرُ ذَلِكَ قَوْلُهُ تَعَالَى - يَبْدُكَ الْخَيْرُ - وَلَمْ يَقُلْ وَيَبْدُكَ الشَّرُّ
(قوله لَأُعَذِّبَنَّكُمْ) هَذَا هُوَ جَوَابُ الْقَسَمِ وَحَذَفَ جَوَابُ الشَّرْطِ لِلْقَاعِدَةِ أَنَّهُ عِنْدَاجْتِمَاعِهِمَا يَحْذَفُ جَوَابُ التَّأَخُّرِ (قوله وَقَالَ
مُوسَى) أَيْ بَعْدَ أَنْ أَيْسَى مِنْ إِيْمَانِهِمْ (قوله فَإِنَّ اللَّهَ لَنَفَى) أَيْ عَنْ شُكْرِكُمْ وَإِيْمَانِكُمْ (قوله حميد) أَيْ مُسْتَحَقُّ الْحَمْدِ ،
وَالْعَنَى أَنَّ كُفْرَكُمْ بِاللَّهِ أَتَمَّ وَأَهْلُ الْأَرْضِ جَمِيعًا لَا يَنْقُصُ مِنْ مَلِكِهِ شَيْئًا وَإِيْمَانَكُمْ لَا يَزِيدُ فِي مَلِكِهِ شَيْئًا بَلْ عَلَى حَذِّ سِوَاهُ وَإِنَّمَا
ذَلِكَ رَاجِعٌ إِلَى أَنْفُسِكُمْ وَهُوَ غَنَى عَنْكُمْ (قوله أَلَمْ يَأْتِكُمْ) مِنْ كَلَامِ مُوسَى أَيْضًا أَوْ مِنْ كَلَامِ اللَّهِ (قوله وَالَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ)
إِمَامِبِدْأَخْبَرَهُ قَوْلُهُ لَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا اللَّهُ أَوْ مَعْطُوفٌ عَلَى قَوْلِهِ قَوْمُ نُوحٍ ، وَقَوْلُهُ لَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا اللَّهُ اعْتِرَاضٌ (قوله جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ) مُسْتَأْنَفٌ
وَاقِعٌ فِي جَوَابِ سُؤَالٍ مُقَدَّرٍ تَقْدِيرُهُ مَا قَسَمْتُمْ وَمَا شَأْنُهُمْ (قوله فَرَدُّوا أَيْدِيَهُمْ فِي أَفْوَاهِهِمْ) أَيْ لِكُرَاهَتِهِمْ ذَلِكَ فَإِنَّ شَأْنَ الْإِنْسَانِ إِذَا كَرِهَ
شَيْئًا وَاعْتَاطَ مِنْهُ وَلَمْ يَقْدِرْ عَلَى دَفْعِهِ بَعْضٌ عَلَى يَدَيْهِ (قوله لِيَعْضُوا عَلَيْهَا) بَفَتْحٍ (٢٦١) الْعَيْنُ وَضَمًّا (قوله عَلَى زَعْمِكُمْ)

أَيْ وَالْأَفْلَمْ يَعْتَرِفُوا بِرِسَالَةِ
رُسُلِهِمْ (قوله وَإِنَّا لَنَشْكُ
الْحُ) أَيْ وَالشُّكَّ كُفْرًا
فَلَا يَنَاقِي قَوْلَهُمْ : إِنَّا كُفَرْنَا
بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ (قوله فِي
الرَّيْبَةِ) أَيْ وَهِيَ عَدَمُ
الطَّمَعْنَانِ النَّفْسِ إِلَى الشَّيْءِ
(قوله قَالَتْ رُسُلُهُمْ) أَيْ
جَوَابًا لِقَوْلِ الْأُمِّ إِنَّا كُفَرْنَا
بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ (قوله أَفَى اللَّهِ
شُكُّ) الْهَمْزَةُ لِلِاسْتِفْهَامِ
وَالْجَارُ وَالْمَجْرُورُ مُتَعَلِّقٌ
بِمَحْذُوفٍ تَقْدِيرُهُ أَثْبَتَ ،
وَشُكُّ فَاعِلٌ بِالْجَارِ وَالْمَجْرُورِ
لِاعْتِمَادِهِ عَلَى الْاسْتِفْهَامِ أَوْ
الْجَارِ وَالْمَجْرُورِ خَبَرٌ مُقَدَّمٌ

بِالتَّوْحِيدِ وَالطَّاعَةِ (لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِنْ كَفَرْتُمْ) جَحَدْتُمُ النِّعْمَةَ بِالْكَفْرِ وَالْمَعْصِيَةَ لَأُعَذِّبَنَّكُمْ
دَلَّ عَلَيْهِ (إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ . وَقَالَ مُوسَى) لِقَوْمِهِ (إِنْ تَكْفُرُوا أَنْتُمْ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ
جَمِيعًا فَإِنَّ اللَّهَ لَنَفَى) عَنْ خَلْقِهِ (حَمِيدٌ) مَحْمُودٌ فِي صَنْعِهِ بِهِمْ (أَلَمْ يَأْتِكُمْ) اسْتِفْهَامٌ تَقْرِيرٌ
(نَبَأٌ) خَبَرٌ (الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَعَادٌ) قَوْمُ هُودٍ (وَتَمُودٌ) قَوْمُ صَالِحٍ (وَالَّذِينَ
مِنْ بَعْدِهِمْ لَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا اللَّهُ) لِكُثْرَتِهِمْ (جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ) بِالْحُجُجِ الْوَاضِحَةِ عَلَى
صِدْقِهِمْ (فَرَدُّوا) أَيْ الْأُمُّ (أَيْدِيَهُمْ فِي أَفْوَاهِهِمْ) أَيْ إِلَيْهَا لِيَعْضُوا عَلَيْهَا مِنْ شِدَّةِ الْغَيْظِ
(وَقَالُوا إِنَّا كَفَرْنَا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ) عَلَى زَعْمِكُمْ (وَإِنَّا لَنَفَى شُكُّ) مِمَّا تَدْعُونَنَا إِلَيْهِ مُرِيبٌ
مَوْقِعٌ فِي الرَّيْبَةِ (قَالَتْ رُسُلُهُمْ أَفَى اللَّهِ شُكُّ) اسْتِفْهَامٌ إِنْكَارٌ ، أَيْ لِاشْكُ فِي تَوْحِيدِهِ لِلدَّلَائِلِ
الظَّاهِرَةِ عَلَيْهِ (فَاطِرِ) خَالِقِ (السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يَدْعُوكُمْ) إِلَى طَاعَتِهِ (لِيَغْفِرَ لَكُمْ
مِنْ ذُنُوبِكُمْ) مِنْ زَائِدَةٍ فَإِنَّ الْإِسْلَامَ يَغْفِرُ بِهِ مَا قَبْلَهُ ، أَوْ تَبْعِيضِيَّةٌ لِإِخْرَاجِ حَقُوقِ الْعِبَادِ
(وَيُؤَخِّرَكُمْ) بِبَلَاءِ عَذَابٍ (إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى) أَجَلُ الْمَوْتِ (قَالُوا إِنْ) مَا (أَنْتُمْ إِلَّا بَشَرٌ
مِثْلُنَا تُرِيدُونَ أَنْ تَصُدُّونَا عَمَّا كَانَ يَعْبُدُ آبَاؤُنَا) مِنَ الْأَصْنَامِ (فَأَنقَضُونَا بِسُلْطَانٍ مُبِينٍ)
حُجَّةٌ ظَاهِرَةٌ عَلَى صِدْقِكُمْ (قَالَتْ لَهُمْ رُسُلُهُمْ إِنْ) مَا (نَحْنُ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ) كَمَا قُلْتُمْ ،

وَشُكُّ مُبْتَدَأٌ مُؤَخَّرٌ وَالْأَوَّلَى الْأَوَّلُ لِسَلَامَتِهِ مِنَ الْفَصْلِ بَيْنِ الصِّفَةِ وَهَوَافِظِ الْمَوْصُوفِ وَهَوَافِظِ الْجَلَالَةِ بِأَجْنَبِيٍّ وَهَوَافِظِ الْمُبْتَدَأِ (قوله
لِلدَّلَائِلِ الظَّاهِرَةِ) أَيْ الْعَقْلِيَّةِ وَالنَّقْلِيَّةِ (قوله فَاطِرِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ) هَذَا مِنْ جُمْلَةِ أدَلَّةِ تَوْحِيدِهِ (قوله يَدْعُوكُمْ) الْجُمْلَةُ حَالِيَّةٌ
(قوله لِيَغْفِرَ لَكُمْ) أَيْ لَا يَتَّكِلُ بِطَاعَتِكُمْ بَلْ ثَمَرَةُ امْتِثَالِكُمْ وَطَاعَتِكُمْ عَائِدَةٌ عَلَيْكُمْ (قوله مِنْ زَائِدَةٍ) هَذَا مَبْنِيٌّ عَلَى مَذْهَبِ الْأَخْفَضِ
مِنْ أَنَّهُ تَزَادَ فِي الْإِثْبَاتِ وَهِيَ طَرِيقَةٌ ضَعِيفَةٌ فَلَا يَنْسَبُ تَخْرِيجُ الْقُرْآنِ عَلَيْهَا ، وَقَوْلُهُ أَوْ تَبْعِيضِيَّةٌ فِيهِ أَنَّهُ ظَاهِرٌ فِي السَّلَمِ الْأَصْلِيِّ ،
وَأَمَّا الْكَافِرُ إِذَا أَسْلَمَ فَلَا يَظْهَرُ لِأَنَّ الْإِسْلَامَ يَجِبُ مَا قَبْلَهُ وَلَوْ حَقُوقُ الْعِبَادِ ، وَحَيْثُ ذُكِرَ الْجَوَابُ الْأَتَمُّ أَنْ تَجْعَلَ مِنْ بَعْضٍ بَدَلَ : أَيْ
يَغْفِرُ لَكُمْ بَدَلَ عِقَابِهِ ذُنُوبَكُمْ أَوْ ضَمَّنَ يَغْفِرُ مَعْنَى يَخْلُصُ وَمِنْ عَلَى بَابِهَا لِلتَّعْدِيَةِ ، وَالتَّقْدِيرُ لِيَخْلُصَكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ وَلَعَلَّ هَذَا
الْجَوَابُ هُوَ الْأَقْرَبُ (قوله وَيُؤَخِّرَكُمْ) مَعْطُوفٌ عَلَى يَغْفِرُ ، وَالْعَنَى يَدْعُوكُمْ إِلَى طَاعَتِهِ لِأَمْرَيْنِ غُفْرَانِ ذُنُوبِكُمْ وَتَأْخِيرِ الْعَذَابِ
إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى بِأَن تَعِيشُوا فِي الدُّنْيَا سَالِمِينَ مِنَ الْخِزْيِ كَالْحَسَنِ وَالسَّخِيفِ فَذَا مَتَّعَ عَلَى الْإِيْمَانِ دَخَلْتُمُ الْجَنَّةَ فَفَرَّغْتُمْ بِالسَّعَادَتَيْنِ
(قوله قَالُوا) أَيْ الْأُمُّ جَوَابًا لِمَقَالَةِ الرُّسُلِ (قوله إِلَّا يَشْرُ مِثْلُنَا) أَيْ فَلَا مِزِيَّةَ لَكُمْ عَلَيْنَا فَلَمْ اخْتَصَصْتُمْ بِالنَّبُوَّةِ دُونَنَا (قوله أَنْ
نُصَدِّقُوا) أَنْ مَصْدَرِيَّةً وَتَصَدَّقُوا مَنْصُوبٌ بِأَنَّ وَهَلَامَةً نَصَبَهُ حَذْفُ النُّونِ وَالْوَاوِ فَاعِلٌ وَنَا مَفْعُولُهُ (قوله مِنَ الْأَصْنَامِ) بَيَانٌ لِمَا
(قوله حُجَّةٌ ظَاهِرَةٌ) أَيْ غَيْرُ مَا جَعَلْتُمْ بِهِ (قوله قَالَتْ لَهُمْ رُسُلُهُمْ) أَيْ جَوَابًا لِمَقَالَتِهِمْ .

(قوله ولكن الله يئن على من يشاء) أى قاتنا وإن كنا جنرا مثلكم إلا أن الله فضلنا عليكم بالنبوة وأعطانا المعجزات على مراده فان آمنتم فهو خير لكم وإن كفرتم فهو شر لكم فلا قدرة لنا على إتيان ما نطلبونه لأننا عبيد مقهورون (قوله بأمره) المناسب أن يقول بأمره (قوله فليتوكل المؤمنون) أى يفوضوا أمورهم إليه ويصبروا على ما أصابهم (قوله وما لنا) أى أى شيء ثبت لنا (قوله أى لا مانع لنا من ذلك) أشار بذلك إلى أن الاستغفار إنكارى بمعنى النفي (قوله وقد هدانا سبلنا) أى أرشدنا إلى طريقنا الموصلة للسعادة العظمى (قوله ولنصبرن على ما آذيتونا) أى فلا نبالي بكم ولا بأذيائكم (قوله على أذاكم) أشار بذلك إلى أن ما مصدرية (قوله فليتوكل للتوكلون) أى يدوموا على التوكل (قوله وقال الدين كفروا) أى التعتنون بالتمرد دون (قوله لنخرجكم من أرضنا) أى فلاتخاطبونا بل أريحونا من هذا التعب (قوله لتصبرن) دفع بذلك إيهال إن العود يقتضى أنه سبق لهم التلبس بملتهم مع أن الرسل معصومون من ذلك . فأجاب المفسر بأن المراد بالعود الصبرورة أى لتصبرن داخلين فى ملتنا (قوله فأوحى إليهم) أى إلى (٢٦٢) الرسل بعد هذه المقالات لليأس من إيمانهم (قوله لنهكن الظالمين) أى

نستأصمهم بالهلاك فلا يبقى منهم أحد (قوله ذلك) مبتدأ خبره قوله لمن خاف الخ (قوله أى مقامه بين يدي) أى موقفه عندى يوم القيامة (قوله وخاف وعيد بالعباد) فى هذه الآية إشارة إلى أن الخوف من الله غير الخوف من وعيده لأن العطف يقتضى المخاطبة (قوله واستفتحوا) أى طلب الرسل الفتح من الله لما أبسوا من إيمان قومهم (قوله استنصر الرسل) أى طلبوا من الله النصر (قوله وخاب معطوف على مقدر ، والتقدير فنصروا وخاب

(وَلَكِنَّ اللَّهَ يَمُنُّ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ) بِالْنبُوءَةِ (وَمَا كَانَ) مَا يَبْنَى (لَنَا أَنْ نَأْتِيَكُمْ بِسُلْطَانٍ إِلَّا بِأَمْرِ اللَّهِ) بِأَمْرِهِ لِأَنَّا عَبِيدٌ مَرْبُوبُونَ (وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ) يَتَّقُوا بِهِ (وَمَا لَنَا أَنْ) لَا نَتَوَكَّلَ عَلَى اللَّهِ (أَيُّ لَامَانِعٍ لَنَا مِنْ ذَلِكَ) (وَقَدْ هَدَانَا سُبُلَنَا وَلَنَصْبِرَنَّ عَلَى مَا آذَيْتُمُونَا) عَلَى أَذَاكُمْ (وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُتَوَكِّلُونَ) وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِرُسُلِهِمْ لَنُخْرِجَنَّكُمْ مِنْ أَرْضِنَا أَوْ لَتَعْمَدُنَّ (فِي مَلِيتِنَا) دِينَنَا (فَأَوْحَى إِلَيْهِمْ رَبُّهُمْ لَنُهْلِكَنَّ الظَّالِمِينَ) الْكَافِرِينَ (وَلَنُسَكِّنَنَّكُمْ الْأَرْضَ) أَرْضَهُمْ (مِنْ بَعْدِهِمْ) بَعْدَ هَلَاكِهِمْ (ذَلِكَ) النَّصْرَ وَإِرْثَ الْأَرْضِ (لَمَنْ خَافَ مَقَامِي) أَيُّ مَقَامِهِ بَيْنَ يَدَيَّ (وَخَافَ وَعِيدِ) بِالْعَذَابِ (وَأَسْتَفْتَحُوا) اسْتَنْصَرَ الرُّسُلَ بِاللَّهِ عَلَى قَوْمِهِمْ (وَحَابَ) خَسِرَ (كُلُّ جَبَّارٍ) مُتَكَبِّرٍ عَنِ طَاعَةِ اللَّهِ (عَنِيْدٍ) مَعَانِدٍ لِلْحَقِّ (مِنْ وَرَائِهِ) أَيُّ أَمَامِهِ (جَهَنَّمَ) يَدْخُلُهَا (وَيُسْقَى) فِيهَا (مِنْ مَاءٍ صَدِيدٍ) هُوَ مَا يَسِيلُ مِنْ جَوْفِ أَهْلِ النَّارِ مُخْتَلِطًا بِالْقَيْحِ وَالدَّمِ (يَتَجَرَّعُهُ) يَتَلَمَّهُ مَرَّةً بَعْدَ مَرَّةٍ لِمَرَارَتِهِ (وَلَا يَكَادُ يُسِفُّهُ) يَزِدُّهُ لِقَبْحِهِ وَكَرَاهَتِهِ (وَيَأْتِيهِ الْمَوْتُ) أَيُّ أَسْبَابِهِ الْمُقْتَضِيَةِ لَهُ مِنْ أَنْوَاعِ الْعَذَابِ (مِنْ كُلِّ مَكَانٍ وَمَا هُوَ بِمَيِّتٍ وَمِنْ وَرَائِهِ) بَعْدَ ذَلِكَ الْعَذَابِ (عَذَابٌ غَلِيظٌ) قَوِي مُتَّصِلٌ (مَثَلُ) صِفَةُ (الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ) مُبْتَدَأٌ وَيُبَدَلُ مِنْهُ (أَعْمَالُهُمْ) الصَّالِحَةُ كَصَلَةِ وَصَدَقَةٍ ،

الخ (قوله خسر) أى فى الدنيا والآخرة (قوله متكبر عن طاعة الله) أى متعظم فى نفسه محترقا لما سواه (قوله أى أمامه) أى فالوراء يستعمل فى الأمام والخلف فهو من الأضداد ، وقيل هو اسم لما توارى هنك سواء كان من خلفك أو من أمامك (قوله صديد) بدل أو عطف بيان (قوله هو مايسيل الخ) وقيل هو مايسيل من فروج الزناة يسقاه الكافر (قوله يتجرعه) أى يكلف تجرعه ويقهر عليه (قوله ولا يكاد يسفه) أى لا يقرب من إساغته قال عليه الصلاة والسلام فى قوله تعالى - ويسقى من ماء صديد يتجرعه - قال يقرب إلى فيه فيكرهه فإذا أدنى منه شوى وجهه ووقعت فروة رأسه أى جلدها بشعرها فإذا شربه قطع أمعاءه حتى يخرج من دبره كما قال وسقوا ماء حيا فقطع أمعاءهم وقال - وإن يستغيثوا يغاثوا بماء كالمهل يشوى الوجوه بئس الشراب وساءت مرتفقا - (قوله وما هو بميت) أى فيستريح قال ابن جرير تعلق نفسه عند حنجرتة فلا تخرج من فيه فيموت ولا ترجع إلى مكانها من جوفه فتنفسه الحياة (قوله بعد ذلك العذاب) أشار بذلك إلى أن الضمير فى ورائه عائذ على العذاب وقيل عائذ على كل جبار ، واللعن ويستقبل فى كل وقت عذابا أشد مما هو فيه كالحيات والعقارب والزهرير وغير ذلك أجازنا الله من ذلك (قوله متصل) أى لا ينقطع بل هودائم مستمر (قوله ويبدل منه)

أى من الوصول ، والأصل مثل أعمال الدين غفروا (قوة في عدم الانتفاع بها) أى فهمي ، وإن كانت أعمال بر إلا أنها لاتنفع صاحبها يوم القيامة بسبب كفره لأن كفره أحبطها وأبطالها ، وإنما جزاؤها إن كانت لاتتوقف على الاسلام يكون في الدنيا بتوسيع الرزق والعافية في البدن (قوله اشتدت به الريح) أى حملته وذهبت به (قوله لعدم شرطه) أى وهو الايمان (قوله البعيد) أى الذى لا يرجى زواله (قوله ألم تر) الخطاب لكل من يتأتى منه التأمل والنظر فليس خاصا بالنبي صلى الله عليه وسلم (قوله تنظر) أى تبصر وتتأمل ببصيرتك فتستدل على أن الخالق متصف بالكمالات (قوله استفهام تقرير) أى وللعنى أقر يا مخاطب بذلك واعترف ولا تعاند فإن القادر على خلق السموات لا يعجزه شيء فهو حقيق بالعبادة دون غيره (قوله بالحق) الباء إما للسببية أو للالابسة ، وللعنى خلق السموات والأرض بسبب الحق أو ملتبسا بالحق أى الحكمة الباهرة لاعتبا (قوله متعلق بخاق) أى أو محذوف حال من فاعل خلق (قوله إن يشأ يذهبكم) أى يعدكم فإن القادر لا يصعب عليه شيء قال تعالى - إنا لقادرون على أن نبدل خيرا منهم وما نحن بمسبوقين - (قوله وما ذلك) أى الاذهاب والائتان بشديد على الله قال تعالى - ما خلقكم ولا بشكم إلا كنفس واحدة - (قوله وبرزوا) هذا (٢٦٣) إخبار من الله تعالى عن محاجة الكفار مع بعضهم ومع إبليس يوم القيامة والبروز الظهور والمعنى يظهرون بين الخلائق فلا يغيب لهم شيء من أوصافهم أبدا (قوله خرجوا) أى من القبور للحساب والجزاء (قوله والتعبير الخ) جواب عما يقال إن هذه الأشياء لم تحصل - فأجاب بأن ذلك لتحقق الوقوع أى لأن الله سبحانه وتعالى عالم بما كان وما يكون وما هو كائن فالماضى والمستقبل في علمه على حد سواء (قوله فقال الضعفاء) أى فى الراى (قوله إنا كنا لكم تبعا)

فى عدم الانتفاع بها (كَمَا دِ اشْتَدَّتْ بِه الرِّيحُ فِى يَوْمٍ عَاصِفٍ) شديد هبوب الريح فجعلته هباءً مثورًا لا يقدر عليه والمجورور خبر المبتدأ (لَا يَقْدِرُونَ) أى الكفار (يَمَّا كَسَبُوا) عملوا فى الدنيا (عَلَى شَيْءٍ) أى لا يجدون له ثوابًا لعدم شرطه (ذَلِكَ هُوَ الضَّلَالُ) الهلاك (الْبُعِيدُ) أَلَمْ تَرَ) تنظر يا مخاطب استفهام تقرير (أَنَّ اللَّهَ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ) متعلق بخلق (إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ) أيها الناس (وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ) بدلکم (وَمَا ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ بِعَزِيزٍ) شديد (وَبَرَزُوا) خرجوا أى الخلائق والتعبير فيه وفيما بعده بالماضى لتحقق وقوعه (لَهُ جَمِيعًا) فَقَالَ الضُّعَفَاءُ) الأتباع (لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا) المتبوعين (إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا) جمع تابع (فَهَلْ أَنْتُمْ مُّقْنُونَ) دافسون (عَنَّا مِنْ عَذَابِ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ) من الأولى للتبيين والثانية للتمييز (قَالُوا) أى المتبوعون (لَوْ هَدَانَا اللَّهُ لَهْدَيْنَاكُمْ) لدعوناكم إلى الهدى (سَوَاءٌ عَلَيْنَا أَجْرُ عَنَّا أَمْ صَبْرُنَا مَا لَنَا مِنَ) زائدة (مَحِيصٍ) ملجأ (وَقَالَ الشَّيْطَانُ) إبليس (لَمَّا قُضِيَ الْأَمْرُ) وأدخل أهل الجنة الجنة وأهل النار النار واجتمعوا عليه (إِنَّ اللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعَدَ الْحَقُّ) بالبعث والجزاء فصدقكم (وَوَعَدْتُكُمْ) أنه غير كائن (فَأَخْلَفْتُكُمْ) وَمَا كَانَ لِي عَلَيْكُمْ مِنْ) زائدة (سُلْطَانٍ) قوة وقدرة أقهركم على متابعتى (إِلَّا) لكن ،

أى فى تكذيب الرسل والدخول فى دينكم (قوله من الأولى للتبيين الخ) أى والكلام فيه تقديم وتأخير والتقدير فهل أنتم مغنون عنا بعض الشيء الذى هو عذاب الله (قوله قالوا) أى جوابا لهم واعتذارا عما فعلوا بهم (قوله لو هدانا الله) أى لو وصلنا الله لدار السعادة فى الدنيا بالايمان لهديناكم لكن حصل لنا الضلال فاضلناكم فاحترنا لكم ما لأنفسنا (قوله سواء علينا أجزعنا أم صبرنا) ههنا من كلام جميع الكفار الأتباع والرؤساء ويؤيده ما روى أنهم يقولون تعالوا نجزع فيجزعون خمسمائة عام فلا ينفعهم فيقولون تعالوا نصبر فيصبرون كذلك فلا يفهمهم ثم يقولون سواء علينا الخ ، والجزع القلق وعدم تحمل الشدائد (قوله ملجأ) أى محل هروب نلتجى به (قوله وقال الشيطان الخ) أى حين يوضع له منبر من نار فى النار فيجتمع عليه أهل النار يلومونه فيقول لهم إن الله وعدكم الخ (قوله لما قضى الأمر) أى نفذ قضاؤه باستقرار أهل الجنة فى الجنة وأهل النار فى النار (قوله وعد الحق) أى الوعد الثابت الناجز وليس للراد الوعد بالخبر بل المراد به الجزاء والبعث (قوله فصدقكم) أشار بذلك إلى أن فى الكلام حذفًا بدليل قوله فأخلفتمكم (قوله أنه غير كائن) قدره إشارة إلى أن معمول وعد الثانى محذوف (قوله فأخلفتمكم) أى تبين خلافه (قوله لكن) أشار بذلك إلى أن الاستثناء منقطع لأن دعوته ليست من جنس السلطان -

(قوله فلا تلوموني) أي على وسوسى لكم (قوله ولوموا أنفسكم) أي وبغوها على انفسى قائل لم اكن مكرها لكم علم اباي بل جاءكم اليناث والرسل وسمعت الدلائل الظاهرة على توحيد الله فتركتموها واتبعتموني (قوله على إجابتي) أي وخالفه ربكم (قوله بمغيثكم) أي من العذاب (قوله بفتح الياء وكسرهما) أي فهما قراءتان سبعيتان والأصل بمصرخين لي خذت اللام للتخفيف والنون للاضافة فاجتمع مثلاًن أدغم أحدهما في الآخر فحركت ياء الاضافة بالفتح طلباً للخفة على إحدى القراءتين وكسرت على أصل التخاض من التقاء الساكنين على الأخرى (قوله إني كفرت بما أشركتمون) أي تراءت وأنكرت إشراككم إياي مع الله حيث أطعتموني في وسوسى لكم بالشرك فكأنهم أشركوه مع الله (قوله قال تعالى) أشار بذلك إلى أنه ليس من كلام إبليس وقيل من كلامه (قوله وأدخل الدين آمنوا) لما ذكر أحوال الأشقياء شرع في ذكر أحوال السعداء (قوله حال مقدرة) أي مقدرين الخلود فيها وتقدير الخلود عند الدخول من تمام النعيم (قوله بإذن ربهم) متعلق بأدخل (قوله من الله) قال تعالى سلام قولا من رب رحيم (قوله ومن الملائكة) قال تعالى : وللملائكة يدخلون عليهم من كل باب سلام عليكم (قوله ألم تر) الخطاب إما للذي أو لكل من يتأتى منه الخطاب (قوله مثلاً) التثنية تشبيه مجهول بمعلوم ليقاس عليه (قوله أي لا إله إلا الله) خصها بالذكر (٣٦٤) لأنها مفتاح الجنة ولا يقبل من أحد الايمان إلا بها . وقيل كل كلمة حسنة

كالتسبيح والتحميد والاستغفار وغير ذلك (قوله أصلها ثابت) أي عروقتها ثابتة في الأرض ما كثر فيها حتى أنها لا تحتاج لسقي بل تشرب من عروقتها (قوله وفرعها في السماء) أي لجهة العلو (قوله كل حين) اختلف في مقداره فقبل الحين كل سنة لأن النخلة تنمر في كل سنة مرة وقيل ستة أشهر لأنه من وقت طلوعها إلى طيها كذلك وقيل ثمانية أشهر لأن حملها ظاهراً

(أَنْ دَعَوْتَكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي فَلَا تَلُومُونِي وَلُومُوا أَنْفُسَكُمْ) على إجابتي (مَا أَنَا بِمُصْرِخِكُمْ) بمغيثكم (وَمَا أَنْتُمْ بِمُصْرِخِي) بفتح الياء وكسرهما (إِنِّي كَفَرْتُ بِمَا أَشْرَكْتُمُونِ) بإشراككم إياي مع الله (مِنْ قَبْلُ) في الدنيا ، قال تعالى (إِنَّ الظَّالِمِينَ) الكافرين (كُفَّ عَذَابُ أَلِيمٍ) مؤلم (وَأُدْخِلَ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ) حال مقدرة (فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ يُحَيَّتُهُمْ فِيهَا) من الله ومن الملائكة وفيها بينهم (سَلَامٌ . أَلَمْ تَرَ) تنظر (كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا) ويبدل منه (كَلِمَةً طَيِّبَةً) أي لا إله إلا الله (كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ) هي النخلة (أَصْلُهَا ثَابِتٌ) في الأرض (وَفَرْعُهَا) غصنها (فِي السَّمَاءِ تُؤْتِي) تعطى (أَكْلُهَا) ثمرها (كُلُّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا) بإرادته كذلك كلمة الإيمان ثابتة في قلب المؤمن وعمله يصعد إلى السماء ويناله بركته ونوابه في كل وقت (وَيَضْرِبُ) يبين (اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ) يتعظون فيؤمنون (وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ) هي كلمة الكفر (كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ) هي الخنظل (اجْتُمَتْ) استوصلت (مِنْ قَوْقِ الْأَرْضِ مَا لَهَا مِنْ قَرَارٍ) مستقر وثبات،

كذلك

وباطناً كذلك وقيل أربعة أشهر لأنه من حين ظهورها إلى إدراكها كذلك وقيل شهران

لأنه من وقت أكلها إلى قطع ثمرها كذلك وقيل كل وقت لأن ثمر النخل يؤكل دائماً فيؤكل منها الطلع والبلح والبسر والرطب والتمر وهو الأولى (قوله وعمله يصعد إلى السماء) قال تعالى : إليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه ، ووجه التشبيه بين الإيمان والشجرة أن الشجرة لها عرق راسخ وفرع عال وثمر يؤكل والايمان تصديق بالقلب وقول باللسان وعمل بالأبدان فإذا أكثر الانسان من ذكر هذه الكلمة ظهرت عليه أنوارها وامت في فؤاده أسرارها فدام نفعها بها في العاجل والآجل ومن هنا اختص الصوفية بها بمعنى أنهم تلقوها عن أشياخهم بالسند المتصل وتلقوها بها فصارت شعارهم ودقارهم ، ولذا قال السنوسي فعلى العاقل أن يكثر من ذكرها مستحضراً لما احتوت عليه من العاني حتى تخرج مع معناها بلحمه ودمه فانه يرى لها من الأسرار والمعاني ما لا يدخل تحت حصر (قوله هي كلمة الكفر) أي كل ما يدل عليه (قوله هي الخنظل) حكمة التشبيه بها أنها لا تنوص في الأرض بل عروقتها في وجه الأرض ولا غصون لها تصعد إلى جهة السماء بل ورقها يمتد على الأرض كشجر البطيخ وثمرها رديء وتسميتها شجراً مشاكلاً لأنها من النجم لامن الشجر لأن الشجر ماله ساق والنجم ماله ساق (قوله اجتفت) أي قلعت جنتها ، والغنى على التشبيه أي كأنها لعدم ثبات أصلها وامتدادها في الأرض كالسهم للقلاع جنته .

(قوله ثبت الله الدين آمنوا) هذا راجع لئلا الأول (قوله في الحياة الدنيا) أي فلا يزلزلون عن الدين إذا ابتلوا بالمصائب كالقتل وأخذ المال وقد الأحباب والفتانات عند الملمات وغير ذلك وهذه بشرى للمؤمنين بأن إيمانهم ثابت في قلوبهم لا يزلزل أبدا بل يثبتهم الله دنيا وأخرى (قوله أي في القبر) خصه بالذكر لأنه بعد سؤاله لا يفتنون في التوحيد وإنما يكون حسابهم في الوقت على فروع الدين (قوله لما يسألهم للملكان) أي حين يحيي الله الميت حتى يسمع قرع نعال من كان ماشيا في جنازته فيقعدانه ويقولان له ما ربك وما دينك وما نبيك ، فأما المؤمن فيقول ربى الله ودينى الاسلام ونبيى محمد صلى الله عليه وسلم فيقولان له نعم نومة العروس قد علمنا أن كنت لموقنا ، وأما الكافر والمتأفك فيقول لا أدري كنت أسمع الناس يقولون شيئا فقلت مثل ما يقولون فيضربانه بطراق من نار فيصيح صيحة يسمعه من فى الأرض غير الثقلين ويقولان له لا دريت ولا تليت (قوله ويفعل الله ما يشاء) أى يحكم لامعقب لحكمه وهو جواب عن سؤال مقدر تقديره لم هدى هؤلاء وأضل هؤلاء فأجاب بأنه يفعل ما يشاء فلا يسئل عما يفعل (قوله ألم تر) استفهام تعجيب وهو خطاب لرسول الله ولكل عاقل (قوله أى شكرها) أشار بذلك إلى أن الكلام على حذف مضاف (قوله هم كفار قریش) أى فتم الله التى بدلوا شكرها كفرا كون نسبهم أشرف الأنساب وبلدهم أشرف البلاد وكون الخلق تسمى إليهم ولا يسعون فبدلوا (٣٦٥) ذلك حيث كذبوا خبر الخلق وعبدوا الأصنام (قوله قومهم) أى أتباعهم (قوله دار البوار) يقال بار يبور بوارا بالضم: هلك، وبار الشئ بوارا: كسد فأطلق اللازم وأريد الملزوم لأنه يلزم من الكساد الهلاك (قوله يصلونها) حال من القسوم (قوله وجعلوا) عطف على بدلوا (قوله أندادا) جمع ندة بمعنى النظير (قوله ليضلوا) اللام للعاقبة والصيرورة لأن اتخاذهم الانداد

كذلك كلمة الكفر لا ثبات لها ولا فرع ولا بركة (يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ) هي كلمة التوحيد (فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ) أى فى القبر لما يسألهم الملكان عن ربهم ودينهم ونبئهم فيجيبون بالصواب كما فى حديث الشيخين (وَيُضِلُّ اللَّهُ الظَّالِمِينَ) الكفار فلا يهتدون للجواب بالصواب بل يقولون لا ندري كما فى الحديث (وَيَفْعَلُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ . أَلَمْ تَرَ) تنظر (إِلَى الَّذِينَ بَدَّلُوا نِعْمَةَ اللَّهِ) أى شكرها (كُفْرًا) هم كفار قریش (وَأَحَلُّوا) أنزلوا (قَوْمَهُمْ) باضلالهم إياهم (دَارَ الْمَوَارِ) الهلاك (جَهَنَّمَ) عطف بيان (يَصْلَوْنَهَا) يدخلونها (وَبِئْسَ الْقَرَارُ) المقرهى (وَجَعَلُوا لِلَّهِ أَندَادًا) شركاء (لِيَضِلُّوا) بفتح الياء وضما (عَن سَبِيلِهِ) دين الاسلام (قُلْ) لهم (تَمَتَّعُوا) بدنيا كم قليلا (بِأَن مَّصِيرَكُمْ) مرجعكم (إِلَى النَّارِ . قُلْ لِمَبَادِي الَّذِينَ آمَنُوا يُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُنْفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ يَوْمٌ لَا بَيْعَ) ،

ليس لأجل الضلال بل لكونهم يقر بونهم إلى الله زلنى (قوله بفتح الياء وضما) أى فهما قراءتان سبعيتان . والمعنى ليضلوا فى أنفسهم وهذا على الفتح أوليضلوا غيرهم وهذا على الضم (قوله بدنيا كم) أى أو بعبادتكم الأصنام لأنهما من جملة الشهوات التى يجمع بها والمعبرة به يوم اللفظ لا بخصوص السبب فان هذا تهايد لكل ظالم (قوله فان مصيركم إلى النار) أى ما لكم إليها (قوله قل لعبادى) بثبوت الياء مفتوحة وبحذفها لفظا لا خطا قراءتان سبعيتان هنا ، وفى أربعة مواضع من القرآن فى سورة الانبياء فى قوله أن الأرض يرثها عبادى الصالحون ، وفى العنكبوت فى قوله يا عبادى الذين آمنوا إن أرضى واسعة وقوله فى سبأ : وقايل من عبادى الشكور وقوله فى سورة الزمر: قل يا عبادى الذين أمرتوا على أنفسهم ، والاضافة فى عبادى للتشريف ، ولذا قال العارف : وما زادنى شرفا ونبيها وكنت بأخصى أطا الثريا دخولى تحت قولك يا عبادى وأن صيرت أحمد لى نبيا

(قوله الذين آمنوا) أى تصفوا بالايمان وفى ذلك إشارة إلى أن الصلاة والزكاة وغيرهما من وجوه البر لا تكون إلا لمن تصفه بالايمان فلا تنفع الكافر فى حال كفره فلا ينافى أنه مخاطب بفروع الشريعة لكن لا تصح منه إلا بالاسلام وفائدة خطابه بها أنه يعذب عليها زيادة على عذاب الكفر بدليل قوله تعالى : ما سلككم فى سقر قالوا لم نك من المصلين ولم نك نطعم المسكين الآية (قوله وينفقوا مما رزقناهم) أى النفقة الواجبة كالزكاة والندوية كالتطوع

وقوله سرا وعلاية أى فالإنسان مخير في الانفاق إماسرا أوجهر الحسن الأفضل في الواجبة الجهر لثلاثتهم بقلة الدين وفي التطوعات السر لكونه أقرب إلى الاخلاص (قوله فداء) مثنى المفسر على أن المراد بالبيع الفداء ومثنى غيره على إبقاء البيع على ظاهره أى لاشئ يباع فيه الفداء (قوله غالة) أشار المفسر إلى أن قوله خلال مصدر بمعنى الخالة ، وقال غيره إن خلال جمع خلة كقلال جمع قلة (قوله أى صداقة تنفع) هذا محمول على الكفار بدليل آية الزخرف : الاخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدو إلا المتقين فالتقون لهم الاخلاء يوم القيامة وفي القبور وفي كل موطن مخوف والكفار قد تقطعت بهم الأسباب فليس لهم أخلاء نافعون أصلا (قوله الله الذى خلق) شروع في ذكر دلائل وحدانيته تعالى واتصافه بالكالات وهذه الآية مشتملة على عشرة أدلة (قوله من السماء ماء) أى ثماء المطر من السماء كما ذكره أهل السنة (قوله من الثمرات) المراد بها ما يمتلئ الطعوم والمليوس (قوله رزقا لكم) حال من الثمرات (قوله السفن) أى الكبار والصغار وقوله بالركوب أى على ظهرها وقوله والحمل أى حمل الأتقال من محل إلى آخر (قوله وسخر لكم الأنهار) جمع نهر أى ذللها لكم في جميع الأرض على ما تشتهى أنفسكم (قوله داثين) الدأب العادة المستمرة دائما على حالة واحدة والمعنى أن الله سخر الشمس والقمر يجريان من يوم خلقهما الله لا يخلقان ولا يفران عن سيرها إلى آخر الدهر فالشمس نعمة النهار والقمر نعمة الليل وهما نافع للعالم بهما يهتدون ويعرفون السنين والحساب وتطيب ثمارهم وزروعهم فهما سبب عادى لنفع العالم يوجد النفع عندهما لاهما (قوله لا يفران) أى لا يضعفان ولا ينكسران (قوله في فلكهما) أى محلها ومقرها وهو السماء الرابعة للشمس وسماء (٢٦٦) الدنيا للقمر (قوله لتسكنوا فيه) أى تطمئنون فيه من تعب النهار

(قوله لتبتغوا من فضله) أى تسعوا في معاشكم ومعادكم قال تعالى ومن رحمته جعل لكم الليل والنهار لتسكنوا فيسه وتبتغوا من فضله (قوله وآتاكم مسن كل ماسألتموه) عطف عام على خاص، ومن قيل صلة على مذهب الأخفش من زيادتها في الاثبات أى

فداء (فيه ولا خلال) مخالة أى صداقة تنفع هو يوم القيامة (الله الذى خلق السموات والأرض وأنزل من السماء ماء فأخرج به من الثمرات رزقا لكم وسخر لكم السفن لتجري في البحر) بالركوب والحمل (بأمره) بإذنه (وسخر لكم الأنهار وسخر لكم الشمس والقمر داثين) جارين في فلكهما لا يفران (وسخر لكم الليل) لتسكنوا فيه (والنهار) لتبتغوا فيه من فضله (وآتاكم من كل ما سألتموه) على حسب مصالحكم (وإن تعدوا نعمة الله) بمعنى إنعامه (لا تحصوها) لا تطيقوا عددها (إن الإنسان) الكافر (لظلم كفارا) كثير الظلم لنفسه بالمصيبة والكفر بنعمة ربه (و) اذكر (إذ قال إبراهيم رب اجعل هذا البلد) مكة (أمناء) ذا أمن ، وقد أجاب الله دعاءه فجعله حرما ،

آتاكم كل ماسألتموه وقيل تبعية أى آتاكم بعض كل ماسألتموه أى اجتتم إليه ولولم يحصل سؤال بالفعل فالمراد شأنكم تسألون عنه لاحتياجكم إليه فإن الله أعطانا النعم من غير سؤال منا ، والمعنى أعطى الله كل فرد فرد بعض كل ما يحتاج إليه العالم فأصول النعم اشترك فيها جميع العالم عقلاء وغيرهم مسلمين وكفاراً ، وما يحتمل أنها موصولة وهو الأتم والتقدير بعض كل الذى سألتموه أو مصدرية والتقدير بعض كل مسؤلكم (قوله على حسب مصالحكم) جواب عما يقال إن الإنسان لم يعط بعض كل ما سأل فانه قد يسأل السلطنة مثلا ولا يعطاها فأجاب بأن هذه العطية ليست على حسب ما يصلح للعبد بل على حسب مراد الله تعالى فعطاياه سبحانه تعالى على حسب مراده في خلقه فمنهم من جعل رزقه واسعا ومنهم من جعل رزقه ضيقا وهكذا (قوله وإن تعدوا نعمة الله) أى أفرادها فانها غير متناهية (قوله بمعنى إنعامه) أشار بذلك إلى أن المراد بالنعمة الانعام وهو صفة فعل ودفع بذلك ما يقال كيف يقول الله وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها مع أن كل نعمة دخات الوجود متناهية ويمكن عددها فأجاب بأن المراد بالنعمة الانعام بمعنى تجدها شيئا فشيئا (قوله الكافر) المراد به أبوجهل لأنها نزلت فيه والعبرة بموم اللفظ لا بخصوص السبب (قوله وإذ قال إبراهيم) إذ ظرف معمول محذوف قدره المفسر بقوله اذكر وهو خطاب للنبي صلى الله عليه وسلم أى اذكر لهم قصة إبراهيم ودعوته لساكنى البيت الحرام ولبنيه لعلمهم يعتبرون فينجزوا عما هم عليه فان لم يعتبروا فقد تعرضوا لما يحل بهم (قوله هذا البلد) قال الأشياخ حكمة تعريف البلد هنا وتنكيرها في البقرة أن إبراهيم نكر مننه بالدعاء فإني البقرة كان قبل بنائها فطلب من الله أن يجعل لها وأن تكون آمنة وما هنا بعد بنائها فطلب من الله أن تكون آمنة

(قوله لا يسفك فيه دم إنسان) أى لا يمكن منه جبار بقصد إهانة البيت وأهله وما وقع من الحجاج في مقاتلته لابن الزبير وهدمه لبيت إنما كان بقصد التعظيم للبيت بسبب دعواه أن ابن الزبير كان عظمًا في بناء البيت على قواعد إبراهيم وقوله لا يسفك فيه دم إنسان أى ولو قصاصا وهو مذهب أبى حنيفة وإنما يضيق عليه ليخرج فإذا خرج اقتصر منه (قوله ولا يظلم فيه أحد) أى ومن تجرأ وظلم فيه فقد تعرض لعذاب الله قال تعالى ومن يرد فيه بالحاد يظلم نذقه من عذاب أليم (قوله ولا يصاد صيده) أى يحرم صيد البر في الحرم على كل شخص محرما أو غيره (قوله ولا يختلى خلاه) أى لا يقطع حشيشه الثابت بنفسه واستثنى العلماء من ذلك الإذخر والسنا والسواك والعصا وقطع الشجر للبناء محله لأنه ينبغي توسعته . إن قلت إن قوله آمنا يمارضه ماروى أن ذا السويقتين يخرب البيت ويخيف أهله في آخر الزمان . أجب بأن معنى الأمن الطمأنينة ظاهرا وباطنا من سطوات الخالق والمخلوق للحيوان العاقل وغيره غالبا فلا ينافى حدوث النواذر من بعض الجبارة . وأجب أيضا بأن المراد الأمن من الحراب إلى قرب الساعة فإن ذا السويقتين يخرب الكعبة قرب الساعة بعد موت عيسى عليه الصلاة والسلام .

قائدة : قول إبراهيم رب اجعل هذا البلد الحى يقتضى أن دأبه الدعاء ، وما ورد من قوله حين ألقى في النار : حسبي من سؤالي علمه بحال يقتضى أنه لم يكن دأبه الدعاء فما السر في ذلك . أجب بأنه كان في زمن إلقائه في النار في مقام الفناء والسكر وهو الغيبة عن شهود الخلق بشهود الحق فلا يشهد أثرا ، وفي زمن دعائه في مقام البقاء وجمع الجمع وهو البقاء بالله بمعنى شهود الآثار بعد شهود مؤثرها فقامه في حال دعائه أعلى وأجل من مقامه في حال تركه له ولا يقاس بمقامات الأنبياء مقام بل بدايتهم أعلى وأجل من نهاية غيرهم فالأولياء وإن عظموا لا يصلون لأدنى رتب (٢٦٧) الأنبياء ، وأما قول أبى الحسن الشاذلى

واقرب منى بقدرتك قربا
تمحق به عنى كل حجاب
محقة عن إبراهيم خليك
الح فنعناه قربا يليق بى
لا كقرب الخليل فقد
طلب من الله أن يذيقه
قطرة من بحار تجلياته
التي تجلى بها على الخليل

لا يسفك فيه دم إنسان ولا يظلم فيه أحد ولا يصاد صيده ولا يختلى خلاه (وَأَجْنُبْنِي) بَعْدِي
(وَبَنِيَّ) عَنْ (أَنْ نَعْبُدَ الْأَصْنَامَ . رَبِّ إِنَّهُنَّ) أى الأصنام (أَضْلَلْنَ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ)
بعبادتهم لها (فَمَنْ تَبِعَنِي) على التوحيد (فَإِنَّهُ مِنِّي) من أهل ديني (وَمَنْ عَصَانِي فَإِنَّكَ
عَفُورٌ رَحِيمٌ) هذا قبل علمه أنه تعالى لا يفر الشر (رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي) أى
بعضها وهو اسمعيل مع أمه هاجر (يُؤَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ) هو مكة (عِنْدَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ)
الذى كان قبل الطوفان ،

حتى أسكره فلم يشهد شيئا سواه (قوله واجنبني وبني) المراد أولاده وأولاد أولاده كاسماعيل وإسحاق ويعقوب والأسباط . إن قلت إن الأنبياء معصومون من الشرك في دعائه تحصيل الحاصل . والجواب أنهم أن دعاه تسميع وتعليم وتذلل وتواضع مع كونه يعلم عصمة نفسه ويقال مثل هذا في دعوات باقي الأنبياء بالنجاة مما هم معصومون منه كعذاب النار وغضب الجبار ونحو ذلك (قوله رب انهن) كثر النداء تأكيدا (قوله بعبادتهم لها) أشار بذلك إلى أن نسبة الاضلال للأصنام مجاز لأنها سبب في الضلال بسبب عبادتها (قوله فانه مني) أى منسوب لى وماحق بى (قوله هذا قبل علمه الح) جواب عما يقال إن الله لا يفر الشر فكيف يقول فأنك غفور رحيم . وأجب أيضا بأن قوله ومن عصاني أى بفر الكفر وبأن طلب الغفران لثريته الكفار إن ماتوا على الاسلام (قوله وهو اسمعيل مع أمه هاجر) وسبب ذلك الاسكان أن هاجر كانت جارية لسارة فوهبتها لإبراهيم فولدت منه اسمعيل ففارت سارة منها لأنها لم تكن قد ولدت قط فأشدته بالله أن يخرجها من عندها فأمره الله تعالى بالوحى أن ينقلها إلى أرض مكة وآتى له بالبراق فركب عليه هو وهاجر والطفل فاتى من الشام ووضعها في مكة عند البيت مكان زمزم وليس بمكة أحد ولا بناء ولا ماء ثم قام إبراهيم منطلقا فبعته هاجر وقالت أين تذهب وتركنى بهذا الوادى الذى ليس به أنيس ولا شئ فلم يلتفت فقالت آله أمرك بهذا قال نعم قالت إذا لا يضيعنى ثم رجعت فانطلق إبراهيم ثم رفع يديه إلى السماء وقال ربنا إني أسكنت الح (قوله براد) أى في واد والوادي هو المنخفض بين الجبلين (قوله غير ذى زرع) أى لا يصلح للزراع به لكونه أرضا حجرية لا تنبت شيئا (قوله الذى كان قبل الطوفان) أشار بذلك إلى أن تسميته يتا محرما فيه مجاز باعتبار ما كان ويصح أن يكون مجازا باعتبار ما يؤول إليه الأمر لأن الله أوحى إليه وأعلمه أن هناك بيتا حراما وأنه سيعمره .

(قوله ربنا) كثر النداء لأن الدعاء ينبغي فيه الاطناب وكثرة الانبها (قوله ليقيموا الصلاة) الام لام كي متعلقة بأسكتت ، والمعنى أسكتتهم بهذا الوادي الخالي من كل مرتفق ليشغلوا بأشرف العبادات في أشرف الأماكن ، وللراد من الدعاء بإقامة الصلاة توفيقهم لأدائها على الوجه الأكمل (قوله تهوى) القراء السبعة على كسر الواو: أى تسرع وتطيرشوقا إليهم وقرى شذودا بفتح الواو وخرجت على زيادة إلى: أى تهوام وخص الأئمة بالله كره لأن القلوب سلاطين الأعضاء فإذا حنت إليهم القلوب سعت لهم الأجسام قهرا (قوله تميل وتحن) أشار بذلك إلى أنه ضمن تهوى معنى تميل فعدها بالى وإلا فهو يتعدى باللام ، وفي هذا دعاء للمؤمنين بأن يرزقهم الله حج البيت ودعاء لسكان مكة من ذريته بميل الناس إليهم ليرتفعوا ويتفخروا بهم فقد جمع في هذا الدعاء بين أمر الدين والدنيا للناس والبرية (قوله لو قال أئمة الناس الخ) أى ولكنه لم يقل ذلك فلم يحصل لسابقة علم الله تعالى أنه لا يحسن إليهم جميع الناس لوجود الكفار منهم فإبراهيم دعا بما سيحصل في الخارج للطابق لما علمه الله (قوله لهم يشكرون) أى يصرفون الثم في مصارفها (قوله وقد فعل بنقل الطائف إليه) أى وهو قطعة من أرض الشام من مكان يقال له حوران بدلت قطعة من الحجاز فصارت العيون والأشجار بالطائف والحجارة والحصى والتفر بأرض حوران يشاهده كل من رآه وهو إجابة قوله - وارزقهم من الثمرات - وأما قوله - فاجعل أئمة من الناس - الخ فقد حصل مبدء إجابته بجرم . وذلك أن إبراهيم لما وضع إسماعيل وأمه تركهما ومعهما جراب من تمر وسقاء من ماء فلما نفذ الماء عطشت هي وولدها فصعدت على الصفا لتنظر هل ترى أحدا (٢٦٨) فلم تر أحدا فهبطت ثم أتت الروة فقامت عليها فنظرت هل ترى أحدا فلم تر

أحدا ففعلت ذلك سبع مرات ولذلك شرع السعي بينهما سبعا فعند ذلك جاء جبريل وضرب زمزم بجناحه فخرج الماء فجعلت تحوط عليه وتقول زى زى وفى الحديث « برحم الله أم إسماعيل لو تركت زمزم لكانت عينا من عينا» فجعلت تشرب منه فشكروا كذلك حتى مرت

(رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلَاةَ فَاجْعَلْ أَئِدَّةَ) قُلُوبَا (مِنَ النَّاسِ يَهْوَى) تَمِيلُ وَتَحْنُ (إِلَيْهِمْ) قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ : لَوْ قَالَ أَئِدَّةَ النَّاسِ لَحَنَتْ إِلَيْهِ فَارِسَ وَالرُّومَ وَالنَّاسَ كُلَّهُمْ (وَأَرْزُقَهُمْ مِنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ) وَقَدْ فَعَلَ بِنَقْلِ الطَّائِفِ إِلَيْهِ (رَبَّنَا إِنَّكَ تَعْلَمُ مَا نُخْفِي) نَسِرَ (وَمَا نَعْلِنُ ، وَمَا يَخْفَى عَلَى اللَّهِ مِنْ) زَائِدَةٌ (شَيْءٌ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ) يَحْتَمِلُ أَنْ يَكُونَ مِنْ كَلَامِهِ تَعَالَى أَوْ كَلَامِ إِبْرَاهِيمَ (الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي وَهَبَ لِي) أَعْطَانِي (حَلَى) مَعَ (الْكَبِيرِ إِسْمَاعِيلَ) وَلَدَ لَهُ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ سَنَةً (وَإِسْحَاقَ) وَلَدَ لَهُ مِائَةٌ وَاثْنَتَا عَشْرَةَ سَنَةً (إِنْ رَبِّي لَسَمِيعُ الدُّعَاءِ) رَبِّ أَجْعَلْنِي مُقِيمَ الصَّلَاةِ (وَ) أَجْعَلْ (مِنْ ذُرِّيَّتِي) مَنْ يَقِيمُهَا وَأَتَى بِنَ إِسْحَاقَ اللَّهُ تَعَالَى لَهُ أَنْ مِنْهُمْ كَفَارًا (رَبَّنَا وَتَقَبَّلْ دُعَاءَ) الْمَذْكُورِ (رَبَّنَا اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ)

هذا

بهم قبيلة من جرم كانوا داهيين إلى الشام فعطشوا فرأوا الماء عندها فقالوا لها

أأذن لنا أن نزل عندك ؟ فقالت نعم ولكن لاحق لكم في الماء ، فقالوا لها أشركنا في مائك نشرك في ألباننا ففعلت ، فنزلوا وأرسلوا إلى أهلهم فلما شب إسماعيل تعلم منهم العربية وكان أنفسهم فزوجوه بامرأة منهم وماتت أمه بعد ما تزوج (قوله ربنا إنك تعلم ما نخفي وما نعلن) أى تعلم ما نسرّه من جميع أمورنا وما نظهره منها أولعنى تعلم ما نخفي من الوجد بفرقة إسماعيل وأمه حيث أسكنتهما بواد غير ذى زرع وما نعلن : أى من قول هاجر الله أمرك بهذا وقولى لها نعم (قوله يحتمل أن يكون) أى قوله وما يخفى على الله من شئ الخ ، فعلى الأول هو اعتراض بين كلامي إبراهيم وعلى الثانى ففيه وضع الظاهر موضع المصمر (قوله الحمد لله الخ) هذا قاله إبراهيم في وقت آخر بعد الدعاء فانه حين الدعاء لم يكن إسحاق موجودا بل كان إسماعيل فقط طفلا وحين الحمد كان إسحاق موجودا ومعلوم أن بينهما ثلاث عشرة سنة (قوله إن ربى لسميع الدعاء) أى مجيبه (قوله مقيم الصلاة) أى مواظبا عليها بشروطها وأركانها وآدابها (قوله واجعل من ذريتي) أشار المفسر إلى أن قوله - ومن ذريتي - معطوف على الياء في اجعلنى فيكون الفعل مسلطا عليه (قوله وتقبل دعائى) بقبوت الياء وصلا ووقفا وحذفها كذلك قراءة ثان سبعيتان (قوله ربنا اغفر لي) إن قلت كيف يطلب المغفرة مع أنه نبي معصوم من جميع الذنوب . أجيب بأن المغفرة لاستدعى سبق ذنب بل تكون من الطاعات كما إذا ارتقى مقاماً أعلى مما كان فيه فيستغفر الله مما كان فيه على حد ما قيل في قوله صلى الله عليه وسلم « أنى ليان على قلبى فأستغفر الله سبعين مرة » .

(قوله هذا قبل أن يتبين له عداوتهما لله) جواب عما يقال كيف ساغ لإبراهيم طلب المغفرة لأبيه وما كافران (قوله وقرى) أى شنودا في هذه والى بعدها وقرى شذوذا أيضا وولدى بضم الواو وسكون اللام فالترا ثلاث والذى مفردا وولدى بالثنية وولدى جمع له (قوله يثبت) أى يوجد ويظهر وهذا دعاء للمؤمنين بالمغفرة والله لا يرد دعاء خليله إبراهيم فيه بشارة عظيمة لجميع المؤمنين بالمغفرة (قوله ولا تحسبن) بكسر السين وفتحها قراءتان سبعيتان في هذه وفي قوله الآتى - فلا تحسبن الله عطف وعده رسله - وفي هذه الآية تسلية لكل مظلوم ووعد عظيم لكل ظالم فإن العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب فانها وإن كان نزولها في حق كفار قريش إلا أن المراد عمومها لكل ظالم لأن كل آية وردت في الكفار فانها تجرى بذيلها على عصاة المؤمنين (قوله غافلا) الغفلة في الأصل معنى يعتري الإنسان من قلة التحفظ ، وقيل معنى يمنع الإنسان من الوقوف على حقائق الأمور ، وهذا المعنى في حق الله مستحيل فظنه كفر بل المراد لازم الغفلة وهو عدم المجازاة لأنه يلزم من الغفلة عن الشيء تركه فالغنى لا تحسبن الله يعاطب تاركا مجازاة الظالمين بل مجازيهم ولا بد وإسماهم مدة حلم منه وسيخرجهم منه في الآخرة لما ورد في الظلمة وأعوانهم كلاب النار (قوله من أهل مكة) خصهم بالذكر وإن (٢٦٩) كان المراد العموم لأن الآية نزلت فيهم (قوله إنما يؤخرهم) في معنى التعليق

لغفلتهم (قوله لا تحسبن الله غافلا) الخ ، والتقدير لا تنظرن أن الله تارك مجازاتهم ولا تحزن بتأخير العذاب لأن تأخير العذاب للتشديد والتخليط (قوله ليوم) أى لأجل حصول يوم أوالام بمعنى إلى التي للغاية (قوله تشخص فيه) الأبخار) أى فلا تقرر في أمكانها (قوله مسرعين) أى إلى الداعي وهو إسماعيل ، وقيل جبريل حيث ينادى على صخرة

هذا قبل أن يتبين له عداوتهما لله عز وجل ، وقيل أسلمت أمه وقرى والذى مفردا وولدى (وَالْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ) يثبت (الْحِسَابُ) قال تعالى (وَلَا تَحْسِبَنَّ اللَّهُ غَافِلًا عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ) الكافرون من أهل مكة (إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ) بلا عذاب (لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ الْأَبْصَارُ) لهول ما ترى يقال شخص بصر فلان أى فتحه فلم يغمضه (مُسْرِعِينَ) مسرعين حال (مُقْنِعِينَ) رافعي (رُءُوسِهِمْ) إلى السماء (لَا يَرْتَدُّ إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْ) بصرم (وَأُفْنِدْتُهُمْ) قلوبهم (هَوَا) خالية من العقل لفرعهم (وَأُنْذِرُ) خوف يا محمد (النَّاسِ) الكفار (يَوْمَ يَأْتِيهِمُ الْعَذَابُ) هو يوم القيامة (فَيَقُولُ الَّذِينَ ظَلَمُوا) كفروا (رَبَّنَا أَخْرِنَا) بأن تردنا إلى الدنيا (إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ نَجُوبُ دَعْوَتِكَ) بالتوحيد (وَتَتَّبِعُ الرُّسُلَ) فيقال لهم توبيخا (أَوَلَمْ تَكُونُوا أَقْسَمْتُمْ) حلفتم (مِنْ قَبْلُ) في الدنيا (مَا لَكُمْ مِنْ) زائدة (زَوَالٍ) عنها إلى الآخرة (وَسَكَنْتُمْ) فيها (فِي مَسَاكِينِ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ) بالكفر من الأمم السابقة (وَتَبَيَّنَ لَكُمْ كَيْفَ فَعَلْنَا بِيَوْمٍ) من العقوبة فلم تنزعروا (وَضَرَبْنَا) بينا (لَكُمْ الْأَمْثَالَ) في القرآن فلم تعتبروا ،

بيت المقدس وهي أقرب موضع من الأرض إلى السماء يقول : أيتها العظام البالية والأوصال المتقطعة واللحوم المتمزقة والشعور المتفرقة إن الله يأمر كركن أن تجتمعن لفصل القضاء فعند ذلك ينفع إسماعيل في الصور (قوله حال) أى من المضاف المهدف ، والتقدير تشخص فيه أبصارهم حال كون أصحاب الأبصار مهطعين الخ (قوله لا يرتد إليهم طرفهم) أى لا ينطبق لهم جفن لعظم الهول وهوتا كيد لشخص البصر (قوله وأفندتهم هواء) إمامسأف أرحال (قوله خالية من العقل لفرعهم) أى خالية من الفهم لشدة الحيرة والدهشة والمعنى أن القلوب حينئذ تكون فارغة من الإدراك والفهم ، والأبصار شاخصة والرؤوس مرفوعة إلى السماء من هول ذلك اليوم وشدة (قوله يوم يأتيهم العذاب) مفعول ثان لأنذر على حذف مضاف : أى أنذرهم هوله وشدة (قوله فيقول الذين ظلموا) فيه إظهار في مقام الاضمار لزيادة التشفيح عليهم (قوله إلى أجل قريب) أى أخر العذاب عناوردا إلى الدنيا مدة من الزمان نستدرك فيها ما فات (قوله نحب دعوتك) مجزوم في جواب الأمر (قوله فيقال لهم) القائل لهم الملائكة أو الله (قوله حلفتم) أى كما حكي الله عنهم ذلك في سورة النحل بقوله - وأقسموا لله جهد أيمانهم لا يبيعن الله من يموت - (قوله وسكنتم) معطوف على أقسمتم (قوله في مساكن الذين ظلموا أنفسهم) المراد مساكنهم دار الدنيا لا خصوص منازل الذين ظلموا فإن كفار قريش لم يسكنوا ديار الكفار الذين هلكوا قبائهم (قوله السابقة) أى كقوم نوح وعاد وحمود ولوط وغيرهم (قوله وتبين لكم) أى حالهم وخبرهم (قوله من العقوبة) بيان لقوله كيف فعلنا بهم

(قوله وقد مكروا) أى أهل مكة (قوله حيث أرادوا قتله الخ) أى حين اجتمعوا بدار الندوة ينشاورون فى شأنه وقد تقدم ذلك فى الأنفال فى قوله تعالى - وإذ يكره لك الذين كفروا - الخ (قوله ما كان) فسر إن لأن اللام فى لتزول لام الجحود وهى لاتقع إلا بعد كون منق بما أولم (قوله لا يعابها) أى لا يلتفت إليه (قوله والمراد بالجبال هنا) أى ففيها قولان قيل المراد حقيقة بها وقيل شرائع الاسلام فهى مستعملة فى مجازها (قوله فى القرار والثبات) هذا هو وجه الشبه بينهما (قوله وفى قراءة) أى وهى سبعة أيضا (قوله فان مخففة) أى واللام فى لتزول فارقة (قوله والمراد تعظيم مكرم) أى على هذه القراءة الثانية فتحصل أن المعنى على القراءة الأولى ما كان مكرم مزيلا للجبال لضعفه وعدم العبرة به وعلى الثانية والحال أن مكرم لتزول منه الجبال لعظمه وشدته والمكر على القراءتين قيل تشاورهم فى شأن النبي وقيل كفرهم ولكن الله تعالى الثانى يوافق القراءة الثانية بدليل آية تكاد السموات يتفطرن منه وتنشق الأرض وتخر الجبال هدا أن دعوا للرحمن ولها (قوله وعلى الأولى) أى القراءة الأولى وهى النافية (قوله ما قرئ) أى الذى قرئ وهى قراءة شاذة (قوله فلا تحسبن الله) هذا مفرع على قوله ولا تحسبن الله غافلا وهو تسلية للنبي صلى الله عليه وسلم وتهديد للظالمين (قوله مخلف وعده رسله) القراءة السبعة بإضافة مخلف إلى وعده ورسله بالنصب وقرئ شذوذًا بإضافته إلى رسله ونصب وعده فيكون قد فصل بين المتضايقين بالمفعول وهذا نظير قراءة ابن عامر فى الأنعام قتل أولادهم شركائهم (قوله اذكر) قدره إشارة إلى أن قوله (٣٧٠) يوم ظرف معمول لمحدوف ويصح أن يكون معمول لا قوله : فلا تحسبن الله

مخلف وعده رسله ويصح أن يكون بدلا من يوم الأول فى قوله يأتهم العذاب (قوله يوم تبدل الأرض غير الأرض والسموات) اختلف المفسرون فى هذا التبديل فقيل المراد تبدل صفاتها ففسوى الجبال وتقلع الأشجار وتنشق الأنهار وتذهب الكواكب من السموات وتكسف شمسها ويخسف قمرها وقيل تبدل ذاتهما فتبدل

(وَقَدْ مَكَرُوا) بالنبي صلى الله عليه وسلم (مَكَرَهُمْ) حيث أرادوا قتله أو تقييده أو إخراجة (وَعِنْدَ اللَّهِ مَكَرُهُمْ) أى علمه أو جزاؤه (وَأِنْ) ما (كَانَ مَكَرُهُمْ) وإن عظم (اِيتَزُولُ مِنْهُ الْجِبَالُ) المعنى لا يعابها ولا يضرب إلا أنفسهم ، والمراد بالجبال هنا قيل حقيقة وقيل شرائع الاسلام المشبهة بها فى القرار والثبات . وفى قراءة بفتح لام لتزول ورفع الفعل فإن مخففة والمراد تعظيم مكرم ، وقيل المراد بالمكر كفرهم ويناسبه على الثانية « تكاد السموات يتفطرن منه وتنشق الأرض وتخر الجبال هدا » وعلى الأول ما قرئ : وما كان (فَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ مُخْلِفَ وَعْدِهِ رُسُلَهُ) بالنصر (إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ) غالب لا يعجزه شئ (ذُو أَنْتِقَامٍ) ممن عصاه ، اذكر (يَوْمَ تُبَدَّلُ الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ وَالسَّمَوَاتُ) هو يوم القيامة فيحشر الناس على أرض بيضاء نقية كما فى حديث الصحيحين . وروى مسلم حديث « سئل النبي صلى الله عليه وسلم : أين الناس يومئذ ؟ قال على الصراط » ،

(وبرزوا)

الأرض بأرض نقية بيضاء كالفضة لم يسفك عليها دم وتبدل السموات بسما من ذهب

وعلى هذا القول فالخلائق يكونون قيل على الصراط وما زاد منهم يكون على متن جهنم وقيل يكون فى ظلمة قبل الحشر وقيل على أ كف ملائكة سماء الدنيا وجمع بين القولين بأن تبدل الصفات يكون أولا قبل نفخة الصعق وتبدل الذات يكون بعد النفخة الثانية (قوله فيحشر الناس على أرض بيضاء نقية) أى ويؤيد ذلك ما روى عن ابن عباس والضحك أن الخلائق إذا جمعوا فى صعيد واحد الأولين والآخرين أمر الجليل جل جلاله بملائكة سماء الدنيا أن يتولاهم فيأخذ كل واحد منهم إنسانا وشخصا من للبعوثين إنسا وجنا ووحشا وطيرا وحولهم إلى الأرض التى تبدل وهى أرض بيضاء من فضة نورانية وصارت الملائكة من وراء الخلق حلقة واحدة فاذا هم أكثر من أهل الأرض بعشر مرات ثم إن الله يأمر بملائكة السماء الثانية فيمجدون بهم حلقة واحدة وإذا هم مثلهم عشرين مرة ثم تنزل ملائكة السماء الثالثة فيمجدون من وراء الكل حلقة واحدة فاذا هم مثلهم ثلاثين ضعفا ثم تنزل ملائكة السماء الرابعة فيمجدون من وراء الكل حلقة واحدة فيكونون أكثر منهم بأربعين ضعفا ثم تنزل ملائكة السماء الخامسة فيمجدون من وراءهم حلقة واحدة فيكونون مثلهم خمسين مرة ثم تنزل ملائكة السماء السادسة فيمجدون من وراء الكل حلقة واحدة وهم مثلهم سبعين مرة والخلق تندمج حتى يملأ القدم ألف قدم لشدة الزحام ويخوض الناس فى العرق

غلا، أنواع مختلفة إلى الأذقان وإلى الصدور وإلى الحقون وإلى الركبتين ومنهم من يصيبه الرشح اليسير كالتقاعد في الحمام ومنهم من يصيبه البسلة كالمطش إذا شرب الماء وكيف لا يكون القلق والعرق والأرق وقد قربت الشمس من رءوسهم حتى لو مد أحد يده لناولها وتضاعف حرها سبعين مرة وقال بعض السلف لو طلعت الشمس على الأرض كهيئتها يوم القيامة لاحتقرت الأرض وذاب الصخر ونشت الأمهار (قوله وبرزوا) عطف على تبدل فهو بمعنى المضارع أى يوم تبدل الأرض وتجزأ الخلاق (قوله وترى) معطوف على تبدل أيضا (قوله مشدودين مع شياطينهم) أى فتجمع أيديهم وأرجلهم في أعناقهم ويشد كل واحد مع شيطانه الذى كان معه في الدنيا (قوله في الأصفاذ) جمع صفاذ ففتحبتن وهو القيد (قوله والأغلال) جمع غل بالضم وهو طوق من حديد (قوله سرايلهم من قطران) أى جلودهم تطل بالقطران حتى يكون الطلاء كالقميص (قوله وتنفثى وجوههم) أى وقلوبهم (قوله متعلق ببرزوا) أى وما بينها (٢٧١) اعتراض (قوله في قدر نصف نهار) أى وكل واحد يرى أنه يحاسب وحده (قوله هذا بلاغ للناس) في هذه الآية من الحسنات البديعية رد العجز على الصدر فقد افتتحت هذه السورة بقوله كتاب أنزلناه إليك لتخرج الناس من الظلمات إلى النور (قوله لتبليغهم) أى توصيلهم إلى ما فيه صلاحهم ورشدهم.

أى وكل واحد يرى أنه يحاسب وحده (قوله هذا بلاغ للناس) في هذه الآية من الحسنات البديعية رد العجز على الصدر فقد افتتحت هذه السورة بقوله كتاب أنزلناه إليك لتخرج الناس من الظلمات إلى النور (قوله لتبليغهم) أى توصيلهم إلى ما فيه صلاحهم ورشدهم.

(وَبَرَزُوا) خرجوا من القبور (لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ . وَتَرَى) يا محمد : تبصر (الْمُجْرِمِينَ) الكافرين (يَوْمَئِذٍ مُّقَرَّنِينَ) مشدودين مع شياطينهم (فِي الْأَصْفَادِ) القيود والأغلال (سَرَابِيلُهُمْ) قصصهم (مِنْ قَطْرَانٍ) لأنه أبلغ لاشتعال النار (وَتَنفَثَى) تملو (وُجُوهُهُمْ النَّارُ لِيَجْزِيَ) متعلق ببرزوا (اللَّهُ كُلُّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ) من خير وشر (إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ) يحاسب جميع الخلق في قدر نصف نهار من أيام الدنيا لحديث بذلك (هَذَا) القرآن (بَلَاغٌ لِلنَّاسِ) أى أنزل لتبليغهم (وَلِيُنذِرُوا بِهِ وَلِيَعْلَمُوا) بما فيه من الحجج (أَنَّمَا هُوَ) أى الله (إِلَهُ وَاحِدٌ وَلَيْدٌ كَرَّ) بادغام التاء في الأصل في الدال : يتعظ (أُولُوا الْأَلْبَابِ) أصحاب العقول .

(سورة الحجر)

مكية تسع وتسعون آية

(بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ . الرَّ) الله أعلم بمراده بذلك (نِلَكَ) هذه الآيات (آيَاتُ الْكِتَابِ) القرآن والإضافة بمعنى من (وَقُرْآنٍ مُّبِينٍ) مظهر للحق من الباطل عطف بزيادة صفة (رُبَّمَا) بالتشديد والتخفيف (يَوَدُّ) يتمنى (الَّذِينَ كَفَرُوا) يوم القيامة إذا عاينوا حالهم وحال المسلمين (لَوْ كَانُوا مُسْلِمِينَ) ورب للتكثير فإنه يكثر منهم تمنى ذلك ،

(قوله والاضافة بمعنى من) أى لأن الآيات بعض الكتاب (قوله عطف) أى مرادف وإنما سوغه وحسنه تغير اللفظ وزيادة الصفة في المعطوف فيثبت يؤخذ من الآية أنه كما يسمى كتابا يسمى قرآنا (قوله بزيادة صفة) أى وهو قوله مبين (قوله بالتشديد والتخفيف) أى فهما قراءتان سبعيتان لفتان في رب (قوله الذين كفروا) أى من أهل مكة وغيرهم (قوله إذا عاينوا حالهم) أى من العذاب (قوله وحال المسلمين) أى من النعيم المقيم (قوله لو كانوا مسلمين) يصح في لو أن تكون امتناعية وجوابها محذوف تقديره لسروا بذلك أو مصدرية تسبك مع ما بعدها بمصدر معمول ليود والتقدير ربما يود الذين كفروا هكونهم مسلمين (قوله ورب للتكثير) أى وما كافة لها عن الجر . إن قلت إن رب إذا دخلت عليها ما الكافة اختصت بالفعل الماضي وهنا قد دخلت على المضارع . أجب بأن المضارع بالنسبة لمر الله واقع ولا شك فلا تفاوت بين ماض ومستقبل بالنسبة لمره تعالى وإنما ذلك بالنظر لمقولنا .

[سورة الحجر مكية]
أى باجماع وميمت بالحجر
لقد كره فيها وهو واد بين
المدينة والشام وستأتى
قصة أصحابه (قوله الله
أعلم بمراده) تقدم أن هذا
هو التحقيق عند ذوى
التحقيق (قوله هذه
الآيات) أى آيات السورة

قوله وقيل للتقليل أى باعتبار الأوقات التى يفيثون فيها من الهدوء فالكفار من شدة الهول يدهشون فلا يفيثون إلا فى بعض الأوقات فإذا أتوا كثر منهم التنى (قوله ذرم) لم يستعمل لهذا الأمر ماض استغناء عنه بترك بل يستعمل منه المضارع وقد جاء منه الماضى قليلاً قال عليه الصلاة والسلام «ذروا الحبشة ما وفرنكم» (قوله يأكلوا) مجزوم بحذف النون فى جواب الأمر وكذا قوله وجمتعوا (قوله ويلهمهم) مجزوم أيضاً بحذف الياء وفيه ثلاث قراآت سبعة كسر الهاء الثانية واليم وضمها وكسر الهاء وضم اليم وأما الهاء الأولى فمكسورة لا غير لأنها من بنية الكلمة (قوله الأمل) فاعل يلهمهم (قوله عاقبة أمرهم) قدره إشارة إلى أن مفعول يعملون محذوف (قوله وهذا قبل الأمر بالقتال) أى قوله ذرم الخ فهذه الآية منسوخة بآية القتال (قوله زائدة) أى فى المفعول (قوله أريد أهلها) أى ففيه مجاز إما بالحذف أو مرسل من إطلاق المحل واردة الحال فيه (قوله إلا ولها كتاب معلوم) الجملة حالية والعنى وما أهلكتنا قرية فى حال من الأحوال إلا فى حال أن يكون لها كتاب أى أجل مؤقت لملاكمها وجعلنا الواو حالية أسهل من جعلها زائدة بين الصفة والوصف (قوله من أمة) فاعل تسبق ومن زائدة فى الفاعل للتأكيد (قوله أجهلها) أى وهو الكتاب المتقدم (قوله يتأخرون عنه) أى الأجل (قوله وقالوا يأبى الله الذى نزل عليه الذكر) نادوه صلى الله عليه وسلم بذلك على سبيل التهمك والاستهزاء لا أقروا بأنه نزل عليه الذكر ولذا قال المفسر فى زعمه دفع به ما قد يقال إن فى الآية مضاربة أولها لآخرها (٢٧٢) (قوله إنك لجنون) أى إنك لتقول قول المجانين حيث تدعى أن الله

نزل عليك الله ذكر وقولهم هذا كقول فرعون : إن رسولكم الذى أرسل إليكم لمجنون . والحاصل أنهم قالوا مقاتلين الأولى يأبى الله الذى نزل عليه الذكر والثانية لومانأتينا بالملائكة وقدر الله ذلك على سبيل الف والفسر المشوش فقوله ماتنزل الملائكة رد للثانية وقوله إنا نحن نزلنا الذكر رد للأولى (قوله لومانأتينا)

وقيل للتقليل فإن الأحوال تدهشهم فلا يفيثون حتى يتمنوا ذلك إلا فى أحيان قليلة (ذَرَهُمْ) أترك الكفار يا محمد (يَأْكُلُوا وَيَتَمَتَّعُوا) بدنيام (وَيُلْهِمُهُمْ) يشغلهم (الْأَمَلُ) بطول العمر وغيره عن الإيمان (فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ) عاقبة أمرهم وهذا قبل الأمر بالقتال (وَمَا أَهْلَكْنَا مِنْ زائدة قرينة) أريد أهلها (إلا ولها كتاب) أجل (معلوم) محدود لإهلاكها (مَا تَسْبِقُ مِنْ زائدة أمة أجهلها وما يستأخرون) يتأخرون عنه (وقالوا) أى كفار مكة للنبي صلى الله عليه وسلم (يَأْيُهَا الذى نَزَلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ) القرآن فى زعمه (إِنَّكَ لَجَنُونٌ . لَوْ مَا) هلا (تَأْتِينَا بِالْمَلَائِكَةِ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ) فى قولك : إنك نبي وإن هذا القرآن من عند الله قال تعالى (مَا نَنْزِلُ) فيه حذف إحدى التامين (الْمَلَائِكَةُ إِلَّا بِالْحَقِّ) بالمذاب (وَمَا كَانُوا إِذَا) أى حين نزول الملائكة بالمذاب (مُنْظَرِينَ) مؤخرين (إِنَّا نَحْنُ) تأكيد لاسم إن أو فصل (نَزَّلْنَا الذِّكْرَ) القرآن (وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ) من التبديل والتحريف والزيادة والنقص ،

(ولقد

نستعمل لومانأ حرف تحضيض وحرف امتناع لوجود فالتحضيضية لايلبها

إلا الفعل ظاهراً أو مضمراً والامتناعية لايلبها إلا الأسماء لفظاً أو تقديرًا إذا علمت ذلك فهى هنا للتحضيض ولذا فسرهما جهلاً بقوله بالملائكة) أى لتخبرنا بصدقك (قوله فيه حذف إحدى التامين) أى والأصل تنزل وفى قراءة سبعة أيضاً تنزل بضم النون الأولى وفتح الثانية وكسر الزاى المشددة ونصب الملائكة على المفعولية وقرئ شذوذاً ما تنزل بفتح التاء وسكون النون وكسر الزاى والملائكة فاعل (قوله إلا بالحق) أى لا تنزلاً ملتبساً بالحق لا بما قلتم واقترحتم والمعنى جرت عادة الله فى خلقه أنه لا يظهر الملائكة إلا لمن يريد إهلاكهم وهو لا يريد ذلك مع أمته صلى الله عليه وسلم لعلمه بقاءها وأنه يخرج منها من يعبد الله ويوحده إلى يوم القيامة فهم لا يجابون لما اقترحوا (قوله وما كانوا إذا منظرين) أصل إذن إذ بمعنى حين فضمت لها أن فصار إذ أن فاستقلوا المتمزة لحذفوها فصار إذن وجبىء لفظة أن دليل على اضمار فعل بعدها والتقدير وما كانوا إذ كان ما طلبوه الخ (قوله إنا نحن نزلنا الذكر) أى وليس انزاله بزمك كما اعتقدوا (قوله أو فصل) أى ضمير فصل واعتراض بأن ضمير الفصل لا يكون إلا ضمير غيبة ولا يقع إلا بين اسمين وهنا ليس كذلك . وحيفئذ فلما نسب للمفسر أن يقتصر على الأول (قوله وإنا له لحافظون) أى حيث جعله . مجزاً للبشر مغابراً لكلامهم لا يأتية الباطل من بين يديه ولا من خلفه باقى على عمر الدهور سراً وقبلاً جعل الله له خدمة من البشر يحفظونه قترى الكبير العظيم إذا غلط وهو يقرأ برده أصغر ضمير فى المجلس مع عدم العيب فى ذلك

بمخلافه للكسب السبوية فقد دخل فيها التبديل والتغيير ، والزيادة والنقص ، ومن معنى هذه الآية قوله تعالى - وقرآنا فرقناه لتقرأه على الناس على مكث - الآية (قوله ولقد أرسلنا) هذا نسليه له صلى الله عليه وسلم (قوله رسلا) قدره إشارة إلى أن مفعول أرسلنا محذوف ، وعدتهم ثلثمائة وثلاثة عشر أو أربعة عشر ، وقيل لا يعلم عدتهم إلا الله تعالى (قوله في شيع) جمع شيعه والمراد بها هنا الفرقة للثقة في مذهب كان حقا أو باطلا وإضافة شيع للأولين على حذف مضاف أى في شيع الأمم الأولين (قوله وما يأتيهم) قدر المفسر كان إشارة إلى أن المضارع بمعنى الماضي وآتى به مضارعا استحضارا للحال للماضي للتعجب منها (قوله يستهزئون) أى يسخرون (قوله وهذا نسليه له) أى قاصر ولا تحزن فلست بأول من سخر به قومه بل وقع لمن قبلك مثلك (قوله كذلك نسلكه) السلك بالفتح إدخال الحيط في اللؤلؤة ، وبالكسر نفس الحيط (قوله أى مثل إدخالنا التكذيب) أى الذى دلّ عليه بقوله يستهزئون (قوله وقد خلت سنة الأولين) أى طريقتهم والجملة مستأنفة (قوله وهؤلاء مثلهم) أى ينتظر ما ينزل بالمكذبين من العذاب (قوله ولو فتحنا عليهم) أى على كفار مكة (قوله فظلوا) الضمير إما عائذ على الشركين والمعنى لو فتحنا باب السماء لهؤلاء الشركين وصعدوا إلى السماء ورأوا عجائبها لقالوا الخ ، أو على الملائكة والمعنى لو كشفنا عن أبصار الكفار فرأوا باب السماء مفتوحا والملائكة تصعد منه (٢٧٣) لما آمنوا (قوله إنما سكرت)

بالتخفيف والتشديد
قراءتان سبعيتان (قوله
سدت) أى فيقال سكرت
النهر من باب قتل
سدوته والسكر بالكسر
ما يسد به ، والمعنى يسد
أبصارنا عن محسوساتنا
المعتادة بتلك التخيلات
(قوله بل نحن قوم
مسحورون) لإضراب
انتقالى عما أفاده أولا من
خصوص سحر العين
بالحصر ، والمعنى أنهم
يقولون إنما سدت أبصارنا
غيل لها أمر لاحقيقة له

(وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ رَسَلًا (فِي شَيْعٍ) فَرَقَ (الْأَوَّلِينَ . وَمَا) كَانَ (يَأْتِيهِمْ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ) كاستهزاء قومك بك . وهذا نسليه له صلى الله عليه وسلم (كَذَلِكَ نَسْلُكُهُ) أى مثل إدخالنا التكذيب في قلوب أولئك ندخله (فِي قُلُوبِ الْمُجْرِمِينَ) أى كفار مكة (لَا يُؤْمِنُونَ بِهِ) بالنبي صلى الله عليه وسلم (وَقَدْ خَلَتْ سُنَّةُ الْأَوَّلِينَ) أى سنة الله فيهم من تعذيبهم بتكذيبهم أنبياءهم وهؤلاء مثلهم (وَلَوْ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ بَابًا مِنْ السَّمَاءِ فَظَلُّوا فِيهِ) فِي الْبَابِ (يَقْرُجُونَ) يصعدون (لَقَالُوا إِنَّمَا سُكَّرَتْ) سدت (أَبْصَارُنَا بَلْ نَحْنُ قَوْمٌ مَسْحُورُونَ) يُخِيلُ إِلَيْنَا ذَلِكَ (وَلَقَدْ جَعَلْنَا فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا) اثني عشر : الحمل والثور والجوزاء والسرطان والأسد والسنبلة والميزان والقوس والجدي والدلو والحوت ، وهى منازل الكواكب السبعة السيارة : المريخ وله الحمل - المقرب ، والزهرة ولها الثور والميزان ، وعطارد وله الجوزاء والسنبلة ، والقمر وله السرطان ، والشمس ولها الأسد ، والمشتري وله القوس والحوت ، وزحل وله الجدي والدلو .

ولم يتجاوزها لقلوبنا ثم أضربوا عن ذلك وجعلوا السحر واصلا لقلوبهم (قوله ولقد جعلنا في السماء بروج) هذا من أدلة توحيده سبحانه وتعالى ، والبروج جمع برج والمراد منازل وطرق تسير فيها الكواكب السبعة (قوله اثني عشر برج) أى وقد جمعها بعضهم في قوله .

حمل الثور جوزة السرطان ورعى الليث سنبل الميزان
ورعى عقرب . قوس الجدي نزع الدلو برصعة الحيتان

(قوله وهى منازل الكواكب) أى حمل سيرها (قوله المريخ) بعكس الميم نجم في السماء الخامسة وقد جمع الكواكب بعضهم في قوله : زحل شرى مريخه من شمس فتزاهرت لعطارد الأقمار فزحل في السماء السابعة ، والمشتري في السادسة ، والمريخ في الخامسة ، والشمس في الرابعة ، والزهرة في الثالثة ، وعطارد في الثانية ، والقمر في الأولى وهى عماء الدنيا (قوله والشمس ولها الأسد) أى يتها المنسوب لها فلا ينافى أنها تسير في البروج كلها المنقسمة لثمان وعشرين مغزلة لكل برج منزلتان وثلاث وقطعها الشمس في سنة والقمر في شهر وقد جعل الله بهذه الكواكب النفع في العالم السفلى كالأكل والشرب يوجد النفع عندها لا بها فهى أسباب علوية

(قوله وزيناها بالكواكب) أى جعلنا الكواكب زينة للسماء وحسن الكواكب في السماء الدنيا أو ثوابت في العرش فولان للعلماء (قوله للناظرين) أى التأمّلين بأبصارهم وبصائرهم (قوله وحفظناها) أى السماء (قوله من كل شيطان رجيم) أى وذلك لأن الشياطين كانوا لا يحبّون عن السموات فيدخلونها ويأتون بأخبارها إلى الكهنة فلما ولد عيسى منعوا من ثلاث سموات، ولما ولد سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم منعوا من السموات كلها، ولما بعث ربيت عليهم الشهب فكانت تخطى وتصيب، فلما عرج به صلى الله عليه وسلم صارت لا تخططهم أبداً (قوله إلا من استرق السمع) استثناء منقطع لأن ما قبل الاستثناء دخولهم السماء وما بعده استراقهم من خارجها والى أن الشياطين يركب بعضهم بضاً يريدون الاستراق فتكون الشهب بالمرصاد لهم كما صرحت به سورة الجن في قوله تعالى - وأنا كنا نقعد منها - الخ (قوله كوكب مضى) وقيل الشهاب شعة فار تنفصل من الكوكب وهو الصحيح (قوله أو يخبئه) أى يفسد أعضائه فيصير غولاً في الوادى يضل الناس (قوله والأرض مددناها) الأرض منصوب بفعل محذوف يفسره مددناها (قوله بسطانها) أى على الماء (قوله لئلا تتحرك بأهلها) أى لأن الله لما خلقها وبسطها على الماء تحركت واضطربت فتبثها بالجبال الرواسي فسكننت (قوله معلوم) أى الله فيعلم قدر ما يحتاج إليه الخلق في معاشهم (قوله معاش) جمع معيشة وهى ما يعيش بها الإنسان من المأكل والمشرب والملبس وغير ذلك (قوله بالياء) أى باتفاق السبعة لأنها في المفرد أصلية فلا تقلب في الجمع همزاً بل تبقى على حالها بخلاف اللذان في المفرد فانه يقلب همزة في الجمع . قال ابن مالك : وللد زيد (٢٧٤) ثالثاً في الواحد همزاً يرى في مثل كالتلايد وقرئ شذوذا بالهمز

على التشبيه بشمائل (قوله) ومن لستم له برازقين (مضى الفسر على أنه معطوف على معاش حيث قدر قوله جعلنا لكم (قوله من العبيد) أى والخدم وغيرهم فأنتم تفتنعون بتلك الأشياء ولستم برازقين لها وإنما رزقها على خالقها (قوله وإن من شيء إلا عندنا خزائنه) كالدليل

(وَزَيَّنَّاها) بالكواكب (لِلنَّاطِرِينَ . وَحَفَظْنَاهَا) بالشهب (مِنْ كُلِّ شَيْطَانٍ رَجِيمٍ) مرجوم (إِلَّا) لكن (مَنْ أَسْتَرَقَ السَّمْعَ) خطفه (فَأَتْبَعَهُ شِهَابٌ مُبِينٌ) كوكب مضى يحرقه أو يخبئه أو يخبئه (وَالْأَرْضَ مَدَدْنَاهَا) بسطانها (وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ) جبالاً ثوابت لئلا تتحرك بأهلها (وَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَوْزُونٍ) معلوم مقدر (وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَايِشَ) بالياء : من الثمار والحبوب (وَجَعَلْنَا لَكُمْ رِزْقَيْنِ) من العبيد والخدم والأناجم فأنما يرزقهم الله (وَإِنْ) ما (مِنْ) زائدة (شَيْءٍ إِلَّا عِنْدَنَا خَزَائِنُهُ) مفاتيح خزائنه (وَمَا نُنْزِلُهُ إِلَّا بِقَدَرٍ مَعْلُومٍ) على حسب المصالح (وَأَرْسَلْنَا الرِّيَّاحَ لَوَاقِحَ) تلقح السحاب فيمتلئ ماء (فَأَنْزَلْنَاهَا مِنَ السَّمَاءِ) السحاب (ماءً) مطراً (فَأَنْشَبْنَا كُومَهُ وَمَا أَنْتُمْ لَهُ بِخَازِنِينَ)

أى لقوله وجعلنا لكم فيها معاش ومن لستم له برازقين ، فهو لإعلام بسخة فضله سبحانه وتعالى وقوله شيء نكرة في سياق النفي فتم كل شيء كان في الدنيا أو الآخرة جليلاً أو حقيراً (قوله إلا عندنا خزائنه) أى لا يوجد الله إذا تعلق قدرته وإرادته به ففي الكلام مجاز حيث شبه سرعة إجماده الأشياء بحصولها بالفضل وجعلها في خزائن والجامع بينهما سرعة الحصول في كل فالغنى بيده الأشياء كلها خيرها وشرها جليلاً وحقيراً فإذا أراد الله شيئاً حصل فلا يطلب الإنسان من غيره بل يطلب المفاتيح من بيده الخزائن والمفاتيح كناية عن التسهيل فمن أراد الله له شيئاً أعطاه مفتاحه بمعنى سهل أسبابه (قوله إلا بقدر معلوم) أى فيسعد هذا ويشقى هذا ويفقر هذا ويغنى هذا على حسب ما قدره الله إذا علمت ذلك فالمناسب للفسر أن يقول على حسب تقدير الله فان الله تعالى ليس مراده مقيداً بمصالح عباده بل أفعاله على حسب ما أراده وعلمه وإلا فنجده الكافر يطول عمره وهوى فقر ومرض ثم يختم له بالكفر ويكون في النار فأى مصلحة في ذلك (قوله وأرسلنا الرياح) جمع ريح وهو جسم لطيف منبث في الجو سريع المرور (قوله لواقح) إما جمع ملقح من ألقح وحينئذ لجمعه ملاقح حذف الميم تخفيفاً أو جمع لاقح يقال لقت الریح إذا حملت الماء إلى السحاب . واهل أن سبحانه وتعالى يرسل الرياح الأربعة لخدمة المطر فريح الصبا تثير السحاب من ثمر شجرة في الجنة ، وريح الشمال تجمعها ، وريح الجنوب تفرده ، وريح الجنوب تفرقه (قوله تلقح السحاب) أى تملأ الماء فيه (قوله السحاب) أى فالمراد بالسحاب كل ما علواً وارتفع ويصح أن يراد بالسحاب حقيقة لأن أصل ماء المطر من السماء (قوله فأنشبتنا كومه) الكاف مفعول أول والماء مفعول ثان ، ولغنى جعلناه مقياً لكم ولأرضكم ومواشيكم .

(قوله أى ليست خزائنه بأيديكم) أى بل خزائنه عند الله فهو من مشمولات قوله : وإن من شئ إلا عندنا خزائنه (قوله وإنا لنحن نحيي) أى جميع الخلق وإن حرف تأكيد ونصب ونا اسمها وجهة نحيي خبرها وقوله لنحن ضمير منفصل يؤكد لنا لاضمير فصل لما تقدم أنه مردود بأن ضمير الفصل لا يقع إلا بين اسمين وهنا ليس كذلك (قوله ونحن الوارثون) الوارث فى الأصل هو الذى يأخذ المال بعد موت مورثه ثم أطلق الإرث وأريد لازمه وهو البقاء بعد فناء غيره فإنه يلزم من أخذ الوارث مال للورث بقاؤه بعد موت صاحبه فهو سبحانه وتعالى وارث جميع الخلق بمعنى أنه يبقى بعد فناءهم (قوله ولقد علمنا المستقدمين منكم) نبي علمنا تفصيلاً لا يخفى عليه شئ فى الأرض ولا فى السماء (قوله للتأخرين) أشار بذلك إلى أن السين والتاء فى المستقدمين وللتأخرين زائدتان ، والمعنى أن علمه محيط بجميع خلقه متقدمهم ومتأخرهم وعاصيهم لا يخفى عليه شئ من أحوال خلقه (قوله وإن ربك هو يحشركم) أى يجمعهم للحساب ثم بعد ذلك ينقسمون فريقين فريق فى الجنة وفريق فى السعير (قوله من صال) الصلصال بمعنى الصلصال كالزلال بمعنى الزلز ووزنه فلال بتكرار اللام قلبت الأولى منهما من جنس فاء الكلمة ، والصلصال طور رابع من أطوار آدم الطيفية لأنه كان أولاً تراباً ثم عجن بأنواع المياه فصار طيناً ثم ترك حتى أثنى واسود فصار حمأً مسنوناً ثم يبس بعد تصويره فصار صلصلاً ثم نفخ فيه (٢٧٥) الروح بعد مائة وعشرين سنة :

أر بعين وهو طين
وأر بعين وهو حمأ مسنون
وأر بعين وهو صال
مصنوع وهكذا أطوار
أولاد آدم نمكت النطفة
فى الرحم أر بعين يوماً
ثم نصير علقه مثل ذلك
ثم نصير مضغة مثل ذلك
ثم تنفخ فيه الروح بعد
مائة وعشرين يوماً (قوله
متخبر) أى من طول
مكته حتى يتخبر (قوله
أبا الجن وهو إبليس)
هذا أحد قولين ، وقيل

أى ليست خزائنه بأيديكم (وإنا لنحن نحيي ونميت ونحن الوارثون) الباقون نثر جميع الخلق (ولقد علمنا المستقدمين منكم) أى من تقدم من الخلق من لدن آدم (ولقد علمنا المتأخرين) للمتأخرين إلى يوم القيامة (وإن ربك هو يحشركم إنه حكيم) فى صنعه (علم) بمخلقه (ولقد خلقنا الإنسان) آدم (من صلصال) طين يابس يسمع له صلصلة أى صوت إذا قر (من حمأ) طين أسود (مسنون) متخير (والجان) أبا الجن وهو إبليس (خلقناه من قبل) أى قبل خلق آدم (من نار السموم) هى نار لادخان لها تنفذ فى السم (و) اذكر (إذ قال ربك للملائكة إني خالق بشرأ من صلصال من حمأ مسنون . فإذا سويته) أتممته (ونفخت) أخرجت (فيه من روحى) فصار حياً وإضافة الروح إليه تشرىف لآدم (فقموا له ساجدين) سجدوا تحية بالانحناء (فَسَجَدَ الْمَلَائِكَةُ كُلُّهُمْ أَتَّجَمُونَ) فيه تأكيد (إلا إبليس) هو أبو الجن كان بين الملائكة ،

هو أبو الشياطين فرقة من الجن لم يؤمن منهم أحد والجان هو أبو الجن وعلى هذا تكون الأصول ثلاثة : آدم وهو أبو البشر وإبليس وهو أبو الشياطين ، والجان وهو أبو الجن ، وعلى ما مضى عليه التفسير يكونان أصليين فقط آدم وإبليس (قوله هى نار لادخان له) أى ومنها تكون الصواعق (قوله تنفذ فى السم) أى تدخل فيها لطف السم وشدة حرارة النار فإذا دخلت فى الإنسان قتلت (قوله وإذا قال ربك) إذ ظرف معمول لحدوف قدره المفسر بقوله اذكر (قوله من صال) من لابتداء الغاية (قوله فإذا سويته) أى صورته إنساناً كاملاً معتدل الأعضاء والطباع (قوله ونفخت فيه من روحى) أى أفضت عليه روحاً من الأرواح التى خالقها فصار بها حياً ، وليس المراد النفخ حقيقة لاستحالة على الله (قوله وإضافة الروح إليه) أى كما يقال بيت الله وناقة الله (قوله فقموا) الفاء واقعة فى جواب إذا وقعوا فعل أمر من وقع يقع بمعنى سقط وخر (قوله بالانحناء) أى لا بوضع الجبهة وهذا أحد قولين ، وقيل للرداب السجود حقيقته ، وآدم كالتقبة والسجود لله ، أو يقال إن السجود لآدم وقوله السجود لغير الله كفر محله فى غير ما أمر الله به ، وأما فى مثل هذا فالكفر فى مخالفة (قوله فيه تأكيد) أى للبالغة وزيادة الاعتناء فباتت كعبدة الأول اندفع نوم الجواز وبالثانى استفيد أنهم سجدوا جملة واحدة (قوله كان بين الملائكة) أشار بذلك إلى حجة الاستثناء ثم هو محتمل أن يكون منقطاً لأنه لم يكن منهم حقيقة أو متصلاً باعتبار أنه كان متصفاً بصفاتهم وقيل إنه منهم والتحقيق خلافه .

(قوله أبى أن يكون مع الساجدين) استئناف مبين لكيفية عدم السجود (قوله قال تعالى) . إن قلت إن مكالمه الله تعالى بدون واسطة شرف وتعظيم ، وإبليس ليس من أهل ذلك . أجب بأن محل كونها شرفاً إن كانت على سبيل الاكرام ، وأما كلام الله تعالى لإبليس فهو على سبيل الإهانة والطرده فلم يكن تحريفاً (قوله مامنعك الخ) حمله على هذا التفسير قوله في الآية الأخرى : مامنعك أن تسجد لما خلقت بيدي . ولذا قال لازائدة ويصح أن تكون غير زائدة ، وللعنى أى شئ ثبت لك في عدم كونك مع الساجدين (قوله لا ينبغي لى) أى لا يصح ولا يليق (قوله لبشر خلقته الخ) أى وخلقته من نار فأنا خبر منه لأن النار جسم لطيف نوراني والصلصال جسم كثيف ظلماني والنوراني خير من الظلماني ، هذا وجه تكبره عن السجود وإدعائه الخيرية وهى مردودة بأن آدم مركب من العناصر الاربع بخلاف إبليس وأيضاً فالفضل بيد الله يعطيه لمن يشاء (قوله وقيل من السموات) وهذا الخلاف مرتب على الخلاف في أن السجود لآدم هل كان في الجنة أو خارجها فن قال بالأول جعل الضمير في منها عائداً على الجنة ، ومن قال بالثاني جعله عائداً على السموات (قوله فأنك رجيم) أى مرجوم والرجم كما في القاموس اللعن والشم واطرده والمجران (قوله إلى يوم الدين) أى وبعد ذلك يزداد عذاباً على اللعنة التى هوفها (قوله إلى يوم يبعثون) قصد اللعين بذلك أنه لا يموت أبداً (٢٧٦) لأنه إذا أمهل إلى يوم البعث الذى هو يوم النفخة الثانية فقد أمهل

إلى الأبد لانقطاع الموت حينئذ وقصد أيضاً الفسحة في الأجل لأجل الاغواء فأجاب الله إلى الثانية دون الأولى (قوله وقت النفخة الأولى) أى فيموت في جملة الخلائق ثم يبعث مع الناس فمدة موته أربعون سنة ولم يكن هذا الإسهال إكراماً له بل إهانة وشقاء ليزداد عذابه (قوله والباء للقسم) وقيل للسببية (قوله لأزوين لهم) الضمير عائداً على أولاد آدم

(أبى) امتنع من (أَنْ يَكُونَ مَعَ السَّاجِدِينَ . قَالَ) تعالى (يَا إِبْلِيسُ مَا لَكَ) ما منعك (أَنْ لَا) زائدة (تَكُونَ مَعَ السَّاجِدِينَ . قَالَ لَمْ أَكُنْ لِأَسْجُدَ) لا ينبغي لى أن أسجد (لِبَشَرٍ خَلَقْتَهُ مِنْ صَلْصَالٍ مِنْ حَمَلٍ مَسْنُونٍ . قَالَ فَأَخْرِجْ مِنْهَا) أى من الجنة وقيل من السموات (فَإِنَّكَ رَجِيمٌ) مطرود (وَإِنَّ عَلَيْكَ اللَّعْنَةَ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ) الجزاء (قَالَ رَبِّ فَأَنْظِرْنِي إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ) أى الناس (قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ الْمُنْظَرِينَ : إِلَى يَوْمِ الْوَقْتِ لِلْعُلُومِ) وقت النفخة الأولى (قَالَ رَبِّ إِنَّمَا أَغْوَيْتَنِي) أى ياغوائك لى والباء للقسم وجوابه (لَأَزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ) للعاصي (وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ . إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمْ الْمُخْلِصِينَ) أى المؤمنين (قَالَ) تعالى (هَذَا صِرَاطٌ عَلَىٰ مُسْتَقِيمٍ) وهو (إِنَّ عِبَادِي) أى المؤمنين (لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ) قوة (إِلَّا) لكن (مَنْ أَتَّبَعَكَ مِنَ الْكَافِرِينَ) الكافرين (وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمَوْعِدُهُمْ أَجْمَعِينَ) أى من تبعك معك (لَهَا سَبْعَةُ أَبْوَابٍ) أطباق (يَكُلُّ بَابٌ مِنْهَا) منها (مِنْهُمْ جُزْءًا) نصيب (مَقْسُومٌ . إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ) بساتين ،

(وعيون)

وإن لم يتقدم لهم ذكر للعلم بهم (قوله المخلصين) أى الذين أخلصوا في أعمالهم

فلا تسلط لى عليهم (قوله قال هذا صراط على مستقيم) أى هذا دين مستقيم لا عوجاج فيه فعلى حفظه فضلاً وإحساناً (قوله إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ) حاصل ذلك أن إبليس لما قال : لأزوين لهم في الأرض ولأغوينهم أجمعين لإعبادك منهم المخلصين أوهم بذلك أن له سلطاناً على غير المخلص فينبى تعالى أنه ليس له سلطان على أحد من العباد لامن المخلصين ولامن غيرهم بل من اتبعه فهو من طرده الله له لامن سلطنة إبليس ، ويؤيده قوله في الآية الأخرى : إن كيد الشيطان كان ضعيفاً وتقييد المفسر بالمؤمنين نظراً للصورة (قوله لكن) أشار بذلك إلى أن الاستثناء منقطع (قوله لها سبعة أبواب) أى وأعلاها جهنم وهى لعنة المؤمنين ثم لظى لليهود ثم الحطبة للنصارى ثم السمر للصائبين ثم سقر للجوس ثم الجحيم لعباد الوثن ثم لهاوية للمنافقين (قوله لكل باب) أى طبقة من أطباقها (قوله جزء مقسوم) أى حزب معد لها (قوله إن المتقين) أى الذين اتقوا الشرك وهم المؤمنون ولوعصاة لأن المتقى هو الآتى بالتقوى ولومرة واحدة غير أن العاصي إذا مات مصرّاً على العاصي تحت المشيئة إن شاء عذبه مدة ثم يعفو عنه بشفاعة النبي صلى الله عليه وسلم وإن شاء لم يعذبه ، وهذا هو مذهب أهل السنة والجماعة ، وقال أبو هاشم الجبائي وجمهور المعتزلة : إن للمتقين هم الذين اتقوا جميع العاصي فلا يثبت دخول الجنة إلا لمن ترك جميع العاصي

وهذا مذهب باطل لما نقلته النصوص القرآنية والأحاديث النبوية . والذي يجب الإيمان به أن الجنة تملك بالموت على كلمة التوحيد ولو معها أمثال الجبال من المعاصي غير أن أهل الجنة مراتب (قوله وعيون) يحتمل أن المراد بها الأنهار التي قال الله فيها = مثل الجنة التي وعد للتقون فيها أنهار من ماء غير آسن - الآية ، ويحتمل أن تكون زيادة عليها وهل كل مؤمن له عدة بساتين وعدة أنهار ، أو كل له بستان ونهر لمقابلة الجمع بالجمع (قوله ويقال لهم) أى إذا أرادوا الانتقال من محل إلى آخر والإفهم مستقرون فيها فأمرهم حينئذ بالدخول تحصيل حاصل ، والقائل يحتمل أن يكون الملائكة أو الله تعالى (قوله بسلام) الجار والمجرور متعلق بمحذوف حال من الواو في ادخلوها : أى ادخلوها حال كونكم مصحوبين بسلامة من الله من جميع المخاوف والمكافرة وهذا على المعنى الأول الذى ذكره المفسر ، ويقال على المعنى الثانى ادخلوها مصحوبين بسلام من بعضكم لبعض ومن الملائكة أى يسلم بعضكم على بعض وتسلم الملائكة عليكم (قوله أى سلموا) تفسير للمعنى الثانى (قوله آمنين) قدر المفسر ادخلوا إشارة إلى أنه حال ثانية وهى مرادفة للأولى ولا حاجة لهذا التدوير (قوله من كل فرع) أى ومنه زوال ما هم فيه من النعيم المقيم وقوله بسلام آمنين زيادة فى سرور أهل الجنة لأن النعيم إذا لوحظ فيه عدم الانقطاع كان فى غاية السرور ولا شك أن الجنة كذلك بخلاف الدنيا فإن نعيمها ملاحظ فيه الانقطاع عند حصوله فذلك كانت دارهم وغم (قوله من غل) الغل هو من أمراض القلب كالخسب والكبر والعجب والشحناء والبغضاء . روى أن المؤمنين يوقفون على باب الجنة وقفة فيقتص بعضهم من بعض ثم يؤمر بهم إلى الجنة ، وقد نقي الله قلوبهم من الغل والنفس والحقد والحسد فهم يحبون بعضهم بحبهم لربهم وشأن الحب أن لا يكون محبوبه غل فى قلبه بل بينهم الصفاء والوفاء (قوله حال من هم) أى من ضمير صدورهم المضاف إليه والشرط

موجود لأن المضاف جزء المضاف إليه ، والمعنى وزعنا ما فى صدورهم من غل حال كونهم متآخين فى المودة والمحبة (قوله على سر) جمع سرير وهو كما قال ابن عباس من ذهب مكلل بالزبرجد والدر

(وَعُيُونٌ) تجرى فيها ، ويقال لهم (ادخلوها بسلام) أى سالمين من كل مخوف أومع سلام أى سلموا وادخلوا (آمينين) من كل فرع (وَتَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِنْ غِلٍّ) حقد (إِخْوَانًا) حال من هم (عَلَى سُرُرٍ مُتَقَابِلِينَ) حال أيضا ، أى لا ينظر بعضهم إلى قفا بعض لدوران الأسرة بهم (لَا يَمَسُّهُمْ فِيهَا نَصَبٌ) تعب (وَمَا هُمْ مِنْهَا بِمُخْرَجِينَ) أبداً (نَبِيٌّ) خبر يا محمد (عِبَادِي أَنَّى أَنَا الْغَفُورُ) للمؤمنين (الرَّحِيمُ) بهم (وَأَنْ عَذَابِي) للعصاة (هُوَ الْعَذَابُ الْأَلِيمُ) المؤلم (وَنَبِّئُهُمْ عَنْ ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ) وهم ملائكة اثنا عشر أو عشرة أو ثلاثة

والياقوت والسرير مثل ما بين صنعاء إلى الجابية (قوله حال أيضا) أى من الضمير فى إخوانا (قوله لدوران الأسرة بهم) أى أنهم إذا اجتمعوا وتلاقوا ثم أرادوا الانصراف يدور سرير كل واحد منهم بحيث يبقى مقابلا بوجهه لمن كان عنده وقفاه إلى الجهة التى يسير لها السرير وهذا أبلغ فى الأناجى والاكرام (قوله لا يمسهم فيها نصب) أى إعياء بخلاف الدنيا فيها الإعياء والتعب والكسدرات والمشقات (قوله وما هم منها بمخرجين) أى بل هم خالدون فيها لا يزولون ولا يحولون فالجنة خلود بلا زوال وبقاء بلا فناء وكما لا نقصان (قوله نبى عبادى الخ) أى أخبر يا محمد عبادى المؤمنين العاصين بأننى أنا الغفور الرحيم فلا يقنطون من رحمتى ولا يخافون عذابى وهذا من الله تعطف لعباده واستجلاهم للتوبة وقد أكد هذه الجملة بألفاظ ثلاثة أو لها أنى وثانيها أنا وثالثها تعريف الجملة بأل ، ولما ذكر العذاب لم يقل وأنى أنا المعذب وهذا يدل على أن الرحمة تغلب الغضب فلا يستبعد العاصى رحمة الله بل يقبل على سيده بالتوبة والانابة فانه هو الغفور الرحيم ففى كان فى العبد أوصاف متعددة تقتضى الغضب ووصف واحد يقتضى الرحمة فان وصف الرحمة يغلب (قوله وأن عذابى هو العذاب الأليم) أتى بهذه الآية لمناسبة ذكر النار أولا فقد ذكر النار والجنة ثم ذكر ما يناسب كلا على سبيل اللف والنشر المشوش . واستفيد من هذه الآية أن العبد يكون بين الرجاء والخوف فى الحديث عن عبادة بن الصامت رضى الله عنه أنه قال « بلغنا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : لو يعلم العبد قدر عفو الله ما تورع ولو يعلم قدر عذابه لجمع نفسه إلى قتله » وعنه صلى الله عليه وسلم « أنه مر بنفر من أصحابه وهم يضحكون فقال أنضحكون وبين أيديكم النار ؟ فزل نبي عبادى الخ (قوله ونبئهم عن ضيف إبراهيم) معطوف على قوله نبى عبادى الخ ، والمعنى وأخبر عبادى عن قصة ضيوف إبراهيم الخ . واعلم أنه فى هذه السورة أثبت نبوة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم أولا ثم أتبع ذلك بذكر أدلة التوحيد ، ثم خلق آدم وما يتعلق به ثم بين أهل السعادة وأهل الشقاوة ثم أتبع ذلك بذكر قصص بعض الأنبياء

ليكون عبرة للمتعبين وأوقع في نفس المتعطين ، وقد ذكر هنا أربع قصص قصة إبراهيم ثم قصة لوط ثم قصة شعيب ثم صالح على سبيل الاختصار وقد تقدمت في سورة هود بأبسط مما هنا (قوله عن ضيف إبراهيم) الضيف في الأصل الليل سمي النازل للقرى بذلك لميله إليك ونزوله عندك وهو مصدر يستوي فيه الواحد والجمع والمذكر والمؤنث وقد يجمع ويثنى (قوله منهم جبريل) أى على كل من الأقوال الثلاثة (قوله إذ دخلوا) إذ ظرف معمول لمخوف تقديره اذكر (قوله أى هذا اللفظ) أى لفظ سلاما وهو مفعول مطلق لفعل محذوف تقديره سلمنا عليك أو سلم الله عليك سلاما ، ولم يذكر هنا رد السلام ولا بقية القصة اختصارا (قوله إنا منكم وجلون) تقدم أن سبب خوفه منهم أنه رأى فيهم جلال الله وهيبته (قوله قالوا لا توجل) قرأ السبعة بفتح التاء والجيم وفعله وجل كعلم وقرئ شذوذا بالبناء للمفعول ولا توجل بقلب الواو ألفا ولا توجل بضم التاء وزيادة ألف بعد الواو فالتقراءات الشاذة ثلاث (قوله أبشروني) هكذا بهمزة الاستفهام في قراءة الجمهور وقرئ شذوذا بحذفها فيجتمل الاخبار والاستفهام وحذفت أداته للعلم بها (قوله على أن مسنى الكبير) أى فكان عمره إذ ذاك مائة واثنى عشرة سنة (قوله فبم تبشرون) الجار والمجرور متعلق بتبشرون (٢٧٨) وقدم لأن الاستفهام له صدر الكلام وقرأ العامة بفتح النون مخففة على أنها

نون الرفع وقرأ نافع بكسرهما مخففة وابن كثير بكسرهما مشددة (قوله استفهام تعجب) أى من أن يولد له ولد مع مسنى الكبير إياه وتعجبه بالنظر للعادة لا بالنظر لقدرة الله ولذا دفع ذلك بقوله ومن يقط من رحمة ربه إلا الضالون (قوله قالوا ابشروناك بالآيات) أى اليقين الذى لا لبس فيه (قوله أى لا يقطع) أشار بذلك إلى أن الاستفهام إنكارى بمعنى التنى (قوله بكسر النون وفتحها) أى فهما

منهم جبريل (إِذْ دَخَلُوا عَلَيْهِ فَقَالُوا سَلَامًا) أى هذا اللفظ (قَالَ) إبراهيم لما عرس عليهم الأكل فلم يأتوا كلوا (إِنَّا مِنْكُمْ وَجِلُونَ) خائفون (قَالُوا لَا تَوْجَلْ) تحف (إِنَّا) رسل ربك (نُبَشِّرُكَ بِغُلَامٍ عَالِمٍ) ذى علم كثير هو إسحق كما ذكر في هود (قَالَ أَبَشِّرْهُنَّ بِبَنِينَ) بالولد (قَالَ أَنْ مَسْنَى الْكَبِيرِ) حال أى مع مسه إياى (فَبِأَى شَيْءٍ) (نُبَشِّرُونَ) استفهام تعجب (قَالُوا بَشِّرْنَاكَ بِالْحَقِّ) بالصدق (فَلَا تَكُنْ مِنَ الْفَانِينَ) الآيسين (قَالَ وَمَنْ) أى لا (يَفْنُطُ) بكسر النون وفتحها (مِنْ رَحْمَةِ رَبِّهِ إِلَّا الضَّالُّونَ) الكافرون (قَالَ فَمَا خَطْبُكُمْ) شأنكم (أَيُّهَا الْمُرْسَلُونَ) قَالُوا إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَى قَوْمٍ مُّجْرِمِينَ) كافرين أى قوم لوط لإهلاكهم (إِلَّا آلَ لُوطٍ إِنَّا لَمُنَجُّوهُمْ أَجْمَعِينَ) لايمانهم (إِلَّا أَمْرًا أَنَّهُ قَدْ رَأَيْنَا إِنِّهَا لَمِنَ الْغَابِرِينَ) الباقين في العذاب لكفرها (فَلَمَّا جَاءَ آلَ لُوطٍ) أى لوطا (الْمُرْسَلُونَ) قَالَ لَهُمْ (إِنَّكُمْ قَوْمٌ مُّسْكِرُونَ) لا أعرفكم (قَالُوا بَلْ جِئْنَاكَ بِمَا كَانُوا) أى قومك (فِيهِ يَمْتَرُونَ) يشكون وهو العذاب (وَأَتَيْنَاكَ بِالْحَقِّ وَإِنَّا لَصَادِقُونَ) في قولنا (فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِنَ اللَّيْلِ وَاتَّبِعْ أَدْبَارَهُمْ) امش خلفهم (وَلَا يَلْقَافُ مِنْكُمْ أَحَدٌ) ،

ثلاث

قراءتان سبعيتان وقرئ شذوذا بضم النون (قوله قال فما خطبكم)

أى الذى أرسلتم لأجله سوى البشارة فإن البشارة يعنى فيها واحد فلا تحتاج لعدد (قوله إلا آل لوط) يحتمل أن يكون مستثنى من الإرسال ، والمعنى إنا أرسلنا إلى قوم مجرمين إلا آل لوط فلم نرسل لهلاكهم بل أرسلنا لنجاتهم وحينئذ يكون الاستثناء متصلا ، أو مستثنى من قوم مجرمين فهو منقطع لأنهم لم يدخلوا في القوم المجرمين ، ويشير للثاني قول المفسر لايمانهم (قوله إلا امرأته) الأقرب أنه مستثنى من ضمير منجوهم (قوله قدرنا) إسناد التقدير لللائكة عجز إذ المقدر حقيقة هو الله تعالى وهذا كما يقول خواص الملك : أمرنا بكذا والأمر هو الملك (قوله الباقين في العذاب) أى فيقال غير الشئ : بقى ، ويقال أيضا مضى فهو من الأضداد (قوله فلما جاء آل لوط) أى بعد أن خرجوا من عند إبراهيم وسافروا لقرية لوط وكان بينهما أربعة فراسخ (قوله أى لوطا) أشار بذلك إلى أن لفظة آل زائدة بدليل الآية الأخرى - ولما جاءت رسلنا لوطا - (قوله منكرون) أى تنسركم نفسى وتجزع منكم ، وإنما جزع منهم لخوفه من قومه عليهم بدليل آية هود : ولما جاءت رسلنا لوطا ساء بهم وضاق بهم ذرعا وقال هذا يوم عصيب (قوله وأتيناك بالحق) الباء للابسة أى متلبسين بالحق (قوله فأسر بأهلك) أى وهم بقاء فلم يخرج من قريته إلا هو وبناته (قوله بقطع من الليل) أى في جزء منه (قوله امش خلفهم) أى لتطمئن عليهم .

(قوله ثلاثا يرى عظيم ما ينزل بهم) أى فيزجج من ذلك (قوله وهو الشام) أى فظوى الله لهم الأرض في الوقت حتى نجوا ووصلوا إلى إبراهيم (قوله أوحينا) أشار بذلك إلى أن قضينا ضمن معنى أوحينا فعدى بما تعدى به (قوله وجاء أهل المدينة) الواو لا تقتضى ترتيبا ولا تعقيبا فإن هذا المجرى قبل إعلام اللانكسة له بأنهم رسل الله فالقصة هنا على خلاف الترتيب الواقى بخلافها في هود (قوله مدينة سدوم) بالسین المهملة واللام المعجمة وأخطأ من قال بالمهملة (قوله يستبشرون) أى يبشر بعضهم بعضا بأضياف لوط وتقدم أن الخبر لهم بالضیوف امرأة لوط (قوله فلا تفضحون) أى لا تسيئون فيهم (قوله واتقوا الله) أى خافوا عقابه (قوله عن العالمين) أى عن تضييف أحد من الغرباء وكانوا يمنعونهم من مخالطة الناس وإضافتهم خوفا من أن يؤلفهم ويستعين بهم عليهم (قوله فتزوجوهن) أى إن أسلمتم ويحتمل أنه كان في شريعته يحل تزوج الكافر بالمسلمة وتقدم في هود أنه يحتمل أن المراد نساء أمته (قوله لعمرك) ففتح العين لغة في العمر (٢٧٩) بضميتين وهو مدة حياة الانسان

في الدنيا ولكن لم يرد القسم في كلام العرب إلا بالفتح (قوله إنهم) أى قوم لوط ، وقيل المراد قريش وعلى كل حال فهذه الجملة معترضة بين قصة قوم لوط (قوله أى وقت شروق الشمس) أى طلوعها وهذا بيان لانتفاء العذاب وابتدائه كان وقت الصباح (قوله فجعلنا عاليها) أى وجه الأرض وماعليه (قوله أى قرام) أى وكانت أربعة فيها أربعمائة ألف مقاتل ، وقيل خمسة وفيها أربعة آلاف (قوله وأمطرنا عليهم) تقدم في هود أنه يحتمل أن المطر كان على من كان غائبا عن القرى

ثلاثا يرى عظيم ما ينزل بهم (وَأَمْضُوا حَيْثُ تُؤْمَرُونَ) وهو الشام (وَقَصَيْنَا) أوحينا (إِلَيْهِ ذَلِكَ الْأَمْرَ) وهو (أَنَّ دَابِرَ هَؤُلَاءِ مَقْطُوعٌ مُصْبِحِينَ) حال أى يتم استئصالهم في الصباح (وَجَاءَ أَهْلُ الْمَدِينَةِ) مدينة سدوم وهم قوم لوط لما أخبروا أن في بيت لوط مردا حسانا وهم اللانكسة (يَسْتَبْشِرُونَ) حال طمعا في فعل الفاحشة بهم (قَالَ) لوط (إِنَّ هَؤُلَاءِ ضَنِينِي فَلَا تَفْضَحُونِ . وَاتَّقُوا اللَّهَ . وَلَا تَخْزُونِ) بقصدكم إياهم بفعل الفاحشة بهم (قَالُوا أَوْ لَمْ نَنْهَكَ عَنِ الْمَالِينِ) عن إضافتهم (قَالَ هَؤُلَاءِ بَنَاتِي إِنْ كُنْتُمْ فَاعِلِينَ) ما تريدون من قضاء الشهوة فتزوجوهن ، قال تعالى (لَعَمْرُكَ) خطاب للنبي صلى الله عليه وسلم ، أى وحياتك (إِنَّهُمْ لَفِي سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ) يترددون (فَأَخَذْنَاهُمُ الصَّيْحَةَ) صيحة جبريل (مُشْرِقِينَ) وقت شروق الشمس (فَجَعَلْنَا عَالِيَهَا) أى قرام (سَافِلَهَا) بأن رفعها جبريل إلى السماء وأسقطها مقلوبة إلى الأرض (وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ حِجَابًا مِنْ سِجِّيلٍ) طين طين بالنار (إِنَّ فِي ذَلِكَ) المذكور (لَايَاتٍ) دلالات على وحدانية الله (لِلْمُؤْمِنِينَ) للناظرين المتبرين (وَأَنَّهَا) أى قرى قوم لوط (لَيْسَ بِلِئِيمٍ) طريق قريش إلى الشام لم تدرس أفلا يعتبرون بهم (إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً) لعبرة (لِلْمُؤْمِنِينَ) وإن محفة أى إنه (كَانَ أَصْحَابُ الْأَيْكَةِ) هي غيضة شجر بقرب مدين وهم قوم شيب (لَفَالِإِنْ) بتكذيبهم شعبيا (فَانْتَقَمْنَا مِنْهُمْ) بأن أهلكناهم بشدة الحر (وَأَنَّهَا) أى قرى قوم لوط والأيككة (لَبِئْسَ مَا) :

ويحتمل أنه عليهم بعد قلبها بهم (قوله إن في ذلك المذكور) أى من قصة إبراهيم ولوط (قوله للمؤمنين) أى المتفكرين الذين يتأملون الشيء فيعرفون حقيقته (قوله لم تدرس) أى آثارهم (قوله لعبرة للمؤمنين) خصوا بالذكر لأنهم المنتفعون بذلك (قوله وإن كان أصحاب الأيكة) شروع في ذكر قصة شعب مع قومه أصحاب الأيكة وذكرت هنا مختصرة وسيأتى بسطها في سورة الشعراء (قوله محفة) أى واسمها ضمير الشأن وكان ناقصة وأصحاب الأيكة اسمها ولظالمين خبرها واللام للتوكيد والجملة خبر إن (قوله هي غيضة شجر) النبيضة في الأصل اسم للشجر اللتف ، والمراد بها هنا المكان الذي فيه الشجر الكثر . ونسبوا لها ملازمتهما لها وإقامتهما عندها وكان عامة شجرهم للقل : أى العدم (قوله بتكذيبهم شعبيا) أى وبخسهم السكيل والميزان وقطعهم الطريق (قوله بشدة الحر) أى فسلطها الله عليهم سبعة أيام حتى قربوا من الهلاك فبعث الله لهم سحابة كالظلة فالتجأوا إليها واجتمعوا تحتها لتظلل بها فبعث الله عليهم منها نارا فأحرقتهم جميعا فأهلكهم أولا بشدة الحر وتم بالظلة ، وأما أهل مدين فأهلكوا بالصيحة كما تقدم في سورة هود من أنه أرسل لأهل مدين ولأصحاب الأيكة .

(قوله طريق مبين) أى ومضى الطريق إماماً لأنه يؤم ويقبض لأن الإنسان إذا أراد الانتقال من موضع لأخر فانه يأتم بالطريق حتى يصل الى الموضع الذى يريد (ولقد كذب أصحاب الحجر) شروع فى قصة صالح (قوله واد بين المدينة والشام) أى وآثاره باقية يمر عليها الذهاب من الشام للحجاز (قوله لأنه تكذيب لباقي الرسل) جواب عما يقال لم جمع للرسلين مع أنهم لم يكذبوا إلا رسولا واحدا (قوله وآتيناهم) أضاف الإتياء لهم وإن كان لصالح لأنه مرسل لهم (قوله فى الناقة) أشار بذلك إلى أن الناقة وإن كانت آية واحدة إلا أنها اشتملت على آيات تخرجها من الصخرة وعظم جثتها وغزارة لبنها وولادتها فصيلا قدرها (قوله لا يشفكرون) أى لا يتأملون ولا ينظرون فيها (قوله وكانوا ينتحون من الجبال بيوتا) أى ينقرون الجبال بالماويل حتى صير بيوتا من غير بيان (قوله آمين) أى من وصول الموصوف لهم ومن تخريب الأعداء لبيوتهم لشدة إتيانها (قوله فأخذتهم الصيحة) أى من السماء والزلزلة من الأرض لما عقروا الناقة ، وتقدم فى هود أن صالحا قال لهم قبل نزول العذاب بهم: تمتعوا فى دياركم ثلاثة أيام (قوله وقت الصباح) أى بعد مضي الثلاثة الأيام (قوله ما كانوا يكسبون) ما أصم موصول أو مصدرية أو نكرة موصوفة فاعل أغنى ، والتقدير الذى كانوا يكسبون أو كسبهم أو شئ يكسبونه (قوله من بناء الحصون الخ) بيان لما (قوله إلا بالحق) أى الإخلاص ملتبسا بالحكمة والصلحة والنافع للعباد ودلائل على وحدانية الله (قوله وإن الساعة) أى القيامة (٢٨٠) (قوله فيجازى كل واحد بعمله) أى فينتقم من السيء وينص على الحسن (قوله

وهذا منسوخ) أى قوله - فاصفح الصفح الجميل - وهو أحد قولين ، والثانى أن الآية محكمة ، ولا ينافى أمره بالقتال فإن المقصود أمره بأن يصفح عن الخلق الصفح الجميل ويعاملهم بالخلق الحسن فيعفو عن السيء ويسامح للذنوب وإن كان مأمورا بقتال المشركين فقتاله للأمر به لاهوى نفسه ، ولذا قال البوصيرى :

طريق (مبين) واضح أفلا تعتبرون بهم يا أهل مكة (ولقد كذب أصحاب الحجر) واد بين المدينة والشام وهم ثمود (المُرسلين) بتكذيبهم صالحا لأنه تكذيب لباقي الرسل لا اشتراكهم فى المحيى بالتوحيد (وآتيناهم آياتنا) فى الناقة (فكانوا عنها معرضين) لا يشفكرون فيها (وكانوا ينتحون من الجبال بيوتا آمين) . فأخذتهم الصيحة مضحين) وقت الصباح (فأغنى) دفع (عنهم) العذاب (ما كانوا يكسبون) من بناء الحصون وجمع الأموال (وما خلقنا السموات والأرض وما بينهما إلا بالحق وإن الساعة لآتية) لا محالة فيجازى كل أحد بعمله فاصفح) ياعند عن قومك (الصفح الجميل) أعرض عنهم إعراضا لا جزع فيه وهذا منسوخ بآية السيف (إن ربك هو الخلاق) لكل شئ (العليم) بكل شئ (ولقد آتيناك سمعا من المثنائى) قال صلى الله عليه وسلم: هى الفاتحة رواه الشيخان؛ لأنها تنفى فى كل ركعة (والقرآن العظيم) .

لا

ولو أن انتقامه لهُوى النفس لدامت قطيعة وجفاء

(قوله ولقد آتيناك سمعا من المثنائى) سبب نزولها أن سبع قوافل أتت من بصرى وأذرعات فى يوم واحد ليهود قريظة والنضير فيها أنواع من البر والطيب والجواهر ، فقال المسلمون : لو كانت هذه الأموال لنا لتقرّبنا بها وأنفقناها فى سبيل الله فنزلت ، والمعنى قد أعطيتكم سبع آيات هى خير لكم من سبع قوافل . إن قلت إن معنى ذلك أن تكون الآية مدنية مع أنه تقدم أن السورة مكية باجماع . أجيب بأنه لا مانع أن هذه الآية نزلت مرتين مرة بمكة ومرة بالمدينة (قوله هى الفاتحة) أى لأنها سبع آيات ، فمن عدّ البسملة آية منها تكون الآية الأخيرة - صراط الدين - الخ ، ومن لم يعدّها آية تكون السابعة قوله - غير المغضوب عليهم ولا الضالين - وهذا القول هو الراجح وعليه فيكون عطف قوله - والقرآن العظيم - من عطف الكل على الجزء أو من عطف العام على الخاص ، وقيل للراد بالسبع المثنائى الحواميم ، وقيل السبع الطوال أو لها البقرة وآخرها مجموع الأنفال مع براءة ، وقيل - جميع القرآن وعليه يكون العطف مرادفا (قوله لأنها تنفى فى كل ركعة) أى تعاد فى كل ركعة ، وهذا أحد الوجوه فى سبب تسميتها بالمثنائى ، وقيل سميت بذلك لأنها مقسومة بين العبد وبين الله نصفين فنصفها الأوّل ثناء على الله ونصفها الثانى دعاء ، وقيل لأن كلماتها مثناة مثل قوله - الرحمن الرحيم إياك نعبد وإياك نستعين - الى آخرها ، وقيل لأنها نزلت مرتين مرة بمكة ومرة بالمدينة معها سبعون ألف ملك .

(قوله لا تمدن عينيك) أى لا ترغب فيما متعنا به أصنافا من الكفار فإنه مستحقر ، وفي الحديث عن أبي بكر قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من أوتي القرآن فرأى أن أحدا أوتي من الدنيا أفضل مما أوتي فقد صغر عظميا وعظم صغيرا » (قوله ولا تحزن عليهم) أى لا جهم (قوله ألن جانبك) أى تواضع لهم وارحمهم كالطائر الذى يخفض جناحه على أفراده رحمة بها وشفقة عليها ، وقد فعل صلى الله عليه وسلم ما أمر به . قال البوصيرى فى هذا المعنى :

أحل أمته فى حرز ملتته كالبيت حل مع الأشبال فى أجم

(قوله كما أنزلنا) الكاف حرف تشبيه وجر وما اسم موصول فى محل جر والجار والمجرور متعلق بمحذوف ، والتقدير وقل إلى أنا النذير لكم بالعذاب كالعذاب الذى أنزلناه على المقتسمين والماضى بمعنى المستقبل إذ الذى نزل بأهل مكة لم يكن واقعا حين نزول الآية بل وقع بعد الهجرة وكذا ما وقع للمقتسمين طرق مكة لم يكن واقعا حينئذ بل وقع يوم بدر . إن قلت إن العذاب المنذر به ينبئ تشبيهه بشئ قد وقع ليحصل به الاتعاط . أجيب بأنه سهل ذلك تحتم نزوله فكأنه واقع ولا بد وقد تحقق ذلك يوم بدر (قوله اليهود والنصارى) أى حيث اقتسموا كتبهم فآمنوا ببعضها الذى وافق هواهم وكفروا ببعض الذى خالفه (قوله الذين جعلوا) بيان للمقتسمين (قوله القرآن) المراد به على هذا التفسير معناه اللغوى فينشد صح تفسير المفسر له بكتبهم المنزلة عليهم (قوله عظيم) جمع عضة وأصلها قيل عضو ، (٢٨١) وقيل عضة فعلى الأول يكون

من عضى الشاة إذا جعلها أعضاء : أى أجزاء متفرقة وعلى الثانى يكون من عضة إذا كذب ، والمعنى جعلوا القرآن أجزاء متفرقة أو جعلوه أكاذيب (قوله وقيل المراد بهم الذين اقتسموا طرق مكة) أى وهم ستة عشر رجلا بعضهم الوليد بن المغيرة أيام الموسم فاققسموا أعتاب مكة وأنقابها وخفاجها يقولون

لَا تَمُدَّنْ عَيْنَيْكَ إِلَى مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا (أصنافا) مِنْهُمْ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ) إِنْ لَمْ يُؤْمِنُوا (وَأَخْفِضْ جَنَاحَكَ) أَلِنْ جَانِبَكَ (لِلْمُؤْمِنِينَ. وَقُلْ إِنِّي أَنَا النَّذِيرُ) مِنْ عَذَابِ اللَّهِ أَنْ يَنْزِلَ عَلَيْكُمْ (الْمُبِينُ) الْبَيِّنُ الْإِنْذَارُ (كَمَا أَنْزَلْنَا) الْعَذَابَ (عَلَى الْمُقْتَسِمِينَ) الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى (الَّذِينَ جَعَلُوا الْقُرْآنَ) أَى كَتَبَهُمُ النُّزْلَةَ عَلَيْهِمْ (عِصِينَ) أَجْزَاءَ حَيْثُ آمَنُوا بِبَعْضٍ وَكَفَرُوا بِبَعْضٍ ، وَقِيلَ الْمُرَادُ بِهِمُ الَّذِينَ اقْتَسَمُوا طَرُقَ مَكَّةَ يَصُدُّونَ النَّاسَ عَنِ الْإِسْلَامِ وَقَالَ بَعْضُهُمْ فِي الْقُرْآنِ سِحْرٌ وَبَعْضُهُمْ كِهَانَةٌ وَبَعْضُهُمْ شَرٌّ (فَوَرَبِّكَ لَنَسْأَلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ) سَوَالُ تَوْبِيخٍ (عَمَّا كَانُوا يَفْعَلُونَ. فَأُصْذِعْ) يَأْمَحِدُ (بِمَا تُؤْمَرُ) أَيْ أَجْهَرُ بِهِ وَأَمْضُهُ (وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ) هَذَا قَبْلَ الْأَمْرِ بِالْجِهَادِ (إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ) بِكَ بِإِهْلَاكِهَا كُلًّا مِنْهُمْ بِأَفْعٍ ،

لمن سلكها لا تغتروا بهذا الخارج فينا يدعى النبوة فإنه مجنون وربما قالوا ساحر وربما قالوا شاعر وربما قالوا كاهن ، وسماوا بالمقتسمين لأنهم اقتسموا هذه الطرق فأماهم الله شر مينة وكانوا تصبوا الوليد بن المغيرة حكما على باب المسجد فإذا سأله عن النبي صلى الله عليه وسلم قال صدق أولئك ، وما ذكره المفسر قولان من سبعة ذكرها القرطبي (قوله وقال بعضهم) معطوف على اقتسموا فالضمير فى بعضهم عائد على الذين اقتسموا وهو إشارة إلى أن المراد بالقرآن على هذا القول الكتاب المنزل على سيدنا محمد فجعلوه أجزاء حيث اختلفت أقوالهم فيه فقال بعضهم سحر و بعضهم كهانة أو المراد جعلوه أكاذيب فلم يؤمنوا به (قوله سؤال توبيخ) جواب عما يقال إنه أثبت سؤالهم هنا ونفاه فى سورة الرحمن حيث قاله - فيومئذ لا يسئل عن ذنبه إنس ولا جان - فحاصل الجواب أن المذنب هناك سؤال الاكرام والاحترام والثبت هنا سؤال التوبيخ والتفريع (قوله فاصدع بما تؤمر) سبب نزولها أن رسول الله أول أمره كان يدعو الى الله محتفيا ويأمر كل من آمن به بالاختفاء فلما نزلت هذه الآية أظهر أمره وبالغ فى إظهاره (قوله هذا قبل الأمر بالجهاد) أى فتسكون الآية منسوخة ، وقيل ليست منسوخة بل هى محكمة ، والمعنى لا تاتفت لهم ولا تبال بهم (قوله إنا كفيناك المستهزئين) أى وهم جماعة من قومه كانوا يسخرون به ويبالغون فى إزدائه وإعجابات هؤلاء العقوبة لشدة إزدائهم لرسول الله وبفهمهم له والافالمستهزئون كثير كأتى لمب وزوجته وولده وأبى جهل

(قوله وهم الوليد بن المغيرة) أي وقد مرّ رجل نبيل وهو يجرّ إزاره فتعلقت قطعة من النبل بإزار الوليد فمنعه التكبر من يطأه رأسه وينزعها فجعلت تضرب في ساقه فخذشته ففرض منها فمات ، وقوله والعاصي بن وائل خرج على راحلته ينزعه يدخل شعبا فدخلت شوكة في أخمص رجله فانتفخت حتى صارت مثل عنق البعير فمات مكانه ، وقوله وعدى بن قيس الصواب الحارث بن قيس بن الطلائع كما ذكره في الحمزية وشرحها والحازن وغيرهم من كتب التفسير وقد هلك بأن صار التيسع يجري من أنفه وعينه وفمه حتى هلك ، وقوله والأسود بن مطلب رماه جبريل بورقة خضراء فذهب بصره ووجعت عينه فجعل يضرب برأسه الجدار حتى هلك ، وقوله والأسود بن عبد يغوث أصابه مرض الاستسقاء فمات به ، وقيل إن النبي صلى الله عليه وسلم شكّا هؤلاء الخمسة لجبريل عليه السلام فكفاه الله شرّهم ، وقد أجاد صاحب الحمزية حيث قال في حقهم

وكفاه المستهزئين وكفاه نبيّا من قومه استهزاء
ورماه بدعوة من فناء السيت فيها للظالمين فناء
خمسهم أصيبوا بداء والردى من جنوده الأدواء
فدهى الأسود بن عبد يغوث أن سقاه كأس الردى استسقاء
وأصاب الوليد خدشة سهم قصرت عنها الحية الرقطاء
وقضت شوكة على مبهجة العا (٢٨٢) ص فله النقعة الشوكاء
وعلى الحارث القيوح وقد ساء ل بها رأسه وساء الوعاء

خمس طهرت بقطمهم الأثر
ض فكف لأذى بهم
شلاء

(قوله الذين يجعلون مع الله إلها آخر) أي
يشركون في عبادته غيره
(قوله فسوف يعلمون) أي
هذا تهديد ووعد لهم
(قوله بما يقولون) أي
بسبب قولهم وتسكلمهم
في شأنك فإن شأن ذلك
يضيق منه الصدر
بحسب الطبيعة البشرية
(قوله فسبح بحمد ربك)

وهم الوليد بن المغيرة والعاصي بن وائل وعدى بن قيس والأسود بن مطلب والأسود بن عبد يغوث (الَّذِينَ يَجْعَلُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ) صفة وقيل مبتدأ ولتضمنه معنى الشرط دخلت الفاء في خبره وهو (فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ) عاقبة أمرهم (وَلَقَدْ) للتحقيق (نَعْلَمُ أَنَّكَ يَصِيقُ صَدْرَكَ بِمَا يَقُولُونَ) من الاستهزاء والتكذيب (فَسَبَّحْ) ملتبسا (بِحَمْدِ رَبِّكَ) أي قل سبحان الله وبحمده (وَكَُنْ مِنَ السَّاجِدِينَ) الصلّين (وَأَعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّى يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ) الموت

(سورة النحل)

مكية إلا : وإن عاقبتهم إلى آخرها : مائة وثمان وعشرون آية

(بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ)

١١

أي فافزع إلى ربك والتجئ إليه يذكرك ما همك من أمور الدنيا والآخرة

في الحديث « اعمل لوجه واحد يذكرك كل الأوجه » (قوله أي قل سبحان الله وبحمده) أي تنزيها له عن كل نقص وإضافة بكل كال (قوله الصلّين) أشار بذلك إلى أن الكلام فيه مجاز من إطلاق الجزء على الكل رخص السجود بالذكر لأنه أشرف أركانها (قوله واعبد ربك) عطف عام على خاص ، والمعنى دم على عبادته (قوله حتى يأتيك اليقين) أي اعبد ربك في جميع زمن حياتك ولا تخل لحظة من عمرك من غير عبادة فإن العمر ساعة فاجعله طاعة ، وهذا الخطاب وإن كان للنبي صلى الله عليه وسلم إلا أن المراد منه العموم (قوله الموت) أي وسمى يقينا لأنه متيقن الوقوع والنزول .

[سورة النحل مكية] سميت بذلك لذكر قصة النحل فيها على سبيل العبرة العظيمة ، وتسمى أيضا سورة النمل لكثرة تعداد النمل فيها ، والمقصود من ذكر هذه السورة الدلالة على اتصافه تعالى بكل كمال وتنزيهاه عن كل نقص ، وأدل ما فيها على هذا المعنى أمر النحلة وشأنها في دقة فهمها واتخاذها البيت واختلاف ألوان ما يخرج منها وجعله شفاء مع أكلها من كل الثمرات النافعة والضارة الحلوة والمرّة وغير ذلك (قوله إلا وإن عاقبتهم) فإنها زلت بالمدينة في قتل حمزة وظاهر التفسير أنه لم يكن منها مدني إلا تلك الآيات وهو المشهور ، وقيل مكية إلا خمس آيات هؤلاء الثلاثة وقوله : والذين هاجروا في الله من بعد ما ظلموا ، وقوله : ثم إن ربك للذين هاجروا من بعد ما تنصوا ، وقيل غير ذلك .

(قوله لما استبطأ المشركون العذاب الخ) قال بن عباس لما نزل قوله تعالى - اقتربت الساعة واشتق القمر - قال الكفار بعضهم لبعض إن هذا الرجل يزعم أن اقيامة قد اقتربت فأمسكوا عن بعض ما كنتم عليه حتى تنظروا ما هو كائن فلما رأوا أنه لا ينزل شيء قالوا ما نرى شيئا فنزل - اقتراب للناس حسابهم - فأشفقوا فلما امتدت الأيام قالوا يا محمد ما نرى شيئا مما تخوفنا به فنزل - أتى أمر الله - فوثب النبي صلى الله عليه وسلم ورفع الناس رؤوسهم وظنوا أنها قد جاءت حقيقة فنزل - فلا تستعجلوه - فاطمأنوا (قوله أى الساعة) مثنى للفسر على أن المراد بأمر الله اقيامة وهو أحد قولين ، وقيل المراد بأمر الله عقوبة الكاذبين في الدنيا بالسيف (قوله وأتى بصيغة الماضي) أى على سبيل المجاز في الكلام استعارة تبيح حيث شبه الإتيان في المستقبل بالإتيان في الماضي بجامع تحقق الحصول في كل واستعير اسم المشبه به للشبه واشتق من الإتيان في الماضي أتى بمعنى يأتى (قوله فانه واقع لاحالة) أى ولا مفر لكم منه (قوله عما يشركون) تنازعه كل من سبحانه وتعالى وقوله غيره قدره إشارة إلى أن مفعول يشركون محذوف (قوله أى جبريل) أى وجمع تعظيما له (قوله بالوحى) أى وسمى روحا لأن به حياة القلوب الناشئة عنه السعادة الأبدية ومن حاد عنها فهو هالك كما أن الروح بها حياة الأجسام وهى بدونها حلكة (قوله بارادته) أشار بذلك إلى أن المراد بالأمر الارادة ومن بمعنى الباء (قوله أن مفسرة) أى وضابطها

تقدم جملة فيها معنى القول دون حروفه وهو قوله : ينزل الملائكة بالروح (قوله خوفوا الكافرين) أى بسد إعلامهم بالتوحيد (قوله بالعذاب) قدره إشارة إلى أن معمول الانذار محذوف وقوله أنه لا إله إلا أنا معمول لمحذوف قدره للمفسر بقوله وأعلموم (قوله فأتقون) أى امتثلوا أوامرى واجتنبوا نواهى فقيه

لما استبطأ المشركون العذاب نزل (أتى أمر الله) أى الساعة وأتى بصيغة الماضي لتحقق وقوعه ، أى قرب (فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ) تطلبوه قبل حينه فإنه واقع لاحالة (سُبْحَانَهُ) تنزيها له (وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ) به غيره (يُنَزِّلُ الْمَلَائِكَةَ) أى جبريل (بِالرُّوحِ) بالوحى (مِنْ أَمْرِهِ) بإرادته (عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ) وهم الأنبياء (أَنْ) مفسرة (أُنْذِرُوا) خوفا الكافرين بالعذاب وأعلموم (أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاتَّقُونِ) خافون (خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ) أى محققا (تَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ) به من الأصنام (خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ) منى إلى أن صيره قويا شديدا (فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ) شديد الخصومة (مُبِينٌ) مبينها في نقي البعث قائلنا من يحىي العظام وهى رميم (وَالْأَنْعَامُ) الإبل والبقر والغنم ونصبه بفعل مقدر يفسره (خَلَقَهَا لَكُمْ) فى جملة الناس (فِيهَا دِفْءٌ) ما تستدفنون به من الأكسية والأردية من أشعارها وأصوافها (وَمَنْفَعٌ) من النسل والدرر والركوب (وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ) قدم الظرف للفاصلة ،

تنبيه على الأحكام الفرعية بعد التنبيه على التوحيد (قوله أى محققا) أشار بذلك إلى أن الجار والمجرور فى محل نصب على الحال (قوله تعالى عما يشركون) أى تنزه عن إشراكهم به غيره (قوله خلق الإنسان) أى غير آدم (قوله من نطفة) من لا ابتداء الغاية وقوله إلى أن صيره قويا شديدا قدره جوابا عما يقال إن كونه خصيا مبينا لا يكون عقب خلقه من نطفة بل بعد قوته وشدته (قوله فى نقي البعث) فى السببية ، والمعنى أنه يخاصم ويجادل بسبب كونه منكرا للبعث (قوله قائلنا من يحىي العظام الخ) أشار بذلك إلى ما روى « أن أتى بن خلف جاء بالعظم الرميم إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا محمد أنظن أن الله يحىي هذا بعد مارم ؟ قال صلى الله عليه وسلم نعم » فى هذه الآية رد على هذا الكافر ومن هذا حذره (قوله والأنعام خلقها) هذا من جملة أدلة توحيد و تعداد نعمه ، وذلك أن الله تعالى لما ذكر خلق السموات والأرض أتبعه بذكر خلق الإنسان ثم يذكر ما يحتاج إليه فى ضروراته من أكل وليس فذكر الأنعام التى يكون منها ذلك (قوله فى جملة الناس) أشار بذلك إلى أن الخطاب فى لسمك لتريش ولو حمل على العموم كما هو الواقع لاستغنى عن ذلك (قوله فيها دفء) هو بوزن حمل يطلق على كل ما يستدفأ به من ملبوس ومأكول (قوله وأصوافها) أى وأوبارها (قوله ومنافع) عطف عام على خاص (قوله والدرر) أى اللين (قوله والركوب) أى بالنسبة للجموع (قوله للفاصلة) أى للاحصر فإن الإنسان قد يأكل من غيره وليس منها عنه قال تعالى : قل من حرم زينة الله التى أخرج لعباده والطيبات من الرزق .

(قوله ولكم فيها) أى الأنعام (قوله حين تربحون) قدم الراحة على التسريح مع أنه خلاف الواقع لأن الجمال في الرواح أعظم منه فوقت التسريح لأن النعم تقبل من الرعى مملوءة البطون حافلة الضروع فيفرح أهلها بها بخلاف تسريحها إلى الرعى فانها تخرج جالمة البطون ضامرة الضروع وأكثر ما تكون هذه الراحة أيام الربيع لحسن النعم إذ ذاك (قوله وتحمل) أى النعم والمواد بها خصوص الإبل (قوله أنقالكم) جمع ثقل وهو ما يحتاج إليه من آلات السفر والأحمال الثقيلة (قوله إلى بلد لم تكونوا بالفيه الخ) المراد أى بلد بعيد مكة أو غيرها . وقال ابن عباس أريد بها اليمن ومصر والشام . وقال عكرمة مكة والظاهر أنه عام لكل بلد بعيد كاعلمت (قوله إلا بشق الأنفس) أى تعبها (قوله والحيل) معطوف على الأنعام ولذا قدر المفسر خلق (قوله والبغال) جمع بغل وهو التوله بين الحيل والحمار (قوله مفعول له) أى لأجله وجرت الأول باللام لأن الفاعل مختلف ففاعل الحاق هو الله وفاعل الركوب الخلق (قوله بهما) أى الركوب والزينة (قوله لا ينافي خلقها لنعم ذلك) أى فلا يفيد الحصر في الركوب والزينة بل خلقها للأكل أيضا وبذلك أخذ الشافعي ، وأما عند الأئمة الثلاثة فأكل الحيل حرام كباقي الدواب ، واستدلوا بأن منفعة الأكل أعظم من منفعة الركوب ، فلو كان أكل لحوم الحيل جائزا لكان أولى بالله كره فلما لم يذكره الله علمنا تحريمه ولأن الله خص الأنعام بالأكل حيث قال - ومنها تأكلون - وخص هذه بالركوب فقال - لتركبوها - فعلمنا أنها مخلوقة للركوب لا للأكل وفي الحقيقة الآية ليست صريحة في نهى ولا جواز (٢٨٤) وإنما مستند الأئمة السنة فمن حرم لحم الحيل حمل الحديث الصحيح على

النسخ أو الاضطرار ومن جوزها قال الأصل عدم الاضطرار أو النسخ (قوله بحديث الصحيحين) أى وهو ما روى عن أسماء بنت أبي بكر الصديق قالت : نحرنا على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فرسا ونحن بالمدينة فأكلناه (قوله من الأشياء العجيبة) أى كالطيور والسباع والوحوش وغيرها من الحيوانات (قوله وعلى

(وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ) زينة (حين تربحون) تردونها إلى مراحلها بالشئ (وحين تسرحون) تخرجونها إلى الرعى بالعداء (وتحمل أنقالكم) أحمالكم (إلى بلد لم تكونوا بالفيه) واصلين إليه على غير الإبل (إلا بشق الأنفس) بجهدا (إن ربكم لرؤوف رحيم) بكم حيث خلقها لكم (و) خلق (الحيل والبغال والحمير لتركبوها وزينة) مفعول له والتعليل بهما لتعريف النعم لا ينافي خلقها لنعم ذلك كالأكل في الحيل الثابت بحديث الصحيحين (ويخلق ما لا تعلمون) من الأشياء العجيبة الغريبة (وكلى الله قصد السبيل) أى بيان الطريق المستقيم (ومنها) أى السبيل (جائر) حائد عن الاستقامة (ولو شاء) هدايتكم (لهديكم) إلى قصد السبيل (أجمعين) فتهتدون إليه باختيار منكم (هو الذي أنزل من السماء ماء لكم منه شراب) تشربونه (ومنه شجر) ينبت بسببه (فيه تسمون) ترعون دوابكم (ينبت لكم به الزرع والزيتون والنخيل والأعناب)

ومن

الله) أى تفضلا وإحسانا (قوله أى الطريق المستقيم) أى طريق الهدى

والحق . وتبينها بارسال الرسل وإزالة الكتب (قوله ومنها جائر) أى سبيل جائر وهو سبيل الضلال والكفر والجور العدول عن الاستقامة (قوله ولو شاء لهداكم أجمعين) أى وصلكم إلى الطريق المستقيم بأجمعكم ولكنه لم يشأ ذلك فلم يحصل لما سبق في علمه أن الجنة لها أهل وأن النار لها أهل (قوله هو الذي أنزل من السماء ماء) لما ذكر سبحانه وتعالى منته على نبي آدم بخلق الحيوانات الخاصة بهم أعقبه بذكر نعمة عامة لكل الحيوانات آدميين وغيرهم وهى إنزال الماء من السماء الناشئ عنه النباتات التى ينتفع بها جميع الحيوانات (قوله لكم) الجائر والمجرور صفة لماء وقوله : منه شراب مبتدأ وخبر . إن قلت إنه ليس خاصا بنبي آدم بل هو عام لكل حيوان . أجيب بأن نبي آدم هم المقصودون بالآلات وغيرهم بالتبع والضمير فى منه عائد على الماء : أى تشربون من ماء السماء . إن قلت إن غالب الشرب يكون من السحاب والأنهار والعيون وهى بالأرض . أجيب بأن أصل الماء السكأن فى الأرض من السماء لقوله تعالى - وأنزلنا من السماء ماء بقدر فأسكنناه فى الأرض - (قوله ومنه شجر) المراد بالشجر هنا مطلق النبات سواء كان له ساق أم لا (قوله ينبت بسببه) أشار بذلك إلى أن من الثانية للسببية وأما الأولى فهى ابتدائية (قوله ينبت لكم به الزرع) المراد به الحب الذى يقتات وقدمه لأن به قوام البدن وثى بالزيتون لأنه إدام ودهن وثالث يذكر النخيل لأنه غذاء وتفكه ، وآخر الأعناب لأنها تشبه النخيل فى ذلك .

(قوله ومن كل الثمرات) عطف عام على خاص (قوله المذكور) أى من إنزال الماء وإنبات النبات (قوله الآية) ذكر لفظ الآية في هذه السورة سبع مرات خمس بالافراد وثلثان بالجمع ، والحسكة في ذلك أن ما جاء بلفظ الافراد فباعتبار المدلول الذى هو وحدانية الحق ، وما جاء بلفظ الجمع فباعتبار الدليل فان في كل شئ آية تدل على أنه الواحد (قوله وسخر لكم الليل والنهار) لما ذكر النعم الكثيرة في العالم السفلى أعقبه بذكر النعم الكثيرة في العالم العلوى وكل ذلك لنفع العالم ونعم نظامه (قوله بالنصب) أى فى الشمس والقمر والنجوم مسخرات قراءتان سبعيتان الرفع والنصب (قوله مسخرات بأمره) أى مذللات بإرادته فهو سبحانه وتعالى المؤثر في العالم العلوى والسفلى فلا تتحرك ذرة في الدنيا ولا تسكن إلا بتأثير الله فيها ، وإنما هذه الأشياء أسباب عادية يوجد النفع عندها لآبائها ، فى هذه الآية رد على القائلين إن العالم العلوى هو المؤثر في العالم السفلى بطبيع أو علة (قوله بالنصب حال) أى مؤكدة لعاملها وهو سخر (قوله لقوم يعقلون) عبرتنا بالعقل إشارة إلى أن العالم العلوى مغيب عن الأبصار فيحتاج التأمل فيه لزيد العقل بخلاف العالم السفلى فهو مشاهد فيمكن فيه (٢٨٥) أدنى تأمل وتعقل والأسلم أن يقال إن التغاير في هذا وما قبله وما بعده تفنن في التعبير دفعا للثقل وإشارة إلى أن من اتصف بواحد منها فقد اتصف بجميعها (قوله وما ذرا) معطوف على الليل ولذا قدر المفسر الفعل (قوله من الحيوان والنبات) فهى مذلة لبنى آدم يتفنون بها ولا يعجزون عنها (قوله وغير ذلك) أى كالأحجار والمعادن والأنهار (قوله مختلفا ألوانه) أى وغمومه (قوله وهو الذى سخر البحر) أى عذبا وملحا (قوله لركوبه) أى بالسفن والعموم (قوله والنوص) أى الغزل

وَمِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ إِنَّ فِي ذَلِكَ (الَّذِكُورُ) (لَايَةً) دَالَّةٌ عَلَى وَحْدَانِيَّتِهِ تَعَالَى (لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ) فِي صَنَعِهِ فَيُؤْمِنُونَ (وَسَخَّرَ لَكُمْ الَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ) (بِالنَّصْبِ) عَطْفًا عَلَى مَا قَبْلَهُ وَالرَّفْعَ مَبْتَدَأً (وَالْقَمَرَ وَالنَّجُومَ) بِالْوَجْهِينِ (مُسَخَّرَاتٍ) بِالنَّصْبِ حَالٍ وَالرَّفْعَ خَبَرٍ (بِأَمْرِهِ) بِإِرَادَتِهِ (إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ) يَتَدَبَّرُونَ (وَسَخَّرَ لَكُمْ) (مَآذِرًا) خَلَقَ (لَكُمْ فِي الْأَرْضِ) مِنَ الْحَيَوَانِ وَالنَّبَاتِ وَغَيْرِ ذَلِكَ (مُخْتَلِفًا أَلْوَانَهُ) كَأَحْمَرٍ وَأَصْفَرٍ وَأَخْضَرَ وَغَيْرَهَا (إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَذْكُرُونَ) يَتَعَمَّقُونَ (وَهُوَ الَّذِي سَخَّرَ الْبَحْرَ) ذَلَّهُ لِرُكُوبِهِ وَالنَّوَصِ فِيهِ (لِنَأْكُلُوا مِنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا) هُوَ السَّمَكُ (وَنَسْتَخْرِجُ مِنْهُ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا) هِيَ الْقَوْلُ وَالْمَرْجَانُ (وَتَرَى) تَبْصُرُ (الْفُلُكَ) السَّفْنَ (مَوَاحِرَ فِيهِ) تَمْخَرُ الْمَاءُ أَيْ تَشْقَى بِحَرِّهَا فِيهِ مَقْبَلَةٌ وَمُدْبَرَةٌ بِرِيحٍ وَاحِدَةٍ (وَلِتَبْتَغُوا) عَطْفٌ عَلَى لِنَأْكُلُوا : تَطْلُبُوا (مِنْ فَضْلِهِ) تَعَالَى بِالتَّجَارَةِ (وَلَمَّا كُنْتُمْ تَشْكُرُونَ) اللَّهُ عَلَى ذَلِكَ (وَأَلْقَى فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ) جِبَالًا نَوَابِتَ (لِأَنْ) لَا (تَمِيدَ) تَتَحَرَّكَ (بِكُمْ) ، وَ (جَعَلَ فِيهَا) (أَنْهَارًا) كَالنَّيْلِ (وَسُبُلًا) طَرِيقًا (لَمَّا كُنْتُمْ يَهْتَدُونَ) إِلَى مَقَاصِدِكُمْ (وَعَلَامَاتٍ) تَسْتَدِلُّونَ بِهَا عَلَى الطَّرِيقِ كَالْجِبَالِ بِالنَّهَارِ (وَبِالنَّجْمِ) بِمَعْنَى النُّجُومِ (هُمْ يَهْتَدُونَ) إِلَى الطَّرِيقِ وَالْقَبْلَةِ بِاللَّيْلِ (أَفَنُ يَخْلُقُ) وَهُوَ اللَّهُ (كَمَنْ لَا يَخْلُقُ) وَهُوَ الْأَصْنَامُ حَيْثُ تَشْرِكُونَهَا مَعَهُ فِي الْعِبَادَةِ ؟ لَا (أَفَلَا تَذَكَّرُونَ) هَذَا فَعْتَمُونَ

فيه (قوله لما طريا) وصف بالطراوة لانه يسرع إليه الفساد رحمة ذلك انتفاع الناس به وعدم عزته عن الفقراء وإلا لدلو كان يمكث من غير فساد لآخرة الأغنياء وحرماوا منه الفقراء (قوله وتستخرجون منه) أى البحر وهو المالح فقط (قوله والمرجان) هو عروق حمر تطلع من البحر كأصابع الكف (قوله عطف على لنأكلوا) أى وما بينهما اعتراض (قوله بالتجارة) أى يسافرون لها في البحر ويقدمون في أقل زمن (قوله أن تמיד) قدر المفسر لا ، ليصح الكلام لأن جعل الجبال في الأرض لأجل عدم الميد لا لأجل حصوله ، والمراد بالميد الميل والتحريك والاضطراب (قوله في الجبال) وعلامات (أى أمارات (قوله وبالنجم) المراد به الثريا وبنات نعش والذرقدان والجدي فيهدى بها إلى الطريق والقبة (قوله أفن يخلق كمن لا يخلق) أى أنسوون بين الخالق لتلك الأشياء العظيمة والنعم الفخيمة وبين من لا يملك لنفسه نفعا ولا ضرا فضلا عن غيره والكلام على القاب ، والتقدير أفن لا يخلق كمن لا يخلق لا شئهم يشبهون من لا يخلق بمن يخلق في العبادة وإنما أتى بالعبرة مقابلة زيادة في التشجيع عليهم (قوله لا) أشار بذلك إلى أن الاستفهام إنكارى .

(قوله وإن تعدوا نعمة الله) هذا تذكير إجمالي بعد تفصيل بعض النعم (قوله حيث ينعم عليكم مع تصييركم) أى ولم يقطع نعمة عنكم بسبب ذلك بل وسعها عليكم (قوله والله يعلم ما تسرون وما تعلنون) أى ما تخفون من العقائد والأعمال وما تظهرونه من ذلك (قوله بالتاء والياء) فهما قراءتان سبعيتان في قوله تدعون فقط ، وأما تسرون وتعلنون فبالتاء الفوقية سبعة والياء التحتية شاذة (قوله لا يخلقون شيئا وهم يخلقون) ليس تكرارا مع قوله أفمن يخلق كمن لا يخلق لأنه أولا أفاد أنهم لا يخلقون شيئا ، وهنا أفاد أنهم مع كونهم لم يخلقوا شيئا هم مخلوقون ففيه زيادة فائدة (قوله خبر ثن) أى والأول قوله يخلقون وقوله وما يشعرون خبر ثالث (قوله أى الخلق) ويصح أن يعود الضمير على الأصنام ، والمعنى أن الأصنام لا تشعرق بيضاء الله قال ابن عباس : إن الله تعالى يبعث الأصنام لها أرواح ومعها شياطينها فتتبرأ من عابديها ، فيأمر الله بالكل إلى النار (قوله إلهكم إله واحد) هذا نتيجة ما قبله أى حيث ثبت أنه الخالق لتلك الأشياء المتقدم ذكرها فقد تقرر أنه المعبود التصف بالوحدة في القدرات والصفات والأفعال فلا شريك له فيها (قوله فالذين لا يؤمنون بالآخرة) أى لا يصدقون بها وبما يحصل فيها من بعث وحساب وجزاء وهذا نتيجة (٢٨٦) قوله أتى أمر الله فلا تستعجلوه وحينئذ فيكون المعنى أتى أمر الله فآمنوا

وصدقوا أخبارنا ولا تنكروها فالذين لا يؤمنون الخ (قوله متكبرون) أشار بذلك إلى أن السنين مزيدة للتوكيد (قوله لاجرم) تقدم أن فيها ثلاثة أوجه أحسنها أن لانافية ومنفيها محذوف وجرم فعل ماض بمعنى حق وثبت وأن وما دخلت عليه في محل رفع فاعل وحينئذ يصير المعنى لاعتبر بانكار الكفار واستكبارهم بل حق وثبت علم الله بما يسرون وما يعلنونه وعلى هذا فقول المفسر حقا

(وَإِنْ تَعْدُوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا) تضيظوها فضلا عن أن تطيقوا شكرها (إِنَّ اللَّهَ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ) حيث ينعم عليكم مع تصييركم وعسيانكم (وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُسِرُّونَ وَمَا تُعْلِنُونَ) وَالَّذِينَ تَدْعُونَ) بالتاء والياء : تعبدون (مِنْ دُونِ اللَّهِ) وهم الأصنام (لَا يَخْلُقُونَ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ) يصورون من الحجارة وغيرها (أَمْوَاتٌ) لا روح فيهم خبر ثان (غَيْرُ أَحْيَاءٍ) تأكيد (وَمَا يَشْعُرُونَ) أى الأصنام (أَيَّانَ) وقت (يُعْتَبُونَ) أى الخلق فكيف يُعبدون إذ لا يكون لها إلا الخالق الحى العالم بالغييب (إِلَهُكُمْ) المستحق للعبادة منكم (إِلَهُ وَاحِدٌ) لانظير له في ذاته ولا في صفاته وهو الله تعالى (فَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ قُلُوبُهُمْ مُنْكَرَةٌ) جاحدة للوحدانية (وَهُمْ مُسْتَكْبِرُونَ) متكبرون عن الإيمان بها (لَا جَرَمَ) حقا (أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ) فيجازيهم بذلك (إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْتَكْبِرِينَ) بمعنى أنه يعاقبهم . ونزل في النضر بن الحرث (وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ مَا) استفهامية (ذَا) موصولة (أَنْزَلَ رَبُّكُمْ) على محمد (قَالُوا) هو (أَسَاطِيرُ) أكاذيب (الْأَوَّلِينَ) إضلالات للناس (لِيَفْعَلُوا) في عاقبة الأمر (أَوْزَارَهُمْ) ذنوبهم (كَامِلَةً) لم يكفر منها شيء (يَوْمَ الْقِيَامَةِ)

مفعول مطلق لفعل محذوف تقديره حق حقا (قوله بمعنى أنه يعاقبهم) روى عن الحسين (ومن ابن على أنه مر بمساكين قد قدموا كسرا لهم وهم يأكلون ، فقالوا الغداء يا أبا عبد الله فزله وجاس معهم ، وقال إنه لا يجب المستكبرين ثم أكل فلما فرغوا قال قد أجبتكم فأجيبوني ، فقاموا معه إلى منزله فأطعمهم رداً وأعطاهم فانصرفوا ، وفي الحديث « إن المستكبرين يحشرون أمثال الذر يوم القيامة تطوهم الناس بأقدامهم لتكبرهم » (قوله ونزل في النضر بن الحرث) أى في شأنه وسببه وكان عنده كتب التواريخ ويزعم أن حديثه أحسن مما أنزل على محمد (قوله وإذا قيل لهم) القائل يحتمل أن يكون للمسلمين أو الوافد عليهم أو بعضهم لبعض على سبيل التهكم فإن الكفار لا يقرّون بأنه منزل من عند الله (قوله أساطير الأهلين) جمع أسطورة كأحاديث وأكاذيب وأعاجيب جمع أحداث وأكذوبة وأحوبة (قوله إضلالات للناس) علة للقول (قوله في عاقبة الأمر) أشار بذلك إلى أن اللام في ليحملوا لام العاقبة والصبرورة ، والمعنى أنهم لما وصفوا القرآن بكونه أساطير الأولين كان عقبتهم بذلك حملهم ذنوبهم (قوله كاملة) أى وبلاياهم التى أصابتهم في الدنيا لا تكفر عنهم شيئا يوم القيامة بل يعاقبون على جميع أوزارهم بخلاف بلايا المؤمنين فانها تكفر لذنوبهم أرفع درجات لهم فالبلايا للجرمين عقوبات وللأبرار مكافات وللعالمين درجات فقد يكون السابق في علمه تعالى أن العارف لا ينال تلك الدرجة إلا بمحنة فيوصلها الله له لينال تلك الدرجة .

(قوله ومن أوزار الذين يضلونهم) أى ويحصل للرؤساء الذين أضلوا غيرهم بعض أوزار الأتباع وهو السبب هذا ما قرره المفسرون بما للبيضاوى وهو خلاف التحقيق بل التحقيق أن من معنى مثل ، والمعنى أن على لرؤساء مثل أوزار الأتباع ، ويشهد لذلك قوله صلى الله عليه وسلم «من دعا إلى هدى كان له من الأجر مثل أجور من يتبعه لا ينقص ذلك من أجورهم شيئا ، ومن دعا إلى ضلالة كان عليه من الإثم مثل آثام من يتبعه لا ينقص ذلك من آثامهم شيئا » (قوله بغير علم) إما حال من المفعول أى يضلون الأتباع حال كون الأتباع غير عالمين بأن الرؤساء فى ضلال بل يعتقدون أنهم على خير حيث قدوم أو من الفاعل والمعنى يضلون غيرهم حال كونهم غير عالمين بما يستحقونه من العذاب فى مقابلة ضلالهم وإضلالهم (قوله فاشترکوا فى الإثم) أى العقوبة فضوفا للتبوعين بضلالهم وإضلالهم وعقوبة التابعين بالمطوعة والتقليد ولا يحدرون بالجهل (قوله ألا ساء ما يزرون) ساء فعل ماضى لانشاء التمس كئس وما اسم موصول ويزرون صلته أو نكرة موصوفة ويزرون صفة لها والمائد على كل محذوف والتقدير يزرونه والمخصوص بالتمس محذوف كما أشار له للمفسر بقوله حملهم هذا (قوله قد مكر الذين من قبلهم) هذا نسيئة له صلى الله عليه وسلم (قوله وهو غمرود) بضم النون وبالذال المعجمة وهو ابن كنعان (٢٨٧) وكان يقضى الألوية وكان

أعظم أهل الأرض نجرا (قوله بنى صرحا طويلا) أى بيا بل وكان طوله لجهة السماء خمسة آلاف ذراع وقيل كان طوله فرسخين (قوله الأساس) بكسر الهمزة جمع أس بعضها كرمح جمع رمح أو فتحها جمع أسس بضمين كمنق وأعتاق (قوله فأرسل عليه الريح والزلافة هدمتها) أى فقصفت وألقت رأسه فى البحر وخر عليهم الباقى فأهلكهم وهم تحته (قوله غمرود) عليهم السقف من فوقهم

وَمِنْ) بَعْضُ (أَوْزَارِ الَّذِينَ يُضِلُّونَهُمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ) لَأَنَّهُمْ دَعَوْهُمْ إِلَى الضَّلَالِ فَاتَّبَعُوهُمْ فَاشْتَرَكُوا فِي الْإِثْمِ (الْأَسَاءُ) بَنَسْ (مَا يَزْرُونَ) يَحْمِلُونَهُ حَمْلَهُمْ هَذَا (قَدْ مَكَرَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ) وَهُوَ غَمْرُودُ بْنُ صِرْحَا طَوِيلًا لِيَصْعَدَ مِنْهُ إِلَى السَّمَاءِ لِيَقَاتِلَ أَهْلَهَا (فَأَنَّى اللَّهُ) تَعْدُ (بُنْيَانُهُمْ مِنْ الْقَوَاعِدِ) الْأَسَاسُ فَأَرْسَلَ عَلَيْهِ الرِّيحَ وَالزَّلَازِلَ فَهَدَمَهَا (فَخَرَّ عَلَيْهِمُ السَّقْفُ مِنْ فَوْقِهِمْ) أَيْ وَهْمُ تَحْتَهُ (وَأَنبِئَهُمُ الْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ) مِنْ جِهَةٍ لَا تَخْطُرُ بِبَالِهِمْ. وَقِيلَ هَذَا تَمْثِيلٌ لِإِفْسَادِ مَا أَبْرَمُوهُ مِنَ الْمَكْرِ بِالرَّسْلِ (ثُمَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يُخْزَوْنَهُمْ) يَذْلِمُهُمْ (وَيَقُولُ) لَهُمْ اللَّهُ عَلَى لِسَانِ الْمَلَائِكَةِ تَوْبِيخًا (أَيْنَ شُرَكَائِيَ) بَزَعَكُمْ (الَّذِينَ كُنْتُمْ تُشَاقِقُونَ) تَخَافُونَ الْمُؤْمِنِينَ (فِي شَأْنِهِمْ) قَالَ أَيْ يَقُولُ (الَّذِينَ أَوْتُوا الْعِلْمَ) مِنَ الْأَنْبِيَاءِ وَالْمُؤْمِنِينَ (إِنَّ الْخِزْيَ الْيَوْمَ وَالْسُّوءَ عَلَى الْكَافِرِينَ) يَقُولُونَهُ شِمَاتَةً بِهِمْ (الَّذِينَ تَتَوَفَّيْهُمْ) بِالنَّاءِ وَالْيَاءِ (الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ) بِالْكَفَرِ (فَأَقْبُوا الصَّلَاةَ) اتَّقَادُوا وَاسْتَسْلِمُوا عِنْدَ الْمَوْتِ قَائِلِينَ (مَا كُنَّا نَعْمَلُ مِنْ سُوءٍ) شَرَكْ فَقُولِ الْمَلَائِكَةُ (بَلَى إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ) فَيَجَازِيكُمْ بِهِ .

أى سقط ونزل عليهم (قوله أى وهم تحته) تفسير لقوله من فوقهم ودفع بقوله من فوقهم ما يشرعهم أنهم لم يكونوا تحته (قوله وقيل هذا تمثيل لإفساد ما أبرموه) أى فإن الآية محمولة على العموم وليس هناك بناء حقيقة بل هو مثل ضربه الله للذين مكروا بأنبياء الله فأهلكهم الله بكمهم فتألمهم بقوم بنوا بنيًا شديدًا فانهدم ذلك البنيان وسقط عليهم فأهلكهم (قوله على لسان للملائكة) مرور منه على القول بأن الله لا يكلم الكفار وقيل إن الله يكلمهم وقوله تعالى - ولا يكلمهم الله يوم القيامة - أى كلام رحمة وتعظيم (قوله أين شركائى) أى ما لهم لا يحضرون معكم ليدفعوا عنكم ما نزل بكم من العذاب (قوله تشاققون) فتح النون وكسرها قرآن سبعيتان وقرئ شدودا بكسر النون مع التشديد والأصل تشاققونى فأدغم (قوله تخافون المؤمنين) أى تنازعونهم فى شأنهم (قوله قال الذين أوتوا العلم) أى وهم فى الموقف (قوله شماتة بهم) أى فرحا بما حصل لهم جزاء لاستهزائهم بالمؤمنين فى الدنيا فإذا كان يوم القيامة وظهر أهل الحق وأكرموا بأنواع الكرامات وعذب أهل الباطل بأنواع العذاب فعند ذلك يفرح المؤمنون بذلك ويقول رؤساء المؤمنين إن الخزي اليوم والسوء على الكافرين (قوله بالياء والتاء) أى فهما قرآن سبعيتان لكنه مع الياء يقرأ بالامالة والملائكة فاعل والمراد بهم عزرائيل وأصوانه وإنما أنت الفعل على قراءة التاء لأن لفظ الجمع مؤنث (قوله ما كننا نعمل من سوء) إنما أنكروا ذلك رجاء أن يخلصوا

(قوله ويخال لهم) أى عند خروج أرواحهم وحفظ فيكون الرد بالمخول شهود أرواحهم دبر العذاب أو يوم القيامة والمخول على حقيقته (قوله أبواب جهنم) أى طبقاتها واللعن ليدخل كل صنف الطبقة التى أعدت له (قوله فلبس مثوى للتكبرين) أى مقامهم ومنزلهم والمخصوص بالدم محذوف تقديره هو (قوله وقيل للذين اتقوا) مقابل قوله وإذا قيل لهم ماذا أنزل ربكم قالوا أساطير الأولين والقائل وفود العرب القادمين على مكة لبحث عن حال القرآن وحال محمد فكانوا إذا صادفوا المسلمين سألوهم وقالوا لهم ماذا أنزل ربكم؟ قالوا خبرا، وإذا صادفوا الكفار سألوهم وقالوا ماذا أنزل ربكم؟ قالوا أساطير الأولين، فكل إفاء بالذى فيه ينضح (قوله ماذا أنزل ربكم) ماذا بجمها اسم استفهام مفعول مقدم لأنزل وحينئذ فتكون الجملة فعلية وهو أنسب ليطابق الجواب السؤال فإن الجواب جملة فعلية أيضا لأن خبرا مفعول بفعل محذوف تقديره أنزل خبرا بخلاف ما تقدم فإن ما اسم استفهام وإذا اسم موصول وأنزل صلتها فالجملة اسمية لمطابقة الجواب فانه مرفوع باتفاق السبع وما هنا منصوب باتفاق السبع والحكمة فى رفع الأول ونصب الثانى الفرق بين جواب للمقر حيث طابق بين السؤال والجواب فجعلها من جنس واحد وجواب الجاحد حيث عدل عن السؤال فقال هو أساطير الأولين وليس من الأنزال فى شيء (قوله للذين أحسنوا) هذا بيان لقوله خبرا كأنهم قالوا أنزل ربنا من أحسن فى الدنيا بالطاعة فله حسنة فى الدنيا وحسنة فى الآخرة (قوله حياة طيبة) أى وهى تختلف باختلاف الأقبال على الله وعدمه فكلما زاد العبد فى الأقبال على ربه طابت حياته فيزداد ترقيا فى القرب والمحبة والعلوم والمعارف والشاهدة وغير ذلك (٢٨٨) من الكرامات التى تحصل له فى الدنيا وما خفى كان أعظم قال تعالى - لهم

البشرى فى الحياة الدنيا وفى الآخرة - (قوله ولدار الآخرة) اللام موثقة لقسم محذوف أول الابتداء مؤكدة (قوله خبر من الدنيا وما فيها) أى ولو حصل له فى الدنيا غاية الرفعة والعز واسم التفضيل على بابه إن أعطى العبد النعيم فى الجنة وليس على بابه إن لم يكن من أهل الجنة

ويقال لهم (فَادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا فَلَئِنْ مَتَوْتُمْ) مَاوَى (الْمُتَكَبِّرِينَ . وَقِيلَ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا) الشُّرَكَ (مَاذَا أَنْزَلَ رَبُّكُمْ قَالُوا خَيْرًا لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا) بِالْإِيمَانِ (فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةً) حِمَاةٌ طَيِّبَةٌ (وَلَنَدَارُ الْآخِرَةِ) أى الجنة (خَيْرٌ) من الدنيا وما فيها ، قال تعالى فيها (وَلَنِعَمَ دَارُ الْمُتَّقِينَ) هى (جَنَّاتُ عَدْنٍ) إقامة مبتدأ خبره (يَدْخُلُونَهَا) تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ لَهُمْ فِيهَا مَا يَشَاءُونَ كَذَلِكَ) الجزاء (يَجْزَى اللَّهُ الْمُتَّقِينَ . الَّذِينَ) نعت (تَتَوَفَّيهِمُ الْمَلَائِكَةُ طَيِّبِينَ) طاهرين من الكفر (يَقُولُونَ) لهم عند الموت (سَلَامٌ عَلَيْكُمْ) .

ويقال

إذ لاخير فى قلة بعدها النار بل كل من عظم نعيمه فى الدنيا ولم يكن مرضيا عليه

فتنعمه زيادة فى عذابه قال تعالى - يوم يحصى عليها فى نار جهنم فتكوى بها جباههم وجنوبهم وظهورهم - وقال تعالى - ثم لتستلقن يومئذ عن النعيم (قوله قال تعالى) إنما قال ذلك إشارة إلى أن جواب المؤمنين تم بقوله ولدار الآخرة خير وقوله ولنعم دار المتقين ثناء ومدح من الله لدار الآخرة التى هى خير (قوله هى) قدره إشارة إلى أن المخصوص بالمدح محذوف (قوله جنات عدن) أى إقامة لا يطرأ عليها زوال ولا فناء بل هى دائمة بأهلها على سبيل التأيد (قوله تجرى من تحتها الأنهار) أى من تحت قصورها وغرفها ، قال تعالى - من فوقها غرف مبنية تجرى من تحتها الأنهار - والمراد بالأنهار المذكورة فى قوله تعالى - فيها أنهار من ماء غير آسن - الخ (قوله ما يشاءون) أى يطلبون مما تشتهى الأنفس وقد الأعين (قوله كذلك) الكاف بمعنى مثل نعت لمصدر محذوف معمول ليجزى والتقدير يجزى الله المتقين جزاء مثل ذلك الجزاء (قوله المتقين) أى الذين اجتنبوا الشرك وأل فى المتقين للاستغراق (قوله نعت) أى المتقين (قوله تتوفاهم الملائكة) أى تقبض أرواحهم (قوله طيبين) حال من ضمير تتوفاهم وحينئذ تبشرهم الملائكة عند قبض أرواحهم بالرضوان والجنة والكرامة فيحصل لهم عند ذلك السرور والفرح فيسهل عليهم قبض أرواحهم ويطيب لهم الموت على هذه الحالة فلا يخبر المؤمن بين الرجوع إلى الدنيا ويعطى جميع ما يشتهى فيها وبين الموت لاختر الموت ولا يرجع إلى الدنيا لشهوده حقارة الدنيا بالنسبة لما رآه مهيا له (قوله عند الموت) أى لما ورد إذا أشرف العبد المؤمن على الموت جلده ملك فقال له السلام عليك يابلى الله ، الله يقرأ عليك السلام ويعصرك بالجنة

(قوله في الآخرة) هذا أخذ قولين وفيلس إن القول المذكور يكون عند خروج الروح ويكون الأمر بالدخول للروح دون الجسم ويشهدله قوله تعالى: يَأْتِيهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ أَرْجَىٰ إِلَىٰ رَبِّكَ الآية بناء على أن هذه المقالة تقال للؤمن عند خروج روحه (قوله بما كنتم تعملون) الباء سببية وما اسم موصول والعائد محذوف والتقدير بسبب الذي كنتم تعملونه (قوله هل ينظرون) الاستفهام إنكارى بمعنى النفي ولذا فسرته بما النافية والمعنى لا ينتظر الكفار إلا أحد أمرين إما نزول الموت بهم أو حلول العذاب أو مائة خلو تجوز الجمع (قوله بالتاء والياء) أى فهما قراءتان سبعيتان (قوله أو القيامة) أو الحكاية الخلاف (قوله وما ظلمهم الله) مرتب على محذوف قدره المفسر بقوله كذبوا رسلهم فأهلكوا (قوله فأصابهم) معطوف على فعل الذين من قبلهم وما بينهما اعتراض (قوله أى جزاؤها) أشار بذلك إلى أن الكلام على حذف مضاف والأصل فأصابهم جزاء سيئات ما عملوا (قوله ما كانوا به يستهزئون) أى جزاء الذين كانوا به يستهزئون (قوله وقال الذين أشركوا الخ) هذا كلام صحيح في حد ذاته لكنهم توصلوا به إلى أمر باطل . وحاصل ذلك أنهم قالوا لو شاء الله (٢٨٩) عدم عبادتنا لغيره لحصل

لكن وقعت منا العبادة لغيره فهي بمشيئته فهو راض بها واعتقدوا أن الإرادة لازمة للرضا في حقه تعالى وهو اعتقاد باطل . وحاصل الرد عليهم أن يقال إن الإرادة لا تستلزم الرضا بل قد يريد شيئا ولا يرضى به لتبذره عن الأغراض في الأحكام والأفعال فلا تقاس أفعال الله على أفعال العباد وذلك لأن ما يفضى الله لا يصل له منه ضرر وما يرضيه لا يصل له منه نفع بل معنى ذلك أنه يعاقب على ما يفضيه ويثيب على ما يرضيه بخلاف العباد فوضايم لازم لآرادتهم

ويقال لهم في الآخرة (أَدْخُلُوا الْجَنَّةَ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ . هَلْ) ما (يَنْظُرُونَ) ينتظر الكفار (إِلَّا أَنْ تَأْتِيَهُمْ) بالتاء والياء (الْمَلَائِكَةُ) لقبض أرواحهم (أَوْ يَأْتِيَ أَمْرُ رَبِّكَ) العذاب أو القيامة المشتملة عليه (كَذَلِكَ) كما فعل هؤلاء (فَعَلَّ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ) من الأمم كذبوا رسلهم فأهلكوا (وَمَا ظَلَمَهُمُ اللَّهُ) بإهلاككم بغير ذنب (وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ) بالكفر (فَأَصَابَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا عَمِلُوا) أى جزاؤها (وَحَاقَ) نزل (بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ) أى العذاب (وَقَالَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا) من أهل مكة (لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا عَبَدْنَا مِنْ دُونِهِ مِنْ شَيْءٍ نَحْنُ وَلَا آبَاؤُنَا وَلَا اخْرَجْنَا مِنْ دُونِهِ مِنْ شَيْءٍ) من البعائر والسواائب فأشركنا ونحرمنا بمشيئته فهو راض به ، قال تعالى (كَذَلِكَ فَعَلَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ) أى كذبوا رسلهم فيما جاءوا به (فَهَلْ) فإ (طَى الرُّسُلِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ) الإلباغ البين وليس عليهم هداية (وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا) كما بعثناك فى هؤلاء (أَنْ) أى بَأَن (اعْبُدُوا اللَّهَ) وحدوه (وَأَجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ) الأوثان أن تعبدوها (فَمِنْهُمْ مَنْ هَدَى اللَّهُ) فآمن (وَمِنْهُمْ مَنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلَالَةُ) فى علم الله فلم يؤمن (فَسِيرُوا) يا كفار مكة (فى الْأَرْضِ) فانظروا كيف كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ) رسلهم من الهلاك (إِنْ تَخَرِّصْ) يا محمد (طَى هُدَاهُمْ) وقد أضلهم الله ،

لأن ما يرضيهم يحصل لهم به النفع فهو واقع منهم بارادتهم وما يفضيهم يحصل لهم به الضرر فهو غير واقع بارادتهم والكفار قد سَوَّوا بين الخالق والمخلوق فقالوا ما قالوا والمقصود من هذه الشبهة إبطال إرسال الرسل وجعله عبثا تعالى الله عن ذلك (قوله من دونه من شئ) من الأولى ابتدائية والثانية زائدة (قوله فهو راض به) هذا هو محط شبهتهم التى رتبوا ماذ كر عليها (قوله الإلباغ البين) أشار بذلك إلى أن البلاغ مصدر بمعنى الإلباغ (قوله ولقد بعثنا فى كل أمة رسولا) أى فلا خصوصية لك (قوله أى بَأَن اعبدوا) أشار بذلك إلى أن مصلرية ويصح جعلها تفسيرية والضابط موجود تضمن البعث معنى القول (قوله واجتنبوا الطاغوت) أى تباعدوا عن عبادة الطاغوت والرد بالطاغوت قيل كل ما يعبد من دون الله وقيل الشيطان (قوله فلم يؤمن) أفرد باعتبار لفظ من وفى نسخة فلم يؤمنوا بالجمع مراعاة للبنى (قوله فسيرا) أمر لأهل مكة بالسير والنظر فى أحوال من قدمهم (قوله كيف كان عاقبة الكاذبين) أى ما لهم وآخر أمرهم على أى كيفية (قوله رسلهم) قدره إشارة إلى أن قوله

(قوله لا تقدر على ذلك) هذا هو جواب الشرط وقوله فإن الله الخ تعليل للجواب (قوله لا يهدي من يضل) الجملة خبر إن والرباط ضمير مقدر في يضل تقديره من يضل والظاهر أن هذا الرباط هو فاعل يضل العائد على الله وأما الضمير للمفعول الذي هو الهاء فإنه عائد على من ولا ربط فيه (قوله بالبناء للفاعل والمفعول) أي فهما قراءتان سببيتان ، والمعنى أن من أراد الله إضلاله فلا تمكن هدايته فلا تتعب نفسك في هدايه . إن قلت إن التكليف لمن أراد الله عدم هدايه بالمعنى تكليف بالمستحيل . أجيب بأنه لا يستلزمهما يفعل (قوله وما لهم من نصيرين) أي من يريد إضلاله لا مانع له من عذاب الله إذا نزل به وقوله وأقسموا بالله) أي حلفوا به وقوله جهد أيمانهم أي لأنهم كانوا يحلفون بأيمانهم وألهمهم فإذا كان الأمر عظيماً حلفوا بالله (قوله أي غاية اجتهدهم) أي فالمراد بالجهد بالفتح الطاقة فقولهم الجهد بالفتح الشقة وبالضم الطاقة بحسب الغالب (قوله قال تعالى) أي ردا لمقاتلهم (قوله مصدران مؤكدان) أي للجملة المقدرة بعد بلى (قوله أي وعد ذلك الخ) الأوضح أن يقول أي وعد ذلك وعدا وحقه حقا (قوله لا يعلمون ذلك) (٣٩٠) أي أنهم يبعثون لجهنم (قوله المقدر) أي بعد بلى (قوله من أمر الدين)

أي وهو البعث (قوله بتعذيبهم الخ) متعلق بيبين والمعنى ليعيظ لهم الأمر الذي يختلفون فيه بإثابة للطيع وتعذيب العاصي (قوله وليعلم) معطوف على ليبين (قوله لشيء) تسميته شيئا باعتبار ما ينزل إليه وإلا فالمعصوم لا يسمى شيئا (قوله والآية لتقرير القدرة على البعث) أي فهمي رد على من قال إن الله لا يبعث من يموت والأمر كناية عن سرعة الإيجاد عند تعلق الإرادة بالإيجاد وليس ثم كاف ولا نون وإلا لزم إخطاب المعصوم حال عدمه وهو لا يعقل

لا تقدر على ذلك (فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي) بالبناء للفاعل والمفعول (مَنْ يُضِلُّ) من يريد إضلاله (وَمَا لَهُمْ مِنْ نَاصِرِينَ) مانعين من عذاب الله (وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ) أي غاية اجتهدهم فيها (لَا يَبْعَثُ اللَّهُ مَنْ يَمُوتُ) قال تعالى (بَلَى) يبعثهم (وَعَذَابًا عَلَيْهِمْ حَقًّا) مصدران مؤكدان منصوبان بفعلهما المقدر أي وعد ذلك وحقه حقا (وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ) أي أهل مكة (لَا يَعْلَمُونَ) ذلك (لِيُبَيِّنَ) متعلق بيبعثهم المقدر (لَهُمُ الَّذِي يَخْتَلِفُونَ) مع المؤمنين (فِيهِ) من أمر الدين بتعذيبهم وإثابة المؤمنين (وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّهُمْ كَانُوا كَاذِبِينَ) في إنكار البعث (إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَا أَرَدْنَاهُ) أي أردنا إيجاده وقولنا مبتدأ خبره (أَنْ نَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ) أي فهو يكون وفي قراءة بالنصب عطفا على قول والآية لتقرير القدرة على البعث (وَالَّذِينَ هَاجَرُوا فِي اللَّهِ) لإقامة دينه (مِنْ بَعْدِ مَا ظَلَمُوا) بالأذى من أهل مكة وهم النهي صلى الله عليه وسلم وأصحابه (لَنُبَوِّئَنَّهُمْ) قتلهم (فِي الدُّنْيَا) دارا (حَسَنَةً) هي المدينة (وَلَا نُجْزِيهِ الْآخِرَةَ) أي الجنة (أَكْبَرُ) أعظم (لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ) أي الكفار أو المتخلفون عن الهجرة مالمهاجرين من الكرامة لواقعهم ، هم (الَّذِينَ صَبَرُوا) على أذى المشركين والهجرة لإظهار الدين (وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ) فيرزقهم من حيث لا يحتسبون (وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلَّا رَجُلًا نُوحِيَ إِلَيْهِمْ) لاملأئكة ،

(فسألوا)

أو تحصيل الحاصل إن كان الخطاب له بعد وجوده وكلا الأمرين محال

(قوله والذين هاجروا) أي اتفقوا من مكة للمدينة (قوله لإقامة دينه) أشار بذلك إلى أن في معنى اللام والكلام على حذف مضافين (قوله أكبر) أي من دار الدنيا (قوله أو المتخلفون) تفسيران للضمير في يعلمون (قوله لواقعهم) جواب الشرط (قوله الذين صبروا) خبر لمحذوف قدره المفسر بقوله هم (قوله وعلى ربهم يتوكلون) أي يشقون به ويفوضون أمورهم إليه والتعبير بالمضارع لاستحضار الحال الماضية إشارة إلى أن توكلهم كان أعظم توكل وذلك أنهم خرجوا عن أموالهم وأنفسهم في مرضاة ربهم ورضوا بالذل بدل العز وبالفقر بدل الغنى بإبدال الذل عزا والفقر غنى فصاروا سادات الناس في الدنيا والآخرة . قال البوصيري رضي الله عنه :

الموسى ولا يعصى حوا ريون في فضلهم ولا نقباء

(قوله فيرزقهم من حيث لا يحتسبون) نتيجة التوكل وليست معنى التوكل (قوله وما أرسلنا من قبلك إلا رجالا) سبب نزولها أن كفار مكة قالوا ما كان الله أن يرسل رسولا من الرجال بل اللائق أن يرسل ملكا .

(قوله فاستلوا أهل الذكرك) جواب شرط مقدر دل عليه قوله إن كنتم لا تطعون مقديره إن شككم في ذلك فاستلوا (قوله) إن كنتم لا تطعون) أى على سبيل القرض والتقدير وإلا فهم عالمون بذلك وإنما كفرهم عناد (قوله أقرب من تصديق المؤمنين بمحمد) أى لأن كفار مكة كانوا يعتقدون أن أهل الكتاب عندهم علم بالكتب القديمة وقد أرسل الله لهم رسلاً كهموسى وعيسى وداود وحنايا وغيرهم وكانوا بشراً فإذا سألوهم فلا بد أن يجيبوا بأن الرسل الذين أرسلوا إليهم كانوا بشراً حينئذ يزول عن قلوبهم الريب والاشك (قوله متعلق بمحذوف) أى جواباً لسؤال مقدر كأنه قال لم أرسلوا فقليل أرسلوا بالبينات والزبر وهذا أحسن ما قيل هنا (قوله القرآن) إنما سمى القرآن ذكراً لأنه مشتمل على المواعظ التى بها يتذكر العاقل ويتنبه الغافل (قوله) لتبين للناس ما نزل إليهم) أى ما أجمل من الأحكام فبيان المجهل من القرآن تكفل به رسول الله صلى الله عليه وسلم فأحاديثه كالشرح والتفسير للقرآن (قوله أقام من الدين) الحمزة داخلة على محذوف والفاء عاطفة على ذلك المحذوف تقديره أعموا ولم يتفكروا فأم من الدين الخ (قوله السبئات) صفة لمقدر محذوف قدره المفسر بقوله المكرات بفتح الكاف جمع مكرة يسكونها المرة من السكر (قوله أن يخسف) أن وما دخلت عليه في تأويل مصدر (٢٩١) معمول لأن والتقدير أقاموا

خسف الله بهم الأرض (قوله وقد أهلكوا) أى أهلك صناديدهم وهم الذين اجتمعوا فى دار الندوة (قوله يفتكروا) ذلك أى الهلاك أى يعتقدوه ويظنونه وهو بدل من يكونوا والبدل من المجرى مجزوم أو حذف السون تخفيفاً (قوله فى قلبهم) أى حال كونهم متقلبين فى أسفارهم (قوله) أو يأخذهم على تخوف أى يهلكهم فى حال خوفهم أو المراد بالتخوف التنقص كما قال المفسر من تخوفته

(فَسْتَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ) العلماء بالتوراة والإنجيل (إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ) ذلك فإنهم يعلمونه وأتم إلى تصديقهم أقرب من تصديق المؤمنين بمحمد صلى الله عليه وسلم (بِالْبَيِّنَاتِ) متعلق بمحذوف أى أرسلناهم بالحجج الواضحة (وَالزُّبُرِ) الكتب (وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ) القرآن (لِتَبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ) فيه من الحلال والحرام (وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ) فى ذلك فيعتبرون (أَقَامِنَ الَّذِينَ مَكَرُوا) المكرات (السَّيِّئَاتِ) بالنبي صلى الله عليه وسلم فى دار الندوة من تقييده أو قتله أو إخراجه كما ذكر فى الأفعال (أَنْ يَخْسِفَ اللَّهُ بِهِمُ الْأَرْضَ) كفارون (أَوْ يَأْتِيَهُمُ الْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ) أى من جهة لا تخطر ببالهم وقد أهلكوا بيدر ولم يكونوا يقدروا ذلك (أَوْ يَأْخُذْهُمْ فِي تَقْلِبِهِمْ) فى أسفارهم للتجارة (فَمَا هُمْ بِمُعْجِزِينَ) بفائتين العذاب (أَوْ يَأْخُذْهُمْ عَلَى تَخَوُّفٍ) تنقص شيئاً فشيئاً حتى يهلك الجميع حال من الفاعل أو المفعول (فَإِنَّ رَبَّكُمْ لَرَّهَوْفٌ رَجِيمٌ) حيث لم يعاجلهم بالعقوبة (أَوْ لَمْ يَرَوْا إِلَى مَا خَلَقَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ) له ظل كشجر وجبل (تَنْفِيؤًا) تميل (غَلَاظُهُ عَنِ الْيَمِينِ وَالشَّيْئِلِ) جمع شمال أى عن جانبيهما أول النهار وآخره (سُجَّدًا لِلَّهِ)

إذا اتقسته ، روى أن عمر رضى الله عنه قال على المنبر ما تقولون فيها فسكوا فقام شيخ بن هذيل فقال هذه لغتنا التخوف التنقص فقال هل تعرف العرب ذلك فى أشعارها ؟ قال نعم . قال شاعرنا أبو بكر يصف ناقته :

تخوف الرجل منها تامكا قدرا كما تخوف عود الثبعة السفن

فقال عمر عليكم بديوانكم لا تضلوا قالوا وما ديواننا قال شعر الجاهلية فإن فيه تفسير كتابكم ومعانى كلامكم والرجل بالحاء المهملة رحل الناقة والتامك بالفوقية السنام والقرد بفتح القاف وكسر الراء هو المرتفع أو المتراكم والنبع شجرة تنخذ منه القسي والسفن بفتح السين وهو البرد أو القدوم. والمعنى أن الرجل أثر فى سنام تلك الناقة فكله واتقصه كما يتقص للبرد أو القدوم العود من الشجر (قوله أولم يروا) الحمزة داخلة على محذوف والواو عاطفة على ذلك المحذوف والتقدير أعموا ولم يروا والاستفهام للتوبيخ (قوله له ظل) خرج الملك والجن (قوله تنفيؤ) أى تنتقل من جانب إلى آخر واختاف فى النقص هو مطلق الظل قبل الزوال أو بعده وهو الموافق لمعنى الآية هنا وقيل الظل ما كان قبل الزوال والنقص ما كان بعده وقيل غير ذلك (قوله عن اليمين والشمال) أى عن المستقبل للقبلة وشماله ، وذلك أن الشمس إذا طلعت من المشرق وأنت متوجه إلى القبلة كان ظلك عن يمينك فإذا ارتفعت واستوت فى وسط السماء كان ظلك خلفك فإذا مالت إلى المغرب كان ظلك عن يسارك وأورد اليمين وجمع الشمال فنحننا (قوله أى عن جانبيهما) أشار بذلك إلى أن الكلام على حذف

مضاف (قوله حال) أى من قوله غلاله (قوله بما يراد منهم) أى من طول وقصر وتحول من جانب لآخر (قوله وم داخرون) الجملة حالية من الضمير فى سجدا (قوله زلوا) أى فى جمعهم بالواو والنون كالغلاء وذلك لانصافها بالطاعة والاتباع لله وذلك من وصف العقلاء فجمعت بالواو والنون (قوله والله يسجد ما فى السموات وما فى الأرض) أى طوعا وكرها فسجود الملائكة وغيره العاقل طوعا فقط وسجود الآدميين والجن طوعا من مؤمنهم وكرها من كافرهم (قوله أى يخضع له) أشار بذلك إلى أن للرب بالاسجود معناه اللغوى (قوله والملائكة) عطف على ما فى قوله ما فى السموات (قوله تفضيلا) أى تحريفا وتعظيما (قوله يتكبرون) عن عبادته) أى لا يتركون عبادة ربهم ولا يتكبرون عنها (قوله حال من هم) صوابه من ربهم بدليل قوله عاليا الخ . والمعنى يخافون الله حال كونه سبحانه وتعالى مستعليا عليهم وقاهرا لهم ، فالمراد بالقوية الاستعلاء والتهر لا الجهة لأنها مستحيلة عليه تعالى (قوله ويفعلون ما يؤمرون) أى فلا يعصون ربهم أبدا بل هم يمثلون لأمره محتجبون بتهيه (قوله وقال الله) أى لعباده (قوله لا تتخذوا لهين اثنين) لانهية وتتخذوا مجزوم بحذف النون والواو فاعل والهين مفعول أول واثنين تأكيد له والمفعول الثانى محذوف تقديره معبودا ويعلم من النهى عن اتخاذ اثنين النهى عن اتخاذ أكثر بالأولى (قوله إنما هو إله واحد) آتى به لاثبات الألوهية والوحدانية ، والمعنى أن للعبود لا يكون إلا واحدا وإلا لم يوجد شئ من العالم قال تعالى : لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا وقال تعالى : ما اتخذ الله (٢٩٢) من ولد وما كان معه من إله إذا ذهب كل إله بما خلق ولعل بعضهم

على بعض (قوله فأبى فارهبون) إياى مفعول لفعل محذوف بفسره قوله ارهبون أى ارهبوا إياى فارهبون والمعنى لا تخافوا غيرى فان التفع والضر يبدى والألوهية وصف فلا تخشوا غيرى ولا ترجوا غيرى (قوله وفيه التفات عن النية) أى إلى التكلم لأنه أبلغ فى التخويف (قوله وله ما فى السموات والأرض)

حال أى خاضعين بما يراد منهم (وَهُمْ) أى الظلال (دَاخِرُونَ) صاغرون زلوا منزلة العقلاء (وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ مِنْ دَابَّةٍ) أى نسمة تدب عليها أى يخضع له بما يراد منهم ، وغلب فى الاثنيان بما لا يعقل لكثرة (وَالْمَلَائِكَةُ) خصهم بالذكر تفضيلا (وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ) يتكبرون عن عبادته (يَخَافُونَ) أى للملائكة حال من ضمير يستكبرون (رَبَّهُمْ مِنْ قُوَّتِهِمْ) حال من هم أى عاليا عليهم بالتهر (وَيَقْعَمُونَ مَا يُؤْمَرُونَ) به (وَقَالَ اللَّهُ لَا تَتَّخِذُوا الْهَيْنَيْنِ أَئْتَيْنِ) تأكيد (إِنَّمَا هُوَ إِلَهُ وَاحِدٌ) آتى به لاثبات الألوهية والوحدانية (فَأَبَإَى فَاذْهَبُونَ) خافون دون غيرى وفيه التفات عن النية (وَلَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ) مُلْكًا وخلقًا وعبيدًا (وَلَهُ الدِّينُ) الطاعة (وَاصِبًا) دائما حال من الدين والعامل فيه معنى الظرف (أَفَتُفِيرُ اللَّهَ تَتَّقُونَ) وهو الإله الحق ولا إله غيره والاستفهام للانكار والتوبيخ (وَمَا يَكُمُ مِنْ نِعْمَةٍ فَرِحْتُمْ بِهَا) لا يأتى بها غيره وما شرطية ،

فيه التفات من التكلم للنية وهذا دليل على أنه المنفرد بالألوهية والوحدانية إذ غيره لا يخلو إما أن يكون أو فى السموات أو الأرض وكل بما فيها مملوك لله فلا يصح ولا يليق اتخاذ غيره إلها (قوله ملكا وخلقا وعبيدا) أى لجميع ما فى السموات والأرض مملوكون مخلوقون له يتصرف فيهم كيف يشاء (قوله وله الدين) أى التدين والانقياد لغيره فالطاعة لا تكون إلا لله وحده وطاعة الرسول والوالدين وأولى الأمر من طاعة الله لأمره بها (قوله والعامل فيه معنى الظرف) أى الاستقرار المفهوم من الجار والمجرور ، والمعنى استقر الدين له حال كونه دائما وهذا ظاهر على أن الدين فاعل بالجار والمجرور وأما إن جعل الدين مبتدأ مؤخرا والجار والمجرور خبرا مقدما فلا يصح ما قاله المفسر لأن العامل فى الحال هو العامل فى صاحبها والمبتدأ ليس معمول لا الخبر وحينئذ فلا أولى أن يجعل حالا من الضمير الكائن فى الظرف والتقدير والدين ثابت له حال كونه واصبا (قوله أفغير الله تتقون) الممزة داخل على محذوف تقديره أتركتم عبادة الله ومحاقته فغير الله تتقون (قوله والاستفهام للانكار) أى والمعنى لا يابىق منكم أن تتوا غيره ولا تطيعوا غيره إلا إذا كان الأمر بذلك هو الله كطاعة الوالد والرسول فى الحقيقة التقوى لله (قوله وما بكم من نعمه) أى دنيوية وأخروية (قوله وما شرطية) أى وفعل الشرط محذوف والتقدير أيما نزل بكم وقوله فمن الله جواب الشرط وقوله من نعمه بيان لما ويرد عليه أنه لا يحذف فعل الشرط إلا بعد أن فى موضعين الأول فى باب الاشتغال نحو وإن أحد من المشركين استجارك فأجره الثانى أن تكون لا النافية تالية لأن مع وجود ما يبدل على الشرط كقول الله : من

فطلقها فليست لها مكشف . وإلا يصل مغرك الحسام

فإن لم توجد لا أو كانت الأداة غير إن لم يحذف إلا لضرورة فالأحسن الاعراب الثاني (قوله أو موصولة) أى بمعنى الذى والجار والجرور متعلق بمحذوف صلة ما ومن نعمة بيان لما وهو مبتدأ وخبره قوله - فمن الله - والفاء زائدة فى الخبر لتضمن اللبتدأ معنى الشرط ، والمعنى أن الله هو مولى النعم لا غيره وتسمية غيره منعما باعتبار أن النعم أجريت على يده وهو مظهر لها (قوله تجارون) من الجوار بوزن غراب وهو رفع الصوت بالدعاء فى كشف منازل من الضر (قوله ثم إذا كشف الضر عنكم) أى أزاله بإصال النفع لكم (قوله ليكفروا) اللام لام كي وهى متعلقة بشركون أولام العاقبة والصيرورة أولام الأمر للتهديد (قوله أمر تهديد) أى تخويف (قوله عاقبة ذلك) أى وهى الخلود فى النار (قوله لأنها لا تضر ولا تنفع) أشار بذلك إلى أن مفعول يملعون محذوف (قوله وهى الأصنام) تفسير لما ، والمعنى ويجعل (٢٩٣) المشركون للأصنام التى لا يعلمون

منها نفعاً ولا ضراً نصيباً الخ (قوله من الحرث) بيان لما والمراد بالحرث الزرع (قوله بقولهم) متعلق بيجعلون (قوله وفيه التفات عن الغيبة) أى لزيادة التوبيخ عليهم (قوله بقولهم الملائكة بنات الله) أى وليس المراد بالبنات بناتهم التى يدعونها لأنهم يعترفون بأنها منسوبة لهم فلا يضيفونها لله وإنما البنات التى يضيفونها لله هى الملائكة والقائل ذلك كعبانة وخزاعة (قوله والجملة فى محل رفع) المناسب أن يقول مستأنفة لأن لهم خبر مقدم وما مبتدأ مؤخر لاجل لما من الاعراب (قوله أو نصب بيجعل)

أو موصولة (ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمْ) أصابكم (الضُّرُّ) الفقر والمرض (فَإِلَيْهِ تَجَاءرُونَ) ترفعون أصواتكم بالاستغاثة والدعاء ولا تدعون غيره (ثُمَّ إِذَا كُشِفَ الضُّرُّ عَنْكُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِنْكُمْ بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ . لِيَكْفُرُوا بِمَا آتَيْنَاهُمْ) من النعمة (فَتَقْتُمُوا) باجتماعكم على عبادة الأصنام أمر تهديد (فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ) عاقبة ذلك (وَيَجْعَلُونَ) أى الشركون (لِمَا لَا يَعْلَمُونَ) أنها لا تضر ولا تنفع وهى الأصنام (نَصِيبًا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ) من الحرث والأصنام بقولهم هذا لله وهذا لشركائنا (تَاللَّهِ تَسْتَكْبِرُونَ) سؤال توبيخ وفيه التفات عن الغيبة (عَمَّا كُنْتُمْ تَفْتَرُونَ) على الله من أنه أمركم بذلك (وَجَعَلُونَ لِلَّهِ الْبَنَاتِ) بقولهم الملائكة بنات الله (سُبْحَانَهُ) تنزيها له عما زعموا (وَلَهُمْ مَا يَشْتَهُونَ) أى البنون والجملة فى محل رفع أو نصب بيجعل ، المعنى يجعلون له البنات التى يكرهونها وهو منزّه عن الولد ويجعلون لهم الأبناء الذين يختارونها فيخصون بالأسنى كقوله : فاستفتهم أربك البنات ولهم البنون (وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُمْ بِالْأُنثَى) تولد له (ظَلَّ) صار (وَجْهُهُ مُسْوَدًّا) متغيراً تغير مقم (وَهُوَ كَظِيمٌ) ممتلئ غمّاً فكيف تنسب البنات إليه تعالى (يَتَوَارَى) يختفى (مِنَ الْقَوْمِ) أى قومه (مِنْ سُوءِ مَا بُشِّرَ بِهِ) خوفاً من التغير متردداً فيما يفعل به (أَيْمُسِكُهُ) يتركه بلا قتل (عَلَى هُونٍ) هوان وذلل (أَمْ يَدُسُّهُ فِي التُّرَابِ) بأن يثده (أَلَا سَاءَ) بئس (مَا يَحْكُمُونَ) حكمهم هذا حيث نسبوا لخالفهم البنات اللاتى هى عندهم بهذا المحل (لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ) أى الكفار (مَثَلُ السُّوءِ) أى الصفة السوأى بمعنى القبيحة وهى وأدم البنات مع احتياجهم إليهن للنكاح ،

أى بالعطف على معمولى يجعل فإن قوله لهم معطوف على لله وما معطوفة على البنات مساط عليهما يجعل وفيه العطف على معمولى عامل واحد وهو جازر باتفاق (قوله بالأسنى) أى الأرفع والأشرف (قوله وإذا بشر أحدهم) الجملة فى محل نصب حال من الواو فى يجعلاون والمراد بالبشارة الإخبار (قوله صار) أشار بذلك إلى أن ظل ليست على بابها من أنها تدل على الإقامة على تلك الصفة نهارة بل المراد منها الانتقال من حالة لأخرى (قوله من سوء ما بشر به) أى من أجل سوء الأسنى التى بشر بها وسوءها من حيث إنه يخاف عايبها الزنا ويتحمل عازها وكونها لا تكتسب وغير ذلك (قوله متردداً) قدره إشارة إلى أن قوله أيمسكه الخ معمول لحال محذوفة ولا يصلح أن يكون حالاً لأنه جملة طلبية (قوله على هون) حال من المفعول والمعنى أيمسكه مهيناً له (قوله أم يدهس) أى يخفيه (قوله بأن يثده) الواو دفين البنت حية (قوله بهذا المحل) أى الرتبة وهى الحقارة والذل (قوله أى الصفة السوأى) أشار بذلك إلى أن قوله مثل السوء من إضافة الموصوف لصفته والسوأى ضم السين والتصر بوزن طوبى .

(قوله وقه المثل الأعلى) أى صفات الله أعلى الصفات وصفات الكفار أخسها حيث ينسبون لله ما يكرهون لأنفسهم مع كونه منزها عن صفات الحوادث (قوله وهو العزيز فى ملكه) أى الغالب فلا يعجزه شئ* (قوله الحكيم فى خلقه) أى يضع الشئ فى عمله (قوله ولو يؤاخذ الله الناس الخ) أى لو يجعل الله للناس العقوبة بسبب عصيانهم لم يبق أحدا (قوله ماترك عليها) الضمير عائد على الأرض المفهومة من السياق لأن الدابة مادب على وجه الأرض (قوله من دابة) من زائدة فى المفعول ووجه هلاك الجميع أن الله تعالى يسك السماء عن المطر والأرض عن النبات فإذا حصل ذلك هلك كل مذكور لأن كل دابة محتاجة للقوام فإذا أمسك قوامها هلكت عن آخرها وهو أقرب ما يقال فى ذلك (قوله ولكن يؤخرهم إلى أجل مسمى) أى ولكن سبقت حكمة الله بأن الدنيا نصير عمارا إلى أن تنقضى المدة التى قدرها الله تعالى فإذا كان كذلك فلا يعاجلهم بالعقوبة بل يوفهم أرزاقهم وآجالهم لغاية الرحمة على الغضب فلو عاجلهم بالعقوبة لكان الغضب غالبا على الرحمة وهو خلاف ماسبق علمه به (قوله ولا يستقدمون) أى لا يتقدمون على الأجل المعين الذى حضر . إن قلت إنه لا يحسن ترتيبه على الشرط لأن الأجل إذا جاء لا يتوهم التقدم عليه (٣٩٤) إذ هو مستحيل ولا يبنى إلا ما يتوهم ثبوته . أوجب بأن قوله ولا يستقدمون

معطوف على جملة الشرط وجوابه كأنه قال فإذا جاء أجلهم لا يستأخرون عنه ساعة وإذا لم يحيى لا يستقدمون عليه (قوله ويجعلون لله ما يكرهون) هذا من جملة صفات السوء (قوله والشريك فى الرياسة) أى وهو الأصنام جعلوها شركاء لله فى الألوهية التى هى أعلى أوصاف الرياسة (قوله وإهانة الرسل) أى كما أهانوا رسول الله فهم يكرهون البنات والشريك فى الرياسة وإهانة رسلهم

(وَلِلَّهِ الْمَثَلُ الْأَعْلَى) (الصفة العليا وهو أنه لا إله إلا هو) (وَهُوَ الْعَزِيزُ) (فى ملكه) (الْحَكِيمُ) فى خلقه (وَلَوْ يُؤَاخِذُ اللَّهُ النَّاسَ بِظُلْمِهِمْ) بالمعاصى (مَاتَرَكَ عَلَيْهَا) أى الأرض (مِنْ دَابَّةٍ) نسمة تدب عليها (وَلَكِنْ يُؤَخِّرُهُمْ إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى فَإِذَا جَاءَ أَجْلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ) (عنه) (سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ) عليه (وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ مَا يَكْرَهُونَ) لأنفسهم من البنات والشريك فى الرياسة وإهانة الرسل (وَتَصِفُ) تقول (أَلْسِنَتُهُمْ) مع ذلك (الْكُذِّبَ) وهو (أَنَّ لَهُمُ الْحُسْنَى) عند الله أى الجنة لقوله : ولئن رجعت إلى ربي إن عنده للحسنى . قال تعالى (لَا جَرَمَ) حقا (أَنَّ لَهُمُ النَّارَ) وَأَنَّهُمْ مُّفْرَطُونَ متروكون فيها أو مقدمون إليها وفى قراءة بكسر الراء أى متجاوزون الحد (تَاللَّهِ لَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَى أُمَمٍ مِنْ قَبْلِكَ) رسلا (فَزَيْنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ) السيئة فأرواها حسنة فكذبوا الرسل (فَهُوَ وَآلِيُّهُمْ) متولى أمورهم (اليَوْمَ) أى فى الدنيا (وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ) مؤلم فى الآخرة، وقيل المراد باليوم يوم القيامة على حكاية الحال الآتية أى لاولى لهم غيره وهو عاجز عن نصر نفسه ،

فكيف

ويجعلون ما يكرهونه لله فينسبون لله البنات ويشركون مع الله

فى الألوهية غيره ويهينون رسول الله (قوله الكذب) مفعول به وقوله أن لهم الحسنى بدل كل من كل . والمعنى ونقول ألسنتهم زيادة على ماسبق منهم إن لهم الحسنى (قوله لقوله) دليل لقوله عند الله (قوله قال تعالى) أى ردا عليهم وتبكيثا لهم (قوله لا جرم) تقدم أن لاناية لمعنى ما قبلها وجرم بمعنى حق وثبت وأن وما دخلت عليه فى محل رفع فاعل . والمعنى لاعتبرة بقولهم الكذب بل حق وثبت كون النار لهم وتركهم فيها وتقدم أن قول المفسر حقا مفعول مطابق لفعل محذوف تقديره حق حقا (قوله أو مقدمون إليها) أى معجلون إليها قبل غيرهم (قوله وفى قراءة) وهى سبعة أيضا (قوله تالله لقد أرسلنا) شروع فى تسليته صلى الله عليه وسلم (قوله فزين لهم الشيطان أعمالهم) أى جعلها حسنة ليضلهم بها (قوله أى فى الدنيا) هذا أحد قولين ذكرهما المفسر وعلى هذا القول فلا يحتاج لتأويل لأن مدة الدنيا كالوقت الحاضر بالنسبة للآخرة ، وقيل المراد باليوم يوم القيامة الخ أى وعليه فالיום مستعمل فى غير معناه الأصلى لأنه حقيقة فى الزمان الحاضر المقارن للتكلم ولذا أوله المفسر بقوله على حكاية الحال الآتية أى فعبر عن الزمان الذى لم يحصل بما هو موضوع للحاضر المقارن لتحقق حصوله فكانه حاضر الآن (قوله أى لاولى لهم) أى لناصر ولا منغيث لهم غيره (قوله وهو عاجز الخ) الجملة حاله .

(قوله فكيف ينصرم) أشار بذلك إلى أن الراد بالولي على هذا القول الثاني الناصر وأما على الأول فعناء القرن التولى إفاوهم (قوله وما أنزلنا الخ) هذا من جملة تسليته صلى الله عليه وسلم (قوله من أمر الدين) أى كالتوحيد وأحكام العبادات والمعاملات وغير ذلك (قوله وهدي) أى من الضلال (قوله ورحمة) أى إحسانا (قوله لقوم يؤمنون) خصهم لأنهم المنتفعون به دون غيرهم . قال تعالى - وتزل من القرآن ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين ولا يزيد الظالمين إلا خساراً - (قوله والله أنزل من السماء ماء) شروع في ذكر أدلة توحيدة سبحانه وتعالى (قوله دالة على البعث) أى لأن القادر على إحياء الأرض بالماء بعد يسها قادر على إعادة الأجسام بعد تفرقها وانعدامها (قوله سماع تدبر) أى فالمراد بالسماع سماع القلوب لاصماع الآذان (قوله وإن لكم في الأنعام) في السببية . والمعنى وإن لكم بسبب الأنعام لعمرة الخ (قوله لعمرة) أى اتعاطا وتذكرا باعتبارها المعتبر ويستدل على أن الله هو الرحمن الرحيم الفعال لما يريد (قوله بيان للعمرة) أى لمتعلقها وهو المعتبر به (قوله مما في بطونه) من تتبعيض وقوله من بين فرث من ابتدائية كما قال المفسر . والمعنى نسقيكم بعض الذى فى بطونه لبنا خالصا ناشئا من بين فرث ودم وذكر الضمير فى بطونه هنا مراعاة للنظ الأنعام وأنه فى سورة المؤمنين مراعاة للمعنى الذى هو جماعة الأنعام لأن الأنعام اسم جمع (قوله نفل الكرش) بضم المثناة وسكون الفاء والكرش (٢٩٥) بوزن الكبد (قوله لبنا)

مفعول ثان لنسقيكم والاول هو الكاف (قوله وهو بينهما) وذلك لأن البهيمة إذا أسكت العاف طبعه الكرش فيجعل الله أسفله فرثا وأوسطه لبنا خالصا لا يشوبه شيء وأعلاه دما وبينهما حاجز بقدرة الله تعالى ثم يسلط الكبد عليه فتجرى الدم فى العروق واللبن فى الضروع ويبقى الفرث فى الكرش فينزول من مخرجه روثا (قوله سهل المرور) أى ولذا جعل

فكيف ينصرم (وَمَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ) يا محمد (الْكِتَابَ) القرآن (إِلَّا لَتُبَيِّنَ لَهُمُ) للناس (الَّذِي اختلفوا فيه) من أمر الدين (وَهُدًى) عطف على تبين (وَرَحْمَةً لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ) به (وَاللَّهُ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْيَا بِهِ الْأَرْضَ) بالنبات (تَبْدًا مَوْتَهَا) يسها (إِنْ فِي ذَلِكَ) للذكور (لَايَةٌ) دالة على البعث (لِقَوْمٍ يَسْمَعُونَ) سماع تدبر (وَأِنْ لَكُمْ فِي الْأَنْعَامِ لَعِبْرَةٌ) اعتباراً (نُسْقِيكُمْ) بيان للعمرة (مِمَّا فِي بُطُونِهِ) أى الأنعام (مِنْ) للابتداء متعلقة بنفسيكم (يَبْنِي فَرَثٍ) نفل الكرش (وَدَمٍ لَبَنًا خَالِصًا) لا يشوبه شيء من الفرث والدم من طعم أو ريح أولوف وهو بينهما (سَائِغًا لِلشَّارِبِينَ) سهل المرور فى حلقهم لا ينقص به (وَمِنْ ثَمَرَاتِ النَّخِيلِ وَالْأَعْنَابِ) نمر (تَتَخَذُونَ مِنْهُ سَكْرًا) خمرًا يسكر سميت بالمصدر وهذا قبل تحريمها (وَرِزْقًا حَسَنًا) كالتمر والزبيب والنخل والدبس (إِنَّ فِي ذَلِكَ) للذكور (لَايَةً) على قدرته تعالى (لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ) يتدبرون (وَأَوْحَى رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ)

غذاء لصغار الحيوانات التى ترضعها أمهاتها ولعظم مزيته يقال عقب أ كله اللهم بارك لنا فيه وزدنا منه بخلاف غيره من الأطعمة فيقال وعوضنا خيرا منه (قوله ومن ثمرات النخيل) خبر مقدم والمبتدأ محذوف قدره المفسر بقوله نمر وقوله تتخذون نمت لذلك المحذوف والضمير فى منه عائد على ذلك المحذوف (قوله خمرًا) أى وقيل إنه اسم للنخل بلفظ الحبشة وقيل اسم للعصير مادام حلوا وتسميته سكرًا باعتبار ما يشول إليه وعلى هذين التفسيرين فالامتنان به باق لم ينسخ (قوله سميت بالمصدر) أى فالسكر مصدر سكر من باب فرح (قوله وهذا قبل تحريمها) أى لأن هذه السورة مكية وتحريم الخمر كان بالمدينة ونزلت به سورة المائدة وهى مدنية (قوله والدبس) هو عسل الرطب ويطلق على عسل العنب (قوله المذكور) أى من إخراج اللبن على هذه السكيفية واتخاذ السكر والرزق من الثمرات (قوله وأوحى ربك إلى النحل) لما ذكر سبحانه وتعالى ما يدل على باهر قدرته وعظيم حكمته من إخراج اللبن من بين فرث ودم وإخراج السكر والرزق الحسن من ثمرات النخيل والأعنب ذكر إخراج العسل الذى جعله شفاء للناس من النحل وهى دابة ضعيفة لما فيه من العجائب البديعة والأشياء الغريبة وكل هذا يدل على وحدانية الصانع وقدرته وعظمته (قوله إلى النحل) هو اسم جنس جمى يفرق بينه وبين واحده بالتاء كنمل ونملة وشجر وشجرة ويذكر ويؤنث فمن التأنيت قوله هنا أن اتخذناه بجمه فى غير القرآن تذكره فيقال أن اتخذ .

(قوله وحى إلهام) أى هداية ورشد لا وحى نبوة إذ هى مستحيلة على غير المختصين من هى آدم ثمن أجمعها لغير النوع للانسانى فقد كفر (قوله مفسرة) أى لتقدم جملة فيها معنى القول دون حروفه وهو قوله : أوحى (قوله أو مصدرية) أى فوحى وما دخلت عليه فى تأويل مصدر مجرور بالباء ، والتقدير أوحى ربك إلى النحل باتخاذها (قوله من الجبال بيوتا) أى أما كن ومن بمعنى فى : أى اتخذى فى الجبال أما كن تأوين إليها الخ ، ومن عجيب قدرته تعالى أن ألهمها باتخاذ بيوت على شكل مسدس من أضلاع متساوية لا يزيد بعضها على بعض وليس فيه فرج خالية ولا خلل ، وألهمها الله تعالى أن تجعل عليها أميرا كبيرا نافذا حكمه فيها وهى تطيعه وهذا الأمير أكبرها جثة وأعظمها خلقه يسمى يسوب ، وألهمها سبحانه وتعالى أن تجعل على كل باب خلية بوابا لا يمكن غير أهلها من الدخول إليها ، وألهمها أن تخرج من بيوتها فتدور وترعى ثم ترجع إلى بيوتها ولا تضل عنها (قوله ومما يرشون) أى وفيما ينشون لك : أى فالنحل تارة تبنى بيوتها التى هى من الشمع وللماء تارة فى الجبال وتارة فى الأشجار وذلك فى النحل الوحشى وتارة تبنيه فى الحلايا وهذا فى النحل الأهلى (قوله وإلا لم تأو إليها) أى وإلا بأن لم يلهمها الله اتخاذ البيوت فى الأماكن الثلاثة لم تأو إليها فيضيع عسلها ولا يفتنع به (قوله من كل الثمرات) أى حلوها ومرها طيبها ووردتها (قوله وإن توعدت) أى صعبت (قوله ولا تضل) معطوف على قوله فلا تصر عليك (قوله أى منقادة لما يراود منك) أى ممتثلة ولقد يقسم يسوبها أعمالها بينها فالبعوض يعمل الشمع والبعوض يعمل العسل والبعوض يأتى بالماء ويسبه فى البيت والبعوض يبنى البيوت (قوله شراب مختلف) (٣٩٦) ألوانه أى ما بين أبيض وأصفر وأحمر وغير ذلك من ألوان العسل ، واختلف

فى سبب اختلاف ألوانه فقيل بسبب اختلاف الرعى ، وقيل بسبب اختلاف سن النحل فالأبيض لصغيرها والأصفر لكملها والأحمر لمسنها ردة هذا بأنه لا دليل عليه (قوله قيل لبعضها) أى الأوجاع كالبلغم والبرودة وباقي الأمراض الباردة (قوله أولكلها) أى

وحى إلهام (أن) مفسرة أو مصدرية (اتخذى من الجبال بيوتا) تأوين إليها (ومن الشجر) بيوتا (ومما يرشون) أى الناس ينشون لك من الأماكن وإلا لم تأو إليها (ثم كلى من كل الثمرات فأسلكى) ادخل (سبل ربك) طرقة فى طلب المرعى (ذلل) جمع ذلول حال من السبل أى مسفرة لك فلا تصر عليك وإن توعدت ولا تضل عن العود منها وإن بعد ، وقيل من الضمير فى أسلكى أى منقادة لما يراود منك (يخرج من بطونها شراب) هو العسل (مختلف ألوانه فيه شفاء للناس) من الأوجاع قيل لبعضها كما دل عليه تفكير شفاء أولكلها بضميمته إلى غيره ، أقول وبدونها بنيتة ، وقد أمر به صلى الله عليه وسلم من استطلق عايه بطنه رواء الشيخان (إن فى ذلك لآية لقوم يتفكرون) فى صنعه تعالى

(واقه)

الأوجاع جميعها فالأمراض التى شأنها البرودة هو نافع لها بنفسه والأمراض التى شأنها

الحرارة ينفع فيها مضموما لغيره ولذلك تجد غالب المعاجين لا تخلو عنه (قوله أقول وبدونها بنيتة) أى بنية الشفاء الجازمة أن الله يخلق الشفاء عند استعماله لاخباره تعالى بذلك فتحصل أن فى قوله تعالى - فيه شفاء للناس - أقوال ثلاثة : قيل شفاء لبعض الأوجاع التى شأنها البرودة ، وقيل شفاء لجميعها لكن فى الأمراض الباردة يستعمل خالصا والحرارة يستعمل مشوبا بغيره ، وقيل شفاء لجميعها بالنية فى كل حال ولكل أحد ، ولقد روى عن ابن عمر أنه كان لا يشكو قرحة ولا شيئا إلا جعل عليها عسلا حتى يعمل إذا خرج طلا عليه عسلا ، وحكى النقاش عن أبى وجرة أنه كان يكحل بالعسل ويتشق بالعسل ويتداوى بالعسل (قوله وقد أمر به صلى الله عليه وسلم الخ) قد اختصر المفسر الحديث ، ونصه عن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه قال « جاء رجل إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال إن أحنى استطلق بطنه ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أسقه عسلا فسقاه ثم جاء فقال إنى سقيته عسلا فلم يزد إلا استطلاقا فقال له ثلاث مرات ثم جاءه الرابعة فقال أسقه عسلا فقال سقيته فلم يزد إلا استطلاقا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم صدق الله وكذب بطن أخيك فسقاه فبرأه ولا عبرة باعتراض اللعدين الذين فى قلوبهم مرض على هذا الحديث حيث قالوا : إن الأطباء مجمعون على أن العسل مسهل فكيف يوصف لمن به الاسهال لأن الاسهال يكون من أنواع كثيرة منها الاسهال الحادث من التخم والأخلاط ، وقد أجمع الأطباء على أن علاجه بالمعيز على الاسهال إذ حبس الطبيعة مضر فهذا الحديث محمول على ذلك ، ولقد نفعه آخر حين نظفت المعدة وخلعت من الفضل (قوله إن فى ذلك لآية) أى دلالة على وحدانية الصانع

الحكيم القادر (قوله والله خلقكم) أي أنشأكم وأوجدكم (قوله ثم يتوفاكم) أي ينسلكم (قوله ومنكم من يرد الخ) معطوف على محذوف ، ويتقدير فنسلك من يبق على قوة جسمه وعقله إلى أن يموت ومنكم الخ (قوله إلى أزدل العمر) أي أضغه . قال بعض العلماء : عمر الانسان له أربع مراتب : أولها سنّ النشوء والنماء وهو من أول العمر إلى بلوغ ثلاث وثلاثين سنة وهو غاية سنّ الشباب وبلوغ الأشد ، ثم المرتبة الثانية سنّ الوقوف وهو من ثلاث وثلاثين سنة إلى أربعين سنة وهو غاية القوة وكال العقل ، ثم المرتبة الثالثة سنّ الكهولة وهي من الأربعين إلى ستين سنة ، وفي هذه المرتبة يشرع الانسان في التقص غير أنه يكون خفيا ، ثم المرتبة الرابعة سنّ الشيخوخة والانحطاط من الستين إلى آخر العمر وفيه يتبين التقص ويكون الهرم والحرف وقد استعاض منه صلى الله عليه وسلم حيث قال « اللهم إني أعوذ بك من البخل والكسل وأردل العمر وعذاب القبر وقتنة الحياة والمات » (قوله لكيلا يعلم بعد علم شيئا) اللام لام التعليل وكى مصدرية ولا نافية وشيئا تنازعه الفعل والمصدر فأعمل الثاني وأضمر في الأول وحذف ، والمعنى لأجل اتقاء علمه بالأشياء التي كان يعلمها قبل هذه الحالة فيرجع إلى مبدئه في عدم المعرفة والعالم كالطفل الذي لا يدري شيئا (قوله من قرأ القرآن) أي عامل به وكذلك (٢٩٧) العلماء العاملون لا يسيرون

بهذه الحالة بل كلما ازدادوا في العمر ازدادوا في العلم والمعرفة والعقل كما هو مشاهد ، ولذا قالوا أعلى كلام العارفين ماصدر منهم في آخر عمرهم بل قالوا الرد لأردل العمر يسكون للكفار وللممكنين في الشهوات من عوام المؤمنين (قوله والله فضل بعضكم على بعض في الرزق) للقصود من ذلك الرد على الكفار حيث جعلوا الله شريكا في ألوهيته كأنه قال الله جعل منكم أغنياء وفقراء فالأغنياء

(وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ) ولم تكونوا شيئا (ثُمَّ يَتَوَفَّاكُمْ) عند انقضاء آجالكم (وَمِنْكُمْ مَنْ يَرُدُّ إِلَى أَرْدَلِ الْأُمُرِ) أي أخسه من الهرم والحرف (لِكَيْلَا يَعْلَمَ بَعْدَ عِلْمٍ شَيْئًا) قال عكرمة: من قرأ القرآن لم يصير بهذه الحالة (إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ) بتدبير خلقه (قَدِيرٌ) على ما يريد (وَاللَّهُ فَضَّلَ بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضٍ فِي الرِّزْقِ) فمنكم غني وفقير ومالك ومملوك (فَمَا الَّذِينَ فَضَّلُوا) أي الموالى (يَرَادَى رِزْقُهُمْ عَلَى مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ) أي يجاعل ما رزقناهم من الأموال وغيرها شركة بينهم وبين ممالئكمهم (فَهُمْ) أي للمالئك والموالى (فِيهِ سَوَاءٌ) شركاء ، المعنى ليس لهم شركاء من ممالئكمهم في أموالهم فكيف يجعلون بعض ممالئك الله شركاء له (أَفَبِنِعْمَةِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ) يكفرون حيث يجعلون له شركاء (وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا) خلق حواء من ضلع آدم وسائر النساء من نطف الرجال والنساء (وَجَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ بَنِينَ وَحَفَدَةً) أولاد الأولاد (وَرَزَقَكُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ) من أنواع الثمار والحبوب والحيوان (أَفَبِالْبَاطِلِ) الصنم (يُؤْمِنُونَ وَيَنْعَمَتِ اللَّهُ هُمْ يَسْكُرُونَ) باشرأكم (وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ) أي غيره (مَالًا يَمْلِكُ لَهُمْ رِزْقًا مِنَ السَّمَوَاتِ) ،

لا ترضى أن تشرك الفقراء في أوصافهم فكيف يجعلون الله شريكا في صفاته مع أنه الغنى اللطابق عما سواه وهذا من ثمرات قوله ويجعلون لله ما يكرهون (قوله أي الموالى) المراد بهم السادة (قوله المعنى ليس لهم شركاء) أشار بذلك إلى أن قوله فهم فيه سواء حذف منه أداة الاستفهام ، والتقدير أنهم فيه سواء ومعناه التثني : أي ليسوا مستويين فيه : أي لا ترضى الأغنياء بتسوية الفقراء معهم في غنائم ولا الموالى بتسوية العبيد معهم في سيادتهم فكيف يجعلون وصف الألوهية لغيره تعالى (قوله أفبنعمت الله) الهمة داخله على محذوف والغاء عاطفة على ذلك المحذوف وهي داخله على الفعل ، والمعنى أيشركون به فيجحدون نعمته (قوله يكفرون) أشار بذلك إلى أنه ضمن قوله يجعلون معنى يكفرون فعدها بالباء وإلا فالجحد يتعدى بنفسه (قوله من أنفسكم) أي نوعكم وبنسكم (قوله خلق حواء من ضلع آدم) أي الأيسر القصير (قوله بنين) لم يذكر البنات لكرهتهم لمن فلم يمتن عليهم إلا بما يحبونه (قوله أولاد الأولاد) أي ومما حفدة لأنهم يخدعون أجدادهم ويسارعون في طاعتهم لأن الحافد معناه الخادم (قوله أفعال باطل يؤمنون) يقال فيه ما قيل فيما قبله فيكون التقدير أبعد تحقق ما ذكر من نعم الله يؤمنون بالباطل وهو استفهام توبيخ وتقرير (قوله ويعبدون) عطف على يكفرون (قوله مالا يملك لهم رزقا من السموات) أي أصناما لا تستطيع جلب نفع ولا دفع ضرر

(قوله بالمطر) أى باتزاله (قوله بدل من رزقا) أى على أن الرزق اسم عيى بمعنى الرزوق وفيه أن البدل إما للتوكيد أو للبيان وشيئا لا يصلح لذلك ، وحينئذ فالمناسب جله صفة لمصدر محذوف مفعول مطلق لقوله يملك والتقدير ما لا يملك لهم ملكا شيئا أى قليلا أو كثيرا جليلا أو حقيرا (قوله تشركونهم به) أى فإن ضرب المثل تشبيه حال بحال والله منزّه عن الأحوال والكيفيات ، وأما ضرب المثل بمعنى تشبيه حال بعض المخلوقات بحال بعض لأجل الاستدلال على اتصافه بالكلمات فلا ينهى عنه بل ذكره الله تعالى في كتابه وعلمنا كيفية ضربه ، قال تعالى - أنزل من السماء ماء فصالت أودية بقدرها - الخ وقال هنا - ضرب الله مثلا عبدا مملوكا الخ - (قوله أن لا مثل له) وقيل المراد أن الله يعلم كيفية ضرب الأمثال وأنهم لا تعلمون كيفيةها (قوله ضرب الله مثلا) هذا مرتب على قوله فلا تضربوا الله الأمثال ، لأن المنهى عنه الأمثال التى تفيد تشبيه الله بغيره ، وأما المثل الذى يفيد التوحيد فقد ضربه الله بقوله : ضرب الله مثلا الخ (قوله صفة تميزه من الحر) جواب عما يقال إن كل شخص مملوك لله حرا كان أو عبدا . فأجاب بأن المراد به الرقيق إذ الحر لا يسمى مملوكا عرفا وإن كان يسمى عبدا لله (قوله لا يقدر على شيء) أى من التصرفات . واختلف (٢٩٨) العلماء فى العبد هل يملك ما يحب يده من الأموال أولا يملكها فقال

مالك إنه يملك غير أن ملكه غير تام ، وقال الشافعي لا يملك أصلا وإنما الذى تحت يده ملك سيده والآية مفروضة فى عبد لا يقدر على شيء وكون العبد يملك أو لا شيء آخر (قوله ومن) معطوف على عبدا (قوله حسنا) أى حلالا (قوله والأول مثل الأمثال والثانى مثله تعالى) أى فالتقصود من ذلك التوصل إلى إبطال الشريك والرد على الكفار كأن الله يقول

بالمطر (وَالْأَرْضِ) بالنبات (شَيْئًا) بدل من رزقا (وَلَا يَسْتَطِيعُونَ) يقدرُونَ على شيء وهو الأصنام (فَلَا تَضْرِبُوا اللَّهَ الْأَمْثَالَ) لا تجعلوا لله أشباها تشركونهم به (إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ أَنَّ لَمْثَلْ لَهُ) وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ذلك (ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا) ويبدل منه (عَبْدًا مَمْلُوكًا) صفة تميزه من الحر فإنه عبد الله (لَا يَقْدِرُ عَلَى شَيْءٍ) لعدم ملكه (وَمَنْ) نكرة موصوفة أى حرا (رَزَقْنَاهُ مِنَّا رِزْقًا حَسَنًا فَهُوَ يَنْفِقُ مِنْهُ سِرًّا وَجَهْرًا) أى يتصرف فيه كيف يشاء والأول مثل الأصنام والثانى مثله تعالى (هَلْ يَسْتَوُونَ) أى العبيد العجزة والحر المتصرف ، لا (الْحَمْدُ لِلَّهِ) وحده (بَلْ أَكْثَرُهُمْ) أى أهل مكة (لَا يَعْلَمُونَ) ما يصيرون إليه من العذاب فيشركون (وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا) ويبدل منه (رَجُلَيْنِ أَحَدُهُمَا أَبْكَمُ) ولد أخرس (لَا يَقْدِرُ عَلَى شَيْءٍ) لأنه لا يفهم ولا يفهم (وَهُوَ كَلٌّ) ثقيل (عَلَى مَوْلَاهُ) ولى أمره (أَيْنَمَا يُوَجِّهْ) يصرفه (لَا يَأْتِ) منه (بِحَيْرٍ) بنجح وهذا مثل الكافر (هَلْ يَسْتَوِي هُوَ) أى الأبكم المذكور (وَمَنْ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ) أى ومن هو ناطق نافع للناس حيث يأمر به ويحث عليه (وَهُوَ عَلَى صِرَاطٍ) طريق (مُسْتَقِيمٍ) وهو الثانى المؤمن؟ لا، وقيل هذا مثل لله والأبكم للأصنام

والذى

أتم لاتسبون العبد المملوك العاجز بالحرّ النقي

الذى يتصرف فى ماله كيف يشاء فكيف تشركون الأصنام التى هى أضغف من العبد المملوك مع الله القادر المتصرف فى خلقه (قوله هل يستوون) أى فى الاجلال والتعظيم ولم يقل يستويان نظرا إلى تعدد أفراد كل قسم وإنما لم يجمع المفسر الحركاء جمع العبيد إشارة إلى أنه مثل متوصل به إلى توحيد الله والله تعالى واحد فأفرده تأديبا (قوله لا) هو جواب الاستفهام (قوله الحمد لله) هذا حمد من الله لنفسه فى مقام الرد على المشركين أى هو السحق لجميع المحامد النعم التفضل الخالق الرازق ، وأما هذه الأصنام فلا تستحق ذلك لأنها جمادات عاجزة لا تنفع ولا تضر (قوله فيشركون) أى يعبدون غير الله مع ظهور البراهين والحجج الدالة على وحدانية الله تعالى (قوله أحدهما أبكم) أى والآخر ناطق قادر خفيف على مولاه أينما يوجهه يأت بحير وقد حذف هذا المقابل لدلالة قوله : ومن يأمر بالعدل الخ عليه (قوله ولد أخرس) المناسب تفسيره بالذى لا يسمع ولا يبصر ليظهر قوله لأنه لا يفهم ولا يفهم (قوله أينما يوجهه الخ) أين اسم شرط لازم ويوجهه فعل الشرط وقوله لا يأت جواب الشرط مجزوم بحذف الياء (قوله بنجح) بضم النون بوذن قتل أى لا يأت بشيء نافع (قوله ومن يأمر بالعدل) معطوف على الضمير فى يستوى والشرط موجود وهو الفصل بالضمير المتفضل (قوله وقيل هذا) أى من يأمر بالعدل .

(قوله والذى قبله) أى وهو قوله : عبداً علوكا ومن رزقناه ، وقيل كل فى الكافر والمؤمن ، وقيل كل فى المعبود بحق والمعبود بباطل فتكون الأقوال أربعة (قوله فى الكافر والمؤمن) قيل محمول على العموم ، وقيل المراد بالكافر أبو جهل والمؤمن النبی صلی الله علیه وسلم ، وقيل غير ذلك (قوله والله غيب السموات) هذا دليل على كمال علمه وقدرته (قوله أى علم ما غاب) أى خفى وبطن (قوله وما أمر الساعة) أى قيام الحاق من القبور (قوله إلا كضح البصر) أى انطباق جفن العين أو فتحه (قوله لأنه بافظ كن فيكون) فيه تسامح إذ ليس ثم كاف ولا نوز بل المراد صرعة الإيجاد فإذا أراد شيئاً أوجده صريحا (قوله لا تعلمون) أى لا تعرفون (قوله حال) أى من الكاف فى أخرجه (٢٩٩) (قوله وجعل لكم السمع) أفروده

والذي قبله في الكافر والمؤمن (وَلِلَّهِ غَيْبُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ) أى علم ما غاب فيهما (وَمَا أَمْرُ السَّاعَةِ إِلَّا كَلَمْحِ الْبَصَرِ أَوْ هُوَ أَقْرَبُ) منه لأنه بلفظ كن فيكون (إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ). وَاللَّهُ أَخْرَجَكُمْ مِنْ يُطُونِ أَنْهَارِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا) الجملة حال (وَجَعَلَ لَكُمْ السَّمْعَ) بمعنى الاسماع (وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ) القلوب (لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ) على ذلك فتؤمنون (أَلَمْ يَرْوُوا إِلَى الطَّيْرِ مُسَخَّرَاتٍ) مذللات للطيران (فِي جَوِّ السَّمَاءِ) أى الهواء بين السماء والأرض (مَا يُمَسِّكُهُنَّ) عند قبض أجنحتهن وبسطها أن يقعن (إِلَّا اللَّهُ) بقدرته (إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ) هى حلقتها بحيث يمكنها الطيران، وخلق الجو بحيث يمكن الطيران فيه وإسماهما (وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ بُيُوتِكُمْ سَكَنًا) موضعاً تسكنون فيه (وَجَعَلَ لَكُمْ مِنْ جُودِ الْأَنْعَامِ بُيُوتًا) كالخيام والقباب (تَسْتَخِفُّونَهَا) للحمل (يَوْمَ ظَنَنْتُمْ) سفركم (وَيَوْمَ إِقَامَتِكُمْ) ومن أضدافها (أى الغنم (وَأَوْبَارَهَا) أى الإبل (وَأَشْعَارَهَا) أى العز (أُنثَاءً) متاعاً لبيوتكم كبسط وأكسية (وَمَتَاعًا) تمننون به (إِلَى حِينٍ) يبلى فيه (وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ خَلْقٍ) من البيوت والشجر والتمام (ظِلَالًا) جمع ظل تقيكم حر الشمس (وَجَعَلَ لَكُمْ مِنَ الْجِبَالِ أَكْنَانًا) جمع كن وهو ما يستكن فيه كالغار والسرب (وَجَعَلَ لَكُمْ سَرَائِلَ) قصصاً (تَقِيكُمْ الْحَرَّ) أى والبرد (وَسَرَائِلَ تَقِيكُمْ بَأْسَكُمْ) حربكم أى الطعن والضرب فيها كالدرع والجواشن (كَذَلِكَ) كما خلق هذه الأشياء (يُعِثُّ نِعْمَتَهُ) فى الدنيا (عَلَيْكُمْ) بخلق ما يحتاجون إليه (لَعَلَّكُمْ) يا أهل مكة (تُسَلِّطُونَ) توحده (فَإِنْ تَوَلَّوْا) أهرضوا من الإسلام (فَإِنَّمَا عَلَيْكَ) يا محمد (الْبَلَاغُ الْمُبِينُ) الإبلابغ البين

(قوله وهذا قبل الأمر بالقتال) مراده أن هذه الآية منسوخة وفيه أنه لا يظهر إلا لو قهر جواب الشرط فلا قتالهم مثلا ، وأما لو قدر فلا عتب عليك ولا مؤاخذه لأنك لا قدرة لك على خلق الإيمان في قلوبهم فلا يظهر النسخ لأنه لا ينافي الأمر بقتالهم (قوله يعرفون نعمت الله) أى وهى ما تقدم من أوّل السورة إلى هنا من النعم العظيمة يقرون بأنها من عند الله ولا يصرفونها في مصارفها (قوله ثم يشكرونها) آتى ثم إشارة إلى أن إنكارهم مستبعد بعد المعرفة لأن من عرف النعمة حقها أن لا ينكرها بعد ذلك (قوله وأكثرهم الكافرون) أى يموتون كفارا وأقلهم يهتدى للإسلام فإن أكثر صناديدهم مات كافرا والأقل منهم أسلم (قوله ويوم نبئ) يوم منصوب بفعل محذوف قدره المفسر بقوله اذكر ، وللمنى اذكر يا محمد لقومك يوم نجعل لكل أمة شهيدا أو المراد بالبعث الأحياء أى يوم نحى من كل أمة شهيدا والأوّل أقرب (قوله يشهد عليها) أى بالكذب والكفر ، وقوله ولما أى بالتصديق والإيمان (قوله وهو يوم القيامة) أى لأنه ورد «أنه يؤتى بالأمم الماضية وأنبيائهم فيقال للأنبياء هل بنتم أمكم؟ فيقولون نعم بلعنا ، فيقال للأمم هل بلغكم رسلكم؟ فيقولون ياربنا ماجأنا من نذير فيؤتى بالأمم الحمدية فتشهد للأنبياء بالتبليغ وعلى الأمم بالكذب ، فتقول الأمم من أين أتى لكم ذلك وأنتم آخر الأمم؟ فيقولون أخبرنا نبينا بذلك عن ربنا وهو صادق عن صادق فيأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فيزكى أمته وأما الكفار من أمته فين يقول يارب قد بلغتهم تنقطع حجتهم (٣٠٠) فهو مخصوص بأنه مقبول الشهادة من غير مزك له (قوله ثم لا يؤذن

لدين كفروا) اختلف في متعلق الاذن بالنسخ فقال المفسر في الاعتذار ويدل له قوله تعالى -ولا يؤذن لهم فيعتذرون- وقيل لا يؤذن لهم في كثرة الكلام وقيل في الرجوع إلى الدنيا والتكليف وقيل في التكلم وقت شهادة الشهود بل يسكتون وقتها ولا يقدر أحد منهم على التكلم إذ ذاك (قوله ولاهم يستعجبون) أى

وهذا قبل الأمر بالقتال (يَعْرِفُونَ نِعْمَتَ اللَّهِ) أى يعرفون بأنها من عنده (ثُمَّ يَنْكُرُوهَا) بإشراكهم (وَأَكْثَرُهُمُ الْكَافِرُونَ) (وَ) اذكر (يَوْمَ نَبْعَثُ مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا) هونبها يشهد لها وعليها وهو يوم القيامة (ثُمَّ لَا يُوْذَنُ لِلَّذِينَ كَفَرُوا) في الاعتذار (وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ) لا يطلب منهم العتبي أى الرجوع إلى ما رضى الله (وَإِذَا رَأَوْا الَّذِينَ ظَلَمُوا) كفروا (الْعَذَابَ) النار (فَلَا يَخَفُ عَنْهُمْ) العذاب (وَلَا هُمْ يُنْظَرُونَ) يعملون عنه إذا رأوه (وَإِذَا رَأَوْا الَّذِينَ أَشْرَكُوا) شركاءهم (من الشياطين وغيرها) (قَالُوا رَبَّنَا هَؤُلَاءِ شُرَكَائُنَا الَّذِينَ كُنَّا نَدْعُوا) نعبدكم (مِنْ دُونِكَ فَأَقْوُوا إِلَيْهِمُ الْقَوْلَ) أى قالوا لهم (إِنَّكُمْ لَكَاذِبُونَ) في قولكم إنكم عبدتمونا كما في آية أخرى : ما كانوا إيانا يعبدون ، سيكفرون بعبادتهم (وَأَقْوُوا إِلَى اللَّهِ يَوْمَ تَذِىلُ السَّمُ) أى استسلموا لحكمه (وَضَلَّ) غاب (عَنْهُمْ) ما كانوا يفترون) من أن آلهتهم تشفع لهم (الَّذِينَ كَفَرُوا وَاصْطَدُوا) الناس (عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ) دينه (زِدْنَاهُمْ عَذَابًا فَوْقَ الْعَذَابِ) الذى استحقوه بكفرهم قال ابن مسعود

عقارب

لا تزال عتباهم وهى ما يعتبون ويلامون عليها يقال استعبت فلانا

بمعنى أزلت عتباهم فالسين والتاء للسلب نظير الهمزة في أعذر إليه على السنة للراسين (قوله إلى ما رضى الله) أى من الرجوع إلى الدنيا والعبادة فيها (قوله فلا يخفف عنهم) أى فهم لا يخفف عنهم وإنما احتيج لتقدير البتة لصحة دخول التاء لأن الفعل لنضارع الصالح لمباشرة الأداة لا يقرون بالفاء فاحتج لجعها جملة اسمية لوجود الفاء (قوله العذاب) تفسير للضمير المستتر في الفعل (قوله وإذا رأى) أى أبصر (قوله شركاءهم) منقول به والاضافة لأدنى ملازمة لكون الاشراك نشأ منهم وكذا يقال في قوله هؤلاء شركاؤنا (قوله قالوا ربنا هؤلاء شركاؤنا) إنما قصدوا بذلك توزيع العذاب بينهم (قوله فأقوا إليهم القول) للمنى فيخلق الله الحياة والعقل والنطق في تلك الأصنام ويقولون إنكم قد كذبتم في عبادتكم لنا فأنكم ما عبدتمونا بل عبدتم هواكم وإنما كذبوهم وقد كانوا يعبدونهم لأن الأوثان لم يكونوا راضين بذلك فكأنهم لم يعبدوهم (قوله أى استسلموا) أى افتقدوا بعد أن كانوا في الدنيا متكبرين ولكن هذا الانقياد لا ينفعهم (قوله من أن آلهتهم تشفع لهم) أى حيث قالوا ما نعبدكم إلا ليقربونا إلى الله زلفى (قوله الذين كفروا) مبتدأ خبره قوله زدناهم (قوله واصلوا عن سبيل الله) أى منعوا الناس عن الدخول في الإيمان وهذه الآية تعم من يحمل الناس على الكفر ولو يقول لإلهه (قوله قال ابن مسعود) أى في تفسير العذاب الزائد وقال سعيد بن جبير حيات كالبعث وعقارب أمثال البغال ناسج إحداهن الأسعة فيجد صاحبها ألها

لر صبي غريفا ، وقال ابن عباس ومقاتل بنى بزيادة العذاب خمسة أنهار من أصغر مذنب كالنار يسيل من تحت الفرس يذبون بها ثلاثة على مقدار الليل - واثنان على مقدار النهار ، وقيل إنهم يخرجون من حر النار إلى برد الزمهرير فيبادرون من شدة الزمهرير إلى النار مستغيثين بها (قوله أنبيائها كالنخل الطوال) أى وجسمها بالنسبة لأنبيائها كجسم أعداء النسبة إلى نابه فتصكون الجنة جنة أجارنا الله والمسلمين منها (قوله بما كانوا يفسدون) الباء سببية وماصدية أى بسبب كونهم مفسدين (قوله ويوم نبعث) كمرر لزيادة التهديد (قوله أى قومك) هذا أحد تفسيرين ، وقيل الرد بهؤلاء الأنبياء لاستجماع شرعه لشرائعهم ، وأما كونه شهيدا على أمته فقد علم مما تقدم فحملها عليه فيه تكرار إلا أن يقال للرد بشهادته على أمته تركيته وتعديله لم حتى شهدوا على تبليغ الأنبياء وهذا لم يعلم مما مر مع أنه الولد في الحديث (قوله ونزلنا عليك) أى فى الدنيا فهو كلام مستأنف (قوله نبيانا) حال أو مفعول لأجله وهو مصدر ولم يجىء من المصادر على وزن تفعال بالكسر لإتنيان وتلقاء وفى الأسماء كثير نحو التمساح والتمثال (قوله نبيانا) أى بيانا شافيا بليغا لأن زيادة البناء تدل على زيادة المعنى (قوله لكل شئ) محتاج إليه من أمر الشريعة . إن قلت إنا نجد كثيرا من أحكام الشريعة لم يعلم من القرآن تفصيلا كعدد ركعات الصلاة ونصاب الزكوات وغير ذلك فكيف يقول الله نبيانا لكل شئ . أجيب بأن البيان إما فى ذات الكتاب أو بأحاطته على السنة . قال تعالى - وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا - أو بأحاطته على الاجماع . قال تعالى - ومن يشاقق الرسول من بعد ما نبين له الهدى ويتبع غير سبيل المؤمنين - الآية أوعلى القياس . قل تعالى - فاعتبروا يا أولى الأبصار - والاعتبار (٣٠١) النظر والاستدلال القدان يحصل بهما القياس فهذه أربعة

عقارب أنبيائها كالنخل الطوال (بِمَا كَانُوا يُفْسِدُونَ) بصدم الناس عن الإيمان (وَ) اذكر (تَوْمَ نَبْعَثُ فِي كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا عَلَيْهِمْ مِنْ أَنْفُسِهِمْ) هو نبيهم (وَجِئْنَا بِكَ) يا محمد (شَهِيدًا عَلَى هَؤُلَاءِ) أى قومك (وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ) القرآن (نَبِيَّانَا) بيانا (لِكُلِّ شَيْءٍ) محتاج إليه الناس من أمر الشريعة (وَهَدَى) من الضلالة (وَرَحْمَةً وَبُشْرَى) بالجنة (لِلْمُسْلِمِينَ) الموحدين (إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ) التوحيد أو الانصاف ،

(قوله للوحدين) أى وأما المتكفرون فهو لهم خسران وعذاب وإنذار (قوله إن لله يأمر بالعدل) هذه الآية من ثمرات قوله ونزلنا عليك الكتاب نبيانا لكل شئ حتى قال العلماء : إن لم يكن فى القرآن غير هذه الآية لكفت فى البيان والهدى والرحمة لأنها آمرة بكل خير ناهية عن كل شر (قوله التوحيد) أى شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله ، وهذا التفسير وارد عن ابن عباس ، وفى رواية عنه أيضا : العدل خلق الأنداد والاحسان أن تعبد الله كأنك تراه وأن تحب للره ما تحب لنفسك ، فإن كان مؤمنا تحب أن يزداد إيمانا ، وإن كان كافرا تحب أن يكون أخاك فى الاسلام وفى رواية : العدل التوحيد والاحسان الاخلاص ، وكل هذا أفاده المفسر بقوله التوحيد والانصاف أى فى كل الأمور فالانصاف فى التوحيد اعتقاد أن الله متصف بكل كمال منزّه عن كل نقص والانصاف فى الاعتقاد نسبة الأفعال كلها لله ، ونسبة الكسب للعبيد خلافا للعبرية والمعتزلة ، فالفرقة الأولى نفت الكسب أصلا وقالوا العبد كالحيط المعلق فى الهواء لا فضل له أصلا وتعذيب الله له ظلم وهؤلاء كفار ، والفرقة الثانية قالوا العبد يخلق أفعال نفسه الاختيارية وهؤلاء فساق . وكلا المذهبين جور ، والانصاف نسبة الأفعال كلها لله خيرها وشرها ، ظاهرها وباطنها ، ولكن من الأفعال ما هو خير . وهذه لا كسب للعبد فيها ، ولذا لا يثاب عليها ولا يعاقب ، ومنها ما هو اختيارى وهذه للعبد فيها نوع كسب ولذا يثاب عليه إن كان خيرا ويعاقب عليه إن كان شرا ، وهذا مذهب أهل السنة خرج من بين فرث ودم لنا خالصا سائقا للشاربين والانصاف فى العبادات عدم التفريط والافراط فيها بل يكون بين ذلك قواما ، والانصاف فى النفقات أن لا يسرف ولا يتقر . قال تعالى - ولا تجعل يدك مغلولة إلى عنقك ولا تبسطها كل البسط - والانصاف بين عباد الله يتسم لوجاته وينصر

نظهم على الظلم ويعامل الخلق بالخلق والرفق وخبر ذلك

(قوله والاحسان) أى مع الله ومع عباده فالاحسان مع الله أداء فرائضه على الوجه الأكمل والاحسان مع عباده أن تحفر
 ممن ظلمك وتعطى من حرمك وتصل من قطعك (قوله كما فى الحديث) أى فقد سأل جبريل رسول الله صلى الله عليه وسلم
 عن الاحسان؟ فقال له عليه الصلاة والسلام أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك . وللعنى أن تعبد الله ملاحظا
 لجلاله كأنك تراه ببصرك وهذا مقام الشاهدة فإن لم تصل لهذه المرتبة فلاحظ أنه يراك وأنتك فى حضرته وهذا مقام للراقبة
 فمثل الشاهد كالبصير الجالس فى حضرة الملك فأدبه من جهتين كونه راثيا الملك وكون الملك راثيا له ، ومثل المراقب كمثل
 الأعمى الجالس فى حضرة الملك فأدبه من جهة ملاحظته كونه الملك راثيا له (قوله وإنياء ذى القربى) أى التصديق على القريب وهو
 أكد من التصديق على غيره لأن فيه صدقة وصلة . قال عليه الصلاة والسلام « إن أعجل الطاعة ثوابا صلة الرحم » (قوله
 من أنكر والمعاصى) أى فبدخل فيه الزنا وغيره فهو تعميم بعد تخصيص (قوله اهتماما به) أى لأنه أعظم المعاصى بعد
 الكفر ، ولذا قال بعض العلماء أعجل العقوبة على المعاصى العقوبة على البنى وفى الحديث « لو أن جبلين بنى أحدهما على
 الآخر لانتقم الله من الباغى » وفيه أيضا « الظلمة وأعوانهم كلاب النار » (قوله كما بدأ بالفحشاء كذلك) أى اهتماما به
 لأن فيه ضياع الأنساب والأعراض ويرتب عليه المقت والعقوبة من الله . قال تعالى - ولا تقربوا الزنا إنه كان فاحشة وساء
 سبيلا - (قوله يعظكم) حال من (٣٠٢) فاعل يأمر وينهى أى يأمركم وينهاكم حال كونه واعظا لكم

(قوله فى الأصل) أى
 فأصله تتذكرون قلبت
 التاء ذالا وأدغمت فى
 الذال (قوله هذه أجمع
 آية الخ) روى « أن
 رسول الله صلى الله عليه
 وسلم قرأ هذه الآية على
 الوليد بن المغيرة فقال أعدها
 يا محمد فلما قرأها قال إن له
 حلاوة وإن عليه طلاوة
 وإن أعلامه لثمر وإن أسفله
 لمغدق وما هو بقول البشر

(وَالْإِحْسَانِ) أداء الفرائض أو أن تعبد الله كأنك تراه كما فى الحديث (وإنياء) إعطاء
 (ذِي الْقُرْبَى) القربة خصه بالذكر اهتماما به (وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ) الزنا (وَالْمُنْكَرِ)
 شرعا من الكفر والمعاصى (وَالْبَغْيِ) الظلم للناس خصه بالذكر اهتماما كما بدأ بالفحشاء كذلك
 (يَعْظُمُكُمْ) بالأمر والنهى (لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ) تتعظون وفيه إدغام التاء فى الأصل فى الذال
 وفى المستدرك عن ابن مسعود وهذه أجمع آية فى القرآن للخير والشر (وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللَّهِ) من
 البيع والأيمان وغيرها (إِذَا عَاهَدْتُمْ) وَلَا تَنْقُضُوا الْأَيْمَانَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا (تَوْكِيدُهَا) توثيقها (وَقَدْ
 جَعَلْتُمُ اللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلًا) بالوفاء حيث حلقت به والجملة حال (إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا تَعْمَلُونَ)
 تهديد لهم (وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَقَّضُوا) أفسدت (غَزَلَهَا) ما غزلته (مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ)
 إحكام له وبرم (أَنْكَارًا) حال جمع نكث وهو ما ينكث أى يحل إحكامه وهى امرأة حمقاء من مكة

كانت

ولكونها أجمع آية استعملها الخطباء فى آخر الخطبة (قوله وأوفوا بعهد الله)

هذا من جملة المأمور به على سبيل التفصيل وبدأ بالأمر بالوفاء بالعهد لأنه أكد الحقوق وهذه الآية نزلت فى الدين بإيعوا
 رسول الله صلى الله عليه وسلم على الاسلام ولكن العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب (قوله من البيع) بكسر الباء
 جمع بيعة وهى المعاهدة على أمر شرعى (قوله والأيمان) جمع يمين أى وأوفوا بما حلقت عليه ولا تحننوا فى أيمانكم أى
 إذا كان فيها صلاح وإلا فالحنن خير لقوله عليه الصلاة والسلام « من حلف على يمين فرأى غيرها خيرا منها فليأت الذى هو
 خير وليكفر عن يمينه » فهو عام مخصوص (قوله وغيرها) أى كالمواعيد فالمراد من العهد كل ما يلزم الانسان الوفاء به سواء
 أوجبه الله على الشخص أو ألزمه الشخص من نفسه كعهود المشايخ التى يأخذونها على المريدين بأنهم يلازمون طاعة الله ولا يخالفونه
 فى أمرها فالواجب على المريدين الوفاء بها حيث كانت المشايخ موزونين بميزان الشرع متصفين بالأخلاق الحميدة والأفعال
 السديدة (قوله بعد توكيدها) أى تغليظها والتوكيد مصدر وكد بالواو ويقال أكد بالهمزة فصدره التأكيد وهما لفتان
 (قوله كفيلا) أى شهيدا (قوله والجملة حال) أى من فاعل تنقضوا (قوله ولا تكونوا كالتى نقضت غزلها) أى
 لا تنقضوا العهود التى عاهدتم عليها الخالق أو الخالق فى غير معصية فتكونوا كالتى نقضت غزلها (قوله حال) أى أو
 منصوب على المصدرية لأن معنى نقضت نكثت فهو مطابق لعامله فى المعنى (قوله جمع نكث) بكسر النون
 (قوله وهى امرأة حمقاء) أى واسمها ربيعة بنت سعد بن نعيم قرشية قد انحلت مغزلا ففزع فرلع وصنورة مثل الأصبع

ولذلك عظيمة على قدرها فكانت تنزل هي وجوارها من النداء إلى الظهور ثم تأمرهم فينقص ما غزته . وقوله حمقاء أى قليلة العقل (قوله كانت تنزل) أى الصوف والوبر والشعر (قوله تتخذون) أى تصيرون وأيمانكم مفعول أول ودخلا مفعول ثان (قوله دخلا) أصل الدخل العيب فإن شأنه أن يدخل في الشيء وليس من جنسه ، والمراد به هنا الفساد والخديعة كما قال المفسر (قوله أى لأن تكون) أشار بذلك إلى أن النصب على وجه التعليل : أى لأجل أن تكون وأمة فاعل تكون على أنها تامة أو اسمها على أنها ناقصة وجملة هي أرى خبرها (قوله وكانوا) أى قريش وهو مشاهد في أهل زماننا حيث يلتجئون لأرباب للنائب ماداموا في مناصبهم فإذا عزلوا أو نقصت مرتبتهم تركوهم ولم يلتفتوا لهم وكأنهم لم يعرفوهم وليس هذا من الإيمان بل الإيمان الوفاء بالعهد وعدم نقضه إن لم يكن في بقائه عصيان الله (قوله فإذا وجدوا أكثر منهم) أى مالا أوجاها (قوله حلف أولئك) الحلف بكسر فسكون العهد يكون بين القوم (قوله لينظر المطيع) أى ليظهر لكم المطيع من غيره فإن المطيع يدوم على العهد والود وإن ذهب من حليفه حظوظ المظاهر وغيره يدور مع المظاهر (قوله أو يكون) معطوف على قوله بما أمر به وعليه والضمير عائد على المصدر المنسبك من (٣٠٣) أن تكون والمعنى لاتخذوا عهودكم

حيلة وخداعا من أجل كون تلك الأمة التي عاهدتموها ذات مال أوجاه فإن انتقل المال أو الجاه لم يبرهم تنضم عهود الأوائل فصاحب هذه الأوصاف خائن لله ولعباده (قوله فيه تختلفون) أى تردذون (قوله ولو شاء الله لجمعكم أمة واحدة) هذا تسلية له صلى الله عليه وسلم (قوله سؤال تبكيت) أى لافهم وقد أشار بذلك إلى وجه الجمع بين هذه الآية وبين قوله تعالى : فيؤمئذ لا يستل عن ذنبه إنس ولا جان ،

كانت تنزل طول يومها ثم تنفضه (تَتَّخِذُونَ) حال من ضمير تكونوا أى لا تكونوا مثلاً في اتخاذكم (أَيْمَانَكُمْ دَخَلًا) هو ما يدخل في الشيء وليس منه أى فساداً وخديعة (يَبْنِيَكُمْ) بأن تنقضوها (أَنْ) أى لأن (تَكُونُ أُمَّةٌ) جماعة (هِيَ أَرَبِيٌّ) أكثر (مِنْ أُمَّةٍ) وكانوا يحالفون الحلفاء فإذا وجدوا أكثر منهم وأعز نقضوا حلف أولئك وحالفوهم (إِنَّمَا يَبْلُوكُمْ) يختبركم (اللَّهُ بِهِ) أى بما أمر به من الوفاء بالعهد لينظر المطيع منكم والعاصي أو يكون أمة أرى لينظر أقنوع أم لا (وَلَيَبْيِئَنَّ لَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ) في الدنيا من أمر العهد وغيره بأن يمدب الناكث ويشب الوافي (وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً) أهل دين واحد (وَلَكِنْ يَضِلُّ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَلَتَسْتَأَنَّ) يوم القيامة سؤال تبكيت (عَمَّا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ) لتجازوا عليه (وَلَا تَتَّخِذُوا أَيْمَانَكُمْ دَخَلًا بَيْنَكُمْ) كرره تأكيداً (فَتَزَلُّ قَدَمٌ) أى أقدامكم عن حجة الاسلام (بِمَدِّ بُرُوتِهَا) استقامتها عليها (وَتَذَوُّوا الشَّوْءَ) أى العذاب (بِمَا صَدَدْتُمْ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ) أى بصدكم عن الوفاء بالعهد أو بصدكم غيركم عنه لأنه يستن بكم (وَلَكُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ) في الآخرة (وَلَا تَشْتَرُوا بِعَهْدِ اللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا) من الدنيا بأن تنقضوه لأجله

فالتبت سؤال التبكيت والمنفى - وقال الله لهم (قوله ولا تتخذوا أيمانكم) أى عهودكم (قوله دخلا بينكم) أى فساداً وخديعة (قوله كرره تأكيداً) أى كرر النهي عن اتخاذ الأيمان خديعة وحيلة تأكيداً للإشارة إلى أن هذا أمر فظيع جداً فإن نقض العهد فيه فساد الدين والدنيا والعرض والوفاء به فيه خير الدنيا والآخرة (قوله فتزل قدم) منصوب باضمار أن في جواب النهي وأقرد القدم ونكره إشارة إلى أن زلة القدم ولومرة واحدة أو أى قدم مضرة لأن من زل به القدم فقد طرد عن باب الله (قوله عن حجة الاسلام) أى طريقه ومثل ذلك من زل به القدم في عهد شيخه فنقضه فانه مطرود عن طريقته ومتى طرد عن طريقته فقد سلب ما وهبه الله له من النور الإلهي فلا يرجع له الفتح في طريقة أخرى لأن غاية الطرق واحدة وهو قد طرد عن الغاية (قوله العذاب) أى في الدنيا بدليل قوله ولكم عذاب عظيم في الآخرة (قوله عن سبيل الله) أى دينه الموصل لمرضاته (قوله أى صدكم عن الوفاء) هو من صد اللزم أى امتناعكم وإعراضكم عن الوفاء (قوله أو بصدكم غيركم عنه) هو من صد التمدى أى منكم غيركم (قوله لأنه) أى ذلك الغير (قوله يستن) أى يقتدى بكم في نقض العهود (قوله لا تشتروا بعهد الله ثمناً قليلاً) أى لاتركوا عهد الله في نظير عرض قليل تأخذونه (قوله بأن تنقضوه) أى

العهد وقوله لأجله أى اتقن القليل وظاهره طوبى من حلال وإما كان قصص العهد لأجل القليل من الحلال مذموماً فالحرام أولى بالتم وللرأى القليل أعراض الدنيا وإن كثرت (قوله إنما عند الله هو خير لكم) علة لما قبله وإن حرف توصيد ونصب وما اسم موصول اسمها وعند الله صلته ووجه هو خير لكم خبرها ، وقوله من الثواب بيان لما (قوله إن كنتم تعلمون) شرط حذف جوابه وقده الفسر بقوله فلا تنقضوا (قوله ما عندكم ينفذ) مبتدأ وخبر والنفاذ بالفتح الفناء والذهب يقال نفذ بالكسر ينفذ بالفتح : فنفذ ، وأما نفذ بالفتح والمجعة ينفذ بالضم لغناه مضى يقال نفذ حكم الأمير بمعنى مضى (قوله باقى) يصح الوقف عليه بقبول الباء وحذفها مع سكون القاف قراءتان سبعيتان (قوله دائم) أى لا يفرغ ولا يضى (قوله بالياء والنون) أى فهما قراءتان سبعيتان (قوله على الوفاء باليهود) أى أوللرأى مشاق التكاليف (قوله أجروهم) مفعول ثان ليجزى وقوله بأحسن الباء بمعنى على (قوله أحسن بمعنى حسن) أشار بذلك إلى أن أفضل التفضيل ليس على باب ودفع بذلك ما يتوهم من قصر المجازاة على الأحسن الذى هو الواجبات مع أنهم يجازون على الواجبات والندوبات . وهناك تقرير آخر فى الآية : وهو أن الأحسن صفة لموصوف محذوف أى ثواب أحسن من عملهم أى أكثر منه فضلاً وإحساناً قال تعالى - من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها - والباء لجرد التعدية (قوله من عمل صالحاً) من اسم شرط مبتدأ وعمل فعل الشرط ، وقوله فلنحيينه جوابه (قوله قيل هى حياة الجنة) هذا القول لمجاهد وقتادة ورواه عوف عن الحسن ، وقال لا يطيب لأحد الحياة إلا فى الجنة لأنها حياة بلا موت وغنى بلا فقر وصحة بلا سقم وملك بلا هلاك وسعادة بلا شقاوة (قوله وقيل فى الدنيا بالقناعة) هذا القول للحسن وقوله أو الرزق الحلال هو لسعيد بن (٣٠٤) جبر وعطاء ، وزيد على ما ذكره الفسر ما قيل هى حلالة الطاعة ، وقيل

(إِنَّمَا عِنْدَ اللَّهِ) من الثواب (هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ) مما فى الدنيا (إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ) ذلك فلا تنقضوا (مَا عِنْدَكُمْ) من الدنيا (يَنْفَذُ) ببنى (وَمَا عِنْدَ اللَّهِ بَاقٍ) دائم (وَلَيَجْزِينَ) بالياء والنون (الَّذِينَ صَبَرُوا) على الوفاء باليهود (أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ) أحسن بمعنى حسن (مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أَنْتَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهٗ حَيَوةً طَيِّبَةً) قيل هى حياة الجنة ، وقيل فى الدنيا بالقناعة أو الرزق الحلال (وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ) فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ) أى أردت قراءته (فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ) أى قل أعوذ بالله

رزق يوم بيوم وقيل الحياة الطيبة تحصل فى القبر لأن المؤمن يستريح بالموت من نكد الدنيا ونعها وقيل ماهو أعم فالحياة الطيبة فى الدنيا بالتوفيق للطاعة والرزق الحلال وفى القبر بالراحة

من النكد والتعب وفى الجنة بالنعيم المقيم (قوله ولنجزينهم أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون) من

أى فى الجنة ، واستفيد من هذا أن الحياة الطيبة ليست هى الجزاء لأنه قد قيل بأنها تكون فى الدنيا أو القبر وليس النعيم فى ذلك بجزاء بل الجزاء ما كان فى الآخرة بالجنة وما فيها (قوله فإذا قرأت القرآن) حكمة التفريع على ما تقدم أن قراءة القرآن من أفضل الأعمال فطلب بالاستعاذة عند قراءته ليحفظ من الضياع المترتب على الوسواس الشيطانية ، وللعنى إذا علمت مما تقدم أن عظم الجزاء على محاسن الأعمال فاستعد بالله من الشيطان الرجيم عند قراءة القرآن الذى هو أحسن الأعمال وأزكاها (قوله أى أردت قراءته) أشار بذلك إلى أن الأمر بالاستعاذة قبل القراءة وإليه ذهب أكثر الفقهاء والمحدثين ووجهه أن الاستعاذة تذهب الوسوسة فتقديمها أولى وذهب الأقل إلى إبقاء الآية على ظاهرها وأن الأمر بالاستعاذة بعد تمام القراءة ووجهه بأن القارى يستحق الثواب العظيم على قراءته وربما حصلت له الوسوسة فى قلبه هل حصل له ذلك أم لا فأمر بالاستعاذة لتذهب تلك الوسوسة ويبقى الثواب خالصاً لأن التردد فى صدق الوعد بالثواب من أسباب منعه (قوله فاستعد) السين والتاء للطلب أى اطلب من الله التعوذ والتحصن من شره والأمر للاستحباب وظاهر الآية أن الاستعاذة مطلوبة عند قراءة القرآن مطلقاً فى الصلاة وغيرها وبه أخذ الشافى ووافقه مالك فى النفل وكره الاستعاذة فى صلاة الفرض لدليل أخذه من السنة (قوله أى قل أعوذ بالله الخ) هذا بيان للأفضل وإقامته الأمرى يحصل بأى صيغة كانت ، وعن ابن مسعود روى أن الله عنه قرأت على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت أعوذ بالسميع العليم من الشيطان الرجيم فقال قل أعوذ بالله من الشيطان الرجيم هكذا أقرأه جبريل عن القلم عن اللوح المحفوظ وأراد بالقلم الذى نسخ به من اللوح المحفوظ ونزل به جبريل دفعة إلى سماء الدنيا ، وليس للرأى به القلم الذى كتب فى اللوح المحفوظ فإنه مقدم الرتبة على اللوح

(قوله من الشيطان الرجيم) هو من شطن إذا بعد أو من شاط إذا احترق والرجيم بمعنى الرجوم : أى للطرد من رحمة الله (قوله إنه ليس له سلطان) لتعليل لمحدوف والتقدير فإذا استعنت بالله كيف شره ودخلت في أمان الله لأنه الخ (قوله تسلط) أى استبلاء وقهر (قوله على الذين يتولونه) مقابل قوله وعلى ربهم يتوكلون وقوله والذين هم به مشركون مقابل قوله على الذين آمنوا (قوله أى الله) أشار بذلك إلى أن الضمير راجع لربهم والباء للتعديدية ويصح أن يعود على الشيطان وتكون الباء سببية وهى أولى لعدم نشيت الضمائر (قوله وإذا بدلنا آية الخ) سبب نزولها أن المشركين من أهل مكة قالوا إن محمدا يسخر بأصحابه يأمرهم اليوم بأمر وينهاهم عنه غدا ما هذا إلا مفترى يتقوله من تلقاء نفسه (قوله والله أعلم بما ينزل) هذه الجملة معترضة بين الشرط وجوابه أتى بها نسبية له صلى الله عليه وسلم ، والمعنى والله أعلم بالناسخ والنسوخ فيكفيك علمه فلا يحزرك ما قالوه (قوله تقوله من عندك) أى تختلفه من عند نفسك وليس بقرآن (قوله حقيقة القرآن) أى وهو أنه اللفظ المنزل من عند الله على محمد صلى الله عليه وسلم للاعجاز بأقصر سورة منه للتعبد بتلاوته (قوله وفائدة النسخ) أى وهى الصالح التى تعود على العباد (قوله روح القدس) بضم الدال وسكونها قراءة ثان (٣٠٥) سبعيتان : أى الروح المقدس بمعنى

الطهر المنزه عن الرذائل فهو من إضافة الوصف للصفة (قوله بالحق) الباء للابسة أى نزله تنزيلا ملتبسا بالحق (قوله بإيمانهم به) أى بسبب إيمانهم بالقرآن (قوله للمسلمين) أى وأما غيرهم فهو خسران لا يزيدون به إلا ضللا فهو تعرض بحصول ضد ذلك لتفسير المسلمين (قوله ولقد نعلم) أى علما مستمرا لتجدد فيه (قوله إنما يعلمه) إنما أداة حصر أى لا يعلم محمدا القرآن إلا بشر لا جبريل كما يقول (قوله

من الشيطان الرجيم) (إِنَّهُ لَيْسَ لَهُ سُلْطَانٌ) تسلط (عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ) إِنَّمَا سُلْطَانُهُ عَلَى الَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُ (وَالَّذِينَ هُمْ بِهِ) أى الله (مُشْرِكُونَ) وَإِذَا بَدَّلْنَا آيَةً مَكَانَ آيَةٍ (بَنَسْخَاهَا) وَإِزَالِهَا غَيْرَهَا لمصلحة العباد (وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُنْزِلُ قَالُوا) أى الكفار للنبي صلى الله عليه وسلم (إِنَّمَا أَنْتَ مُفْتَرٍ) كذاب تقوله من عندك (بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ) حقيقة القرآن وفائدة النسخ (قُلْ) لهم (نَزَّلَهُ رُوحُ الْقُدُسِ) جبريل (مِنْ رَبِّكَ بِالْحَقِّ) متعلق بنزل (لِيُثَبِّتَ الَّذِينَ آمَنُوا) بإيمانهم به (وَهُدًى وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ) وَلَقَدْ لَتَحْقِيق (نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ) القرآن (بَشْرٌ) وهو قين نصرانى وكان النبي صلى الله عليه وسلم يدخل عليه قال تعالى (لِسَانُ) لفة (الَّذِي يُلْحِدُونَ) يميلون (إِلَيْهِ) أنه يعلمه (أَعْجَبِي) وَهَذَا (الْقُرْآنُ) لِسَانُ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ (ذو بيان وفصاحة فكيف يعلمه أعجمي) (إِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ لَا يَهْدِيهِمُ اللَّهُ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ) مؤلم (إِنَّمَا يَنْتَرَى السَّكَذِبَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ) القرآن بقولهم هذا من قول البشر (وَأُولَئِكَ هُمُ الْكَاذِبُونَ) التأكيد بالتكرار وإن غيرها رد لقولهم إنما أنت مفتر (مَنْ كَفَرَ بِاللَّهِ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِهِ إِلَّا مَنْ أَكْرَهَ) ،

(وهوقين) أى حداد وكان روميا وفى نسخة قن أى عبد واسمه جبر وهو غلام عاصر بن الحضرمي ، وقيل يعنون جبرا ويسارا كانا يضمنان السيوف بمكة ويقرآن التوراة والإنجيل باللغة التى نزل بها وكان الرسول صلى الله عليه وسلم يمر عليهما ويسمع ما يقرآنه لينسلي بما وقع للأنبيا قبله وقيل غير ذلك وعلى كل فقد ورد أنه أسلم ذلك البشر الذى نسبوا لرسول الله التعلم منه (قوله قال تعالى) أى ردا عليهم (قوله يميلون إليه) أى ينسبون إليه أنه يعلمه منه (قوله أعجمي) الأعجمي الذى لم يتسكلم بالعربية (قوله وهذا لسان عربى) أى ولا يكون العربى متلقيا من العجمي (قوله فكيف يعلمه أعجمي) أى لا يصح ولا يليق ذلك لاستحالة عادة (قوله إن الذين لا يؤمنون بآيات الله) أى فى علمه وقوله لا يهديهم الله أى فى الخارج (قوله وأولئك هم الكاذبون) أى فى قولهم إنما يعلمه بشر (قوله والتأكيد) مبتدأ وقوله رد خبر (قوله من كفر بالله من بعد إيمانه) نزلت هذه الآية فى عمار ابن ياسر وذلك أنه من جملة السبعة السابقين للإسلام وهم عمار وأبوه ياسر وأمه سمية وصهيب وبلال وخباب وأبو بكر الصديق رضى الله عنهم وذلك أن الكفار أخذوهم وعذبوهم ليرجعوا عن الإيمان فأما سمية أم عمار فربطوها بين بعيرين وضربها أبو جهل بحربة فى فرجها فماتت وقتل زوجها ياسر وهما أول قتيلين فى الإسلام [٣٩ - صاوى - ثانى]

وأما عمار فإنه أعطاهم بعض ما أرادوا بلسانه وقلبه كاره لذلك فأخبر النبي صلى الله عليه وسلم بأن عماراً كفر فقال كلا إن عماراً صلى إيماناً من قرنه إلى قدمه واختلط الإيمان بلحمه ودمه فأتى عمار وهو يبكي فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما وراءك ؟ فقال شر يا رسول الله نلت منك وذكرت فقال كيف وجدت قلبك قال مطمئن بالإيمان فجعل النبي يسح عيفيه وقال له إن عادوا لك فقل لهم ما قلت ، وأما بلال فكانوا يعذبونه وهو يقول أحد أحد حتى اشتراه أبو بكر واعتقه وأما خباب فقد أوقدوا له ناراً فلم يطفئها الا ودك ظهره ، وأما أبو بكر حفظه الله بقومه وعشيرته ، وفيما فعله عمار دليل على جواز التلفظ بالكفر عند خوف القتل ولكن القتل أجل كما وقع من أبيه ، ولما روى أن مسيلة أخذ رجلين فقال لأحدهما ماتقول في عهد قال رسول الله قال ماتقول في عهد قال رسول الله قال ماتقول في عهد قال أنا أصم فأعاد عليه ثلاثاً فأعاد جوابه فقتله فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال أما الأول فقد أخذ برخصة الله وأما الثاني فقد صدع بالحق فهيننا له (قوله على التلفظ بالكفر) أى أوفعه (قوله والخبر أو الجواب الخ) الأولى تقدير هذا قبل الاستثناء (قوله لهم وعيد) الأولى أن يقدره بالفاء لأن الجواب إذا وقع جملة اسمية يقرن بالفاء وللبتداء الذى يشبه الشرط يقرن خبره بالفاء أيضاً لشبهه بالشرط (قوله دل على هذا) أى على (٣٠٦) الجواب أو الخبر (قوله ولكن من شرح) أتى بالاستدراك لأنه ربما يتوهم

من قوله إلا من أكره أنه حين الاكراه يجوز التكلم بالكفر ولو انشرح صدره له في بعض الأحيان فدفع ذلك التوهم بالاستدراك ولا يبعد الوهم قوله مطمئن بالإيمان ومن إما شرطية أو موصولة ولا يلزم تقدير مبتدأ قبل من وما قيل إن الاستدراك لا يقع في الشروط ممنوع (قوله بمعنى طابت به نفسه) أى قبله ومال إليه (قوله فعليهم) جمع مراعاة لمعنى من (قوله ذلك بأنهم)

على التلفظ بالكفر فتلفظ به (وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ) وَمَنْ مَبْتَدَأُ أَوْ شَرْطِيَّةٌ وَالْخَبَرُ أَوْ الْجَوَابُ لَهُمْ وَعِيدٌ شَدِيدٌ دَلَّ عَلَى هَذَا (وَلَكِنْ مَنْ شَرَحَ بِالْكَفْرِ صَدْرًا) لَهُ أَيْ فَتَحَهُ وَوَسَّعَهُ بِمَعْنَى طَابَتْ بِهِ نَفْسُهُ (فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِنَ اللَّهِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ . ذَلِكَ) الْوَعِيدُ لَهُمْ (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا) اخْتَارُوهَا (عَلَى الْآخِرَةِ وَأَنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ ، أُولَئِكَ الَّذِينَ طَبَعَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَصَمَّهُمْ وَأَبْصَارِهِمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ) عَمَّا يَرَادُ بِهِمْ (لَا جَرَمَ) حَقًّا (أَنَّهُمْ فِي الْآخِرَةِ هُمُ الْخَاسِرُونَ) لِمَصِيرِهِمْ إِلَى النَّارِ الْمُؤَبَّدَةِ عَلَيْهِمْ (ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ هَاجَرُوا) إِلَى الْمَدِينَةِ (مِنْ بَعْدِ مَا فَتَنَّا) عَذَّبُوا وَتَلَفَّظُوا بِالْكَفْرِ فِي قِرَاءَةِ الْبِنَاءِ لِلْفَاعِلِ : أَيْ كَفَرُوا أَوْ فَتَنُوا النَّاسَ عَنِ الْإِيمَانِ (ثُمَّ جَاهَدُوا وَصَبَرُوا) عَلَى الطَّاعَةِ (إِنَّ رَبَّكَ مِنْ بَعْدِهَا) أَيْ الْفِتْنَةِ (لَنفُورٍ) لَهُمْ (رَحِيمٌ) بِهِمْ وَخَبَرٌ إِنَّ الْأَوَّلَى دَلَّ عَلَيْهِ خَبَرُ الثَّانِيَةِ إِذْ ذَكَرَ (يَوْمَ تَأْتِي كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَانَتْ تَعْمَلُ) ،

نحاج

أى حاصل وثابت بسبب أنهم الخ فاسم الإشارة مبتدأ والجار والمجرور

في محل رفع خبره (قوله لا يهدي القوم الكافرين) أى لا يوصلهم إلى الإيمان ولا يصمهم من الزيف (قوله أولئك الذين طبع الله على قلوبهم الخ) أى جعل عليها غلافا معنويا بحيث لا تدعن للحق ولا تسمعه ولا تبصره (قوله الخاسرون) أى لأنهم ضيعوا أعمارهم في غير منفعة تعود عليهم والموجب لحسرتهم أن الله تعالى وصفهم بست صفات تقدمت: الغضب والعذاب العظيم واختيار الدنيا على الآخرة وحرمانهم من الهدى والطبع على قلوبهم وصمهم وأبصارهم وجعلهم من الغافلين (قوله ثم إن ربك) نزيت هذه الآية في عياش بن ربيعة وكان أخا أبي جهل من الرضاة وقيل من أمه وفي أبي جندل بن سهل بن عمرو والوليد ابن الوليد بن المغيرة وسلمة بن هشام وعبد الله بن أسد الثقفي فتتهم المشركون وعذبوهم فأعطوهم بعض ما أرادوا ليسلوا من شرهم ثم هاجروا وجاهدوا (قوله للذين هاجروا) متعلق بمحذوف هو خبر إن أى لنفور رحيم للذين هاجروا بهذا معنى قوله الآتى وخبر إن الأولى الخ (قوله وفي قراءة) أى وهي سبعة أيضا وعليها فيحتمل أن الفعل لازم فيكون معنى قوله فتتوا افتتنوا بمعنى قامت بهم الفتنة وقد أشار له المفسر بقوله أى كفروا أو متعد كما قال أو فتتوا الناس عن الإيمان (قوله يوم تأتي) يوم ظرف معمول لمحذوف قدره للفسر بقوله اذكر والأمر للنبي صلى الله عليه وسلم أى اذكر يا محمد لقومك أهوال الآخرة وما

يقع فيها لهم يعتبرون (قوله تحتاج) أى تخاسم ونسى في خلاصها (قوله عن نفسها) إن قلت إن ظاهر الآية مشكل لأنه يقتضى أن النفس لها نفس وليس كذلك . أجب بأن المراد بالنفس الأولى الانسان المركب من جسم وروح وحقيقة والراد بالنفس الثانية اللات المركبة من جسم وروح غير ملاحظ فيها الحقيقة فاختلفا بالاعتبار فكأنه قال يوم يأتى كل إنسان بجادل من ذاته ولا يهجم غيره والراد بالمجادلة الاعتذار بما لا يقبل منهم كقولهم والله بنا ما كنا مشركين روى عن ابن عباس أنه قال : ما زال الخصومة بين الناس يوم القيامة حتى يخاصم الروح الجسد فيقول الروح يارب لم يكن لى يد أبطش بها ولا رجل أمشى بها ولا عين أبصر بها فضف عليه العذاب فيقول الجسد يارب أنت خلقتى كالحشبة ليس لى يد أبطش بها ولا رجل أمشى بها ولا عين أبصر بها فجاء هذا الروح كشعاع النور فيه نطق لسانى وبه أبصرت عينائى وبه مشيت رجلاى فيضرب الله لهم مثلاً أعمى ومقعدا دخلا حائطاً أى يستأنا فيه ثمار فالأعمى لا يبصر الثمر والمقعدا لا يتناولوه فحمل الأعمى المقعد فأصابا الثمر فعلى من يكون العذاب قال عليهما قال عليهما جميعا العذاب إذا علمت ذلك تعلم أن هذا الوعيد خاص بالكافر وأما المؤمن فهو فى أمن وأمان لا يحزنه الفزع الأكبر وإن كان يحصل له الخوف من جلال الله وهيبته لأن الله سبحانه وتعالى فى ذلك اليوم يتجلى بالجلال على عادته فيخاف المسلمون والمشركون فالمشركون يخافون من العذاب اللاحق لهم والمسلمون يخافون من هيبته تعالى وإن كانوا مسلمين بالإيمان (قوله لايههما غيرها) أى لشغلها بهما (قوله وهم لا يظلمون شيئاً) أى لا يعذبون من غير ذنب أو المراد لا ينقصون من أجورهم شيئاً والأول أولى لأن نفي النقص من الأجر علم من قوله وتوفى كل نفس ما عملت (قوله وضرب الله مثلاً) التل تشبيه قول بقول آخر بينهما مشابة ليتبين أحدهما ويظهر (٣٠٧) (قوله هى مكة) هذا هو المشهور بين المفسرين وهو الصحيح وعليه فالآية مدنية لأن الله تعالى وصف القرية بصفات ست كانت هذه الصفات فى أهل مكة حين كان النبي صلى الله عليه وسلم بالمدينة وعلى القول بأنها مكية يكون

تحتاج (عن قلوبها) لايههما غيرها وهو يوم القيامة (وتوفى كل نفس) جزاء (ما عملت وهم لا يظلمون) شيئاً (وضرب الله مثلاً) ويبدل منه (قوية) هى مكة والراد أهلها (كانت آمنة) من الغارات لا تحتاج (مطمنة) لا يحتاج إلى الانتقال عنها لضيق أو خوف (يأتيتها رزقها رغداً) واسماً (من كل مكان فكفرت بأنعم الله) بتكذيب النبي صلى الله عليه وسلم (فأذاقها الله لباس الجوع) قحطوا سبع سنين (والخوف) بسرايا النبي صلى الله عليه وسلم (بما كانوا يصنعون) .

إخباراً بالغيب تنزيلاً لما سيقع منزلة الواقع لتحقيق الحصول (قوله رغداً) بفتح الراء والغين المعجمة يقال رغد العيش بالضم رغادة : اتسع (قوله من كل مكان) أى من كل جهة من البر والبحر (قوله بأنعم الله) جمع نعمة على ترك الاعتداد بالتاء كدع وأدرع أو جمع نعماء كأبؤس وبأساء (قوله بتكذيب النبي) الباء سببية (قوله فأذاقها الله لباس الجوع والخوف) أى وذلك أن الله ابتلاهم بالجوع سبع سنين فقطع عنهم المطر وقطعت العرب عنهم الميرة حتى جهدوا فأكلوا العظام المحرقة والجيف والكلاب والميتة وشربوا الدماء واشتد بهم الأمر حتى كان أحدهم ينظر إلى السماء فيرى شبه الدخان ثم إن رؤساء مكة كلوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فى ذلك فقالوا له ما هذا دأبك عادت الرجال فما بال النساء والصبيان فأذن رسول الله صلى الله عليه وسلم للناس فى حمل الطعام إليهم ، وفى رواية أنهم أرسلوا إليه أبا سفيان بن حرب فى جماعة فقدموا عليه المدينة وقال له أبو سفيان يا محمد إنك جئت تأمر بصلوة الرحم والعفو وإن قومك قد هلكوا فداع الله لهم فدعا لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وأذن للناس بحمل الطعام إليهم وهم بعد مشركون . واعلم أن العلماء ذكروا فى هذه الآية ثلاث استعارات - الأولى تصريحية أصلية فى الجوع والخوف من حيث إضافة اللباس إليهما ، وتقريرها أن يقال شبه ماغشبههم من اصفرار اللون ونحوه البدن وسوء الحال باللباس بجامع الظهور فى كل واستعير اسم المشبه به للشبه . الثانية مكنية ، وتقريرها أن يقال شبه ذلك اللباس من حيث الكراهية بالطعم المر البشع وطوى ذكر المشبه به ورمز له حتى من لوازمه وهو الاذاقة فائباتها تحييل . الثالثة تبعية ، وتقريرها أن يقال شبه الابتلاء بالاذاقة واستعير اسم المشبه به للشبه واشتق من الاذاقة بمعنى ابتلاهم (قوله بسرايا النبي) الباء سببية والمراد بسرايا جماعته التى كان يبعثها للاغارة عليهم فكان أهل مكة يخافونهم (قوله بما كانوا يصنعون) أى بسبب صنعهم أو بسبب الذى كانوا يصنعونه

(قوله ولقد جاءهم) أى أهل مكة (قوله رسول منهم) أى من جنسهم (قوله وهم ظالمون) الجلالة حالية والمراد بالظالمين الكافرون (قوله فكلوا) مفرع على التثنية أى فإذا علمتم ما حصل للكفار من الحرمان وما حل بهم بسبب كفر النعم فدوموا أيها المؤمنون على حالتكم للرضية وكلوا الخ (قوله حلالا طيبا) حالان من ما أى كلوا مما رزقكم الله به حال كونه حلالا طيبا (قوله تعبدون) أى تطيعون (قوله إنما حرّم عليكم الميتة الخ) شروع في ذكر المحرمات ليعلم أن ما عدا ذلك حلال طيب (قوله فمن اضطر غير باغ) أى خارج على الامام كالمناذرة وقوله ولا عاد أى قاطع للطريق فلا يباح لهم تعاطي الميتة إذا اضطروا ما لم يتوبوا ، وأما المضطر غير ما ذكر فيحل له الأكل منها والشبع والغزو عند مالك وعند الشافعي لا يحل له إلا ما يستد ريقه (قوله ولا تقولوا) لانهية والفعل مجزوم بحذف النون والواو فاعل وقوله هذا حلال الخ مقول القول وقوله لما نصف اللام للتعليل وما مصدرية والكذب مفعول لتصف وقوله لتفترؤا بدل من التعليل الأول ، والمعنى لا تقولوا هذا حلال وهذا حرام لأجل وصف ألسنتكم الكذب افتراء على الله بنسبة ذلك إليه (قوله بنسبة ذلك) أى التحليل والتحريم (قوله لا يفلقون) أى لا يفوزون ولا يظفرون بمطلوبهم لافى الدنيا ولا فى الآخرة والوقف (٣٠٨) هنا ، وقوله متاع قليل كلام مستأنف (قوله متاع قليل) مبتدأ خبره محذوف

وقدره الفسر بقوله لهم وقدره مقدما ليكون مستوعبا للابتداء بالنكرة (قوله وعلى الدين هادوا) شروع في ذكر ما يخص اليهود من التحريم إثر بيان ما يحل لأهل الاسلام وما يحرم عليهم وتحريم الشيء إما لضرر فيه وإما لبنى المحرم عليهم فأشار للأول بقوله إنما حرّم عليكم الميتة الخ ، وأشار للثاني بقوله وعلى الدين هادوا الخ (قوله ثم إن ربك) لما بالغ في تهديد المشركين وبين ما أحلّ وما حرّم ذكر أن فعل تلك

وَلَقَدْ جَاءَهُمْ رَسُولٌ مِنْهُمْ (مُحَمَّدٌ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) (فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمُ الْعَذَابُ) (الْجُوعُ وَالْخُوفُ) (وَهُمْ ظَالِمُونَ . فَكُلُوا) (أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ) (مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ حَلَالًا طَيِّبًا وَأَشْكُرُوا) (نِعْمَتَ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ . إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ وَالدَّمَ وَلَحْمَ الْخَنَازِيرِ وَمَا أُهِلَّ بِهِ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ فَمَنْ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ . وَلَا تَقُولُوا لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ) (أَيُّ لَوْصِفِ أَلْسِنَتِكُمْ) (الْكَذِبَ هَذَا حَلَالٌ وَهَذَا حَرَامٌ) (لَمَّا لَمْ يَحِلَّ اللَّهُ وَلَمْ يَحْرَمْهُ) (لَتَفْتَرِئُوا عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ) (بِنِسْبَةِ ذَلِكَ إِلَيْهِ) (إِنَّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ) (لَهُمْ) (مَتَاعٌ قَلِيلٌ) (فِي الدُّنْيَا) (وَلَهُمْ) (فِي الْآخِرَةِ) (عَذَابٌ أَلِيمٌ) (وَعَلَى الَّذِينَ هَادُوا) (أَيُّ الْيَهُودِ) (حَرَمًا مِمَّا مَقَصَصْنَا عَلَيْكَ مِنْ قَبْلُ) (فِي آيَةٍ : وَعَلَى الَّذِينَ هَادُوا حَرَمًا كُلَّ ذِي ظَنْفٍ إِلَى آخِرِهَا) (وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ) (بِتَحْرِيمِ ذَلِكَ) (وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ) (بَارْتِكَابِ الْمَعَاصِي الْمَوْجِبَةِ لَذَلِكَ) (ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ عَمِلُوا الشُّوءَ) (الشَّرَّكَ) (بِجَهَالَةٍ ثُمَّ تَابُوا) (وَرَجَعُوا) (مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَأَصْلَحُوا) (عَلِمَهُمْ) (إِنَّ رَبَّكَ مِنْ بَعْدِهَا) (أَيُّ الْجَهَالَةِ أَوْ التَّوْبَةِ) (لِنَفْثِهِمْ) (لَهُمْ) (رَحِيمٌ) (بِهِمْ) (إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً) (إِمَامًا قَدُودَةً جَامِعًا لِمُخْلِصِ الْخَيْرِ) (قَانِتًا) (مُطِيعًا) (لِلَّهِ حَنِيفًا) (مَائِلًا إِلَى الدِّينِ الْقِيمِ ،

القبائح لا يمنع من التوبة والرجوع والإجابة بل باب التوبة مفتوح (قوله للذين) متعلق بمحذوف دل عليه خبر إن الآتية تقديره ثم إن ربك لغفور رحيم للذين عملوا السوء الخ (قوله بجهالة) أى بسبب جهل العواقب وجلال الله إذ لا يقع الذنب إلا من جاهل بالعواقب أو جاهل بجلال الله ولو علم قدر العقاب للدخول للمعاصي ما قدم على معصية قط (قوله من بعد ذلك) أى الشرك (قوله أو التوبة) أو لتتوبيع الخلاف في مرجع الضمير (قوله إن إبراهيم كان أمة) للفسرين في معنى هذه اللفظة أقوال : قيل الأمة معلم الخير أى أنه كان معلما للخير بأنم به أهل الدنيا ، وقيل إنه كان مؤمنا وحده والناس كلهم كفار فلهذا المعنى كان أمة وحده ، وقيل الأمة الذى يقتدى به ويؤتم به لأنه كان إماما يقتدى به ، وفي الأصل الأمة الجماعة وإطلاق الأمة بمعنى الجماعة عليه لجمعه أوصاف الكمالات التى تفرقت في الخلق ، ومنه قول الشاعر :

وليس على الله بمستنكر أن يجمع العالم في واحد

وقد ذكر الله في هذه الآيات من صفات إبراهيم عشرة أوصاف حميدة (قوله مائلا إلى الدين القيم) أى تاركا لمباحدها من الأديان

الباطلة (قوله ولم يك من المشركين) هذا الوصف قد علم التزاما من قوله حنيفا وإنما ذكره ردّا على المشركين حيث زعموا أنهم على ملة إبراهيم (قوله شاكرًا لأنعمه) أى صارفا جميع ما أنعم الله به عليه إلى ما خلق لأجله فهو معصوم عن الغفلة وعن كل شاغل يشغله عن الله ظاهرا وباطنا (قوله اجتنابه) أى اختاره من دون خلقه وهذا الوصف وما بعده ناشئ من الله خاصة لم يكن له فيه كسب إشارة إلى أن ما نشأ عنه من الأخلاق الحميدة والأفعال الجميلة باختيار الله له لا بنفسه (قوله إلى صراط مستقيم) أى أى دين قويم لا مروج فيه (قوله فيه التفات عن الغيبة) أى إلى التكلم إشارة إلى زيادة الاعتناء بشأنه (قوله هي الثناء الحسن) أى الذى كثر بحجر (قوله في كل أهل الأديان) أى عند كل أهل الملل فجميعهم يرضون عنه ولا يكفرون به ويزعمون أنهم على ملته (قوله لمن الصالحين) أى من أكملهم وأعلام درجة وهذا تيميم لقوله - وآتيناه في الدنيا حسنة - فإن حسنة الدنيا لا تتم إلا بحسنة الآخرة (قوله ثم أوحينا إليك) هذا هو الوصف العاشر، ولما كان أعلى الأوصاف لإبراهيم وأجلها وأكملها اتباع رسول الله صلى الله عليه وسلم ملته فصله عما قبله حيث عطفه بهم (قوله أن اتبع) يصح أن تكون أن تفسيرية أو مصدرية فتكون مع ما دخلت عليه في محل نصب مفعول لقوله أوحينا (قوله ملة إبراهيم) أى شريعته ومعنى اتباع النبي فيها اتباعه في الأصول وهي علة التوحيد فرسول الله أمر باتباع إبراهيم بل واتباع من تقدمه من الأنبياء في التوحيد لأنهم مشتركون فيه قال تعالى - شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا - الآية (قوله حنيفا) حال من إبراهيم وهو وإن كان مضافا إليه إلا أن شرطه موحود، هو أن المضاف كالجزء من المضاف إليه لأنه يصح الاستغناء بالثاني (٣٠٩) عن الأول (قوله ردّا على

زعم اليهود والنصارى)
لأنه أن يقول ردّا على
للمشركين لأن اليهود
والنصارى لم يكونوا
مدّعين الاشرار (قوله
إنما جعل السبت الخ)
هذا رد على اليهود حيث
كانوا يدعون أن تعظيم
السبت من شريعة إبراهيم
وهم متبعون له فرد الله
عليهم بأنه ليس السبت

(وَلَمْ يَكُنْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ. شَاكِرًا لِأَنْعُمِهِ أُجْتَنِبَهُ) اصطفاؤه (وَهَدَاهُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ. وَآتَيْنَاهُ) فيه التفات عن الغيبة (فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً) هي الثناء الحسن في كل أهل الأديان (وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ) الذين لهم الدرجات العلى (ثُمَّ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ) يا محمد (أَنْ أُتْبِعَ مِلَّةَ) دين (إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ) كرر ردّا على زعم اليهود والنصارى أنهم على دينه (إِنَّمَا جُعِلَ السَّبْتُ) فرض تعظيمه (عَلَى الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ) على نبيهم وهم اليهود أمروا أن يتفرغوا للعبادة يوم الجمعة فقالوا لا نزيد وأختاروا السبت فشدد عليهم فيه (وَإِنَّ رَبَّكَ لَيَخْصُكُمْ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيهَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ) من أمره بأن يثيب الطائع ويعذب العاصي باتهاك حرمة (أَدْعُ) الناس يا محمد (إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ) دينه (بِالْحِكْمَةِ) بالقرآن (وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ) مواعظه

من ملة إبراهيم التي زعمهم أنكم متبعون لها بل كان من شريعته تعظيم يوم الجمعة، ولذا اختاره الله للامة المحمدية لأنه يوم تمام النعمة ويوم للزيد في الجنة (قوله على الدين اختلفوا فيه) أى خالفوا ربهم حيث أمرهم على لسان نبيهم أن يعظموا يوم الجمعة بالتفرغ للعبادة فيه فأبوا واختاروا السبت فشدد عليهم بتحريم الاصطيداء فيه عليهم، وليس المراد بالاختلاف أن بعضهم رضى به والبعض لم يرض بل للراد امتناع الجميع (قوله واختاروا السبت) أى وقالوا لأنه تعالى فرغ فيه من خلق السموات والأرض وما بهما، فتحقق نوافق ربنا في ترك الأعمال يوم السبت، واختارت النصارى يوم الأحد وقالوا لأنه مبدأ الخلق فجعله عبدا لنا (قوله من أمره) أى السبت (قوله بأن يثيب الطائع) أى وهو من لم يصطد به وعظمه (قوله ويعذب العاصي) أى وهو من صنع الحيلة واصطاد فيه فعذبوا في الدنيا بسخيمهم قردة وخنازير وفي الآخرة بالعذاب الدائم (قوله ادع) فعل أمر وفاء له مستتر وجوبا تقديره أنت ومفعوله محذوف قدره للفسر بقوله الناس وفي هذا إشارة إلى أن بعثته عامة وعبر بالناس وإن كان داعيا للجن أيضا باعتبار ما ظهر لنا فقط (قوله دينه) سمي الدين سبيلا لأنه الموصل لدار السعادة الأبدية والسيادة السرمدية (قوله بالقرآن) أى وسعي حكمة لأنها العلم النافع (قوله والموعظة الحسنة) عطف خاص على عام لأن القرآن مشتمل على مواعظ وغيرها، والمراد بالموعظة الحسنة الترغيب والترهيب، والحكمة في ذكر الموعظة الحسنة التشويق للعبادة والنشاط لها وسهولة البعد عن المخالقات لما في الحديث «كان صلى الله عليه وسلم يتخولنا بالموعظة أحيانا مخافة السامة علينا» أى يخلل كلامه بالترغيب والترهيب في بعض الأحيان ثلاثا يحصل لنا الملل من توالى الأمر والنهي وتتابعا من غير

نحطها حتى يروح النفوس ويشوقها ويحبها على فعل الطاعات واجتناب المنهيات (قوله أو القول الرفيق) تفسير ثان الوعظة الحسنة ، والمراد بالقول الرفيق الالفاظ التي فيها الاين والرفق كقوله تعالى - قل لأسألكم عليه أجرا إلا المودة في القربى - وقوله تعالى حكاية عن مؤمن آل فرعون - ويا قوم مالي أدعوكم إلى النجاة وتدعونني إلى النار - الآيات (قوله بالتي هي أحسن) أي ليعترب لهم ذلك حصول الفائدة لهم والالتقياد للطريق التويم (قوله بآياته) أي كقصة إبراهيم مع قومه حيث قال لهم حين جن عليه الليل ورأى كوكبا : هذا ربي الخ (قوله والدعاء إلى حججه) أي براهينه ودلائله قال تعالى - قل انظروا ماذا في السموات والأرض - الآية (قوله أي عالم) أشار بذلك إلى أن اسم التفضيل ليس على بابه ودفع بذلك ما يقال إن اسم التفضيل يقتضي المشاركة مع أن صفات الله قديمة لامشارك له فيها (قوله بمن ضل عن سبيله) أي حاد وزاغ عنه (قوله وهو أعلم بالمهتدين) حكمة التعبير في جانب أهل الهدى بصيغة الاسم وفي جانب أهل الضلال بالفعل الإشارة إلى أن أهل الهدى استمروا على الفطرة الأصلية وأهل الضلال غيروا تلك الفطرة وبدلوها باحداث الضلال . إن قلت قوله تعالى - إن الإنسان لئى خسر إلا الذين آمنوا - الخ يقتضى أن الأصل في الإنسان الضلال والهدى طارئ عليه . أجيب بأنه محمول على العالم الجسماني : أي أن الأصل في الإنسان باعتبار عالم الأجساد الخسران والضلال ، والهدى طارئ ببعثة الرسل ، وما في هذه الآية محمول على عالم الأرواح وهو الأصل الاصيل لأن الله لما خاطب الأرواح في عالم النور وقال لهم ألت بربكم قالوا جميعا بلى فاهتدى في عالم الأجساد استصحب ذلك الأصل ومن ضل في عالم (٣١٠) الأجساد فقد نسي ذلك العهد واتبع شهوات نفسه . ثم اعلم أن مقتضى حل

المفسر يقتضى أن المدعو بالحكمة والوعظة الحسنة والجدال بالتي هي أحسن واحد وقال بعضهم الناس خلقوا ثلاثة أقسام: الأول العلماء الراسخون فهم المشار إليهم بقوله - ادع إلى سبيل ربك بالحكمة - أي العلم النافع لينتفعوا به ويتفكروا الناس . الثاني

أو القول الرفيق (وَجَادِلْهُمْ بَالَّتِي) أي بالمجادلة التي (هِيَ أَحْسَنُ) كالدعاء إلى الله بآياته والدعاء إلى حججه (إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ) أي عالم (بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ) فيجازيهم ، وهذا قبل الأمر بالقتال . ونزل لما قتل حمزة ومثل به فقال صلى الله عليه وسلم وقد رآه : والله لأمثلن بسبعين منهم مكانك (وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَمَا قَبُولُوا بِمِثْلِ مَا عَوْفَيْتُمْ بِهِ وَلَئِنْ صَبَرْتُمْ عَنْ الْإِنْتِقَامِ (لَهُوَ) أي الصبر (خَيْرٌ لِلصَّابِرِينَ) فكف صلى الله عليه وسلم وكفر عن عيئه رواء البزار (وَأَصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِاللَّهِ) بتوفيقه (وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ) أي الكفار إن لم يؤمنوا لحرصك على إيمانهم (وَلَا تَكُ فِي ضَيْقٍ مِمَّا يَمْكُرُونَ)

الذين لم يبلغوا حد الكمال وكانوا دون الأوائل وهي المشار إليهم بقوله : والوعظة الحسنة . أي

الثالث الكفار وأصحاب الجدال والحصام وهم المشار إليهم بقوله وجادلهم بالتي هي أحسن لينقادوا للحق ويرجعوا إليه (قوله وهذا قبل الأمر بالقتال) أشار بذلك إلى أن الآية منسوخة وقيل ليست بمنسوخة لأن الأمر بالمجادلة الحسنة ليس فيها تهمة من القتال بل المراد ادعهم وجادلهم برفق في أول الأمر فإن امتثلوا فواضح وإلا فنفى آخر (قوله ونزل) أي بالمدينة (قوله لما قتل حمزة) أي في السنة الثانية في أحد. وحمزة عم رسول الله وأخوه من الرضاع وقريبه من الأم وكان أسق من النبي صلى الله عليه وسلم يستدين (قوله ومثل به) أي مثل به المشركون فقطعوا أنفه وأذنيه وذكروه وأثيبه وغرأوا بطنه (قوله وقدرآه) الجملة حالية (قوله والله لا مثلن الخ) في كلام المفسر اختصار للحديث ولفظه : أما والله لئن ظفرتني الله بهم لأمثلن الخ (قوله وإن عاقبتهم) أن أردتم المماقبة (قوله ولئن صبرتم) أي عفوتم وتركتم القصاص (قوله لهو) بضم الهاء وسكونها قراءة ثان سبعيتان (قوله فكف) أي عن التحليل بهم (قوله واصبر) الخطاب للنبي ، والمراد به العموم تعليما للأمة حسن الأدب (قوله وما صبرك إلا بالله) أي بأقداره لك عليه لا بنفسك فان الصبر كالحب والبغض قائم بالقلب والقلب بيد الله يقلبه كيف يشاء فمن خاق الله فيه الصبر صبر ومن لا فلا نبس للصبر مدخل فيه (قوله ولا تحزن عليهم) أي لا تتأسف على إعراضهم عن الهدى (قوله ولاتك في ضيق) بفتح الصاد وكسر هاء قراءة ثان سبعيتان أي لا يكر فيك ضيق فالكلام على القلب ، وإنما أي به مقلوبا إشارة إلى أن الضيق إذا اشتد كان كالشيء المحيط . أتى هنا بحذف نون تك وفي العمل باتباعها تفننا لأن حذفها للتخفيف وهو حذف غير لازم . قال ابن مالك :

ومن مضارع لكان منجزم تحذف نون وهو حذف ما التزم

لأن أصل بك يكون دخل الجازم فسكن النون فالتقى سا لنان حذفت الواو لالتقاءهما وحذفت النون تخفيفاً (قوله أى لاتهم بمكرم) أشار بذلك إلى أن ما مصدرية نسبك مع ما بعدها بمصدر (قوله بالعون والنصر) أشار بذلك إلى أن اللعبة مع المتقين والمحسنين معنوية خاصة ، وهذا لا ينافي قوله تعالى - ولا أدنى من ذلك ولا أكثر إلا هو معهم أينما كانوا - لأن اللعبة خاصة وعامة فالعامة بالتصريف والتدبير لكل مخلوق والخاصة بالاعانة والنصر والرضا للثقلين والمحسنين أحياء وأمواتا فرضا الله على للثقلين والمحسنين دائم مستمر لا ينقطع ، فإذا كان كذلك فينبغي زيارة الصالحين وخدمتهم لكونهم في حضرة الرضا أحياء وأمواتا لا ينقطع عنهم مدد ربهم ، وقوله في الحديث « إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث علم ينتفع به » الخ المراد ثواب أعمالهم المتجدد فلا يتجدد لهم ثواب عمل ، وأما ما ثبت لهم في نظير العمل السابق فهو دائم مستمر وإنما يتجدد لهم ثواب علم خلفوه أو ولد صالح إلى آخر ما في الحديث ، ومن هنا زيارة الصالح الخي أفضل من زيارة الصالح الميت لأن الخي أعماله كلها مستمرة الصعود مادام حيا ويتجدد له ثوابها ولذلك ضمن روح المؤمن الصالح بالحياة فلا تحب الموت لأن فيه عزها عن خدمة ربها التي هي أشرف الأشياء وأفضلها . [سورة الإسراء] مكية ، وتسمى سورة بني إسرائيل وتسمى سورة سبحان لأنه جرت عادة الله في كتابه أنه يسمي السورة باسم بعضها وسورة مبتدأ ومكية خبر أول وقوله مائة الخ خبر ثان (قوله إلا وإن كادوا الخ) وقيل كلها مكية (قوله الآيات الثمان) أى وآخرها قوله تعالى - سلطانا نصيرا - لكن بحث البيضاوى فيه بأن قوله تعالى - وقل رب أدخلنى مدخل صدق - الخ نزل بمكة حين أمر صلى الله عليه (٣١١) وسلم بالهجرة وقد يجاب عن

بحجه بأنها لما نزلت بعد الأمر بالهجرة التحقت بالمدينة خصوصاً ، وقد قال العلماء : المدي مازل بعد الهجرة وإن بأرض مكة (قوله سبحان) هو في الأصل مصدر سمع لسبح للشدد أو اسم مصدر له ثم صار علما على التنزيه : أى وعلى كل فهو مفعول مطلق لفعل محذوف

أى لاتهم بمكرم ، فأنا ناصر لك عليهم (إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا) الكفر والمعاصي (وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ) بالطاعة والمبر بالعون والنصر .

(سورة الإسراء)

مكية إلا : وإن كادوا ليفتنونك الآيات الثمان : مائة وعشر آيات

أو واحد عشر آية

(يُنِمْ اللَّهُ الرَّحْمَنَ الرَّحِيمَ . سُبْحَانَ) أى تنزيه (الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ) محمد صلى الله عليه وسلم (لَيْلًا) نصب على الظرف ، والاسراء سير الليل ، وفائدة ذكره الإشارة بتكثيره ،

تقديره أصبح فالقصد منه إما التنزيه فقط : أى تنزيه من هذا وصفه عن كل نقص لأن هذه معجزة لم تسبق لغيره صلى الله عليه وسلم أو المقصود التعجب فقط على حد سبحان الله المؤمن لا ينجس : أى عجباً لباهر قدرة فاعل هذا الفعل وكأله أو التنزيه مع التعجب كأنه قال عجباً لتنزيه الله تعالى عن كل نقص حيث صدر منه هذا الفعل العجيب الخارق للعادة (قوله الذى) اسم موصول مضاف لسبحان والموصول وإن كان مبهماً إلا أنه تميز بالصلة فإن هذه الصلة ليست لغيره تعالى سيما مع تصدير الجملة بالتسبيح الذى هو مختص بآله (قوله أسرى) هو وسرى فعل لازم بمعنى سار فى الليل فالهجرة ليست للتعدي إلى المفعول (قوله بعبد) لم يقل بنبيه ولا برسوله إشارة إلى أن وصف العبودية أخص الأوصاف وأشرفها لأنه إذا صحت نسبة العبد لربه بحيث لا يشرك فى عبادته له أحدا فقد فاز وسعد ، ولذا ذكره الله فى المقامات الشريفة كاهنا وفى مقام الوحى ، قال تعالى - فأوحى إلى عبده ما أوحى - وفى مقام الدعوة ، قال تعالى - وأنه لما قام عبد الله يدعوه - الخ ، ولذا قال القاضى عياض :

وما زادنى شرفاً وتبها وكنت بأخصى أطا الثريا دخولى تحت قولك يا عبادى وأن صيرت أحمد لى بيا وهناك رجه آخر وهو خوف ضلال أمته به كاضل لمة عيسى حيث قالوا ابن الله ، وقوله بعبد : أى بروحه وجسمه على الصحيح خلافاً لمن قال إن الاسراء بالروح فقط ، ونقل عن عائشة وهو مردود بأنها كانت حديثة السن إذ ذاك ولم تكن فى عصمته صلى الله عليه وسلم (قوله محمد) إنما لم يصرح به لعله من السياق ومن سبب النزول (قوله وفائدة ذكره) أى مع

علمه من ذكر الاسراء .

(قوله إلى تقليل مدته) أي فقيل قدر أربع ساعات وقيل ثلاث وقيل قدر لحظة . قال السبكي في تاليفه : وهبت وكل الأمر في قدر لحظة (قوله من المسجد الحرام) من لا ابتداء الثابتة (قوله أي مكة) إيماءه بذلك ليصدق بكل من القولين وهما هل كان مضطجعا في المسجد أو في بيت أم هانئ . وفي الحقيقة لا تخالف لأنه على القول بأنه كان في بيت أم هانئ فقد احتملت الملائكة وجاءوا به إلى المسجد وشقوا صدره هناك ثم أتوا له بالبراق بعد ذلك فلم يحصل الاسراء إلا من المسجد فالأولى للفسر أن يبقى الآية على ظاهرها ، وكان المسجد إذ ذاك بقدر المطاف ثم وسعه الملوكة ، وأول من وسع فيه عمر بن الخطاب رضي الله عنه فكانوا يشترطون دور مكة ويدخلونها فيه (قوله إلى المسجد الأقصى) هو أول مسجد بني في الأرض بعد الكعبة بناء آدم بعد أن بني الكعبة بأربعين سنة ، والحكمة في الاسراء به إلى بيت المقدس بظهور شرفه على جميع الأنبياء والرسلين لأنه صلى بهم إماما في مكانهم وشأن الذي يتقدم على الإنسان في بيته يكون هو السلطان لأن السلطان له التقدم على غيره مطلقا وليسهل على أمته المحشر حيث وضع قدمه فيه فإن الخلق يحشرون هناك (قوله بيت المقدس) من إضافة الموصوف لصفته : أي البيت المقدس : أي الطهر من عبادة غيره تعالى ولذا لم يعبد فيه صنم قط (قوله الذي باركنا حوله) أي بركة دنيوية بالثمار والأنهار كما قال للفسر وأما في داخله فليست مختصة به بل البركة في كلا المسجدين بل هي أتم في المسجد الحرام (قوله لثريه) اللام للحكمة : أي حكمة إسرانابه رؤيته من آياتنا وعامة القراء على قراءته بالنون وقرأ الحسن لثريه بالياء فعلى الأول يكون في الكلام التفاتان الأول من الغيبة للتكلم في قوله باركنا ولثريه الثاني في قوله - إنه هو السميع البصير - ، وعلى الثاني يكون فيه أربع التفاتات : الأول من الغيبة في قوله بعده إلى التكلم في قوله باركنا . الثاني من التكلم إلى الغيبة في لثريه . الثالث من الغيبة إلى التكلم في قوله من آياتنا . الرابع من التكلم إلى الغيبة في قوله - إنه هو السميع البصير - ومن في قوله من آياتنا للتبويض

أي لثريه بعض آياتنا وإنما أتى بها تعظيما لآيات الله : أي أن محمدا وإن رأى ما رأى من الآيات العظيمة والعجائب الفخيمة فهو بعض بالنسبة لآيات الله وعجائب قدرته

إلى تقليل مدته (من المسجد الحرام) أي مكة (إلى المسجد الأقصى) بيت المقدس لبُمدته منه (الذي باركنا حوله) بالثمار والأنهار (لثريه من آياتنا) عجائب قدرتنا (إنه هو السميع البصير) أي العالم بأقوال النبي صلى الله عليه وسلم وأفعاله فأنعم عليه بالإسراء المشتمل على اجتماعه بالأنبياء وعروجه إلى السماء ورؤية عجائب الملكوت ومناجاته له تعالى ؛ فإنه صلى الله عليه وسلم قال :

وجلائل حكمته . إن قلت إن ما هذا يقتضي التبويض ، وقوله تعالى في حق إبراهيم

- وكذلك زى إبراهيم ملكوت السموات والأرض - أنه لا تبويض فظاهر هذا أن ما رآه إبراهيم أكثر مما رآه محمد وهو خلاف الاجماع . أجيب بأن ملكوت السموات والأرض بعض الآيات العظيمة التي رآها محمد فأبراهيم رأى بعض البعض (قوله إنه هو السميع البصير) المشهور أن الضمير عائد على الله تعالى : أي هو السميع للأقوال البصير بالأحوال والأفعال ، وقيل الضمير عائد على النبي صلى الله عليه وسلم ، وحكمة الاتيان بهذين الوصفين الثناء على رسول الله صلى الله عليه وسلم حيث شاهد مشاهد وسمع ما سمع ولم يزغ بصره ولم يدهش سمعه فهو نظير قوله تعالى - ما زاغ البصر وما طغى - إشارة إلى علو مقامه ورفعة شأنه ؛ ولذا قال العارف البرهي :

وإن قابلت لفظة لن تراني بما كذب الفؤاد فهمت معنى

فإن الله كلم ذاك وحيا وكلم ذا مشافهة وأدنى

فوسى خزا مفشيا عليه وأحمد لم يكن ليزيغ ذهنا

إلى أن قال :

(قوله على اجتماعه بالأنبياء) أي الرسل وغيرهم وصالوا خلفه (قوله وعروجه إلى السماء) أي صعوده إليها محفوفًا بالملائكة الكرام (قوله ورؤية عجائب الملكوت) أي كالملائكة والجنة والنار . واعلم أن العوالم أربع : عالم الملك وهو ما نشاهده ، وعالم الملكوت وهو ما خفى عنا ، وعالم الجبروت وهو العلوم والأسرار ، وعالم العزة وهو ما لا يمكن التعبير عنه كذات الله ويسمى ممر السر . قال السيد البكري : وبسر ممر ملك الذي لا نقي بالافصاح عن حقيقته الرقائق (قوله ومناجاته له تعالى) أي شفاها مع رفع الحجاب (قوله فإنه صلى الله عليه وسلم الخ) القصد من ذلك تفصيل ما أجمل في الآية الكريمة ، وقد اختلفت الروايات في الاسراء وللعراج جدا ، وقد اقتصر المفسر على هذه الرواية لكونها رواية البخاري ومسلم .

(قوله أثبت بالبراق) أي بعد أن جاءه جبريل وسجائيل ومعهما ملك آخر فاحتلوا حتى جاءوا به زمزم فأضجوه وشقوا من ثمره نحره إلى أسفل بطنه وأخرجوا قلبه وغسلوه ثلاث مرات ثم ملقوه عليها وعلى وقيينا وإسلاما ثم أطبقوه وختموا بين كتفيه بخاتم النبوة ، ثم أتى بالبراق بضم الباء مأخوذ من البرق لصرعة عبرة أو من البرق لشدة صفاء لونه ولعانه وهو من جملة أربعين ألف براق ترنع في ربض الجنة معدة له صلى الله عليه وسلم (قوله دابة) أي ليست ذكرًا ولا أنثى ، وفي الاستعمال يجوز التذكير باعتبار كونه مركوبا ويؤنث باعتبار كونه دابة (قوله فوق الحمار ودون البغل) أي فهو متوسط بينهما (قوله عند منتهى طرفه) هو يسكون وراء البصر (قوله فركبته) أي وكان جبريل عن يمينه آخفا بركابه وفيكائيل عن يساره آخذا بزمام البراق (قوله حتى أثبت بيت المقدس) في هذه الرواية اختصار وزيد في غيرها « أنه نزل بالمدينة ومدين وطور سيناء وبيت لحم فصلى في كل موضع ركعتين يأمر من جبريل عن الله لتحصل زيادة بركته لتلك الأماكن وليقتدى به غيره في العبادة بالأماكن المشرفة ورأى بين كل موضع والأخر عجائب وغرائب مذكورة في قصة النجم الغيطي (قوله فربط الدابة بالحلقة التي تربط فيها الأنبياء) أي الذين كانوا يأتون بيت المقدس لزيارته ، وفي رواية « أن جبريل أخذ البراق من الباب وأدخله المسجد وخرق الصخرة بأصبعه وربط البراق فيها » (قوله فصليت فيه ركعتين) أي إماما بالأنبياء أجسادا وأرواحا للملائكة وأرواح المؤمنين ، وهذه الصلاة لم يعلم كونها فرضا أو نفلا غاية ما يقال إنه أمر بها وهو مطيع وفي الحديث اختصار لأنه طوى ذكر صلاة الركعتين تحية المسجد حين اجتماع جميع الأنبياء والملائكة وأرواح المؤمنين ، ويحتمل (٣١٣) أن يقال إن الركعتين للذكورتين في الحديث هما تحية المسجد

« أثبت بالبراق ، وهو دابة أبيض فوق الحمار ودون البغل يضع حافره عند منتهى طرفه فركبته فسار بي حتى أثبت بيت المقدس فربطت الدابة بالحلقة التي تربط فيها الأنبياء ، ثم دخلت فصليت فيه ركعتين ، ثم خرجت فجاءني جبريل بإناء من خمر وإناء من لبن فاخترت اللبن قال جبريل أصبت الفطرة . قال : ثم عرج بي إلى السماء الدنيا فاستفتح جبريل قِيلَ من أنت ؟ قال جبريل ، قِيلَ ومن مملوك ؟ قال : محمد ، قِيلَ : وقد أرسل إليه ؟ قال : قد أرسل إليه ففتح لنا فإذا أنا بآدم ،

الإسلام ، وفي بعض الروايات أن جبريل قال له « ولو اخترت الحمر لموت أمة لم يقبل منك إلا القليل » وفي رواية : « أن الأنبياء كانت ثلاثا والثالث فيه ماء وأن جبريل قال له : ولو اخترت الماء لم ترق أمة لك » (قوله قال) أي الراوي وهو أنس بن مالك خادم رسول الله صلى الله عليه وسلم (قوله ثم عرج بي) أي بعد أن أتى بالمعراج ووضع على صخرة على صخرة بيت المقدس وهو سلم له عشر مراق أحداها من ذهب والأخرى من فضة وأحد جانبيه من ياقوتة حمراء والأخر من ياقوتة بيضاء وهو مكمل بالدر سبع منها للسموات السبع والثامنة للسدره والتاسعة للكرسي والعاشرة إلى العرش ، ولهما بالصعود نزلت للرقاة التي عند السماء الدنيا فركبها وصعدت بهما إلى محلها ثم نزلت الثانية لهما وهكذا (قوله إلى الله بآدم) أي وهي من وجع مكفوف والثانية من ممررة بيضاء والثالثة من حديد والرابعة من نحاس والخامسة من فضة والسادسة من ذهب والسابعة من ياقوتة حمراء والكرسي من ياقوتة بيضاء والعرش من ياقوتة حمراء وأبواب السماء كلها من ذهب وأقفالها من نور ومفاتيحها اسم الله الأعظم (قوله فاستفتح جبريل) أي طلب الفتح من الملك الموكل بالباب وحكمة غلقها إذ ذلك زيادة الإكرام بالسؤال والترحيب لعلى الله عليه وسلم (قوله قِيلَ من أنت الخ) فيه اختصار ، وفي الرواية المشهورة « قيل مرحبا به وأهلا حياه الله من أخ ومن خليفة فذم الأخ ونعم الخليفة ونعم المجيء جاء » (قوله قِيلَ وقد أرسل إليه) المعنى أجه وقد أرسل إليه . إن قلت إن رسالته ليست خافية عليهم حتى يسألوا عنها . أحبب أن المراد أرسل إليه للعروج إلى السموات والمسكالة (قوله فإذا أنا بآدم) في بعض الروايات « ومن يمينه أسودة وباب يخرج منه ريح طيبة وعن يساره أسودة وباب يخرج منه ريح خبيثة ، فإذا نظر قبل يمينه ضحك واستبشر ، وإذا نظر قبل شماله حزن وبكى ، فسأل جبريل عن ذلك ، فقال هذه الأسودة نسف فيه والباب الذي عن يمينه باب الجنة والذي عن يساره باب النار فإذا رأى من يدخل قبل يمينه ضحك وإذا رأى من يدخل قبل يساره بكى

(قوله فرحب بي) أي قال مرحبا بالابن الصالح والنبي صالح (قوله ثم عرج بنا) أي أتا مع جبريل (قوله بابني الخالة) فيه مسامحة إذ عيسى ابن بنت خالة يحيى ويحيى ابن خالة أم عيسى لأن عيسى ابن مريم وهي بنت حنة وحنة أخت إشاع وإشاع أم يحيى وقد انصف عيسى صفات لللائكة لا يأكل ولا يشرب ولا ينام (قوله شطر الحسن) أي نصفه والنصف الآخر قسم بين جميع الخلق وحسنه صلى الله عليه وسلم غير ذلك الحسن الذي أعطى يوسف شطره إذ هو غير منقسم ولم يعط منه شيء لغيره ، قال البوصري : منزه عن شريك في محاسنه فجوه الحسن فيه غير منقسم

(قوله بإدريس) وهو أول من خاط الثياب وقبل ذلك كانوا يلبسون الجلود (قوله بهرون) في بعض الروايات «ونصف لحينه سوداء ونصف لحينه بيضاء» وذلك من (٣١٤) مسك أخيه موسى لما حين جاء ووجد قومه قد عبدوا العجل (قوله فاذا

أنا بموسى) في بعض الروايات «وحوله مفر من قومه فلما جاوزته بكى فقيل له ما يبكيك؟ قال أبكي لأن غلاما بث من بعدي يدخل الجنة من أمته أكثر ممن يدخل الجنة من أمه فلو أنه في نفسه لم أبال» وفي رواية «أنه سأل الله تعالى أن يجعله من أمة محمد صلى الله عليه وسلم فأجابه الله» (قوله بإبراهيم) أي خليل الرحمن «فقال مرحبا بالابن الصالح والنبي الصالح ودعا لي بخير وقال أقرى أمتك مني السلام وأخبرهم أن الجنة طيبة التربة عذبة الماء وأن غراسها سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر» (قوله وإذا هو) القصص من ذلك

فرحب بي ودعا لي بخير ، ثم عرج بنا إلى السماء الثانية فاستفتح جبريل . فقيل : من أنت ؟ فقال : جبريل . قيل ومن معك ؟ قال : محمد . قيل : وقد بعث إليه ؟ قال : قد بعث إليه ففتح لنا فاذا أنا بابني الخالة يحيى وعيسى فرحباني ودعوا لي بخير ، ثم عرج بنا إلى السماء الثالثة فاستفتح جبريل فقيل : من أنت ؟ قال : جبريل . قيل : ومن معك ؟ قال محمد . قيل : وقد أرسل إليه ؟ قال : قد أرسل إليه ففتح لنا فاذا أنا بيوسف وإذا هو قد أعطى شطر الحسن فرحب بي ودعا لي بخير ، ثم عرج بنا إلى السماء الرابعة فاستفتح جبريل . فقيل : من أنت ؟ قال : جبريل . قيل : ومن معك ؟ قال : محمد . قيل : وقد بعث إليه ؟ قال : قد بعث إليه ففتح لنا فاذا أنا بإدريس فرحب بي ودعا لي بخير ، ثم عرج بنا إلى السماء الخامسة فاستفتح جبريل . فقيل : من أنت ؟ فقال : جبريل . قيل : ومن معك ؟ قال : محمد . قيل : وقد بعث إليه ؟ قال : قد بعث إليه ففتح لنا فاذا أنا بهرون فرحب بي ودعا لي بخير ، ثم عرج بنا إلى السماء السادسة فاستفتح جبريل فقيل : من أنت ؟ قال : جبريل . قيل : ومن معك ؟ قال محمد . قيل : وقد بعث إليه ؟ قال : قد بعث إليه ففتح لنا فاذا أنا بموسى فرحب بي ودعا لي بخير ، ثم عرج بنا إلى السماء السابعة فاستفتح جبريل فقيل : من أنت ؟ فقال : جبريل . قيل : ومن معك ؟ قال محمد . قيل : وقد بعث إليه ؟ قال : قد بعث إليه ففتح لنا فاذا أنا بإبراهيم فاذا هو مستند إلى البيت المعمور وإذا هو يدخله كل يوم سبعون ألف ملك ثم لا يعودون إليه ، ثم ذهب بي إلى سدة المنتهى فاذا أوراها كآذان القيلة وإذا ثمرها كالقلال فما غشيها من أمر الله ما غشيها تغيرت فما أحد من خلق الله تعالى يستطيع يصفها من حسنها قال فأوحى الله إلي ما أوحى ،

وفرض

بيان أن اللائكة لا يعلم عدتهم إلا الله قال تعالى : وما يعلم جنود ربك إلا هو

(قوله ثم ذهب بي) أي عرج بي لأن هذا هو المراج الثامن (قوله إلى سدره المنتهى) أي إلى أعلاها فان السدره أصلها في السماء السادسة وأغصانها وفروعها فوق السماء السابعة (قوله كآذان القيلة) أي في الشكل والإفكل ورقة تفل هذه الأمة (قوله كالقلال) جمع قلة وكانت معلومة عند المخاطبين ، وفي بعض الروايات «كقلال هجر» وهي بلدة القلة منها كاري الكبير (قوله فلما غشيها) أي قام بها من الحسن والبهاء (قوله قال فأوحى) فيه اختصار أي ثم رفع إلى مستوى سمع فيه صريف الأقدام وهو المراج التاسع ثم دلى الررف فرج به في النور ، ففقد ذلك تأخر جبريل فقال له أننا يفارق الخليل خليله ؟ فقال له هذا مكانى فلو فارقت لا حترقت من النور أي ذهب نورى وتلاشت لشدة الآتول وظهورها ، قال رسول الله غاطبى ربي ورأيت به بينى بصرى وأوحى إلى الخ (قوله ما أوحى) أنهم ذلك إشارة إلى هظم ما أوحى به إليه وعدم إحاطة جميع الخلق به ، قال البوصري .

فإن من جودك الدنيا وضرتها ومن علمك علم الأوح والقلم (قوله وفرض على الخ) عطف خاص على عام وإعانة صريح به لتعلقه بالآمة ، وأما عطائاه التي تخصه فلم يعبر عنها إذ لا تحيط بها العبارة ولا تحصرها الإشارة وقوله على أي وعلى أمتي لأن الأصل عدم الخصوصية إلا للدليل يدل على التخصيص فذكر الفرض عليه يستلزم الفرض على أمته (قوله فزلت) أي وممرت على إبراهيم فلم يقل شيئاً (قوله إلى موسى) أي في السماء السادسة ، والحكمة في أن موسى اختص بالمراجعة دون غيره من الأنبياء أن أمته كانت من الصلوات بما لم يكلف به غيرها فثقلت عليهم ففرق موسى بأمة محمد صلى الله عليه وسلم لكونه طاب أن يكون منها وأيضاً فقد طاب موسى الرؤية فلم ينلها ومحمد نالها من غير طلب فأحب مراجعته وتردده ليزداد من نور الرؤية فيقتبس موسى من تلك الأنوار ليكون رانياً من رأي ، قال ابن الفارض :

أبقى لي مقالة لملى يوماً قبل موى أرى بها من رآك وفي هذا المعنى قال ابن وفا :
والسر في قول موسى إذ يردده اجتلى النور فيه حيث يشهده
يبعدو سناء على وجه لرسول فيا لله حسن جمال كان يشهده (٣١٥)

(قوله وخبرتهم) أي

جربتهم حيث كانهم الله

بركعتين في العداة

وركعتين في وقت الزوال

وركعتين في العشي فلم

يطبقوا ذلك وعجزوا

عنه (قوله قال فرجعت

إلى ربي) أي إلى المكان

الذي ناجيت فيه ربي

وليس المراد أن الله في

ذلك المكان ورجع له

فإن اعتقاد ذلك كفر

بل المراد أن الله جعل

هذا المكان محلاً لسيدنا

محمد صلى الله عليه وسلم

يناجيه فيه ليجمع له بين

وفرض على في كل يوم وليلة خمسين صلاة ، فزلت حتى انتهيت إلى موسى ، فقال : ما فرض ربك على أمتك ؟ قلت : خمسين صلاة في كل يوم وليلة ، قال : ارجع إلى ربك فأسأله التخفيف فإن أمتك لا تطيق ذلك وإني قد بلوت بني إسرائيل وخبرتهم . قال فرجعت إلى ربي قلت : أي رب خفف عن أمتي فخط عني خمسا فرجعت إلى موسى قال : ما فعلت ؟ قلت : قد خط عني خمسا قال : إن أمتك لا تطيق ذلك فارجع إلى ربك فأسأله التخفيف لأمتك قال : فلم أزل أرجع بين ربي وبين موسى ويحط عني خمسا خمسا حتى قال : يا محمد هي خمس صلوات في كل يوم وليلة بكل صلاة عشر ، فتلك خمسون صلاة ، ومن هم بمحسنة فلم يعملها كتبت له حسنة فإن عملها كتبت له عشراً . ومن هم بسيئة ولم يعملها لم تكتب ، فإن عملها كتبت له سيئة واحدة فنزلت حتى انتهيت إلى موسى فأخبرته فقال ارجع إلى ربك فأسأله التخفيف لأمتك فإن أمتك لا تطيق ذلك . قلت : قد رجعت إلى ربي حتى استحييت « رواه الشيخان واللفظ لمسلم . وروى الحاكم في المستدرك عن ابن عباس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « رأيت ربي عز وجل » . قال تعالى :

الرفعتين الحسية والمعنوية (قوله ويحط عني) أي الله تعالى فجعله للرات تسع وكل مرة يرى فيها ربه كما رآه في المرة الأولى فقد رأى ربه في تلك الليلة عشر مرات (قوله حتى قال الخ) هذا حديث قدسي من هنا إلى قوله : كتبت سيئة واحدة (قوله بكل صلاة عشر) أي في اللعاففة والثواب فتد فضل سبحانه وتعالى بتكثير الثواب على تلك الخدمة القليلة (قوله ومن هم بمحسنة) المراد بالهم ترجيح الفعل دون عزم وتصميم لأنه الذي يكتب في الخير ولا يكتب في الشر ، وأما العزم والتصميم فيكتب في الخير والشر ، وأما الهاجس والمخاطر وحديث النفس فلا يؤاخذ الإنسان بها لا في خير ولا شر ، وقد نظم بعضهم الحمسة قوله :

مراتب القصد خمس هاجس ذكرها غاطر حديث النفس فاستمع

بليته هم فعزم كلها رقت سوى لأخير نفية الأخذ قد وقعا

(قوله فزلت) في بعض الروايات أن الله قال له « قد أمضيت فريضة وخففت عن عبادي » (قوله استحييت) يباين بعد الحاء التهمة (قوله رواه الشيخان) أي البخاري ومسلم ، والمعنى روي معنى حديث الاسراء واتفقا عليه (قوله واللفظ لمسلم) أي وأما البخاري ففيه تغيير لبعض الألفاظ (قوله رأيت ربي) أي بعيني رأسي وآتى بهذا الحديث تمجداً للقصة ثم بعد تمام الأمر هيط من

السموات السبع إلى بيت المقدس فركب البراق وآتى مكة قبيل الصبح فلما أصبح قطع وعرف أن الناس تكذبه ففقد حزينا فلما به أبو جهل جلس إليه فقال له كالمستهزى هل كان من شيء قال نعم أسرى بنى الليلة قال إلى أين ؟ قال إلى بيت المقدس قال ثم أصبحت بين أظهرنا قال نعم فقال أبو جهل إذا دعوت قومك آخذتهم بما حدثتني به ؟ قال نعم فقال ياعشر بنى كعب بن لؤي هلموا فجاءوا حتى جلسوا إليهما فحدثهم صلى الله عليه وسلم بذلك ، فبقى الناس بين مصفق وواضع يديه على رأسه متعجبا وضجوا لذلك وعظموه فجاء أبو بكر فحدثه صلى الله عليه وسلم بذلك فقال صدقت صدقت فقالوا أنصده أنه ذهب الليلة إلى بيت المقدس وجاء قبل أن يصبح فقال نعم إني لأصدق فيه هو أبعد من ذلك أنصده بخبر السماء في غدوة أو روحة ففلك سمى الصديق فقال القوم صف لنا بيت المقدس فشرع في وصفه حتى إن جبريل نقله من مكانه ووضع بين يديه صلى الله عليه وسلم وجعل ينظر إليه و يصف لهم فقال القوم أما النعت فوالله لقد أصاب ثم قالوا أخبرنا عن غيرنا فأخبرهم عنها تفصيلا فقالوا إن هذا السحرمين فأترل الله تعالى : وما جعنا الرؤيا التي أريناك إلا فتنة للناس (قوله وآتيناه موسى) معطوف على جملة : سبحانه الذي أسرى بعبدته ومناسبتها لما قبلها أن كلامه متعلق بعبادنا نبي فالأولى متعلقة بعبادنا سيدنا محمد وهذه متعلقة بعبادنا موسى عليهما الصلاة والسلام بجامع أن موسى أعطى التوراة بسيرة إلى الطور وهو بمنزلة معراجة صلى الله عليه وسلم لأنه منحه نعمة التكليم وشرف باسم التكليم (قوله وجعلناه) أى موسى أو الكتاب (قوله هدى) أى هاديا من الضلالة واشترك (قوله أن لا يتخذوا) أن مصدرية ولا نافية والفعل منصوب بحذف النون ولا م التعليل مقدره كما زادها للمفسر وهذا على قراءة التحية وأما (٣١٦) على قراءة التاء الفوقية فالفعل مجزوم بلا النافية وأن زائدة والقول مقدر والتقدير

وقلت لهم لا تتخذوا الخ وقوله من دوني في محل للمفعول الثاني ووكيلا مفعول أول وهو مفرد في اللفظ جمع في المعنى أى لا تتخذوا وكلاء غيري تلتجئون إليهم وتفوضون أموركم إليهم (قوله فإن زائدة) المناسب أنها هنا مفسرة لأن هذا ليس من واضع زياتها وحينئذ

(وَأَتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ) التوراة (وَجَعَلْنَاهُ هُدًى لِّبَنِي إِسْرَائِيلَ) (لأ) ن (لَا يَتَّخِذُوا مِنْ دُونِي وَكِيلًا) يفوضون إليه أمرهم . وفي قراءة تتخذوا بالفوقانية التفاتا فإن زائدة والقول مضر . يا (ذُرِّيَّةَ مَنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ) في السفينة (إِنَّهُ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا) كثير الشكر لنا حامداً في جميع أحواله (وَقَضَيْنَا) أوحينا (إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ فِي الْكِتَابِ) التوراة (لَتَفْسِدُنَّ فِي الْأَرْضِ) أرض الشام بالمعاصي (مَرَّتَيْنِ وَلَتَعْلُنَّ عُلُوقٌ كَبِيرًا) تبغون بغيا عظيما (فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ أُولَاهُمَا) أولى مرتي الفساد (بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَنَا أُولَى بَأْسٍ شَدِيدٍ) أصحاب قوة في الحرب والبطش (فَجَاسُوا) ترددوا لطلبكم (خِلَالَ الدِّيَارِ) وسط دياركم ليقتلوكم ويسبوكم (وَكَانَ وَعْدًا مَفْعُولًا) وقد أسفدوا الأولى بقتل زكريا ،

فيقدر جملة فيها معنى القول دون حروفه ، ولما كان وجه زيادتها ظاهرا بحسب الصورة حماتها المفسر عليه فبعت (قوله ذرية الخ) أعربه المفسر منادى وحرف النداء محذوف وحينئذ فالمعنى يا ذرية من حملنا مع نوح وخذوا الله واعبدوه واشكروه في جميع حالاتكم كما كان نوح إنه كان عبدا شكورا فقله إنه كان الخ تعليل لمحذوف وهذا هو الأقرب والأسهل وبعضهم أعرب ذرية مفعولا ثانيا لتتخذوا ووكيلا مفعولا أول أو ذرية بدل من وكيلا أو منصوب على الاختصاص فتحصل أن في إعراب ذرية أربعة أقوال أسهلها ما مضى عليه المفسر (قوله أوحينا) فسر القضاء بالوحى تعديده إلى فان قضى يتعدى بنفسه أو بعلى وما هنا فهو مضمن معنى الإيحاء ، والمراد بالكتاب التوراة ويصح أن يبقى القضاء على بابه من أن معناه التقدير والحكم وتكون إلى بمعنى على أى حكنا وقدرنا على بنى إسرائيل ، وحينئذ فالمراد بالكتاب اللوح المحفوظ (قوله مرتين) تشبيه حرة وهى الواحدة من للرأى المرور (قوله تبغون) أى تظلمون وتطفون (قوله وعد أولاهما) المراد بالوعد الوعيد أى جاء وقت العقاب الموعود به (قوله بعثنا عليكم عبادا لنا) أى جالوت وجنوده كما يأتى للمفسر وقيل يختصر (قوله فجاسوا) هو بالجيم باتفاق الجمهور وقرئ شذوذا بالحاء المهملة ، والمعنى على كل تقبوا وفتشوا (قوله خلال الديار) إما مفرد بمعنى وسط كما قال المفسر أو جمع خلل كجبل وجبال (قوله وكان) أى البعث المذكور وتفتيش الأعداء عليهم (قوله بقتل زكريا الخ) مضى المفسر على أن المرة الأولى هى قتل زكريا والثانية هى قتل ولده يحيى ، ومضى غيره على أن المرة الأولى مخالفة أحكام التنزهة وقتل شعبا وقيل أرميا ، والثانية قتل زكريا ويحيى وقصد قتل عيسى .

(قوله فبعث عليهم جالوت وجنوده) الصحيح ان الهى بعث عليهم فى المرة الأولى مختصر ، قيل وقد كانت مدة ملكه سبعة سنة . وأما جالوت وجنوده فلم يقع منهم تخريب لبيت المقدس بل جاءوا لنزوم لخرج إليهم داود وطالوت بجيوشهم فقتل الله جالوت على يد داود كما تقدم مفصلا فى سورة البقرة (قوله الدولة) فى الصباح تداول القوم الشئ وهو حصوله فى يده هذا تارة وفى يد هذا أخرى والاسم الدولة بفتح الدال وضمها وجمع المفتوح دول بالكسر كقصعة وقصع وجمع المضموم دول كغرفة وغرف اه (قوله والغلبة) تفسير (قوله وأمددناكم بأموال وبنين) أى بعد النهب والقتل الأول (قوله أكثر نفيرا) أى أكثر الناس اجتماعا وذهابا للعدو ، ونفيرا منصوب على التمييز (قوله إن أحسنتم) الخطاب لبني إسرائيل (قوله أحسنتم لأنفسكم) أى فلا يصل إلى شئ من طاعةكم إذ مستحيل على الله تعالى أن يصل له من عباده فنع أو ضرر حينئذ فلا ينبغي للإنسان أن يفخر بطاعته بل يعمل الطاعة وهو راج قبولها من ربه لأنها علامة على دوام السعادة لصاحبها وأنه من أهل النعم فى الحديث « يا عبادى إنكم لن تبخلوا ضرى فتضرونى ولن تبخلوا نفى فتنتفونى وإنما هى أعمالكم أحسبها لكم ثم أوفىكم إياها فمن وجد خيرا فليحمد الله ومن وجد غير ذلك فلا يلومن إلا نفسه » . وقال العارف :

ماذا يضرك وهو عا ص أو يفيدك وهو طائع (٣١٧) فمن عن أن الله يتنعم

بالعبادة فقد كفر لنفسه
الاتقارله ، تعالى الله عنه
(قوله فلها) خبر مبتدأ
محذوف قدره الفسر
واللام بمعنى طى وإنما عبر
بها للشاكلة (قوله فاذا
جاء) جواب الشرط
محذوف قدره الفسر بقوله
بشأنهم دل عليه جواب
إذا الأولى (قوله الآخرة)
صفة لموصوف محذوف
قدره الفسر بقوله المرة
(قوله ليسووا وجوهكم)
متعلق بهذا الجواب
المحذوف وفيها ثلاث

فبعث عليهم جالوت وجنوده يقتلهم وسبوا أولادهم وخربوا بيت المقدس (ثُمَّ رَدَدْنَا لَكُمُ
الْكُرَّةَ) الدولة والغلبة (عَلَيْهِمْ) بعد مائة سنة بقتل جالوت (وَأَمَدَدْنَاكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ
وَجَعَلْنَاكُمْ أَكْثَرَ نَفِيرًا) عشيرة وقلنا (إِنْ أَحْسَنْتُمْ) بالطاعة (أَحْسَنَتُمْ لَأَنْفُسِكُمْ) لأن
ثوابها (وَإِنْ أَسَأْتُمْ) بالفساد (فَلَهَا) إساءتكم (فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ) المرة (الْآخِرَةِ) بعثناهم
(لِيَسُوُوا وَجُوهَكُمْ) يحزنونكم بالقتل والسبي حزنا يظهر فى وجوهكم (وَلِيَدْخُلُوا الْمَسْجِدَ)
بيت المقدس فيخربوه (كَمَا دَخَلُوهُ) وخربوه (أَوَّلَ مَرَّةٍ) وَلِيَتَّبِعُوا) يهلكوا (مَا عَاوَا)
غلبوا عليه (تَنْذِيرًا) هلاكاً وقد أفسدوا ثانياً بقتل يحيى ، فبعث عليهم مختصر فقتل منهم ألوفا
وسبى ذريتهم وخرب بيت المقدس ، وقلنا فى الكتاب (عَسَى رَبُّكُمْ أَنْ يَزَحْمَكُمْ) بعد
المرة الثانية إن تبتم (وَإِنْ عُدْتُمْ) إلى الفساد (عُدْنَا) إلى العقوبة ، وقد عادوا بتكذيب محمد
صلى الله عليه وسلم فسلط عليهم بقتل قريظة ونفى النضير وضرب الجزية عليهم (وَجَعَلْنَا جَهَنَّمَ
لِلْكَافِرِينَ حَصِيرًا) محبساً وسجناً ،

قرأت سبعة الأولى بضمير الجماعة مع الباء فالواو فاعل الثانية بنون العظمة وفتح الهمزة آخرها والفاعل هو الله الثالثة بالياء
الفتوحة والهمزة المفتوحة والفاعل إما الله وإما الوعد وإما البعث وإما النفي تأمل (قوله بقتل يحيى) أى وقيل بقتل زكريا
ويحيى وقصد قتل عيسى (قوله فبعث عليهم مختصر) هو بضم الباء وسكون الحاء المعجمة والتاء المثناة معناه ابن ونصر بفتح
التون وتشديد الصاد والراء للمهمل اسم صنم وهو علم أعجمى مركب ، وصمى بذلك لأنه وجد وهو صغير مطروحا عند صنم ولم
يعرف له أب فنسب إليه ، قيل إنه ملك الأقاليم كلها ، وقيل المسلط عليهم فى المرة الثانية خردوش ملك من ملوك بابل وسيأتى
فى السيرة (قوله ألوفا) أى نحو الأربعين (قوله وسبى ذريتهم) أى نحو السبعين ألفا (قوله وقلنا فى الكتاب) أى التوراة (قوله
وضرب الجزية عليهم) أى طى باقيهم كأهل خيبر (قوله وسجنا) تفسير فيكون معنى حصيرا محلا حاصرا لهم وقيل حصيرا فرشا
كالحصير فيكون بمعنى قوله تعالى - لهم من جهنم مهاد - [تمة] يذكر فيها تلخيص القصة التى ذكرها المفسرون فى هذه الآيات
قال محمد بن اسحق : كانت بنو إسرائيل فىهم الأحداث والنوب وكان الله متجاوزا عنهم ومحسنا إليهم وكان أول منازل
بهم أن ملكا منهم كان يدعى صديقة وكان الله إذا ملك عليهم الملك بعث معه نبيا يسدده ويرشده ويتبع الأحكام التى
تنزل عليه فبعث الله معه شعيا بن أمضيا عليه السلام وذلك قبل مبعث زكريا ويحيى ، فى آخر مدة صديقة عظمت الأحداث

فيهم والمعاصي فبعث الله عليهم سنحاريب ملك بابل ومعه ستمائة ألف راية فقتل حول بيت المقدس والملك مريض من فرجة كانت في ساقه فجاء شعيا إليه وقال يا ملك بنى إسرائيل إن سنحاريب نزل بك هو وجنوده فقال يا بني الله هل أتاك من الله وحى فيما حدث فتخبرنا به فقال لم يأتني وحى في ذلك فبيناهم على ذلك أوحى الله إلى شعيا أن انت إلى ملك بنى إسرائيل فمره أن يوصي وصيته ويستخاف على ملكه من يشاء من أهل بيته فانه ميت فأخبره شعيا بذلك فأقبل الملك على القبة وصار يلى ويتضرع إلى الله بقاب محاصر فاستجاب الله دعاء الملك وأوحى إلى شعيا أن أخبر صديقه أن ربه استجاب له ورحمه وأخر أجله خمس عشرة سنة واتجاه من عدوه سنحاريب فلما قال له ذلك انقطع عنه الحزن وخر ساجدا شاكرًا لله متضرعا فلما رفع رأسه أوحى الله إلى شعيا أن قل للملك يأتى بماء التين فيجعله على قرحته فيشفى فأخبره ففعل فشفاه الله ، فقال الملك لشعيا سل ربك أن يجعل لنا علما بما هو صانع بعدونا هذا قال الله لشعيا سيصبحون موتى كلهم إلا سنحاريب وخمسة نفر من كتابه فلما أصبح وجدوا الأمر كما ذكر فخرج الملك وثلث سنحاريب فسلم يحمده في الموتى فبعث في طلبه فأدركه ومعه خمسة نفر أحدهم يختنصر فجعلهم في أطواق الحديد ، وقال الملك لسنحاريب كيف رأيت فعل ربنا بك ونحن وأنتم غافلون فقال سنحاريب قد أنانى خبر ربكم ونصره إياكم قبل أن أخرج من بلادى فلم أطع مرشدا وأوقعتنى في انشقوة قلة العقل ، فقال الملك لسنحاريب إن ربنا لم يبقك ومن معك لكرامة بك عليه وإنما أبىك ومن معك لنزدادوا شقوة في الدنيا وعذابا في الآخرة ولتخبروا من وراءكم بما رأيتم من فعل ربنا بكم ثم إن الملك أطال عليهم العذاب ، فقال سنحاريب له القتل خير مما يفعل فأوحى الله إلى شعيا أن يرسل سنحاريب ومن معه لينذروا من وراءهم ففعل فخرج سنحاريب ومن معه حتى قدموا بابل فأخبرهم الخبر فقال له قومه نهيناك فلم تطعنا وهى أمة لا يستطيعها أحد مع ربهم وكان أمر سنحاريب تخويقا لبني إسرائيل ثم كفاهم الله تعالى شرم تذكرة وعبرة ثم إن سنحاريب لبث سبع سنين ومات فاستخلف على ملكه يختنصر (٣١٨) فعمل بعماله واستمر متباعدا عن بنى إسرائيل حتى مات ما حكمهم فتناقصوا

في الملك وقتل بعضهم

... ..

بعضا وشعيا بينهم فسلم

وأولف

بقبلا فأوحى الله لشعيا قم في قومك اوح على لسانك فلما قام

أنطق الله لسانه بالوحى فقال يا صامى استمعي يا أرض أنصتي فإن الله يريد أن يقضى شأن بنى إسرائيل الذين رباهم بنعمته واصطنعهم لنفسه وخصهم بكرامته وفضلهم على عباده وهم كالغنم الضائعة التى لا راعى لها وضرب الله لهم مثلا ثم قال إنه مثل ضربته لهم يتقربون إلى بذيح البقر والغنم وليس ينالنى اللحم ولا أكله ويدعون أن يتقربوا إلى بالتقوى والكف عن ذبح الأنفس التى حرمتها وأيديهم مخضوبة منها وثيابهم متزلمة بدمائها يشيدون لى بالبيوت مساجد ويطهرون أجوافها وينجسون قلوبهم وأجسادهم ويدنسونها ويزوقون لى المساجد ويزينونها ويحربون عقولهم وأخلاقهم ويفسدونها فأى حاجة لى إلى تشييد البيوت ولست أسكنها لى إلى تزويق المساجد ولست أدخنها إنما أمرت برفعها لأذكر وأسبح يقولون صمنا فلم يرفع صيامنا وصلينا فلم تنور صلاتنا وتصدقنا فلم تترك صدقاتنا ودعونا بمثل حنين الحمام وبكينا بمثل عواء الدباب فى كل ذلك لا يستجاب لنا . قال الله فسأهم ما الذى يعنى أن أستجيب لهم ألست أسمع السامعين وأبصر الناظرين وأقرب المحبين وأرحم الراحمين فكيف أرفع صيامهم وهم يلبسونه بقول الزور ويتقوون عليه بطعمة الحرام أم كيف أنور صلاتهم وقلوبهم صاغية إلى من يحارب بنى ويحادى ويتكلم بحارمى أم كيف تزكو صدقاتهم وهم يتصدقون بأموال غيرهم إنما آجر عليها أهلها المفوضين أم كيف أستجيب دعاءهم وإنما هو قول بألسنتهم والفعل من ذلك بعيد إلى أن قال وإنى قد قضيت يوم خافت السموات والأرض أن أجعل النبوة فى لأجرا وأن أجعل الملك فى الرعاء والمزى فى الأذلاء والقوة فى الضعفاء والغنى فى الفقراء والعلم فى الجهالة والحلم فى الأميين فسأهم متى هذا ومن القائم بها من أعوان هذا الأمر وأنصاره إن كانوا يعلمون فأنى باعث نبيا أنيا ليس أعجميا من عيمان ضالين ليس بفظ ولا غليظ ولا صخاب فى الأسواق ولا مزين بالفحش ولا قوال للخنا أسدده لكل جميل وأهب له كل خلق كريم أجعل السكينة لباسه والبر شعاره والتقوى ضميره والحكمة مقوله والصدق والوفاء طبيعته والعفو والمعروف خلقه والعدل سيرته والحق شريعته والهدى إمامه والاسلام ملته وأحمد اسمه أهدي به بعد الضلالة وأعلم به بعد الجهالة وأرفع به بعد الخلة وأشهر به بعد النكرة وأكثر به بعد القلة وأغنى به بعد العيلة وأجمع به بعد الفرقة

وأوف به بين قلوب مختلفة وأهواء مشتتة وأم متفرقة وأجل أمته خير أمة أخرجت للناس بأمرهم بالمعروف ونهيهم عن المنكر توحيد إلى وإيماناً في وإخلاصاً إلى يصلون إلى قياما وقعوداً وركعاً وسجوداً يقاتلون في سبيل صفوا وزحوا ويخرجون من ديارهم وأموالهم ابتغاء رضوانى ألهمهم التكبير والتوحيد والتسبيح والتحميد والمدح إلى والتعجيل إلى في مسيرهم ومجالسهم ومتعلبيهم ومشواهم قربانهم دملوهم وأناجيلهم في صدورهم رهبان بالليل ليوث بالنهار ذك في أوتيه من أشاء الله ذو الفضل العظيم ، فلما فرغ شعباً من مقاتله عدوا عليه ليقتلوه فهرب منهم فلقيته شجرة فانفلقت له فدخل فيها فوضعا النشار في وسطها فنشروها حتى قطعوها وقطعوه في وسطها واستخاف الله عليهم ملكا يقال له ناشة بن أموص وبعث لهم أرميا بن حاقيا نبيا ثم عظمت الأحداث وارنكاب المعاصي فأوحى الله إلى أرميا أن أنت قومك من بني إسرائيل فاقصص عليهم ما أمرك به إلى أن قال وإني حلفت بعزتي لأقيضن لهم فتنة يتحير فيها الحليم ولأسلطن عليهم جبارا قاسيا ألبسه الهيبة وأزعج من صدره الرحمة فسلط الله عليهم بختنصر فخرج في سبائة ألف راية ودخل بيت المقدس بمجنوده وقتل بني إسرائيل حتى أفتاهم وخرب بيت المقدس ، وكان من أجل البيوت ابتناه الله لسليمان بن داود عليهما السلام سخره الجن فأتوه بالذهب والفضة والعادن وآتوه بالجواهر والياقوت والزمرد وبنوه بهذه الأصناف فاحتسب تلك العادن والأموال على سبعين ألفا ومائة ألف عجلة فأودعها بيابل وأقاموا يستخدمون بني إسرائيل بالحزى والنكال مائة عام إلى أن قال فذلك قوله تعالى - فإذا جاء وعد أولاهما بعثنا عليكم عبادنا لنا أولى بأسا شديدا - يعنى بختنصر وأصحابه ثم إن بختنصر قام في سلطانه ماشاء الله ، ثم رأى رؤيا عجيبة إذ رأى شيئا أصابه فأنساء الذي رأى فدعا دانيال وحنانيا وعزازيا وميثايل وكانوا من فرارى الأنبياء وسألهم عنها فقالوا أخبرنا بها نخبرك بتأويلها قال ما ذا كرها ولئن لم تخبروني بها وتأويلها لا تزعم أكتافكم فخرجوا من عنده فدعوا الله فأعلمهم بالذى سألمهم فجاءوا فقالوا رأيت تمثالا قدما وساقاه من غفار وركبته وغذاه من نحاس وبطنه من فضة وصدره من ذهب ورأسه وعنقه (٣١٩) من حديد قال صدقتم قالوا

فبينما أنت تنظر إليه قد أحبك أرسل الله

.....

عليه صخرة فدقته فهي التي أنسكها قال صدقتم فما تأويلها قالوا إنك أريت ملك الملوك بعضهم كان آيين ملكا وبعضهم كان أحسن ملكا وبعضهم كان أشد ملكا فالغفار أضعفه ثم فوقه النحاس أشد منه ثم فوق النحاس الفضة أحسن من ذلك والذهب أحسن من الفضة ثم الحديد مديك فهو أشد مما كان قبله والصخرة التي رأيت أرسل الله من السماء فدقته نبي يبعث الله فيدق ذلك أجمع ويصير الأمر إليه فلما تجبر بختنصر على أهل الأرض ظن أنه بحوله وقوته فقال لأصحابه قد ملكت الأرض فأخبروني كيف لي أن أطلع إلى السماء العليا فأقتل من فيها وأتخذها ملكا فبعث الله عز وجل إليه بعوضة فدخلت في منخره حتى عضت على أم دماغه فما كان يقر ولا يسكن حتى مات فلما مات شقوا رأسه فوجدوا البعوضة عاضة على أم دماغه وارتحل من بقى من بني إسرائيل إلى الشام وكثروا حتى كانوا على أحسن ما كانوا عليه وكانت التوراة قد حرقت وكان عزيز من السبائا الذين كانوا بيابل ، فلما رجع إلى الشام جعل يبكي ليله ونهاره وخرج عن الناس فبينما هو كذلك إذا جاءه ملك على صورة رجل ، فقال له يا عزيز ما يبكيك . قال أبكى على كتاب الله وعهده الذى لا يصلح ديننا وآخرتنا غيره . قال أفتحب أن يرد إليك ارجع فصم وتطهر وطهر ثيابك ، ثم وعده هذا المكان غدا ففعل فأتى ذلك الرجل بإناء فيه ماء فسقاه من ذلك الماء فثلث التوراة في صدره فرجع إلى بني إسرائيل فأملأها لهم وعادت كما كانت ورجعت بنو إسرائيل لكثرة الأحداث والمعاصي يكذبون الأنبياء ويقتلونهم ، وكان آخر من بعث إليهم زكريا ويحيى وعيسى فقتلوا زكريا ويحيى وقصدوا إلى قتل عيسى فرفعه الله ، والسبب في قتل يحيى أن ملك بني إسرائيل كان يكرمه ويدنى مجلسه وأن الملك هوى بنت امرأته ، وقيل بنت أخيه فسأل يحيى تزويجا فنهاه عن نكاحها فبلغ ذلك أمها فحدثت هلى يحيى وعمدت حين جالس الملك على شرابه فألبستها ثيابا رقاقا حمرا وطيبتها وألبستها الحلى وأرسلتها إلى الملك وأمرتها أن تسقيه فان هو راودها عن نفسها أبت عليه حتى يعطيها ما تسأله فسأته أن يأتيتها برأس يحيى في طشت فضض ، وفي الحديث « لاخير في الدنيا فان يحيى بن زكريا قتلته امرأة » فسلط الله عليهم ملكا من ملوك بابل يقال له خردوش فسار إليهم بأهل بابل فدخل عليهم الشام ، فلما ظهر عليهم أمر رأسا من رؤساء جنوده يقال له يروزاذان فدخل بيت المقدس .

فقام في البقرة التي كانوا يقرّبون فيها قربانهم فوجد فيها دم يصبى من آلهم عنه ، فقال يا بني إسرائيل : ما شأن هذا الدم على الجبروتى خمره ؟ فقالوا هذا دم قربان لنا قربناه فلم يقبل منا فذلك يغنى ، فقال ما صدقتموني وقتل منهم سبعمائة وسبعين روحاً فلم يهدأ الدم ، فأمر بسبعمائة غلام من غلمانهم فذبّحهم على الدم فلم يهدأ ، فقال لهم يا بني إسرائيل ويلكم أصدقوني قبل أن لا أرك منكم نافع تار من ذكر ولا أنى إلا قتاته فأخبروه أنه دم يحيى بن زكريا قال الآن صدقتموني لمثل هذا يقتل منكم ربكم وآمن بالتوراة وقال لمن حوله أغلقوا أبواب المدينة وأخرجوا من كان هنا من جيش خردوش ، ثم قال يا يحيى بن زكريا قد علم ربى وربك ما أصاب قومك من أجلك وما قتل منهم فاهداً باذن ربك قبل أن لا أبقي من قومك أحداً ، فهدأ الدم باذن الله ورفع القتل عن بني إسرائيل ، وقال لهم إن خردوش أمرنى أن أقتل منكم حتى تسيل دماؤكم وسط عسكرى وإنى لا أستطيع أن أعصيه ، فأمرهم فحفرُوا خندقاً وآتوا بالخليل والبعل والخبز والابل والبقر والغنم ، فأمر بذبّحها حتى مال الدم في العسكر ، وأمر بالقتلى الذين فتلوا قبل ذلك فطرحوا على ما قتل من المواشى ، فلم يظن خردوش إلا أن ما فى الخندق من دماء بني إسرائيل فاكتفى بذلك وأمر برفع القتل ، وهذه هي الواقعة الأخيرة التي أنزل الله فيها - فإذا جاء وعد الآخرة ليسوءوا وجوهكم - الخ ثم انتقل الملك بالشام ونواحيها إلى الروم واليونان إلا أن بقايا بني إسرائيل كثير وكانت لهم الرئاسة بيت المقدس ونواحيها على وجه الملك وكانوا في نعمة إلى أن بدلوا وأحدثوا ، فسأله الله عليهم ططوس بن اسبانيوش الرومى فخر ببلادهم وطردهم عنها ، وزرع الله منهم الملك والرئاسة وضرب عليهم الذلة فليسوا في أمة إلا وعليهم الصغار والجزية وبقي بيت المقدس خراباً إلى خلافة عمر بن الخطاب فعمره المسلمون بأمره اه (قوله) (٣٢٠) (إن هذا القرآن) أي الذي أنزل على محمد (قوله يهدى) أي يرشد ووصل

(قوله للتي هي أقوم) أي
فمن تمسك به نجا ومن
خادعته هلك في الحديث
«إني تارك فيكم ثقلين
ما إن تمسكتم بهما إن تضلوا
أبدا كتاب الله وعترتى»
(قوله أجراً كبيراً) أي
لا يمل قدره غيره تعالى

(إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي) أي للطريقة التي (هِيَ أَقْوَمُ) أعدل وأصوب (وَيُبَشِّرُ
الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا) (و) يخبر (أَنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ
بِالْآخِرَةِ أَعْتَدْنَا) أعدنا (لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا) مؤلماً هو النار (وَيَدْعُ الْإِنْسَانَ بِالشَّرِّ) على
نفسه وأهله إذا ضجر (دُعَاءُهُ) أي كدعائه له (بِالْخَيْرِ، وَكَانَ الْإِنْسَانُ) الحسن (مَعْجُولًا)
بالدعاء على نفسه وعدم النظر في عاقبته (وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ آيَاتَيْنِ) داليتين على قدرتنا
(فَمَحْوِنَا آيَةَ اللَّيْلِ) طمسنا نورها بالظلام لتسكنوا فيه (وَالْإِضَافَةُ لِلْبَيَانِ) (وَجَعَلْنَا آيَةَ
النَّهَارِ مُبْصِرَةً) أي مبصرة فيها بالضوء ،

وهذا الأجر ثابت لمن عمل الصالحات وإن لم يكن حافظاً لآلفاظ القرآن بل المدار على امتثال (لتبتهوا)
الأوامر واجتناب النواهي (قوله ويخبر) أشار بذلك إلى أن قوله وأن الذين لا يؤمنون الخ معطوف على يبشرون وغير داخل في
حيز البشارة (قوله أعدنا) أي هيأنا وأحضرنا (قوله ويدع الإنسان) حذف الواو لالتقاء الساكنين وحذفت من الخط تبعاً
لحذفها من اللفظ (قوله إذا ضجر) أي أصابه شدة الغم والفتن (قوله أي كدعائه) أشار بذلك إلى أن الكلام على القشبه ،
والمعنى أن الإنسان إذا أصابه الغم يدعو على نفسه وأهله بالشَّرِّ كما يدعو لهم بالخير إذا كان منبسطاً راضياً ، وتقديم في قوله تعالى
- ولو يسجل الله للناس الشر استعجالهم بالخير لقضى إليهم أجلهم - الآية أن الله يستجيب الدعاء بالخير ولا يستجيب الدعاء بالشر
(قوله معجولاً) أي لا يتأمل في عاقبة ما يريد فعله بل يقدم على فعل كل ما خطر بباله ، فإذا كان كذلك فيذهب للإنسان الثاني في
الأمر وتفويضها إلى الله تعالى ليحصل له الراحة في الدنيا والسعادة في العقبى ولا يتعجل في الأمور بحيث يسارع إلى الانتقام من
ظلمه والدعاء على من أساء عليه بل الواجب إما التفويض أو الدعاء للظالم بالهداية والتوفيق للخير (قوله وجعلنا الليل والنهار
آيتين) أي علامتين على عظيم قدرتنا وباهر حكمتنا حيث جعلناهما على منوال واحد ينقص هذا ويزيد هذا (قوله فمحونا
آية الليل) أي خلة على هذه الحالة ، وليس المراد أنه كان مضبئاً ثم محى ضوءه ، وفي الحقيقة في الكلام حكمتان : الأولى فكر
خلق الليل والنهار من حيث ذاتهما وهي الدلالة على باهر قدرة صانعهما . الثانية حكمة كون الليل خاتى مظلمة والنهار خلق
مضيئاً ، وهي لتسكنوا في الليل ولتبتنوا من فضله في النهار (قوله لتسكنوا فيه) قدره أخذاله من متبائه وهو قوله في جانب النهار
لتبتنوا الخ (قوله والإضافة للبيان) أي آية هي الليل وكذا يقال في آية النهار (قوله أي مبصرة فيها) هو بفتح الصاد وأشار
بذلك إلى أن الكلام فيه الحذف والابصال حذف الجار فاقصل الضمير فيكون فيه مجاز عطف من إسناد الحدث إلى زمانه

(قوله ثبتوا) أى تطابوا (قوله وتعلموا بهما) أى فهو متعلق بكل من عونا وجعلنا لأن علم عدد السنين والحساب بمرور الليل والنهار جميعا (قوله والحساب) هو معطوف على عدد ولا يقال هو تكرار لأنه يقال إن العدد موضوع الحساب (قوله وكلّ شيء فصلناه) الأحسن أنه من باب الاشتغال فكل منصوب بفعل محذوف يفسره قوله فصلناه وكذا يقال في قوله وكلّ إنسان أزمناه (قوله للأوقات) أى كآجال الديون وأوقات الصلاة والحجّ والصوم والزكاة وغير ذلك من أمور الدين والدنيا (قوله تفصيلا) مصدر مؤكد لعامله إشارة إلى أن الله لم يترك شيئا من أمور الدين والدنيا إلا بينه نظير قوله تعالى - ما فرطنا في الكتاب من شيء - (قوله وكلّ إنسان أزمناه طائره) فسر للمفسر الطائر بالعمل وفسره غيره بالكتاب وإليه يشير بقول مجاهد ومضى العمل طائرا، إما لأن العرب إذا أرادوا فعل أمر نظروا إلى الطير إذا طار فإن طار متيامنا قدموا على ذلك الأمر وعرفوا أنه خير وإن طار متياسرا تأخروا وعرفوا أنه شر فلما كثر ذلك منهم معوا نفس الحبر والشر بالطائر تسمية للشيء باسم لازمه (قوله خص بالذكر لأن الزوم فيه أشد) أى ولأن العنق إما محل الزينة كالقلادة ونحوها أو الشين كالأغلال ونحوها فإن كان عمله خيرا كان كالقلادة في عنقه وهو مما يزينه وإن كان شرا كان كالنل في عنقه وهو مما يشينه (قوله مكتوب فيها شقي أو سعيد) خص مجاهد السعادة والشقاوة وإن كان الرزق والأجل مكتوبين فيها أيضا، لأن السعادة أو الشقاوة هما اللذان يبقيان معه في الآخرة، وأما الرزق والأجل فينتضيان بموته (قوله ونخرج له يوم القيامة كتابا) قال الحسن بسطت لك صحيفة ووكل بك ملكان أحدهما عن يمينك والآخر عن شمالك، فأما الذى عن يمينك فيحفظ (٣٣١) حسناتك، وأما الذى عن يسارك فيحفظ عليك سيئاتك حتى إذا مات طويت صحيفةك وجعلت معك في قبرك حتى تخرج لك يوم القيامة (قوله اقرأ كتابك) روى أن الإنسان يقرأ كتابه وإن لم يكن قارئا في الدنيا (قوله كفى بنفسك) الباء زائدة في فاعل كفى وحسبنا تمييز وعليك

(لَتَبْتَغُوا) فيه (فَصَلًا مِنْ رَبِّكُمْ) بالكسب (وَلَتَعْلَمُوا) بهما (عَدَدَ السَّانِ وَالْحَسَابِ) للأوقات (وَكُلُّ شَيْءٍ) يحتاج إليه (فَصَلَّنَا تَفْصِيلًا) بيناه تبيينًا (وَكُلُّ إِنْسَانٍ أَلْزَمْنَاهُ طَائِرَهُ) عمله يحمله (فِي عُنُقِهِ) خص بالذكر لأن الزوم فيه أشد. وقال مجاهد: مامن مولود يولد إلا وفي عنقه ورقة مكتوب فيها شقي أو سعيد (وَنُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كِتَابًا) مكتوبًا فيه عمله (يَلْقَاهُ مَنشُورًا) صفتان لكتابًا ويقال له (أَقْرَأْ كِتَابَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا) محاسبًا (مَنْ أَهْتَدَىٰ فَأَتَمَّا يَهْتَدَىٰ لِنَفْسِهِ) لأن ثواب اهتدائه له (وَمَنْ ضَلَّ فَلَا تَنفَعُ عَلَيْهِ) لأن إيمه عليها (وَلَا تَزُرُ) نفس (وَأَزْرَهُ) آئمة، أى لا تحمل (وَزَرَ) نفس (أُخْرَى).

متعلق به وحسبنا إما بمعنى حاسب أو كاف أو محاسب كما قال المفسر، والمعنى أنه يكفي بحاسبة الشخص لنفسه فلا يحتاج لأحد يحاسبه بل إذا أنكر تشهد عليه أعضاؤه بما عملت، ثم ما مضى عليه المفسر من أن المراد بالطائر العمل يكتب ويوضع في عنقه وهو في بطن أمه فيلزمه مادام في الدنيا فإذا كان يوم القيامة يخرج له كتابا من خزانة تحت العرش وهو الصحيفة التي كانت الملائكة تكتب عليه في الدنيا فيأخذها إما يمينه إن كان مسلما أو بشماله إن كان كافرا فيقالبه على ما في عنقه هو أحد تفسيرين في الآية. ولآخر أن الكتاب واحد تكتبه الملائكة عليه مادام في الدنيا فإذا مات طوى ووضع تحت العرش فإذا كان يوم القيامة أخرج من تلك الخزانة وألزمه في عنقه، فيكون معنى أزمناه طائره في عنقه: أى في يوم القيامة عند تطاير الصحف ويكون عطف قوله ونخرج له يوم القيامة على ما قبله من عطف السبب على السبب (قوله فأما يهتدى لنفسه) أى فأما تعود منفعة اهتدائه إلى نفسه لاتعمدها إلى غيره (قوله فأما يضل عليها) أى فأما وبال ضلاله على نفسه لاهى من عدها ممن لم يباشر وهذا تحقيق لمعنى قوله تعالى - وكلّ إنسان أزمناه طائره في عنقه - (قوله ولا تزر وزر أخرى) أى لا تحمل نفس مذنبه بل ولا غير مذنبه ذنوب نفس أخرى. إن قلت ورد في الحديث «من سنّ سنة سيئة فعليه وزرها ووزر من عمل بها إلى يوم القيامة» لمقتضاه أنه يحمل وزره فيكون منافيا لهذه الآية. أجيب بأن المراد بالوزر الذى يحمله في الحديث وزر التسبب ولا شك أن التسبب من فعل الشخص ومع ذلك فلا ينقص من وزر الفاعل شيء فالتسبب الفاعل يعاقب على فعله وتسببه والفاعل بدون تسبب يعاقب على فعله فقط.

(قوله وما كنا معذنين) أي ولا منيبين على الأفعال لأن شرط صحة العبادات ووجوبها بلوغ الدعوة لمن لم تبسّله الدعوة لأشجب عليه عبادة ولا تصح منه لوفاعها فلا يثاب عليها ، وعموم هذه الآية يدل على أن أهل الفترة جميعا ناجون بفضل الله ولو غيروا وبدلوا وما ورد من تخصيص بعض أفراد حكام الطائي وامريء القيس بدخولهم النار فهي أحاديث آحاد لا تعارض القطعي (قوله مترفيا) الترفه بالضم النعمة والطعام الطيب والثنى الظريف (قوله منعيبا) أي المنهكين في شهواتها العافلين عن الآخرة (قوله بالطاعة) متعلق بأمرنا (قوله باهلاك أهلها) أشار بذلك إلى أن الكلام على حذف مضاف : أي دمرنا أهلها (قوله وكم أهلكتنا) كم خبرية منصوبة بأهلكنا ومن القرون تمييز لكم (قوله من بعد نوح) خص بالذكر لأنه أول من كذبه قومه (قوله وكفى بربك) الباء زائدة في الفاعل وخيرا بصيرا تمييزا وبذنوب متعلق بخيرا بصيرا وقوله عالما ببواطنها وظواهرها لف ونشر مرتب ، فالعلم بالبواطن هو معنى الخير ، وبالظواهر هو معنى البصير (قوله وبه يتعاق بذنوب) هكذا في النسخ التي بأيدينا ولعل فيه تحريفا ، والأصل وبذنوب متعلق بخيرا بصيرا (قوله من كان يريد العاجلة) أي من كان حظه الدنيا فهو صادق بالكفر والمنافق ويدخل في ذلك المرءون بأعمالهم إذ لولا المدحة والثناء عليهم ما فعلوا الطاعات (قوله عجلنا له فيها ما نشاء لمن نريد) أي أعطينا لمن نريد (٣٣٣) في الدنيا الذي نشأه من سعة رزق وعافية وغير ذلك ، والمعنى لا نزيد

على ما قدر له ألا بل ما يعطى إلا ما سبق في علمه تعالى أنه يعطاء فحجته في الدنيا لم تزده شيئا منها فينبغي الإخلاص في العبادة والتوجه لله تعالى والاقبال عليه ليحظى بسعادة الدارين (قوله بدل من له) أي أن قوله لمن نريد بدل من قوله له بدل بعض من كل باعادة اللام وقوله عجلنا جواب الشرط وهو من وكان فعله ويريد خبر كان واسمها ضمير مستتر (قوله ثم جعلنا) آتى بتم

وَمَا كُنَّا مُعَذِّينَ) أَحَدًا (حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولًا) يبين له ما يجب عليه (وَإِذَا أَرَدْنَا أَنْ نُهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا) منعيبا بمعنى رؤسائها بالطاعة على لسان رسلنا (فَقَسَّوْا فِيهَا) فخرجوا عن أمرنا (فَحَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ) بالمداب (فَدَمَّرْنَا مَا أَهْلَكْنَاهَا بِأَهْلَاكِ أَهْلِهَا وَنَخْرَجُهَا (وَكَمْ) أي كثيرا (أَهْلَكْنَا مِنَ الْقُرُونِ) الأمم (مِنْ بَعْدِ نُوحٍ) وكفى بربك بذنوب عباده خبيرا بصيرا (عالما ببواطنها وظواهرها . وبه يتعلق بذنوب (مَنْ كَانَ يُرِيدُ) بعمله (الْعَاجِلَةَ) أي الدنيا (عَجَّلْنَا لَهُ) فيها ما نشاء لمن نريد (التعجيل له بدل من له باعادة الجار (ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُ) في الآخرة (جَهَنَّمَ يَصْلِيهَا) يدخلها (مَذْمُومًا) ملوما (مَذْخُورًا) مطرودا عن الرحمة (وَمَنْ أَرَادَ الْآخِرَةَ وَسَمَى لَهَا سَمِيًّا) هل عملها اللائق بها (وَهُوَ مُؤْمِنٌ) حال (فَأُولَئِكَ كَانَتْ لَهُمْ مَشْكُورًا) عند الله أي مقبولا مثابا عليه (كُلًّا) من الفريقين (نُعَذِّبُ) نعطى (هُوَ لِأَنَّهُ وَهُوَ لِأَنَّهُ) بدل (مِنْ) متعلق بنحو (عَطَاءَ رَبِّكَ) في الدنيا (وَمَا كَانَ عَطَاءُ رَبِّكَ) فيها (مَحْظُورًا) ممنوعا عن أحد (أَنْظُرْ) ،

كيف

إشارة إلى أن دخول النار متأخر (قوله ملوما) أي أن الخلق

في القيامة يلومونه على ما حصل منه في الدنيا (قوله مدحورا) من دحر يدحر من باب خضع فهو مدحور بمعنى أن الله طرده وأبعده عن جنته (قوله ومن أراد الآخرة) أي من كان حظه وثبته ومنتهى آماله الدار الآخرة بأن لم يجعل الدنيا قرارا له ولا وطنا بل جعلها سفينة موصلة لمقصوده (قوله سعيها) إما مفعول به أو مفعول مطلق ، والمعنى كما قال المفسر عمل عملها الذي يليق بها كأعمال البر والطاعات واجتناب المنهيات (قوله حال) أي من ضمير سعى (قوله فأولئك) جواب الشرط وفيه مراعاة معنى من وفيما قبله مراعاة لفظها ، وهو إشارة إلى أن من جمع ثلاث خصال فهو من أهل الجنة الإيمان والعمل الصالح والإخلاص ، ولذا قال بعضهم : من لم تكن معه ثلاث لم ينفعه عمله : إيمان ثابت ونية صادقة وعمل مصيب ، وتلا هذه الآية وهذا هو كمال الإيمان (قوله مثابا عليه) أي فشكل الله لعباده قبولهم وإثابتهم على أعمالهم (قوله كلا) مفعول لنحو (قوله من الفريقين) أي مرید الدنيا ومرید الآخرة (قوله بدل) أي من كلا بدل كل من كل كأنه قال : نعد هؤلاء وهؤلاء الأول للفريق الأول والثاني للفريق الثاني فهو لف ونشر مرتب (قوله في الدنيا) أي كسعة الرزق والجاه والعافية وغير ذلك (قوله ممنوعا عن أحد) أي مؤمن أو كافر ، وأما في الآخرة فمعتاؤه ممنوع عن الكافر وهو مختص بالمؤمن

(قوله كيف) منصوب على الحال من فضلنا كأنه قال انظر تفضيلنا بهم على بعض كائنات على أي حالة (قوله من الدنيا) أي من درجاتها لأن فضل الآخرة عظيم لا ينقطع بل هو دائم لا يفنى (قوله فينبئني الاعتناء بها) أي بالآخرة وقوله دونها أي الدنيا (قوله لا تجعل مع الله إلها آخر) الخطأ إما للنبي والمراد غيره أو لكل مكلف وهو الأولى ، والمعنى لا تشرك أيها المكلف غير الله مع الله لافي ظاهرك ولا باطنك بل خالص قلبك من التعلق بغيره والمحبة لسواه ولا تجعل الغير في خيالك فإنه نقص من مراتب الأخيار ، ولذا قال ابن الفارض : ولو خطرت لي في سواك إرادة على خاطري يوما حكمت بردتي

(قوله فتتقدم مذموما مخذولا) يصح أن تكون تعد بمعنى عجز فمذموما مخذولا حالان ويصح أن تكون بمعنى صار فمذموما مخذولا خبران لها (قوله لا ناصر لك) تفسير لمخذولا وتقدم تفسير مذموما بما لهما . والمعنى ما لهما من الخلق مخذولا من الخالق لم يجعل له ناصرا (قوله وقضى ربك إلخ) ذكر الله سبحانه وتعالى في هذه الآيات جملة من التكالييف نحو خمسة وعشرين حكما بعضها أصلي وبعضها فرعى وابتدأ منها بالتوحيد بقوله لا تجعل مع الله إلها آخر فتتقدم مذموما مخذولا وختم به بقوله ولا تجعل مع الله إلها آخر قتلت في جهنم ما لهما مدحورا إشارة إلى أنه رأس الأمور وأساسها وما عداها من الأحكام مبنى عليه ، ولما كان حق الوالدين أكد الحقوق بعد حق الله ورسوله ذكر بعد التوحيد وشدد فيه فون بية التكالييف لأن أمر العقوق فظيع وفيه الوعيد الشديد في الحديث «قل لعاق والديه يفعل ما يشاء» فإن مصيره إلى النار (قوله أمر) أي أمرا جازما وقيل إن قضى بمعنى أوصى وقيل بمعنى حكم وقيل بمعنى أزم وقيل بمعنى أوجب وكل صحيح (قوله (٣٣٣) ألا تعبدوا إلا إياه) بأن لا تشركوا

معه في العبادة غيره فتمثلوا أو امره وتجنبوا نواهيه ودخل في ذلك الاقرار لرسول الله بالرسالة وعبته وتعظيمه لأن ذلك من جملة الأمور به قال تعالى : قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله (قوله أي بأن) أشار بذلك إلى أن مصدرية

كَيْفَ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ (فِي الرِّزْقِ وَالْجَاهِ) (وَلَآ خِرَةُ أَكْبَرُ) أَعْظَمُ (دَرَجَاتٍ وَأَكْبَرُ تَفْضِيلًا) مِنَ الدُّنْيَا فَيُنَبِّئُ الْإِعْتِنَاءَ بِهَا دُونَهَا (لَا تَجْعَلْ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَتَقْعُدَ مَذْمُومًا مَخْذُولًا) (وَاقْضَى) أَمْرُ (رَبِّكَ أَنْ) أَيْ بَأْنِ (لَا تَسْبُدُوا إِلَّا إِلَاهَ ، وَ) أَنْ تَحْسِنُوا (بِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا) بَأْنِ تَبَرُّوهُمَا (إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا) فَاعِلُ (أَوْ كِلَاهُمَا) وَفِي قِرَاءَةِ يَبْلُغَنَّ فَأَحَدُهُمَا بَدَلَ مِنْ أَلْفِهِ (فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أَمْرًا) بَفَتْحِ الْفَاءِ وَكُسْرُهَا مَنُونًا وَغَيْرِ مَنُونٍ مُصَدَّرٌ بِمَعْنَى تَبًا وَقَبْحًا (وَلَا تَنْهَرُهُمَا) تَزَجْرُهُمَا (وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا) جِيلًا لِنَا ،

ويكون الفعل منصوبا بحذف النون ويصح أن أن عطفة من الثقيلة واسمها ضمير الشأن ولانهاية والفعل مجزوم بحذف النون والواو فاعل على كل حال (قوله وبالوالدين) متعلق بمحذوف قدره للمفسر بقوله وأن تحسنوا والجملة معطوفة على جملة أن لا تعبدوا (قوله بأن تبروها) أي تطيعوا أمرها في غير معصية الله (قوله إما يبلغن) إن شرطية مدغمة في ما الزائدة والفعل مبنى على الفتح لاتصاله بنون التوكيد الثقيلة في محل جزم وأحدهما فاعل وصكلاهما معطوف عليه وجواب انشيط هو قوله فلا تقل لهما أف وما عطف عليه من بية الحسة التي كلف بها الانسان في حق والديه (قوله وفي قراءة) أي وهي سبعة أيضا وعليها فاعل مجزوم بحذف نون الرفع والألف فاعل والنون المشددة للكسورة للتوكيد والتقيد بحالة الكبر خرج مخرج الغالب لأن الولد غالبا إما يتهاون بوالديه عند حصول الكبر لهما ومعنى قوله عندك أن يكون في منزلك وكفالتك ومعنودا من عيالك وهذا بحسب الغالب وإلا فالولد مطلوب ببر والديه مطلقا كما عنده أولا (قوله بفتح الفاء) أي من غير تنوين وقوله وكسرهما أي منونا وغير منون فالتميم راجع لقراءة الكسر خلافا لما يرويه المفسر فالقراءات السبعة ثلاث وقرئ شذوذا بالرفع مع التنوين وركه وبالفتح مع التنوين وسكون الفاء فتكون الشواذ أربعة جملة القراءات سبع هنا وفي الأنبياء وفي الأحقاف ولانها أربعون لغة ذكرها ابن عطية في تفسيره (قوله مصدر بمعنى تبا) بفتح التاء وضمها أي خسراتنا وقوله وقبحا أي لا تقل لهما قبحا ولا لأفعالكما والأوضح أن يقول اسم فعل مضارع أي لا تقل لهما أنا أتضجر من شيء يصدر منك (قوله تزجرهما) أي عما لا يعجبك منها باغلاظ بأن لا تأمرها ولا تنهاها ولو كان ذلك الأمر غير مناسب بل إذا أحب أن يأمرها أو ينهاها فليكن على سبيل للشاورة واللفظ والرفق (قوله وقل لهما قولا كريما) أي حسنا كأن يقول لهما يا أبتاه يا أماه ولا يسميها .

(قوله واخفض لهما جناح الذل) في الكلام استعارة تبعية في الفعل حيث شبهت لإلانة الجانب بخفض الجناح والجامع الرأفة في كل واستعير اسم الشبه به للشبه واشتق من الخفض اخفض بمعنى ألن، وفي الجناح أصلية حيث شبه الجانب بالجناح واستعير اسم الشبه به للشبه وإضافة جناح للذل من إضافة الموصوف لصفة: أي جانبك الدليل، وقد أشار لذلك كله المفسر (قوله أي لرقتك عليهما) أشار بذلك إلى أن من لتعلييل. والمعنى من أجل الرحمة لآخوفا من العار مثلا (قوله وقدر برارحهما) أي ادع لهما بالرحمة ولو في كل يوم وليلة خمس مرات ولو كافرين إذا كانا حين لأن من الرحمة أن يهديهما للإسلام (قوله كما ربياني صغيرا) الكاف لتعلييل أي من أجل أنهما رحماني حين ربياني صغيرا. روى «أن رجلا قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم: إن أبوي بلغا مني في الكبر آتني ألي منهما ما وليا مني في الصغر فهل قضيت حقهما قال لا فانهما كانا يفعلان ذلك وهم يحبان بقاءك وأنت تفعل ذلك وأنت تريد موتهما» (قوله ربكم أعلم بما في نفوسكم) هذا وعد ووعد والمعنى لآخرة بآداء البر باللسان فإن الله عالم بالسرائر (قوله طائعين لله) أي في حق الوالدين (قوله فانه كان للأوابين) مرتب على محذوف والتقدير وفعلتم معهما خلاف الأدب (قوله الرجاعين إلى طاعته) وقيل هم الذين يذكرون ذنوبهم في الخلاء ثم يستغفرون منها وقيل غير ذلك وفي الحقيقة الأواب هو التواب (قوله من بادرة) البادرة الذلة تنع خطا (قوله وهم لا يضررون عقوقا) الجملة حالية (قوله وآت ذا القربى) لما قدم حق الله وحق الوالدين ذكر حق الأقارب وغيرها وحق المساكين وأبناء السبيل الأجانب والخطاب في هذه الآيات إما للنبي والمراد هو وأمه لأن الأصل عدم الخصوصية أو للكاتب والأمر للوجوب عند أبي حنيفة (٣٣٤) فعنده يجب على التوسر مواساة أقارب به المحارم كالأخ والأخت وللتدب

عند غيره ومحل الخلاف في الواساة بالمال بأن ينفق عليهم وأما صلتهم بمعنى عدم مقاطعتهم ومعاداتهم فواجبة لإجماعا كنفقة الأصول والفروع والآية شاملة لذلك كله (قوله من البر) أي الاحسان بالمال وقوله والصلة أي مطلقا فهو عطف على خاص

(وَإِخْفِضْ لِمَا جَنَاحَ الذُّلِّ) أَنْ لِمَا جَانِبَكَ الدَّلِيلُ (مِنَ الرَّحْمَةِ) أَي لِرَقَّتِكَ عَلَيْهِمَا وَقُلْ رَبِّ أَرْحَمُهُمَا كَمَا) رَحَمَنِي حِينَ (رَبَّيَانِي صَغِيرًا. رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا فِي نُفُوسِكُمْ) مِنْ إِخْمَارِ الْبِرِّ وَالْعُقُوقِ (إِنْ تَكُونُوا صَالِحِينَ) طَائِعِينَ لِلَّهِ (فَإِنَّهُ كَانَ لِلْأَوَّابِينَ) الرَّجَاعِينَ إِلَى طَاعَتِهِ (غَفُورًا) لِمَا صَدَرَ مِنْهُمْ فِي حَقِّ الْوَالِدِينَ مِنْ بَادِرَةٍ وَهُمْ لَا يَضُرُّونَ عَقُوقًا (وَأَتِ) أَعْطَ (ذَا الْقُرْبَى) اقْرَابَةً (حَقَّهُ) مِنَ الْبِرِّ وَالصَّلَةِ (وَالنَّسَكِ) وَأَبْنِ السَّبِيلِ وَلَا تُبْذَرِ تَبْذِيرًا) بِالْإِتِّفَاقِ فِي غَيْرِ طَاعَةِ اللَّهِ (إِنَّ الْمُبْذَرِينَ) كَانُوا إِخْوَانَ الشَّيَاطِينِ) أَي عَلَى طَرِيقَتِهِمْ (وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِرَبِّهِ كَفُورًا) شَدِيدَ الْكُفْرِ لَنَمِّهِ فَكَذَلِكَ أَخُوهُ الْمُبْذَرِ (وَأَمَّا تُفَرِّصَنَّ عَنْهُمْ) أَي الْمَذْكُورِينَ مِنْ ذِي الْقُرْبَى وَمَا بَدَدَهُ فَلَمْ تَعْطِهِمْ ،

(قوله والمسكين) المراد به ما يشمل الفقير والمعنى وآت المسكين حقه من البر والاحسان على حسب الطاقة فإن ذلك (ابتداء من أوصاف التتقين قال تعالى: إن المتقين في جنات وعيون آخذين ما آتاهم ربهم إلى أن قال، والذين في أموالهم حق للسائل والمحروم (قوله وابن السبيل) أي القريب ومعنى بذلك لأنه ملازم للطريق فكانه ابن لها (قوله في هجر طاعة الله) أي كالمعاصي والشبهوات المستغنى عنها بأن يزيد في الاتفاق على المباح وهذا مذموم إذا كان المال حلالا أما إن كان حراما فلا يجوز له الاتفاق منه أصلا بل يجب عليه أن يرد له لأربابه (قوله إن المبذرين الخ) هذا غاية في القم (قوله كانوا إخوان الشياطين) أي ولم يزالوا كذلك. والمعنى أن المبذرين يشبهون الشياطين في أن كلا منهما ضل في نفسه وأضل غيره فالشياطين صرفوا همهم وقوتهم وما أنعم الله عليهم به في معاصي الله ولم يصلحوا، والمبذرون صرفوا أموالهم فيما يغضب الله تعالى وأفسدوا ولم يصلحوا (قوله أي على طريقتهم) أي المتقين بهم وملازمين لأفعالهم لأن الملازم للشيء يسمى بأخاله (قوله شديد الكفر لنعمه) أشار بذلك إلى أن الكلام على حذف مضاف والتقدير وكان الشيطان لنعم ربه كفورا (قوله فكذلك أخوه المبذر) أي فقد كفر نعم ربه حيث صرفها في غير طاعة الله (قوله وإما تعرضن) معطوف على محذوف تقديره وآت ذا القربى حقه والمسكين وابن السبيل إن كان بيدك شيء وإما تعرضن الخ. والمعنى لا تقطع رجاء الفقير منك بل إما أن تعطيه إن كان معك شيء أو ترده بلطف كما كان من خلقه صلى الله عليه وسلم فكان إذا سئل أعطى أو وعد بالطاء (قوله وما بعده) أي المسكين وابن السبيل .

(قوله ابتغاء رحمة) مفعول لأجله وهو علة مقدمة على العول . والعنى وإما تعرض عنهم لأجل عسرهم فقل لهم قولاً ميسوراً اعتماداً على الله وطلباً لرحمة من ربك ترجوها ، وفي ذلك إشارة إلى أن الإنسان لا ينبغي له قطع رجائه من الله بل يعتمد على الله دائماً في عسره ويسره فان العنى هو وثوق القلب بالله فلا يعتمد على سبب من الأسباب بل يتوكل على الله ولا يقطع رجاءه منه ولا رجاء غيره فيه ثقة بربه (قوله بأن تعدم) أى أو تدعو لهم بأن تقول أغناكم الله سهل لكم أسباب الخير وغير ذلك (قوله ولا تجعل يدك مغلولة إلى عنقك) أى مضمومة ومجموعة معه فى الغل وهو بضم النون المعجمة طوق من حديد يجعل فى العنق (قوله أى لا تمسكها عن الاتفاق) أى فهو نهى عن البخل على سبيل السكينة لأن شأن من جعل يده مغلولة إلى عنقه عدم القدرة على التصرف وشأن البخيل عدم التصرف فى المال بالاتفاق وغيره (قوله كل المسك) للناسب الامساك لأن الفعل رباعى وكأنه شاكل قوله البسط (قوله كل البسط) أى بأن تنفق زيادة على ما يجب وما يندب (قوله فتعقد) أى تصير فقوله ما لوما خبر لتعقد ومحسوراً معطوف عليه (قوله راجع للأول) أى البخيل (قوله منقطعاً لاشئ عندك) أى فهو من حسره السفر إذا أثر فيه ويصح أن يكون من الحسرة بمعنى الندامة أى نادماً على ما حصل منك (قوله راجع للثانى) أى وهو من بسط يده كل البسط ولا تشكل هذه الآية على ما ورد من فعل السلف الذين خرجوا عن أموالهم فى حجة الله ورسوله وصاروا فقراء لأن النهى محمول عليهم من كان يعقبه الندم والتحسر ، (٣٢٥) وأما من فعل ذلك من السلف وأقره عليه رسول الله كآبى بكر وغيره من الذين كانوا يؤثرون على أنفسهم ومدحهم الله على ذلك فلم يوجد منهم التحسر على فوات الدنيا لقنائهم عنها وبقائهم بالله وخطاب تلك الآيات إنما هو على حسب أخلاق العامة (قوله إن ربك يبسط الرزق لمن يشاء الله) أى فانظر لما رزقك الله به

(اِبْتِغَاءَ رَحْمَةٍ مِنْ رَبِّكَ تَرْجُوهَا) أى لطلب رزق تنتظره تأتيك فتعطيه من (قُلْ لَهُمْ قَوْلًا مَيْسُورًا) لينا سهلاً بأن تعدم بالاعطاء عند مجيء الرزق (وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَى عُنُقِكَ) أى لا تمسكها عن الاتفاق كل المسك (وَلَا تَبْسُطْهَا) فى الاتفاق (كُلُّ الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا) راجع للأول (مَحْسُورًا) منقطعاً لاشئ عندك راجع للثانى (إِنْ رَبُّكَ يَبْسُطِ الرِّزْقَ) يوسع (لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ) يضيقه لمن يشاء (إِنَّهُ كَانَ بِعِبَادِهِ خَبِيرًا بَصِيرًا) عالماً ببواطنهم وظواهرهم فيرزقهم على حسب مصالحهم (وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ) بالوُاد (خَشْيَةً) مخافة (إِمَّا لَكُمْ تَرْتُفَهُمْ) ترفعونهم (وَإِذَا كُنْتُمْ أَنْتُمْ كَافِرًا) كافرين (وَلَا تَقْرُبُوا الزِّنَى) أبلغ من لا تأتوه (إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً) قبيحاً (وَسَاءَ) بئس (سَبِيلًا) طريقاً هو (وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ)

وأعنى على حسبه وارض بما قسم الله لك فوسع عند سعة الرزق وضيق عند ضيقه وكن حيث أقامك الله (قوله ببواطنهم وظواهرهم) أى ونشر مرتب (قوله ولا تقتلوا أولادكم) سبب ذلك أن بعض الجاهلية كانوا يقتلون البنات خوف الفقر وبعضهم خوف العار فحصل النهى عن ذلك لما فيه من سوء الظن بالله وتخريب الدائم وكل منهما مذموم وهو خطاب للموسرين بدليل قوله خشية إملاق تملذلك قدم الأولاد وما تقدم فى الأنعام خطاب للموسرين ، ولذلك قدم ذكر الآباء وأخرد ذكر الأولاد (قوله بالوُاد) أى الدفن بالحياة وخص بالذكور وإن كان القتل بأى شئ حراماً لأنه الذى كانوا يفعلونه فى الجاهلية (قوله كان خطأ) إما بكسر الحاء وسكون الطاء بوزن حمل مصدر خطى كعلم وبفتح الحاء م مصدر لا خطأ رابعياً أو بكسر الحاء وفتح الطاء ممدوداً مصدر خطأ كقاتل ثلاث قراءات وكلها سبعة (قوله ولا تقرّبوا الزنا) هو بالقصر فى القراءة الشائعة وقرئ شذوذاً بالمد وخرجت على وجهين أحدهما أنه لغة فى المصور والثانى أنه مصدر زانى أى مقاتل لأنه يكون من اثنين (قوله أبلغ من لا تأتوه) أى لأنه يفيد النهى عن مقدماته كالمس والمباشرة والقبلة صريحاً النهى عن الفعل بالأولى (قوله وساء سبيلاً) أى لأنه خريق من طرق النار وخص الزنا بالنهى وإن كان اللواط أشنع وأببح لأنه كان سارياً فى العرب بخلاف اللواط فقد كان فى قوم لوط وتسمى ثم ظهر فى هذه الأمة بعد قرن الصحابة والتابعين (قوله الذى حرم الله) أى حرم قتلها بأن حرمها منه وهو السلم أو الكافر الذى تحت ذمتنا (قوله إلا بالحق) مستثنى من النهى والمعنى لا تقتلوا النفس المعصومة إلا بالقتل بالحق وهو أحد ثلاث : كفر بعد إيمان وزنا بعد إحسان وقتل مؤمن معصوم عمداً كالى الحايث .

(قوله ومن قتل مظلوماً) أي وهو المؤمن المصوم (قوله تسليطاً على القاتل) أي بحيث ثبت القتل حمداً وعدواناً وجب على الحاكم الشرعي أن يمكن ولياً للقتول من القاتل فيفعل فيه الحاكم ما يختاره الولي من القتل أو العفو أو الدية ولا يجوز للولي التسليط على القاتل من غير إذن الحاكم لأن فيه فساداً وتخريباً (قوله غير قاتله) أي غير قاتل القاتل (قوله أو بغير ما قتل به) يستثنى منه من قتل بمحرّم كلواط وسحر فانه لا يجوز القتل بذلك بل يقتل بالسيف (قوله إنه كان) أي الولي منصوباً : أي من الله ومن الحاكم (قوله ولا تقربوا مال اليتيم إلا بالتي هي أحسن) أي لا تقربوه بحال من الأحوال إلا بالحصله التي هي أحسن من جميع الحصال وهي تمتته له والاتفاق عليه منه بالمعروف (قوله حتى يبلغ أشده) غاية لقوله إلا بالتي هي أحسن كأنه قال فاقربوه بالتي هي أحسن إلى أن يبلغ أشده : أي رشده فإذا بلغ أشده فادفعوا إليه المال ولا تصرف لكم فيه بوجه ، وأشد إماماً مفرد بمعنى القوة أوجع لا واحداً من لفظه أوجع شدة أو شد بكسر الشين فيهما أو شد بفتحها وعلى كل فالمراد به القوة بأن يبلغ عاقلاً رشيداً وإن كان الأشد في الأصل بلوغ ثلاث وثلاثين سنة (قوله إذا عاهدتم الله أو الناس) أي أو ما عاهدكم الله عليه من التكليف (قوله كان مسئولاً عنه) أي هل وفي به صاحبه أم لا وقدر المفسر عنه إشارة إلى أن المسئول صاحب العهد لا نفس العهد إذ لا يتأتى سؤاله (قوله وأوفوا السكّيل) خطاب للبايعين . قال بعضهم : يؤخذ من الآية أن أجره السكّيل على البايع لأنها من تمام التسليم ما لم تشتط أو يجبر عرف (٣٣٦) بأنها على المشتري (قوله بالقسطاس) بضم القاف وكسرها قراءتان سبعيتان

وَمَنْ قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَبَلْنَا لَوْلِيٍّ (لوارثه) (سُلْطَانًا) تسليطاً على القاتل (فَلَا يُشْرِفْ) يتجاوز الحد (في القتل) بأن يقتل غير قاتله أو بغير ما قتل به (إِنَّهُ كَانَ مَنْصُورًا) وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّى يَبْلُغَ أَشُدَّهُ وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ (إذا عاهدتم الله أو الناس (إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولًا) عنه (وَأَوْفُوا السَّكَّالَ) أعموه (إِذَا كَلِمَةٌ وَزَنُوا بِالْقِسْطَاسِ الْمُسْتَقِيمِ) الميزان السوى (ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا) مَا لَا (وَلَا تَقْفُ) تتبع (مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ) القلب (كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا) صاحبه ماذا فعل به (وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا) أي ذا مرح بالكبر والخيلاء (إِنَّكَ لَنْ تَخْرِقَ الْأَرْضَ) تثقبها حتى تبلغ آخرها بكبرك (وَلَنْ تَبْلُغَ الْجِبَالَ طُولًا) المعنى أنك لا تبلغ هذا المبلغ فكيف تختال (كُلُّ ذَلِكَ) المذكور (كَانَ سَيِّئَةً عِنْدَ رَبِّكَ مَكْرُوهًا) ذَلِكَ يَمَّا أَوْحَى إِلَيْكَ يَا مُحَمَّد (رَبُّكَ مِنَ الْحَكَمَةِ) الموعظة ،

روى استعملته العرب في لغتهم وأجرته مجرى كلامهم في الاعراب ونحوه فصار عربياً (قوله ذلك) أي للذكر من قوله لا تجعل مع الله إلهاً آخر إلى هنا والمعنى امتثال الأمور واجتناب المنهيات خير في الدنيا وأحسن تأويلاً : أي عاقبة في الآخرة ويحتمل غوامض الإشارة على خصوص إيفاء السكّيل والميزان غيره في الدنيا

لما فيه من إقبال المشتري على البايع وفي الآخرة بحسن العاقبة (قوله ولا تقف) (ولا) ما ليس لك به علم) أي لا تقل رأيت ولم تر وسمعت ولم تسمع وعلمت ولم تعلم (قوله كل أولئك) أي الحواسب الثلاثة (قوله كان عنه مسئولاً) أي في الآخرة فلا يجوز للإنسان أن يتكلم في غيره بمجرد الظن ومن ذلك الفتوى بغير علم وشهادة الزور وظن السوء بالناس وغير ذلك (قوله مرحاً) مصدر مرح كفرح وزنا ومعنى (قوله إنك لن تخرق الأرض) أي بكبرك وتخرك فلست أظن من الأرض حتى تدرك حدودها وتبلغ منتهائها (قوله تثقبها) بالثاء المثناة والنون (قوله طولاً) تمييز محوّل عن الفاعل : أي ولن يبلغ طولك الجبال وهذا تهكم على العبد المتكبر كأن الله يقول له شأن المتكبر أن يرى كل شيء أحقر منه وأنت ترى كل شيء أعظم منك لأنك تمشي على الأرض لن تخرقها حتى تدركها ولن يبلغ طولك الجبال حتى تكون أعلى منها فلا يطق منك التكبر (قوله كل ذلك) أي المذكور من الخمس والعشرين المذكورة في قوله تعالى - لا تجعل مع الله إلهاً آخر - إلى قوله - ولا تمش في الأرض مرحاً - (قوله كان سيئة) بالثاء والهاء قراءتان سبعيتان فعلى الأولى يكون المراد من قوله كل ذلك المنهيات وهي اثنا عشرة خلة والتأنيث في سيئة باعتبار معنى كل وتذكير مكروها باعتبار لفظها ، وعلى الثانية يكون المراد جميع ما تقدم من المأمورات والمنهيات ، وقوله كان سيئة : أي السيئة منه وهو المنهيات الاثنا عشرة ويكون في الآية اكتفاء : أي وكان حسنة محموداً (قوله ذلك مما أوحى) أي ما تقدم من المأمورات والمنهيات بعض ما أوحى إليك .

(قوله ولا تجعل مع الله إلهاً آخر) ختم به الأحكام كما ابتدأها به بمشورة إلى أن التوحيد مبدأ الأمور ومقتضاها وهورأس الأشياء وأساسها والأعمال بدونه باطلة لاتفيد شيئاً (قوله أفاضلكم ربكم) لما أمر بالتوحيد ونهى عن الإشراف أتبعه بذلك التقييد والتشريع على من ينسب لله الولد خصوصاً أخص الأولاد في زعمهم وهى البنات فالاستفهام للتوبيخ والتقريع (قوله أخلصكم) بيان لمعنى الصفاء اللغوى يقال صفاه بمعنى خلصه ، والمعنى أخلصكم ربكم بالبنين الذين تدعون أنهم أشرف الأولاد وجعل لنفسه البنات الذين تدعون خستها عن المذكور إن هذا الرأى شنيع من وجوه : أولها نسبة الولد من حيث هو الله . ثانيها نسبة الحبس له . ثالثها الحكم على للملائكة الكرام بالأنوثة مع أنهم عباد مكرمون لا يوصفون بكورة ولا بأنوثة وكل ذلك موجب للخلاوة فى النار (قوله بنات لنفسه) فى بعض النسخ باسقاط الألف بعد التاء وهى الصحيحة لأن من المعلوم أن بنات جمع مؤنث سالم ينصب بالكسرة وفى بعض النسخ بثبوتها ولعلها من سهو الناسخ أو مخرجة على لغة قليلة تنصبه بالفتحة (قوله قولاً عظيماً) أى كبيراً لأن نسبة الولد إليه تستلزم حدوده وهو محال فى حقه تعالى (قوله ولقد صرفنا) أى أظهرنا ووضحنا (قوله من الأمثال الخ) بيان للفعول ومن زائدة ، والمعنى بينا فى هذا القرآن الأمثال والوعد والوعيد (قوله إلا نفورا) أى إعرافاً واستكباراً عن الهدى . قال البوصيرى :

عجبا للكفار زادوا ضلالا بالذى فيه للعقول اعتداء
(قوله قل لهم) أى فى الاستدلال على إبطال التعدد وإثبات الوحدةانية له تعالى (٣٢٧) (قوله لو كان معه آلهة)

هذا إشارة إلى قياس استثنائى يستثنى فيه تقييد التالى لينتج تقييد المقدم وقد حذف منه الاستثنائية والنتيجة والأصل لكنهم لم يطلبوا طريقاً لقتاله فلم يكن معه آلهة ، والمعنى لو فرض أن له شريكاً فى الملك لتنازعه وقاله واستعلى عليه لكنه لم يوجد من هو بهذه المثابة فبطل التعدد وثبتت الوحدةانية

(وَلَا تَجْعَلْ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَتُلْقَى فِي جَهَنَّمَ مَلُومًا مَذْهُورًا) مطرودا عن رحمة الله (أَفَأَصْنَأَكُمْ) أخلصكم يا أهل مكة (رَبِّكُمْ بِالْبَنِينَ وَأَتَّخِذَ مِنَ الْمَلَائِكَةِ إِنَاثًا) بنات لنفسه بزعمكم (إِنَّكُمْ لَتَقُولُونَ) بذلك (قَوْلًا عَظِيمًا . وَلَقَدْ صَرَّفْنَا) بينا (فِي هَذَا الْقُرْآنِ) من الأمثال والوعد والوعيد (لِيَذْكُرُوا) يتعظوا (وَمَا يَزِيدُهُمْ) ذلك (إِلَّا نَفُورًا) عن الحق (قُلْ) لهم (لَوْ كَانَ مَعَهُ) أى الله (إِلَهَةٌ كَمَا تَقُولُونَ إِذَا لَا تَعْبَقُوا) طلبوا (إِلَى ذِي الْعَرْشِ) أى الله (سَبِيلًا) ليقانلوه (سُبْحَانَهُ) تنزيها له (وَتَعَالَى عَمَّا يَقُولُونَ) من الشركاء (عُلُوهَا كَبِيرًا . نُسَبِّحُ لَهُ) تنزهه (السَّمَوَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ وَإِنْ) ما (مِنْ شَيْءٍ) من المخلوقات (إِلَّا يُسَبِّحُ) ملتبساً (بِحَمْدِهِ) أى يقول سبحان الله وبحمده (وَلَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ) تفهمون (تَسْبِيحَهُمْ) لأنه ليس بلفظكم (إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا) حيث لم يعاجلكم بالعقوبة (وَإِذَا قُرَأَ الْقُرْآنُ جَعَلْنَا بَيْنَكُمْ)

والكبرياء له سبحانه وتعالى (قوله ليقانلوه) أى على عادة ملوك الدنيا عند تعددهم (قوله وتعالى) عطف على ما تضمنته قوله سبحانه كأنه قال تنزهه وتعالى (قوله تسبح له السموات السبع الخ) القصد من ذلك التوبيخ والتقريع على من أثبت لله شريكاً ، والمعنى كيف يشركون مع الله غيره وكل شئ ينزهه عن كل نقص (قوله والأرض) أفردتها مع أنها سبع كالسموات لتكون جنسها واحداً وهو التراب (قوله من المخلوقات) أى الانس والجن والملوك وسائر الحيوانات والجمادات (قوله أى يقول سبحان الله وبحمده) أى أعتقد تنزيهه الله وأصفه بحمده : أى بكل كمال (قوله ولكن لا تفقهون تسبيحهم) هذا يقتضى أن تسبيح الجمادات والحيوانات غير العاقلة بلسان المقال وهو الذى اختاره جمهور السلف وذهب الأقل إلى أنه بلسان الحال بمعنى أنها تدل تلك المخلوقات على أن لها صانعا متصفا بالكلمات منزها عن النقائص فكان ذلك تسبيحا لها . قال العارف :

وفى كل شئ له آية تدل على أنه الواحد (قوله حيث لم يعاجلكم بالعقوبة) أى منع غفلتكم وعدم تدبركم فى آياته ونظركم فى مصنوعاته (قوله وإذا قرأ القرآن) خطاب للنبي صلى الله عليه وسلم حين أراد الكفار قتله على حين غفلة وأل فى القرآن إمال الجنس الصادق بأى آية وهو الحق لما فى الحديث « خذ من القرآن ما شئت لما شئت » وكون القرآن حجاباً ساتراً ليس من خصوصياته صلى الله عليه وسلم بل له ولائته المؤمنين به المخلصين كما هو مشاهد ومجرب بين العارفين وأدلة السنة فى ذلك أشهر من أن تذكره أو العهد والمراد ثلاث آيات مشهورات من النحل والكهف والحاثية وهى قوله تعالى فى سورة النحل - أولئك الذين طبع الله على

لقلوبهم وصممهم - وفي سورة الكهف - وجعلنا على قلوبهم أكنة أن يفقهوه - وفي الجاثية - أفرأيت من اتخذ إلهه هواً وأمته
الله على علم - الآية وزاد العلماء أول سورة يس إلى قوله - فهم لا يبصرون - لما ورد أنه قرأها حين اجتمعوا على بابه لارادة قتله
وأذن الله له في الهجرة فأخذ حفنة من تراب في يده وخرج وهو تلو يس إلى قوله - فأغشيناهم فهم لا يبصرون - وجعل ينثر
التراب على رؤوسهم ثم انصرف فلم يره أحد منهم بل أخذ الله أبصارهم (قوله وبين الذين لا يؤمنون بالآخرة) أي وهم النكرون
لبعث (قوله أي سائر) أشار بذلك إلى أن اسم المفعول بمعنى اسم الفاعل (قوله فيمن أراد الفتك به) أي كآبي جهل وأم جميل
زوجة أبي لهب ويهود خيبر ويهود المدينة والمنافقين، والفتك بتأليب الفاء هو القتل على غفلة (قوله أغطية) أي حجباً معنوية
تمنعهم من إدراكه (قوله فلا يسمعون) أي إما أصلاً كما وقع لبعض الكفار حيث كان النبي يقرأ القرآن وهم لا يسمعون أو للنفي
صماح التدبر والانعاظ وهو موجود في جميع الكفار والمنافقين (قوله وحده) حال من قوله ربك بمعنى منفرداً في الألوهية (قوله
ولوا على أديبارهم نفورا) أي أعرضوا ولم يؤمنوا (قوله نحن أعلم بما يستمعون به) المقصود من هذه الآية تسلياً للنبي صلى الله عليه
وسلم مما وقع من الشركين (٣٣٨) وتهديد لهم حيث كانوا يجاسون عند النبي مظهرين الاستماع وفي الواقع قاصدين

الاستهزاء (قوله من الهزة)
بيان لا (قوله إذ يستمعون)
ظرف لأعلم وكذا قوله
- وإذا هم نجوى - والمعنى
نحن أعلم بالندي يستمعون
بسببه وقت استماعهم إليك
ووقت تناجيهم (قوله
نجوى) إما مصدر أوجع
نجوى (قوله بدل من إذ
قبله) أي وهو قوله وإذا هم
نجوى (قوله يقول
الظالمون) أي لبعضهم أو
لمن كان قريباً منهم في
المجلس من المؤمنين (قوله
كيف ضربوا لك الأمثال)
أي حيث شبهوك

وَيَنبَغِي الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ حِجَابًا مَسْتُورًا) أي سائر لك عنهم فلا يرونك، نزل فيمن
أراد الفتك به صلى الله عليه وسلم (وَجَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً) أغطية (أَنْ يَفْقَهُوهُ) من أن
يفهموا القرآن أي فلا يفهمونه (وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا) ثقلاً فلا يسمعون (وَإِذَا ذَكَرْتَ رَبَّكَ
فِي الْقُرْآنِ وَحْدَهُ وَلَوَّا عَلَى أذْيَارِهِمْ نُفُورًا) عنه (نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَسْتَمِعُونَ بِهِ) بسببه من الهزة
(إِذْ يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ) قراءتك (وَإِذْ هُمْ نَجْوَى) يتناجون بينهم أي يتحدثون (إِذْ) بدل من
إذ قبله (يَقُولُ الظَّالِمُونَ) في تناجيهم (إِنْ) ما (تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَسْجُورًا) مخدوعاً مغلوباً
على عقله قال تعالى (أَنْظُرْ كَيْفَ ضَرَبُوا لَكَ الْأَمْثَالَ) بالمسحور والكاهن والشاعر (فَضَلُّوا)
بذلك عن الهدى (فَلَا يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلًا) طريقاً إليه (وَقَالُوا) منكروين للبعث (أَوَإِذَا كُنَّا
عِظَامًا وَرُفَاتًا أَوَإِنَّا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا) قل لهم (كُونُوا حِجَارَةً أَوْ حَدِيدًا) أَوْ خَلْقًا مِمَّا
يَكْبُرُ فِي صُدُورِكُمْ) يعظم عن قبول الحياة فضلاً عن العظام والرفات فلا بد من إيجاد الروح
فيكم (فَسَيَقُولُونَ مَنْ يُعِيدُونَا) إلى الحياة (قُلِ الَّذِي فَطَرَكُمْ) (أَوَّلَ مَرَّةٍ) ولم تكونوا
شيئاً لأن القادر على البدء قادر على الإعادة بل هي أهون،

(فسينضون)

بالأوصاف النافسة كالسحور والشاعر والكاهن (قوله فضلوا بذلك عن الهدى)

أي لأن الهدى تابع للتسليم وحسن العقيدة وهؤلاء بريئون من ذلك (قوله طريقاً إليه) أي إلى الهدى لعدم تيسير أسبابه
لهم (قوله منكروين للبعث) أشار بذلك إلى أن الاستفهام للانكار والاستبعاد (قوله ورقاً) هو ما يورق في ثغتيه ودقه حتى
يصير كالتراب، وقيل هو التراب يؤيده أنه تكرر في القرآن تراباً وعظاماً (قوله قل كونوا حجارة) أي جواباً عن إنكارهم
البعث، والمعنى قل لهم لو صرتم حجارة أو حديداً أو خلقاً آخر غيرها كاسموات والأرض والجبال فلا بد من إيجاد الحياة فيكم
فإن قدرة الله لا تعجز عن إحيائكم وإعادتكم للجسمية والروحية فكيف إذا كنتم عظاماً ورقاً، وليس المراد الأمر بل
المراد أنكم لو كنتم كذلك لما أعجزكم الله عن الإعادة (قوله مما يكبر في صدوركم) أي اعتقادكم، والمعنى لو كنتم أشياء
يعظم في اعتقادكم قبولها الحياة لكونها بعيدة منها لأحيائكم الله إذ القادر لا يعجزه شيء (قوله قل الذي فطركم) أي يعيدكم
الذي فطركم (قوله بل هي أهون) أي لأن البدء لم يكن على مثال سابق بخلاف الإعادة، وذلك لتطير لعقولنا وأفعالنا
وإلا فالبدء والإعادة بالنسبة إليه تعالى على حد سواء، غلقت الجبل العظيم عنده مساو لخلق القرة. قال تعالى - ما خلقكم
ولا بشكم إلا كنفس واحدة - .

(قوله فسيفنضون إليك رهوسهم) يقال نفض الشيء نفضاً وأفض رأسه حره كالتعجب من الشيء (قوله أن يكون قريباً) هو في محل نصب خبر عسى على أنها ناقصة واسمها ضمير يعود على البعث أوفى محل رفع فاعل بها على أنها تامة (قوله يوم يذعوكم) ظرف لقوله قريباً (قوله على لسان إسرافيل) هو أحد قولين والآخر أن للننادي جبريل والنافخ إسرافيل ، وصورة النداء أنه يقول : أيتها العظام البالية والأوصال المتقطعة واللحوم المتمزقة والشعور المتفرقة إن الله يأمركن أن تجتمعن لفصل القضاء (قوله فتجيئون) أي تبعثون (قوله بحمده) حال من الواو في تستجيئون أي تجيئونه حال كونكم حامدين له على ذلك لما قيل إنهم ينفضون التراب عن رهوسهم ويقولون سبحانك اللهم وبحمدك (قوله بأمره) نصير آخر لمن الحمد هنا وعليه فالباء سببية (قوله وقيل وله الحمد) أي ورد : أنهم يقولون نعم وله الحمد وهو إخبار عن جميع الخلق مؤمنهم وكافركم فالؤمنون يحمدون الله شكراً على ما أولاهم من النعم والكفار يحمدونه رجاء أن ينفعهم ذلك الشكر وهو لا ينفعهم ، وقيل هو في خصوص المؤمنين (قوله في الدنيا) أي أوفى القبور لأنها من جملة عمر الدنيا (قوله يقولوا) مجزوم في جواب الأمر (قوله التي هي أحسن) أي ولا يغلطوا عليهم فإن ذلك داع إلى الشرك كأن يقولوا لهم إنكم من أهل النار ومن الأشقياء وغير ذلك (قوله إن الشيطان الخ) تعليل لمفهوم قوله يقولوا التي هي أحسن كأنه قال ولا يقولوا غيرهما (٣٣٩) ينفر النفوس لأن الشيطان الخ

(قوله بينهم) أي بين المؤمنين والمشركون (قوله يفسد بينهم) أي لأن الاغلاط عليهم ربما يشير الفساد ويؤدي لزيادة الفساد (قوله هي ربكم أعلم الخ) أي وما بينهما اعتراض ، والمعنى ربكم أعلم بما قبله أمركم (قوله بالتسوية والإيمان) أي بسببهما (قوله وما أرسلناك عليهم وكلاً) أي وما جعلنا أمركم موكلاً لك بل ليس عليك إلا البلاغ

(فَسَيُفْنَضُونَ) يمحرون (إِلَيْكَ رُهُوسَهُمْ) تمجيباً (وَيَقُولُونَ) استهزاء (مَتَى هُوَ) أي البعث (قُلْ عَسَى أَنْ يَكُونَ قَرِيباً. يَوْمَ يَذْعُوكُمْ) يناديكم من القبور على لسان إسرافيل (فَتَسْتَجِيبُونَ) فتجيئون دعوته من القبور (بِحَمْدِهِ) بأمره ، وقيل وله الحمد (وَتَظُنُّونَ إِنَّ) ما (لَيْتُمْ) في الدنيا (إِلَّا قَلِيلاً) لهول ما ترون (وَقُلْ لِمُؤْمِنِينَ) المؤمنين (يَقُولُوا) للكفار الكلمة (الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنْزَغُ) يفسد (بَيْنَهُمْ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلْإِنْسَانِ عَدُوًّا مُبِينًا) بين العداوة ، والكلمة التي هي أحسن هي (رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِكُمْ إِنَّ يَشَأْ يَرْحَمَكُم) بالتوبة والإيمان (أَوْ إِنَّ يَشَأْ) تعذيبكم (يُعَذِّبُكُمْ) بالموت على الكفر (وَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ وَكِيلًا) فتجبرهم على الإيمان وهذا قبل الأمر بالقتال (وَرَبُّكَ أَعْلَمُ بِمَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ) فيخصهم بما شاء على قدر أحوالهم (وَلَقَدْ فَضَّلْنَا بَعْضَ النَّبِيِّينَ عَلَى بَعْضٍ) بتخصيص كل منهم بفضيلة كوسى بالكلام وإبراهيم بالخلة ومحمد بالامراء (وَأَتَيْنَا دَاوُدَ زَبُورًا.

فدارهم ومراحيلك بتحمل أدام (قوله وهذا قبل الأمر بالقتال) أي فهو منسوخ بآية : يا أيها النبي جاهد الكفار والمنافقين واغلب عليهم ومقتضى العلة أنه حيث أدى الاغلاط إلى زيادة الفساد وجب تركه في أي زمن (قوله بمن في السموات والأرض) أي بأحوالهم فيخص بالنبوة من شاء من خلقه وبولايته وسعاده من شاء منهم ، وفي هذه الآية رد على المشركين حيث استبعدوا النبوة على رسول الله بقولهم : كيف يكون نبيم أبي طالب نبيا وكيف يكون العراة الجبايع أصحابه ، وهذه العبارة لا يجوز إطلاقها على النبي إلا في مقام الحكاية عن الكفار ، ولذا أتى بعض المالكية بقتل قائلها في مقام التنقيص والباء متعلقة بأعلم ولا يلزم عليه قصر علمه على من في السموات والأرض لأنه مفهوم لقب وهو لا يعتبر ، وقد رد العلماء على من اعتبره كأبي بكر الدقاق (قوله ولقد فضلنا بعض النبيين على بعض) أي بتفضيل من الله ومزايا خصهم بها وميز بعضهم عن بعض (قوله وآتيناه داود زبوراً) خص بالذكر لأن اليهود زعمت أنه لاني بعد موسى ولا كتاب بعد الزورا وقصدهم بذلك إنكار نبوة محمد وإنكار كتابه فرد الله عليهم بقوله - وآتيناه داود زبوراً - لأنهم يعترفون بنبوة داود ونزول الزبور عليه مع أنه جاء بعد موسى ، والزبور كتاب أنزل على داود مشتمل على مائة وخمسين سورة أطولها قدر ربع من القرآن وأقصرها قدر سورة إذا جاء نصر الله وكها دعاء وتحميد ليس فيها حلال ولا حرام ولا فرائض ولا حدود ولا أحكام ، وفي هذه الآية إشارة إلى أن تفضيل الأنبياء بالفضائل النفسانية والتخلي عن الملائق الجسمانية والتخلي بالأخلاق الرحمانية [٤٢ - صاوى - ثاني]

لا بكثرة الأموال والأنبياء حتى داود عليه السلام فإن شرفه بما أوحى الله إليه من الكتاب لا بما أوتيه من الملك فالعز والتتصيل في الزوايا الأخروية لا الدنيوية فإنها تكون في اللؤم والكفر فلا يتن الله بها على أحبابه وأصفيائه (قوله قل لهم) أي قل يا محمد رداً على من اعتقد مع الله شريكاً (قوله أنهم آلهة) أشار بذلك إلى أن مفعولي زعم محذوفان (قوله من دونه) أي غيره وفي الآية تقديم وتأخير والتقدير قل ادعوا الذين من دونه زعمهم أنهم آلهة فالله أي أنهم يعبدونها كما يعبدون الله فاندفع ما يقال إن المشركين إنما يستقدون الصركة مع الله لا أن الآلهة غيره وهو ليس باله (قوله كاللائكة الخ) أي وكريم فالسلام في خصوص العقلاء بدليل قوله : أولئك الذين يدعون (قوله فلا يملكون كشف الضر عنكم) أي لا يستطيعون إزالته لعجزهم وحيث أنه هؤلاء ليسوا بآلهة لأن الإله هو القادر الذي لا يعجزه شيء والجملة جواب الأمر (قوله أولئك الذين يدعون) هذا من جهة ما قبله واسم الإشارة مبتدأ وجملة يبتغون وما عطف عليه خبر والذين بدل من اسم الإشارة أو عطف بيان عليه و يدعون صلته وقدر المفسر مفعوليه ، والمعنى أن العقلاء الذين زعمتهم آلهة وعبدتهم يطلبون من الله القرب بسبب طاعتهم وخضوعهم وذلمهم لربهم ويرجون رحمته ويخافون عقابه بل كل من كان أقرب منهم في الدرجة فهو أشد خضوعاً وخوفاً ولا يرضون بكونهم معبودين من دون الله (قوله بدل (٣٣٠) من واو يبتغون) أي وأقرب خبر مبتدأ محذوف والجملة صلة أي كما أشار

له المفسر بقوله يبتغيها الذي هو أقرب (قوله فكيف تدعونهم آلهة) أي مع كونهم راجين خائفين محتاجين لربهم والآله لا يكون كذلك (قوله مكان محذورا) أي مخافاً منه ، والمعنى هو حقيق بأن يخاف منه كل أحد (قوله وان من قرية) أي طائفة أو عاصمة وقوله : إلا نحن مهلكوها أي الطائفة وقوله أو معذبوها أي العاصية ، والمعنى أن كل أحد يفنى

قُلْ لِمَ (أَدْعُوا الَّذِينَ زَعَمُوا أَنَّهُمْ آلَهُ مِنْ دُونِهِ) كَاللَّائِكَةِ وَعِيسَى وَعَزِيرُ (فَلَا يَمْلِكُونَ كَشْفَ الضَّرِّ عَنْكُمْ وَلَا تَحْوِيلًا) لَهُ إِلَى غَيْرِكُمْ (أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ) هُمُ آلَهُ (يَبْتَغُونَ) يَطْلُبُونَ (إِلَى رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ) الْقُرْبَةَ بِالطَّاعَةِ (أَيُّهُمْ) بَدَلُ مَنْ وَابْتَغُونَ أَى يَبْتَغِيهَا الَّذِي هُوَ (أَقْرَبُ) إِلَيْهِ فَكَيْفَ بغيره (وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ) كَغَيْرِهِمْ فَكَيْفَ تَدْعُونَهُمْ آلَهُ (إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا. وَإِنْ) مَا (مِنْ قَرْيَةٍ) أُرِيدَ أَهْلُهَا (إِلَّا نَحْنُ مُهْلِكُوهَا قَبْلَ يَوْمِ الْقِيَامَةِ) بِالْمَوْتِ (أَوْ مُعَذِّبُوهَا عَذَابًا شَدِيدًا) بِالْقَتْلِ وَغَيْرِهِ (كَانَ ذَلِكَ فِي الْكِتَابِ) اللَّوْحُ الْمَحْفُوظُ (مَسْطُورًا) مَكْتُوبًا (وَمَا مَنَعَنَا أَنْ نُرْسِلَ بِالْآيَاتِ) الَّتِي اقْتَرَحَهَا أَهْلُ مَكَّةَ (إِلَّا أَنْ كَذَّبَ بِهَا الْأَوَّلُونَ) لَمَّا أُرْسِلْنَا فَأَهْلَكْنَاهُمْ وَلَوْ أُرْسِلْنَا إِلَى هَؤُلَاءِ لَكَذَّبُوا بِهَا وَاسْتَحَقُّوا الْإِهْلَاكَ وَقَدْ حَكَّمْنَا بِأَهْلِهِمْ لِإِتِّمَامِ أَمْرِ مُحَمَّدٍ (وَأَتَيْنَا نَمُودَ الْفَاقَةِ) آيَةً (مُبْصِرَةً) بَيِّنَةً وَاضِحَةً (فَطَلَعُوا) كَفَرُوا (بِهَا) فَأَهْلَكُوا (وَمَا نُرْسِلُ بِالْآيَاتِ) الْمُعْجَزَاتِ (إِلَّا تَحْوِيلًا) لِلْعِبَادِ فَيُؤْمِنُوا ،

قبل يوم القيامة قال تعالى - كل من عليها فان - ولكن الفناء مختلف ففهم من يموت ميتة حسنة ومنهم من يموت ميتة سوء (قوله بالموت) أي فالحلاك قد يستعمل في الموت قال تعالى : إن امرؤ هلك (قوله كان ذلك) أي ما ذكر من الإهلاك والتعذيب (قوله مسطوراً) أي فلا يغير ولا يبدل (قوله وما منعنا أن نرسل الخ) سبب نزول هذه الآية أنهم قالوا للنبي صلى الله عليه وسلم اقلب لنا الصفا ذهباً وسير لنا هذه الجبال عن مكة لتزرع مكانها وأحي لنا آبائنا الموتى فإن فعلت ذلك آمنا بك فشرع النبي يسأل الله تعالى في ذلك ففرزت هذه الآية ، والمعنى ما كان السبب في تركنا لإجابتهم عجزاً منا بل السبب في ترك الإجابة غلبة رحمتنا بهم فانهم قد جرت عادتنا من أول الزمان إلى وقتك هذا أن كل أمة طلبت من نبيها آية فأتينهم بها فإذا كفروا استأصلناهم بالهلاك وقد سبق في علمنا أن أمك تبقى طويلاً وجه الأرض إلى يوم القيامة ولو آتيناهم ما طلبوه ولم يؤمنوا لاستأصلناهم بالهلاك فلم يتم ما سبق في علمنا فمنهم ما طلبوه رحمة بأمك جميعاً (قوله التي قترحوها) أي ألقى قلوب الصفا ذهباً وغير ذلك مما يأتي في قوله : وقالوا لن نؤمن لك حتى تفجر لنا من الأرض ينبوعاً (قوله مبصرة) بكسر الصاد باتفاق السبعة واستناد الإبصار لها معاجز لأنها سبب في التبصر والاعتبار والاهتداء ، ونصت معجزة صالح بالله كرهنا لأن المكذبين لها ديارهم المهلكة قريبة منهم يبصرونها في أسفارهم ذهباً وإياباً (قوله المعجزات) دفع بذلك ما يقال إن الآية تعارضها حيث نفي إرسال الآيات أولاً فثبتت لآياتها .

(و)

وحاصل الجواب أن يقال إن النفي أولا الآيات المقرحة والثبت ثانيا المعجزات غير المقرحة (قوله وإذ قلنا لك) إذ ظرف منطلق بحذف قدره الفسر بقوله اذكر (قوله فهو بضمك منهم) أى من قتلهم لامن أذاهم فانه حاصل (قوله وما جعلنا الرؤيا) المراد الرؤية بالبصر واستعمالها بالآلف قليل والكثير استعمال البصرية بالناء والحالية بالآلف وإنما عبر عنها بالآلف لوقوعها بالليل ولسرعة تنضيها كأنها منام (قوله والشجرة) معطوفة على الرؤيا (قوله الملعونة) إسناد اللعن لها إما حقيقة باعتبار أنها مؤذية ومذمومة ومطرودة عن رحمة الله لأنها تخرج في أصل الجحيم أو مجاز والمراد ملعون آكلوها (قوله في القرآن) الجار والمجرور متعلق بحذف صفة للشجرة أى المذكورة في القرآن (قوله وهى الزقوم) هى أخبث الشجر التى تنبت بهامة وتكون في أصل الجحيم طعام أهل النار (قوله إذ قالوا النار تحرق الشجر الخ) أى فقصوا بذلك إنكار قدرة الله تعالى وإثبات المعجزة والاستهزاء بقول الرسول وهو غفلة منهم عن قدرة الله معتمدين على الأمر العادى مع أنه شوهة تخلفه في مثل الملعونة فأنها تبتلع الجمر والحديد الحمى بالنار ولا يحرقها وطير السمندل يتخذ من وبره مناديل فاذا انسخت ألقيت في النار فيزول وصغها وتبقى بحالها (قوله وإذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم) كسر قصة آدم مع إبليس في القرآن مرارا لابتناء السعادة والشقاوة عليها وإشارة إلى أن السعيد هومن تبع آدم والشقي هومن تبع إبليس ليحصل ما ترتب على ذلك من النعيم المقيم لأهل السعادة والعذاب الأليم لأهل الشقاوة (قوله اسجدوا لآدم) أى بعد أن قال لهم : إني جاعل في الأرض خليفة فقالوا اتجمل فيها من

يفسد فيها ، قال لهم إني أعلم ما لا تعلمون ثم علمه أسماء الأشياء كلها ، ثم عرض الله على الملائكة المسميات وأمر آدم أن يقول للملائكة أنبشوني بأسماء هؤلاء قالوا لا علم لنا إلا ما علمتنا قال الله يا آدم أنبشهم بأسمائهم فلما أنبأهم بأسمائهم صار شياخا لهم فوجب تعظيمه واحترامه فأمروا بالسجود

(وَ) اذكر (إِذْ قُلْنَا لَكَ إِنَّ رَبَّكَ أَحَاطَ بِالنَّاسِ) علما وقدرة ، فهم في قبضته فيعلمهم ولا تخف أحداً فهو يعضك منهم (وَمَا جَعَلْنَا الرُّؤْيَا الَّتِي أَرَيْنَاكَ عِيَانًا لِّلْأَسْرَاءِ) (إِلَّا فِتْنَةً لِلنَّاسِ) أهل مكة إذ كذبوا بها وارادت بعضهم لما أخبرهم بها (وَالشَّجَرَةُ الْمُلْعُونَةُ فِي الْقُرْآنِ) وهى الزقوم التى تنبت في أصل الجحيم جعلناها فتنة لهم إذ قالوا النار تحرق الشجر فكيف تنبت (وَنُحَوِّفُهُمْ) بها (فَمَا يَزِيدُهُمْ) نخويفنا (إِلَّا طُغْيَانًا كَبِيرًا) (وَ) اذكر (إِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ) سجدوا تحية بالانحناء (فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ قَالَ أَأَسْجُدُ لِمَنْ خَلَقْتُ طِينًا) نصب بنزع الخافض أى من طين (قَالَ أَرَأَيْتَكَ) أى أخبرنى (هَذَا الَّذِي كَرَّمْتَ) فضلت (عَلَيَّ) بالأمر بالسجود له وأنا خير منه خلقتنى من نار (لَيْتَنِي) لام قسم (أَنْجُوتَنِي إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ لِأَحْتَسِبَنَّ) لأستأصلن (ذُرِّيَّتَهُ) بالاغواء (إِلَّا قَلِيلًا) منهم ،

له وفاء ببعض حقوقه عليهم (قوله سجدوا تحية بالانحناء) دفع بذلك ما يقال إن السجود لغیر الله كفر والملائكة بريئون منه ويدفع أيضا بأن السجود لآدم حقيقة بوضع الجبهة وآدم كالقابلة كالمصلين للكعبة ، وأيضا محل كون السجود لغیر الله كفرا مالم يكن الأمر به هو الله وإلا فيجب امتناله وقد تقيم ذلك (قوله فسجدوا) أى الملائكة جميعا (قوله لا إبليس) أى امتنع من السجود قولاً وفعل (قوله قال أسجد الخ) الاستفهام إنكارى فهو بمعنى النفي (قوله قال أرايتك هذا الذى كرمته على) الحمزة للاستفهام ورأى فعل ماض والناء فاعل والكاف مؤكدة لناء الخطاب واسم الإشارة مفعول أول والذى بدل منه أوصفه له وكرمت صلة الموصول والمائد محذوف تقديره كرمته والمفعول الثانى محذوف تقديره لم كرمته على ولم يحبه الله عن هذا السؤال تحقيرا له حيث اعترض على مولاه وتكبر وحسد عباد الله ، والإرادة هنا بمعنى الاخبار ففيه مجاز مرسل من باب إطلاق السبب على المسبب لأن شأن من كان رائيا لشيء أن يخبر به وأطلق الاستفهام وأريد منه الطلب ففيه مجاز مرسل على مجاز وتقدم نظائر هذه الآية في الأنعام وسيأتى في القصص (قوله خلقتنى من نار) أى وهى أفضل العناصر الأربع (قوله لام قسم) أى مقدر تقديره والله وقوله لأحتسبن جواب القسم والجملة مستأنفة مرتبة على محذوف والتقدير فطرده الله فطاب اللعين الإمهال للنفخة الثانية فأجابه الله بخلاف ما طلب فقال : لئن أخرتن الخ ، والاحتسبك فى الأصل مأخوذ من حنك الدابة إذا جعل الرسن فى حنكها واحتنك الجراد الأرض أكل ما عاها والياء فى أخرتن ثابتة لبعض القراء وصلا ووقفا ومحذوفة لبعضهم كذلك وثابتة لبعضهم وصلا وحذفها وقفا فالقراآت ثلاث كلها سمية هنا ، وأما التى تاتى فى المتأخرين فالياء ثابتة لكل لشبوتها فى الرسم .

(قوله عن عصمته) أى عصمة واجبة كالأنبياء أو جائزة كالصلحاء (قوله قال تعالى له اذهب) هذا تهديده وليس الأمر فى الواقع الخسة على حقيقته بل هو استدراج وتهديد لأنه معصية والله لا يأمر بها على حد « إذا لم نستح فاصنع ما شئت » (قوله إلى وقت النفخة الأولى) هذا جواب له على خلاف ما طلب فإنه طلب الانتظار إلى النفخة الثانية ليفتر من لئوت فإنه يعلم أن لاموت بعد النفخة الثانية (قوله جزاؤكم) غلب المخاطب لأنه سبب فى الاغواء (قوله جزاء) منصوب بالمصدر قبله (قوله وافرأ) أشار بذلك إلى أن اسم المفعول بمعنى اسم الفاعل (قوله بالفناء) بكسر الفين والدة وهو تطريب الصوت بما يهيج الشهوات المحرمة (قوله وكل داع إلى معصية) كالكلام مع الأجنبية ونحوه (قوله بخيلك) الباء للابسة ، والمعنى صح عليهم حال كونك ملتسبا بجنودك الركاب والمشاة ، فالمراد بالخيال ركابها وذلك كقطع الطريق الذين يركبون الخيل ويأخذون الأموال ويقتلون النفوس (قوله وشاركهم فى الأموال) أى بحملهم على كسبها وجمعها من الحرام والتصرف فيها فيما لا يبنى (قوله من الزنا) أى ومثله ما لو طلق الرجل امرأته ثلاثا وآتى منها بأولاد فإن الشيطان شريكه فيهم (قوله وعدم) أى إهمهم على اعتقاد عدم البعث والجزاء (قوله إن عبادي) الإضافة للتشريف (قوله ليس لك عليهم سلطان) أى بل هم محفوظون منك (قوله وكفى بربك كيلا) أى إن الشيطان وإن كان قادرا على (٣٣٢) الوسوسة باقدار الله له فالله أرحم بعباده فهو يدفع عنهم كيده وشره ،

فالمعصوم من عصمه الله وليس للعبد قدرة على دفع الوسوس عنه .
[قائدة] ذكر الياقنى عن الشاذلى أن غمايعين على دفع وسوسة الشيطان أنك عند وسوسته لك تضع يدك اليمنى على جانب صدرك الأيسر بحذاء القلب وتقول سبعان للالك القدوس الخلاق الفعال سبع مرات ثم تقرأ قوله تعالى - إن يشأ يذهبكم ويأت بخلق جديد وما ذلك على الله يعزى - اهـ

من عصمته (قال) تعالى له (أذهب) منظرًا إلى وقت النفخة الأولى (فَن تَبِعَكَ مِنْهُمْ فَإِنَّ جَهَنَّمَ جَزَاءُكُمْ) أنت وهم (جزاء مؤفوراً) وافرأ كاملاً (وَأَسْتَفْزِرُ) استخف (مَنْ أَسْتَطَاعَتْ مِنْهُمْ بِصَوْتِكَ) بدعائك بالفناء والمزامير وكل داع إلى معصية (وَأَجْلِبْ) صح (عَلَيْهِمْ بِخَيْلِكَ وَرَجْلِكَ) وهم الركاب والمشاة فى المعاصى (وَشَارِكُهُمْ فِي الْأَمْوَالِ) المحرمة كالربا والغصب (وَالْأَوْلَادِ) من الزنا (وَعِذَّهُمْ) بأن لا بعث ولا جزاء (وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ) بذلك (إِلَّا غُرُورًا) باطلا (إِنَّ عِبَادِي) المؤمنين (لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ) تسلط وقوة (وَكُنَى رَبَّكَ وَكَيْلًا) حافظًا لهم منك (رَبُّكُمْ الَّذِي يُرْجِي) يجرى (لَكُمْ الْفَلَكَ) السفن (فِي الْبَحْرِ لَتَبْتَغُوا) تطلبوا (مِنْ فَضْلِهِ) تعالى بالتجارة (إِنَّهُ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا) فى تسخيرها لكم (وَإِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ) الشدة (فِي الْبَحْرِ) خوف الفرق (ضَلَّ) غاب عنكم (مَنْ تَدْعُونَ) تعبدون من الآلهة فلا تدعونه (إِلَّا إِيَّاهُ) تعالى فإنكم تدعونه وحده لأنكم فى شدة لا يكشفها إلا هو (فَلَمَّا نَجَّيْكُمْ) من الفرق وأوصلكم (إِلَى الْبَرِّ أَعْرَضْتُمْ) عن التوحيد ،

(وكان

) قوله ربكم الذى يرزى لكم الفلك فى البحر) لما أخبر الله سبحانه وتعالى

بأن الشيطان مسلط على بنى آدم إلا من عصمه منهم وحفظه بين أوصاف الحافظ للخلق من تسلط الشيطان كأنه قال ربكم الحافظ لكم هو الذى يرزى والازجاء الاجراء يقال زجاء وأزجاء بمعنى أجراه والفلك السفينة يستعمل مفردا وجمعا ووزن المفرد قفل والجمع بسن ويذكر باعتبار المركب ويؤنث باعتبار السفينة (قوله السفن) يشير إلى أن الفلك مستعمل فى الجمع (قوله فى البحر) أى عذابا وملحا (قوله لتبتغوا من فضله) أى الوصول إلى المقاصد دنيوية وأخروية فبالسفن يتوصل إلى التجارات والمكاسب وللحج وزيارة الصالحين (قوله إنه كان بكم رحيمًا) تعليل ثان لقوله يرزى (قوله الشدة) أى من أجل هبوب الريح (قوله خوف الفرق) أى من أجل خوفه (قوله ضل من تدعون) أى ذهب عن قلوبكم وخواطركم كل معبود سواه فلا تدعون غير الله لكشفه (قوله إلا إياه) يحتمل أن يكون الاستثناء متصلا بحمل قوله من تدعون على جميع العبودات بحق أو بباطل ، ويحتمل أن يكون منقطعًا بحمله على المعبود بباطل وتكون على هذا إلا بمعنى لكن (قوله من الفرق) الجار والمجرور متعلق بنجاكم وقوله إلى البر متعلق بحذوف قدره المفسر بقوله وأوصلكم (قوله أعرضتم عن التوحيد) أى تركتموه فالكافر يرجع لعبادة الأصنام والمعاصى يرجع لفنائه وشهوته بعد أن كان الجليح آيين متوجهين إلى الله خائفين منه .

(قوله وكلن الانسان كفورا) كالتمايل لقوله أعرضتم (قوله أأمانتم) الممزة داخله على محذوف والفاء عاطفة على ذلك المحذوف والتقدير أتجوزون من الفرق فأمنتم الخ والاستفهام للتوبيخ (قوله أن نخسف بكم جانب البر) أى نخفيكم فى بطن الأرض ، والمعنى أتم وإن أمنتم من الفرق فى البحر لا تأمنون من الخسف فى البر ، والأفعال الخمسة تقرأ بالتون والياء سبعيتان (قوله كقارون) أى فقد وقع به الخسف قال الله تعالى - نخسفنا به وبداره الأرض - (قوله أى نرميكم بالحصباء) أى بسبب ريح تأتيكم (قوله كقوم لوط) أى فقد نزلت عليهم حجارة من السماء أهلكتهم (قوله حافظا منه) أى مما ذكر من الخسف . إرسال الخطباء (قوله تارة) مصدر وتجمع على تيرة وتارات (قوله إلا قصفته) أى كسرتة (قوله فنفرقكم) مرتب على محذوف قدره الفسر بقوله فتكسر فلنكسر (قوله بكفركم) أى بسببه وأشار بذلك إلى أن ما مصدرية ، ويصح أن تكون اسم موصول أى بسبب الذى كفرتم به (قوله نصيرا) أى ناصرا لكم علينا فيحفظكم ويمنع عنكم ما فعلناه بكم (قوله أو تابعا يطالبنا الخ) تفسير فإن تديبا ، والمعنى عليه لاتجدوا لكم مطالبا يأخذ ثأركم منا (قوله ولقد كرمنا بنى آدم) أى شرفناهم على جميع المخلوقات بأمر جليلة عظيمة: منها يأكلون بأيديهم لا بأفواههم ، ومنها كونهم معتدلى القامة على شكل سن وصورة جميلة ، ومنها أن الله خلق لهم ما فى الأرض جميعا ، ومنها إخدام الملائكة الكرام لهم حتى جعل منهم حفظة وكتبة لهم وغير ذلك (قوله بالعلم) أى والعقل (قوله ومنه طهارتهم بعد الموت) أى فذوات (٣٣٣) بنى آدم طاهرة بعد الموت

ونجاسة الكفار منهم
معنوية لحث باطنهم
وعليه يحمل قوله تعالى
- إنما للمشركون نجس -
(قوله على الدواب) أى
الابل والحيل والبغال
والخيل (قوله من الطيبات)
أى المستلذات كاللحم
والسمن واللبن والحبوب
والفواكه فى جميع
الأزمان (قوله وفضلناهم
على كثير الخ) أى ميزناهم
بفضائل ليست فى كثير

(وَكَانَ الْإِنْسَانُ كَفُورًا) جحودا للنعم (أَفَأَمِنْتُمْ أَنْ نَخْصِفَ بِكُمْ جَانِبَ الْبَرِّ) أى الأرض
كقارون (أَوْ تُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا) أى نرميكم بالحصبا. كقوم لوط (ثُمَّ لَا تَجِدُوا
لَكُمْ وَكِيلًا) حافظا منه (أَمْ أَمِنْتُمْ أَنْ نُفْعِدَ كُمْ فِيهِ) أى البحر (تَارَةً) مرة (أُخْرَى
فَتُرْسِلَ عَلَيْكُمْ قَاصِفًا مِنَ الرِّيحِ) أى ريحا شديدة لاتمر بشئ إلا قصفته فتكسر فلنكسر
(فَنَنْفِرَكُمْ بِمَا كَفَرْتُمْ) بكفركم (ثُمَّ لَا تَجِدُوا لَكُمْ عَلَيْنَا بِهِ تَبِيعًا) ناصرا أو تابعا
يطالبنا بما فعلنا بكم (وَلَقَدْ كَرَّمْنَا) فضلنا (بَنَى آدَمَ) بالعلم والنطق واعتدال الخلق وغير ذلك
ومنه طهارتهم بعد الموت (وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرْ) على الدواب (وَالْبَحْرَ) على السفن (وَوَرَزْنَاهُمْ
مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا) كالبهائم والوحوش (تَفْضِيلًا) فمن بمعنى
ما أوعى بابها وتشمل الملائكة والمراد تفضيل الجنس ولا يلزم تفضيل أفرادهم إذ هم أفضل من البشر
غير الأنبياء . اذكر (يَوْمَ نَدْعُوا كُلَّ أَنْسٍ بِإِمَامِهِمْ) نبينهم فيقال يا أمة فلان أو بكتاب أعمالهم ،

من غيرهم (قوله فمن معنى ما) أى فهمى مستعملة فى غير العقلاء ، ويكون المراد بالكثير جميع ما سواهم من غير الملائكة
(قوله أو على بابها) أى فهمى مستعملة فى العقلاء وغلبوا على غيرهم (قوله والمراد تفضيل الجنس) أى الجنس الانسان أفضل
من جنس الملائكة ، وهذا جواب عما يقال لانسلم أن جميع البشر أفضل من جميع الملائكة . فأجاب بأن التفضيل بالجنس
فلا ينافى أن رؤساء الملائكة أفضل من عامة البشر (قوله إذ هم) أى الملائكة (قوله أفضل من البشر) ظاهره مطلقا ،
وهو خلاف التحقيق ، والتحقيق الذى عليه الأشاعرة أن خواص البشر كالأنبياء والرسل أفضل من خواص الملائكة وهم
جبريل وميكائيل وإسرافيل وعزرائيل وعوام البشر ، وهم الصلحاء أفضل من عوام الملائكة ، وهم ماعندا الرؤساء الأربعة
(قوله يوم ندعوا) يوم معمول لمحذوف قدره الفسر بقوله : اذكر . والمعنى اذكر يا محمد هذا اليوم وهوله لأمتك ليكون
داعيا إلى الاتعاظ والخوف فيحملهم على الاستعداد (قوله كل أناس) وزنه فعال ، ويجوز حذف همزته فيقال ناس فيصير
وزنه عال (قوله نبينهم) أى لما روى عن أبى هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم « فينادى يوم القيامة يا أمة إبراهيم
يا أمة موسى يا أمة عيسى يا أمة محمد صلى الله عليه وسلم ، فيقوم أهل الحق الذين اتبعوا الأنبياء فيأخذون كتبهم بإيمانهم ،
ثم ينادى الأتباع يا أتباع نمرود يا أتباع فرعون يا أتباع فلان وفلان من رؤساء الضلال وأكابر الكفار ، فيأخذون كتبهم
بجائلتهم من وراء ظهورهم » (قوله أو بكتاب أعمالهم) أى لقوله تعالى - وكل شئ أحصيناه فى إمام مبين - وما ذكره الفسر

قولان في تفسير الامام وبنى أقوال آخر. قيل المراد به الكتاب الذي أنزل عليهم ، فينادى في القيامة يا أهل التوراة يا أهل الانجيل يا أهل القرآن ماذا عميتم في كتابكم هل امتثلتم أوامرهم هل اجتنبتهم نواهيهم ؟ وقيل المراد به للذهب الذي كانوا يصنعون الله عليه فيقال يا حنفي يا شافعي يا معتزلي يا قدرى ونحو ذلك . وقيل المراد به عمل البر الذي اشتهر به في الدنيا فينادى أهل الصدقات وأهل الجهاد وأهل الصيام وغير ذلك . وقيل المراد به الأموات لأن الامام جمع أم تكفأ جمع خف فينادى الخلق بأسمائهم فيقال يا ابن فلانة سترأ على ولد الزنا ورعاية حق عيسى وإظهار شرف الحسن والحسين ، ورد هذا القول الزعزعي وقال إنه من بدع الفسرين (قوله فيقال يا صاحب الخير) هو على حذف مضاف أى يا صاحب كتاب الخير (قوله وهو يوم القيامة) وله أسماء كثيرة : منها الساعة والحاقة والقارعة والواقعة ويوم الدين ويوم الجزاء ويوم الحشر وغير ذلك (قوله فمن أوتى كتابه) من إما شرطية أو موصولة ودخات الغاء في خبرها لشبهها بالشرط (قوله فأولئك يقرءون كتابهم) أى وإن لم يكونوا قارئين في الدنيا وحين يقرءون كتابهم يظهرونه لأهل الموقف قال تعالى حكاية عنهم - فأما من أوتى كتابه يمينه فيقول هاؤم اقروا كتابيه - الخ (قوله قدر قشرة النواة) الصواب أن يقول قدر الخيط الذي في قلب النواة ، وأما القشرة التي ذكرها فهي القطعير وأما النقيير فهو القرة التي في ظهرها ، والثلاثة مذكورة في القرآن (قوله ومن كان في هذه أعمى) أى وهو الذي يعطى كتابه بشماله فيسود وجهه (٣٣٤) حينئذ ويحصل له الندم قال تعالى - وأما من أوتى كتابه بشماله فيقول ياليتني

فيقال يا صاحب الخير يا صاحب الشر وهو يوم القيامة (فَمَنْ أُوتِيَ) منهم (كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ) وهم السعداء أولو البصائر في الدنيا (فَأُولَئِكَ يَقرُونَ كِتَابَهُمْ وَلَا يَظَلُمُونَ) ينقصون من أعمالهم (فَتَبَيَّلًا) قدر قشرة النواة (وَمَنْ كَانَ فِي هَذِهِ) أى الدنيا (أَعْمَى) عن الحق (فَهُوَ فِي الْآخِرَةِ أَعْمَى) عن طريق النجاة وقراءة الكتاب (وَأَضَلُّ سَبِيلًا) أبعد طريقا عنه . ونزل في تقييد وقد سأله صلى الله عليه وسلم أن يحرم واديههم وألحوا عليه (وَأِنْ) مخففة (كَادُوا) قاربوا (لَيَفْتَنُونَكَ) يستنزلونك (عَنِ الدِّينِ) أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ لَتَفْتَرِي عَلَيْنَا غَيْرَهُ وَإِذَا) لو فعلت ذلك (لَا تَخْذُوكَ خَلِيلًا . وَلَوْ لَا أَنْ تَبْتَئَكَ) على الحق بالعصمة (لَقَدْ كَذَبْتَ) قاربت (تَرْكُنُ) تميل (إِلَيْهِمْ شَيْئًا) ركونا (قَلِيلًا) لشدة احتياهم وإلحاحهم وهو صريح في أنه صلى الله عليه وسلم لم يركن ولا قارب (إِذَا) لو ركنت (لَأَذَقْنَاكَ ضَعْفَ) عذاب (الْحَيَاةِ وَضَعْفَ) عذاب (الْمَمَاتِ) ،

يسكنون الطائف . وحاصله أنهم قالوا للنبي صلى الله عليه وسلم : لا تدخل في أمرك حتى تعطينا خلاصا تفتخر بها على العرب لا نعشر ولا نحشر ولا نجبي في صلاتنا ، فالمراد بقولهم لا نعشر لا نعطي العشر من الزكاة وبقولهم لا نحشر لا نؤمر بالجهاد وبقولهم لا نجبي بضم النون وفتح الجيم وتشديد الباء الموحدة مكسورة لأزكع ولا نسجد في صلاتنا ، والمراد لا نصلي وكل ربا لنا فهو لنا وكل ربا علينا فهو موضوع عنا وأن تمتعنا باللات سنة حتى نأخذ ما يهدى لها . فاذا أخذناه كسرناها وأسلمنا ، وأن تحرم وادينا كما حرمت مكة فإن قالت العرب لم فعلت ذلك ؟ فقل إن الله أمرني فسكت النبي وطمع القوم في سكوتهم أن يعطيهم ذلك فأنزل الله وإن كادوا الخ (قوله مخففة) أى واصمها ضمير الشأن (قوله يستنزلونك) أى يطلبون نزولك عن الحكم الذي أوحينا إليك من الأوامر والنواهي (قوله لتفتري) أى تحتلق وتكذب (قوله غيره) أى غير ما أوحينا إليك (قوله وإذا) هي حرف جواب وجزاء تقدر بلو الشرطية كما قال المفسر (قوله لا تخذوك) جواب قسم محذوف تقديره والله لا تخذوك وهو مستقبل في المعنى لاقتضاء المجازاة الاستقبال (قوله وهو صريح) أى قوله لقد كذبت تركن إليهم (قوله لم يركن) أى بالطريق الأولى وقوله ولا قارب أى بمنطوق التركيب . والمعنى امتنع قربك من الركون لوجود تبيننا بياك وإذا امتنع القرب من الركون فامتناع الركوع أولى (قوله لو ركنت) للناسب أن يقول لو قاربت الركون لأن جواب لولا هو للقاربة ولأن حسنات الأبرار صلتا المقربين فإن القاربة من فعل القبيح لا عذاب عليها موما والكاملون بشدد عليهم

وإذا محنت القرب فأعزف لغزوه إن السخى لمن يحب صحيح

(قوله أي مثلى ما يعذب غيرك) أي من جميع الخلق، والمعنى لو قارب الركون لأتزلنا عليك عذاباً في الدنيا والآخرة مثل عذاب الخلق مرتين (قوله مانعا منه) أي من العذاب الضاعف (قوله لما قال له اليهود الخ) وذلك أن النبي صلى الله عليه وسلم لما قدم للدينة كره اليهود مقامه فيها فأثوه فقالوا يا أبا القاسم لقد علمت ما هذه بأرض الأنبياء فإن أرض الأنبياء الشام وهي الأرض المقدسة وكان بها إبراهيم والأنبياء فإن كنت نبيا مثلهم فانت الشام وإنما يمنعك من الخروج إليها مخافة الروم وإن الله سيمنعك من الروم إن كنت رسوله ، فسار النبي بجيشه على ثلاثة أميال من المدينة ، وفي رواية إلى ذى الحليفة حتى يجتمع إليه أصحابه ويأتي الإذن من الله فيخرج فنزلت هذه الآية فرجع وسلطه الله عليهم فقتل منهم بنى قريظة وأجلى بنى النضير بعد زمن قليل وهذا مبنى على أن الآية مدنية وأما على أن الآية مكية فالمراد بالأرض أرض العرب ، والمعنى هم المكفرون أن يخرجوه منها فمنعهم الله عنه ولم ينالوا منه ما أملوه (قوله ليستفزونك) أي يزعمونك بمكرهم وعداوتهم (قوله وإذا لا يلبثون) العامة على ثبوت النون ورفع الذلل لمعطيه على قوله ليستفزونك وقرئ شذوذاً بحذف النون وخرجت على أنه منصوب بإذن (قوله خالفك) وفي قراءة خلافك وهما سبعينان والمعنى واحد (قوله لا قليلا) صفة لمصدر أو لزمان محذوف : أي إلا لبثا أو زمانا قليلا (قوله سنة من قد أرسلنا) سنة منصوب بنزع الخافض كما أشار له (٣٣٥) المفسر بقوله : أي كسنتنا ،

والمعنى تفعل باليهود من إهلاكهم لو أخرجوك كسنتنا فيمن قد مضى من الرسل حيث نهلك من أخرجهم وهذا على أن الآية مدنية ، وعلى أنها مكية فالمعنى تفعل بأهل مكة الذين عزموا على إخراجك كما فعلنا بمن مضى قبلهم وقد قطع الله دابرهم بسيفه صلى الله

أي مثلى ما يعذب غيرك في الدنيا والآخرة (ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ عَاقِبَةً نَصِيرًا) ماها منه ، ونزل لما قال له اليهود إن كنت نبيا فالحق بالشام فإنها أرض الأنبياء (وإن) مخففة (كَادُوا لَيَسْتَفْزِرُوا نَكَ مِنَ الْأَرْضِ) أرض المدينة (لِيُخْرِجُوكَ مِنْهَا وَإِذَا) لو أخرجوك (لَا يَلْبَثُونَ خَلْفَكَ) فيها (إِلَّا قَلِيلًا) ثم يهلكون (سُنَّةً مِّن قَدْ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنْ رُّسُلِنَا) أي كسنتنا فيهم من إهلاك من أخرجهم (وَلَا تَجِدُ لِسُنَّتِنَا تَحْوِيلًا) بتديلا (أَقِمِ الصَّلَاةَ لِذُلُوكِ الشَّمْسِ) أي من وقت زوالها (إِلَى غَسَقِ اللَّيْلِ) إقبال ظلمته أي الظهر والعصر والمغرب والعشاء (وَقُرْآنَ الْفَجْرِ) صلاة الصبح (إِنَّ قُرْآنَ الْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا) تشهد ملائكة الليل وملائكة النهار (وَمِنَ اللَّيْلِ فَسَبِّحْهُ) فصل (بِهِ) بالقرآن (نَافِلَةً لَّكَ) :

عليه وسلم في بدر وغيرها (قوله أقم الصلاة) أي دم على أداء الصلاة التي فرضها الله عليك وهي الصلوات الخمس بشروطها وأركانها وأدائها (قوله لذولك الشمس) مادة الذلوك تدل على التحول والاتقال ومنه الدلاك لعدم استقرار يده وفي الزوال انتقال الشمس من وسط السماء إلى ما يليه ويستعمل في الغروب أيضا (قوله أي من وقت زوالها) أشرب ذلك إلى أن اللام بمعنى من الابتدائية والكلام على حذف مضاف والذلول بمعنى الزوال ويصح أن تكون اللام على بابها للتعليل ويصح أن تكون بمعنى بعد والأسهل ما قاله المفسر (قوله إلى غسق الليل) الجار والمجرور متعلق بمحذوف حال من فاعل أقم ، والتقدير أقم الصلاة مبتدئا من ذلوك الشمس منتها إلى غسق الليل (قوله وقرآن الفجر) بالنصب عطف على الصلاة (قوله صلاة الصبح) أي وصحيت قرأنا لأنه أحد أركانها فسميت باسم بعضها (قوله تشهد ملائكة الليل الخ) أي تحضره الملائكة الحافظة لما في الحديث « إن لله ملائكة يتعاقبون فيكم ملائكة بالليل وملائكة بالنهار فيجتمعون عند صلاة الصبح وعند صلاة العصر في مد الدين باتوا فيكم فيسألهم الله وهو أعلم بهم فيقول ماذا تركتم عبادي ؟ فيقولون تركناهم وهم يصلون وأتيناهم وهم يصلون » وأخذ مالك من الآية أن الصلاة الوسطى هي الصبح (قوله ومن الليل) الجار والمجرور متعلق بتعبد ومن بمعنى بعض ، والتعبد في الأصل من المجود وهو النوم بالليل ثم استعمل في الصلاة بالليل بعد الانقباض من النوم فهو من تسمية الأضداد يستعمل في النوم وضده ، والمعنى انتبه من نومك وصل في جوف الليل والناس نيام (قوله بالقرآن) أي فالضهير عائد على القرن لا المعنى المتعبد فيه استخدم .

(قوله فريضة زائدة لك) هذا مبنى على أن قيام الليل كان واجبا عليه دون أمته وحيفتد ليكون معنى النافلة الزيادة للعبادة (قوله أو نضية) تفسير ثان وهو مبنى على أنه في حقه مندوب فالنافلة على بابها . إن قلت على هذا التفسير لاختصاصه للنبي صلى الله عليه وسلم بذلك بل هو مندوب لأمرته كذلك . أجب بأنها له علة درجات وشكره على نعمائه لما في الحديث « كان يقوم الليل حتى تورمت قدماء ، فقالت له عائشة أفعل ذلك وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر ؟ فقال أفلا أكون عبدا شكورا » ولغيره تكفير لدنوبه وخطراته وتهجده صلى الله عليه وسلم لم يزد في رمضان ولا في غيره على ثلاث عشرة ركعة اثنتان خفيفتان وما بقي طوال (قوله عسى أن يبعثك الخ) عسى في كلام الله للتحقيق لأنه وعد كريم وهو لا يخلف (قوله مقاما) منصوب بيبعثك لأنه مضمن معنى يقيمك ، وإليه يشير المفسر بقوله يقيمك في الآخرة مقاما (قوله وهو مقام الشفاعة في فصل القضاء) أى حين يجمع الله الناس في صعيد واحد وتدنو الشمس حتى يكون بينها وبين رؤوس الخلائق قدر للورد وتحيط النار بهم والملائكة تحقق بهم سبع صفوف حتى يكون على القدم ألف قدم أو مائة ألف قدم على قدم فيشتد الكرب على الخلائق فيذهبون إلى آدم فيستأمنونه الشفاعة ، فيقول إني أسألك من الشجرة ولكن اتوانواحياءتونه فيستأمنونه الشفاعة ، فيقول إني دعوت على قومي ولكن اتوا إبراهيم فيأتونه ، فيقول إني كذبت ثلاث كذبات ولكن اتوا موسى فيأتونه ، فيقول إني قتلت نفسا ولكن اتوا عيسى فيأتونه ، فيقول إني قومي عبدوني من دون الله ولكن اتوا محمدا صلى الله عليه وسلم فيأتونه ، فيقول أنا لها أنا لها فيستأذن الله فيؤذن له ثم يخرج ساجدا ويثني على الله بثناء عظيم ، فيقال له ارفع رأسك

وقل نسمع واشفع تشفع
وسل تعط نرفع رأسه
حينئذ ينفض الوقت
ويدخل أهل الجنة الجنة
وأهل النار النار ثم ينفع
ثانيا فيخرج من النار من
كان في قلبه مثقال ذرة
من إيمان ، وفي الحديث
« أناس يدعونهم آدم ولا يغفر
ويدي لواء الحمد ولا يغفر

فريضة زائدة لك دون أمتك أو فضيلة على الصلوات المفروضة (عسى أن يبعثك) يقيمك (ربك) في الآخرة (مقاما محمودا) يحمذك فيه الأولون والآخرون وهو مقام الشفاعة في فصل القضاء . ونزل لما أمر بالهجرة (وَقُلْ رَبِّ أَدْخِلْنِي) المدينة (مُدْخِلَ صِدْقٍ) إدخالا مرضيا لا أرى فيه ما أكره (وَأُخْرِجْنِي) من مكة (مُخْرَجَ صِدْقٍ) إخراجا لا ألقت بقلبي إليها (وَأَجْعَلْ لِي مِنْ لَدُنْكَ سُلْطَانًا نَصِيرًا) قوة تنصرني بها على أعدائك (وَقُلْ) عند دخولك مكة (جَاءَ الْحَقُّ) الاسلام (وَزَهَقَ الْبَاطِلُ) بطل الكفر (إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا) مضمحلا زائلا « وقد دخلها صلى الله عليه وسلم وحول البيت ثمانية وستون صنما فجعل يطعنهما بعد في يده ويقول ذلك حتى سقطت » . رواه الشيخان .

(ونزل)

آدم فمن دونه تحت لوائه (قوله لما أمر بالهجرة) فيه أن الآية مدنية

إلأن يقال إن ما هنا مرور على القول بأن السورة كلها مكية وهو ما مشى عليه البيضاوي أول السورة كما تقدم (قوله أدخلني المدينة) أى تسمى طيبة وقبة الاسلام وقد استنارت به صلى الله عليه وسلم (قوله مدخل صدق) المدخل بضم الميم والمخرج كذلك لأن فاعلها رابح مصدران بمعنى الإدخال والإخراج (قوله مرضيا) أى تطمئن به نفسى بحيث لا يزحجنى شئ (قوله لا ألقت بقلبي إليها) أى إلى مكة لبلوغ الآمال بغيرها وما تقدم من شرح تلك الآية هو ما مشى عليه المفسر ، وقيل أدخلني في أمرك الذى أرسلتنى به من النبوة مدخل صدق وأخرجني من الدنيا وقد قلت بما وجب على من حق النبوة مخرج صدق وقيل أدخلني في طاعتك مدخل صدق وأخرجني من المناهى مخرج صدق ، وقيل أدخلني حينما أدخلتنى بالصدق وأخرجني بالصدق ولا تجمانى ممن يدخل بوجه ويخرج بوجه فلن ذا الوجهين لا يكون أمينا عند الله ولورود تلك المعاني استعملتها الصوفية على حسب مقاصدهم لأن العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب (قوله قوة تنصرني بها على أعدائك) أى وقد أحلب الله دعاءه فوعده بملك فارس والروم وقال له - والله يصمك من الناس - وقال - ليظهره على الدين كله - (قوله قل عند دخولك مكة) أى يوم الفتح (قوله وزهق الباطل) يقال زهق اضمحل وزهقت روحه خرجت (قوله يطعنهما) أى يطعن كلا منها في عينه (قوله حتى سقطت) أى مع أنها كانت مثبتة بالحديد والرصاص وبقى منها صنم خراعة فوق الكعبة وكان من نحاس أصفر ، فقال النبي باعلى لرم به فصعد فرمى به فكسره .

(قوله من البيان) أى لبيان الجنس وقدم على البين اهتماما بشأنه فالقرآن قليله وكثيره شفاء من الأمراض الحسية الظاهرية بدليل ماورد في حديث الفاتحة « وما يدريك أنها رقية » وشفاء من الأمراض العنوية الباطنية كالاتقادات الباطلة والأخلاق المذمومة كالكبر والعجب والرياء وحب الدنيا والحرص والبخل وغير ذلك لاشتغال على التوحيد وأدلتها وعلى مكارم الأخلاق وأدلتها ، وما مشى عليه الفسر من أن من البيان هو التحقيق لماورد « خدم القرآن ماشئت » وورد « من يستشف بالقرآن لشفاء الله » وقيل إنها للتبويض ، والمعنى أن منه مايشفى من الأمراض كالفاتحة وآيات الشفاء (قوله من الضلالة) أى سوء الاعتقاد وخست بالله كرمع أنه شفاء من الأمراض الحسية أيضا لأن الضلالة رأس الأمراض (قوله ورحمة) أى بركة دنيوية وأخروية فهو عطف عام (قوله للؤمنين) أى فهم المتصفون به دون غيرهم ولكن يشترط حسن النية والاعتقاد والجزم بالإجابة (قوله ولايزيد الظالمين إلا خسارا) أى نقصا وطغيانا لأنهم لا يصدقون به فخرموا من الاتفاف به (قوله وإذا أنعمنا على الإنسان) أى بأن أعطيناه الصحة والغنى (قوله الكافر) أى فهذه الأوصاف في حقه وكل ماورد في حق الكفار من الذم فانه يجزى بذيله على عصاة الأمة للتصفين بتلك الأوصاف (قوله أعرض عن الشكر) أى عن صرف التمس في مصارفها وتكبر وتعاظم (قوله فهو عطفه) أى لوى جانبه (قوله متبخترا) أى متكبرا (قوله كان يثوسا) أى غير راج رحمة الله ، ولا ينافى ما هنا قوله تعالى في الآية الأخرى - وإذا مسه اشتر فذود دعاء عريض - لأن الكفار مختلفون فبعضهم في حال الشر يكثر الدعاء وبعضهم يقتط من رحمة الله أو يقال إنهم وإن أكثروا الدعاء ظاهرا ، هم قانطون في الباطن من رحمة الله (قوله على شكتهم) أى كل واحد منا ومنكم يعمل على حالته وطبيعته وروحه التى جبل عليها فالروح السعدة صاحبها (٣٣٧) يعمل عمل السعداء وتظهر منه الأخلاق المرضية

(وَنَزَّلُ مِنَ) للبيان (الْقُرْآنَ مَا هُوَ شِفَاءٌ) من الضلالة (وَرَحْمَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ) به (وَلَا يَرِيدُ الظَّالِمِينَ) الكافرين (إِلَّا خَسَارًا) لكفرهم به (وَإِذَا أَنعَمْنَا عَلَى الْإِنسَانِ) الكافر (أَعْرَضَ) عن الشكر (وَنَأَى بِجَانِبِهِ) ثنى عطفه متبخترا (وَإِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ) الفقر والشدة (كَانَ يَثُوسًا) قنوطا من رحمة الله (قُلْ كُلُّ) منا ومنكم (يَعْمَلُ عَلَى شَأْنِهِ) طريقته (فَرُبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَنْ هُوَ أَهْدَى سَبِيلًا) طريقا فيثيبه (وَيَسْأَلُونَكَ) أى اليهود (عَنِ الرُّوحِ) الذى يحيا به البدن (قُلْ) لهم (الرُّوحُ ،

يجوز أن يكون من اهتدى على حذف الزوائد وأن يكون من هدى للمعدي وأن يكون من هدى القاصر بمعنى اهتدى وسبيلا تمييز على كل حال وفي الآية اكتفاء أى وبمن هو أضل سبيلا (قوله ويسألونك عن الروح) سبب نزولها كما قال ابن عباس أن قريشا اجتمعوا وقالوا إن عمدا نشأ فينا بالأمانة والصدق وما اتهمناه بكذب وقد ادعى ما ادعى فابتهوا نفرا إلى اليهود بالمدينة واستأوهم عنه فانهم أهل كتاب فبعثوا جماعة إليهم فقالت سلوه عن ثلاثه أشياء فإن أحببنا عن كلها أولم يجب عن شئ منها فلبس بنى وإن أحببنا عن اثنين ولم يجب عن واحد فهو نبى فاستأوه عن فتية فقتلوا في الزمن الأول ما كان أمرهم فانه كان لهم حديث عجيب وعن رجل بلغ شرق الأرض وغربها ما خبره وعن الروح فسألوا النبى صلى الله عليه وسلم فقال أخبركم بما سألتكم غدا ولم يقل إن شاء الله فلبث الوحى اثني عشر وقيل خمسة عشر وقيل أربعين يوما وأهل مكة يقولون وعدنا عمدا غدا وقد أصبحنا لا نخبرنا بشئ حتى حزن رسول الله صلى الله عليه وسلم من مكث الوحى وشتى عليه مايقوله أهل مكة ثم نزل جبريل عليه السلام بقوله تعالى - ولا تقولن لشيء - فإفعل ذلك غدا إلا أن يشاء الله - ونزل في الفتية : أم حسبت أن نجيب الكهف والرقيم كانوا من آياتنا عجبا إذ أوى الفتية إلى الكهف - الآيات ، ونزل فيمن بلغ المشرق والمغرب - ويسألونك عن ذى القرنين - والآيات ، ونزل في الروح قوله تعالى - ويسألونك عن الروح - الآية فأصل السؤال من اليهود والنصارى قريش (قوله عن الروح) أى عن حقيقة الروح الذى به حياة البدن وهذا هو الأصح ، وقيل الروح التى سألوها عنها هو جبريل وقيل ملك له سبعون ألف وجه لكل وجه سبعون ألف لسان يسبح الله تعالى بجميع ذلك فيخلق الله تعالى بكل تسبيحة ملكا وقيل إنهم جند من جنود الله على صورة بنى آدم لهم أيد وأرجل ورموس ليسوا بملائكة ولا أناس يأكلون الطعام ، وقيل ملك عظيم عن بين العرش لو شاء أن يتعام السموات السبع في لقمة واحدة لا تبلعها ليس شيء أعظم منه إلا تعرف

يُشْفَعُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ - أَهْلُ التَّوْحِيدِ مُتَجَبِّعُونَ مِنَ الْمَلَائِكَةِ لَوْ كُشِفَ لَهُمْ عَنْهُ لَاحْتَرَقُوا مِنْ نُورِهِ ، وَقِيلَ عَيْسَى ، وَقِيلَ الْقُرْآنُ (قوله من أمر ربّي) أى بما أسأرك الله بعلمه وهذا هو الصحيح وقيل الروح على الدم وقيل النفس ونقل عن بعض أصحاب مالك أنها صورة بكسد صاحبها ، وفى الآية اقتصار على وصف الروح كما اقتصر موسى فى جواب قول فرعون ومارب العالمين على ذكر صفاته فإن إدراكه بالسكنة على ما هو عليه لا يعلمه إلا الله (قوله وما أوتيتم من العلم إلا قليلاً) رد لقول اليهود أوتينا التوراة وفيها العلم الكثير بدليل القراءة الشاذة وما أوتوا ، وقيل الخطاب عام لجميع الخلق أى إن الخلق عموماً وإن أعطوا من العلم ما أعطوا فهو قليل بالنسبة لعلمه تعالى (قوله ولئن شئنا) هذا امتنان من الله تعالى على نبيه صلى الله عليه وسلم بالقرآن وتحذيره عن التفريط فيه والمقصود غيره ، والمعنى حافظوا على العمل بالقرآن واحذروا من التفريط فيه فانتا قادرون على إذهابه من صدوركم ومصاحفكم ولكن إبقاؤه رحمة بكم (قوله لام قسم) أى وجوابه قوله لنذهبن وجواب الشرط محذوف لدلالة جواب القسم عليه (قوله لكن أبقيناه) أشار بذلك إلى أن الاستثناء منقطع وقدره ولكن على طريقة البصريين وعند الكوفيين بقدر بيل وقوله أبقيناه أى إلى قرب قيام الساعة فعند ذلك يرفع من المصاحف والصدور لما فى الحديث « لا تقوم الساعة حتى يرفع القرآن من حيث نزل له دوى حول العرش فيقول الله مالك فيقول أتلى فلا يعمل بى ولا يرفع القرآن حتى تموت حملته العاملون به ولا يبقى إلا لكع ابن لكع فعند (٣٣٨) ذلك يرفع من المصاحف والصدور ويفيضون فى الشعر فتخرج الدابة

وتقوم القيامة بأثر ذلك»
(قوله حيث أنزله) علة لقوله إن فضله كان عليك كبيراً (قوله وغير ذلك) أى ككونك خاتم المرسلين وسيد ولد آدم ونحو ذلك (قوله قل لئن اجتمعت الانس والجن) وموطئة لقسم محذوف جوابه قوله لا يأتون بمثله ولم يقل والملائكة مع أنه معجز لهم أيضاً لأنهم

مِنْ أَمْرِ رَبِّي) أى علمه لا تعلمونه (وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا) بالنسبة إلى علمه تعالى (وَلَئِنْ) لام قسم (شَيْئًا لَنَذْهَبَنَّ بِالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ) أى القرآن بأن نحوه من الصدور والمصاحف (ثُمَّ لَا يَأْتِيَنَّكَ بِهِ عَلَيْنَا وَكِيلًا) لكن أبقيناه (رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ إِنَّ فَضْلَهُ كَانَ عَلَيْكَ كَبِيرًا) عظيماً حيث أنزله عليك وأعطاك المقام المحمود وغير ذلك من الفضائل (قُلْ لَئِنْ أَجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ) فى الفصاحة والبلاغة (لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا) معينا ، نزل ردّاً لقولهم لو نشاء لقلنا مثل هذا (وَلَقَدْ صَرَّفْنَا) بينا (لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ) صفة لمحذوف أى مثلاً من جنس كل مثل ليتعظوا (فَأَبَى أَكْثَرُ النَّاسِ) أى أهل مكة (إِلَّا كُفُورًا) جحوداً للحق (وَقَالُوا) عطف على أبى (لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ ،

حق

مسلمون منقادون فلا يحتاج لرد عليهم (قوله لا يأتون بمثله) أى لأنه

خارج عن طوق البشر لأن الكلام على حسب علم المتكلم وهو قد أحاط بكل شىء علماً وقوله بمثله أى كلاً أو بعضاً قال بعضهم إن أقل الاعجاز يقع بآية. قال البوصيرى : وقال بعضهم : إن أقل الاعجاز يكون بأقصر سورة لأنه لم يكن فى القرآن آية مفردة بل الآية تستلزم مناسبة لما قبلها وما بعدها فتكون ثلاث آيات (قوله ولو كان بعضهم الخ) عطف على محذوف تقديره لا يأتون بمثله ولم يكن بعضهم لبعض ظهيراً ، ولو كان الخ (قوله نزل رداً الخ) مرتبط بما قبله (قوله ولقد صرّفنا للناس) أى كررنا وأظهرنا ، ومن زائدة فى المفعول ، أى صرّفنا للناس كل مثل ، والمثل المعنى القريب (قوله فأبى أكثر الناس) أى امتنعوا (قوله جحوداً للحق) الجحود الإنكار مع العلم والمعادنة فهو أخص من مطلق الإنكار (قوله وقالوا لن نؤمن لك الخ) لما أقام الحجة عليهم ولم يستطيعوا ردها أخذوا يطلبون أشياء على وجه العناد فقالوا لن نؤمن لك الخ روى عكرمة عن ابن عباس « أن نفراً من قريش اجتمعوا بعد غروب الشمس عند الكعبة وطلبوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فجاءهم فقالوا يا محمد إن كنت جئت بهذا الحديث يعنون القرآن تطالب به مالا جمعنا لك من أموالنا حتى تكون أكثرنا مالا وإن كنت تريد الشرف سؤدناك علينا وإن كنت تريد ملكاً ملكناك علينا وإن كان هذا الذى بك ربنا من الجن تراه قد غلب عليك لا تستطيع رده بذلتك أموالنا فى طلب الطب حتى نبرئك منه وكانوا يسمون التابع من الجن ربنا ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما بى شىء مما تقولون

ولكن الله بعث إليكم رسولا وأنزل على كتابا وأمرني أن أكون بشيرا ونذيرا فبليتكم رسالة ربي ونصحت لكم فان قبلوا مني فهو حظكم من الدنيا والآخرة وإن تردوه علي أصبر وأمر الله عز وجل حتى يحكم الله بيني وبينكم ، فقالوا يا محمد إن كنت صادقا فيما تقول فسل لنا ربك الذي بعثك فليسبر عنا هذا الجبل الذي قد ضيق علينا ويسط لنا بلادا ويفجر لنا فيها الأنهار » إلى آخر ما قص الله عنهم (قوله حتى تفجر) بضم التاء وفتح الفاء وتشديد الجيم مكسورة وفتح التاء وضم الجيم مخففة قراءتان سبعيتان هنا فقط ، وأما قوله فتفجر فالقراءة الأولى لا غير (قوله ينبوعا) أى عينا لا يغور ماؤها ولا يذهب (قوله جنة) أى بستان (قوله كما زعمت) أى قلت : إن نشأ نخسف بهم الأرض أو نسقط عليهم كسفا من السماء (قوله كسفا) يسكون السين وفتحها قراءتان سبعيتان (قوله قبلا) حال من الله والملائكة أى حال كونهم مرتبين لنا (قوله أو ترقى) هو بفتح القاف مضارع رقى بكسرها والمصدر رقا ومعناه الصعود الحسى ، وأما فى المعاني فبفتح القاف فى الماضى والمضارع يقال رقى فى الخير ، وأما الرقا للمريض فماضيا رقى كرمى (قوله لورقيت) بكسر القاف (قوله تقروءه) حال مقدرة من الضمير فى علينا أو نعت لكتاب (قوله تعجب) أى من اقتراحتهم وتنزيه له (٣٣٩) سبحانه وتعالى عن أن يشاركه أحد

فى ألوهيته (قوله هل كنت إلا بشرا رسولا) أى وليس فى طائفتى الاتيان بما تتطلبونه (قوله وما منع الناس أن يؤمنوا) أن وما دخلت عليه فى تأويل مصدر مفعول ثان لمنع والتقدير وما منع الناس الايمان وقوله إلا أن قالوا فى تأويل مصدر فاعل منع وقوله إذ جاءهم الهدى ظرف لقوله منع والمعنى لا يمنع الناس من الايمان وقت مجيء الهدى لهم إلا قولهم أبعث الله بشرا رسولا وخص بالذكر مع أن الواضع لهم كثيرة

حَتَّى تُفَجَّرَ لَنَا مِنَ الْأَرْضِ يَنْبُوعًا) عَيْنًا يَنْبُعُ مِنْهَا الْمَاءُ (أَوْ تَكُونَ لَكَ جَنَّةٌ) بستان (مِنْ تَحْتِهَا) وَعَيْنٌ فَتُفَجَّرَ الْأَنْهَارُ خِلَافَهَا (وَسَطُهَا) تَفْجِيرًا . أَوْ تُسْقَطَ السَّمَاءُ كَمَا زَعَمْتَ عَلَيْنَا كِسْفًا) قَطْعًا (أَوْ تَأْتِيَنَا بِاللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ قَبِيلًا) مُقَابَلَةً وَعَيْنًا فَتَرَاهُمْ (أَوْ يَكُونَ لَكَ بَيْتٌ مِنْ زُخْرَفٍ) ذَهَبٍ (أَوْ تَرْقَى) تَصْعَدُ (فِي السَّمَاءِ) بِسَلَمٍ (وَلَنْ نُؤْمِنَ لِرُقِيِّكَ) لَوْ رَقِيتَ فِيهَا (حَتَّى تُنْزَلَ عَلَيْنَا) مِنْهَا (كِتَابًا) فِيهِ تَصْدِيقُكَ (تَقْرَؤُهُ ، قُلْ) لَهُمْ (سُبْحَانَ رَبِّيَ) تَعَجُّبٌ (هَلْ) مَا (كُنْتُ إِلَّا بَشَرًا رَسُولًا) كَسائر الرسل ولم يكونوا يأتوا بآية إلا بإذن الله (وَمَا مَنَعَ النَّاسَ أَنْ يُؤْمِنُوا إِذْ جَاءَهُمُ الْهُدَى إِلَّا أَنْ قَالُوا) أَيْ قَوْلُهُمْ مُنْكَرِينَ (أَبْعَثْ اللَّهُ بَشَرًا رَسُولًا) وَلَمْ يَبْعَثْ مَلَكًا (قُلْ) لَهُمْ (لَوْ كَانَ فِي الْأَرْضِ) بِدَلِّ الْبَشَرِ (مَلَائِكَةٌ يَنْشُورُونَ مُطْمَئِنِّينَ لَنَزَّلْنَا عَلَيْهِمْ مِنَ السَّمَاءِ مَلَكًا رَسُولًا) إِذْ لَا يَرْسِلُ إِلَى قَوْمٍ رَسُولٌ إِلَّا مِنْ جَنْسِهِمْ لِيَكُنْهُمْ مَخَاطِبَتَهُ وَالْفَهْمُ عَنْهُ (قُلْ كَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ) عَلَى صَدْقِ (إِنَّهُ كَانَ بِعِبَادِهِ خَبِيرًا بَصِيرًا) عَالِمًا بِبُيُوتِهِمْ وَظَوَاهِرِهِمْ (وَمَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ وَمَنْ يُضِلِّ فَلَنْ تَجِدَ لَهُمْ أَوْلِيَاءَ) يَهْدُونَهُمْ (مِنْ دُونِهِ وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ) مَا شِئْنَا (عَلَى وَجُوهِهِمْ ،

لأنه أعظمها (قوله قل لهم) أى ردا لشبهتهم (قوله لو كان فى الأرض ملائكة الخ) أى جرت عادة الله فى خلقه أنه لا يرسل لخلقهم رسولا إلا من جنسهم لأنهم يألفونه ويستطيعون خطابه بخلاف ما إذا أرسل لهم رسولا من غير جنسهم فأنهم لا يستطيعون رؤيته ولا خطابه لعدم الألفة بينهم فلو كان فى الأرض ملائكة يمشون مثلكم وتألفونهم لا أنزل عليكم ملكا رسولا (قوله مطمئنين) أى مستوطنين بها لا يرجون إلى السماء (قوله شهيدا) أى على أتى رسول الله إليكم وقد بلغكم ما أرسلت به إليكم وأنكم كذبتهم وعاندتم (قوله إنه كان عباده خيرا بصيرا) فيه تسلية له صلى الله عليه وسلم ووعيد للكفار (قوله من يهد الله) أى من يخلق فيه الهدى ، وقوله فهو المهتد أى يكون كذلك فى الدنيا بمعنى أنه يكون حاله فى الدنيا مطابقا لما قدره الله له أولا وبذلك اندفع ما يقال إن فيه اتحاد الشرط والجزاء والمهتد بحذف الياء من الرسم هنا وفى الكهف قاتها فى الموضعين من يا آت الزوائد وأما فى النطق فتحذف وصلا ووقفا عن بعض القراء ووقفا لا وصلا عند بعضهم (قوله فلن نجد لهم أولياء) أى أنصارا (قوله على وجوههم) الجار والمجرور متعلق بحذف حال من الهاء فى نحشره قدره المفسر بقوله ما شئنا ، روى عن أنس « أن رجلا قال : يا رسول الله قال الله الذين يحشرون على وجوههم إلى جهنم أبحشر الكافر على وجهه قال رسول الله

صلى الله عليه وسلم : أليس الذى أمشاه على الرجلين فى الدنيا قادرا على أن يمسيه على وجهه يوم القيامة ، وروى أيضا « يحضر الناس يوم القيامة ثلاثة أصناف صنفا مشاة وصنفارا كبا وصنفا على وجوههم . قيل يارسول الله وكيف يمشون على وجوههم ؟ قال إن الذى أمشاهم على أقدامهم قادر أن يمسيهم على وجوههم أما إنهم يلقون بوجوههم كل حذب وشوكه والحذب ما ارتفع من الأرض (قوله عميا وبكما وصبا) أى لا يبصرون ولا ينطقون ولا يسمعون . إن قلت كيف وصفهم الله بذلك ، عننا وأثبت لهم ضد تلك الأوصاف فى قوله : ورأى المجرمون النار ، دعوا هنالك نبورا ، سمعوا لها تغيظا وزفيرا . أعيب بأن المعنى عميا لا يرون ما يسرهم وبكما لا يتكلمون بحجة وصبا لا يسمعون ما يسرهم ، أو المعنى يحشرون معدوى الحواس ثم تعاد لهم (قوله مأواهم جهنم) أى مسكنهم ومقرهم (قوله كلما خبت) أصله خبوت كقعدت تحركت الواو وانفتح ما قبلها قلبت ألفا فالتقى سا كنان حذفت الألف لالتقائهما (قوله سكن لهما) أى بأن أكلت جلودهم ولحومهم (قوله زدناهم سعيرا) أى بدلناهم جلودا غيرها فتعود ملتبة متسعة (قوله ذلك) أى ما ذكر من أن مأواهم جهنم وإعادتهم بعد فنائهم (قوله وقالوا) معطوف على كفروا (قوله خلقا جديدا) إما مصدر من معنى الفعل أوحال أى مخلوقين (قوله أولم يروا) رد لانكارهم البعث (قوله قادر على أن يخلق مثلهم) أى فلا يستبعد عليه إعادتهم بأعيانهم (قوله أى الأناسى) جمع إنسى وهو البشر (قوله وجعل لهم أجلا) معطوف على جملة أولم يروا فليس داخلا (٣٤٠) فى حيز الانكار (قوله لاريب فيه) أى لاشك فى ذلك الأجل (قوله قل

لهم) أى شرحا لحالهم الذى يدعون خلافها حيث قالوا لن نؤمن لك حتى تفجر لنا الخ أى لأجل أن تنبسط وتنسع فى الرزق وتوسع على القليلين فبين الله لهم أنهم لو ملكوا خزائن الله لداموا على بخلهم وشحهم (قوله لو أنتم تملكون) يجوز أن المسئلة من باب الاشتغال وأنتم مرفوع بفعل مقدر

عُمِيًّا وَبُكْمًا وَمَمَّا مَأْوُهُمْ جَهَنَّمُ كُلَّمَا خَبَتْ) سكن لهما (زِدْنَاهُمْ سَعِيرًا) تلهبا واشتعالا (ذَلِكَ جَزَاؤُهُمْ بِأَنَّهُمْ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا وَقَالُوا) منكرين للبعث (أَءِذَا كُنَّا عِظَامًا وَرُفَاتًا أَعْنَا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا . أَوَلَمْ يَرَوْا) يملوا (أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ) مع عظمهما (قَادِرٌ عَلَى أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ) أى الأناسى فى الصغر (وَجَعَلَ لَهُمْ أَجَلًا) لموت والبعث (لَا رَيْبَ فِيهِ قَابَى الظَّالِمُونَ إِلَّا كُفُورًا) جحودا له (قُلْ) لهم (لَوْ أَنْتُمْ تَمْلِكُونَ خَزَائِنَ رَحْمَةِ رَبِّي) من الرزق والمطر (إِذَا لَأَمْسَكُمْ) لبخلتم (خَشْيَةَ الْإِنْفَاقِ) خوف فنادها بالاتفاق ففقدوا (وَكَانَ الْإِنْسَانُ قَتُورًا) بخيلا (وَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى تِسْعَ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ) واضحات ، وهى : اليد والعصا والطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم والطمس والسنين ونقص الثمرات .

(فستل)

يفسره الظاهر لأن أو لا يلها إلا الفعل ظاهرا أو مضمرا والاصل لو تملكون حذف الفعل لدلالة

ما بعده عليه فانفصل الضمير وهو الواو (قوله إذا لأمسكم) أى منعتم حق الله فيها (قوله خشية الإنفاق) علة للامساك (قوله بخيلا) أى ممسكا عن بذل ما يذنبى فيما يذنبى فالأصل فى الانسان الشح والخارج عنه خالف أصله كما قال تعالى : ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون (قوله ولقد آتينا) اللام موثقة لقسم محذوف (توله يذات) إما منصوب بالكسرة صفة لتسع أو مجرور بها صفة لآيات (قوله واضحات) أى ظاهرات دالة على صدقه (قوله وهى اليد) أى التى كان يضمها إليه ويخرجها فتخرج بيضاء لها شعاع (قوله والعصا) أى التى كان يلقيها فتصير حية عظيمة (قوله والطوفان) أى الماء حتى ملأ بيوتهم ومساكنهم فكانوا لا يستطيعون أن يوقدوا نارا أصلا (قوله والجراد) أى فأكل زروعهم وجوبهم (قوله والقمل) تقدم أنه قيل هو السوس ، وقيل هو القمل المعروف (قوله والضفادع) أى فملأ بيوتهم وطعامهم وشرابهم (قوله والدم) أى فالتقت مياهم دما حتى كادوا يموتون عطشا (قوله والطمس) أى مسخ الأموال حجارة (قوله والسنين ونقص الثمرات) هذان شئ واحد لأن نقص الثمرات لازم للسنين ، وما ذكره المفسر فى عد الآيات التسع هو المشهور لأن هذه التسع هى التى ظهرت على يد موسى تهديدا لفرعون وقومه رجاء لإيمانهم ، وقيل إن التسع هى اليد والعصا والجراد والقمل والضفادع والدم وانفجار الماء من الحجر وانفلاق البحر وتفتق الجبل ، وفيه بعد لأن انفجار الماء من الحجر وانفلاق البحر وتفتق الجبل لم تكن مقصودة لفرعون بل البحر كان هلاكه والباقي بعده ، وقيل إن يهوديا سأل النبي صلى الله عليه وسلم عنها فقال أن لا تشركوا بالله شيئا ولا تسرقوا ولا تزنا

ولا تقتلوا النفس التي حرم الله إلا بالحق ولا تسحروا ولا تأكلوا الربا ولا تشموا يريء إلى ذي سلطان ليقتله ولا تقذفوا عصنة ولا تقروا من الزحف وعليكم خاصة اليهود أن لا تمدوا في السبت فقبل اليهودى يده ورجله ، وعلى هذا فالمراد بالآيات الأحكام التي كلفوا بها وهي عامة ثابتة في جميع الشرائع وقوله وعليكم الخ حكم زائد مخصوص باليهود (قوله فسئل يا محمد بن إسرائيل) أى ليكون قولهم الموافق لك حجة على المشركين ، وعلى هذا فالجملية معترضة بين قصة موسى وفرعون (قوله عنه) أى عن ماجرى بين موسى وفرعون (قوله سؤال تقرير) أى سؤالاً يترب عليه التقرير من بنى إسرائيل وقوله للمشركين اللام للتعليل أى لأجل المشركين ، والمعنى اسئل يا محمد بن إسرائيل عن ماجرى بين موسى وفرعون ليكون ذلك داعياً لإيمان للمشركين وانقيادهم (قوله أوفقلنا له) معطوف على قوله يا محمد ، والمعنى أن الخطاب لموسى وحينئذ فيكون القول مقدرًا والمفعول محذوف والتقدير اسئل فرعون بنى إسرائيل أى اطلبهم منه لتذهب بهم إلى الشام يدل عليه قوله في الآية الأخرى : فأرسل موسى بنى إسرائيل (قوله وفي قراءة) المناسب أن يقول وقرىء لأنها شاذة وإنما القراءة السبعية بالأمر وفيها وجهان الهمز وتركه بنقل حركة الهمزة إلى الساكن (قوله بلفظ الماضى) أى بلامز بوزن قال (قوله إذ جاءهم) ظرف لآتيننا على الاحتمال الأول وعلى الثانى فقد تنازعه كل من آتيننا وقلنا (قوله فقال له فرعون) معطوف على مقدر والتقدير إذ جاءهم فبلغهم الرسالة ووقع بينهم ماوقع من المحاورات فقتل الخ (قوله مغلوباً على عقلك) أشار بذلك (٣٤١) إلى أن مسحوراً باق على معناه

الأصل أى أنك سحرت فقلب على عقلك ويصح أن يكون بمعنى فاعل كشموم أى أظنك ساحراً لا تيسانك بالفرائب والعجائب (قوله لقد علمت) هو بفتح التاء خطاب لفرعون أى فقال له موسى يا فرعون والله لقد علمت إن هذه الآيات ما أنزلها إلا رب السموات والأرض عبراً

(فَسئَلَنِي) يا محمد (بنى إسرائيل) عنه سؤال تقرير للمشركين على صدقك قلنا له أسأل ، وفي قراءة بلفظ الماضى (إِذْ جَاءَهُمْ فَقَالَ لَهُ فِرْعَوْنُ إِنِّي لَأَظُنُّكَ يَا مُوسَى مَسْحُورًا) مخدوعاً مغلوباً على عقلك (قَالَ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا أَنْزَلَ هَؤُلَاءِ) الآيات (إِلَّا رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ بِصَافَرٍ) عبراً ولكنك تمأند وفي قراءة بضم التاء (وَإِنِّي لَأَظُنُّكَ يَا فِرْعَوْنُ مَثْبُورًا) هالكا أو مصروفاً عن الخير (فَأَرَادَ) فرعون (أَنْ يَسْتَفْزِزَهُمْ) يخرج موسى وقومه (مِنَ الْأَرْضِ) أرض مصر (فَأَغْرَقْنَاهُ وَمَنْ مَعَهُ جَمِيعًا) وَقُلْنَا مِنْ بَدْنِهِ لِبَنِي إِسْرَائِيلَ اسْكُنُوا الْأَرْضَ فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الْآخِرَةِ) أى الساعة (جِئْنَا بِكُمْ لَفِيفًا) جميعاً أنتم وهم (وَبِالْحَقِّ أَنْزَلْنَاهُ) أى القرآن (وَبِالْحَقِّ) المشتمل عليه (نَزَلَ) كما أنزل لم يعثره تبديل (وَمَا أَرْسَلْنَاكَ) يا محمد (إِلَّا مُبَشِّرًا) من آمن بالجنة (وَنَذِيرًا) من كفر بالنار (وَقُرْآنًا) ،

وإنما كفرك عناد خوفاً على ضياع ملكك ورياستك (قوله وفي قراءة) أى وهي سبعة أيضاً وقوله بضم التاء أى والضمير لموسى يكون للمعنى لقد أبقت وتحققت أن هذه الآيات التي جئت بها منزلة من عند الله تعالى (قوله وإنى لأظنك) أى أتعتقدك وعبر بالظن مشاكلة فإن ظن فرعون كذب وظن موسى حق وصدق لظهور أماراته (قوله أو مصروفاً عن الخير) أى ممنوعاً عنه (قوله يخرج موسى وقومه) (قوله فأغرقناه ومن معه) أى ففعلنا بهم ما أوردوه بموسى وقومه (قوله من بعده) أى بعد إغراقه (قوله اسكنوا الأرض) أى أرض مصر والشام (قوله أى الساعة) أى القيامة ووعدها وقتها وهو النفخة الثانية (قوله جئنا بكم) أى أحييناكم وأخرجناكم من القبور (قوله جميعاً) أشار بذلك إلى أن لفيفاً اسم جمع لا واحد له من لفظه وقيل مصدر لف لفيظ ، والمعنى جئنا بكم منضمين بعضكم لبعض (قوله وبالحق أنزلناه) معطوف على قوله : وهذا صرّفنا وهذا على أسلوب العرب حيث ينتقلون مما كانوا يصنده نشيء آخر ثم يرجعون له . واختلف المفسرون في الحق الأول والثانى فشئى المفسر على أن المراد بهما الحكم والمواعظ والأمثال التي اشتمل عليها القرآن وإنما التكرير للتأكيّد إشارة إلى أنه لم يتغير ولم يقبل إلى يوم القيامة كما تغيرت التوراة والإنجيل ، وقيل المعنى وما أنزلنا القرآن إلا بالحكمة المقضية لانتزاله لاعبنا وما نزل إلا بالحكم والمواعظ لاشتيماله على الهداية إلى سبيل الرشاد فالحق الأول كناية عن سبب نزوله والحق الثانى هو ما اشتمل عليه من المعاني (قوله المشتمل عليه) أى المحتوى عليه القرآن (قوله لإلهام) ونذيراً) حالان من الكاف في أرسلناك .

(قوله منصوب بفعل) أى فهو من باب الاشتغال وعليه جملة فرقائه لأجل لها من الاعراب والتنوين للتعظيم أى قرأنا عظيمه
(قوله فرقائه) هو بالتخفيف فى القراءة المشهورة وقرئ شذوذا بالتشديد (قوله تزناؤه مفرقا) هذا أحد أقوال فى تفسير قوله
فرقائه ، وقيل بينا حلاله وحرامه ، وقيل فرقنا به بين الحق والباطل (قوله أو وثلاث) أول الحكاية الخلاف أى أنه اختلف فى مدة
نزول القرآن هل هى عشرون سنة أو ثلاث وعشرون وهو المبنى على الخلاف فى تعاقب النبوة والرسالة وتقارنهما (قوله لتقرأه)
متعاق بفرقنا وقوله : على الناس متعاق بتقرأه وكذا قوله : على مكث ولا يلزم عليه تعلق حرفي جر متعاقب اللفظ والمعنى يعامل
واحد لأن الأول فى محل المفعول به والثانى فى محل الحال أى متمهلا فاختلف ناعى (قوله مهل وتؤدة) أى سكينه وتأن (قوله
ليفهموه) أى ليسهل حفظه وفهمه (قوله على حسب البصالح) أى الوقائع التى تقتضى نزوله . فالخاصل أنه نزل مفرقا لحكمتين :
الأولى ليسهل حفظه وفهمه . والثانية اقتضاء الوقائع لذلك قال تعالى : ولا يأتونك بمثل إلا جئناك بالحق وأحسن تفسيراً (قوله تهديد
لهم) أى فاللعن أن إيمانكم لا يزيد القرآن كمالاً وامتناعكم لا يورثه نقصاً (قوله إن الذين أوتوا العلم) تعليل لقوله : آمنوا به
أولاً تؤمنوا ، والمعنى إن لم تؤمنوا به فقد آمن به من هو خير منكم وفيه تسلية له صلى الله عليه وسلم أى لا تعزى على إعراضهم
وعدم إيمانهم وتسلياً بإيمان هؤلاء العلماء (قوله وهم مؤمنوا أهل الكتاب) أى كعبسدد الله بن سلام وسلمان والنجاشي
وأقرانهم (قوله للأذقان) اللام بمعنى (٣٤٢) على أوعلى بابها متعاقبة يبحرون ويكون بمعنى يدلون ونصحت

الأذقان بالذكر لأنها أول
جزء من الوجه تقرب
من الأرض عند السجود
وسجدا حال أى ساجدين
لله على إنجاز وعده الذى
وعدهم به فى الكتب
القديمة أنه يرسل محمدا
صلى الله عليه وسلم
وينزل عليه القرآن
(قوله ويقولون) أى
فى حال سجودهم (قوله
عن خلف الوعد) أى

منصوب بفعل يفسره (فَرَقْنَاهُ) نزلناه مفرقاً في عشرين سنة أو ثلاث (لِنَتَرَاهُ عَلَى النَّاسِ عَلَى مُكْثٍ) مهل وتؤدة ليفهموه (وَنَزَّلْنَاهُ تَنْزِيلًا) شيئاً بعد شيء على حسب المصالح (قُلْ) لكفار مكة (آمِنُوا بِهِ أَوْ لَا تُؤْمِنُوا) تهديد لهم (إِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مِنْ قَبْلِهِ) قبل نزوله وهم مؤمنوا أهل الكتاب (إِذَا يَتْلَى عَلَيْهِمْ يُخْرُونَ لِلْأَذْقَانِ سُجَّدًا وَيَقُولُونَ سُبْحَانَ رَبَّنَا) تنزيها له عن خلف الوعد (إِنَّ) مخففة (كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا) بنزوله وبمعث النبي صلى الله عليه وسلم (لَمَفْعُولًا . وَيَخْرُونَ لِلْأَذْقَانِ يَبْكُونَ) عطف بزيادة صفة (وَيَزِيدُهُمُ) القرآن (خُشوعًا) تواضعاً لله ، وكان صلى الله عليه وسلم يقول يا الله يا الرحمن فقالوا ينهانا أن نعبد إلهين وهو يدعو إلهاً آخر معه فنزل (قُلْ) لهم (أَدْعُوا اللَّهَ أَوْ أَدْعُوا الرَّحْمَنَ) أى سموه بأيهما أو نادوه بأن تقولوا يا الله يا الرحمن ،

(۱)

الذى رأيناه فى كتبنا بانزال القرآن وإرسال محمد صلى الله عليه وسلم

(قوله عتفة) أى واسمها ضمير الشأن وقوله : لمفعولا أى موفى ومنجزا (قوله بزيادة صفة) أى وهى البكاء ومراده بهذا دفع التكرار وهو معنى قوله تعالى فى سورة المائدة : وإذا جمعوا ما أنزل إلى الرسول ترى أعينهم تفيض من الدمع الح (قوله ويزيدهم القرآن) أى قالهم يبر يعود على القرآن ويصح عوده على البكاء (قوله وكان صلى الله عليه وسلم) أشار بذلك إلى سبب نزولها . وحاصله أنه سجد صلى الله عليه وسلم ذات ليلة فجعل يقول فى سجوده يا الله يارب رحمن فقال أبو جهل إن محمدا يهتانا عن آلهتنا ريمو يدعو إلهم (قوله إلها آخر) أى وهو الرحمن ظنا منهم أن المراد به مسيلة الكذاب لأن قومه كانوا يسمونه رحمن الرحمة ، قال بعضهم فى حقه :

سميت بالمجد يا ابن الأكرمين أبا وأنت غيث الوري لازات رحمتا

وهجاء بعض المسلمين بقوله :

سميت بالحبت يا ابن الأخمين أبا وأنت شرّ الوري لازات شيطانا

(قوله أي محمود بأيهما) أي اذكروا اسمه في غير نداء (قوله أو نادوه) تفسير ثان لقوله ادعوا فعلى الأول يكون ناصبا للمفعولين أولهما محذوف تقديره معبودكم وعلى الثاني يكون ناصبا للمفعول واحد (قوله بأن تقولوا يا الله يا رحمن) إشار بذلك إلى أن أماء الله توقيفية فلا يجوز لنا أن نسميه باسم غير وارد في الشرع . قال صاحب الجوهرة : * واخبر أن أماء توقيفيه *

(قوله أيا شرطية) أي منصوبة بتدعوا فهي عاملة ومعمولة والضاف إليه محذوف قدره القدر بقوله : أي هذان (قوله له الأسماء الحسنى) هذه الجملة جواب الشرط وهو ما اشتهر على ألسنة العرب وقدر المفسر جوابه بقوله فهو حسن فتكون الجملة دليل الجواب، والأسماء جمع اسم وهو اللفظ الدال على ذات المسمى ، وأسماءه تعالى كثيرة ، قيل ثلاثمائة ، وقيل ألف وواحد ، وقيل مائة ألف وأربعة وعشرون ألفا عدد الأنبياء عليهم الصلاة والسلام لأن كل نبي تمته حقيقة اسم خاص به مع إمداد بقية الأسماء له لتحقيقه بجمعها ، وقيل ليس لها حد ولا نهاية لها على حسب شئونه في خلقه وهي لانهاية لها والحسنى إما مصدر وصف به أو مؤنث أحسن كأفضل وفضلى فأفرد لأنه وصف جمع قلة لما لا يعقل فيجوز فيه الافراد والجمع وإن كان الأحسن الجمع . قال الأجهوري :

و جمع مكثرة لما لا يعقل الأنصح الافراد فيه يافل
وغيره فالأنصح المطابقة نحو هبات وأفراط لا تقه

وحسن أسمائه تعالى لمدحها على معان شريفة هي أحسن المعاني لأن معانها ذات الله أوصافه (قوله كما في الحديث) أي ونصه « إن لله عز وجل تسعة وتسعين اسما من أحصاها دخل الجنة هو الله الذي لا إله إلا هو » إلى آخر الرواية التي ذكرها المفسر واختارها وإن كان الحديث واردا بأوجه خمسة لكونها أصح الروايات الواردة ، ومنها « إن لله تسعة وتسعين اسما مائة غير واحد إنه وتر يحب الوتر وامن عبد يدعو بها لإوجبت له الجنة » ومنها « إن لله تسعة وتسعين اسما من أحصاها كلها دخل الجنة أسأل الله تعالى الرحمن الرحيم الإله الرب » إلى آخره ، ومنها « إن لله عز وجل تسعة وتسعين اسما مائة إلا واحدا إنه وتر يحب الوتر من حفظها دخل الجنة الله الواحد الصمد » الخ ، ومنها « إن لله تعالى مائة اسم غير اسم من دعا بها استجاب الله له » وكلها في الجامع الصغير في حرف الهمزة مع النون عن طي وعن أبي هريرة ، والحفظ والاحصاء عند أهل الظاهر معرفة ألفاظها ومعانيها ، وعند أهل الله هو الاتصاف بها والظهور بحقائقها والظهور على مدارج تتابحها (٣٤٣) (قوله هو) ليس من الأسماء

الحسنى بل هو عند أهل الظاهر ضمير شأن يفسره ما بعده ، وعند أهل الله اسم ظاهر يتعبدون

(أيًا) شرطية و (ما) زائدة أي أي هذين (تدعوا) فهو حسن ، دل على هذا (قوله) أي لسميها (الأسماء الحسنى) وهذان منها فإنها كما في الحديث . « هو الله الذي لا إله إلا هو الرحمن الرحيم الملك القدوس السلام المؤمن المهيمن العزيز الجبار المتكبر الخالق البارئ المصور الغفار

بذكره وعلى كل فهو زائد على التسعة والتسعين (قوله الله) هو أعظم الأسماء المذكورة لكونه جامعا لجميع الأسماء والصفات وهو علم على الذات الواجب الوجود المستحق لجميع الحمد وأل لازمة له لا تعريف ولا غيره وهو ليس بمشتق على الصحيح (قوله الذي لا إله إلا هو) نعت للاسم الجليل : أي الذي لا يعبد غيره (قوله الرحمن) أي المنعم بجلال النعم كما وكيفاً دنيوية وأخروية ظاهرة وباطنية (قوله انرحم) أي المنعم بدقائق النعم كما وكيفاً دنيوية وأخروية ظاهرة وباطنية والدقائق ما تفرعت من الجلائل كالزيادة في الإيمان والعلم والمعرفة والتوفيق والعافية والسمع والبصر (قوله الملك) أي المتصرف في خلقه بالإيجاد والاعدام وغير ذلك وتسمية غيره تعالى به مجاز (قوله القدوس) أي المنزه عن صفات الحوادث وآتى به عقب الملك لدفع توهم أنه يطرأ عليه نقص كالملوك (قوله السلام) أي المؤمن من المخاوف والمهلك أو الذي يسلم على عباده (قوله المؤمن) أي المصدق لرسله بالمعجزات ولأوليائه بالكرامات ولبعاده للمؤمنين على إيمانهم وإخلاصهم لأنه لا يطلع على الإخلاص نبي مرسل ولا ملك مقرب وإنما يعلم من الله (قوله للمهيمن) أي المطلع على خطرات القلوب (قوله العزيز) من عز بمعنى غلب وقهر فهو من صفات الجلال أو من عز بمعنى قل فلم يوجد له مثيل ولا نظير فهو من صفات السلوب (قوله الجبار) أي المنتقم القهار فيكون من صفات الجلال أو المصلح للكسر يقال جبر الطيب الكسر أصلحه فيكون من صفات الجلال (قوله المتكبر) من الكبرياء وهو التعالى في العظمة وهي مختصة به تعالى لما في الحديث القدسي « العظمة إزاري والكبرياء ردائي فمن نازعني فيها قسمته » (قوله الخالق) أي الموجد للخلوقات من العدم (قوله البارئ) أي المبرئ من الأسقام أو المظهر لما في الغيب من برى بمعنى أظهر ما كان خفيا فيرجع معنى الخالق (قوله المصور) أي المبدع للأشكال على حسب إرادته فأعطى كل شئ من المخلوقات صورة خاصة وهيئة منفردة يتميز بها على اختلافها وكثرتها (قوله الغفار) إما مأخوذ من الغفر بمعنى الستر لأنه يستر على عباده قبائحهم فيها وفي الدنيا عن الآدميين وفي الآخرة عن الملائكة ولو كانت موجودة في الصحف أو من الغفر بمعنى المحو من الصحف وهو مرادف للغفور والغافر ، وقيل إن الغافر هو الذي يغفر بعض الذنوب والغفور الذي يغفر أكثرها والغفار الذي يغفر جميعها ، والصحيح

الأول لأنه لامبالغة في أسماء الله بل صيغتها صيغة نسبة كقوله (قوله القهار) أى ذو البطش الشديد فهو من صفات الجلال (قوله الوهاب) أى ذوالهبات العظيمة لغبر غرض ولاعة فالطاعات لا تزيد في ملكه شيئا وإنما رتب الثواب عليها من فضله وكرمه وهذا الاسم من صفات الجلال (قوله الرزاق) أى معطى الأرزاق لعباده دنيا وأخرى . قال تعالى - وما من دابة في الأرض إلا على الله رزقها - وهو بمعنى الرزق قسمان ظاهر وهو الأقوات من طعام وشراب ونحو ذلك وباطن وهو العلوم والأمرار والعارف فالأول رزق الأبدان والثانى رزق الأرواح وكل من عند رنا (قوله الفتاح) أى ذوالفتح لما كان مغلوقا حسيا أو معنويا فهو السهل لكل عسير من خيرى الدنيا والآخرة فضلا منه وإحسانا وهذا ما قبله من صفات الجلال (قوله العليم) أى ذوالعلم وهو صفة أزلية قائمة بذاته تعالى تتعلق بالواجبات والجائزات والمستحيلات تعلق إحاطة وانكشاف لا يوصف بنظر ولا ضرورة ولا كسب (قوله القابض) أى ذوالقبض ضد البسط فهو جَلّ وعز قابض للأرزاق والأرواح وغير ذلك فيكون من صفات الجلال (قوله الباسط) أى ذوالبسط ضد القبض فهو سبحانه وتعالى باسط الأرزاق في الدنيا والآخرة والقلوب وغير ذلك . قال تعالى - والله يقبض ويبسط - وهذا ان الامان يظهر أثرهما في العبيد ، وللعارفين مقامات في القبض والبسط فالبسطى يسمون تجليه قبضا وبسطا والمتوسط يسمونه أنسا وهيبة والكمال يسمونه جللا وجمالا (قوله الخافض) أى لمن أراد خفضه : أى فهو خافض لكلمة الكفر وللظالمين ولكل متكبر وغير ذلك (قوله الرافع) أى ذوالرفع لأهل الاسلام والعلماء والصديقين والأولياء والسموات والجنة وغير ذلك من الحسى والعنوى والأول من صفات الجلال والثانى من صفات الجلال (قوله المعز) أى خالق العز لمن يشاء من خلقه (قوله المذل) أى خالق الذل لمن أراد من عباده والأول من صفات الجلال والثانى من صفات الجلال (قوله السميع) أى ذوالسمع ، وهو صفة أزلية تتعلق بجميع الموجودات تعلق إحاطة وانكشاف (قوله البصير) أى ذوالبصر وهو صفة أزلية تتعلق بجميع الموجودات تعلق إحاطة وانكشاف فهى مساوية في التعلق لصفة السمع ولا يعلم حقيقة اختلافهما إلا الله تعالى وهما غافقان لتعلق (٣٤٤) العلم لأن العلم يتعلق بالمعدومات والموجودات وهما إنما يتعلقان بالموجودات فقط وكل منها منزّه عن صفات الحوادث . قال بعض العارفين : من أراد

القهار الوهاب الرزاق الفتاح العليم القابض الباسط الخافض الرافع المعز المذل السميع البصير
الحكم العدل اللطيف الخبير الحليم العظيم النفور الشكور ،

خفاء نفسه عن أعين الناس بحيث لا يرونه ، فليقرأ عند مروره عليهم العلى
- لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار وهو اللطيف الخبير - تسع مرات (قوله الحكم) أى ذو الحكم التام (قوله العدل) أى ذو العدل أو العادل فلا يظلم مثقال ذرة فأحكام الله لا جور فيها بل دائرة بين الفضل والعدل لأن الجور التصرف في ملك الغير بغير إذنه ولا ملك لأحد معه وأردف الحكم بالعدل دفعا لتوهم أن حكمه تارة يكون بالعدل وتارة يكون بالجور (قوله اللطيف) أى العالم بخفيات الأمور أو معطى الإحسان في صورة الامتحان كاعطاء يوسف الصديق الملك في صورة ابتلاء بالرقية وآدم النوزل الأكبر في صورة ابتلائه بأكله من الشجرة وإخراجه من الجنة ، وفيينا صلى الله عليه وسلم الفتح والنصر المبين في صورة ابتلائه بإخراجه من مكة وهى حنة الله في عباده الصالحين .

[فائدة] من قرأ قوله تعالى - الله لطيف بعباده يرزق من يشاء وهو القوى العزيز - في كل يوم تسع مرات لطف الله به في أموره ويسر له رزقا حسنا وكذلك من أكثر من ذكر اللطيف (قوله الخبير) أى المطلع على خفيات الأشياء فيرجع معنى اللطيف على التفسير الأول أو القادر على الاخبار بما عجزت عنه المخلوقات . قال بعضهم : من أراد أن يرى شيئا في منامه فليقرأ قوله تعالى - أليعلم من خلق وهو اللطيف الخبير - تسع مرات عند نومه (قوله الحليم) هو الذى لا يجبل بالعقوبة على من عصاه وكرمه به بل يمهله فإن تاب عما عنه خطاياه ، ومن أقبح ما تقول العامة : حلم ربنا يفتت الكبود إذ مضاه الاعتراض على سعة حلمه ولا يدرون أنه لو لاحلمه علينا لحسف بنا فسمه حلمه بنا من أجل النعم علينا . قال العارف : الحمد لله على حلمه بعد علمه وعلى عفوه بعد قدرته (قوله العظيم) أى الذى يصغر كل شئ عند ذكره ولا يحيط به إدراك ولا يعلم كنه حقيقته سواء . فى الحديث « سبحان من لا يعلم قدره غيره ولا يبلغ الواصفون صفته » فهو من الصفات الجامعة (قوله النفور) تقدم معناه عند تفسير اسمه النفار (قوله الشكور) أى الذى يشكر عباده : أى يثني عليهم في الدنيا والآخرة فيعطى الثواب الجزيل على العمل القليل ويرفع ذكرهم في الملأ الأعلى .

(قوله البلى) أى المرتفع المزه من كل قص لتصف بكل حال المستغنى عن كل ماسواه للفتنر إليه كل ما عداه (قوله الكبير) هو العظيم بمعنى واحد (قوله الحفيظ) أى الحافظ للعالم العلوى والسفلى دنيا وأخرى قال تعالى - إن ربى على كل شئ حفيظ - (قوله للقيت) أصله اللزوت نقلت حركة الواو إلى الساكن قبلها فقلت الواو ياء مناسبة ما قبلها أى خالق القوت للأجساد والأرواح دنيا وأخرى وقوت الأجساد الطعام والشراب ونفعها بذلك وتقذها به وقوت الأرواح الايمان والأسرار والمعارف وارتفاعها بها والكافر لا قوت لروحه (قوله الحبيب) أى الكافى من توكل عليه أو الشريف الذى كل من دخل حماه تحرف أو المحاسب لعباده على النقيير والقتيل والقطيع فى قدر نصف يوم من أيام الدنيا أو أقل (قوله الجليل) أى العظيم فى الذات والصفات والأفعال فيرجع لمعنى العظيم والكبير (قوله الكريم) أى المعطى من غير سؤال أو الذى عم عطائه الطائع والعاصى (قوله الرقيب) أى المراقب الحاضر المشاهد لكل مخلوق المتصرف فيه وهو أهم من المهيمن لأنه المطلع على خطرات القلوب والرقيب المطلع على الظاهر والباطن (قوله المحيب) أى لسعوة الداعى قال تعالى - ادعونى أستجب لكم - وفى الحديث « مامن عبد يقول يارب إلا قال الله ليك يا عبدى » (قوله الواسع) السعة فى حقه تعالى ترجع لثنى الأولية والآخرة والاحاطة فهو من صفات السلوب أو يراد منها أن رحمته وسعت كل شئ فيكون من صفات الجمال (قوله الحكيم) أى ذو الحكمة وهى العلم التام والصنع المتقن (قوله الودود) أى الحب لعباده الصالحين المحبين الراضى عليهم قال تعالى - هل جزاء الاحسن إلا الاحسان - أو الودود بمعنى المحبوب لأنه محب ومحبوب ، فحبه لعباده إنعامه عليهم أو إرادة إنعامه فترجع لمعنى الرضا ومحبة عباده له ميلهم إليه وشغلهم به همن سواء (قوله المجيد) أى الشريف ومثله الماجد (قوله الباعث) أى الذى يبعث الأموات أى يحيينهم للحساب ويبعث الرسل لعباده لأقامة الحجج عليهم والأرزاق الدنيوية والأخروية (قوله الشهيد) أى المطلع على الظاهر والباطن فيرجع لمعنى الرقيب وأما قوله تعالى - عالم الغيب والشهادة - فتسميته غيبا بالنسبة لنا وإلا فالكل شهادة عنده (٣٤٥) (قوله الحق) أى الثابت الذى لا يقبل الزوال أزلا ولا أبدا فيرجع لمعنى واجب الوجوب (قوله الوكيل) أى المتولى أمور خلقه دنيا وأخرى (قوله القوى)

العلى الكبير الحفيظ المقيت الحبيب الجليل الكريم الرقيب المحيب الواسع الحكيم الودود
مجيد الباعث الشهيد الحق الوكيل القوى للتين الولي المجيد المحصى المبدى المعيد المحي المميث
الحى القيوم الواجد الماجد الواحد ،

أى ذوالقدرة التامة التى يوجد بها كل شئ* ويعدمه على طبق مراده (قوله التين) أى صاحب القوة العظيمة التى لا تعارض ولا يعترها نقص ولا خلل (قوله الولي) أى الموالى والمتابع لاحسان لعبيده ، أو المتولى للخير والشر بمعنى صدور الكل منه فيرجع لمعنى الوكيل ويشهد للأول قوله تعالى - الله ولي الدين آمنوا - الآية ، ولثانى قوله تعالى : أم اتخذوا من دونه أولياء فأنه هو الولي ، وأما الولي من الخلق فعناه الموالى لطاعة ربه المداوم عليها ، أو من تولى الله أمره فلم يكله لغيره (قوله المجيد) أى الحمود أى مستحق الحمد كله ، أو الحامد لعبيده الصالحين ولنفسه بنفسه (قوله المحصى) أى الضابط لعدد مخلوقاته جليلها وحقيقها . قال تعالى - وأحصى كل شئ* عددا - (قوله المبدى) بالهمزة أى المبتدى من العدم إلى الوجود ، وأما بغير همز فعناه المظهر وليس مرادا هنا لكون الرواية بالهمز (قوله المعيد) أى الذى يعيد الخلق بعد انعدامهم قال تعالى : وهو الذى يبدأ الخلق ثم يعيده وهو أهون عليه . واختلف أهل السنة فى تلك الاعادة ، قيل عن عدم محض ، وقيل عن تفريق أجزاء . قال صاحب الجوهرة :

وقل يعاد الجسم بالتحقيق من عدم وقيل عن تفريق

(قوله المحي) أى المقوم للأبدان بالأرواح للخلات من العدم أى الناقل لهم من حالة العدم لحالة الحياة (قوله المميث) أى الخالق للموت وهو عدم الحياة هما من شأنه الحياة قال تعالى - خلق الموت والحياة - (قوله الحى) أى ذوالحياة وهى فى حقه تعالى صفة أزلية قائمة بذاته يستلزمها انصافه بالمعاني والمنوية (قوله القيوم) أى القائم بذاته تعالى المستغنى عن غيره ، أو المقوم لغيره بقدرته فهو المتصرف فى العالم دنيا وأخرى (قوله الواجد) أى الذى من الوجدان وهو عدم فساد الشئ* بمعنى أنه لو أغنى الخلق جميعا وأعطاهم سؤلهم لم ينتقص من ملكه إلا كما ينتقص المحيط إذا أدخل البحر (قوله الماجد) هو بمعنى المجيد المتقدم ، وهو الشريف أو واسع الكرم (قوله الواحد) أى الذى لا تانى له فى ذاته ولا فى صفاته ولا فى أفعاله فهو مستلزم لثنى الكرم الخمسة المتصل والمنفصل فى الذات والمتصل والمنفصل فى الصفات والمنفصل فى الأفعال والمتصل فيها لا يثنى [٤٤ - صاوى - ثانى]

بل هو تعلق القدرة والارادة في سائر الكائنات إجماعاً وإعداماً فلا غاية له ولا نهاية قال تعالى - كل يوم هو في شأن - أى كل لحظة ولحظة في شؤون يديها ولا يتبدى والوحدة في غيره نقص وفي حقه كمال ، كما ورد أنه واحد لا من قلة بل وحدة تعزز وانفراد وتكبر لانعدام الشبيه والنظير والثليل ، وفي بعض النسخ زيادة لفظ الأحد وهو بمعنى الواحد والصواب إسقاطه لأنه ليس ثابتاً في حديث الترمذى الذى نسب الحديث إليه (قوله الصمد) أى الذى يقصد في الحوائج فهو كاللدليل للوحدانية (قوله القادر) أى ذو القدرة التامة وهي صفة أزلية قائمة بذاته تعالى تتعلق بالممكنات إجماعاً وإعداماً على وفق الإرادة (قوله المقدر) مبالغة في القدرة أى العظيم القدرة التى لا شبيه لها ولا مثيل ولا نظير فيرجع لمعنى القوى المتين (قوله اللد) بكسر الدال أى لمن أراد من عباده (قوله الآخر) أى لمن أراد تأخيره قال تعالى - قل اللهم مالك الملك تؤتي الملك من تشاء وتنزع الملك ممن تشاء - الآية (قوله الأول) أى الذى لا افتتاح لوجوده (قوله الآخر) أى الذى لا انتهاء لوجوده (قوله الظاهر) أى الذى ليس فوقه شئ ولا يقبله شئ ، أو الظاهر بآثاره وصنعه . ومن الحكم هذه آثارنا تدل علينا قال تعالى - كل يوم هو في شأن - (قوله الباطن) أى الذى ليس أقرب منه شئ أو الذى الذى تحجب عنا بجلاله وهيئته فلا تراه الأبصار في الدنيا ولا تدرك حقيقته لأحد دنيا ولا أخرى . وقد جمعت هذه الأسماء الأربعة في قوله صلى الله عليه وسلم « اللهم أنت الأول فليس قبلك شئ » وأنت الآخر فليس بعدك شئ » وأنت الظاهر فليس فوقك شئ » وأنت الباطن فليس دونك شئ » اقض عنا الدين وأغننا من الفقر » (قوله الوالى) أى المتولى على عباده بالتصرف والتهر والايحاد والاعدام فيرجع لمعنى الملك (قوله المتعالى) أى للنزه عن صفات الحوادث فيرجع لمعنى القدوس وأتى به عقب الوالى لدفع توهم طرقة نقص عليه كالولاية (قوله البر) أى المحسن لعباده الطائعين والعاصين (قوله التواب) أى كثير التوبة لعباده الذنبيين أى يقبل توبتهم إن تابوا أو الذى يخلق التوبة في العبد فتظهر فيه قال تعالى - ثم تاب عليهم ليتوبوا إن الله هو التواب الرحيم - وقال تعالى - وهو الذى يقبل التوبة (٣٤٦) عن عباده ويعفو عن السيئات - (قوله المنتقم) أى المرسل للنقم والعذاب

الصمد القادر المقدر المقدم المؤخر الأول الآخر الظاهر الباطن الوالى المتعالى البر التواب المنتقم
العفو الرؤوف مالك الملك ذو الجلال والاكرام المقسط الجامع النفى النفى المانع الضار النافع
النور الهادى البديع الباقي الوارث الرشيد الصبور » رواه الترمذى .

على الكفار والجبابرة
الذين ماتوا مصرتين على
ذلك فهو من صفات الجلال
كقهار (قوله العفو) أى
الذى لا يؤخذ المذنب

قال

بالذنوب بل يحوها ويبدلها بحسنات (قوله الرؤوف) من الرأفة وهي شدة الرحمة

ومعناها في حقه تعالى الانعام أو إرادته (قوله مالك الملك) أى للتصرف فيه على ما يريد ويختار قال تعالى - يحكم لامرأته لحكمه - (قوله ذو الجلال) أى صاحب الهيبة والعظمة ، وقوله والاكرام أى الانعام والاحسان (قوله المقسط) أى الذى يحكم بالانصاف بين خلقه وضده القاسط بمعنى الجائر (قوله الجامع) أى لكل كمال أو للخلق يوم القيامة قال تعالى : وهو على جميعهم إذا يشاء قدير ، أو ما هو أعم وهو أولى (قوله النفى) أى ذوالنفي المطلق وهو المستغنى عن كل ما سواه المفتقر إليه كل ما عداه (قوله النفى) أى المعطى النفى لمن يشاء دنيا وآخرى قال تعالى - وأنه هو أغنى وأقنى - (قوله المانع) أى الرافع عن عيبه الضار الدنيوية والأخروية قال تعالى - إن الله يدافع عن الذين آمنوا ، ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الأرض (قوله الضار) أى خالق الضر ضد النفع وهو إرسال الضر لمن شاء من عباده (قوله النافع) أى خالق النفع ضد الضر وهو إرسال الخير لمن شاء من عباده دنيا وآخرى (قوله النور) أى الظاهر في نفسه المظهر لغيره أو خالق النور (قوله الهادى) أى خالق الهدى والرشاد الموصل له من أحب من عباده (قوله البديع) أى المبدع والحكم كل شئ صنعه أو اخترع الأشياء على غير سابقة مثال قال تعالى - بديع السموات والأرض - أى محكمهما ومتقهما ومخترع لهما على غير مثال سابق (قوله الباقي) أى الدائم الذى لا يزول ولا يحول (قوله الوارث) أى الباقي بعد فناء خلقه ، أو الذى يرجع إليه كل شئ قال تعالى : إنا نحن رث الأرض ومن عليها إنا يرجعون ، كل شئ هالك إلا وجهه ، ألا إلى الله تصير الأمور - (قوله الرشيد) أى صاحب الرشده وهو الذى يضع الشئ في محله ، أو خالق الرشده في عباده فيرجع لمعنى الهادى (قوله الصبور) أى الذى لا يجبل بالعقوبة على من عصاه فيرجع لمعنى الحليم ، والله أعلم بحقيقة معاني أسمائه وأسرارها (قوله رواه الترمذى) أى عن أبى هريرة . واعلم أن للعارفين في استعمال هذه الأسماء طرقاً : فمنهم من يستعملها كلها ، ومنهم من يستعملها نظماً كالشيخ الديلمياطى وسيدى مصطفى البكري وغيرهما ، وأجل ما تلقيناه منظومة أستاذنا بركة

الوقت والزمان وإمام العصر الآوان القطب الشهير والأزهى الخبير إبي البركات مهبط الرحمت الذى عم فضله الكبير والصغير شيخنا الشيخ أحمد بن محمد الرديري ، فانها عديدة النظير لاحتوائها على الدعوات الجامعة والأسرار الالامعة بمظاهر تلك الأسماء وهى آخر العالوم الالهية التى ظهرت على لسانه وقد أقيمت عليه فى ليلة واحدة مقام من فراشه وكتبها وكان يقرؤها فى كل يوم وليلة ثلاث مرات، فمن أراد الفوز الأكبر والظفر بالمقصود من خبر الدنيا والآخرة فعليه بحفظها والمواظبة عليها صباحا ومساء ، ومن أراد الاطلاع على بعض معانيها وفوائدها فعليه بشرحنا عليها فان فيه النفع التام إن شاء الله تعالى (قوله ولا تجهر بصلاتك) سبب نزولها كما قال ابن عباس : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان مخفيا بمكة ، وكان إذا صلى بأصحابه رفع صوته بالقرآن فإذا سمعه المشركون سبوا القرآن ومن أنزله ومن جاء به ، فقال الله لنبيه - ولا تجهر بصلاتك - أى بقرائك ولا تخافت بها عن أصحابك فلا تسمعهم وابتغ بين ذلك سبيلا وهذا الأمر قد زال من يوم إسلام عمر والحزمة فهو منسوخ فالعصلى الجهر فى الصلاة الجهرية ولو يزيد على سماع المؤمنين ، وقيل نزلت فى الدعاء . وروى عن عائشة وجماعة ومثل الدعاء سائر الأذكار فلا يجهر بها ولا يخافت بها بل يكون بين ذلك قواما ، وعلى هذا القول فالآية غير منسوخة بل العمل بها مستمر (قوله ولا تخافت بها) المخافة عدم رفع الصوت يقال خفت الصوت إذا سكن (قوله لينتفع) (٣٤٧) أصحابك) علة للنهى عن الخفة

(قوله وقل الحمد لله) أى الثناء بالجليل واجب لله (قوله الذى لم يتخذ ولدا) أى لم يكن له ولد لاستحالة عليه (قوله الألوهية) أى لم يكن له مشارك فى ألوهيته إذ لو كان معه مشارك فيها لما وجد شئ من العالم قال تعالى - لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدنا - وقال تعالى - ما اتخذ الله من ولد وما كان معه من إله إذا لذهب كل إله بما خلق ولعل بعضهم على بعض (قوله

قال تعالى (وَلَا تَجْهَرُ بِصَلَاتِكَ) بقرائك فيها فيسمعك المشركون فيسبوك ويسبوا القرآن ومن أنزله (وَلَا تَخَافُ) نسر (بها) لينتفع أصحابك (وَابْتَغِ) اقصد (يَبْنِ ذَلِكَ) الجهر والخافتة (سَبِيلًا) طريقا وسطا (وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُنْ لَهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ) فى الألوهية (وَلَمْ يَكُنْ لَهُ وَلِيٌّ) ينصره (مِنْ) أجل (الدَّلِّ) أى لم يذل فيحتاج إلى ناصر (وَكَبْرُهُ تَكْثِيرًا) عظمه عظمة تامة عن اتخاذ الولد والشريك والدل وكل ما لا يليق به ، وترتيب الحمد على ذلك للدلالة على أنه المستحق لجميع الحمد لكمال ذاته وتفرده فى صفاته . روى الامام أحمد فى مسنده عن معاذ الجهنى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم « أنه كان يقول : آية العز الحمد لله الذى لم يتخذ ولدا ولم يكن له شريك فى الملك إلى آخر السورة » والله تعالى أعلم . قال مؤلفه : هذا آخر ما كملت به تفسير القرآن الكريم الذى ألقه الشيخ الامام العالم العلامة المحقق جلال الدين المحلى الشافعى رضى الله عنه ، وقد أفرغت فيه جهدى ، وبذلت فكرى فيه فى نقاس أراها إن شاء الله تعالى نجدى . وألقته فى مدة ،

ولم يكن له ولي (من الدل) أى لم يكن له ناصر يمنع عنه الدل لاستحالة عليه عقلاء واستفيد من الآية أن له أولياء لامن أجل الدل بل بمعنى أنه ينصرهم ويتولى أمورهم مع استغنائه عنهم كاستغنائه عن الكفار وإعما اختيارهم وتسميتهم أولياء وأحبابا فمن فضله وإحسانه ، وكما أنه يستحيل عليه الولي بمعنى الناصر له من الدل يستحيل عليه العدو بمعنى الموصول الأذى إليه . وأما بمعنى أنه مفضوب عليه وليس راضيا بأفعاله فهو واقع (قوله أى لم يذل) أى لم يجز عليه وصف الدل لا بالفعل ولا بالقوة (قوله عظمه) أى زهه من كل نقص (قوله وترتيب الحمد إلخ) دفع بذلك ما يقال إن اللقائم للتنزيه للحمد لأن الحمد يكون فى مقابلة نعمة وهنا ليس كذلك أجيب بأن الله كما يستحق الحمد لأوصافه يستحقه لذاته (قوله آية العز) أى التى من قرأها مؤمنا بها حصل له العز والرفعة وورد فى عدة استعمالها أنها ثلاثمائة وأحد وخمسون كل يوم ويقول قبلها توكلت على الحى الذى لا يموت الحمد لله الذى لم يتخذ ولدا إلى آخرها (قوله جلال الدين المحلى) كان على غاية من العلم والعمل والزهد والورع والحلم حتى كان من أخلاقه أنه يقضى حوائج بيته بنفسه مع كونه كان عنده الخدم والعبيد (قوله وقد أفرغت فيه) الضمير عائذ على ما فى قوله آخر ما كملت به وكذا بقية الضمائر (قوله جهدى) بفتح الجيم وضما أى طاقى (قوله وبذلت فكرى) الفكر قوة فى النفس يحصل بها التأمل (قوله فى نقاس) أى دقات ونكات مرضية (قوله أراها) بفتح الهمزة وضما (قوله تجدى) أى تنفع .

(قوله قدر ميعاد الكليم) أى وهو أر بعون يوماً لأنه سيأتى أنه ابتداء فيه أول يوم من رمضان وختمه لعشرة من غزواته ذلك إشارة إلى أن في هذه المدة حصل موسى الفتح وإعطاء التوراة وهى كلام الله فقد خلعت على خلعة من خلعه حيث فتح على فى تلك المدة بخدمة كلام الله، والإخبار بذلك من باب التحدث بالنعمة فإن هذا الزمن عادة لا يسع التأليف إلا بزيادة من الله سبحانه مع صف من الشيخ حينئذ فإنه كان عمره أقل من ثنتين وعشرين سنة بشهور (قوله وهو) أى ما كتبت به (قوله مستفاد من الكتاب المكمل) هذا تواضع من الشيخ وإشارة إلى أنه هذا حذره واقتنى أثره فالشيخ المحلى قدس الله روحه قد سن سنة حسنة للشيخ السيوطى فله أجرها وأجر من عمل بها إلى يوم القيامة (قوله وعليه) أى الشيخ أو الكتاب المكمل وهو متعلق بمحذوف خبر مقدم والاعتماد مبتدأ مؤخر وقوله فى الآى الخ متعلق بالاعتماد والمول . عطوف على الاعتماد عطف مرادف (قوله بعين الانصاف) إما على حذف مضاف أى بعين صاحب الانصاف أو فى الكلام استعارة بالكناية حيث شبه الانصاف بانسان ذى عين وطوى ذكر للشبه به ورمز له بشئ من لوازمه وهو العين فائباته تخييل واحترز بعين الانصاف من عين الاعتصاف فانها لا ترى مما حسن أصلاً كما قال العارف :

وعين الرضا عن كل عيب كليله كما أن عين السخط نبذى للساويا

(قوله ووقف فيه على خطأ) (٣٤٨) أى اطاع عليه (قوله فأطعنى) أى دلى عليه وعرفنى به (قوله وقد قلت)

قدر ميعاد الكليم ، وجملته وسيلة للفوز بمجنات النعم ، وهو فى الحقيقة مستفاد من الكتاب المكمل . وعليه فى الآى المتشابهة الاعتماد والمول . فرحم الله امرأً نظر بعين الانصاف إليه . ووقف فيه على خطأ فأطعنى عليه ، وقد قلت :

حدث الله ربى إذ هدانى لما أبديت مع هجرى وضمى

فن لى بالخطأ فأرد عنه ومن لى بالقبول ولو بحرف

هذا ولم يكن قط فى خلدى أن أترض لذلك لعلى بالمعز عن الخوض فى هذه المسالك . وعسى الله أن ينفع به فيما جئاً ، ويفتح به قلوباً غلظاً وأعيناً عمياً وآذاناً صماً . وكأنى بمن اعتاد المطولات وقد أضرب عن هذه التكلفة وأصلها حسماً ، وعدل إلى صريح العناد ولم يوجه إلى دقائقها فما ، ومن كان فى هذه أعمى فهو فى الآخرة أعمى . رزقنا الله به هداية إلى سبيل الحق وتوفيقاً ، وإطلاعا على دقائق كلماته وتحقيقاً ،

أى شاكراً الله سالماً
سبيل الاعتذار (قوله إذ
هدانى) أى لأجل هدايته
لى (قوله لما أبديت)
متعلق بهدائى (قوله فن
لى بالخطأ) أى من يتكفل
لى باظهار الخطأ (قوله
فأرد عنه) أى أجيب عنه
أو أصلحه (قوله ومن لى
بالقبول) أى من يشرنى
بالقبول من الله لهذا
التأليف ولو حرفاً لأن
القبول من رحمة الله

وجعلنا

ومن رحمه لا يعذبه (قوله هذا) أى افهم وتأمل ما ذكرته لك

(قوله فى خلدى) فمحتين معناه البال والقلب (قوله لذلك) أى لتأليف تلك التكلفة (قوله للمسالك) أى مسالك التفسير الذى هو أصعب العلوم لاحتياجه إلى الجمع بين العقول والنقول (قوله وعسى الله) هذا ترج من الشيخ رضى الله عنه وقد حقق الله رجاءه (قوله جماً) بفتح الجيم أى كثيراً (قوله غلظاً) أى مغطاة بمجموعة من فهم علم التفسير لصعوبته (قوله عمياً) أى لا تبصر فاذا نظرت فيه وتأملت فأرجو أن يزول عنها العمى لتبصره وتذكره (قوله وآذاناً صماً) أى فبسماعه يزول عنها الصمم وتصير مستمعة لدقائق التفسير (قوله وكأنى بمن اعتاد المطولات) أى ملتبس بمن اعتاد قالبه للابسة ويصح أن تكون بمعنى من ، والمعنى وكأنى قريب بمن اعتاد الخ (قوله وقد أضرب) أى أعرض (قوله وأصلها) أى وهى قطعة الجلال المحلى (قوله حسماً) الحسم للنوع والقطع وهو مفعول مطلق مؤكد لعامله المعنوى الذى هو أعرض كأنه قال وقد أعرض إعراضاً (قوله وعدلى) أى مال (قوله إلى صريح العناد) من إضافة الصفة للوصف أى العناد الصريح (قوله ومن كان فى هذه) أى التكلفة مع أصلها وفى معنى عن وقوله أعمى أى معرضاً عنها وغير واقف على دقائقها وقوله فهو فى الآخرة الراد بها للمطولات وقوله أعمى أى غير فاهم لها وهو اقتباس من الآية الشريفة . والاقتباس تضمن الكلام شبهة من القرآن أو الحديث لاعلى أنه منه (قوله رزقنا الله به الخ) هذا الضمير وما بعده لما كمل به (قوله هداية) أى وصولاً للتصود (قوله على دقائق كلماته) أى القرآن

(قوله مع الذين أنعم الله عليهم) للزاد بالمعية أنه يستمتع فيها برؤيتهم (٣٤٩) وزيارتهم والحضور معهم وإن

كان كل في منزله (قوله) وفرغ من تأليفه) أى جمعه وتسويده بدليل قوله وفرغ من تبليظه (قوله سنة سبعين وثمانمائة) أى وذلك بعد وفاة الجلال الحلى بست سنين (قوله وفرغ من تبليظه) أى تحريره وقوله من المسودة (قوله سادس صفر) أى فكانت مدة تحريره أربعة أشهر إلا أربعة أيام (قوله السيوطى) بضم السين نسبة لسيوط قرية بصعيد مصر. واعلم أنه قد وجد بمدخمت هذه التكملة مما هو منقول عن خط السيوطى ما نصه : قال الشيخ شمس الدين محمد ابن أبى بكر الخطيب الطوخى أخبرنى صديق الشيخ العلامة كمال الدين الحلى أخبرنى الشيخ الإمام جلال الدين الحلى رحمه الله تعالى أنه رأى أخاه الشيخ جلال الدين المذكور فى النوم وبين يديه صديقنا الشيخ العلامة الحقيق جلال الدين السيوطى مصنف هذه التكملة وقد أخذ الشيخ هذه التكملة فى يده وتصفحها ويقول لمصنفها المذكور: أيها أحسن وضى أو وضك؟ قال وضى : فقال انظر وعرض عليه مواضع فيها ، وكأنه يشير إلى اعتراض فيها بلطف ، ومصنف هذه التكملة كلما أورد عليه شيئاً يجيبه والشيخ يعبس ويضحك .

قال شيخنا الإمام للعلامة جلال الدين عبد الرحمن بن أبى بكر السيوطى مصنف هذه التكملة : القى أعتقده وأجزم به أن الوضع الذى وضعه الشيخ جلال الدين الحلى رحمه الله تعالى فى قطمته أحسن من وضى أنا بطبقات كثيرة ، كيف وغالب ما وضعت هنا مقتبس من وضعه ومستفاد منه لامية عندى فى ذلك . وأما القى رؤى فى المنام للكتوب أعلاه فمل للشيخ أشار به إلى المواضع القليلة التى خالفت وضعه فيها لنكتة وهى يسيرة جدا ما أظنها تبلغ عشرة مواضع : منها أن الشيخ قال فى سورة ص : والروح جسم لطيف يحيا به الانسان بنفوذ فيه ، وكنت تبعته أولاً فذكرت هذا الحد فى سورة الجبرثم ضربت عليه لقوله تعالى : ويستلونك عن الروح قل الروح من أمر ربي الآية فهى صريحة أو كالصريحة فى أن الروح من علم الله تعالى لانهلم فالإمسك عن تعريفها أولى . ولذا قال الشيخ تاج الدين ابن السبكي فى جمع الجوامع : والروح لم يتكلم عليها محمد صلى الله عليه وسلم فتمسك عنها ومنها أن الشيخ قال فى سورة الحج : الصابئون فرقة من اليهود فذكرت ذلك فى سورة البقرة وزدت أو النصارى بيانا لقول ثان فإنه المعروف خصوصا عند أصحابنا الفقهاء . وفى النهاج وإن خالفت السامرة اليهود والصابئة النصارى فى أصل دينهم حرمن ، وفى شروحه أن الشافى رضى الله عنه نص على أن الصابئين فرقة من النصارى ، ولا أستحضر الآن موضعا ثالثا فكان الشيخ رحمه الله تعالى يشير إلى مثل هذا ، والله أعلم بالصواب ، وإليه المرجع والمآب .

تم الجزء الثانى ، ويليه الجزء الثالث وأوله :

سورة الكهف

الإمام الحسين رضى الله تعالى عنه وعنا وأمدنا من مدده آمين .

وجعلناه مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا . وفرغ من تأليفه يوم الأحد عاشر شوال سنة سبعين وثمانمائة ، وكان الابتداء فيه يوم الأربعاء مستهل رمضان من السنة المذكورة ، وفرغ من تبليظه يوم الأربعاء سادس صفر سنة إحدى وسبعين وثمانمائة والله أعلم .

قال الشيخ شمس الدين محمد بن أبى بكر الخطيب الطوخى : أخبرنى صديق الشيخ العلامة كمال الدين الحلى أخو شيخنا للشيخ الإمام جلال الدين الحلى رحمه الله تعالى أنه رأى أخاه الشيخ جلال الدين المذكور فى النوم وبين يديه صديقنا الشيخ العلامة الحقيق جلال الدين السيوطى مصنف هذه التكملة وقد أخذ الشيخ هذه التكملة فى يده وتصفحها ويقول لمصنفها المذكور: أيها أحسن وضى أو وضك؟ قال وضى : فقال انظر وعرض عليه مواضع فيها ، وكأنه يشير إلى اعتراض فيها بلطف ، ومصنف هذه التكملة كلما أورد عليه شيئاً يجيبه والشيخ يعبس ويضحك .

قال شيخنا الإمام للعلامة جلال الدين عبد الرحمن بن أبى بكر السيوطى مصنف هذه التكملة : القى أعتقده وأجزم به أن الوضع الذى وضعه الشيخ جلال الدين الحلى رحمه الله تعالى فى قطمته أحسن من وضى أنا بطبقات كثيرة ، كيف وغالب ما وضعت هنا مقتبس من وضعه ومستفاد منه لامية عندى فى ذلك . وأما القى رؤى فى المنام للكتوب أعلاه فمل للشيخ أشار به إلى المواضع القليلة التى خالفت وضعه فيها لنكتة وهى يسيرة جدا ما أظنها تبلغ عشرة مواضع : منها أن الشيخ قال فى سورة ص : والروح جسم لطيف يحيا به الانسان بنفوذ فيه ، وكنت تبعته أولاً فذكرت هذا الحد فى سورة الجبرثم ضربت عليه لقوله تعالى : ويستلونك عن الروح قل الروح من أمر ربي الآية فهى صريحة أو كالصريحة فى أن الروح من علم الله تعالى لانهلم فالإمسك عن تعريفها أولى . ولذا قال الشيخ تاج الدين ابن السبكي فى جمع الجوامع : والروح لم يتكلم عليها محمد صلى الله عليه وسلم فتمسك عنها ومنها أن الشيخ قال فى سورة الحج : الصابئون فرقة من اليهود فذكرت ذلك فى سورة البقرة وزدت أو النصارى بيانا لقول ثان فإنه المعروف خصوصا عند أصحابنا الفقهاء . وفى النهاج وإن خالفت السامرة اليهود والصابئة النصارى فى أصل دينهم حرمن ، وفى شروحه أن الشافى رضى الله عنه نص على أن الصابئين فرقة من النصارى ، ولا أستحضر الآن موضعا ثالثا فكان الشيخ رحمه الله تعالى يشير إلى مثل هذا ، والله أعلم بالصواب ، وإليه المرجع والمآب .

تم الجزء الثانى ، ويليه الجزء الثالث

وأوله :

سورة الكهف

الإمام الحسين رضى الله تعالى عنه وعنا وأمدنا من مدده آمين .

فهرس

الجزء الثاني

من حاشية الشيخ الضاوي على تفسير الجلالين

صحيفة

٢ سورة الأنعام

الكلام على الثلاث آيات التي في أول هذه

السورة وفضلها وما ورد فيها

٤ تسلية الله تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم

على عدم إيمان الكافرين به وبما جاء

به ، ورد الله تعالى عليهم

٦ البراهين الواضحة والحجج الساطعة على

وحدانية الله تعالى وأنه لا إله غيره

٨ استماع الكافرين للقرآن وقولهم فيه : إنه

أساطير الأولين

٩ قول أبي طالب مادحا للنبي صلى الله عليه

وسلم لدينه ونبيه عن أذاه وتأليه عن

الإيمان به ، وندم الكافرين عند رؤيتهم

لنار وتوبيخهم الرجوع إلى الدنيا للإيمان

بآيات الله تعالى

١٥ وظائف المرسلين والحكمة في إرسالهم

١٦ الكلام على قوله تعالى - وإذا جاءك

الذين يؤمنون بآياتنا - الآية ، وأنها ليست

مختصة بالمؤمنين الذين في زمنه صلى الله

عليه وسلم بل هي عامة لجميع المؤمنين إلى

يوم القيامة

٢٣ حجة إبراهيم عليه السلام مع أبيه آزر

والتشفيع على عبادة الأصنام

صحيفة

٣١ أدلة التوحيد

٣٨ اختلاف الأئمة في طلب ذكر اسم الله

عند الدعاء

٤٧ امتنان الله على عباده بتعداد النعم بقوله :

وهو الذي أنشأ جنات الآيات

٥١ ما أحله الله تعالى وما حرمه

٥٤ العلامات الكبرى للقيامة

٥٦ ما المراد بالحسنة والسبئية في قوله تعالى :

من جاء بالحسنة الخ - وبيان المضاعفة

في الحسنة ، وأن الحسنة تتفاوت وكذلك

السبئية

٥٨ سورة الأعراف

أمر جميع الخلق باتباع ما أنزل إليهم

من ربهم

٦٠ أمر الملائكة بالسجود لآدم ، وما معنى

السجود لآدم ، وامتثال الملائكة ما عدا

إبليس ، والمحاورة التي دارت بينه وبين

آدم عليه السلام

٦٥ تحذير بني آدم من اتباع الشيطان

٦٨ بيان أن الكافرين يخطفون في النار ولا

يدخلون الجنة أبدا

٦٩ بيان أن المؤمنين يخطفون في الجنة أبدا

٧٥ ذكر قصص بعض المرسلين مع قومهم

مصحف

- ٨٣ إرسال الله تعالى موسى عليه السلام إلى
فرعون وما حصل بينهما
٨٩ مواعدة الله تعالى لموسى بالمكاملة معه
٩٦ قصة أصحاب السبت
١٠٠ فائدة حسنة فيأذكره القطب الشيرازي
عماذكره العلماء في قوله تعالى - وإذا
أخذ ربك من بني آدم من ظهورهم
ذراريهم - أسئلة لها معناها وأجوبتها
النافعة عنها
١٠١ قصة بلم بن باعوراء
١٠٣ سؤال الكفار النبي صلى الله عليه وسلم
عن الساعة والجواب عنه
١٠٨ سورة الأفعال
١٠٩ أوصاف للمؤمنين حقاً
١١٢ عتاب الله للمؤمنين بعد رجوعهم
من غزوة بدر
١٢٣ أمر الله المؤمنين بأعداد العدة لقتال
الكافرين
١٢٥ أخذ النبي صلى الله عليه وسلم الفداء
من أسرى بدر ومعتبة الله له على
ذلك وآراء الخلفاء في ذلك
١٢٧ سورة التوبة
١٢٨ إعلام الله ورسوله يوم النحر ببراءتهما
من المشركين
١٣١ الأمر بقتال الكافرين إذا نقضوا العهد
وطعنوا في الدين
١٣٢ فضل من يعمر مساجد الله تعالى ،
والنهي عن اتخاذ الكافرين أولياء ولو
كانوا أولى قربي
١٣٣ غزوة حنين وما حصل فيها من النصر
وكثرة الغنائم للنبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه
١٣٦ صفات رؤساء اليهود والنصارى
١٣٨ بيان النفس الذي كان يفعل أهل

مصحف

- الجاهلية ، وبيان أن الزمان قد استدار
كهيئته يوم خلق الله السموات والأرض
١٣٩ عتاب الله للمؤمنين لما دعاهم النبي إلى
غزوة تبوك ، ونصر الله للنبي حين كان
في الغار مع صاحبه أني بكم
١٤٣ من تصرف لهم الزكاة
١٤٤ إذابة المنافقين للنبي صلى الله عليه وسلم ،
والرد عليهم ووعدهم في الدنيا والآخرة
١٤٧ فضل المؤمنين والمؤمنات وجزاؤهم ،
والأمر بجهاد الكفار والمنافقين
١٤٨ قصة ثعلبة بن حاطب
١٥٦ الدين اتخذاً ومسجد الضرار لإذابة النبي
وأهل قباء وإعادة سوء مكرم عليهم
١٦٠ توبة الله على النبي والأوصار والمهاجرين
وعلى الثلاثة الذين خلفوا في غزوة
تبوك وقصتهم
١٦١ باب حديث كعب بن مالك
١٦٤ النبي صلى الله عليه وسلم رؤوف رحيم
بأمتة ، وفضل الآيتين آخر هذه السورة
١٦٥ سورة يونس عليه السلام وما فيها من
قصص الأنبياء والمرسلين
١٧٢ ترغيب الله لعباده في الآخرة ونعيمها
بقوله تعالى : والله يدعو إلى دار السلام
١٨٠ بيان أن القرآن نزل للاتعاط به ولشفاء
الصدور من العقائد الفاسدة وهدى
ورحمة للمؤمنين
١٨٢ الكلام على أولياء الله تعالى وبشارتهم
في الدنيا والآخرة
١٨٧ دعاء موسى عليه السلام على فرعون
وملكه
١٨٨ مجازة موسى عليه السلام وبني إسرائيل
البحر وإغراق فرعون وجنوده ، وهل
ما قاله فرعون حين إدراك الفرق له
يكون به مؤمناً أم لا ؟

صحيفة

- ١٩٢ سورة هود عليه السلام وما فيها من
أنباء الرسلين مع قومهم تسلياً للنبي
صلى الله عليه وسلم
- ٢١٣ ذكر شئ من أهوال يوم القيامة ووعيد
الاشقياء ووعد السعداء
- ٢١٧ سورة يوسف عليه السلام وبيان قصته
مع إخوته ، ولطف الله تعالى به حيث
جعل الرفعة التامة له في طي الكاره
والصبر عايتها
- ٢٤٥ سورة الرعد وما فيها من الأدلة الواضحة
على وحدانية الله تعالى وقدرته
- ٢٥٢ المؤمن بعهد الله وجزاؤهم
- ٢٥٤ الذين استحقوا الجنة وأوصافهم للوجبة
لذلك
- ٢٥٩ سورة إبراهيم عليه السلام
- ٢٦٦ قصة سيدنا إبراهيم ودعوته لساكني
البيت الحرام ولبنيه
- ٢٧١ سورة الحجر
- ٢٧٥ ما خلق منه آدم ، وما خلق منه إبليس ،
وما حصل بينهما
- ٢٧٧ ضيافة الملائكة لإبراهيم عليه السلام ،
وما حصل لقوم لوط عليه السلام
- ٢٨٢ سورة النحل
- ٢٨٣ بيان بعض نعم الله تعالى التي لا تحصى

صحيفة

- ٢٩٣ ما جعل الكفار لأصنامهم ، وما جعلوه
لله تعالى
- ٢٩٥ ما يدل على باهر قدرته تعالى من
إخراج اللبن من بين الفرت والدم
وغبر ذلك
- ٢٩٩ الدليل على كمال قدرة الله تعالى
- ٣٠١ الآية الكافية في بيان كل خـ
- ٣٠٢ المرأة التي تقضت النزل
- ٣٠٨ الأوصاف التي وصف الله بها إبراهيم
عليه السلام
- ٣١١ سورة الاسراء
- ٣١٣ رواية الإسراء والعراج
- ٣١٧ تممة في تلخيص معنى قوله تعالى - وقضينا
إلى بني إسرائيل في الكتاب - الآيات
- ٣٢٣ ما أمر الله به ، وما نهى عنه
- ٣٣٦ المقام المحمود الذي أوتيته صلى الله عليه وسلم
- ٣٣٧ الكلام على قوله تعالى - ويستلونك
عن الروح - الآية
- ٣٣٨ إعجاز القرآن للانس والجن ، والآيات
التي طلبها كفار مكة من النبي عنادا
- ٣٤٣ أسماء الله الحسنى التي من حفظها دخل
الجنة
- ٣٤٧ آية العز وما ورد في فضلها واستعمالها